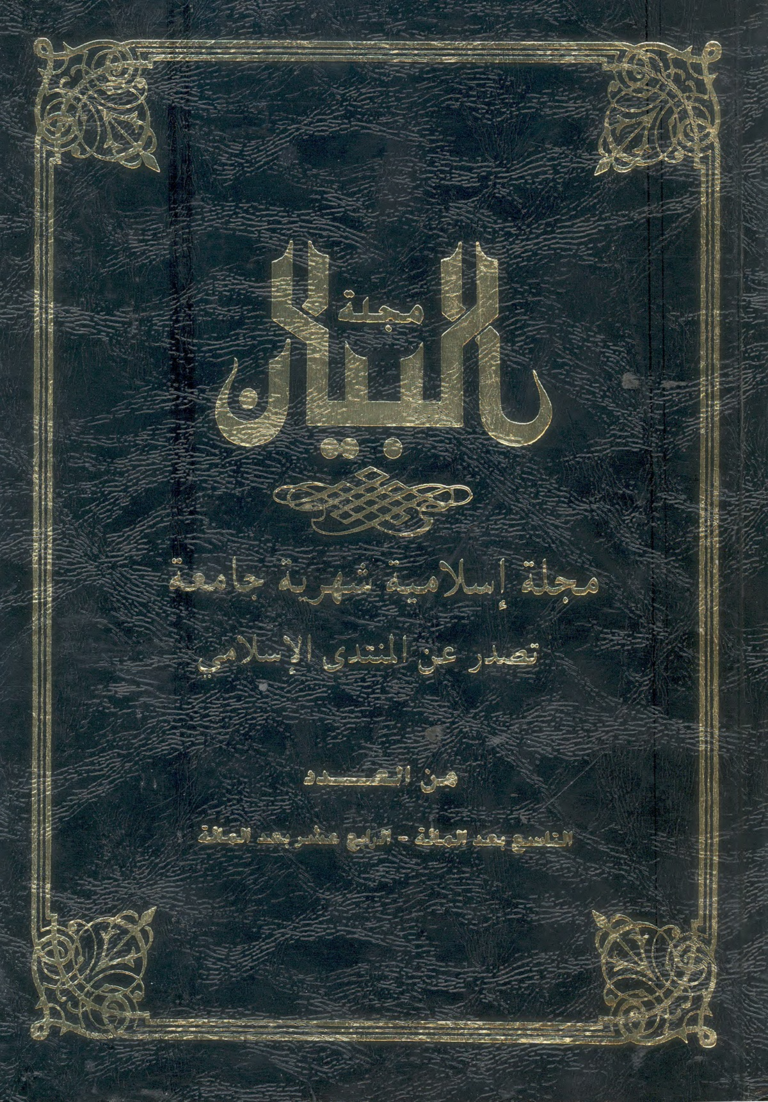

مجلة
البيان
مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي
من العدد
التاسع بعد المائة - الرابع عشر بعد المائة

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

منذ أن ظهر ما يسمى بالنظام العالمي الجديد والمسلمون يكتوون بنيرانه دون غيرهم، فالمواقف الجارحة، والقرارات الصارمة، والعدوان المبيّت، والحصار، والمقاطعة.. لم نسمع بأنها طبقت بحق غيرهم، مع وجود الباعث القوي من ممارسات قمعية واعتداءات سافرة.

ولم نر يومًا قيام هيئة الأمم ومجلس أمنها (المزعوم) بتطبيق قراراته الحازمة والحاسمة ضد دول غير إسلامية (إلا تحلة القسم).

نعم قد يحكم بعض بلاد المسلمين طواغيت وجبابرة يسومون شعوبهم سوء العذاب، وقد يرتكبون من الموبقات ما الله به عليم.. ولكن: ما ذنب الشعوب التي تحاصَر وتجوَّع وتُهَدَّد بهدم بنيتها الأساسية بدعاوى تافهة واتهامات معلبة لم تعد تنطلي على أحد.

العجيب: أن هيئة الأمم في مواقفها من السودان صارت مثارًا للسخرية من كل متابع، فاتهامها بالإرهاب وتصديره وإعداد معسكرات لمن يسمون بالمتطرفين.. أصبح دعايات ممجوجة؛ فليس هناك أكثر إرهابًا من الصهاينة والصرب، وليس هناك تصدير للإرهاب مثل ما يحصل من دول لم تعد مجهولة كبعض الدول المحيطة بالسودان التي جعلت من حدودها مجالاً لتدريب المعارضين والتدخل في شؤونه الداخلية، بل إن من العاملين تحت لواء الأمم المتحدة وبعض الدول الغربية من يتدخل في السودان ويجتاح أراضيه ليل نهار.

فشيئًا من الموضوعية، وشيئًا من الصدق، ولتطبق العقوبات على كل المجرمين، بما فيهم (يهودْ) الذين يعربدون في فلسطين وجنوب لبنان بدون حسيب ولا رقيب. ومرحى للمعارضة السودانية (الشريفة) التي صارت تحت قيادة (الصليبي جرنج)، وعلى الشعب السوداني الأبي أن يعرف من هو حقًا أولى بالنصرة، ونحن لانزكي السودان، بقدرماندعوه للمزيد من الأسلمة الحقيقية. **لكننا نحذر من الظلم والسكوت عليه.**

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـر : القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤ /٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمـن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥.

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ - ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065

الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ٥ر١ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

رمضان فرصة للتغيير

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد :

فالأيام تمر مر السحاب، وتمضي السنون سراعًا، وجلنا في غمرة الحياة ساهون، وقل من يتذكر أو يتدبر واقعنا ومصيرنا مع أننا نقرأ قول الله (تعالى) : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا** ﴾ [الفرقان: ٦٢] .

والمسلم في عمره المحدود وأيامه القصيرة في الحياة قد عوضه الله (تعالى) بمواسم الخير، وأعطاه من شرف الزمان والمكان ما يستطيع به أن يعوض أي تقصير في حياته إذا وفق لاستغلالها والعمل فيها، ومن تلك المواسم: شهر رمضان المبارك، يقول الله (تعالى) : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٣]، «إنه نداء رباني حبيب لعباده المؤمنين يذكرهم بحقيقتهم الأصيلة، ثم يقرر بعد ذلك النداء: أن الصوم فريضة قديمة على المؤمنين بالله في كل دين، وأن الغاية الأولى هي إعداد القلوب للتقوى والخشية من الله، هكذا تبرز الغاية الكبرى من الصوم.. والتقوى هي التي توقظ القلوب لتؤدي هذه الفريضة طاعةً لله وإيثارًا لرضاه.



والمخاطبون بهذا القرآن من الرعيل الأول ومن تبعهم بإحسان يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، وهذا الصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها» (*) .

ولهذا الشهر الكريم من الخصائص التي ميزه الله بها دون غيره من الشهور ما يساعد على أن يكون فرصة لزيادة معدلات التغيير والتصحيح في حياة كل فرد، بل في حياة الأمة جمعاء، يقول الرسول ﷺ : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وسلسلت الشياطين» [أخرجه الترمذي]، وفي رواية أخرى: «إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وفتحت أبواب الجنة، فلم يغلق منها باب، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وينادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك في كل ليلة» .

هذه الفرصة العظيمة سانحة في هذا الشهر المبارك حيث تصفو النفوس، وترق القلوب، فيؤوب العباد إلى ربهم ويقومون بين يديه .

وليعلم كل منا أنه يساهم بقسط وافر في تردي الحال وتأخر النصر إذا لم ينتهز فرصة رمضان لزيادة رصيده من الصالحات، وتصفية ما عليه من الآثام، حيث هو لبنة في بناء الأمة التي وعد الله بتغيير واقعها إلى أحسن وحالها إلى أفضل إن هم غيروا ما بأنفسهم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ....** ﴾ [الرعد: ١١] .

ما أحوجنا معشر المسلمين كافة إلى وقفة محاسبة، كل منا مع نفسه في هذه الأيام الفاضلة، نراجع أحوالنا لا سيما من أسرف وفرط في جنب الله ومن قصّر في حق أهله أو حق من ولاه الله رعايته، ومن زلت به القدم وفرط في حقوق إخوانه المسلمين فلم يسلموا من أذاه.



إنها فرصة لأن يتساءل فيها كل منا مع نفسه: حتى متى يبقى ضالاً عن صراط الله المستقيم، وهو يعلم أن الطريق الصحيح هو ما دعا إليه البشير النذير ﷺ وأن خلافه ونقيضه هو الضلال المبين؟، لماذا أكون ﴿ **كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا** ﴾ [النحل: ٩٢]؟!.



إن الاستمرار على الحق والعض عليه بالنواجذ، والعودة إلى رحاب الله، وترك ما ألفته النفس من لهو وهوى قديكون الفكاك منه صعبًا كما قال الشاعر:

النفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

لكنْ لا بد من إرادة قوية واستشعار لواجب التغيير، وبخاصة إذا آمنا إيمانًا جازمًا أننا معرضون للخطر وسوء الخاتمة إن لم يتداركنا الله برحمته، فما أحوجنا إلى الصبر والمصابرة حتى نلقى الله وهو عنا راضٍ.

قال رسول الله ﷺ : «إن من ورائكم أيامًا الصابر فيهن كالقابض على الجمر، للعامل فيها أجر خمسين، قالوا: يا رسول الله خمسين منهم أو خمسين منا؟ قال خمسين منكم» [رواه أبو داود].

إننا معشر المسلمين حكامًا ومحكومين يجب أن نصطلح مع الله، وهذا الشهر الكريم فرصة وأي فرصة.

فمن الحاكمين بأمرهم اليوم من يحارب الله ورسوله جهارًا نهارًا ، فأنّى له أن يوفق وأنّى له أن يمكّن، وأنّى له أن يختم له بخير، فإن كانوا مسلمين حقًّا ؛ فليعلنوا حقيقة إسلامهم، وليحكّموا شريعة الله، وليوطدوا العزم على السير بهدي الإسلام، وليغيروا وفق منهاجه، فليس الأمر مجرد دعوى.

الدعاوى إذا لم يقم عليـ ـها دليل فأصحابها أدعياء

وهنا أيضًا دعوة لكل جماعة أو فئة تنتمي إلى الإسلام وتدعو إلى ذلك أن تحقق ولاءها لله (تعالى) وأن تجرد متابعتها للرسول ﷺ، فكم رأينا في الواقع من يزعمون أنهم من الداعين إلى الإسلام، بينما هم في العقيدة منحرفون، وعن السنة زائغون، وعن آداب وأخلاق الإسلام متخلون.

وقصارى ما عندهم: الكلام والخصام والحزبية المقيتة واللدد في





الخصومة، فما أحوج المنتمين إلى سلك الدعوة إلى الله لتمثل الإسلام في منطلقاتهم وتعاملاتهم والولاء للمسلمين والبراء من أعداء الدين .

فهل يكون هذا الشهر فرصة للعودة إلى الله وسلوك صراط الله المستقيم؟! عسى ولعل.

وأخيراً : ندعو كل مفكر وكاتب مسلم ـ ممن اتخذ الكتابة مهنة ومصدر رزق ـ ألا يزل به القلم ويتبنى الأطاريح المنحرفة والآراء الفجة فيما يزعمونه علاجًا للمشكلات، لأننا قَلَّ أن نجد من هؤلاء الكتاب من يسلك السبيل السوي فيما يسود به الصفحات؛ لكثرة ما يقولون بلا علم، ولجُل ما ينقدون بلا فهم؛ فضلاً عن هجومهم المتوالي على الدعاة والطعن في نواياهم واتهامهم بما هم منه براء .

فهؤلاء إن كانوا غير مسلمين فليس بعد الكفر ذنب؛ وإن كانوا مسلمين فعليهم أن يتوبوا إلى الله؛ وأن يستشعروا الأمانة الملقاة على عواتقهم؛ وعليهم ألا يتسببوا في أذى إخوانهم والإساءة لهم والتحريض ضدهم بلا دليل؛ وعند الله تجتمع الخصوم.

فلعل في هذا الشهر المبارك ما يوضح الرؤية الشاملة في الموقف من الإسلام ودعاته؛ وألا يكونوا أذنابًا لأعداء الله في الهجوم على الإسلام والتخويف منه بمناسبة وغير مناسبة.



ولعل في هذه الأيام الفاضلة ما يعين على تجاوز الأخطاء وتناسي الإحن، والعودة إلى الحق وعدم التمادي في الباطل، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟.

والله أسأل أن يتقبل منا صيامنا وقيامنا، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسلم على البشير النذير وعلى آله وصحبه وسلم..



* في ظلال القرآن، م١، ص ١٦٨، بتصرف.

ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (*)

بقلم:
د . عبد الكريم بكار



في هذه الآية الكريمة إخبار عن قاعدة من قواعد الخلق، وناموس من نواميس الوجود؛ وهي في الوقت نفسه: دليل على أن القرآن من عند اللطيف الخبير الذي أحاط بكل شيء علماً.

إن المعرفة والتقدم العلمي الذى كان متوفراً في زمان النبي ﷺ لايمكّن على أي نحو من الكشف عن قاعدة (الزوجية) في الوجود، بل إن ما كان في حوزة الناس آنذاك من استقراء واطلاع لم يكن كافيًا للكشف عن ظاهرة (الزوجية) في (الأحياء) فضلاً عن ميادين الوجود المختلفة، وإن الكشوفات الكونية المتسارعة؛ تميط اللثام في كل يوم عن أشكال من التزاوج والاقتران والارتباط في ميادين الحياة كافة، وعلى مستويات مختلفة، ابتداءً بالذرة ، وانتهاءً بالمجرة؛ مما يُضيف شواهد جديدة على صدق محمد ﷺ .

ولنا مع هذه الآيات وقفات عدة، نوضحها في الحروف الصغيرة الآتية:

١ ـ إن فَطْر الله (جل وعلا) للكون على المزاوجة دليل إضافي على المغايرة بين المخلوق والخالق المتفرد في ذاته وصفاته وأفعاله؛ حيث إن ما يترسخ في الخبرة البشرية على الدوام من أن الخلق واحد، ويخضع لقوانين واحدة، وتحكم حركتَه ونموه وانهياره قواعدُ

(*) الآية : ٤٩ من سورة الذاريات.

واحدة .. إن كل ذلك يدل على توحد الخالق (جل ثناؤه) الذي أوجد كل ذلك التنظيم الدقيق المعجز.

وفي ختم الآية بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ إشارة واضحة إلى هذا المعنى، حيث يدرك الناس تفرد الخالق وأَحَديته من خلال ما يشاهدون من ظواهر تزاوج الأشياء وتركيبها وارتباطاتها وتوازناتها على نحو يستحيل معه العبث والارتجال والمصادفة.

وكأن في الآية بعد هذا وذاك إيحاءً إلى أهمية استثمار المعرفة بسنن الله في الخلق في غرس الإيمان وتقويته، والارتقاء في إدراك واجبات العبودية وآدابها.

٢ ـ إن ظاهرة الزوجية ليست دليلاً على وحدانية الخالق (جل وعلا) فحسب، وإنما هي دليل على نقص المخلوقات وافتقارها لغيرها، حيث لا تتحدد معاني الأشياء وقيمها الحقيقية من خلال ذواتها، وإنما من خلال كونها أجزاءً في تركيبات أعم، وفي هذا الصدد فإنه يمكن القول: إنه عند تدقيق النظر لا يخلو شيء عن تركيب!.

لولا معرفة الناس بالقبح لما كان للجمال أي معنى أو قيمة إضافية؛ ولذا قالوا: إن للشوهاء فضلاً على الحسناء؛ إذ لولاها لما عُرف فضل الحسناء.

ما فضل التنظيم لولا الفوضى، والذكاء لولا الغباء، والغنى لولا الفقر، والفضيلة لولا الرذيلة، والنهار لولا الليل، والحلو لولا المر... أشياء لا حصر لها، ولا تستمد قوامها من ذاتها، وإنما من خلال غيرها!!.

وهكذا: فالخلق، وما يَتَغَنَّوْنَ به من خصائص فقراء فقراً مزدوجاً، فقراً إلى الخالق الموجد، وفقراً إلى مخلوق آخر، يجعل له معنى!.

ومن وجه آخر: فإن طبيعة العلاقة الزوجية تميل إلى المرونة، وذات أوساط متدرجة؛ فالغنى درجات، وكذلك الفقر، وقل نحو ذلك في الذكاء والغباء، والجمال والقبح، والاستقامة والانحراف... حيث تلامس أدنى درجات الأول أعلى درجات الثاني؛ مما يشكِّل مناطق برزخية متأرجحة، هذه الوظيفة للعلاقات الزوجية تكسر من حدة تفرد كل طرف، وتجعل الخصائص الفائقة نسبية، فتتطامن، وجوانب النقص اعتبارية، فتشمخ، وكأنها بذلك تتهيأ للتعاون والاندماج عوضاً عن التنافس والصدام.

في إشراقة آية

وكأن ذلك يوحي إلينا بإيجاد الأرضيات المشتركة، والعدول عن النفخ في الخصوصيات الاجتهادية الذي يحولها إلى حواجز منيعة وقواطع حقيقية بين أبناء التيار الواحد، والأمة الواحدة!، وهكذا: فإذا كنا عاجزين عن أن نستشف من النصوص ما يساعدنا على صياغة علاقات ومواقف جيدة ومنتجة .. فإن علينا أن نتعلم من إيحاءات السنن الكونية ما نُصلح به حياتنا الاجتماعية، وعلاقاتنا الأخوية؛ حيث إننا في نهاية الأمر جزء من الظاهرة الكونية الكبرى.

٣ ـ الإخصاب أوضح نتائج التزاوج بين الأشياء، وهو أوضح ما يكون في التقاء الأزواج من الإنسان والحيوان؛ فمن خلال لقاء الزوجين يتم حفظ النوع وإعتاؤه بنسل على درجة كبيرة من التنوع والتعدد.

ولا يقلُّ الإخصاب في الأشياء المعنوية والمادية عنه في الكائنات الحية؛ فمن عناصر الأرض التي لا تزيد عن المئة إلا قليلاً يوجد بين أيدي الناس اليوم ما يزيد على مليونين من المصنوعات!، وعلى الرغم من صرامة القوانين والخصائص الكيميائية يوجد في الأسواق ما يزيد على ثمانين ألف نوع من المركبات الكيميائية، كما أنه يطرح منها في الأسواق كلَّ عام أكثر من ألفي نوع جديد!.

هذه الخصوبة الهائلة هي نتيجة مباشرة لألوان التزاوج التي تتم بين العناصر المختلفة.

ومما لا ينبغي أن يعزب عن البال أن اللقاء السعيد بين العناصر المختلفة يجب أن يتسم بالمزيد من العناية والدقة والتجربة، إذا ما أردنا إنجاباً وخصوبة على مستوى عالٍ من الجودة؛ ولهذا السبب أخذ التقدم في علوم الكيمياء يعتمد على الرياضيات أكثر فأكثر، وقد كان من قبل يعتمد على التجربة، حيث تمنح الرياضيات مستويات من الدقة، لا توفرها التجربة.

وقد أصبح من مقاييس التقدم العلمي الشائعة: قدرة دولة من الدول على إنتاج (المواد الجديدة) ذات المواصفات الفائقة، والمواد الجديدة لا تتخلق إلا من خلال التزاوج بين عناصر لم يسبق لقاؤها على النحو الجديد، وبالنسب الجديدة.

اللقاء بين الأفكار والثقافات لا يقل خصوبة عن اللقاء بين العناصر

الطبيعية، وهو الآخر يحتاج حاجة ماسّة إلى وعي وفطنة وحذق، حتى يكون منجباً، والقاعدة في هذا: أنه إذا التقت فكرتان ضمن شروط إيجابية، فإنه ينتج عن ذلك اللقاء فكرة ثالثة، هي أرقى منهما جميعاً؛ حيث تؤدي المزاوجة بينهما إلى نضج وتبلور كل منهما، وحيث يتخلص كل منهما من أجزائه المعطوبة من خلال المقارنة ونمو الوعي النقدي، لكن ذلك لا يتم إلا إذا اتّسم حاملو الفكرتين بالكثير من الموضوعية والشفافية والهدوء والمرونة الذهنية والرؤية المركبة، ونحن نلاحظ في هذا السياق أن أكثر من يذهب من إخواننا للدراسة في الغرب ينقسمون إلى فريقين:

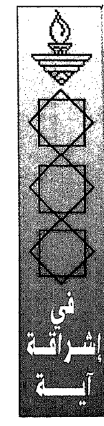
ـ فريق يُفتَتَن بما يراه هناك من تنظيم وتقدم صناعي ورعاية لحقوق الإنسان، فيشغله ذلك عن إدراك بذور الانهيار في تلك المجتمعات، وجوانب التخلف فيها، ويؤدي ذلك به إلى الزهادة فيما لديه، والاستحياء من طرحه على مسامع القوم.

ـ أما الفريق الثاني: فإنه ـ بداعٍ من الكبر أو الخوف ـ ينغلق على نفسه، ويتتبع بجدية نادرة كل الجوانب السلبية لديهم، لكنه يعجز عن تلمس أسرار النهوض والخيوط الدقيقة التي تمد التقدم المادي الهائل الذي أحرزوه بالحيوية والاستمرار.

ويعود هذا الصنف في العادة بنُتَف من المعلومات والمقولات والخبرات التي لا تتكافأ أبداً مع الجهد والمال اللذين بُذلا خلال سنوات عدة، ولا يلامس هذا الصنف أبداً آفاق المنهجية الفكرية والتنظيمية والأخلاقية والثقافية التي تقف خلف «الحضارة الغربية»، فكأنه ما سافر ولا اطلع ولا تعلم!.

إن احتكاك الثقافات والأفكار والمناهج المختلفة قد يكون عامل انحسار وهدم وتمزيق، وقد يكون عامل إثراء وتصحيح وتطوير، والمهم في ذلك أبداً هو شروط ذلك الاحتكاك والخلفيات، والأسس التي يقوم عليها.. إن العزلة والانغلاق لا يكونان أبداً خياراً جيداً إلا إذا كانت شروط التزاوج سيئة وغير متكافئة، وإذا ما استطعنا توفير الشروط الجيدة لذلك فإن في تلاقح الأفكار والثقافات من عوامل التجديد والنفع والغنى ما لا يمكن التعبير عنه!.

٤ ـ إن قاعدة اللقاء في ظاهرة الزوجية الكونية هي التخالف، وليست



التوافق، فاللقاء الخصب المنجب يجب أن يتم بين متخالفين ومتباينين، ومن ثم: فإن العلاقة بين الرجل والمرأة تقوم على التخالف، على المستويات العضوية والعقلية والنفسية، وهذا التخالف هو الشرط الأساس لوجود ظاهرة «التكامل» والتعاون، حيث يظهر لكل واحد من الزوجين: أن كمال البنية المشتركة بينهما ـ وهو الأسرة ـ لا يأتي من أيٍّ منهما على انفراد، وإنما من خلال اللقاء الإيجابي بينهما، وتكميل أحدهما للآخر.

ليس إدراك التكامل في ظاهرة الزوجية في الخلق متيسرَ الإدراك واللمس في كل وقت؛ إذ كثيراً ما تتغلب علينا النظرة الأحادية، فنتعامل مع الأشياء على أنها عناصر مفردة، ونغفل عن كونها عناصر في تراكيب أعم!.

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

أ ـ إن تضخم الجانب العاطفي لدى المرأة على النحو المعروف يُنظر إليه عادة على أنه الحلقة الأضعف في تركيبها النفسي، كما أننا ننظر النظرة نفسها إلى ما نحسّه من تضخم «عقلانية» الرجل وبرودة عواطفه.

فإذا نظرنا إلى كل منهما على أنه طرف في تركيب واحد ـ هو الأسرة ـ أدركنا أن ما خلناه نقصاً هو في الحقيقة مظهر كمال، وعامل توازن وانسجام، إذ إن طبيعة وظيفة المرأة في رعاية الأطفال ذوي الشفافية والرهافة المطلقة.. تتطلب مشاعر وعواطف كالتي عند المرأة، وطبيعة وظيفة الرجل في قيادة الأسرة، ومعاناة طلب الرزق، وخوض المواقف الصعبة .. تتطلب من قوة الشكيمة وتماسك الشخصية كالذي نجده عند الرجل.

إن دعاة تحرير المرأة لم ينظروا هذه النظرة ، فدفعوها إلى المطالبة بالمساواة مع الرجل، وأدى ذلك إلى الإخلال بالتوازن الأسري، وكثرت حوادث الطلاق، وكُلِّفت المرأة بالقيام بأعمال لا يتحملها تكوينها ولا جملتها العصبيَّة، والأخطر من ذلك: انتشار مظاهر الشذوذ واستغناء النساء بالنساء!!.

ب ـ إننا كثيراً ما نصوِّر «القلق» على أنه مرض نفسي، وهو كذلك عندما يتجاوز حدوداً معيَّنة، لكن حين نتذكر أن الطمأنينة كثيراً ما تكون زائفة ومبنية على معطيات موهومة، وهي حينئذ أخطر من القلق وأشد فتكاً بوجود الإنسان، ولذا: فإن

بعض صور القلق ـ ولا سيما «القلق المعرفي» ـ تكون ضرورية لتوازن الشخصية، وللوعي بالمصير وتدارك الأخطار قبل فوات الأوان.

جـ ـ إذا نظرنا نظرة أحادية إلى ثبات المبادئ والتشبث الشديد بها، فسوف نراه جموداً وعائقاً في سبيل التطور، وربما دفع ذلك ببعض الناس إلى التفريط بها أو إلى الثورة عليها.

وإذا نظرنا إلى «التطور» على أنه مجموعة من التغيرات المستقلة، فسوف نراه «تفلتاً» وطيشاً وخيانة للأصالة...

ولكن حين نسلك كلاً من الثبات والتطور في ظاهرة «الزوجية» الكونية، فسوف يتبين لنا أن ثبات الأصول والمبادئ والنواميس ليس جموداً ولا عائقاً للتغير المطلوب، وإنما هو سمة أساسية لطبيعتها؛ إذ لا يستطيع المبدأ أداء وظيفته إلا من خلال ثبوته واستمراره، كما أننا سنجد أن جمود المبادئ شرط أساس لجعل التطور ذا معنى، ولإبقائه تحت السيطرة، وفي الاتجاه الصحيح.

والتطور في الأدوات والأساليب والخطط والأشكال ليس تفلتاً، بل إنه ضروري للمحافظة على المبدأ والجوهر والهدف؛ إذ إن صروف الأيام والليالي تعطب بعض جوانب المناهج والخطط والأشياء، وليس هناك حلٌّ لذلك سوى التخلي عن الأجزاء المعطوبة، وإحلال غيرها محلها.

وإن تحويل الأشياء إلى بنًى ثبوتية في سياق وسط مائج بالتغير والتطور لا يعني سوى التضحية بالأصل والفرع، والجوهر والمظهر، والمبدأ والوسيلة... وهكذا: فما يُظن نقصاً في بعض الأشياء يتحول إلى ضرب من ضروب الكمال إذا ما نظرنا إليه على أنه جزء من كل، وعنصر في تركيب أشمل.

٥ ـ خَلَق الله (جل ثناؤه) الدنيا داراً للابتلاء، فوفَّر فيها كلَّ شروط الابتلاء، ومن ثم: فإنه حيث يكون أمام المرء مجال للاختيار، يكون في الحقيقة منغمساً في حالة ابتلاء، سواء أأخذ بأحد الخيارات، أو ظل عاطلاً عن اتخاذ قرار.

كثيراً ما تتيح ظاهرة (الزوجية) مجالات للاختيار والابتلاء، وكثيراً ما يجد الإنسان نفسه مأموراً بالتوازن الدقيق في التعامل مع الظواهر الزوجية؛ لأن الإخلال به يعني خروجاً عن المنهج الرباني، وقد يعني ظلماً

للنفس أو تفويت مصلحة كبرى.

وحتى يكون الابتلاء تامًّا، فإن الله (جل وعلا) قد فطر الإنسان على قابلية قوية للانجذاب نحو أحد المتقابلات وإهمال غيره؛ مما يجعلني أذهب إلى أن الإخلال بالتوازن المطلوب في هذه المسألة، يكاد يكون أصلاً!.

ومن هنا: فإن الموقف الصحيح كثيراً ما يتطلب نوعًا عاليًا من اليقظة الفكرية والشعورية، وإلا: فما أسهل الانحراف إلى طرف على حساب طرف آخر! ..

عند تقليب النظر في واقعنا التاريخي، وواقعنا المعيش، نجد أن عدم إقامة التوازن بين الأشياء المتزاوجة كان سببًا لانحرافات كثيرة، إذ كثيراً ما نرى جماعة تهتم بالفكر والتنظير ورسم الخطط والتحليل السياسي، لكنها تهمل جانب الروح والأخلاق، وجانب السلوك؛ مما جعلها فقيرة في جنود التنفيذ وأرباب الهمم العالية، وجعلها بالتالي قليلة العطاء والتضحية! .. ونجد في المقابل: جماعات تركز على مسائل صفاء القلوب وحسن السلوك، لكنك لا تجد عندها أدنى وعي بأدب الوقت ومتطلبات العصر، وقد يكون عدد أتباعها عشرات الألوف، ثم إنك لا تعثر فيهم على مفكر واحد مرموق!، وكثيراً ما يقودها ذلك إلى أن تكون العوبة في يد القوى المتنفذة، مما يدفعها إلى حتفها ويجعل ضررها لا يقل عن نفعها!.

في الماضي البعيد قامت مزاوجة في بنية التربية والتعليم بين علوم الشريعة والعلوم الحياتية والكونية، وقد أنجب ذلك الاقتران حضارة إسلامية زاهية باهرة، ثم أخذت علوم الحياة تنسحب من المناهج والحلق الدراسية شيئًا فشيئًا، حتى جهلت الأمة أبجديات المعرفة في الطبيعة والكون والصناعة، ووصلت إلى الحضيض، واليوم ترتكب الأمة الخطأ نفسه على نحو معكوس، حيث تَرَاجع نصيب العلوم الشرعية في المناهج الدراسية في أكثر البلدان الإسلامية، كما تراجعت المفردات القيمية والأخلاقية في لغة التربية والإعلام، وكان حصاد ذلك: أعداداً كبيرة من البشر تحيط بالكثير من المعارف المختلفة، لكنها تجهل بدهيات وأساسيات في عباداتها ومعاملاتها!، وصار لدينا اليوم كمٌّ هائل من المفردات التي تحث على النشاط والفاعلية والنجاح والتنظيم وحيازة الثروة وتحقيق الذات.. على حين تنوسيت

المفردات التي تغرس أخلاق الصلاح والاستقامة والبعد عن الحرام ، والإقبال على الآخرة.. ولا بد أن الناس بدؤوا يشعرون بعواقب هذا الخلل من خلال انتشار اللصوصية ـ وهي أصناف ـ، والرشوة، والشره المادي، والأنانية، والانغماس في الشهوات، وقطع الأرحام، ونسيان الله والدار الآخرة.

٦ ـ إذا كانت (الزوجية) تمثل قاعدة مهمة من قواعد خلق الوجود، فإن ذلك يعني أن ننسجم نحن مع تلك القاعدة، ونحاول أن نمتلك رؤية مركَّبة للأشياء، ما دام ليس هناك شيء لا ينتمي إلى مركبٍ ما على وجه من الوجوه.

وامتلاك هذه الرؤية سيكون ضروريًّا للمحافظة على توازننا العقلي والنفسي، وضروريًّا لوضع الأمور في نصابها الصحيح، وعلى سبيل المثال: فإنه مهما بلغ صلاح الأفراد والجماعات، فلا ينبغي أن نفسر ما نراه لهم من تصرفات على أساس المبادئ وحدها، فهناك مبادئ، وهناك مصالح أيضًا، وليس في هذه الأرض من يستطيع النفض عن مصالحه على نحو كامل.

وفي مقابل هذا: فإن السواد الأعظم يحاولون تحقيق مصالحهم في إطار المبادئ التي يؤمنون بها، ما وجدوا أن ذلك ممكن، وبما أن المبادئ والمصالح طرفان في تركيب زوجي واحد، فإن احتمال جور الإنسان على أحدهما لحساب الآخر، يظل أمرًا واردًا، بل يكون في كثير من الأحيان أمرًا لا مفر منه، ولست أقصد من وراء هذا شيئًا سوى الاستبصار في فهم سلوك الناس، وفهم خلفياته، ومحاولة تفسيره على أنه يتم وفق موازنات، وفي سياق ضرورات وطموحات، وتحت ضغوط وأحيانًا تهديدات، وهذا مهم في الاقتداء والإعذار وأمور أخرى..

الرؤية المركبة تجعلنا نبصر القصور الذاتي إلى جانب التآمر الخارجي، وإعطاء كلٍّ منهما وزنه وتأثيره الحقيقي، كما أنها تجعلنا نشعر بنعمة الرخاء وفيوض لنعم إلى جانب الإحساس بالحساب والسؤال عنها يوم القيامة.

بالرؤية المركبة ندرك الصبر وعواقبه، والظلم ومآلاته، وبذلك يتم لنا توسيع مجال الرؤية؛ لنقف على طرفي الموازنة وعنصري المزاوجة، وبذلك نجسِّر العلاقة بين الأطراف المتنافسة والمتحالفة، ونحاول أن نرى الأرضية المشتركة التي تجمع بينها .

النفاق والمنافقون

تنبيهات وأخطار



د.عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف



«إن بلية الإسلام بالمنافقين شديدة جداً؛ لأنهم منسوبون إليه، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب يظن الجاهل أنه علم وصلاح، وهو غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟، وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه؟، وكم من عَلَم له قد طمسوه؟، وكم ضربوا بمعاول الشُّبه في أصول غراسه ليقلعوها، فلا يزال الإسلام وأهله منهم في محنة وبلية، ولا يزال يطرقه من شبههم سريّة بعد سريّة، يزعمون أنهم بذلك مصلحون، ﴿**أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ١٢]».

هذا بعض ما سطّره ابن القيم (رحمه الله) في التحذير من النفاق والمنافقين[1]، الذي هو موضوع هذه المقالة، وسيكون الحديث عن خطر النفاق والمنافقين من خلال ما يلي:

١ ـ خطر المنافقين داهم:

فالمنافقون أعظم خطراً وضرراً من الكفار المجاهرين، كما أن المنافقين أغلظ كفراً وأشد عذاباً.

قال ابن القيم عنهم: «طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل،

١) انظر: مدارج السالكين، ١/٣٤٧.

وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال (تعالى): ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، فالكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار؛ لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبليةُ المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين، ولهذا قال (تعالى): ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]، ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر، والمراد: إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدواً من الكفار المجاهرين، فإن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً، ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل، صباحاً ومساءً، يدلون العدو على عوراتهم، ويتربصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم... وإنما كانت هذه الطبقة في الدرك الأسفل من النار لغلظ كفرهم، فإنهم خالطوا المسلمين وعاشروهم، ووصل إليهم من معرفة الإيمان ما لم يصل إلى المنابذين بالعداوة، فإذا كفروا مع هذه المعرفة والعلم كانوا أغلظ كفراً، وأخبث قلوباً، وأشد عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين من البعداء عنهم، قال (تعالى) عن المنافقين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]» [١].

٢ ـ تحذير القرآن منهم:

حذّر القرآن الكريم من النفاق وصفات المنافقين في آيات كثيرة، فكان الحديث عن النفاق والمنافقين في القرآن في سبع عشرة سورة مدنية من ثلاثين سورة، واستغرق ذلك قرابة ثلاثمئة وأربعين آية، حتى قال ابن القيم (رحمه الله): «كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم» [٢].

٣ ـ تحذير الرسول ﷺ من النفاق:

خاف النبي ﷺ على أمته من النفاق والمنافقين، وحذّر وأنذر من سلوك

(١) طريق الهجرتين، ص ٤٠٢ ـ ٤٠٤، باختصار يسير.
(٢) مدارج السالكين، ١/٣٤٧.

المنافقين، وحذر من الوقوع في شُعَب النفاق في أحاديث كثيرة.

فعن عمران بن حصين (رضي الله عنهما) مرفوعًا: «إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي: منافق عليم اللسان» [1].

قال المناوي في التفسير [١ / ٥٢]: «كل منافق عليم اللسان: أي: عالم للعلم، منطلق اللسان به، لكنه جاهل القلب والعمل، فاسد العقيدة، مغر للناس بشقاشقه وتفحصه وتقعره في الكلام».

وقال المناوي ـ أيضًا ـ [١ / ٣٠٩]: «أي: كثير علم اللسان، جاهل القلب والعمل، اتخذ العلم حرفة يتأكل بها، وأبهة يتعزز بها، يدعو الناس إلى الله، ويفرّ هو منه».



٤ ـ خوف السلف الصالح على أنفسهم من النفاق:

كان سلفنا الصالح (رحمهم الله) ـ مع عمق إيمانهم وكمال علمهم ـ يخافون النفاق أيما خوف، فقد أخرج البخاري ـ تعليقًا ـ أن ابن أبي مليكة (رحمه الله) قال: «أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه».

قال الحافظ ابن حجر [الفتح١ / ١١١]: «والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة، من أجلِّهم: عائشة، وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة، وأبو هريرة، ... فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجلّ من هؤلاء، كعليّ، وسعد بن أبي وقاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال، ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك، فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم..».

وكان أبو الدرداء (رضي الله عنه) إذا فرغ من التشهد ـ في الصلاة ـ يتعوذ بالله من النفاق، ويكثر التعوذ منه، فقال له أحدهم: ومالك ـ يا أبا الدرداء ـ أنت

١) أخرجه الفريابي في (صفة المنافق)، ص ٢٣، والطبراني في الكبير، ١٨ / ٢٣٧، والبيهقي في الشُعَب، ٢ / ١٦١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، (١ / ١٨٧): «رجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الجامع الصغير.

والنفاق؟، فقال دعنا عنك، فوالله إن الرجل ليقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيُخلع منه [1].

وكان الحسن البصري (رحمه الله) يقول: «ما خافه [النفاق] إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق» [أخرجه البخاري تعليقاً] [2].

وسئل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ قال: «ومن يأمن على نفسه النفاق»؟! [3].

يقول ابن القيم: «وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة، ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقيها على أنفسهم أن يكونوا منهم، فكان عمر يقول لحذيفة: ناشدتك الله، هل سماني رسول الله مع القوم؟ فيقول: لا، ولا أزكي بعدك أحداً[4]، يعني لا أفتح عليّ هذا الباب في تزكية الناس، وليس معناه أنه لم يَبرأ من النفاق غيرك» [5].

فتأمل رحمك الله ما عليه أولئك الأسلاف الأبرار من خوف شديد من النفاق ودواعيه، ثم انظر إلى حال الأكثرين منا في هذا الزمان، فمع ضعف الإيمان وغلبة الجهل تجد الأمن من النفاق والغفلة عنه!.. فالله المستعان.

٥ ـ المنافقون كثر:

ومما يوجب مزيد الخوف من النفاق والحذر من المنافقين: أنهم كثيرون، منتشرون في بقاع الأرض، كما قال الحسن البصري (رحمه الله): «لولا المنافقون لاستوحشتم في الطرقات» [6].

وقال ابن القيم: «كاد القرآن أن يكون كله في شأنهم، لكثرتهم على ظهر

---

١) أخرجه الفريابي في (صفة المنافق)، ص٦٩، وقال الذهبي في السير (٦ / ٣٨٢): إسناده صحيح.

٢) وأخرجه الخلال في السنة، ٥/٦٨.

٣) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢ /٤٩٣.

٤) كان عمر الفاروق (رضي الله عنه) يخاف من نفاق العمل لا نفاق الكفر، كما أن عمر يخاف هذا النفاق الأصغر على نفسه في الحال وليس عند الموت فحسب، انظر تفصيل ذلك في جامع العلوم، ٢/٤٩٢، وفتح الباري، ١ /٩٠.

٥) طريق الهجرتين، ص ٤٠٩.

٦) أخرجه ابن بطة في (الإبانة الكبرى)، ٢ /٦٩٨.

الأرض، وفي أحواف القبور، فلا خلت بقاع الأرض منهم لئلا يستوحش المؤمنون في الطرقات، وتتعطل بهم أسبابُ المعايش، وتخطفهم الوحوش والسباع في الفلوات، سمع حذيفة (رضي الله عنه) رجلاً يقول: اللهم أهلك المنافقين، فقال: يا ابن أخي، لو هلك المنافقون لاستوحشتم في طرقاتكم من قلة السالك»[1].

ولا يعني ذلك تعميم الحكم بالنفاق على الأكثرية والأغلبية، فإن النفاق شُعَب وأنواع، كما أن الكفر شعب وأنواع، والمعاصي بريد الكفر، فكذا من كان متهمًا بنفاق فهم على أنواع متعددة، كما وضحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «ولهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحداً، بل فيهم المنافق المحض، وفيهم مَن فيه إيمان ونفاق، وفيهم مَن إيمانه غالب وفيه شعبة من النفاق، ولما قوي الإيمان وظهر الإيمان وقوته عام تبوك: صاروا يعاتبون من النفاق على ما لم يكن يعاتبون عليه قبل ذلك ..»[2].

٦ـ سهولة الانخداع بهم:

فالمنافقون أصحاب تذبذب وتقلب، وأرباب خداع وتلبيس، فيتكلمون بمعسول الكلام، وفصيح الخطاب، ويظهرون للناس في هيئة حسنة، ومظهر جذاب، فربما انخدع لهم الفئام من المسلمين، فمالوا إليهم وأصغوا إلى قولهم وتدليسهم، قال (تعالى): ﴿**وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ**﴾ [التوبة: ٤٧]، وقال (سبحانه): ﴿**وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ**﴾ [المنافقون: ٤].

إن هذا التلون والتذبذب يجعل خطرهم كبيراً، وشرهم مستطيراً، حيث يخفون كفرهم وضلالهم، ويتظاهرون بالإيمان والاهتداء.

ولذا: خفي على كثير من المسلمين حال بعض الزنادقة (المنافقين) في القديم والحديث، وكما قال الذهبي (رحمه الله) في شأن الحلاج: «فهو صوفي الزي والظاهر، متستر بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن: فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل، كما كان جماعة في أيام النبي منتسبون إلى صحبته وإلى ملته،

١) مدارج السالكين، ١/٣٥٨.
٢) مجموع الفتاوي، ٧/٥٢٣.

وهم في الباطن من مردة المنافقين، قد لا يعرفهم النبي ولا يعلم بهم، قال (تعالى): ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ ﴾ [التوبة: ١٠١]، فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فبالأولى: أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده (عليه الصلاة والسلام) على العلماء من أمته»[1].

٧ ـ انتشار النفاق الأصغر في مجتمعاتنا:

ومما يؤكد خطر النفاق: أن الكثير من شعب النفاق الأصغر ـ الذي لا يُخرج عن الملة ـ قد عمت وطمت في مجتمعات المسلمين، كالكذب، وخلف الوعد، والرياء، والخيانة، والجبن، وترك الجهاد في سبيل الله (تعالى)، وعدم تحديث النفس بذلك.

ومع أن هذه الخصال من النفاق الأصغر، لكنها قد تؤول إلى النفاق الأكبر المخرج من الملة، وفي هذا يقول ابن رجب: «والنفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصي بريد الكفر، فكما يُخشى على من أصرّ على المعصية أن يُسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشى على من أصر على النفاق أن يسلب الإيمان، فيصير منافقًا خالصًا»[2].

بل استفحل الأمر، وعظم النفاق حتى صرنا نشاهد صوراً أو أنواعًا من النفاق الأكبر في بلاد المسلمين، ومن ذلك: الاستهزاء بدين الله (تعالى)، والفرح والسرور بانخفاض دين الإسلام وهزيمة المسلمين، وكذا العكس..، والإعراض التام عن حكم الله (تعالى)، ومظاهرة الكفار ضد المسلمين...

إن على الدعاة إلى الله أن يَحْذروا مكايد المنافقين ومسالكهم، فلا ينخدعوا بهم ، أو يتساهلوا معهم، وأن يعنى الدعاة بمعرفة النفاق وخطره وشعبه؛ مخافة أن يصيبهم، وأن يتعرفوا على مكايد المنافقين ومخططاتهم في الماضي والحاضر لكي لا يقعوا في شراكهم، وأن يجتهد المصلحون في تحقيق تزكية النفوس وتربية الأجيال على الإيمان الصحيح، والقيام بالعبادة ظاهراً وباطنًا ، فالمنافقون أرباب ظواهر لا بواطن، وسيدرك الصادقون في إيمانهم أولئك المنافقين من خلال لحن

١) سير أعلام النبلاء ، ١٤/ ٣٤٣.

٢) جامع العلوم ، ٢/ ٤٩٢.

القول، كما قال (سبحانه): ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [محمد: ٣٠].

قال شيخ الإسلام: «فمعرفة المنافقين في لحن القول ثابتة مُقْسَم عليها، لكن هذا يكون إذا تكلموا، وأما معرفتهم بالسيما فهو موقوف على مشيئة الله»[١].

وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان (رضي الله عنه): ما أسرّ أحد سريرة إلا أظهرها الله على وجهه وفلتات لسانه.



٨ ـ الرد على منكري النفاق:

وأشير إلى مسألة مهمة، وهي: أن النفاق موجود وواقع، خلافًا لمن أنكره من طوائف المرجئة، فقد زعم صنف من المرجئة أنه ليس في هذه الأمة نفاق[٢].

قيل للحسن البصري: إن قومًا يزعمون أن لا نفاق، ولا يخافون النفاق، فقال الحسن: والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحبّ إليّ من طلاع (ملء) الأرض ذهبًا[٣].

وقال سفيان الثوري: خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاثة،.. وذكر منها: نحن نقول: النفاق، وهم يقولون: لا نفاق[٤].

وحمل أولئك المرجئة حديث عبد الله بن عمرو: «أربع من كن فيه كان منافقًا...» على المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، حيث تلبسوا بهذه الخصال الأربع[٥].

وليس لهم أن يحتجوا بما أخرجه البخاري عن حذيفة (رضي الله عنه)، حيث قال: «إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان»؛ حيث قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): «والذي يظهر: أن حذيفة لم يرد نفي الوقوع، وإنما أراد نفي اتفاق الحكم؛ لأن النفاق إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، ووجود ذلك ممكن في كل عصر، وإنما اختلف الحكم؛ لأن النبي ﷺ كان

١) مجموع الفتاوى، ١٧/١١٨. ٢) انظر: (التنبيه والرد) للملطي، ص١٦٤.
٣) أخرجه الخلال في السنة (٥/٧٢)، والفريابي في صفة المنافق (٧٢,٨٥).
٤) أخرجه الفريابي في (صفة المنافق)، ص ٩٣.
٥) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٢/٤٨٠.

يتألفهم ويقبل ما أظهروه من الإسلام ولو ظهر منهم احتمال خلافه، وأما بعده: فمن أظهر شيئًا فإنه يؤخذ به ولا يترك لمصلحة التآلف لعدم الاحتياج إلى ذلك »[1].

وبالإضافة إلى ذلك: فقد نصّ حذيفة على وقوع النفاق بعد عهد النبوة في عدة أقوال، ومن ذلك قوله (رضي الله عنه): « المنافقون الذين فيكم شرٌّ من المنافقين الذين كانوا على عهد الرسول ﷺ، فقيل له: وكيف ذاك؟، فقال: إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم، وإن هؤلاء يعلنون »[2].

وجاء رجل من المرجئة لأيوب السختياني، فقال: إنما هو الكفر والإيمان، فقال أيوب: أرأيت قوله: ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٦]، أمؤمنون هم أم كفار؟ فسكت الرجل، فقال أيوب: اذهب فاقرأ القرآن، فكل آية في القرآن فيها ذكر النفاق فإني أخافها على نفسي![3].

ولعل هذا الأثر يكشف سبب إنكار أولئك المرجئة للنفاق، فهذا المرجئ يقول: إنما هو الكفر والإيمان، ومقصوده: أن الإيمان شيء واحد إذا ثبت بعضه ثبت جميعه، وإذا زال بعضه زال جميعه، فلا يجتمع ـ عندهم ـ في العبد إيمان وكفر أو نفاق أصغر، ولذا: احتج عليه أيوب بالآية الكريمة ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ.. ﴾ فهذا صنف جمعوا بين إيمان ومعاصٍ، وخلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فأمْرهم إلى الله (تعالى)، فليسوا من أهل الإيمان المطلق التام، كما أنهم ليسوا كفارًا مطلقًا.

وقد غلط المرجئة في ذلك، فليس الإيمان شيئًا أو شعبة واحدة، بل إن الإيمان شعب متعددة ـ كما في حديث شعب الإيمان ـ وكذلك الكفر والنفاق شعب متعددة.

ويدل على ذلك: ما رواه أبو هريرة مرفوعًا: « ثلاث من كن فيه فهو منافق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، فقال رجل: يا رسول الله، ذهبت

(١) فتح الباري، ١٣/ ٧٤.
(٢) أخرجه الفريابي في (صفة المنافق)، ص ٥٣.
(٣) أخرجه الفريابي في (صفة المنافق)، ص ٩٢.

اثنتان وبقيت واحدة؟ قال: فإن عليه شعبة من نفاق ما بقي منهن شيء»[1].

قال الذهبي: «وفيه دليل على أن النفاق يتبعض ويتشعب، كما أن الإيمان ذو شعب ويزيد وينقص..»[2].

وقال شيخ الإسلام: «وكل واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائم وشعب، كما دلت عليه دلائل الكتاب والسنة..»[3].

وأمر آخر، وهو: أن **مقالة الكرامية، وهم من طوائف المرجئة، بأن الإيمان: قول باللسان**، قد تكون سببًا في إنكارهم النفاق ونفيه، فالمنافق ـ عندهم ـ مؤمن، مع أن الله (تعالى) قد نفى الإيمان عن المنافقين بقوله (سبحانه): ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٨].

كما أن غلاة المرجئة ـ الجهمية ومن تبعهم ـ ينكرون الأعمال القلبية، فيخرجونها عن مسمى الإيمان، فالإيمان ـ عندهم ـ معرفة أو تصديق بلا عمل قلبي.

وهذا لا يعدّ إيمانًا صحيحًا ولا مقبولاً، فالتصديق بلا نية أو عمل قلبي نفاق[4]، فجعلوا هذا التصديق هو الإيمان، وبطبيعة الحال سينكرون النفاق.. والله أعلم.

٩ ـ الموقف إزاء المنافقين:

أما عن الموقف والواجب تجاه المنافقين، فيتمثل في جملة أمور، منها:

١ ـ النهي عن موالاتهم والركون إليهم، كما قال (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩].

---

١) أخرجه الفريابي في (صفة المنافق)، ص ٤، وقال الذهبي في السير (١١/٣٦٢): «هذا حديث حسن الإسناد».

٢) سير أعلام النبلاء، ١١/٣٦٢.

٣) مجموع الفتاوى، ٢٨/٤٣٣.

٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٧/١٧١.

٢ ـ زجرهم ووعظهم : لقوله (تعالى) : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً** ﴾ [النساء : ٦٣] .

٣ ـ عدم المجادلة أو الدفاع عنهم، حيث قال (تعالى) : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً (١٠٦) وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً** ﴾ [النساء : ١٠٥ ـ ١٠٧] .

٤ ـ جهادهم والغلظة عليهم : لقوله (تعالى) : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [التوبة : ٧٣] .

٥ ـ تحقيرهم وعدم تسويدهم : فعن بريدة بن الحصيب مرفوعاً : « لا تقولوا للمنافق (سيّد) ، فإنه إنْ يك سيداً فقد أسخطتم ربكم (عز وجل) »[1] .

وكان حذيفة يؤيس (يحتقر) المنافقين[2] .

٦ ـ عدم الصلاة عليهم، امتثالاً لقوله (تعالى) : ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ** ﴾ [التوبة : ٨٤] .

١٠ـ تنبيهات مهمة :

ونذكر في نهاية هذه المقالة جملة من التنبيهات :

أولاً : علينا أن نفرق بين المداهنة ـ وهي من خصال المنافقين وشعب النفاق ـ والمداراة ، فالمداهنة : مجاراة أهل الكفر والفسق في باطلهم، وأما المداراة فهي : مداراة أهل الكفر والفسق اتقاء شرهم، أو تأليفًا لقلوبهم .

فالمداهن صاحب تلون وتذبذب، ويَلْقى كل طائفة بما تهوى ، كما في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال : « تجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه »[3] .

قال القرطبي : « إنما كان ذو الوجهين شر الناس؛ لأن حاله حال المنافق، إذ هو متعلق بالباطل وبالكذب، مدخل للفساد بين الناس، وقال النووي : هو الذي يأتي

١) أخرجه أبو داود والنسائي.
٢) أخرجه الخلال في السنة، ٥ / ٧٠.
٣) أخرجه البخاري ومسلم.

كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب»[1].

فالمداهنة محرمة ومذمومة، بخلاف المداراة؛ فقد سلكها رسول الله ﷺ، كما في حديث أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عندما: «استأذن رجل في الدخول على النبي ﷺ، فقال: «بئس أخو العشيرة» فلما جلس تَطلّق له النبي ﷺ في وجهه، وانبسط له، فسألته عائشة، فقال: يا عائشة متى عهدتيني فاحشاً؟ إن شر الناس عند الله: من تَركه الناس مخافة فحشه»[2].

وقد بيّن أهل العلم الفرق بين المداراة والمداهنة، ومراد النبي ﷺ في مسلكه تجاه ذلك الرجل.. «قال القاضي عياض: الفرق بين المداراة والمداهنة: أن المداراة: بذل الدنيا لصلاح الدين، أو الدنيا، أو هما معاً، وهي مباحة، وربما استحبت، والمداهنة: ترك الدين لصلاح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته، ومع ذلك فلم يمدحه بقول، فلم يناقض قوله فيه فعله، فإن قوله فيه قول حق، وفعله معه حسن عشرة»[3].

وقال ابن بطال: «حيث ذمه كان لقصد التعريف بحاله، وحيث تَلَقّاه بالبشر كان لتأليفه، أو لاتقاء شره، فما قصد بالحالتين إلا نفع المسلمين، ويؤيده أنه لم يصفه في حال لقائه بأنه فاضل ولا صالح»[4].

ثانياً: ينبغي أن نفرِّق بين النفاق وما يعرض القلب من الغفلة والتغير بعد الخشوع والإخبات.

يقول ابن رجب: «لما تقرر عند الصحابة (رضي الله عنهم) أن النفاق هو اختلاف السر والعلانية، خشي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال.. أن يكون ذلك منه نفاقاً، كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأُسيْديِّ أنه مرّ بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) «فقال: كيف أنت يا

---

١) فتح الباري، ١٠/ ٤٧٥.
٢) أخرجه البخاري ومسلم.
٣) فتح الباري، ١٠/ ٤٥٤.
٤) فتح الباري، ١٣/ ١٧١.

حنظلة، قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول، قال: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا [اشتغلنا بـ] الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيراً، فقال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقا إلى رسول الله ﷺ، وأخبره حنظلة بحاله، فقال (عليه الصلاة والسلام): «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»[1].

وقال النووي: «وأصل النفاق: إظهار ما يكتم خلافه من الشر، فخاف أن يكون ذلك منافقًا، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك»[2].

والمقصود: أن أمر النفاق شيء، والغفلة والذهول شيء آخر، حيث يرد هذا التغير على القلب، لكنه أمر عارض يصيب القلب ساعة، فيستغفر العبد ربه وينيب.

ثالثًا: أن نفرِّق بين قبول الحق من كل شخص سواءً أكان مؤمنًا أو كافراً أو منافقًا، وبين موالاة ذلك الشخص ومودته، فالمنافق إذا قال صوابًا، فإنه يقبل هذا الصواب منه، ومع ذلك فله واجب العداوة والبغضاء بحسب نفاقه، وفي المقابل: فإن العالم الفاضل أو الداعية الصادق، وإن وقع في زلة أو عثرة، فلا يُوَافَق على زلته وعثرته، لكن يبقى له حق الولاء والنصرة حسب إيمانه وتقواه.

كما قال معاذ بن جبل (رضي الله عنه): «واحذروا زيغة الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق، فاقبلوا الحق؛ فإن على الحق نوراً»[3].

فنسأل الله العظيم أن يعيذنا من النفاق، وأن يختم لنا بالإيمان

وبالله التوفيق

١) جامع العلوم والحكم، ٢/ ٩٤.

٢) صحيح مسلم بالنووي، ١٧/ ٦٧.

٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية، ١/ ٢٣٢، ٢٣٣.



حكم التهنئة بدخول شهر رمضان

بقلم : عمر بن عبد الله المقبل

هذا بحث مختصر حول: «حكم التهنئة بدخول شهر رمضان»، حاولت أن أجمع فيه أطرافه، ملتمساً في ذلك طلب الحق ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

قبل البدء بذكر حكم المسألة لا بد من تأصيل موضوع «التهنئة».

فيقال: التهاني ـ من حيث الأصل ـ من باب العادات، والتي الأصل فيها الإباحة، حتى يأتي دليل يخصها، فينقل حكمها من الإباحة إلى حكم آخر.

قال الشيخ العلامة «عبد الرحمن ابن سعدي» (رحمه الله تعالى) في منظومة القواعد.

والأصلُ في عاداتنا الإباحةْ   حتى يجيءَ صارفُ الإباحةْ
وليس مشروعًا من الأمور   غير الذي في شرعنا مذكور[1]

ثم قال (رحمه الله) معلقًا على ذلك:

«وهذان الأصلان العظيمان ذكرهما شيخ الإسلام (رحمه الله) في كتبه، وذكر أن الأصل الذي بنى عليه الإمام أحمد مذهبه: أن العادات الأصل فيها الإباحة، فلا يحرم منها إلاَّ ما ورد تحريمه... إلى أن قال: فالعادات هي ما اعتاد الناس من المآكل والمشارب، وأصناف الملابس والذهاب والمجيء، وسائر التصرفات المعتادة، فلا يحرم منها إلاَّ ما حرَّمه الله ورسوله، إما نصًّا صريحًا، أو يدخل في عموم، أو قياسٍ صحيح، وإلاَّ فسائر العادات حلال، والدليل على حلها قوله (تعالى): ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فهذا

١) المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، ١/١٤٣.

يدل على أنه خلق لنا ما في الأرض جميعه لننتفع به على أيّ وجهٍ من وجوه الانتفاع »[1] .

وإذا كانت التهاني من باب العادات، فلا ينكر منها إلاَّ ما أنكره الشرع، ولذا: مرَّر الإسلام جملة من العادات التي كانت عند العرب، بل رغب في بعضها، وحرَّم بعضها، كالسجود للتحية.

حكم التهنئة بدخول الشهر الكريم:

روى ابن خزيمة (رحمه الله) في صحيحه (٣/١٩١) عن سلمان (رضي الله عنه) قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يومٍ من شعبان، فقال:

« أيها الناس، قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، .... » الحديث.

قال ابن رجب (رحمه الله): « ... هذا الحديث أصلٌ في تهنئة الناس بعضهم بعضاً في شهر رمضان »[2] .

وإنما تأخر الاستدلال به على مسألتنا لأنه لم يثبت ، بل هو حديث منكر كما قال الإمام أبو حاتم الرازي[3]، ولذا: بوَّب عليه الإمام ابن خزيمة في صحيحه بقوله: (باب فضائل شهر رمضان ، إن صحَّ الخبر)[4] .

وفي سنده « علي بن زيد بن جُدْعان » وهو (ضعيف)[5] .

وذهب الجمهور من الفقهاء إلى أن التهنئة بالعيد لا بأس بها، بل ذهب بعضهم إلى مشروعيتها ، وفيها أربع روايات عن الإمام أحمد (رحمه الله)، ذكرها ابن مفلح (رحمه الله) في « الآداب الشرعية » ، وذكر أن ما روي عنه من أنها لا بأس بها هي أشهر الروايات عنه[6] .

---

١) انظر (الموافقات) للإمام الشاطبي، ٢/٢١٢ ـ ٢٤٦، ففيه بحوث موسعة حول العادات وحكمها في الشريعة.

٢) لطائف المعارف ، ص ٢٧٩، ط. دار ابن كثير.

٣) علل الحديث للرازي، ١/٢٤٩.

٤) صحيح ابن خزيمة، ٣/١٩١.

٥) تقريب التهذيب ، رقم الترجمة (٤٧٣٤) .

٦) الآداب الشرعية، ٣/٢١٩.

« قال الإمام أحمد (رحمه الله) : ولا بأس أن يقول الرجل للرجل يوم العيد : تقبَّل الله منا ومنك.

وقال حرب : سئل أحمد عن قول الناس : تقبل الله منا ومنكم؟ قال : لا بأس، يرويه أهل الشام عن أبي أمامة، قيل : وواثلة بن الأسقع؟، قال : نعم، قيل : فلا تكره أن يقال : (هذا يوم العيد)؟، قال : لا .... » [1].

فيقال : إذا كانت التهنئة بالعيد هذا حكمها، فإن جوازها في دخول شهر رمضان الذي هو موسمٌ من أعظم مواسم الطاعات، وتنزل الرحمات، ومضاعفة الحسنات، والتجارة مع الله.. من باب أولى، والله أعلم.

تحقيق بعض العلماء في المسألة:

ومما يُستدَل به على جواز ذلك أيضًا : قصة كعب بن مالك (رضي الله عنه) الثابتة في الصحيحين من البشارة له ولصاحبه بتوبة الله عليهما، وقيام طلحة (رضي الله تعالى عنه) إليه.

قال ابن القيم (رحمه الله) ضمن سياقه لفوائد تلك القصة :

« وفيه دليل على استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية ، والقيام إليه إذا أقبل، ومصافحته، فهذه سنة مستحبة، وهو جائز لمن تجددت له نعمة دنيوية، وأن الأَوْلى أن يقال : يهنك بما أعطاك الله، وما منَّ الله به عليك، ونحو هذا الكلام، فإن فيه تولية النعمة ربَّها، والدعاء لمن نالها بالتهني بها » [2] .

ولا ريب أن بلوغ شهر رمضان وإدراكه نعمةٌ دينية، فهي أولى وأحرى بأن يُهنَّأ المسلم على بلوغها،كيف وقد أثر عن السلف أنهم كانوا يسألون الله (عز وجل) ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، وفي الستة الأخرى يسألونه القبول؟، ونحن نرى العشرات ونسمع عن أضعافهم ممن يموتون قبل بلوغهم الشهر.

وقال الحافظ ابن حجر (رحمه الله) : « ويحتج لعموم التهنئة لما يحدث من نعمة، أو يندفع من نقمة : بمشروعية سجود الشكر، والتعزية [3]، وبما في

---

١) المغني لابن قدامة، ٣ / ٢٩٤ .

٢) زاد المعاد ، ٣ / ٥٨٥ .

٣) كذا في الموسوعة الفقهية التي نقلت عنها.

الصحيحين عن كعب بن مالك...» [1].

ونقل القليوبي عن ابن حجر أن التهنئة بالأعياد والشهور والأعوام مندوبة .

وقد ذكر الحافظ المنذري أن الحافظ أبي الحسن المقدسي سُئِل عن التهنئة في أوائل الشهور والسنين: أهو بدعة أم لا؟، فأجاب: بأن الناس لم يزالوا مختلفين في ذلك، قال: والذي أراه أنه مباح، ليس بسنة ولا بدعة [2].

خلاصة المسألة:

وبعد هذا العرض الموجز يظهر أن الأمر واسع في التهنئة بدخول الشهر ، لا يُمنع منها، ولا ينكر على من تركها ، والله أعلم.

هذا، وقد سألت شيخنا العلامة «محمد بن صالح العثيمين» عن التهنئة بدخول شهر رمضان ، فقال: «طيبة جداً»، وذلك في يوم الأحد ١٤١٦/٩/٨هـ، حال بحثي في هذه المسألة، والتي أسأل الله (عز وجل) أن أكون قد وفقت فيها للصواب، فإن كان كذلك فمن الله وحده، وإن كان ما قلته خطأً فأنا أهلٌ له، والله ورسوله منه بريئان، وأستغفر الله العظيم.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

١) الموسوعة الفقهية الكويتية، ١٤/٩٩-١٠٠، وانظر، وصول الأماني، للسيوطي وقد بحثت عن كلام الحافظ في مظنته ولم اهتد إليه.

٢) وصول الأماني، ١/٨٣ (ضمن الحاوي للفتاوي).



تأملات في فقه الجهاد

(٢ من ٢)

بقلم: د. محمد بن عبد الله الشباني

بدأ الكاتب ـ في الحلقة السابقة ـ مقاله ببيان العلاقة الاضطرادية بين قوة المجتمع الإسلامي وعزته وتطبيق أحكام الإسلام، ثم شرع في بيان أنواع الجهاد وأشكاله، وفصل الكلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره من صور الجهاد، ثم طفق يتحدث عن القتال والنزال، مبيناً المفهوم الصحيح لتلك الصورة من صور الجهاد، وانتهى به الحديث إلى أهداف القتال ومراميه، وكذلك صفات القيادة التي يجب توفرها في دعاته، ويواصل حديثه عما بقي من صور الجهاد في هذه الحلقة. - البيان -

ثانيا: جهاد الكلمة:

النوع الثاني من أنواع الجهاد في تغيير المنكر هو جهاد الكلمة، الذي يمثل أفضل الجهاد؛ لما للكلمة من تأثير في تغيير المجتمعات، فجميع الحركات التي حدثت في التاريخ كان للكلمة المكانة الأوفر في إحداث تلك التغيرات، لقد وجه الرسول (عليه الصلاة والسلام) الأمة إلى أهمية جهاد الكلمة، وأعطاها المنزلة الرفيعة؛ حيث إن لها دوراً مؤثراً وفاعلاً في تغيير المجتمعات، وتحويلها من مجتمعات مسلوبة الإرادة إلى مجتمعات حية متفاعلة، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتردع الظالم، وتمنع الظلم أن يكون له مرتع في كيان الأمة، من تلك الأحاديث الموجهة لجهاد الكلمة: ما رواه أحمد والطبراني في قوله (عليه الصلاة والسلام): «أحب الجهاد إلى الله: كلمة حق تقال لإمام جائر»[١]، وقوله (عليه الصلاة والسلام) في الحديث الذي رواه الترمذي: «أفضل الجهاد: كلمة عدل عند سلطان جائر»[٢]، وما

١) أخرجه أحمد والطبراني، وحسنه الألباني، انظر صحيح الجامع، ح/١٦٨.

٢) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، وأبو داود، كتاب الملاحم، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح/٤٩١، وانظر: صحيح سنن أبي داود، ح/٤٣٤٤، وابن ماجة، ح/٤٠١١.

رواه النسائي من أن رجلاً سأل النبي ﷺ ـ وقد وضع رجله في الغَرْز ـ: أيُّ الجهاد أفضل؟، قال: «كلمة حق عند سلطان جائر»[1]، وكذلك قوله (عليه الصلاة والسلام): «أفضل الشهداء رجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، وقوله (عليه السلام): «سيد الشهداء: حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»[2]، **ومن جملة هذه الأحاديث يتضح ما للكلمة من مكانة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبط أشد الارتباط بالجهاد من خلال الكلمة الصادقة الجريئة، بل إن لها دوراً أكثر تأثيراً على تغيير المجتمعات وإصلاح أحوالها بدلاً من حمل السلاح والعمل على تغيير المنكر باليد، لهذا: نجد كثيراً من الأحاديث تنهى عن الخروج على الحاكم الجائر ذي المنعة والقوة؛ لأن الخروج عليه لا يحقق الهدف من إقامة المعروف وإزالة المنكر؛ حيث إن للحاكم المقيم للمنكر والمساند له وسائل عديدة للتأثير على الناس يفوق ما تملكه الفئة التي تسعى إلى تغيير المنكر وإقامة الحق؛ لهذا جاءت الأحاديث تنفر من هذا المسلك في المجتمع الذي يقل فيه العلم وتمارس فيه شعائر الإسلام التعبدية، فقد روى مسلم والنسائي عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة، في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك»[3]، وقوله (عليه الصلاة والسلام) كما رواه مسلم والترمذي وأبو داود من حديث أم سلمة (رضي الله عنها) أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) قال: «ستكون عليكم أئمة تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر بلسانه فقد برئ، ومن أنكر بقلبه فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، فقيل: يا رسول الله، أفلا نقاتلهم؟، قال: لا، ما صلوا»[4] وحديث ابن عباس الذي رواه مسلم والبخاري أن الرسول (عليه الصلاة والسلام) قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من

---

١) أخرجه النسائي، واللفظ له، ك/ البيعة، وابن ماجة، وأحمد بن حنبل، وصححه الألباني.

٢) أخرجه الحاكم والطبراني، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ومال الألباني إلى تصحيحه، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح/ ٣٧٤.

٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، ح/ ١٨٣٦، واللفظ له، والنسائي، وأحمد بن حنبل.

٤) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، ح/ ١٨٥٤، وأبو داود، كتاب السنة، باب قتل الخوارج، واللفظ له، والترمذي، وأحمد بن حنبل.

السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»[1]، **إن هذه الأحاديث تؤكد حقيقتين: الأولى: أن الخروج المسلح لا يجوز إلا إذا وصل الأمر بالحاكم إلى الكفر البواح أو منع** الشعائر التعبدية التي ترتبط بالحياة الفردية المباشرة، أما إذا كان الأمر يتصل بالمظالم المادية: فإنه لا يجوز ذلك، حيث أرشد الرسول (عليه الصلاة والسلام) إلى ذلك، كما رواه أبو داود عن أبي ذر (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء، قلت: إذن ـ والذي بعثك بالحق ـ أضع سيفي على عاتقي، ثم أضرب به حتى ألقاك، أو ألحقك،قال: ألا أدلك على خير من ذلك؟.. تصبر حتى تلقاني»[2].

الثانية: ضرورة الإنكار باللسان وتبيان الحق لأولئك المخالفين؛ فإن البراءة من المسؤولية أمام الله لا تكون إلا بقول الحق، والتاريخ الإسلامي شاهد على تأثير الكلمة ودورها في إنكار المنكر، وتحقيق التغيير، وردع الباطل.. أكثر من استخدام القوة، ففي عهد المأمون ومن جاء بعده من خلفاء بني العباس، حيث ظهرت بدعة خلق القرآن وإجبار الناس على ذلك، فقد كانت هناك جبهتان للمناهضة: الأولى: جبهة أحمد بن نصر الخزاعي (رحمه الله) صاحب الإمام أحمد بن حنبل وأحد العلماء المشهورين، حيث عمد إلى استخدام القوة لإزالة المنكر ومجابهته، فانتهى أمره إلى قتله وصلبه وتفرق أصحابه، أما الثانية: فكانت بقيادة الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله)، الذي ناهض هذه البدعة وأنكرها بلسانه، وتحمل المشقة والسجن، وانتهى الأمر بانتصاره، والرجوع إلى الحق، وحماية عقيدة الإسلام من التبديل والتشويه، وكان لصلابته وتحمله الأذى الأثر البالغ بأن تتابع المجاهدون بالجهر بقول الحق، فقتل منهم أعداد كثيرة، وسجن أعداد كثيرة، ولكن كانت النهاية هزيمة فكر المعتزلة الذي تبنته الدولة العباسية في عهد المأمون والمعتصم والواثق، وانتصار نهج السلف الصالح أخيراً.

أهمية الجهاد بالكلمة:

إن قيمة جهاد الكلمة وبلوغ ممارسها منزلة سيد الشهداء في سبيل الله ـ كما

---

١) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، ب/٢، واللفظ له، ومسلم، ح/١٨٤٩، وأحمد في المسند، ٨/٨٧.

٢) أخرجه الإمام أحمد، جـ٥ ص١٨٠، وأبو داود، كتاب السنة، باب قتل الخوارج، ح/٤٧٥٩، وضعفه الألباني، انظر: ضعيف سنن أبي داود، ص ٤٧١.

أخبر بذلك الرسول (عليه الصلاة والسلام) ـ إنما تعود إلى الأمور التالية:

١ ـ أن الكلمة الشجاعة القوية تعرض صاحبها للمخاطر والمهالك؛ لأن المجاهد في الميدان ضد الكفار يجاهد في معركة جلية، وهو بين احتمالين: نصر وعزة في الدنيا، أو شهادة يذوق فيها الموت مرة واحدة، أما مجاهد الكلمة: فهو فرد أعزل أمام سلطة ذات بأس شديد، واحتمال هلاكه أكثر من سلامته.

٢ ـ المجاهد بالكلمة الصادقة في معركة خفية مبهمة عند الناس، ولاسيما في زمن انتشار البدع وضعف الإسلام وقلة حماته، وبالتالي: فهو يتعرض ـ ميّتاً وحيًّا ـ للتشويه والتجريم، فهو عند السلطة التي لا تحكم بالإسلام مرتكب خيانة ومجرم سياسي خطير، فيتسنى لها إلصاق التهم به واستخدام كل الوسائل المؤثرة لديها لتحقيق ذلك من خلال الشرطة، والإعلام، وتحريف الكلم والحقائق.. واعتبار قول الحق انحرافًا ورجعيةً، والاحتساب بذلك ـ في نظرها ـ فتنة وجريمة وخروج على السلطة الحاكمة بأمرها.

٣ ـ إن مجاهد الكلمة معرض للفتنة أكثر من مجاهد السلاح واليد، والنجاة من الفتنة أشق؛ لأن فتنة التعذيب والسجن قد تسبب الانهيار العصبي والكآبة، فقد ينقلب من صف المصلحين إلى نقيضهم.

ومن هنا: ندرك مغزى ورود نصوص الجهاد والأمر بالمعروف، مثل قوله (تعالى): ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ومن هذه الآية يفهم أن كلمة الحق واجب عيني على جماعة القادرين من أهل العلم والدراية، كالعلماء ورجال الفكر والمختصين في الميادين التي يشيع فيها المنكر.

إن جهاد الكلمة لا يمكن أن يحقق هدفه في إزالة المنكر وأشاعة المعروف إلا إذا تعاون المجتمع كله تحقيقًا لقوله (تعالى): ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢]، إن من المفاهيم الخاطئة حول جهاد الكلمة عند بعض الناس: تحميل العلماء فقط كل مسؤولياتهم ليريحوا أنفسهم من عناء المجاهدة، والرسول (عليه الصلاة والسلام) لم يشترط أن يكون قائل كلمة الحق والعدل فقيهاً مجتهداً أو عالماً أو مفكراً أو طالب علم؛ لأن قول كلمة

الحق واجب عام على الخاصة والعامة، كل بحسب حاله، والشريعة لم تشترط أن يكون المجاهد بالكلمة والآمر بالمعروف عالـمًا، وإنما يُشْتَرط أن يكون الآمر بالخير على بصيرة فيما يأمر به، عالمًا بالحكم الشرعي فيما يأمر به أو ينهى عنه.

إن مفهوم السلطان الجائر ـ كما جاء في الأحاديث ـ يشمل كل متسلط لا تتوافر فيه العدالة والكفاية والعدل والمشاورة، فغالبًا ما يكون السلطان طائفة مذهبية أو هيئة حزبية لا يستطيع أحد معارضتها، ومن فعل ذلك: فقد يتعرض للأذى والمطاردة، فعبارة (السلطان الجائر) تتضمن أمرين: الأول: السلطة التي يخضع لها رغبة فيها أو رهبة منها، فكل من خافه الناس ورجوه فهو سلطان، والثاني: الجور، وكل من حاد عن الطريق المستقيم فهو جائر، وكل جائر لا يتوقع منه المعاملة بالعدل والإنصاف.

ثالثًا: الجهاد بالقلب:

النوع الثالث من أنواع الجهاد هو الجهاد بالقلب، وقد أشار إلى ذلك الحديثُ الذي رواه مسلم: «ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن»(1)، وهذا الجهاد هو رخصة أباحها الله للذين لا يستطيعون الجهاد باليد أو بالكلمة، ولكن لهذه الرخصة ضوابطها وشروطها، ولها إطارها الذي ينبغي أن يفهم فيه جهاد القلب، والذي يمكن تسميته (الجهاد الصامت).

والجهاد بالقلب له دور فعال ومؤثر في تغيير المنكر وإقامة المعروف، وممارسته في واقع حياتهم، واتباع أوامر الدين في خاصة أنفسهم، وعدم مناصرة الظلمة ممن يحكمون بغير ما أنزل الله . . ، وإذا لم يتوفر ذلك: فإن الجهاد يصبح فرضًا، كما في قوله (تعالى): ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً** ﴾ [التوبة: ٤١]؛ لأن بقاء المنكر يعني التعرض للهلاك كما أشار إلى ذلك القرآن في قوله (تعالى): ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ [الأنفال:٢٥]، وقول الرسول (عليه الصلاة والسلام): «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد: سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»(2).

---

١) سبق تخريجه.

٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٢/ ٨٤، وأبو داود ـ واللفظ له ـ، ك/ البيوع، وصححه الألباني، ح/ ١١ من السلسلة الصحيحة.

إن من أسباب ضعف وعدم بروز الجهاد بالقلب في الحياة الإسلامية: ما أشار إليه الحديث الذي رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود، والذي قال فيه المصطفى (عليه الصلاة والسلام): «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل: كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا، اتقِ الله ودع ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض»، ثم قال: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾ إلى قوله ﴿**فَاسِقُونَ**﴾، ثم قال الرسول (عليه الصلاة والسلام): «كلا والله، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليعلننكم كما لعنهم»[1]، فالحديث أشار إلى حقيقة واضحة، وهي: أن الناهين عن المنكر من بني إسرائيل لم يعتزلوا أولئك الممارسين له، بل مارسوا الحياة العامة معهم، فلم يشعروهم بالعداوة من خلال اعتزالهم ومنابذتهم.

يتم تحقيق الجهاد بالقلب من خلال تطبيق التوجيهات النبوية التي أشار إليها الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم، الذي جاء فيه: «يهلك أمتي هذا الحيُّ من قريش، قالوا: فما تأمرنا؟، قال: لو أن الناس اعتزلوهم»[2]، فهذا الحديث يشير إلى أسلوب الجهاد بالقلب الذي ينبغي عمله لجميع الناس عندما يرون تفشي المنكر، وهو: تنفيذ الاعتزال كحركة جماعية، فالرسول (عليه الصلاة والسلام) لم يقل: لو اعتزلتموهم أنتم، بل قال: لو أن الناس اعتزلوهم.

وهذا أسلوب سلمي.. مع تجنب المجالسة والمخالطة لأولئك المعتدين والمنحّين لشرع الله.

هذه اجتهادات وتأملات، آمل أن أكون قد لامست فيها الحقيقة، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

والله أسأل أن يهدينا إلى سواء السبيل، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

---

1) سبق تخريجه.

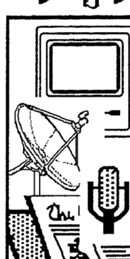
2) أخرجه مسلم، كتاب الفتن..، ح/٢٩١٧.

الإعلام من المنطلق الغربي
إلى التأصيل الإسلامي

(١ من ٢)

بقلم : أحمد حسن محمد

دراسات



إعلامية

مدخل :

في عصرنا الحاضر تطورت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وفق تقنيات عالية، بما أكسبها قدرة ملموسة على الاستقطاب والتأثير والتوجيه، حيث وجدت من الحضارة الغربية عناية بالغة، وقام الغرب بتطويرها لدعم المفاهيم والأفكار التي يؤمن بها، مما جعل الإعلام أسيراً للإبداع الأوروبي بما توفرت لوسائله من أسباب التقدم التقني والتجديد والإبداع، ليكون سلاحًا خطيراً يتعدى دوره الترويحي والإخباري، ليعمل على تبديل المفاهيم وصناعة الاتجاهات، حاملاً لقيم ومفاهيم تحكم قواعد التلقي والتثقيف بصورة تحقق التأثير المطلوب، ليس في المجتمع الغربي فقط، بل في كافة المجتمعات والدول بما فيها المجتمع الإسلامي(١) .

ولما كانت الدعوة الإسلامية هي قدر أمتنا الإسلامية : فقد أصبح لزامًا عليها أن تنظر للإعلام باعتباره قوة لمسيرة المسلمين واتجاهاتهم الفكرية والعقدية أمام هذا الغزو الغربي، والذي لا يمثل ـ بالطبع ـ النموذج المطلوب وفق الهدي الإسلامي.. مما يتطلب محاولات جادة لتأصيل الإعلام، ليكون عنصراً فاعلاً في مسيرة الدعوة الإسلامية.

---

١) إبراهيم علي، بحث مقدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي، اللقاء الثالث ، ص٣٧٣، بتصرف يسير.

أثر الحضارة الغربية في المسيرة الإعلامية الحديثة :

من المعلوم أن الحضارة الغربية المعاصرة قامت على إثر الصدام الذي حدث بين المجتمع الأوروبي والكنيسة، أي: بين المجتمع ورجال الدين، نتيجة لمواقف الكنيسة ضد العلماء والمفكرين آنذاك، وبالتالي: ظهر الاستبداد الكنسي على كافة مظاهر الحياة ومناشطها[١].

وانسحب العداء ليتعدى رجال الدين النصراني ويشمل الدين ـ أيَّ دين ـ؛ مما أحدث المفاصلة الكاملة بين الفكر الديني والعقل الأوروبي في كافة أنشطة الحياة، فظهر الاتجاه المادي المتحلل من تعاليم الدين ليحكم المسيرة العلمية والفكرية للنهضة الأوروبية[٢]، ولما كان الإعلام واحداً من هموم هذه النهضة: فقد جاء متأثراً بهذه المفاصلة، ومع التطور الهائل في تقنيات الإعلام وتجدد وسائله: فإن هذه المفاصلة ظهرت في اتجاهين مختلفين في المسيرة الإعلامية الأوروبية.

الاتجاه الأول: الإعلام المادي الدنيوي الذي ابتعد عن الالتزام بالمثل والقيم، واتجه نحو إشباع الميول والغرائز والإلهاء دون النظر إلى كون ذلك حراماً أو حلالاً، حتى أصبح أقرب للتجارة والكسب منه إلى التوجيه والتبصير، فاتجه نحو الجماهير والعامة سعياً وراء التسويق والكسب المادي؛ مما كرس الاتجاهات الرخيصة، فظهرت صحف وأفلام الجنس والإغراء، وقد ساعد اليهود كثيراً في دعم هذا الاتجاه[٣].

الاتجاه الثاني: الإعلام الموجَّه، والذي استخدمته بعض المنظمات والمؤسسات في أوروبا ودولها لدعم اتجاهاتها ونشر أفكارها والتأثير بها على شعوب العالم بعد أن أثبتت الخبرة السياسية المعاصرة أن الإدارة الإعلامية هي إحدى الأدوات المهمة في مجال تنفيذ السياسة الخارجية، مما يندرج تحت ما يطلق عليه بعض

---

١) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١٩٠ ـ ٣٩١.

٢) أبو الحسن الندوي، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية.

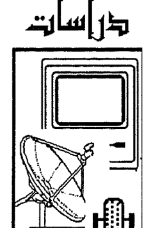
٣) وسائل الإعلام والمجتمع الحديث، وليام ل. رفوريز وآخرون، ترجمة د. إبراهيم إمام.

الباحثين اسم «الأدوات الرمزية لتنفيذ السياسة الخارجية»، تلك الأدوات التي تهدف إلى التأثير على مفاهيم الآخرين في الوحدات الدولية الأخرى [1].

التدفق الإعلامي الغربي نحو المجتمع الإسلامي :

لقد استهدف الإعلام الغربي الأوروبي بشقيه (المادي والموجه) العالم الإسلامي ضمن ما استهدفه من المجتمعات، لا سيما في العالم النامي.

ففي الوقت الذي بدأت فيه أوروبا نهضتها الحديثة ـ بعيدة عن الدين ـ كان العالم الإسلامي يعيش حالة تخلف واضح قعد به تمامًا عن أسباب التجديد والإبداع، وفق قيمه ومثله العليا [2]، بينما العقل الأوروبي يعيش نشاطًا إنسانيًا متجدداً متحرراً من القيود، بعيداً عن الإسلام الذي لم يعرفه لقصور المسلمين عن ذلك، وبذلك وقع العالم الإسلامي ـ والعالم العربي ـ أسير هذا الإبداع الأوروبي المتنامي.



ولما كان الإعلام واحداً من أهم قضايا الفكر وناتجًا أساسًا لقيم الحضارة المتجددة: فقد سقط بدوره أمام الزحف الغربي الذي يقود ثورة هائلة في عالم الاتصال، فأصبح إعلامًا تابعًا معتمداً في أدائه لوظائفه على الخارج.. وهذه التبعية تبدأ من استيراده الآلات والتقنيات، وتنتهي باستيراد البرامج والمواد الإعلامية المعلبة [3]، حيث بلغت ما تستورده أجهزة الإعلام في العالم الإسلامي من المواد الغربية والمعلومات أكثر من ٩٠٪ من مجموع ما تبثه من برامج وأخبار، وسيطرت وكالات الأنباء الكبرى ـ وكلها غربية، بل يهودية في معظمها ـ على أكثر من ٨٠٪ من البث الإعلامي العالمي [4].

وتصدر الولايات المتحدة وحدها أكثر من مئة ألف ساعة سنويًا من البرامج التلفازية، فضلاً عن السيطرة على السوق الدولية للمعلومات والاتصال في

---

١) محمد سعد أبو عامود، نقلاً عن محمد السيد سليم، مقال (الإعلام العربي والسياسة الخارجية العربية)، مجلة المستقبل العربي،ع/١٨٢، ١٩٩٤م.

٢) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ١٩٠ ـ ١٩٣.

٣) محمد سعيد أبو عامود، مرجع سابق.

٤) انظر: وكالات الأنباء في الميزان، د. سعيد محمد.

العالم بواسطة مؤسسات وتجمعات رأسمالية أمريكية [1].

ونتج عن هذا التدفق الغربي: أن أصبحت المنطقة الإسلامية بعامة والعالم العربي بصفة خاصة تعيش في ظل الثقافة الغربية بفضل ما تبثه أجهزة الإعلام التي لم تجد المقاومة الفاعلة من الشخصية الذاتية للمجتمع المسلم، والتي كانت وليدة لا تمتلك مصادر التجديد والابتكار؛ مما جعلها مقلدة أكثر من كونها مجددة مبدعة.

ومما ساعد على ذلك التأثير: اختلاط البلاد الإسلامية والعربية بالمجتمع الغربي، فحمل طلاب البعثات والزائرون من الوسائل الترفيهية والمعنوية والفكرية من بلاد الغرب أكثر مما حملوه من وسائل الصناعة والتقنية، وظلت المنطقة تعيش مستوردِة: إما لفقرها المادي، أو لعجزها البشري.

ومع غياب الأصالة الإسلامية: فإن الأمر تعدى إلى محاولة إبعاد الثقافة الإسلامية نفسها المتمثلة في القيم الخلقية والعقدية في نفوس أبناء الأمة المسلمة متأثرة بذلك بقناعة عزل الدين عن أمور الحياة كلها.

اتجاهات الإعلام الغربي وآثاره:

لم تكن الرسالة الإعلامية الغربية محايدة، بل كانت تحمل أهدافها وأغراضها للعالم الإسلامي بصفة خاصة، الذي كان في معظمه تحت الاستعمار الأوروبي، وعندما قامت حركات الاستقلال: حاولت أوروبا استبدال الاحتلال الفكري بالاحتلال العسكري؛ مما كان سبباً أساساً في هذا التدفق الإعلامي باتجاهيه: التحرري المنحل، والثقافي الموجه والمنظم.

أما الاتجاه التحرري المنحل: فقد جاء مجرداً من قيم الدين، بل وقيم الإنسان المعتدل، فزخر بالقيم الهابطة؛ مما أوجد حشداً من الصحف والمجلات والوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية تمارس ألواناً من الفساد والتضليل والانحلال، تسرب معظمها إلى بلاد المسلمين في غيبة من الالتزام الصحيح، فأصبحت تمثل تهديداً لأبناء الأمة في أعز ما تملكه من قيم ومبادئ [2].

---

1) د. جيهان رشتي، التنسيق والتعاون في مجال التلفزيون عالميًّا، ص ٢١.
2) د. عبد القادر طاش، دراسات إعلامية.

وأصبحت الوسيلة الإعلامية تعمل على إلهاء الأمة المسلمة لتعيش حالة ضياع تقرب من حالة كثير من مجتمعاتهم، وصدق الله العظيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [النساء: ٤٤].

وقد تركت هذه النزعة الانحلالية آثارها على المجتمع المسلم، حيث انساقت بعض وسائل الإعلام نحو القيم الهابطة التي تتعارض مع هدي الإسلام، فزخرت بالبرامج الرديئة، ففقدت النصائح التربوية آثارها في نفوس الأبناء والأجيال الصاعدة، كما احتلت مواد البث الإعلامي الغربي مكان الوظيفة التربوية للمدرسة والبيت، فأصبحت الأجيال المسلمة تعيش تناقضًا بين ما تتلقاه وتسمعه من وسائل الإعلام وما تقدمه لها المدرسة وينصح به الآباء [١].

أما الاتجاه الثقافي الموجه: فقد تصدرته الكنيسة والجمعيات الدينية الغربية، في محاولة للتنصير بين أبناء المسلمين في البلاد النامية، وجاء مساندًا للحملات والمنظمات الكنسية التي تنتشر في معظم أنحاء العالم الإسلامي في إفريقيا وآسيا على وجه الخصوص، امتدادًا لحركة التغريب التي بدأت في تركيا المسلمة، فظهرت العديد من المطبوعات من صحف ومجلات ونشرات، ثم استخدمت الإذاعة على المستوى القومي والشعبي، حيث استقلت بعض الهيئات الدينية النصرانية بمحطات خاصة ـ كما حدث في البرتغال وإيطاليا وهولندا ـ.

وفي عصرنا الحاضر: فإن حملات التنصير ما زالت تعمل من خلال وسائل الإعلام المختلفة، مثل إذاعة (مونت كارلو)، و(صوت الغفران)، و(مركز النهضة) [٢]، وحيث تبث إذاعة (الفاتيكان) وحدها عبر ست موجات قصيرة، بثلاثين لغة عالمية، تعمل ضمن ٤٠ محطة إذاعية تنصيرية، تبث أكثر من ألف ساعة أسبوعيًا.

---

١) د. محمود محمد سفر، الإعلام موقف، ص ٥٣.

٢) انظر عبد الرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة.

هذا بخلاف الصهيونية العالمية التي تسخر أكثر من (٩٥٤) صحيفة ومجلة، تصدر في (٧٧) دولة، تقوم عليها مجموعة كبيرة من محطات البث الإذاعي والتلفازي ومؤسسات الإنتاج المسرحي والسينمائي[١].

كما صاحب هذه الموجة من الإعلام الموجه حمى بث مشابهة استهدفت الإسلام والمسلمين في حملات مباشرة، فظهرت كتابات تطعن في عقائد المسلمين وتتناول الأنبياء والرسل بالتشكيك في رسالتهم وسيرتهم، بل إن بعض الاتجاهات العقائدية المشبوهة قامت أخيراً بتبني حملة إعلامية منظمة ضد المسلمين، انتصاراً لآرائهم الضالة فأنشؤوا شبكات إذاعية تبث برامجها، مستهدفة المسلمين في آسيا والخليج وإفريقيا[٢].

الدعوة الإسلامية والإعلام :

أهمية الإعلام الدعوي :

حسب العرض السابق : نلمس أن الإعلام يعتبر من أهم أدوات الأمة داخليًّا وخارجيًّا، ويعكس بالضرورة حقيقة الأوضاع السياسية والفكرية، ويقود الرأي العام في الداخل نحو التماسك الاجتماعي، مما يتطلب ضرورة الوصول إلى برنامج عام متميز يحقق إبراز رموز الأمة وحَمَلة الفكر فيها، مع افتراض درجة عالية من النقاء والوضوح.

وتظهر الأهمية أكثر عندما يكون للأمة فكر وعقيدة تسعى لنشرها وحمايتها عن إيمان وصدق ويقين.. وأمة المسلمين تحمل عقيدة الإسلام ورسالة التوحيد، فهي ـ ولا شك ـ في حاجة إلى تبليغ ما تحمله، ليس عن رغبة في الظهور، ولكن عن يقين وإيمان بأن ما تقدمه للناس هو الأصلح لهم والأنفع لدنياهم وآخرتهم.

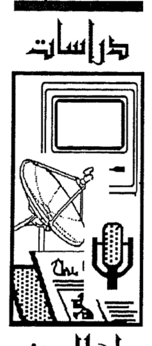
وأمام إحكام السيطرة الغربية على وسائل الإعلام : فإن مخاطبة الغرب بأفكاره

١) لمزيد من المعلومات : انظر : دراسات إعلامية،د. عبد القادر طاش ، ص ٩١، وكذلك : الإذاعات التنصيرية، د. أكرم شلبي.

٢) أشير هنا إلى القناة الفضائية القاديانية، انظر ما أثير حولها في صحيفة الشرق الأوسط، ع/٥٤٩٠، ١٥ /١/ ١٤١٥هـ، ٢٤ /٦/ ١٩٩٤م.

ومبادئه ـ التي هي في غير صالح المسلمين ـ تتم مباشرة لشعوب العالم الثالث، وضمنها الشعوب الإسلامية، مما أثر كثيراً في معظم المجتمعات الإسلامية على حساب دعوتها وعقيدتها، حتى كادت أن تضيع ملامح الدين الحق بين إفراط وتسيب وتشدد ومغالاة.

ولعل مما يؤكد سوء النية في التدفق الإعلامي الغربي (الذي سارت عليه معظم الأجهزة الإعلامية في كثير من بلاد المسلمين أنفسهم): ما تقوم به من حملات للنيل من الإسلام والمسلمين والطعن في معتقداتهم للنيل من عقيدة الأمة وتاريخها وتراثها بعامة، وبتشويه سيرة العلماء فيها، حتى أصبح التاريخ الإسلامي في الإعلام المعاصر لا يمثل سوى مواقف الثأر والغدر والتبذير، بل العشق والغرام.



الإعلام الإسلامي بين الواقع والواجب:

صحيح أن هناك محاولات ظهرت فيها بعض الزوارق الصغيرة تحاول الإبحار مع تيار الحق، تلك هي المجلات والصحف الإسلامية ـ ثم التلفاز بعد ذلك ـ لتحمل صوراً توجيهية وبرامج تتعلق بالدعوة الإسلامية، منها قراءة للقرآن الكريم، أو حديث ديني، أو ندوة، أو كلمة وعظ وإرشاد.. وبجانب بعض المحاولات التمثيلية والكتابات المسرحية، غير أنها اتسمت بقلة الإمكانات المادية نتج عنها ضعف في الإخراج وسوء الطباعة، رغم ما تحتويه بعضها من معلومات طيبة، مما جعلها غير قادرة على الوقوف في مواجهة المنافسة مع غيرها من الوسائل الحديثة [1].

ولكنها في النهاية صدرت تحت مسمى البرامج الدينية أو الصفحات الإسلامية في الصحف، بما كرس مفهوم المفاصلة بين ما تقدمه وسائل الإعلام من مواد عامة متنوعة وتلك التي حملت اسم الدين، فجعلها في عزلة، تعزيزاً للنظرة الغربية التي قامت على الفصل بين علوم الدنيا وعلوم الدين، متعارضة بذلك مع طبيعة الإسلام المتكامل الذي يجعل الحياة كلها عبادة.

---

١) د. محمد محمود سفر، الإعلام موقف، ص ٥٤.

ومما زاد عزلة هذه البرامج التي قدمت تحت مظلة الدين: أنها لم تحظ بنصيبها من الفن الإعلامي في التجديد والتسويق، وظهرت غريبة، وساعد على غربتها: تدني مستوياتها إخراجًا وتقديمًا بالنسبة إلى غيرها من البرامج الترويحية والمنوعات والرياضة... إلخ.

لهذه الأسباب وغيرها: تظهر الحاجة إلى إعلام ملتزم يحمل الدعوة الإسلامية بكل مفاهيمها وشمولها، مستقلاً عن المفهوم الغربي باتجاهاته المادية والعنصرية، حتى لا تقوم تلك الازدواجية بين ما هو برنامج ديني أقرب إلى الجمود منه إلى الحركة والعطاء، وما هو برنامج غير ديني مقيد بآداب المجتمع وقواعد الشرع، وبذلك يتحقق القضاء على الانفصام القائم بين الإعلام وبرامجه والشخصية السوية والنظرة المستقيمة، وبما يحرر الدعوة الإسلامية نفسها من هذه الأطر والنماذج التقليدية التي هي عليها ـ في كثير من وسائل الإعلام ـ للاستفادة من مميزات عدة تتميز بها هذه الدعوة الإسلامية، نذكر منها:

أولاً: الطبيعة الإعلامية للدعوة الإسلامية.

ثانيًا: قدرة الدعوة الإسلامية على استيعاب الوسائل المتاحة.

ثالثًا: تمايز المسيرة الإسلامية ومنطلقاتها.

وسنحاول أن نلقي الضوء باختصار على كل ميزة من هذه المميزات اعتبارًا من الحلقة التالية ـ إن شاء الله (تعالى) ـ مع استكمال باقي الموضوع.

نجيب محفوظ
خلفية فكرية لفنه الروائي

(١ من ٢)

بقلم: د. مصطفى السيد

ولد نجيب محفوظ في ١١/١٢/١٩١١م في وقت لم تكن الساحة الثقافية في مصر تعيش لحظة المخاض بين يدي ميلاد ثقافة جديدة مبهمة المعالم ملتبسة الخطوط، لم يكن الأمر كذلك؛ لأنه منذ تولى « محمد علي » (١٧٦٩م ـ ١٨٤٩م) حكم مصر بدأ مشروع تهميش جزء كبير من الإسلام وإقصائه عن الحضور الشامل في وجدان كثيرين من أفراد المجتمع وسلوكهم، كما جرى إبعاده عن أكثر مؤسسات الدولة، وحصره في المساجد والجوامع، وإضعاف أكبر معاقله التاريخيه في أرض الكنانة (الأزهر الشريف)، وذلك لحساب المدارس والبعثات الأجنبية التي شكلت العمود الفقري للبنية الثقافية الجديدة، ولقد سبقت البعثات التي أرسلها « محمد علي » إلى فرنسا هذه المدارس ومدارس البعثات الأجنبية إلى زحزحة الأزهر والأزهريين عن مكانتهم التاريخية بوصفهما مرجعين تربويين وعلميين في مصر وخارجها أيضاً.

ولقد أدى تقلص دور الأزهر والأزهريين في الحياة المصرية وتمدد المشروع الغربي إلى فتح كثير من منافذ البلاد الفكرية والثقافية أمام ذلك المشروع، ولا سيما شطره الفرنسي الذي أراد نابليون أن يجعل من أرض الكنانة أولى البلاد الإسلامية التي يزرع في تربتها بذور الثورة الفرنسية (١٧٨٩م).

يقرأ « جومار » الخبير الفرنسي الذي رافق «بيون في حملته على مصر، ثم أصبح مشرفًا على المبتعثين المصريين أيام « محمد علي » إلى فرنسا، يقرأ إجاباتهم فيعلق عليها قائلاً :

« يظهر من فحوى كتاباتهم : أنهم قبل أن يكتبوا يفكرون بعقل فرنسي لا بعقل عربي، فمن المنتظر أن الخرافات الشرقية ستمحى من عقولهم تدريجيًّا »[1] .

هكذا يرى هذا الفرنسي في هؤلاء المبتعثين بداية واعدة تؤذن بتفتت البنية العقلية العربية والهوية الإسلامية لهؤلاء الطلبة، فيقربهم ذلك من اعتماد المرجعية العقلية للحضارة الغربية ويعدهم للدوران في فلكها .

دور رفاعة الطهطاوي :

لقد ترتب على مشروع « محمد علي » انكماشًا وتهميشًا لدور الأزهر التاريخي والمستقبلي [2]، ومما يبعث على الأسى : أن هذا التراجع للأزهر ـ شيوخًا وطلابًا ـ قد تم على أيدي بعض الأزهريين، ويعد الأزهري « رفاعة الطهطاوي » (ولد عام ١٨٠١م) ضمن هذا السياق « ممثلاً حالة نموذجية لوضع العالِم ضمن مشروع « محمد علي » التحديثي، فـ « الطهطاوي » نشأ وتشكل في سياق التجربة الجديدة، ووجد في الشيخ « حسن العطار » (أستاذه، وشيخ الأزهر فيما بعد) القدوة والموجه، فالشيخ « حسن العطار » هو من العلماء

١) عمر طوسون، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية، ١٩٣٤م، ص ٤٠٨ .

٢) يؤكد نجيب محفوظ على هذه الحقيقة منذ فجر إبداعه الروائي الذي تناول فيه الشؤون والشجون المصرية عامة والقاهرية خاصة، كما في (القاهرة الجديدة) التي تدور أحداثها عام ١٩٣٤م، حيث يذكر فيها على لسان أبطاله : « الحاجة ماسة حقًّا إلى وعاظ من نوع جديد، من كليتنا لا من الأزهر » الرواية، ص ٤٤ ، وتبدو الشخصية التي تمثل توجهًا إسلاميًّا أو أزهريًّا، تبدو عاكسة لنظرة الكاتب إلى الإسلام والأزهر بوصفهما عاجزين عن التقدم، بل متهمين غالبًا بازدواج الولاء، وتناقض السلوك المعاش مع الدور المنشود من كل منهما، يبدو ذلك في أكثر رواياته .

القلائل الذين فتنتهم علوم المحتل الفرنسي ووقعوا تحت وطأتها، إن حداثة سن «الطهطاوي» ، والمرجعية الفكرية التي مثلها بالنسبة إليه الشيخ «العطار» ، مضافًا إلى ذلك نشأته الفقيرة: جعلت من الآفاق التي فتحتها أمامه سياسة «محمد علي» الأسس التي صاغت توجهه اللاحق عبر مختلف الكتابات التي حبّرها بعد رجوعه من فرنسا والتي شكلت تعبيراً دقيقًا عن واقع العالم الملحق بمنطق الدولة الناشئة، والمشارك في تنفيذ سياستها انطلاقًا من موقعه هذا»(١).

ولم ينته دور هؤلاء الأزهريين «القلائل» عند حدود المشاركة العلمية والعملية في التغريب الذي بدأ على استحياء أيام «محمد علي» ليصبح مشروعًا شاملاً في أيام محفوظ، لم ينته دورهم عند حدود تلك المشاركة، بل تطور إلى مدح ما قام به «محمد علي»، يقول «رفاعة الطهطاوي»:

«لو لم يكن للمرحوم «محمد علي» من المحاسن إلا تحديد المخالطات المصرية مع الدول الأجنبية لكفاه ذلك، فلقد أذهب عنها داء الوحشة والانفراد، وآنسها بوصال أبناء الممالك الأخرى لنشر المنافع العمومية، واكتساب السبق في ميدان التقدمية»(٢).



وهكذا تحول الشيخ «رفاعة» إلى مجرد باحث عن كل ما يبرر ويدعم سياسات «محمد علي» التحديثية التي كانت أساس الانفتاح على الغرب، وقد وصل في أحايين كثيرة إلى حدود التهور والفجاجة، لقد كان المتوقع أمام المأزق الحضاري أيام «محمد علي» العودة إلى التجربة الإسلامية الراشدة، لتحصين الأمة بدينها، لا باستعارة حضارة لم تأت بتقدم، ولم ترتق بدين يمتلك عناصر الرقي ويحفظ على الأمة وحدتها وشخصيتها ورسالتها.

---

١) مجلة الفكر العربي، آذار/مارس ١٩٨٧م ،ع/٤٥، من مقال: عقيدة التحديث عند الطهطاوي، بقلم: د. حسن الضيقة.

٢) الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، د. محمد عمارة، جـ١ ،ص٤٤١ ـ ٤٤٢.

دعاة التغريب ورموزه:

وبمرور الزمان أخذ الاتجاه نحو تغريب المجتمع العربي المسلم في مصر، ومن ثم: بقية العالم العربي، أخذ يشتد ساعده ويكثر مساعدوه، ويتغلغل فكراً ومفكرين في شؤون الحياة كلها، ويتقدم نحو مواقع كانت تاريخيًا وقفًا على دعاة التوجه الإسلامي.

وكان في دعم الدولة ممثلة بالخديوي «إسماعيل» حفيد «محمد علي» أقوى الأسباب التي مكنت للمشروع الغربي في مصر، يضاف إلى ذلك: ضعف الدولة العثمانية التي آذنت شمسها بمغيب، وزاد الطين بلة: غياب مخطط إسلامي يوقف التداعي الداخلي.. هذه الأمور وأمور أخرى ـ ليس هنا موضع سردها ـ تركت الساحة العربية المسلمة مشرّعة على شتى الاحتمالات، تستقبل شتى التحديات واهنة القوى مشتتة الرأي؛ فاشرأبت أعناق دعاة التغريب من المثقفين لتقصر المرجعية الحضارية على لندن وباريس، وجأر «أحمد لطفي السيد» (١٨٧٠م ـ ١٩٦٣م) بدعوته إلى الليبرالية الغربية، ومحاربته للجامعة الإسلامية، جاعلاً من سلبيات الحكم العثماني منطلقًا لمجابهة أي توجه إسلامي، ومن إشرافه على الجامعة المصرية (١٩٢٥م ـ ١٩٤١م) فرصة لا تفوّت لتأسيس هذه الجامعة توجهًا ولوائح ومناهج على أصول الفكر الليبرالي الغربي.

وبالجملة: فلقد «انتقل الفكر القومي على يد «لطفي السيد» إلى مرحلة جديدة، وقد تميز فكره السياسي بالخصائص التي ميزت فكرة الطهطاوي، وهي:

الإيمان بـ: القومية المصرية، والديمقراطية الليبرالية؛ والدعوة إلى نقل مقومات الحضارة الغربية، وإن تميز بأن تفكيره أكثر علمانية كما يتضح من مهاجمته لفكرة الجامعة الإسلامية» [1].

---

١) البطل في الرواية المصرية المعاصرة، د. أحمد إبراهيم الهواري، ص٦٥، دار المعارف، ط٣، ١٩٨٦م.

دور علي عبد الرازق الانهزامي :

في هذا المناخ الليبرالي أخرج «علي عبد الرازق» كتاب (الإسلام وأصول الحكم) سنة ١٩٢٥م، مكملاً بذلك الشطر الآخر من دعوة «أحمد لطفي السيد» الذي استمات في الدفاع عن القيم الغربية وتقديمها للشرق العربي المسلم بوصفها الدواء الشافي لكل علل التأخر والتخبط، لقد أراد «علي عبد الرازق» أن ينهض بالشطر الأهم من هذه الهجمة المتمثل بالدعوة الكاذبة القائلة بخلو الإسلام من العناصر اللازمة لقيام دولة، وأن كل ما في الإسلام عن هذا الجانب لا يعدو بعض القيم الأخلاقية التي هي أضعف من أن تشكل دولة بالمفهوم القديم لهذه الكلمة، فأنّى لها أن تكوّن عناصر قيام دولة بالمفهوم المعاصر؟.

الأدباء والدعوة لليبرالية:

ولم تكد العاصفة التي أحدثها (الإسلام وأصول الحكم) تهدأ حتى يفاجأ العرب المسلمون في مصر وخارجها بكتاب (في الشعر الجاهلي) سنة ١٩٢٦م، لا ليمثل ثرثرة حول قضايا أدبية تتسع لأكثر من رأي، بل للتشكيك في صدق الحقائق التاريخية الموجودة في القرآن الكريم، وإذا كان الجمهور المصري من عامة وعلماء وأحزاب ـ أكثرهم ـ قد أدانوا الكتاب الضرار، فإن «أحمد لطفي السيد» عمل بكل ما في وسعة مستغلاً حرية البحث العلمي واستقلالية الجامعة، ليواري بها السوأة الفكرية للكتاب والكاتب، داعماً مثل هذه البحوث المشبوهة وأصحابها الذين صُنعوا على أعين الغرب.



في هذا المناخ القاتم الذي يعد امتداداً لمشروع «محمد علي»، و«رفاعة الطهطاوي»، و«حسن العطار»، وما كان يحمل من بذور حضارية نافعة غطت عليها والغتها سيطرة الروح الغربية الطاغية على دعوته ودعاته، ثم تجلّى هذا المشروع بداعية جَلَد ضاعف فيه من الجرعة الغربية، وقلّت فيه الروح الإسلامية الواهنة التي صاحبت دعاة المشروع الأوائل، قصدت بذلك من أطلق عليه لقب

أستاذ الجيل: «أحمد لطفي السيد»، ولم يكن «لطفي السيد» يعمل وحيداً، بل آزره «علي عبد الرازق» و«طه حسين» من خلال ما كتبا، وأخيراً: يأتي تراجع الأزهر؛ ليزيد الطين بلة، ويبلغ السيل الزبى والحزام الطبيين...

بيئة نجيب محفوظ وثقافته:

في هذا المناخ القاتم يولد هذا الروائي الكبير ليمتص هذا الثقافة، ويغذو قلبه وعقله بفكرها ومفكريها، يولد في مثل هذا المناخ الملوث الذي يشكل حصاراً وتحديًا لكل محاولات البعث الإسلامي، يتنفس محفوظ في هذا الجو، وتتأسس ثقافته، ومن ثم: إبداعه الروائي، تأسيساً يجعل منه اللسان الروائي لتجمع (الضرار).

لم يكن محفوظ ليتردد في الانتماء الثقافي والروائي والسياسي إلى تجمع (الضرار) الذي يمكِّن عمليًّا وفي العمق للفكر الذي يتناقض مع الدين، في الوقت الذي يعلن فيه الضراريون أنهم لا يعملون إلا لبعث الدين ﴿ **وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [التوبة: ١٠٧].

وإذا كان الفكر الغربي يجد بعض المسوغات لتسويقه في بلاد المسلمين بما يمتلك من منجزات في الميدان التقني، فبم نفسر انحياز الأستاذ «نجيب محفوظ» لفكر منقرض مذموم في الكتاب والسنة ؟ ، وكيف نفهم قوله لـ«جمال الغيطاني» الكاتب الروائي: «إن العصر الفرعوني هو المرحلة المضيئة في مواجهة الواقع المر الذي كنا نعيشه»[1].

ولقد أتيحت لهذا الروائي الموسوعي الفرصة لكي يطل على الثقافة الإسلامية من موقع علمي وموثوق، وذلك عندما سجل رسالة الماجستير عن «علم الجمال عند المسلمين» بإشراف العلامة الشيخ «مصطفى عبد الرازق» (رحمه الله تعالى)، وكانت الفرصة ـ لو تمَّت ـ ستتيح للكاتب الاطلاع على

١) نجيب محفوظ يتذكر، إعداد جمال الغيطاني، ص ٤٤.

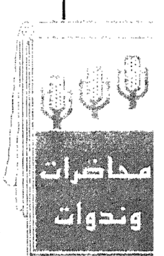
الثقافة الإسلامية من مصادرها التي يعتد بها ، لا من المشعوذين الذين ازدحمت قصصه ورواياته بشخوصهم وآرائهم ، إن الجلوس مع أمثال الشيخ « مصطفى عبد الرازق » كان سيشكل مكسباً عظيم العائد والمردود لهذا الروائي المتمكن، لقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، واستعاض بالشيخ « مصطفى عبد الرازق » أصدقاء كان يشرب معهم الشيشة ويحتسي بعض كؤوس الويسكي والاستماع إلى أم كلثوم [١].

تتلمذه على «سلامة موسى»:

كما استبدل بالشيخ رأساً من رؤوس الفكر الغريب عن روح الأمة وعن تجربتها ومسيرتها، قصدت بذلك « سلامة موسى » الذي يقول عنه محفوظ:

« وكان لـ « سلامة موسى » أثر قوي في تفكيري؛ فقد وجهني إلى شيئين مهمين هما: العلم، والاشتراكية، ومنذ دخلا مخي لم يخرجا حتى الآن »[٢].

إن « سلامة موسى » قد وجهه إلى العلم الذي جعل « كمال عبد الجواد » يقول على لسان الكاتب في (قصر الشوق) : « أبونا آدم؟!، لا أب لي، ليكن أبي قرداً إذا شاءت الحقيقة ، إنه خير من آدميين لا عدد لهم، لو كنت من سلالة نبي حقًّا ما سخرت مني سخريتها القاتلة»[٣].



لعله ليس من المبالغة القول: إن التصور الإسلامي بما يمنح المؤمن من القدرة على تجاوز اليأس والإحباط، واستبدال التفاؤل بالتشاؤم، إن هذا التصور عندما غاب عن رؤية الكاتب لمستقبل الصراع العالمي للإنسان فإنه جعل هذه الرؤية « لا تحمل أملاً في خلاص الإنسان، ولا حلماً بالخلاص، والأديب الذي يكتب بمثل هذه الرؤية، لا يُنتَظر منه أن يعيد تشكيل الواقع ليكشف عن رؤية جديدة للإنسان والواقع ، وغاية ما يمكن أن يقدمه هو الوقوف عند حدود

---

١) المرجع السابق ، ص ٨٨.

٢) المرجع نفسه.

٣) قصر الشوق ، ص ٣٤٧.

تصوير الواقع الذي يراه في صورة مأساة كاملة ومستمرة»[١].

إن غياب هذا التصور قد أفقد الكاتب تلك النزعة المتفائلة والواعدة بمستقبل أفضل للإنسان، تلك النزعة التي أخذها أمثال «ديكنز» و«تولستوي» و«همنجواي» من نصرانية محرفة، فباعدت بين أدبهم واليأس والقتامة، في حين كان بمقدور كاتبنا أن يفيد من روضة الإسلام (اللامتناهية) في هذا الموضوع، ومن روحية الشعب المصري المفطور على الكفاح المتفائل، والمكتشف بحسه الروحي لحزم النور في ليالي الظلام المتكاثف.

لقد أدار الكاتب ظهره، ونأى بقلمه عن الاستفادة من الكنوز الروحية لمصر الإسلامية، وراح ينقل الهموم الغربية إلى الرواية العربية نقلاً جعل بعض النقاد يقول: «إن جرأة مشروع محفوظ في (حكاية بلا بداية ولا نهاية).. وهو طي صفحة التصور الديني للعالم، وتكريس التصور العلمي بديلاً له ووريثًا، وأن التصور الديني للعالم قد دبت فيه الشيخوخة، وفَقَد القدرة مثله مثل الشرايين حين تصاب بالتيبس على الاستجابة لمتطلبات العصر الذي لا سنة له غير التغير»[٢].

وبقدر ما كان محفوظ يباعد ما بينه وبين التصور الإسلامي ويقترب من الغرب المقيم من خلال مثقفيه ومسوقيه من العرب، والغرب البعيد في دياره وأوطانه.. بقدر ما كان يفعل ذلك كانت أزمته تكبر وكان يسقطها على أبطاله مع كثير من التعسف والقسر الفني والموضوعي للشخصيات لتكون مطواعة لتصورات الكاتب.

لقد ظهر ذلك جليًّا في رواياته (اللص والكلاب)، و(السمان والخريف)، و(الطريق والشحاذ)، وأجلى ما يكون في (دنيا الله)، و(حكاية بلا بداية ولا نهاية) ولينفجر مدويًا فادحًا وفاضحًا في آن معًا في (أولاد حارتنا).

---

١) الرؤية والأداة، ص ٦٤.

٢) (الله) في رحلة نجيب محفوظ الروائية، جورج طرابيشي، ص٨٨ - ٩٠.

ولعلي اكتفي بشواهد من (الثلاثية) التي جسدت هذه الأزمة:

تأتي أقوال «كمال» بن السيد أحمد عبد الجواد أحد أبطال الثلاثية (بين القصرين، قصر الشوق، السكرية) [١] لتجسد بصورة صارخة عمق الأزمة الروحية لمحفوظ، مبرزة رؤيته القاتمة للدين، سواء بقيمته المعنوية في حفظ كيان الفرد والأمة، أو لجهة دوره في الصراع المستقبلي، بوصفه أحد أهم عناصر النصر في هذا الصراع، إن لم يكن بتطبيقه وفهمه الفهم الدقيق عنصر النصر الوحيد.

وأقوال «كمال عبد الجواد» وغيره من أبطال محفوظ لا تظهر أزمة الكاتب الروحية وموقفه من الدين فحسب، بل تبلور انعكاس أفكار «سلامة موسى» في الكاتب ودعوة «محمد علي» و«رفاعة» إلى التغريب التي كانت لها تجلياتها في مختلف مجالات الحياة العربية المسلمة في مصر، وكتابات محفوظ تمثل في إنتاجها أحد أهم هذه التجليات.

ولقد دندن أكثر النقاد عن العلاقة بين محفوظ وأبطاله عامة و«كمال عبد الجواد» بصورة خاصة، وإذا كان النقاد قد وقفوا على أرضية صلبة في استكشاف معالم العلاقة بين كل من «نجيب محفوظ» و«كمال عبد الجواد» بوصف جهدهم عملاً مشروعًا من الناحية النقدية، فهم قد تركوا إبداعات مهمة في رصد هذه العلاقة وإثبات وشائج القربى بينهما، ومما أكد على عمق العلاقة: مقولات الكاتب نفسه التي أصّلت مقولات النقاد ورسخت ما ذهبوا إليه[٢].



---

١) بين القصرين: من أكتوبر ١٩١٧م إلى إبريل ١٩١٩م، وقصر الشوق: من يوليو ١٩٢٤م إلى ٢٣ اغسطس ١٩٢٧م، والسكرية: من يناير ١٩٣٥م إلى صيف ١٩٤٤م.

٢) في كتاب (نجيب محفوظ، إبداع نصف قرن)، إعداد وتقديم «غالي شكري»، يقول «سامي خشبة»، ص ٨٢ عن الثلاثية: «كان موضوعها الأساسي هو معاناة كمال الروحية والفكرية والاجتماعية، باعتباره تصويراً للمؤلف نفسه، كما أقر بذلك نجيب محفوظ»، وتقول د.«لطيفة الزيات» في شهر ٩/١٩٩٦م في الكتاب نفسه، ص ١٩٣: «قد صرح محفوظ أكثر من مرة بان شخصية كمال في الثلاثية إنما هي التصوير الفني لشخصه في الواقع».

يقول محفوظ: «الثلاثية، وأولاد حارتنا، والحرافيش: هم أحب أعمالي إلى نفسي، في الثلاثية ـ كما قلت ـ : جزء كبير من نفسي، يتمثل في شخصية «كمال عبد الجواد»، إن أزمة كمال هي أزمتي، وجانب كبير من معاناته هي معاناتي، من هنا يجيء حبي للثلاثية وحنيني إليها»[١].

لنستمع إلى ما أورده الكاتب على لسان «كمال عبد الجواد»، ولنَرَ المسافة البعيدة التي قطعها في البعد عن الدين، ووقوعه في حيرة وشك قائلين: «سيكون [أي: كمال] في تحرره من الدِّين أقرب إلى الله مما كان في إيمانه به»[٢]، ويقول كمال مناجيًا نفسه في «قصر الشوق»: «كان كأنما يود أن ينعي إلى الناس عقيدته، لقد ثبتت عقيدته طوال العامين الماضيين أمام عواصف الشك التي أرسلها «المعري» و«الخيام»، حتى هوت عليها قبضة العلم الحديدية فكانت القاضية، على أنني لست كافرًا!، لا زلت أؤمن بالله، أما الدين!، أين الدِّين؟!، ذهب كما ذهب رأس الحسين، وكما ذهبت عايدة [حبيبته]، وكما ذهبت ثقتي بنفسي، كفى عذابًا وخداعًا، لن تعبث بي الأوهام بعد اليوم، أبونا آدم؟!، لا أب لي ، ليكن أبي قردًا إن شاءت الحقيقة، إنه خير من آدميين لا عدد لهم، لو كنت من سلالة نبي حقًّا ما سخرت مني سخريتها القاتلة»[٣].

إن «كمال عبد الجواد»، ومن قبله «إسماعيل» بطل (قنديل أم هاشم) لـ«يحيى حقي»، وبطل (الأيام) و(أديب) لـ«طه حسين»، و«محسن» بطل (عصفور من الشرق) لـ«توفيق الحكيم» ليسوا إلا فتية من سلالة «رفاعة الطهطاوي»[٤].

---

١) المرجع نفسه، ص ٦.

٢) قصر الشوق، ص ٣٥٠.

٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٧.

٤) مجلة فصول، ١٩٨٢م، ص ٥٩.

هموم ثقافية

السقوط عند اللحظة الفارقة

بقلم: د.أحمد إبراهيم خضر

لبعض الكتاب علامة فارقة تميزه عن غيره، فهو صاحب مبدأ لا يتغير، وبعضهم متقلب الفكر يميل مع الريح أنّى مالت، ولا سيما إذا وجد فيها مصلحة ما أو أداءً لدور معدّ سلفًا، وحديثي عن رجل من النوع الثاني، اتسم ـ زيادة على ما ذكرت ـ بعداء شديد للفكر الإسلامي ورواده المعاصرين، وهو مع كل توجه منحرف لأدعياء الفكر الإسلامي، إذ هم عنده رموز لا تمس، وإن هلكوا فهم ـ في تصوره ـ شهداء، إنه المدعو «غالي شكري».

فمن هو «غالي شكري» هذا؟!، وأين هو الآن؟.

إنه حامل حقيبة «سلامة موسى» كما وصفه الأستاذ «محمود شاكر»[1].

«غالي شكري» هو الكاتب القبطي الماركسي المعروف، رئيس تحرير مجلة (القاهرة) اليسارية، صاحب (النهضة والسقوط)، و(الماركسية والأدب)، و(قضية الجنس في الأدب)، و(ثورة المعتزل) و(المنتمي)، و(نجيب محفوظ في خط المواجهة).. إلخ.

هو التلميذ التابع لـ«لويس عوض» ـ كما يقول عن نفسه ـ.

كوّنت فكره: الترجمات الروسية والفرنسية، ومطبوعات دار التقدم بموسكو، وأفكار «لينين» و«يلنجانوف» و«ماركس» و«إنجلز»[2].

صحب «غالي شكري» «سلامة موسى» ست سنوات (كصحبة «أوجست كونت» الشاب «سان سيمون» العجوز) وكان من أهم قرائه، وأكثرهم نبشاً في فكره، وأقدرهم على الإشارة إلى مواطن ريادته!.. احتفى «سلامة موسى» بتلميذه «غالي شكري»، ودعاه إلى زيارته في بيته،

1) محمود شاكر، أباطيل وأسمار، ص ٣٣٤.

2) مجلة (العربي)، ع/٤٥٢، يوليو ١٩٩٦م، ص ٧٠.

ومدّ له يد العون، وقيل عنه: إنه ابن أخته[١]، لقن «سلامة موسى» تلميذه الجديد معلومات جديدة عن «فرويد» و«نيتشه» و«شو»، و«تولستوي»، ثم علّمه كيف يحول هذه المعلومات إلى خبرة حية ومزاج عقلي، في وقت لم يكن في بيت «غالي شكري» إلا كتاب واحد، هو (الإنجيل)[٢].

معظم أفكار «غالي شكري» ترديد لأفكار «سلامة موسى»، هذا الأخير الذي يزعم أن «الله» فكرة! ، والدين هو الإنسانية، وفرنسا هي القبلة[٣]، والتعليم لا بد أن يكون أوروبيًّا لا سلطان للدين عليه ولا دخول له فيه، هذا الأستاذ هو صاحب مقولة «نحن في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان»، لغة القرآن عند «سلامة موسى» لغة بدوية لا تكاد تكفل الأداء إذا تعرضت لحالة مدنية كتلك التي نعيش بين ظهرانيها[٤].

أصدر «غالي شكري» مجلته (القاهرة) اتسلحة بما يسمونه بالفكر الحر والمتقدم في خط المواجهة الأول للدفاع عن العقلانية من أجل صياغة مشروع ثقافي وفكري مستنير[٥]، ضد دعاة الجمود والتخلف المتمسكين بالموروثات دون تغيير، الذين يقدمون القرابين للسلف الصالح[٦]، تمامًا مثلما أصدر «سلامة موسى» مجلته (الجديد) اليسارية العلمانية الجريئة.

«سلامة موسى» هو أول من أصدر كتابًا بالعربية في مصر عن الفكر الاشتراكي، وهو الذي صدَّر صورة «كارل ماركس» في العدد الرابع من مجلة الهلال، التي كان يرأس تحريرها عام ١٩٢١م.. تقلد «غالي شكري» خطى «سلامة موسى» نحو الاشتراكية مثلما تقلدها «لويس عوض» و«نجيب محفوظ» من قبله[٧]، ولما سئل «نجيب محفوظ» عن تأثره بعلمانية «سلامة

١) محمد محمود عبد الرازق، سلامة موسى.. أبي وأبوه، مجلة (القاهرة)، ع/١٥٤، ٩/١٩٩٥م.
٢) مجلة (العربي)، مصدر سابق، ص ٧١.
٣) غالي شكري، حساب سلامة موسى مع التاريخ، مجلة (القاهرة)، ع/١٥٤،ص١٣٥، ١٣٦.
٤) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ص ٢٢١ ـ ٢٢٣.
٥) انظر مجلة (القاهرة)، ع/١٥٦، ١١/١٩٩٥م، ص ٣.
٦) غالي شكري، من المحرر، (القاهرة)، ع/١٥٧، ١٢/١٩٩٥م، ص ٣.
٧) محمد محمود عبد الرازق، مصدر سابق، ص ١٥٨.

موسى »، وإلى أي مدى ظهر هذا التأثير على ملامح شخصيته؟، أجاب ـ ضمن ما قاله بالحرف الواحد ـ: « لهذا أشعر بالإجلال لـ « سلامة موسى » ولخدمته لهذا الوطن ودعوته للاشتراكية.. (بلاش) اشتراكية لأنها كلمة سيئة السمعة »[1] .

« غالي شكري » و« سلامة موسى » من أصحاب المشروع الثقافي الطائفي، وكان الأخير ينظر إلى نفسه كمثقف عربي طائفي[2] ، لكنه أخفى تعصبه الطائفي تحت عباءة الاشتراكية مثلما أخفاه « غالي شكري » تحت عباءة الماركسية، نادى « سلامة موسى » بالتعقيم الاختياري[3]، ودعا إلى ضبط النسل، في الوقت الذي أنجب فيه ثلاثة صبيان وخمس بنات!!،[4] أما « غالي شكري » الذي يقول عن نفسه أنه درس القرآن ـ قراءة وتدويناً ـ، وحفظه عن ظهر قلب[5] : فقد جعل مجلته منبراً ينادي بالعلمانية، وقلعة للماركسية وأفسح مساحات كبيرة فيها لـ « ألبير قصيرى » و« جورج عبد المسيح بشاي » و« سمير صادق حنا » و« مجدي فرج » و« ماري إلياس » و« ميخائيل جرجس » و« جرجس شكري » و« إلهام غالي » و« توفيق حنا » يرسمون ويتحدثون عن (دليل الحيارى في أعمال النصارى) و(مع المسيح ذلك أفضل) وعن (الأقليات والألحان القبطية وامتداداتها الفرعونية).. إلخ[6]، والأخطر من ذلك: الترويج لفكرة الإلحاد [7].

وإذا كان « سلامة موسى » قد وضع التجارب فوق العقائد، وأخرج الدين من دائرة علاقة الإنسان بالحكومة، وحكم بالموت على كل من يؤمن بتدخل الدين في أصول المعاملات بين الناس من تجارة



١) هاني لبيب، نجيب محفوظ.. سلامة موسى وجهاً لوجه، (القاهرة)، ع/١٥٨، ١/ ١٩٩٦م.
٢) محمد محمود عبد الرازق، مصدر سابق، ص ١٥٨ .
٣) المصدر نفسه، ص ١٧٥ .
٤) غالي شكري، حساب سلامة موسى مع التاريخ ، مجلة (القاهرة)، مصدر سابق ،ص ١٣٦ .
٥) انظر : (العربي)، مصدر سابق ، ص ٧١ .
٦) انظر: (القاهرة) ،ع/١٤٠، ٧/ ١٩٩٤م، ص١٣ ـ ٨٠ ، ١٤٧ ـ ١٧٥، وع/١٥٤، ٩/ ١٩٩٥م، ص ١٧٥.
٧) رمسيس عوض، عصر الإلحاد ونهاية المسيحية في الغرب، (القاهرة)،ع/١٥٢، ٦/ ١٩٩٥م، ص١٧٠ ـ ٢١١.

وزواج وامتلاك [١]، فإن تلميذه «غالي شكري» قد تعرض بخبث للإسلام والإسلاميين، تارة في ثنايا مدحه لتفاعل الحضارة العربية الإسلامية مع غيرها، وتارة ثانية تحت دعاوى الإرهاب والتطرف، وأخيراً: تحت مظلة الديمقراطية وحرية الفكر والتعبير.

«غالي شكري» هو الذي كتب قائلاً: «إن ميراثنا الحضاري يقبل التغيير والتجدد، فلا يجوز أن نسمح لدعاة الجمود بالإبقاء على موروثاتنا دون تغيير، ومن ثم: لا يجوز أن نقدم القرابين للسلف الصالح»، ولهذا استمات حتى أعاد من على منبره اليساري نشر كتاب (في الشعر الجاهلي) لـ «طه حسين»، ودعوة «شادي عبد السلام» لإحياء الفرعونية، كما نشر محاكمة «نصر حامد أبو زيد» تحت عنوان «وثيقة إعدام مثقف مصري» [٢] .

وخصص مساحة كبيرة لنشر محاكمة «محمد محمود طه» زعيم الإخوان الجمهوريين في السودان [٣] الذي ارتد عن الإسلام وأُمهل ثلاثة أيام ليتوب، لكنه لم يتب؛ فأعدم شنقاً في صباح الجمعة ٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٥هـ الموافق ١٨/١/١٩٨٥م بتهمة الزندقة ومعارضة تطبيق الشريعة الإسلامية.

«محمد محمود طه»، رجل يمتاز بقدرة فائقة على المجادلة والملاحاة، أسس حزبه الجمهوري سنة ١٩٤٥م ، قال بآراء دينية منحرفة مصحوبة بكثير من الآراء الشخصية لم يقل بها أي عالم من علماء المسلمين وأئمتهم ، قال : إنه صاحب الرسالة الثانية التي تلقاها من الله نفسه كفاحاً بدون واسطة ليرفع وصاية الشريعة الإسلامية عن الرجال والنساء؛ ولهذا أسقط التكاليف الشرعية عن الإنسان في مرحلة من المراحل لاكتمال صلاحه، ولعدم و جود داع للعبادة بعدها.. الجهاد عنده ليس أصلا في الإسلام، ولا الحجاب، ولا الزكاة، وتعدد الزوجات كذلك، والدين عنده هو الصدأ والدنس، أما القرآن: فهو شعر ملتزم، وموسيقا عُلوية، يعلِّم كل شيء

١) محمد محمود عبد الرازق، مصدر سابق ، ص ١٧٣ .

٢) (القاهرة)، ع/١٥٩، ٢/ ١٩٩٦م.

٣) عطيات الأبنودي ، النص الكامل لمحاكمة وإعدام زعيم إسلامي في السودان، (القاهرة)،ع/١٣٤، ١/١٩٨٥م.

ولا يعلّم شيئًا بعينه، حرّض الجنوبيين المسيحيين في السودان ضد تطبيق الشريعة، وروج لفكرة الإنسان الكامل الذي هو زوج الله (!!)[١].

لهذه الأسباب، ولسبب آخر مهم، هو دعوته إلى ما يسميه بالمساواة الاقتصادية التي تبدأ بالاشتراكية وتتطور نحو الشيوعية، ومناداته بالفردية المطلقة، بمعنى أن يكون لكل فرد شريعته الفردية، خلع عليه اليساريون ألقابًا وصفات عديدة، منها: الأستاذ ـ الشهيد ـ المفكر الإسلامي ـ صاحب الدماء الزكية ـ كاتب صفحات النور في تاريخ الفكر والاستنارة، وأعدوا له فيلمًا بعنوان «القتلة يحاكمون الشهيد»[٢].

«غالي شكري» يريد شابًّا متدينًا من طراز خاص جدًّا، أهم ما فيه أنه لا يقدم القرابين للسلف الصالح!! ولكنه نسخة مطابقة لشخصية «أحمد عبد الجواد» في ثلاثية نجيب محفوظ.

يقول «غالي شكري» عن «أحمد عبد الجواد»: «فهو المؤمن المتدين الذي يقضي لياليه بين الخلان شاربًا، وبين العوالم راقصًا، وبين النساء متهالكًا نشوان طروبًا، دون أن يفرض على الوعي أي تناقض بين أداء الفرائض وفرضها على أفراد عائلته، والحياة الليلية الملونة.. شخصيته مزدوجة حقًّا!، ولكن ما أبعدها عن التمزق؛ فلا إحساس بالذنب، ولا عذاب للضمير، وإنما انسجام تام بين الوجهين كأنهما وجه واحد»[٣].

«غالي شكري» كأستاذه «سلامة موسى» من دعاة «المتوسطية» نسبة إلى انتماء مصر إلى أوروبا ـ عبر المتوسط ـ لا العرب، وشكل الاستعلاء على العرب والسلام مع إسرائيل جزءًا من أطروحته الوطنية الثقافية مع «نجيب محفوظ» قبل عام ١٩٥٢م وبعده[٤]، ولكنه لما دعي إلى احتفال ولادة معجم البابطين للشعراء المعاصرين في الكويت تلوّن وقال: «فمن يملك التاريخ الواحد وسمات الأمة الواحدة لا يمكن أن يختلف مع زميله[٥]، رغم أنه قال قبل ذلك: «إن

١) الجمهوريون في السودان، الموسوعة الميسرة المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص ١٨١ ـ ١٩٠.
٢) عطيات الأبنودي، مصدر سابق، ص ٤٥.
٣) غالي شكري، نجيب محفوظ في المواجهة، (القاهرة) ع/١٥٧، ١٢/١٩٩٥م، ص٥٧.
٤) المصدر السابق، ص ٤٦ ـ ٧٠.
٥) المصدر السابق، ص ٣.

اللغة والدين والتاريخ المشترك أحيانًا بين المصريين وغيرهم من العرب لا تقيم شمل أمة أو قومية »[1].

ولأن العدو واحد عندهم جميعًا، هم الذين يطلق عليهم « غالي شكري » : « الجهلاء، خصوم العقل، الذين تمكنوا من رفع الصوت عاليًا في البرلمان ضد الشعر والنشر واللون، وفي ساحات المحاكم، وفي الغرف المغلقة داخل الجامعات »[2]، تناسى ما قاله بالأمس من أن الصحراء تفصل بين مصر والعرب، وأن المتوسط هو الذي يربط بينها وبين أوروبا(!)، ليقول اليوم : « أصحاب المال العرب » قدموا نموذجًا رفيعًا على أن العطاء الثقافي هو أعظم أنواع العطاء[3] .

حينما تعرض « نجيب محفوظ » لمحاولة اغتياله بعث إليه « غالي شكري » يواسيه، ويقول له : إنه تعلم منه ومن تجربة اغتياله شجاعة العقل والتعقل، وشجاعة الإصرار إلى حد الاستبسال، وإنه صامد متمسك بالعقلانية، ولن يتخلى لحظة واحدة لرعد العواصف الهوجاء الطائشة العمياء، حاملاً الراية ذات النجوم الثلاث « الحرية، والمعرفة، والعدالة »[4].

هذا ما قاله « غالي شكري » ، لكنه « عند اللحظة الفارقة » التي سمع فيها بحادث (أديس أبابا) سقط مصابًا بجلطة في الدماغ، فأصبح عاجزاً عن التفكير والحركة معًا، فحملوه إلى قبلته (باريس) على كرسي متحرك .

ومع سقوط غالي شكري « تصاعدت في كل أركان الضمير الثقافي العربي صيحات الفزع، فليس ذلك العقل اللامع مما يمكن تعويضه، خاصة في هذه الفترة الحرجة من عمر المأزق الثقافي العربي » هكذا اعترف الحواريون[5]، أما لحظة انهيار الحواريين فقد كتبوها بأيديهم في النص التالي : « ما الذي سيحدث لو (لا قدر الله!) وأصيب الرئيس، إلى أين سنتجه؟، وماذا سنكون؟، من هو القادم؟، ما هي صفاته؟، كيف سيسلك معنا؟، وهل سينتهي الأمر عند هذا الحد، أم إنها هوجة كبرى ستأتي على الأخضر واليابس في هذا البلد الذي لم يعد يحتمل المزيد؟ ،

١) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

٢) المصدر السابق، ص ٣٥ .

٣) المصدر السابق ، ص ٣ .

٤) المصدر السابق، ص ٣٣ .

٥) مجلة العربي ، مصدر سابق ، ص ٦٨ .



لا بد أن «غالي شكري» قد أحس بهذا كله لأن الأرض دارت به، ولأن الألم تصاعد إلى رأسه[1].

الوزراء يتقدمهم كبيرهم، والمثقفون من كبار المسؤولين.. وغيرهم التقوا حول «غالي شكري» في أزمته هذه.. «كانت الجموع من حولي، من اللحظة الأولى خير عنوان على هذا الشوق العارم» أثبت الجميع «.. على اختلاف اتجاهاتهم أنهم حريصون ليس على غالي شكري بالتحديد، ولكن على ما يمثله غالي شكري من قيم ومبادئ في الحياة المصرية».. هكذا توهم غالي شكري.

«لقد كنتم جميعًا أهم كثيراً من العصا في يدي لتعلم المشي من جديد، كنتم جميعًا أهم من المقعد المتحرك تحتي في قطع المسافات قبل أن ينقلني مجدداً إلى الحركة الطبيعية، إنكم كنتم حولي في أقسى اللحظات، وسوف أذكر ما حييت كيف أن بعضكم قد ترك مسرات الحياة وعادني في وقت صعب».. هكذا قال «غالي شكري».

وعاد «غالي شكري» إلى منبره مرة أخرى «خشية على مستقبل الفكر في مصر» وما يمثله للحياة المصرية من قيم ومبادئ[2] كما توهم.

لكن الحال لم يدم طويلاً، إذ سقط «غالي شكري» مرة أخرى مصابًا بجلطة ثانية في دماغه، واختلف الأمر هذه المرة، فهؤلاء الذين تركوا مسرات الحياة وعادوه في وقت صعب.. لم يكونوا يفعلون ذلك من أجله، إنما من أجل شيء آخر نتلمسه في النص التالي الذي كتبوه بأيديهم ومن فوق منبرهم:

«إلا أن هناك في الحياة الثقافية سلوكًا أخلاقيًّا تكرر إلى حد ما يشبه الظاهرة كاملة الأركان، وهذه الظاهرة هي ما يعبر عنه المثل الشعبي العميق (عايزين جنازة ويشبعوا فيها لطم)!.. في هذا السياق هناك من كانوا ينتظرون غياب «غالي شكري» في حالة شبه نشوة حبيسة؛ وذلك للقفز بسرعة الزمن إلى مكانه ومكانته».

لم تنته الصورة بعد، ولم يسقط «غالي شكري» وحده، إنما سقطت القمم الثقافية الواحد بعد الآخر، هذا «سمير سرحان» سقط مصابًا باضطراب



١) انظر (القاهرة)، ع/١٥٢، ٧/ ١٩٩٥م، ص٣.
٢) انظر (القاهرة)،ع/١٥٤، ٩/١٩٩٥م، ص ٣.

فـي نـبـضـات الـقـلـب، وهـذا «جـمـال الـغـيـطـاني» تـعـطـلـت صـمـامـات قـلـبـه، وهـذا الـرمـز الـكـبـيـر «جـابـر عـصـفـور» سقط مصاباً بمرض السكري...[1].

ورغـم أن هـذا هـو قدر الله عـلـيـهـم جميعاً، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]، لكنهم ما لانوا وما استكانوا وما عادوا إلى الله أو تـضـرعـوا إلـيـه، فـقـد كـانـت قـلـوبـهـم كالحجارة أو أشد قسوة، فباتوا يفلسفون ما حدث بأنه «هو الثمن الذي يدفعه أبطال الفكر على مدار التاريخ في سبيل الحرية والعقلانية.. هذا هو الثمن الذي يدفعه المثقف المستنير منذ «ابن رشد» إلى «محمد عبده»، و«عبد الرحمن الكواكبي»، و«قاسم أمين»، و«مصطفى عبد الرازق»، و«أحمد أمين»، و«أحمد لطفي السيد»، و«طه حسين»، و«توفيق الحكيم»، و«يوسف إدريس»، و«جمال حمدان»، و«نجيب محفوظ»... إلخ.. إن المثقف المستنير، سيظل يدفع الثمن مادام يلح على التصدي لمختلف تيارات التخلف، فيعمل ليل نهار من أجل التطور والتنمية ويحارب الإرهاب بمختلف صوره»[2].

إن الله (تعالى) يأخذ المكذبين برسله بالبأساء والضراء، لأن من طبيعة الأبتلاء بالشدة أن يوقظ الفطرة التي ما يزال فيها خير يرجى، وأن يرقق القلوب التي طال عليها الأمد متى كانت فيها بقية ... هكذا قال علماء الإسلام.

لكن الفطرة حينما تبلغ حداً معيناً من الفساد: لا تتدبر، ولا تتذكَّر، ولا ينفع معها الإنذار ولا التذكر.. هكذا قالوا أيضاً.

إن من رزقه الله بصيرة نافذة عَلِمَ سخافة عقول هؤلاء، وأنهم من أهل الضلال المبين، لا يفقهون ولا يتدبرون القول؛ ولهذا فإن كشف عوراتهم، وبيان فضائحهم، وفساد قواعدهم.. من أفضل الجهاد في سبيل الله، وقد قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن رسوله»، وقال: «اهجهم ـ أو هاجهم ـ وجبريل معك»، وقال: «اللهم أيده بروح القدس ما دام ينافح عن رسولك»، وقال عن هجائه لهم: «والذي نفسي بيده لهو أشد فيهم من النبل»[3].

---

١) انظر (القاهرة)، ع/١٦٣، ٦/١٩٩٦م، ص ٣.   ٢) المصدر السابق، ص ٣.

٣) ابن القيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢، ط. العاصمة، وبها تخريج الأحاديث المذكورة.

مؤتمر الشهداء

(محاولة لمسرحة الشعر)

ـ هل تذهب إلى اجتماع هذا المساء يا صلاح؟!.

بادر إبراهيم ذو الثمانية عشر ربيعًا صديقه صلاح بالسؤال، ليرد عليه:

ـ وماذا سنفعل في هذا الاجتماع؟.

ـ سيناقشون الحوادث الأخيرة للمجاهدين في سبيل استقلال أرض الإسراء والمعراج.

ـ وماذا في ذلك من جديد يا أخي؟.

ـ إن هذا الاجتماع لن يتكرر!!، لقد دُعيَ إليه ممثلو الحل السلمي، وفوق ذلك: دُعيَ إليه أربعة من الشهداء.. أحدهم من شهداء حرب ٤٨، والآخر من شهداء مذبحة صبرا وشاتيلا، والثالث من شهداء مذبحة الخليل، ورابعهم من شهداء عمليات عز الدين القسام.

حدَّق صلاح في وجه إبراهيم مندهشًا، ولكنه لم يستطع أن يقول شيئًا.. إن إبراهيم نفسه هو أحد الشهداء!!.

ـ في المساء، كان صلاح يتخذ مقعده في المدرسة المغلقة، التي اتخذت مركزًا للمؤتمر، وقد اكتظت بكثير من الحضور، بالطبع لم يندهش صلاح عندما رأى عددًا من الحاضرين يرتدي أكفانه البيضاء بينما جُرحه يثعب دمًا، يملأ القاعة برائحة تشبه المسك.

صعد المنبر مدير المؤتمر بعد تلاوة آيات من القرآن ليبتدئ الحديث:

في أول الأمر أسأل:

هل ضيع الدم مجراه

أم أن هذي الجرائد قد سرقت لونه؟

وهل هذه الأرض حد يضيق ويكبر

كي نكبر الآن ثم نضيق

كيفما شاءت الريح أو شاءت الأنظمة؟

البيان الأدبي

إعداد (*) : محمد الصالح حسن

في أول الأمر أسأل:

هل نغلق الحلم في وجه أيامنا القادمة؟

حدثت جلبة في القاعة بعد هذه المقدمة المباغتة، ثم استدعى مدير المؤتمر أحد الأطفال من الصفوف الأمامية ليلقي كلمة الافتتاح:

نحن جيل الحروب..

نحن جيل السباحة في الدم..

ألقت بنا السفن الورقية فوق ثلوج العدم

نحن جيل الألم

لم نر القدس إلا تصاوير

لم نتكلم سوى لغة العرب الفاتحين

لم نتسلم سوى راية العرب النازحين

ولم نتعلم سوى أن هذا الرصاص

مفاتيح باب فلسطين

فاشهد لنا يا قلم

أننا لم ننم

أننا لم نقف بين (لا) و (نعم)

أكمل المقدم حديثه قائلاً:

ـ سنسمح لممثل الحل السلمي بالحديث أولاً؛ حيث إن وقته الثمين مليء بالمقابلات والمفاوضات ولن يسمح له بالاستمرار معنا إلى آخر المؤتمر.

صعد الممثل منبر القاعة وانطلق في حديثه:

أخيراً تعلمت أن جهاد اليهود ضلال..!

وبوابة .. للمجاعة!

وأن عِناق اليهود شجاعة!

وأن نضالي الحقيقي تفريغ ذاكرتي..

من حكايا دمائي المضاعة!

ووهم القتال..

(*) مختارات شعرية في إطار قصصي مسرحي.

المقطوعات الشعرية للشعراء:

أمل دنقل، إبراهيم نصر الله، شوقي بزيع، عبد الله محمد العسيري.

وحسبك من شر لفظٍ سماعه

فقط.. طلقوا وهمكم واتبعوني

فإني كرهت سجون الكرامة!!

أنا خلف وجه الصقور اختنقت

عقوداً..

فما أجمل الآن وجه النعامة!

عندما أنهى الرجل حديثه اندفع أحد الشهداء الذين كانوا يجلسون على المنصة وقد تركوا تحتهم بركة من الدماء، اندفع قائلاً:

كيف تنظر في يد من صافحوك..

فلا تبصر الدم في كل كف؟

إن سهمًا أتاني من الخلف..

سوف يجيئك من ألف خلف

فالدم الآن صار وسامًا وشارة

لا تصالح، ولو توجوك بتاج الإمارة

عندما سمع صلاح والده الشهيد انبرى واقفًا وهو يقول بصوت مدوٍّ:

أقول لكم: لا نهاية للدم..

هل في المدينة يضرب بالبوقِ، ثم يظل الجنود على سرر النوم؟

هل يرفع الفخ من ساحة الحقل..

كي تطمئن العصافير؟

إن الحمام المطوق ليس يقدم بيضته للثعابين..

حتى يسود السلام،

فكيف أقدم رأس أبي ثمنًا؟

بعد كلام صلاح قام مجموعة من الشباب الحاضرين ليهتفوا بصوت واحد:

ستبقى الدماء

أول الضوء.. والماء

أول من منح الناس قاماتهم

كي يروا مجدهم

وستبقى الدماء.. ونَتْبعها

مثلما يَتْبع القلب في نبضه

آخر الأنبياء

حاول مدير المؤتمر تهدئة الموقف المتفجر في القاعة بعد أن امتلأت بالضجيج، فقال مؤكداً كلام الحضور:

من يجرؤ الآن أن يخفض العَلَم القرمزي الذي رفعته الجماجم

أو يبيع رغيف الدم الساخن المتخثر فوق الرمال

أو يمد يداً للعظام التي ما استكانت

البيان الأدبي

(وكانت رجال..)

كي تكون قوائم مائدة للتواقيع

أو قلمًا

أو عصًا في المراسم؟.

ثم أردف: والآن، أيها السادة، مع ضيف المؤتمر .. الشهيد محمد أحد أعضاء خلايا عز الدين القسام، ويحكي لنا قصتَه الشهيدُ إبراهيم، فليتفضل.

صعد إبراهيم إلى المنبر وعندما همّ بالحديث سبقته دموعه، فتحامل على نفسه وهو يحكي قصة معلمه الشهيد محمد:

اشترى في المساء

قهوة، وشطيرة

واشترى شمعتين، وغدارة، وذخيرة

وزجاجة ماء!

عندما أطلق النار كانت يد القدس

فوق الزناد

ليس من أجل أن نفاوض من يتفاوض..

من حول مائدة مستديرة

ليس من أجل أن يأكل السادة

الكستناء

كان صوت البكاء قد ارتفع في القاعة عندما تقدم إبراهيم إلى محمد سائلاً:

كان يمكن أن تنحني لتظل

على قيد خبزك

أو تدفع العشب عن باب بيتك

كي لا يدل عليك

وتُقتل، كالفأر أو كالحصان!

كان يمكن أن تشرب الكأس مرًّا

وتطوي ضلوعك حين تهان

كان يمكن أن تلجم الخيل فيك

ويصدح صوتك بين القيان

ونعرف أنك حين أنيخوا..

جمحت

وحين اطمأنوا قتلت الأمان

وها أنت تعبر هذي الشوارع

مَن حدَّث الضوء عنك

ليومئ هذا الصباح إليك

ويهتف مبتهجًا..

هو ذا (الإنسان)

كانت عيني محمد محدقة إلى

الداخل وهو يتذكر إخوانه من الشهداء الذين قضوا نحبهم قبله وهو يجيب :

هو الدم يرفع قاماتنا فوق هذا الحطام

هو الدم يستنهض الأرض فينا

فلا عاصم اليوم إلا من اختزن العشب في جرحه ثم نام

كتبنا لأحبابنا جثة وانتظرنا بريد العظام

وما وصلتنا رسائلهم بعد

ما وصلتنا عناوينهم في الظلام

كان المشهد دراميًّا بعد كلمات الشهيد محمد.. فقد غصت القاعة بالنحيب المختلط بالهتاف، وتحول المقدِّم إلى شهيد مذبحة صبرا وشاتيلا قائلاً:

ـ أيها الإخوة الأعزاء ، إن معنا شهيداً فريداً هذه الليلة، إنه مصعب الذي صُلِب وعذب حتى الموت..

تقدم إليه مدير اللقاء يحاوره بينما يرد عليه الشهيد بالنظرات؛ فقد قطع لسانه قبل أن يصلب :

على ضوء صوتك ننزف حزن

السنين الطويلة

تنساب فينا اخضراراً ورملاً

ونسأل : هل قتلونا كثيراً؟!

تقول: انظروا لجراحي تُجب

ونسأل: هل قيدوك طويلاً؟!

تقول: انظروا للغصون تجب

على ضوء صوتك نعزف نبضًا

فتنساب فينا غناءً وخيلاً

نسأل: هل صلبوك طويلاً؟!

تجيب خروقُ المسامير في راحتيك.

وفي نظراتك

على ضوء وجهك نغفو قليلاً

لنبدأ في الفجر موسمنا

وبينما كان صلاح يراقب الحوار وقد دمعت عيناه، أحس بحنين إلى الحديث مع أبيه؛ فإنه لم يحاوره منذ عشرة أعوام عندما طبع على خده قبلة لم يره بعدها، فقام منطلقًا إليه، إلا أنه ما أن قارب على الوصول إلى المنصة إذ بالشهداء الأربعة ومعهم إبراهيم يرتفعون كأنما تحملهم الملائكة ويتردد في القاعة أصوات تسابيح وتحاميد غاية في العذوبة.

البيان الأدبي

إلى أعلى .. إلى أعلى.. حيث
يختفون بين ضجيج الأفواه وصمت
العيون الذاهلة..

ـ انظروا .. انظروا..

هتف صلاح من على المنصة وهو
يمسك بقطرات من دماء أبيه

دمهم ناصع كالحصى
سجَّلوا في بياض العناقيد أحلامهم
هل ترون الثمار التي خلفوها؟
وإذ توصد الأرض أبوابها،
ترتديهم نجوم السماء فلا يرجعون
قل لهم يا أمير الجنادب أن يرجعوا
قل لهم إننا نعتلي تحت شمس
سديمية طائر الذكريات
ربما يرجعون
فلقد صار للجلد لون التراب،
ولا شيء في الأفق إلا صهيل الجنون

ويتجمع حول صلاح جميع
الحضور.. المقاعد.. العصافير..
الكلمات التي قيلت منذ قليل..
رجال يرتدون أكفانهم إلا أنهم لم
يقيدوا في سجل الشهداء بعد،
يتجمع الجميع ليهتفوا:

سنطلع من كل بيت تشتت
من كل جرح تفتت
من كل طفل هوى في البياض
القتيل
توحدت الأرض فينا
فكل قتيل سيصبح جيل
وكل بنفسجة أحرقوها ستغدو
بنفسجة المستحيل

أفاق صلاح على هذا الهتاف المدوي
من إغفاءته القصيرة قبل أن ينطق
بالشهادتين ، ويلحق بأبيه..

معالم على طريق الأدب الإسلامي

(٣ من ٣)

الروح الإسلامية في العمل الأدبي

بقلم : طاهر العتباني

فصّل الكاتب في الحلقة الأولى المعايير والأسس التي بنى عليها مَن تبنّى مصطلح «الأدب الإسلامي» مقومات قبوله ووجوده، ثم تحدث في الحلقة الثانية عن مضامين الأدب، حيث يحمل كل أدب سمات الفكر الذي ينتمي إليه ونسيجه ، ثم تحدث عن دور الأديب المسلم ومعالم تبعاته ووجوب استلهامه صور القرآن والسنة ودلالالتهما وتعبيراتهما أصلاً ينطلق منه، ويواصل الكاتب في حلقته الأخيرة بقية الموضوع.
- البيان -

قد يتصور بعضنا أن الأدب الإسلامي ـ شعراً أو قصةً، روايةً أو مسرحية ـ يجب أن تكون موضوعاته ما ورد في المنهج الإسلامي من مفاهيم وعقائد وعبادات وشرائع ونماذج إسلامية تاريخية كشخصيات الصحابة والتابعين ، وما يتبع ذلك من أحداث إسلامية أو مناسبات كذكرى الهجرة والإسراء ، والغزوات التي خاضها النبي ﷺ وصحابته... وما إلى ذلك من مفاهيم إسلامية مجردة ومعانٍ دينيةٍ خالصة دون أن يتطرق ذلك الأدب إلى الحديث عن الهموم الاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية والإنسانية بشكل عام، وبدون أن يصوّر الشر الذي وقعت فيه مجتمعات العالم اليوم إسلامية كانت أو غير إسلامية .

البيان الأدبي

والحق ـ كما نراه في نظرية الأدب الإسلامي ـ أن هذا الذي ذُكر، وإن كان جانبًا من جوانب الموضوعات التي يمكن للأديب المسلم أن يطرحها، فليس

ذلك هو ما نريده فقط للأدب الإسلامي.

إن الأدب الإسلامي يجب أن ينغرس في هموم الواقع الذي يحياه المسلمون على المستوى الفردي والجماعي والعالمي ، ويمكن أن يكون موضوعه-أي موضوع في أي جانب من جوانب الحياة البشرية ، وكذلك الكون كله بسمائه وأرضه وآفاقه، وبعالميه: الغيب والشهادة.. كل ذلك مما يجب على الأدب الإسلامي أن يتناوله ويضرب فيه بسهم .

إنه كما يكون تصويراً للخير والفضيلة وتحبيبها إلى النفوس، فكذلك يكون تصويراً للرذيلة والتنفير منها وإظهارها في صورتها القبيحة التي ترفضها الفطر السوية وتأباها النفوس المستقيمة.

إن إسلامية الأدب لا تعني محاصرة الأديب فيما يكتب، وتقييد ما يختاره من موضوعات، ولكن إسلامية الأدب تعني هيمنة روح الإسلام على العمل الأدبي في جملته وتفصيلاته، بحيث يترك في النهاية الأثر الإسلامي المطلوب في نفس القارئ ، ولقد تُطالعنا كثير من الصحف والمجلات الإسلامية بقصائد عن الإسلام تحت مسمَّى الشعر الإسلامي، تتناول حادث هجرته ﷺ، أو حادث الإسراء والمعراج، أو ذكرى بدر.. أو غيرها من هذه الموضوعات ، ويعالجها كتابها معالجةً تاريخيةً بحتة، تشعر وأنت تقرؤها أن كاتبها لا يعيش في هذا العصر الذي نحياه بقضاياه وتطوراته ومتغيراته وأحداثه ومشاكله التي يهمنا كمسلمين من جوانبها الشيء الكثير.

لماذا لا يكون الحديث عن الإسراء مدخلاً إلى الحديث عن القدس والمشكلة الفلسطينية كإحدى مشاكل المسلمين وقضاياهم الراهنة مثلاً؟.

إن المرجوَّ ممن يعالج مثل هذه الموضوعات الإسلامية من الأدباء أن ينتقل بها من مفاهيمها الإسلامية المجردة ليسلط الضوء على الواقع الإسلامي المتدهور المتخلف الذي يَرين على العالم الإسلامي اليوم، عرضاً ومعالجة.

إنه لايذكرنا بهذه الأحداث في صورة شعرية ، وصور أدبية فقط ،

ولكنه يجب أن ينقلنا إلى معايشة واقعنا اليوم من خلالها في الصغيرة والكبيرة من أمور حياتنا، إن الأدب الإسلامي مطالب أن ينقل لنا الروح الإسلامية في كل ما يطرحه من موضوعات ، وليخترْ بعد ذلك من الموضوعات ما يشاء ، وليكن علاج هذه القضايا المطروحة من خلال المنظور الإسلامي والتصور الإسلامي الصحيح.

فإذا كانت روح العمل الإسلامي الأدبي روحًا إسلامية يمكن استشعارها من خلال الاقتراب من النص الأدبي والإحساس بها في كل تفاصيله وجزئياته : فإن الكون كله بمجاله الواسع، والحياة الاجتماعية بكل تفصيلاتها وبما فيها من خيرٍ وشرٍّ.. كل ذلك يمكن أن يكون موضوعًا للأدب الإسلامي.

ولندلل على ذلك[1] :

ـ في وصف الجبل لابن خفاجة الأندلسي روح إسلامية تطالعك في موضوع وصفيّ بحتّ ، ولكنه ينتقل بهذا الغرض إلى رحاب التصور الإسلامي الفسيح، ويتخذ من ذلك فرصةً عظيمة للتأمل والتفكر في الكون الفسيح والحياة والموت والزمن وتجاربه المختلفة .

يقول ابن خفاجة الأندلسيّ في هذه القصيدة :

أصخت إليهِ وَهْو أخرسُ صامتٌ ... فحدَّثني ليل السُّرى بالعجائبِ
وقال ألا كم كنت ملجأ قاتلٍ ... وموطنَ أواهٍ تبتّلَ تائبِ
وكم مرَّ بي من مُدْلجٍ ومؤوّبٍ ... وقال بظلي من مطيٍّ وراكبِ
ولاطمَ من نكبِ الرياح معاطفي ... وزاهم من خضر البحارِ غواربي
فما كان إلا أن طوتهم يد الردى ... وطارت بهم ريح النوى والنوائبِ

ـ وفي سينية شوقي نموذج رائعٌ للتأمل في التاريخ ودورته والمجد الإسلامي الذي ظل قرونًا في الأندلس، وفيها يقول شوقي وهو يعارض سينية البحتري الشهيرة :

البيان الأدبي

1) أبيات الشعراء الثلاثة موجودة في دواوينهم، وقد اعتمدنا في استرجاعها على الذاكرة.

وعظ البحتريَّ إيوان كسرى ... وشفتني القصور من عبد شمس

ويقول في مطلعها:

اختلاف النهارِ والليل يُنسي ... اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

يا ابنة اليمِّ ما أبـوكِ بخيلٌ ... ما له مولعًا بمنعٍ وحَبْسِ ...

أحرامٌ على بلابله الدوحُ ... حلالٌ للطير من كل جنس

والقصيدة رغم أن فيها حديثًا عن منفى شوقي إلى الأندلس ، إلا أن التأمل في تاريخ الأندلس وقصورها وحضارتها، وما أبقته يد المسلمين فيها من روائع حضارية يعطيها سمةً إسلامية واضحة وتشعر بالروح الإسلامية تتغلغل في كل بيتٍ من أبياتها فتحسها في الألفاظ والصور التعبيرية والمعاني التي يطرحها، مما يشعرك أنك أمام نموذج رائع للأدب الإسلامي.

ـ وشعر أبي فراس الحمداني ، حين أُسر في أيدي الروم نموذج جيد للروح الإسلامية والمشاعر المرهفة لأسير مسلم في يد أعدائه، ومن ذلك قوله:

أُسِرْتُ وما صَحْبي بعزلٍ لدى الوغى ... ولا فرسي مُهـرٌ ولا ربُّـهُ غـمْرُ

ولكن إذا جُمَّ القضاءُ على امرئٍ ... فليس له بَرٌّ يقيـهِ ولا بحـرُ

وقال أصيحابـي: الفرارُ أو الرَّدى ... فقلتُ: هما أمـران أحلاهما مُـرُّ

ولكنـنـي أمضـي لما لا يعيبنـي ... وحسبك من أمرين خيرهما الأسْرُ

يقولون لي بعتَ السلامة بالردى ... فقلت: أما والله ما نالني خسْرُ

وهل يتجافى عنـيَ الموتُ ساعةً ... إذا ما تجافى عَنِّيَ الأسْرُ والضـرّ

وهكذا الأديب المسلم شاعراً كان أو روائيًّا أو مسرحيًّا: تطل روح الإسلام من كل موضوع من الموضوعات التي يتناولها وكل قضية من القضايا التي يطرحها.

ـ وفي المسرح الإسلامي: كان «علي أحمد باكثير» نموذجًا رائعًا في مسرحياته التي تناول فيها الموضوعات غير الإسلامية، نراه لم يتنازل عن تصوره الإسلامي وروحه الإسلامية في كل ما كتب، يقول الدكتور نجيب الكيلاني:

«وإذا ما نظرنا إلى مسرح «باكثير» وجدنا منه: التاريخي، والأسطوري، والسياسي، والاجتماعي، وهذا لا يخل بوجهة النظر القائلة بأنه رائد المسرح الإسلامي؛ فالمسرحيات الأسطورية مثل «مأساة أوديب» نراه يغير فيها الأحداث وينفي الصراع مع الآلهة، ويضع الصراع بين أوديب والكاهن، وينظر إلى القدر والجبر والاختيار نظرةً خاصة يستوحيها من المنهج الإسلامي، وهو أمرٌ أكده النقاد الذين كتبوا عن مسرحِ باكثير وأخضعوه للتحليل والتفسير، من هنا: فإن «باكثير» ظل متمثلاً لعقيدته يعيش بها ولها ، وينشرها في مسرحياته القصيرة والطويلة، ويثبتها في قصصه وشعره، وقد حدا هذا بأحد النقاد أن يعلن أن «باكثير» هو الكاتب الوحيد الذي التزم بخطٍّ معين طوال حياته الأدبية، لا يحيد عنه ولا يفرط فيه» [1] .

مجمل القول: إن الأدب الإسلامي ـ وهو بإزاء موضوعاته المتنوعة وقضاياه المتعددة ـ لا يغيب عن مبدعه أنه يحمل هم الإسلام وروحه في كل أعماله،لا على سبيل الإلزام الخارجي، بل إن ذلك يكون طبيعيًّا غير مفتعلٍ عندما تتشكل الرؤيا الفكرية والتصويرية للكون والحياة والإنسان على أساس التصور الإسلامي، وينشأ جيلٌ من أبناء الإسلام المبدعين في كل مجالات الإبداع الأدبي، يكونون قد تربوا على مائدة الفكر الإسلامي الصحيح، والروح الإسلامية التي تنبثق انبثاقًا من تسرُّب تصورات القرآن والسنة ، وتمتزج بالواقع وتلتحم به لتُخرج مذاقاتٍ مختلفًا ألوانها ، ولكنها جميعًا تحيا في إطار التصور الإسلامي الصحيح.

إن كل هذا لا يتحقق إلا مع التربية الوجدانية والأدبية التي يرسمها الإسلام، فتكون أداةً لتشكيل الوجدان المسلم ، وهذا ما قد نفرد له حديثًا آخر في فرصة قادمة ـ إن شاء الله ـ .



١) انظر: حول المسرح الإسلامي، لنجيب الكيلاني ، ص ٧٤ ، ٧٥ .

الحُلم

شعر : عبد الله متعب السميح

دعتني ابنتي والعبرة تغالبها لأرى ما تفعله عنجهية الصهاينة وهم يواجهون انتفاضة الشعب الفلسطيني وجهاده البطولي، فإذا آليات الحقد تضرب الشعب الأعزل بشيوخه وأطفاله ونسائه، وتساءلت : لماذا يهرول القوم إلى السلام المزعوم مع ذلك العدو اللدود؟؛ فتداعت هذه الأبيات :

جاءت تغالب ما وارته غصتها ... والحزن في صوتها المغلول يضطرم

قالت دماءٌ وأشلاءٌ مبعثرةٌ ... وهامةٌ يتنزى فوقها قدم

شيخٌ أسيرٌ تهاوت فوق كاهله ... معاول الحقد إذ يغتاله الهرم

ماذا ترى؟ حقبةً عجفاء موحلةً ... وأمة في عراء الذل تنهدم

تعسفتها سياسات الألى سقطوا ... فيما استطابوا وأردوها بما زعموا

تعاورتها رياح الوهن فارتكنت ... لكل جرفٍ تمطى فوقه العدم

يا أمةً رسفت في بؤسها زمنًا ... أين الكتاب وأين السيف والقلم

تبعثرت في قفار الصمت أسئلتي ... ولذت بالصبر حتى ملّني الألم

فهل لعينيّ من نجواك بارقةٌ ... يشدو بها الليل أو تزهو بها الديم

هل يورق الدرب بالآمال إذ عصفت ... غوائل الجدب والأرزاء تحتدم

وهل لمن أدلجوا في حزنهم قمرٌ ... يجلو الطريق الذي عاثت به الظلم

هل سوف يبزغ في آفاقنا أملٌ ... ويستفيق على علاّته الحلم

نعم وإني بإيماني على ثقةٍ ... من أن فجرًا وراء الأفق يرتسم

لابد آتٍ .. خيول الحق تسبقه ... والبيد تحضنه شوقًا وتبتسم

البيان الأدبي

لغة الدماء

أتـدري أم لـعـلـك لـسـت تـدري	بـأن الجـرح ثـغـرٌ، أي ثـغـرا
وأن دمَ الـضـحـايـا حـين يـجـري	لـسـانٌ نـاطـقٌ بـالـظـلـمِ يُـزري
لـسـانٌ يـلـتـقـي سَـمْـعَ الـبـرايـا	بـصـوتٍ مـن لـهـاة الحـق يـسـري
يـجـوسُ خـلال آذانٍ وإن لـمْ	تَـزَلْ تحـمـي غِـوايـتَـهـا بِـوَقـر
أن اخـسـأ أيـهـا الـنـوّام سُـحـقًـا	لـك الـويـلاتُ مِـنْ فَـرّي وكَـرّي
أَتُـبْـصُـرُنـي وحـيـداً ثـم تـغـفـو	وَتَـتْـرُكُـنـي أنـوء بـحـمـل إصـري
لـقـدْ ألـهـبْـتَ مـن حَـزَنٍ حُـرُوفـي	ألا فـاطـوِ المـنـامَ وخـذ بـثـأري
وَصَـيِّـرْ قـلـبـك الـرعـديـدَ بَـرًّا	إذا مـا لَـجّ فـي أمـواجِ ذُعـرِ
لِـتَـصـنـعْ فـلـك ربـي لـلـبـرايـا	ولا تـسـأل ـ فـديـتـك ـ أيـن تجـري
ألا فـاخـلـع رداءَ الجـبن والـبـسْ	بـرودَ الـنـصـر كـي تحـظـى بـنـصـرِ
إذا لـم يـقـتـرن حـرف بـخـطـوٍ	فـعـد لـلـنـوم تـصـحُ غـداً لحـشـرِ
إذا الـشـيـطـان مـسـك مـنـه نُـصـب	فـقـم واركـض بـرجـلـك دون صـبـرِ
شـرابٌ مـن رحـيـق الـوحـي يـشـفـي	ومـغـتـسـلٌ يـنـبّـه كـل حُـرٍّ
أرى الأقـوامَ قـد راشـت سـهـامًـا	لـقـد طـاشـت سـهـامـكـمُ لـعـمـري
سُـلِـبـت قـريـحـتـي إن لـم تـروهـا	فـداءَ الحـق فـي شـعـري ونـثـري

البيان الأدبي

شعر : مشتاق حسين

يـد الأشـلاء تـسـتـعـدي فـؤادي   وهـيـجـت الـدمـاءُ غـلـيـلَ صـدري

أسًـى مـا لـلـمـشـاعـرِ مـنـه واقٍ   ومـا لـبـنـات شـعـري مـن مَـفَـرٌ

لـسـانـي مـلـك إيمـانـي ووقـفٌ   لأحـزانـي فـلا تـعـجـبْ لـشـعـري

إذا أنـا لـم يـكـن شـعـري لـهـيـبًـا   يذيبُ جمود قومي كيف عذري؟!

إذا لـم نـلـق طـوقَ الـنـوم عـنـا   فـمـا جـدوى الـتّـطـلـعُ نـحـو فـجْـرِ؟!

بعد الدستور ...
الجزائر إلى أين؟!

التجربة الجزائرية تجربة متميزة ، لا تهم الجزائريين وحدهم.. ولكن ينبغي أن يتوجه إليها الاهتمام العام؛ لما فيها من حقائق عميقة، فلا تزال تلك التجربة أنموذجًا صارخًا وواضحًا في دلالاته وإيحاءاته ودروسه وعبره، فلا أبالغ إن قلت: إن هذا الأنموذج يختصر تجارب أجيال في العمل الإسلامي، رغم القصر الظاهر في عمر هذه التجربة ، التي كانت ولا تزال تقذف بالرسائل في كل اتجاه فيه عاملون للإسلام: أن افهموا كذا... وتنبهوا إلى كذا... واحذروا من كذا .. فما حدث هناك قابل لأن يتكرر في أنحاء عديدة من عالمنا الإسلامي، إذ تتكرر الوقائع وتتشابه الظروف.

لا أبالغ أيضًا إن قلت: إن كل أشكال العمل الإسلامي وأنواعه المعهودة والموجودة في عصرنا قد أكملت تجاربها في ذلك العمر القصير نسبيًا للحركة الإسلامية هناك ، وفي الوقت ذاته: فقد أسفرت كل الاتجاهات المعادية للدين هناك عن أقصى ما يمكن أن تفعله من وسائل المواجهة والكيد والصيد في الماء العكر.

ليست قضية الشعب الجزائري الآن قضية شعب قد تسلط عليه (الإرهاب) كما يصور الإعلام الغربي وتَابِعُهُ العربي، بل إنها قضية أمة قد سُلط بعضها على بعض عبر وسطاء لا يقل وصفهم عن (شياطين الإنس).

لهذا فلا بد من وقفات مع المستجدات، وتأملات في الرسالات التي لا تزال تنبعث من الجزائر بدروس عميقة:

أولاً: وقفة مع (اللعبة الديمقراطية والألعوبة الدستورية):

الديمقراطية تعني عند أصحابها باختصار: **حكم الشعب بالشعب**

المسلمون



والعالم



بقلم: عبد العزيز كامل

للشعب، وإذا كان مخترعو الديمقراطية في الغرب يعبرون عنها بـ (اللعبة)، فإن الشعار المذكور للديمقراطية، قد مكن كثيراً من الحكام في عالمنا الإسلامي أن يلعبوا بالشعب لعباً ما بعده لعب؛ نظراً لأن ما أُخذ من ديمقراطية الغرب هو فقط: الاسم، أو الشكل، أو الشعار المفرغ من المضمون الجاد للديمقراطية الغربية، رغم تحفظاتنا وعدم تسليمنا بأنها الأنموذج الأمثل للحكم.

إن الثوب الديمقراطي الذي يتسع لكل لابس ما عدا الإسلاميين، يحلو لأصحابه دوماً أن يطرزوه بمطرزات دستورية، تفصَّل حسب مقاس كل نظام، وتحاك على هوى كل عهد.

وفي الجزائر ـ كما في كثير غيرها ـ شاء كل حاكم أن يكون له دستوره الخاص، فالرئيس «بن بيلا» كان له دستوره، ثم كان لـ «بومدين» دستوره، ثم كان لـ «الشاذلي بن جديد» دستوره، وكان لكل واحد منهم هدفه في تعديل الدستور، وها هو العهد الجديد يأتي بدستور جديد لأهداف جديدة، على رأسها: إبعاد الإسلاميين، أو بالأحرى إبعاد الإسلام من بسط نظامه على بلد الجهاد والفداء والبطولة.

إنه وبَعد مضي خمس سنوات على إيقاف السلطة العسكرية لعملية الانتخابات التشريعية للحيلولة دون حصول الإسلاميين على الأغلبية في البرلمان، رأت تلك السلطة في صورتها الجديدة: أنه قد آن الأوان لإغلاق ملف (جبهة الإنقاذ)، وذلك بإلغاء دستور ١٩٨٩م الذي أنهى حكم الحزب الواحد، وسمح بقيام جبهة الإنقاذ، وبالتالي: فقد نُظر إليه على أنه مصدر الأزمة؛

لاحتوائه على (ثغرات) لا تمنع قيام أحزاب أو جمعيات على أساس ديني .

لقد عودتنا السلطات في بلاد العالم الثالث على أن تلجأ إلى (لعبة الدستور) لإعطاء خياراتها شرعية إضافية، أو تلجأ إليه تجنبًا لتحمل مسؤولية قرارات (تاريخية)، أو تلجأ إليه للالتفاف على المؤسسات الدستورية والأحزاب السياسية والضغوط القانونية والبرلمانية... إن كان لها وجود.

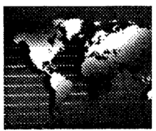
إن اللعب بالدستور على طريقة الاستفتاءات التلفزيونية، وهو الأمر الذي يعد جزءاً من اللعبة الديمقراطية في عالمنا ، يعد سوءة من سوءات ذلك النظام الوضعي البشري القاصر، الذي لو صلح لقوم فلا يصلح لآخرين ، إذ إنه ـ على الأقل في البلاد النامية ـ يختزل قضايا معقدة ومركبة ومصيرية في صيغة سؤال يكون الجواب عليه بـ (نعم) أو (لا)، دون السؤال عن (كيف) و (لماذا) !! .

وتكون تلك الإجابات ربما في غالبيتها من أقوام أو أرقام لا تعرف المعنى المراد بالدستور أو الهدف المقصود من تعديله أو تغييره أو تفسيره!.

وما دام الأمر لعبًا في لعب، فقد أكد مشروع تعديل الدستور: أنه لا يمس الجوهر ولا (الثوابت)، وإنما يركز على المتغيرات! ومعلوم أن أكبر المتغيرات في الواقع الجزائري الراهن هو ما يتعلق بالنشاط السياسي الإسلامي، ولهذا فقد عُدِّل الدستور كله بدءاً من الديباجة وانتهاء بالأحكام الأخرى شكلاً، باستثناء مادة واحدة كان التغيير فيها جوهريًّا .

المادة التي عُدِّل من أجلها دستور (١٩٨٩م) تنص على: أن « إنشاء الجميعات ذات الطابع السياسي حق معترف به »، وعلى الرغم من أنها لم تنص صراحة على الإذن بالجمعيات الدينية ـ مثل جبهة الإنقاذ ـ إلا إنها لم تمنع أيضًا من ذلك صراحة، وهذا ما مكن الإنقاذيين من تأسيس الجبهة .

وقد تحولت المادة بعد التعديل إلى النص التالي، من المادة (٤٢) : « حق إنشاء الأحزاب السياسية معترف به »، ثم أضافت : « ولا يجوز تأسيس الأحزاب السياسية على أساس ديني أو لغوي أو عرقي... » إلخ.

المسلمون

والعالم



وبالطبع، فهذه المادة قد قَنَّنَتْ ـ على أعلى مستوًى ـ إعدام شرعية الجبهة الإسلامية ، وأيضًا : أي حزب إسلامي قائم أو سيقوم ، إلا إذا أثبت أنه (لا ديني) أو قرر ألا يستمد شرعيته من الدستور .

لقد تحولت الديمقراطية في الجزائر من لعبة في يد السياسيين إلى لعنة في يد العسكريين، يفرضون بها من خلال الدستور العلمانية فرضًا على شعب كامل من المسلمين.

ثانيا : أي سلطة للشعب :

لقد دفع الشعب الجزائري ثمنًا باهظًا لكي تصل رسالة العلمانيين للناس: لا سلطة للشعب إذا اختار نظام الإسلام، فقد مُنع شعب الجزائر من اختيار ممثليه، مع أن نجاح الحزب الذي اختاره كان في إطار دستوري، أما بعد أن قال الجزائريون كلمتهم ، فقد سُلبوا ثمرة تلك الكلمة الحرة، واعتُبر الشعب قاصراً، لم يبلغ سن الرشد، فكان لا بد من فرض (وصاية) مسلحة عليه، حتى يعود إلى الرشد القديم، أيام كان يصفق لكل ناعق! .

من العجيب : أن السلطة التي قهرت إرادة الشعب في اختياره الإسلام، واعتبرته لذلك قاصراً؛ تحتكم الآن إلى هذا الشعب، ولا تستحي من النص في الدستور ـ مرة ثانية ـ على أن « الشعب مصدر كل سلطة » وأن « السيادة الوطنية ملك للشعب وحده »!! فما أتعس الشعوب في بلادنا، حيث تُتجاهل حينًا ، وتُستغل حينًا، وتُنتهك حرمة دمائها وأموالها أحيانًا، ومع هذا يتم اللجوء إليها دائمًا ليكون قهر الشعوب وفق إرادة شعبية ، واستفتاء شعبي! .

ثالثا : الدين والسياسة :

النص على أن دين الدولة (الرسمي) هو الإسلام، هو نص متكرر في معظم الدساتير الوضعية اللادينية، التي وضعت أصلاً مناقضة للدين ومناهضة لسلطانه القويم، والسلطة الجزائرية ـ رغم كل ما حدث ويحدث ـ تنص في الدستور الجديد على أن دين الدولة هو الإسلام ، ولا ندري... ما الإسلام الذي تريد؟ . أهو إسلام الوجه لله، أم إسلامه لأعداء الله في باريس وواشنطن ولندن؟!.

ومن الطريف: أن الأحزاب الأخرى المعارضة والمتطرفة في علمانيتها، تعارض هذا النص، وتتهم الدولة بأنها ستفسح المجال من جديد لقدوم (الأصولية)!!، وهي تجهل أو تتجاهل أن هذا النص ليس أكثر من (وصولية) تستغل الدين أبشع استغلال في الأغراض السياسية، فطالما استغل اللادينيون الدين في السياسة، على الرغم من أنهم أعلى الناس صوتًا في التحذير من استغلال الدين في السياسة، ولكن يبدو أن العلمانية فقط من حقها استغلال كل شيء: الشعب، والدستور، والجيش .. والدين نفسه!.

رابعًا: وحدة الشعب تحت ظل الرايات العلمانية:

العلمانيون دمروا وحدة العالم الإسلامي بالقوميات، ثم فجروا وحدة العرب بالوطنيات، وها هم حتى على المستوى الوطني يمزقون وحدة الشعوب بالتحزبات والتناقضات.

ووحدة الشعوب حق مقدس عند العلمانيين، إذا ما انتظمت تلك الشعوب خلف قيادتهم وانساقت خلف طروحاتهم، أما إذا لاحت في الأفق بوادر خروج شرائح من تلك الشعوب عن تلك البرامج التسلطية، فلا مناص أمام العلمانيين من ضرب قطاعات تلك الشعوب بعضها ببعض وإشعال نيران الفتنة في صفوفها.

إن التقليد الذي تعودت عليه الحركات القومية في مطلع مدها (الثوري) والقائل بأن الشعوب تدار وتساق من فوق بغية التخلص من المستعمر الخارجي، ما تزال تهيمن على تصرفات وسلوكيات النخب السياسية، مع فارق وحيد هو: أنهم حولوا المعركة إلى اتجاه آخر ضد من يرون فيه أنه (مستعمر داخلي)، فتحول الصراع من تحرير (الوطن) إلى تحرير (المواطن)، ولن تعدم أي سلطة الحيلة في أن تحول زخم التحدي ضد الطامع الخارجي، إلى تحدٍّ وتجمع ضد الطامح الداخلي.

والشواهد حولنا تشير إلى استنفار أكثر الشعوب إلى معارك داخلية بعضها ضد بعض... فلا بد للثوريين من ثورة أيًّا كانت، ولو كانت ثورة ضد الشعب.

المسلمون



والعالم



خامساً: مَنْ هم الإرهابيون حقاً؟!:

أصبح من المألوف أن نسمع الآن مصطلحات كثيرة تدل على استمرار ثوران الثوار داخليًّا بعد أن بطل مفعول ثورانهم الخارجي ، فالثورة الآن ، ضد « الأصولية »، ضد « الإرهاب » ، ضد « التطرف » .. حتى سمعنا ممن ينسب نفسه للعلم والدين، من ينادى بإعلان (الجهاد) ضد التطرف الإسلامي بعد إعلان السلام مع التطرف اليهودي!.

لا ننكر أن هناك عنفاً غير مقبول ولا مشروع ، تزهق تحت وطاته أرواح الأبرياء ، وتنتهك وتسفك بسببه الأعراض والدماء ... ولكن نسال: من الذي فجر ينبوع الصراع في الجزائر وفي غيرها ؟! أهم الذين ذهبوا مسالمين يحملون مشاريع وبرامج سلمية عبر قنوات (شرعية) للتغيير من خلال كسب التأييد المشروع من الشعب للطريقة التي يختارها في الحكم؟! ونسأل: من الذي أنزل الجزائريين العسكريين في الشوارع ضد الجزائريين المدنيين لتصادر بالقوة نتائج انتخابات حرة؟، ونسأل : من الذي رفع صوت المدفع والبندقية فوق صوت الناخب في المعركة الانتخابية؟، ونسال : من الذين فتحوا أبواب الفتنة بإغلاق باب الرأي أمام شعب له إرادة نبيلة يحلم بتحقيقها.

كل منصف يعترف بأن ما يحدث في الجزائر الآن أصبح « فتنة » لا يعرف القاتل فيها لِمَ قَتَل ، ولا يعرف المقتول فيها لِمَ قُتل ...!.

فالعسكريون ورجال الشرطة يتخفون في ملابس مدنية ليقتلوا مدنيين في ملابس عسكرية!، والسلطة تضرب من خرج على سلطتها وترى ذلك واجباً ، ! والأمة تخرج على من خرج على دينها وترى ذلك جائزاً!!.

ومن الظلم والجور أن يستغل الطرف الذي بيده دولاب أجهزة الإعلام الهائلة التأثير، في قصر الاتهام على طرف واحد فقط بأنه سبب الفتنة والفوضى والقتل والدمار، فالإعلام يعلن عن سابق إصرار وترصد : أن ما يحدث في الجزائر هو من صنع الجماعات الإسلامية!!.

فإذا كان القتل وإزهاق الأرواح غريزة متأصلة لدى الإسلاميين في

الجزائر أو غيرها... فما الذي منعهم قبل ذلك من القتل ومن سفك الدماء... ثم ، لماذا يصادَر حق الإنسان في الدفاع عن نفسه أمام عداء مستحكم يستهدف روحه قبل عرضه وماله..

إن مسألة الثأر والثأر المضاد هي إحدى التفسيرات التي تفرض نفسها لتفسير ما يحدث في الجزائر وما حدث قبل ذلك في مصر وغيرها... لكن يظل السؤال: على من يقع إثم القتل الأول؟!، إنه على القاتل الأول.

وحالة الطوارئ المفروضة على (٢٨) مليون إنسان منذ عام ١٩٩٢م.. الكل يعرف من فرضها ولماذا فرضها، إنها ليست بسبب غزو خارجي، ولا عدوان أجنبي، إنها ليست أكثر من حالة شعور بالكارثة والنازلة الفاجعة لدى السلطة أن استيقظت أمة واختارت الإسلام على العلمانية... وما أكثر تلك النوازل والطوارئ اليوم في بلدان المسلمين.

سادساً: حقوق الإنسان وخرس الشيطان:

في خضم الصراع والفتنة تكاد الحقيقة تضيع، مَنْ الجاني، ومَنْ المجني عليه؟، ولكن يأبى الله إلا أن تظهر أجزاء من الحقيقة في الدنيا، حيث لن تظهر الحقيقة كاملة إلا يوم يقوم الأشهاد.

الحكومة الجزائرية نفسها اعترفت ـ عن طريق وزارة الداخلية ـ في نهاية عام ١٩٩٤م أنه تم قتل عشرين ألفاً من (الإرهابيين) خلال عامين سابقين، بينما ذكر تقرير صدر في مطلع عام ١٩٩٦م عن (المرصد الوطني لحقوق الإنسان) هناك: أن (٥٠٠٢٩) خمسين ألفاً وتسعة وعشرين ـ وصفوا بأنهم إرهابيون ـ قد لقوا مصرعهم على أيدي قوات الأمن، بينما تقول تلك المصادر: إنه تم قتل نحو ألف وأربعمئة من المدنيين على أيدي جماعات المعارضة المسلحة.

ومما يدل على أن السلطة تستغل مجرد القوة في تنفيذ أعمال القتل دون رقيب أو حسيب من البشر: ما تواتر ذكره عن مقتل نحو (٩٦) سجيناً من العزل في سجن (سركابي) إثر ما ادُّعي عن وجود تمرد في السجن!.





ويشاء الله أن يفضح ممارسات السلطة الحاكمة هناك على لسان (منظمة العفو الدولية) التي أصدرت تقريراً عن حقوق الإنسان، حيث جاء فيه: «أصبحت عمليات الإعدام خارج نطاق القضاء، وعمليات القتل العمد، وحوادث الإخفاء والتعذيب، وعمليات الاختطاف، والتهديد بالقتل.. وغير ذلك من الانتهاكات: جزءاً لا يتجزأ من الواقع اليومي في الجزائر...»، وتحت هذه الكلام الخالي من التفاصيل تتناثر المعلومات دون إحصاء دقيق في التقرير الذي صدر في نهاية نوفمبر ١٩٩٦م، ويقع في (٤٠) صفحة وعنوانه: (الخوف والصمت ـ الأزمة المستترة لحقوق الإنسان في الجزائر)، وقد أبرز التقرير عمليات التمويه والإخفاء المقصودة لما يحدث بالتفصيل في الجزائر، فيقول: «.. أما الجرائم التي ارتكبتها قوات الأمن من قبيل القتل خارج نطاق القضاء، والتعذيب، والإخفاء.. وغير ذلك من الانتهاكات التي تنفذها قوات الجيش والأمن في القرى والأماكن النائية: فقد حجبت خلف جدار من الصمت والتلعثم..»!!.

ـ ويقول التقرير: «فضلاً عن ذلك: فقد تزايدت القيود المفروضة على وسائل الإعلام الأجنبية حيث مُنِعَ الصحافيون الأجانب من مباشرة عملهم أو أُبعدوا ... بينما حيل بين آخرين وبين دخول البلاد»، وقال التقرير أيضاً: «لقد دأبت السلطات الجزائرية مراراً على نفي الأنباء التي ذكرتها منظمة العفو الدولية وغيرها من المنظمات عن وقوع انتهاكات لحقوق الإنسان».

ولكن يبقى السؤال: ماذا فعل العالم تجاه هذا الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان؟! إن الدولة الجزائرية لم تُعَدْ من الدول الراعية للإرهاب رغم كل هذا... والسبب واضح، إنها لم تصدر الإرهاب، ولكنها تستورده، أو عندها منه إكتفاء ذاتي!.

سابعاً: الصراع غير المتكافئ والعدالة الضائعة:

عندما تُجيش الجيوش ضد جموع من العزل ، فلا بد لهؤلاء العزل يوماً

من البحث عن سلاح، دفاعًا عن الحياة فضلاً عن الدين، وقبل أن يكون لجبهة الإنقاذ جيش إنقاذ ، وقبل أن تتشكل الميلشيات العسكرية من الجماعات الأخرى، نزل الجيش إلى الشوارع للإرهاب والتهديد والوعيد لمن أعطوا أصواتهم للإسلام، فلم يكن هناك يومها جيش للإنقاذ، ولا جيش للجماعات الإسلامية الأخرى.

إن إقحام الجيوش في مثل تلك الصراعات الظالمة ، هو إهانة من الأمة لنفسها، فهذا العسكري أو الدركي : على من يطلق النار؟، أليس على مسلم مثله قد يكون قريبًا أو نسيبًا أو جارًا؟!، ومع هذا: فما أكثر ما حُولت مهام الجيش إلى غير أغراضها الأصيلة على يد القيادات العلمانية الطائشة، إذ من المفترض أن للجيش في الجزائر مهمات وصلاحيات خاصة، تتمثل حسب نص المادة (٢٥) من الدستور في « تنظيم الطاقة الدفاعية للأمة ودعمها وتطويرها » ولكن الواضح الآن: أنه قد طرأ فهم خاص لهذه المادة ، ويبدو أنه سيطرأ تطوير أكثر في المستقبل، فالدفاع عن (السيادة) يمكن أن يفسر عمليًّا بأنواع من السيادات، مثل: « سيادة القانون »، و « سيادة الرئيس »، و« سيادة الجنرال » .. إلخ.

ولا يوجد الآن من يوضع هدفًا للدفاع عن السيادة، إلا الإسلاميون الساعون إلى التغيير، والشواهد كلها تدل عن أن الجيش قد نزل بثقله في المعركة، وكان نزوله سببًا في تكبيرها وتوسيع أبعادها.

آلاف مؤلفة من الجزائريين تُجيَّش ضد جزائريين آخرين.. لمصلحة من؟!.

القوات شبه العسكرية تضم (٢٤) ألف فرد ، وهي تحارب ضد الإسلاميين!، والحرس الجمهوري يضم (١٢) ألف فرد، وهو غير بعيد عن المعركة مع الإسلاميين، وقوات (أمن الوطن) تتألف من (١٦) ألف فرد، وهي على استعداد للدفاع عن (الوطن) ضد الإسلاميين ، (والحرس الأهلي) (١٦) ألف فرد، وهو مؤهل لقتال الأهل من الإسلاميين، والقوات المسلحة تتألف من (١٢١) ألف فرد ، وهي التي تتصدر



وتتصدى الآن لحرب شاملة ضد الإسلاميين !!، ومؤخراً: شكلت الحكومة ميلشيات خاصة تطلق عليها (جماعات الدفاع الذاتي) للأغراض نفسها، وبعد هذا، يقول المغرضون المبغضون للإسلام: إن الإسلاميين مسؤولون عن قتل (٥٠) ألف شخص في الجزائر !!.

ثامناً: مَنِ الضحية يا ترى؟! :

هل تقرر أن يُعاقب الشعب على جرأته في قول كلمته لصالح الإسلام؟!، إن هناك حرصاً شديداً على أن يكون التغيير لصالح السلطة أولاً وقبل كل شيء، ممثلةً ـ بالطبع ـ في رموز الجيش الحاكم الفعلي للبلاد، وقد كان من العناصر المؤثرة على إحداث التغيير لصالح السلطة في الجزائر: جو الإرهاب الذي نجح في إبقاء الناس قابعين تحت كابوسه، فالإعلام يضخم الأمور، وقد يفتعل ويبتكر عرض أساليب متنوعة من الرغبة في القتل والفتك بكل مواطن على يد أولئك (المغول) الجدد: الإسلاميين!؛ مما جعل الأسبقية في اهتمام ذلك المواطن العادي تتركز في البقاء حيًّا، وأصبح ـ مع الوقت ـ لا يهتم على أي حال يحيا وتحت أي حكمٍ يعيش، المهم أن يعيش وينجو من القتل الذي يستهدفه، وصار لسان حال كل إنسان يقول: إذا لم أستطع حياة الإسلام، فلا أقل من الهروب إلى أي حياة.

لقد استُغل ذلك كله في دفع أفراد الشعب إلى صناديق الاقتراع للموافقة على اختراع الدستور الجديد، لقد دفعتهم السلطة وهي تعلم مسبقًا بأن ذلك الحجم من التأثير على رأي الناخب لن يمنعه من قول (نعم) للدستور، حتى ولو كان ذاهلاً عن معنى تعديل الدستور أو الهدف من هذا التعديل، أو ما هو الفارق بين الدستور السابق واللاحق!.

الجزائريون في دولتهم البترولية الغنية، يعانون من نقص مزمن في المساكن وارتفاع في الأسعار، ويعانون بطالة تصل نسبتها إلى (٢٨٪)، من المحتمل أن تزيد في ظل احتمالات إلغاء مزيد من الوظائف بسبب برامج (الخصخصة)... ومع كل هذا يُخوف هذا الشعب من الإسلام



القادم... فماذا أعطيتموه (أيها الاشتراكيون العساكر) باشتراكيتكم البائدة التي أفقرت الغني ولم تغن الفقير ؟!.

تاسعاً: البعث الوطني بعد البعث القومي :

حتى لا يقع المحظور وتستيقظ في الأمة روح البعث الإسلامي المرتقب، فالعلمانيون يحرصون على إحياء موات أي شيء وبعثه؛ لكي ينافس روح الإسلام المتوثبة في الصعود ، المد القومي مات، وقد يأس العلمانيون من إحيائه ، والآن يحاولون إنشاء بعث وطني، فكل قطر له خصوصيته وشخصيته وتفرده المتميز ... وإذا كان من الممكن إحلاله محل البعث الإسلامي فهذا غاية المنى، ومنتهى الرجاء، وفي الجزائر: استغلت السلطة الإعلام في محاولة هذا البعث ، حيث استعملت الأناشيد الوطنية والبرامج الحماسية والتسجيلات التاريخية الوثائقية ، لتثير المشاعر وتدغدغ العواطف الجياشة لدى (المواطن) نحو (الوطن) وتعبئها بمشاعر الكراهية ضد (أعداء الوطن).

لقد استغل الإعلاميون كل شيء في محاولة إعادة صياغة الرأي العام، فحتى المباريات الرياضية التي (انتصرت) فيها الجزائر على دول مثل فرنسا وألمانيا، يعاد عرضها ، والأغنيات التي تغنت بأمجاد الثورة في الماضي، أعيد بثها، هذا إلى جانب إعطاء الفرصة لكل من يستطيع أن يؤثر برأيه من الشخصيات العامة والمختصة في شتى الميادين ، كل هذا ليحل الانتماء الوطني محل الانتماء الإسلامي.

عاشراً: محصلة الأوضاع :

إن منع السماح بإنشاء أحزاب ذات اتجاه إسلامي بمقتضى الدستور الجديد لن يلغي وجود تلك الأحزاب بداهة ، ولكنه حتماً سيغير من طرق وأشكال نشاطها؛ حيث سيدفع ـ وقد دفع بالفعل ـ الكثير من أفرادها إلى العمل تحت الأرض، فالقهر دائماً يولد العناد، والدستور الذي يمنع العمل العلني السلمي، لن يخضع له ولن يؤمن به الذين يُدفعون إلى العمل

المسلمون



والعالم

السري، فما الإشكال الذي حله، وما التغيير الذي أحله تغيير الدستور؟!... إن الدستور الجديد لن يزيد النظام قوة، ولا الدولة هيبة، ولا الوضع استقراراً.. لماذا؟.. لأن أسباب التناقض وبذور الشقاق لا تزال تنبت الفرقة والبغضاء.

لن يغير شيئاً من حقائق الأمور القول بأن التعديل المقترح قد حصل على تأييد أكثر من (٨٥٪) من الأصوات؛ لأنه لا يمكن لنا أن نصدق ادعاء أن الشعب الذي وقف متراصاً خلف جبهة الإنقاذ مصراً على العودة إلى الإسلام، هو نفسه الذي يقف الآن مع العسكر ضد الجبهة نفسها، ليبعدها نهائيًّا عن أي حل سياسي، ويقصيها تماماً عن المشاركة في الانتخابات التشريعية القادمة المتوقع إجراؤها خلال العام المقبل.

للعلمانيين أن يأمنوا خلال تلك الانتخابات القادمة من مزاحمة أهل الدين لهم، فقد خلا لهم الجو ليبيضوا ويُصفروا.. وللعالم (الحر) أن يصفق لمذبحة الديمقراطية وسحلها في شوارع الجزائر... وللأنظمة الشقيقة والصديقة أن تحذو حذو السلطة في الجزائر؛ إذ نجحت في تجربتها الدموية... ولكن لنا نحن الإسلاميين أن نقول: لا تزال في التجربة فصول!.

والله نسأل أن يصلح الأحوال وأن يعز الإسلام وأهله، وأن يذل أعداء الإسلام وأعوانهم.. وما ذلك على الله بعزيز.



ماذا يبقى من فلسطين؟

(٣ من ٣) «إعلان الحرب على الجهاد»

فَصَّل الكاتب الحديث عن مخطط تهويد مدينة القدس، ورَصَد الخطوات العملية لمحو هويتها العربية الإسلامية، ثم عرَّج على تصريحات (اللاءات) لزعماء منظمة التحرير، ويواصل في هذه الحلقة معالجة بقية الموضوع. - البيان -

«نبرة هادئة يعلوها حزن ذليل.. أو قل: ذل حزين، خرجت كلماته بعفوية.. قال: سيدي، إننا نعتبر قتل الفلسطيني المقاوم لكم.. عملاً وطنيًا، كما نعتبر قتل الفلسطيني للفلسطيني المقاوم لكم جريمة وطنية!! وأنا تحملت مسؤولية سقوط «عدد كبير» من المقاومين من أبناء شعبنا برصاص إخوته من الأمن الفلسطيني من أجل أن أحفظ صدقية توقيعي على الاتفاقيات، وأن ألتزم بمسؤلياتي كسلطة وطنية قادرة على الوفاء بتعهداتها» . [الخليج، ع/ ٦٣٥٤ـ ١٠/ ١٠/ ١٩٩٦م].

هكذا تكلم «ياسر عرفات» في اللقاء الخاص بينه وبين «نتنياهو» في قمة واشنطن التي انعقدت عقب أحداث فتح نفق الأقصى.

ولكلامه مدلولات ومغازٍ ومخازٍ كثيرة، ولكن أشد ما يحزن هو ذلك الاعتراف الصريح بتحمل دماء المسلمين المجاهدين من أجل الوفاء بالعهود مع يهود، فهو قد تعهد أن يكون حارسًا أمينًا لأمنها وسلامة شعبها واستقراره.. وإلا استبدلوه بأكفأ منه!.

قال (تعالى): ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، وإن حرمة دم المسلم عند الله (تعالى) أشد من حرمة بيته الحرام .

نعود للوراء قليلاً، ولنستمع لـ«عرفات» ماذا يقول عن أطفال الانتفاضة وشبابها:

المسلمون



والعالم



بقلم: حسن أحمد قطامش

ـ «إن أطفال الحجارة كرموني بثورتهم في حين أساء إليّ الزعماء والرؤساء العرب في (قمة عمان) ١٩٨٧م، وقد استجابوا لندائي في حين ظل القادة العرب غير مستعدين لسماعي.. أنا لا أستطيع أن أترك أطفال الانتفاضة وشبابها وحدهم؛ فإن ثورتهم هي آخر نفس باقٍ عند الشعب الفلسطيني».

قد يطول الحديث بنا جداً إن استعرضنا تفاصيل (الكفاح المسلح) ضد المسلمين المجاهدين من قِبَل السلطة العرفاتية، ولكن حسبنا وقفات نشهد بها على محاولات القضاء على فريضة الجهاد ضد أعداء الله يهود، والقضاء على «آخر نفس باقٍ للشعب الفلسطيني».

وما نظن أن عرفات لا يعرف قول النبي ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تعودوا إلى دينكم»[1] !!.

وهذا الحديث رواه الصحابي الجليل «عبد الله بن عمر بن الخطاب» (رضي الله عنهما).

قال عرفات لقومه يوم دخل (فاتحًا) غزة!! إنني أترسم فيكم خطى «عمر بن الخطاب!!»، ولكن الراجح أن استجابة عرفات لقول النبي ﷺ ضعيفة!، والأرجح استجابته (لنصوص) يهود الذين نصحوه بالقضاء على الجهاد.

ففي اللقاءات الأولى بين يهود ومنظمة التحرير تكلم «ستيفن كوهين» ممثل المنظمة اليهودية في أمريكا، قائلاً: أنتم في غفلة عن

(١) أبو داود، كتاب البيوع، باب النهي عن بيع العينة، ح/٣٤٦٢.

الحقيقة، إن الخطر على منظمة التحرير لم يعد الجيش الإسرائيلي!!، وإنما الخطر على شعبية المنظمة وعلى قيادتها وعلى فاعليتها.. هو خطر (حماس)!!».

وفي لقاء آخر تكلم وزير الصحة الإسرائيلي «إفرام سنيه»: «قبل أن نتفاوض على الحكم الذاتي، لا بد أن نتفاوض على كيفية احتواء التيار الإسلامي، وخصوصاً ذلك الذي تمثله (حماس)، فقاطعه أحد أعضاء الوفد الفلسطيني معلقاً: إن إسرائيل هي التي أعطت (حماس) تصريحاً بإنشاء الحزب.. فرد قائلاً: أنا أحدثكم بمنتهى الصراحة عن خطر يهددنا كما يهددكم في المستقبل، وأنتم مصرون على العودة إلى الماضي ومحاكمة إجراءاته» [انظر: أوسلو.. قبلها، وبعدها/هيكل/الفصل الثامن].

وبإخلاص منقطع النظير وحفاظاً على العهود، قامت المنظمة بدورها على أكمل وجه، فهذا «محمد دحلان» رئيس أجهزة الأمن السرية الفلسطينية يقول: «أجهزتنا عازمة على تدمير الجناح العسكري لحركة حماس!!» [حوار للوموند الفرنسية،الأنباء، ع/٧١٥٠-١١/٤/١٩٩٦م]، وهذا سيده «ياسر عرفات» - يصرح بعد عملية (بيت ليد) التي هلك فيها (١٩) يهودياً - يبين المنهجية المتبعة مع الذين (أكرموه) وفي حضور وزير الخارجية الأمريكي وقتها «وارن كريستوفر»: «إننا سنواصل طريقتنا في معالجة ومواجهة هذه القوى المتطرفة، ولن نسمح لهم بمواصلة نشاطهم.. ليس لديّ عصاً سحرية، ولكنني سأبذل قصارى جهدي». [الشرق الأوسط، ع/٥٩١٦-٨/٢/١٩٩٦م].

جهود الزعيم إياها:

وكان من جهوده هذه أن ساعد على إحباط ما لا يقل عن (٨٠) هجوماً ضد أهداف إسرائيلية في عام ١٩٩٥م فقط، وهو ما أشاد به «كارمي جيلو» رئيس جهاز (الشاباك)، ولننظر كيف كان حال يهود وقد وقعت فيهم هذه العمليات الاستشهادية؟.. فيوم وقعت عملية (بيت ليد) جاء «رابين» مهرولاً إلى موقع الحادث، ثم قال: «إن هذا اليوم يوم





رهيب وفظيع وأليم لكل شعب إسرائيل، وقد اجتمع عشرات الآلاف من اليهود من كل مكان للصلاة أمام حائط المبكى من أجل وقف هذه العمليات ضد الإسرائيليين». [القبس، ع/٧٧٦٦-١/٢/١٩٩٥م] .

ومن (الاستراتيجيات) الجديدة أن حماس أصبحت تهديداً للدولتين (إسرائيل.. والسلطة العرفاتية)فإن التعاون بينهما مهم ضروري، ففي تصريحه يقول العقيد «توفيق الطبراوي» مدير عام الاستخبارات الفلسطينية في الضفة الغربية: «إن هناك تعاوناً وتنسيقاً بين أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية والفلسطينية، إن هذا التعاون ضروري وفي مصلحة الجانبين» . [الأهرام، ع/٤٠٠٩٨-١٨/٩/١٩٩٦م] .

أما **«أمين الهندي» قائد المخابرات العامة الفلسطينية فقد وسع دائرة التعاون حين قال**:«التنسيق مع الأجهزة الأمريكية والإسرائيلية أمر ضروري.. إنه من الضروري أن يوجد تنسيق بين جهازنا و (السي. آي. أيه) من أجل مكافحة الإرهاب» [حوار مجلة المشاهد السياسي، ع/٤-١٣/٤/١٩٩٦م]، بل ولقد تخطى الأمر من تنفيذ الأوامر وضرورة التعاون إلى المبادرة لكسب الود وطلب القرب والمحافظة على (صدقية التوقيعات) .

وزير التجارة الأمريكي «رونالد براون»الذي هلك بطائرته فوق البوسنة يقول: «لقد تأثرت جداً، لأنه وبدون مبادرة مني.. ألزم الرئيس «عرفات» نفسه باجتثاث الإرهاب، من المهم جداً وجود مثل هذا الالتزام الذاتي الذي يساعد على دفع عملية السلام». [الشرق الأوسط، ع/٥٩١٦-٨/٢/١٩٩٦م].

وبشهادة أخرى لـ«عرفات»» من «وارن كريستوفر» : «إن ياسر عرفات أبدى **تعاوناً** بنسبة مئة بالمئة **في معركة مكافحة الإرهاب**». [الوطن، ع/١٧١٢-١٢/٣/١٩٩٦م].

فضح اللجنة العرفاتية لمقاومة التيار الإسلامي:

وقبل الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة شكل «عرفات» (لجنة الطوارئ المشتركة) وكلفها بوضع خطة لمواجهة حركة المقاومة الإسلامية (حماس)

بحيث يضمن عدم وقوع أي عملية فدائية، مما قد يؤثر على فوز « الصديق بيريز »، وقامت هذه اللجنة بإعداد وثيقة سرية تقوم على ثلاثة محاور:

الأول : محور تصفية البنية العسكرية (كتائب القسام) .

الثاني: محور التفكيك السياسي.

الثالث: محور إرباك حماس في الخارج.

وطالبت اللجنة بتنفيذ الإجراءات التالية لتصفية البنية العسكرية على مراحل ثلاث:

أ ـ على المدى القريب (وقد انتهى بانتهاء الانتخابات) .

ب ـ في المدى الاستراتيجي، على النحو التالي:

١ ـ تكثيف الجهد الاستخباري نحو اختراق التنظيم السري لكتائب القسام باستخدام وسائل جديدة.

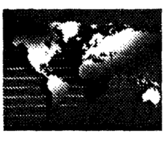
٢ ـ التصفية الجسدية لعدد من قادة (التنظيم) وعلى فترات متباعدة (وبلا تردد) غم ما يجره ذلك من عمليات انتقام، فلا بد من هدم المعنويات وتحطيم البنية النفسية التي تخطط وتعمل على تنفيذ العمليات.

٣ ـ الاستمرار في إلقاء اللوم على الأردن ولبنان وسوريا عند حدوث أي عمل إرهابي، حتى لو لم تُثبت المعلومات ذلك، فذلك مدعاة لتخفيف الضغط على السلطة وتوجيه مزيد من الضغوط على قواعد إسناد حماس في تلك الدول.

٤ ـ رصد ومراقبة أساليب العمل والتنقل والتجنيد والاتصال وتبادل المعلومات بشأنها مع أجهزة الأمن في الدول المحيطة.

٥ ـ الضغط على وسائل الإعلام الفلسطينية وغيرها من أجل عدم تغطية الأعمال الإرهابية، بحيث لا تمجد منفذيها، مع ضرورة التركيز على أثرها المدمر على الاقتصاد الفلسطيني و(تجربة السلطة الوطنية) .

٦ ـ ضرب العمل المسلح لحماس يكمن في التصفية الشاملة له على المدى البعيد، ولا شيء غير ذلك، فالتحجيم لهذا العمل مع السماح له بالبقاء ولو في أطر محدودة لا يكفي لقطع الطريق على المشروع البديل لدى المنتمين لحماس، كما أنه بات لا يقنع الإسرائيليين.



هذه الوثيقة عرضت على «عرفات» في مارس ١٩٩٦م، وقد تسربت للصحافة، ونشرتها عدة مطبوعات عربية، منها: الحوادث، ١٧/٥/١٩٩٦م، والأسبوع العربي، ١٨/١٢/١٤١٦هـ.

وإن كانت هذه وثيقة نظرية ـ في نظر بعض المراقبين ـ وخاصة بعد أن نفت السلطة الوطنية نسبتها إليها بعد تسربها إلا أن هناك خطوات عملية وملموسة على أرض فلسطين تجاه الحركات الجهادية، وخاصة حماس، لقد قامت السلطة العرفاتية بشن حرب شرسة، وبررتها في البيانات الرسمية بأن ما تقوم به الجماعات المسلحة ليست موجهة ضد عملية السلام وضد الإسرائيليين فقط، وإنما موجهة ضد (مصالح الشعب الفلسطيني) و(ضد تجربته الوطنية)، واعتبار أن دوامة (العنف) القائمة سيكون وقودها الأول: الشعب الفلسطيني، ومكتسباته الوطنية، وحياته المعيشية، ومستقبل أجياله.

وعلى هذه الخلفية قامت السلطة بخطوات فاعلة، لعل من أبرزها:

١ ـ حظر نشاط الأجنحة العسكرية للفصائل الفلسطينية تحت شعار «تأمين الاستقرار والأمن» ووضع هذه التشكيلات في إطار «الإرهاب» والخروج على القانون.

٢ ـ شن نوع من الحرب الاجتماعية على الحركات الإسلامية شملت مداهمةً وإغلاقاً وتفتيشاً للمؤسسات الشعبية والتعليمية والصحية ذات الطابع الإسلامي، خصوصاً دور القرآن، والمساجد، ولجان الزكاة والصدقات، والجامعات، وبعض الجمعيات.. باعتبارها مراكز خيرية تغذي البنية التحتية للحركة.

وتبدو هذه الحقيقة ذات أهمية كبيرة، خصوصاً إذا أدركنا الدور المهم الذي أدته المساجد طوال السنوات السابقة في تغذية الصحوة الإسلامية، فهناك ما يزيد عن (٧٥٠) مسجداً في الضفة الغربية، إضافة إلى حوالي (٤٠٠) في قطاع غزة، وقد سارعت السلطة إلى وضع يدها على المساجد ونقل مهمات إداراتها إلى وزارة الأوقاف التابعة لها، بمعنى تحويلها إلى مؤسسات رسمية تأتمر بأمر السلطة وتنفذ سياستها بما فيها التقليل والتأويل لخطوات السلطة في هرولتها نحو وهم السلام، أو على الأصح: الاستسلام للعدو.

٣ ـ انتهاج نوع من الحرب النفسية على القوى الإسلامية، بربط نشاطاتها العسكرية بمفاهيم الإرهاب والتطرف، واتهامها بتبني أفكار ومفاهيم محرفة عن الإسلام ما دامت ترفض النهج السائد في المنطقة.

ويشار هنا إلى الدور الخطير الذي تلعبه وسائل الإعلام التابعة للسلطة، خصوصاً الإذاعة والتلفزيون، إذ ركزت هذه الوسائل على النهج نفسه، باعتبار أن (حماس) تمس مصالح الشعب والسلطة والاستقلال والدولة، كما أن الوسائل تلك تخضع لرقابتين مباشرة وغير مباشرة من قبل السلطة الوطنية، ولم تنشر حتى الآن ما يسيء إلى هذه السلطة أو أي نشاط ضدها، وتُركز في المقابل على ضرورة استمرار حسن العلاقات مع الطرف الإسرائيلي وتسوية أي خلافات قد تعترض استكمال المفاوضات بينهما.

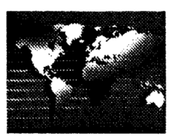
٤ ـ اتجاه آخر للحرب ضد الحركة الإسلامية تتمثل في محاولة السلطة إبراز جو من التناقض داخل هذه الحركة، وجَرَت محاولات لإظهار أشكال من الخلافات بين شخصيات (حماس) وتأكيد حدوث انشقاق داخلها (انسحاب شخصيات بارزة فيها لتشكل أحزابًا بديلة) ومحاولة الالتفاف على قيادتها واستمالة مقربين ومحسوبين عليها، والادعاء بأنها مشاركة باطلة وإبراز ما يسمى بالداخل والخارج أو على صعيد القيادتين العسكرية والسياسية داخل حماس.

وحقيقة: إن جرم السلطة العرفاتية يتجاوز بكثير تلك الأنظمة التي تحارب الحركات الإسلامية، إذ لدى تلك الأنظمة من الحجج ـ مع تفاهتها وعدم منطقيتها ـ ما تستطيع به أن تصل إلى ما تريده عبر طرق كثيرة، وعلى رأسها الناطقين باسمها من الفئات المعروفة، أما سلطة عرفات فإنها تتحمل مهمة شاقة ووقحة في آن واحد، إذ لا حجج واهية يتغلق بها في حربه تلك ولا فتوى أو حتى قبول شعبي لحماية (يهود) من عمليات المجاهدين.

الإسلاميون .. هكذا يُستخدمون؟:

والعجيب: أن النظام العرفاتي نفسه كلما ضُيّق عليه الخناق من قبل حكومة يهود لجأ إلى التهديد بتسريح عدد من معتقلي الحركات

المسلمون والعالم



الإسلامية، وقد ذكرت الإذاعة الإسرائيلية أن أجهزة الأمن الفلسطينية تحذر «نتيناهو» من أن عملية مكافحة المنظمات الأصولية سوف تزداد صعوبة إذا لم تغير حكومته سياستها!! . [الحياة، ١٤/٦/١٩٩٦م].

فالسلطة على يقين من أن أولئك المجاهدين هم من يستطيع حقًّا الصمود أمام يهود.. ويهود تعلم ذلك يقينًا.. ولكن (جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم).

ونتعجب أيها الكرام من أن (١٣) جنرالاً يرأسون قوات الشرطة الفلسطينية، بينما الجيش الأحمر (الروسي) في أوقات الذروة لم يرأسه أكثر من (جنرالٍ واحد!!) بل لقد بلغ عدد قوات الشرطة ٢٠ ألف عنصر في حين أن جهاز الشرطة الإسرائيلي ١٧ ألف عنصر فقط، بل ونتساءل: لماذا تُوجَّه أغلب المعونات التي تصل إلى السلطة إلى جهاز الشرطة؟!.

إن الأمة حين لا تكرم مجاهديها الصادقين يضرب الله عليها الذل.

ونختم بصورة مريرة لهذا الذل ونتبعه بتعليق واحد.

سئل «عزيز عمر» محافظ الخليل من قبل هيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي. سي): ما الذي أعدته السلطة عند الانسحاب من الخليل وخاصة ما يخشى من قوع مجازر من قبل المستوطنين؟، أجاب: «جملة واحدة أستطيع أن أقولها، هم أعدوا السلاح.. ونحن أعددنا المستشفيات!!». [بي.بي.سي، ١٥/١١/١٩٩٦م].

لقطة:

قام كبير حاخامات مستوطنات (كريات أربع) اليهودية بزيارة في ١٤/٧/١٩٩٦م إلى ابن الإرهابي المجرم «باروخ جولدشتاين» في الخليل.. ثم قال له: كن بطلاً.. وسر على خطى أبيك!!.

هكذا يشجع المتدينون وترفع من روحهم المعنوية، ولكن كيف يفعل الحاكمون بأمرهم (بمتدينينا)، هذا ما توحيه اللقطة التي تغني عن عشرات الصفحات.

وحسبنا الله ونعم الوكيل،،،

إريتريا والدور المشبوه

للجبهة الصليبية الحاكمة

عندما احتل الإيطاليون ما يعرف اليوم بـ (إريتريا) منذ عام ١٨٩٠م: كان سكانها مجموعة من الشعوب تنتمي إلى إثيوبيا، والسودان، وبعضها من أصول عربية، وعندما كانت محمية إيطالية (١٨٨١م ـ ١٩٤١م) حيث أصدرت الحكومة الإيطالية قراراً بتسميتها بـ (إريتريا) وتعني: البقعة الحمراء، وهي كلمة يونانية الأصل.

وفي عام ١٩٥١م وضعت المنطقة التي عرفت بـ (إريتريا) تحت الحكم الفيدرالي مع إثيوبيا، وذلك حتى عام ١٩٦١م، بعد ذلك ضمها «هيلاسلاسي» إلى إثيوبيا، واستمر ذلك حتى عام ١٩٩١م.

جغرافية إريتريا:

الموقع: تقع إريتريا غرب البحر الأحمر، في القرن الإفريقي، تحدها من الجنوب الشرقي: جيبوتي، ومن الشرق والشمال: البحر الأحمر، ومن الشمال الغربي والغرب: السودان، ومن الجنوب: إثيوبيا.

أهمية الموقع: يشكل الموقع الجغرافي لإريتريا أهمية بالغة، من كونها: تشرف على الجزيرة العربية، وتعتبر البوابة الشرقية لإفريقيا التي عن طريقها انتشر الإسلام في شرق إفريقيا، وعبرها كانت الهجرتان لصحابة رسول الله ﷺ إلى بلاد الحبشة.

المساحة: تبلغ مساحة إريتريا (١٢٤ ألف كلم٢)، وتطل بواجهة بحرية طولية تبلغ حوالي (١٠٨٠ كلم٢) على الساحل الغربي للبحر

المسلمون



والعالم

بقلم :
محمد مبارك مسعود

الأحمر ، وتملك إريتريا (١٢٦) جزيرة، أهمها : أرخبيل (دهلك) .

أهم المدن :

● **أسمرا :** وهي العاصمة، وتعتبر أكبر المدن الإريترية، وتقع في إقليم حماسين.

● **مصوّع :** وتقع في إقليم سمهد على البحر الأحمر، وتعتبر الميناء الرئيس لإريتريا .

● **عصب :** تقع في إقليم دنكاليا على البحر الأحمر، بالقرب من باب المندب، وتعتبر الميناء الثاني لإريتريا .

● **كِرن :** تقع في إقليم سخيت، وهي من أبرز مناطق الوجود الإسلامي الفاعل .

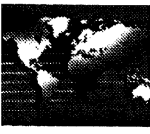
● **أغددات :** تقع في إقليم بركة .

● **مدينة نقفة :** تقع في إقليم الساحل .

● **مدينة مندفرا :** وتقع في إقليم القاش بالقرب من الحدود السودانية .

السكان واللغة :

كانت إريتريا بحكم موقعها الجغرافي منذ أقدم العصور مسرحًا لاختلاط وانصهار شعوب مختلفة، ولذا : نجد أن سكان إريتريا تختلط فيهم الدماء الحامية والسامية، أما عدد السكان فيبلغ حوالي أربعة



ملايين نسمة تقريبًا، ويشكل المسلمون أغلبية، فهم أكثر من ٧٥٪، والبقية منهم نصارى ووثنيون .

وتعتبر اللغة العربية لغة أساسًا في إريتريا، كما توجد بجانبها ثماني لهجات محلية .

إريتريا والإسلام:

دخل الإسلام إريتريا منذ سنوات الدعوة الأولى ، حيث حملها المهاجرون الأوائل من الصحابة، ثم توالت هجرات التجار المسلمين والدعاة الذين جاؤوا بدين الفطرة ودخل الإريتريون في دين الله أفواجًا .

وابتداءً من عام (٨٠هـ) كانت جزيرة (دهلك) القريبة من (مصوع) مصدر إشعاع لتعليم القرآن الكريم والعلوم الشرعية ونشر الدعوة الإسلامية في دول شرق إفريقيا ، كما كانت هذه الجزيرة أحد الثغور للجيش الإسلامي في عهد عبد الملك بن مروان ، وكانت جزءًا من أرض الخلافة الإسلامية حتى نهاية القرن التاسع عشر .

الموقع الاستراتيجي :

إن امتلاك إريتريا لساحل طويل ومجموعة الجزر المهمة على البحر الأحمر ـ باعتباره ذا قيمة استراتيجية دولية ـ جعل إريتريا تتعرض لأطماع دولية وإقليمية مستمرة ؛ وذلك بهدف إقامة قواعد عسكرية بها، حتى تتحقق من خلالها :

ـ السيطرة على حركة الملاحة البحرية في البحر الأحمر .

ـ الاقتراب من مصادر الطاقة النفطية والتحكم فيها .

ـ القرب من أهم المقدسات الإسلامية، وهذا يشكل أحد أهم الأهداف الرئيسة للدول المعادية، وعلى رأسها العدو الصهيوني، فقد أقامت إسرائيل قواعد عسكرية، بعد أن سمحت الحكومة الإثيوبية لها ببناء

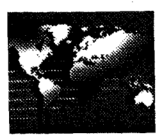


قواعد في الجزء الغربي في إريتريا، وأهم هذه القواعد : قاعدتا (دوراحباب ـ ومكهلاى)، وهي تقع بالقرب من الحدود الإريترية / السودانية، وتقوم الطائرات الإسرائيلية بالطيران المباشر من هذه القواعد إلى تل أبيب، كما أن إثيوبيا قد سمحت لإسرائيل ببناء قاعدة بحرية في جزيرتين إريتريتين عند مضيق باب المندب، وهما : جزيرة (حالب)، وجزيرة (فاطمة)، وتبعد هاتان الجزيرتان حوالي (٥٠ ميلاً) عن مضيق باب المندب .

كما أن إسرائيل تعتبر أسمرة مركزاً إفريقيًّا مهمًّا لمخابراتها، حيث تنطلق توجيهاتها لكل الذين يتعاملون معها في المنطقة، وبخاصة الدول المطلة على البحر الأحمر .

إريتريا والاستعمار الصليبي :

عندما ضعفت دولة الخلافة العثمانية وقعت إريتريا تحت سيطرة الاستعمار الإيطالي (١٨٨٥م ـ ١٩٤١م)، الذي سعى لفرض مفاهيمه الصليبية في البلاد، كما عمل على إتاحة فرص التعليم أمام أبناء النصارى الإريتريين في الوقت الذي مارس فيه سياسة التجهيل لأبناء المسلمين، وقد استخدم الشعب الإريتري في حروبه الاستعمارية في شمال إفريقيا وشرقها، وبعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية : حل الاستعمار البريطاني محل الاستعمار الإيطالي باسم الانتداب (١٩٤١م ـ ١٩٥١م)، وقد مهد هذا الانتداب الطريق أمام « هيلاسيلاسي » كي يحقق حلم النصارى الإثيوبيين في احتلال إريتريا، ولهذا : فإن مرحلة تقرير المصير في نهاية العقد الخامس ومطلع العقد السادس من القرن الميلادي الحالي شهدت صراعًا كبيراً بين النصارى الإريتريين (الذين كانوا يسعون من خلال حزبهم الصليبي الداعي للانضمام إلى إثيوبيا ـ آنذاك ـ لضم إريتريا



إلى إثيوبيا)، وبين المسلمين الذين كانوا ينادون بالاستقلال التام لإريتريا من خلال حزب (الرابطة) الإسلامية، الذي تأسس في نهاية ١٩٤٦م .

وفي هذه المرحلة وقفت كل القوى الصليبية على مستوى المنطقة والعالم خلف النصارى الإريتريين في صراعهم ضد المسلمين، وكان في مقدمة ذلك كل من إثيوبيا وأمريكا وبريطانيا ، وفي إطار التآمر الصليبي : صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام (١٩٥٠م) القاضي بربط إريتريا فيدراليًّا مع إثيوبيا .

إعلان الكفاح المسلح :

وفي الفترة (١٩٦١م ــ ١٩٨٥م) شهدت إريتريا عدداً من الانتفاضات الشعبية، تمخض عنها ميلاد جبهة التحرير الإريترية التي فجرها المسلمون عام ١٩٦١م، في وجه التآمر الصليبي، وذلك اعتماداً على إمكاناتهم الذاتية المحدودة، وقد حققت هذه الجبهة انتصارات باهرة على المستعمر الإثيوبي الذي استعان عليها بدعم وخبرات الدول الصليبية وإسرائيل، فضلاً عن قوات الكوماندوز (الخاصة) التي كانت تتكون في غالبيتها من أبناء النصارى الإريتريين الذين تدرب بعض ضباطهم في الكليات العسكرية الإسرائيلية، وقد تم عن طريق هذه الحروب الشرسة تخريب ديار المسلمين وتدمير ممتلكاتهم، وقتل وتشريد جموعهم، وفرض اللجوء الجماعي لكثير منهم إلى الأقطار المجاورة، وبخاصة السودان، الذي ما زال يستضيف أكثر من مليون مهاجر في الإقليم الشرقي.

وعلى الصعيد الداخلي لجبهة التحرير الإريترية : فقد تغلغت إلى صفوفها الأحزاب العلمانية فانحرف مسارها الإسلامي، وهيأت المجال لتدفق النصارى إلى صفوفها ، وفي بداية العقد الثامن الميلادي : اتسعت الصراعات الحزبية في داخل الجبهة؛ مما أدى إلى انشطارها إلى عدة





تنظيمات علمانية، وفي مقدمتها الجبهة الشعبية، التي انفردت فيما بعد بالساحة بعد حروب تصفوية، وآلت على نفسها حرب الإسلام، ونشر الرذيلة، ونهب الممتلكات، وانتهاك الأعراض، وتحجيم المسلمين، وإبعادهم عن الواجهة إلا من كان علمانيًا على نهجها.

الهجمة الصليبية الجديدة:

لما أصبحت حركة الجهاد تقض مضاجع الصليبية في المنطقة، وصارت الصحوة الجهادية تنتقل إلى بقية دول القرن الإفريقي: تحرك الأخطبوط الصليبي المسمى بالنظام الدولي الجديد؛ ليرعى أهداف الصليبية في المنطقة ومصالحه الاستراتيجية فيها، فكانت محادثات أتلانتا ونيروبي بإشراف «كارتر» الرئيس الأمريكي الأسبق، ومحادثات لندن بإشراف «كوهين» اليهودي مسؤول الشؤون الإفريقية في الخارجية الأمريكية، وكانت نتائج المحادثات: توحيد الجبهات الصليبية الإثيوبية في جبهة (إهودق).

كما تم التنسيق بين الجبهة المذكورة والجبهة الشعبية الإريترية (تنظيم صليبي) في شتى المجالات، واستكمالاً للمخطط: قامت رموز النظام العالمي الجديد باتصالات سرية ببعض كبار ضباط الجيش الإثيوبي، وعقدت صفقات سرية أسفرت عن نقل (الفلاشا) من أديس أبابا إلى تل أبيب، واستسلام جيوش نظام «مانجستو هيلا ماريام» أمام القوى الصليبية الجديدة، من غير إبداء أي مقاومة في مايو ١٩٩١م! وتسلمت جبهة (هودق) السلطة في إثيوبيا برئاسة «ملس زيناوي»، كما تسلمت الجبهة الشعبية السلطة في إريتريا برئاسة «إسياسي أفورقي»، وفي إطار هذه التطورات: فإن الجبهة الشعبية سعت جاهدة بالتحالف مع جبهة «ملس زيناوي» ـ حكام إثيوبيا الجدد ـ وإلى تأكيد وتدعيم الهيمنة الصليبية في

المنطقة عمومًا وفي إريتريا على وجه الخصوص، وذلك من خلال السياسات والبرامج التي تنفذها على مختلف الأصعدة، ومنها :

أولا : على الصعيد المحلي:

محاربة الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا، من خلال :

ـ فرض البرنامج التعليمي للجبهة الشعبية على المدارس والمعاهد الدينية، مما يؤدي إلى زعزعة العقيدة الإسلامية والتعاليم الدينية في نفوس الناشئة.

ـ تنفيذ قانونها الخاص بالزواج والمواريث، الذي يبيح زواج النصراني بالمسلمة ، ويورث أبناء السفاح ، ويشجع على الفاحشة .

ـ إثارة النعرات القبلية والطائفية؛ بهدف تفتيت وحدة المسلمين وإضعاف شوكتهم .

ـ إلغاء دور المسلمين في مسألة تقرير المصير وتهميشهم في إدارة شؤون البلاد .

ـ تغيير البنية الجغرافية والتوزيع السكاني في إريتريا، من خلال توطين النصارى من أبناء إريتريا والتجراي في مواطن المسلمين بمختلف المناطق الإريترية، وخصوصًا في المنخفضات الغربية والشرقية ذات الأراضي الزراعية الخصبة .

ـ تعزيز المركز السياسي والاجتماعي للنصارى في إريتريا من خلال إصدار القوانين التي من شأنها ضمان تحقيق ذلك، والتي منها :

- قانون منح الجنسية الإريترية للنصارى .
- القوانين المنظمة لعملية الاستفتاء التي تتبناها الجبهة الشعبية لصالحها وللمنتسبين لها ، ومن أهم ما تستهدفه هذه القوانين: تغليب النسبة السكانية للنصارى على المسلمين في إريتريا؛ مما يساعد على

المسلمون



والعالم

تحقيق الأهداف والنوايا الصليبية، ويضعف دور المسلمين، ويهدد الوجود الإسلامي في إريتريا بخاصة، ومنطقة القرن الإفريقي بعامة.

● محاربة اللغة العربية وإبعادها عن الدواوين والمؤسسات الحكومية، وفرض اللغة (التجرينية) لغة رسمية وحيدة؛ مما يضعف الوعي الإسلامي، ويهدد الثقافة الإسلامية والعربية.

ثانيا: وعلى الصعيد الإقليمي والدولي:

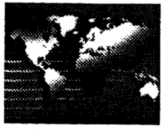
ـ توطيد العلاقات مع نظام «ملس زيناوي» الصليبي في إثيوبيا، والتنسيق معه لضرب المسلمين في كل من إريتريا وإثيوبيا، والسعي لإقامة حلم دولة (أكسوم) النصرانية.

ـ رعاية المنظمات والهيئات الكنسية العالمية، وجعل إريتريا منطلقًا للنشاط التنصيري في منطقة القرن الإفريقي بخاصة والقارة الإفريقية بعامة، وإعاقة نشاط المنظمات والهيئات الخيرية الإسلامية داخل إريتريا.

ـ الإساءة إلى العلاقات العربية، كالتعاون مع (إسرائيل)، وإنكار دور العرب والمسلمين في دعم القضية الإريترية، وذلك من أجل قطع علاقة الشعب الإريتري بالشعوب الإسلامية والعربية.

ـ السعي الجاد في توطيد العلاقة مع الدول النصرانية والمنظمات الصليبية العالمية، بما يحقق مصالحها الاستراتيجية وأطماعها الصليبية.

ـ توطيد وتطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني، مما يضر بمصالح الأمة الإسلامية، ويهدد أمن منطقة حوض البحر الأحمر.



الصفوة والأمة (١)

بقلم: محمد محمد بدري

في دائرة الضوء

في مكة، وحين كان الإسلام يعيش غربته الأولى: كان النبي ﷺ يخاطب بدعوته أفراد مجتمعه كافة، ويُؤَثِّر فيهم تأثيراً إيجابيًّا، كان من آثاره: نشأة الجيل القرآني الفريد الذي أزال الله على يديه غربة الإسلام الأولى، وأقام على أكتافه دولته القوية العزيزة.

واليوم .. عادت غربة الإسلام ثانية للذين يقولون ربنا الله، يدعون لدينه، ويتبنونه منهاجًا، ويعملون لنصرته، ويتخذون ذلك غاية لهم، حمل الغرباء السعداء بدعاء رسول الله ﷺ لهم بالحسنى، حملوا راية الإسلام لبدء الجولة الثانية لهذا الدين، وليُخْرِجوا من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.. وبدأ الناس يعودون إلى الإسلام، يريدونه رائقًا صافيًا كما أُنْزِل أول مرة بلا غبش ولا ركام.

ولا شك أن أخوف ما يخافه خصوم الإسلام: أن تمتد للدعوة الإسلامية جذور في أوساط (الأمة)، وأن ينشأ لها في (قواعدها) تأييد أو تعاطف.. من أجل ذلك: كانت خططهم دائمًا تقوم على محاولة فصل الدعاة إلى الله عن عامة الأمة، فإذا استجابت الدعوة الإسلامية لهذه الخُدْعة، وصنعت هوة بينها وبين الناس تحت أي دعوى: فقد انفصلت عن أرضها وقاعدتها، وبدأت طريق الهلاك العاجل أو الآجل!!.

ومن هنا: فإننا لا بد أن ندرك أن دعوتنا لا حياة لها إلا بقلب الأمة النابض، وأن عِلْمنا لا بد أن يكون في محاولة هداية أفرادها وإصلاحهم، دون ممالأة أو ذوبان في شهواتهم، بل لأننا ندرك «أن من يعتزل الناس لأنه يحس

أنه أطهر منهم روحًا، أو أطيب منهم قلبًا، أو أرحب منهم نفسًا، أو أذكى منهم عقلاً.. لا يكون قد صنع شيئًا كبيرًا.. لقد اختار لنفسه أيسر السبل وأقلها مؤونة..

إن العظمة الحقيقية: أن يخالط المسلم هؤلاء الناس وهو مشبع بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم، وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم، وتثقيفهم، ورفعهم إلى مستواه بقدر ما يستطيع.. وليس معنى هذا أن يتخلى المسلم عن آفاقه العليا ومثله السامية، أو أن يتملق هؤلاء الناس ويثني على رذائلهم، أو أن يشعرهم أنه أعلى منهم أفقًا، بل لا بد من التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر، لما يتطلبه هذا التوفيق من جهد»[1].

فالداعية الإسلامي: رجل يحب الناس، ويحبه الناس؛ فلا فجوة بينهم وبينه.. وهو في حركته روح تسري في قلب الأمة، فتحييها بالقرآن.. وجسد يسعى في سبيل تحرير الأمة من الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي تمارسه الأنظمة العلمانية المتغربة والغريبة عن الأمة وعن دينها.. وعقل يلمؤه الوعي..

بل العمل الإسلامي: جهاد (أمة)، وليس جهاد (حزب) أو (جماعة) أو (تنظيم)، ولذلك: فإن الدعوة الإسلامية تواجه أعداءها بـ(الأمة المسلمة) بعد إحيائها وإخراجها من حالة الالتباس والاغتراب، فتكون مواجهتها لهم مواجهة قوية، وليست مواجهة (غرباء) لا يجدون من يقف معهم أو ينتصر لهم!!.

ولكي تصل الدعوة الإسلامية إلى (إحياء الأمة) فإنه من الضروري أن تقوم بترتيب أولويات أعمالها، وتراعي هذا الترتيب في دعوة الناس، وفي تنظيم مراحل علاج المواقع الفاسدة، والبناء للواقع الإسلامي الصالح، وذلك من خلال ما تتبناه من أفكار، ومنهاج للتربية، وأسلوب في العمل.. على النحو التالي:

١ ـ **الأفكار**: لا بد أن تكون ملكًا للأمة، وليست حكرًا على النخبة أو الصفوة، ومن ثم: فلا بد أن تكون

---

١) أفراح الروح، سيد قطب.. بتصرف.

باللغة التي تفهمها جماهير الأمة، وتقوم على حل مشكلات الواقع، ورسم خطة المستقبل الأفضل.. فإنها إن كانت كذلك تحوّلت ـ بإذن الله ـ إلى تيار عام كاسح، يغيّر بجهاده المستمر أسس الجاهلية الفكرية والخلقية والثقافية السائدة في كثير من أحوال الأمة.

٢ـ منهاج التربية: تربية كل فرد على الشعور بأنه (هو) المسؤول عن تغيير واقع الأمة الإسلامية وليس (غيره).. وأنه يمتلك القدرة على هذا التغيير إذا سعى إليه بروح الائتلاف مع الأمة، والارتباط بجذورها، وعدم العزلة عنها أو مفارقتها.. ولذلك: فإنه لا بد أن يخالط الناس ويصبر على أذاهم؛ لأن ذلك أرضى لله، وأنفع لعباده.

ولا شك أن هذا المنهاج التربوي سيُخْرِج ـ بإذن الله ـ دعاة إلى الحق يأخذون بيد كل فرد في الأمة إلى الله، ولا يحصرون أنفسهم بين الجدران، بل يتغلغلون في أوساط الأمة لتبسيط دعوتهم ودرء ما ألحقه بها الطواغيت والمبطلون.

٣ ـ أسلوب العمل: توسيع دائرة العمل للإسلام إلى أبعد حد ممكن، عبر إقامة شُبكة متكاملة من الروابط والعلاقات، ومد جسور التواصل مع مختلف طبقات الأمة، بحيث تصبح العلاقة بين (الصفوة) و(عامة) الأمة هي علاقة إيجابية تقوم على الحب المتبادل وتكامل الطاقات لخدمة الإسلام.. في صورة تتفق أو تقترب من قول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١]، وقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[٢].

ولا شك أن هذا يتطلب من العاملين للإسلام «امتلاك القدرة على فقه التعامل مع المجتمعات، والانفتاح المتزن أكثر، وفتح منافذ جديدة للدعوة، وامتلاك قدر أكبر من المرونة، مع الإبصار الكامل والدقيق والأمين للأهداف، والتقدير للإمكانيات.. ولايعني هذا بحال من الأحوال أن

١) رواه مسلم.

٢) رواه البخاري.

يكون دعاة الإسلام دمًا جديداً في قوة الباطل، أو أن يوظف الإسلاميون لغير الأهداف الإسلامية، وإنما يعني: النزول إلى الساحة، وفهم واقع الناس؛ حتى يجيء الأخذ بيدهم ثمرة لهذا الفهم، ذلك أن الناس هم محل الدعوة، وهم جديرون بالشفقة والإنقاذ»[1].

إن العاملين للإسلام عندما يكونون في الطليعة فإنهم يحصرون دائرة الصراع مع الأنظمة العلمانية التي تجتال الناس عن دينهم وتحمل الأمة على التحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله.

ولا تنقل الدعوة الإسلامية الطليعية صراعها ومعركتها إلى الأمة التي يقع عليها الكثير من المظالم، والتي تتطلع لليوم الذي تُحكَم فيه بالإسلام، وبشريعة العدل الرباني.

إن الدعوة الإسلامية التي تنفذ إلى أعماق الأمة تمتلك السلاح الأقوى في الصراع بين الإسلام والعلمانية، لأنها تمتلك قلوب عامة الناس بأخلاقها الحسنة وفعالها الطيبة.. بينما تحكم العلمانية الأمة بنظم عسكرية قهرية، فتبقى معزولة عن الأمة ومرفوضة من عامة الناس.

ولذلك: فإن الضغط على هذه الأنظمة العلمانية بـ (الأمة) ذات الولاء الثابت للإسلام، قادر ـ إن شاء الله (تعالى) ـ على جرف هذه الأنظمة العلمانية (الورقية) والإلقاء بها في مزابل التاريخ.

وبكلمة أخيرة: لا تقدر الدعوة الإسلامية على القيام بدورها ومسؤولياتها كاملة إلا أن تمتلك رصيداً كبيراً في الأمة، وتستند إلى قاعدة عامة قوية، تدخل بها دائرة المفاصلة مع الأنظمة العلمانية لإقامة الحكم الإسلامي.. ولكي تحقق هذا الهدف: لا بد أن تشق الطريق نحو الأمة أكثر وأكثر، فتدخل في نسيجها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، توظف كل ذلك لخدمة أهداف الإسلام، عبر الإحياء الإسلامي الكبير الذي ينساب في خلايا المجتمع، ويسري في روح الأمة، فيحييها بالوحيين.

---

(١) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، عمر عبيد حسنة.. بتصرف.

بريد البيان

■ الأخ / عدلي علي حمّاد :
مشاركتك (قصة موسى عليه السلام والخضر) تمت إجازتها وسترى النور في عدد قادم ـ بمشيئة الله (تعالى) ـ وجزاكم الله خيراً.

● ● ●

■ الأخ / سلطان الرسيني، والأخ / فيصل العبودي :
نشكر لكما ثناءكما وحسن ظنكما بالمجلة، وقد تم تنبيه فنيي الطباعة على الملحوظة التي أشرتما إليها لتلافيها مستقبلاً، أما بالنسبة للإعلانات فهي محل دراسة، وحينما يأتي إعلان لا يخالف منهج المجلة فلا مانع منه، وقد سبق شيء من ذلك.

● ● ●

■ الأخ / عبد العزيز محمد علي :
نرحب بك وبما ورد من اقتراحاتك، ونفيدك : أن اقتراحك الأول محل دراسة، أما بخصوص عرض طلبات الكتب التي تصل من إخواننا المسلمين في أنحاء العالم : فإن ذلك ليس من اختصاصات المجلة وتوجد هيئات خيرية أخرى تتبنى مثل هذا الجهد الدعوي الخيِّر، ويمكنك الحصول على الأعداد السابقة من البيان بالكتابة إلى قسم الاشتراكات بالمجلة.

● ● ●

■ الأخ / د. عبد الغني مزهر :
قصيدتكم (فتاة الشرق وفتاة الغرب) جيدة لكنها طويلة، وسينشر جزء منها في عدد قادم ـ بإذن الله ـ.

● ● ●

■ الأخ / محمد علي :
مع تقديرنا لفيض مشاعرك وأحاسيسك، إلا أن مشاركتك يعوزها البناء الفني للقصة، أما عن عتابك : فالمجلة لا تتجاهل الأحداث في أي مكان ، وترحب بنشر المشاركات الجادة الموثقة والقائمة على ذكر الحقائق متى وصلتها، ولعل ما عرضت التواصل به يكون محققًا لذلك.

● ● ●

■ الأخ / د. محمد عبدالعزيز الحلواني :
سبق للمجلة معالجة موضوع الديمقراطية في عدة مقالات لأحد المختصين ـ وما زالت ـ ، لذا : نعتذر عن نشر مقالتك، مع شكرنا وتقديرنا لجهدك .

● ● ●

■ الأخ الفاضل / د. إسماعيل رضوان :
مشاركتكم أجيزت، وسيتم نشر جزء منها في منتدى القراء ـ بمشيئة الله (تعالى) ـ.

● ● ●

■ الأخ / محمد أحمد الأحمري :
قصيدتك ستنشر في منتدى القراء في عدد قادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

■ الأخ / يوسف عمر قوس :
وصلتنا مشاركتاك « تأملات في محاسبة الذات »، و« من أجل خطوة إلى الإمام على طريق النقد الذاتي »، وسيتم نشر المشاركة الثانية ـ بمشيئة الله (تعالى) ـ بينما نعتذر عن نشر المشاركة الأولى لتشابه المقالتين، تجنبًا للتكرار.

● ● ●

■ الأخ / سميفا إسماعيل دياني :
نعتذر عن نشر مشاركتك (وقفة تأمل مع الدعاة)؛ حيث تحتاج الفكرة إلى مزيد من الإيضاح، مع شكرنا وتقديرنا، ومرحبًا بك في مشاركات قادمة.

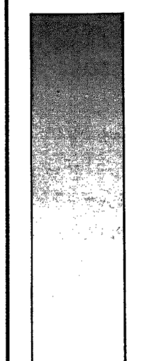
● ● ●

ملحوظة عامة:
نذكر ونؤكد على الإخوة الذين يرسلون بمشاركاتهم إلى المجلة بضرورة الاعتناء بتوثيق وتصحيح الشواهد والآثار التي يوردونها.



وماذا بعد رمضان؟

بقلم : فيصل البعداني



ها هو الشهر المبارك قد أقبل، وستنصرم أيامه، وتنقضي لياليه، وكما بدأ سينتهي، بعد أن يجتهد المجدون، ويتسابقوا في الخيرات، ويصبح المخلصون يعيشون بين أمل قبول العمل وخشية رده وحبوطه.

ولكن في ظني أن هناك أموراً لا بد للساعين إلى الله (عز وجل) من اعتبارها والتنبه لها بعد هذا الموسم العظيم سواء في حياتهم الشخصية أو الدعوية؛ وذلك: لأن المطلوب من العبد اتخاذ هذه المواسم محطات للتزود من التقوى، ثم السير بهذا الزاد من محطة إلى أخرى ، لا أن يجعل حياة الطاعة مقصورة على تلك المواسم، فمتى مضت مضت طاعته معها!.

وليست الإشكالية في اختلاف مقدار العبادة التي يقوم بها العبد في تلك المواسم وفي غيرها، إذ أمر العبادة مهيأ للعبد فيها أكثر من غيرها، فرمضان مثلاً شهر « تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه مردة الشياطين »[أخرجه النسائي، وصححه الألباني]، ولذا: حين نتأمل في عبادة النبي ﷺ ـ الذي أمرنا الله (عز وجل) أن نتأسى به ـ نجد أنه كان أكثر اجتهاداً في العبادة في رمضان من غيره، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: « كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان » [أخرجه مسلم]، وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: « كان رسول الله ﷺ

يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره» [أخرجه مسلم].

وعليه: فإن المطلوب من العبد أن يداوم على مجالات الخير التي طَرَقها في رمضان، ـ سواء أكانت قيام ليل أو قراءة قرآن أو صدقة تطوع أو دعوة إلى الله (عز وجل).. أو غير ذلك ـ ولو بمقدار أقل؛ لأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، ولأن رسول الله ﷺ ـ كما حدثت عائشة (رضي الله عنها) ـ: «كان إذا عمل عملاً أثبته» [أخرجه مسلم].

ولو تأمل الإنسان مقدار الخسارة التي يجنيها من جراء بطالته العبادية والدعوية في غير مواسم الخير ـ سواء على المستوى الشخصي أو على مستوى الأمة ـ لوجدها جسيمة.

فكم من الأوقات تمضي عليه سدًى مع أن العبد يوم القيامة يتمنى لو أضاف إلى رصيده خيراً ـ مهما قل مقداره وتدنّى أجره ـ ليدرأ عن نفسه عقوبة أو ليرتفع درجة.

ولو حسبنا مقدار الأوقات والجهود والإمكانات المضاعة من مجموع أفراد الأمة التي لو استثمرت بشكل جيد لمصلحة الأمة في المجالات المختلفة ـ دعوية أو غيرها ـ لعلمنا حجم الجناية التي تحدثها البطالة والانقطاع عن العمل العبادي في غير مواسم الخيرات على الصعيد الشخصي والجمعي.

إن أبرز ما في هذه المواسم المباركة ـ ومنها رمضان ـ أنها تقنع العبد بأن بإمكانه أن يفعل الكثير والكثير متى ما أخذ نفسه بمأخذ الجد وقوّى استعانته وصلته بالله (عز وجل).

إنها تجعل من العبد نفسه قدوة عملية لنفسه في غيرها، إذ بإمكانه بأن يفعل في غيرها ما فعل فيها من خيرات، بدليل أنه فعل!، والتجربة خير برهان، والواقع أكبر دليل، والملهيات والعوائق النفسية والاجتماعية وغيرها التي تجاوزها في موسم الخير يمكنه تجاوزها في غيره كما تجاوزها فيه، والدافع الذي مكنه من تجاوزها ما زال موجوداً، إذ الرب (سبحانه) بالمرصاد، والجنة والنار مخلوقتان، ولكل منهما أهلون.

فلنبادر ـ ونحن ما زلنا في هذا الموسم العظيم ـ قبل أن تغلق أبواب الجنان وتفتح أبواب النار وتُطلق الشياطين أن نرسم لأنفسنا الخطط، ونعد لها البرامج الخيرة التي سنسير عليها حتى الموسم القادم ومحطة التزود الأخرى، آخذين أنفسنا بالجد الذي ابتدأناه في رمضان، مستعينين بالله (عز وجل) الذي لا حول ولا قوة لنا ـ معاشر العباد ـ إلا به.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

حقوق وحقوق

هل سمعتم بالمدعوة (B.B) .. إنها ممثلة فرنسية محالة للاستيداع بعد أن عملت لعقود في هدم أخلاق الغربيين بالإباحية والفجور، وحتى لا تُنسى كما نُسي غيرها بعدما أسدل عليهم الستار اهتمت بما يسمى بحقوق الحيوان، والحدب عليها من أن تقتّل أو تتخذ رياشاً للزينة، أو أن تُستأصل، فقامت بحملات متواصلة لحماية حقوق الحيوان، نعم حقوق الحيوان.. وليس الإنسان، وقد نقل عن المذكورة أنها تتهم الإسلام والمسلمين بالبطش وعدم الرحمة لذبحهم الذبائح حسب الشريعة، بدون تخدير لها، وفي هذا غلظة.. هكذا .

وحينما تقدم المسلمون بطلب محاكمتها لهذا التّهجم على الإسلام رفضت التهم الموجهة إليها.. ونحن لا نستغرب التناقضات الحاصلة في الحياة الغربية من الاهتمام بالتوافه ونسيان الحقائق، ومن ذلك: تناسيهم لحقوق الشعوب المغلوبة على أمرها التي تقتل ليل نهار، وهم الذين استعمروا الشعوب واستولوا على خيراتها وحرموها منها ، فأين دعاة حقوق الحيوان من حقوق هذا الإنسان في هذه البلاد؟، بل أين هذه المدعوة من حقوق الإنسان في بلادها، حيث يضيق على المسلمين إلى حد المنع الرسمي لكتب فكرية إسلامية، ومنع الفتيات من ارتداء الحجاب؟!.

وأين هؤلاء الدعاة من حقوق الإنسان في فلسطين، بل لدى جيرانهم شرقاً في البوسنة والهرسك، أم أن الإنسان المسلم لم يبلغ بعد درجة الحيوان؟!، فهل يعي الغربيون تلك الحقائق أم أن المسألة ليست سوى استهلاك وجعجعة ودعايات، وهم الذين تتورم أنوفهم حينما يكون الاعتداء على غير المسلمين فقط؟!.

وحتى متى يسمح للاتجاهات العنصرية بالعمل ضد الآخرين كما هو ملموس في الغرب، إن الغرب وحضارته لن تصل إلى مستوى رحمة دين الإسلام مع الإنسان، بل حتى مع الحيوان، جاء في حديث نبوي: «وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته».. فأين رحمتهم بالإنسان والحيوان؟، أين الثرى من الثريا؟!.

والله المستعان

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥.

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065

الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
امريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الاردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وامريكا ١٫٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

كلمة في البناء الدعوي

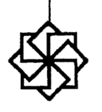
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد كانت الصحوة الإسلامية في العقود الماضية بحاجة إلى الانتشار والاتساع الأفقي، وتكثير سواد الصالحين، ونحسب أنها ما زالت بحاجة إلى ذلك الانتشار والامتداد، من أجل تبليغ الرسالة، وإقامة الحجة على العباد.

ولكنها في هذه المرحلة على وجه الخصوص بحاجة أشد إلى نظرة إلى الداخل، نظرة بعمق داخل الفرد بوصفه فرداً، وداخل الأمة بعامة؛ لتنمية وترسيخ الإيجابيات عقديًا وعمليًا، لتمتين قواعد البناء، والاهتمام بالنوعية، ورفع الكفاءة، وذلك يتطلب ـ بلا شك ـ جهداً أكبر في تعميق جذور الدعوة الإسلامية في شتى أنحاء الأرض؛ لكي ترسخ وتقوى ويشتد عودها، ثم تنمو نموًّا محكمًا متزنًا، بعيداً عن العشوائية والارتجال.

ولعلَّ من أبرز المعضلات التي تواجه الصحوة الإسلامية في مرحلتها الحالية: ضعف المَلَكة الإدارية لدى كثير من العاملين في الحقل الإسلامي، مما أدى إلى ضعف الخطط وإغفال دراسة الأهداف القريبة والبعيدة، وبناء كثير من المشاريع والبرامج الدعوية على غير أسس علمية، وإنما هي ـ غالبًا ـ ردود أفعال آنية غير مدروسة، ومجرد عواطف غير موجهة..!.

إن بناء الرجال، وتوظيف الطاقات البشرية في مقدمة التصحيح الذي يتطلع إليه المخلصون، إذ إن اكتشاف المعادن الكريمة من الرجال، وإعدادها





إعداداً متكاملاً لتحمل أعباء المسؤولية، هو القاعدة الأساس التي تبنى عليها كافة الفعاليات والأنشطة المختلفة.

ولا شك في أنَّ الصحوة الإسلامية تحوي أعداداً غير قليلة من رجالات الأمة، ولكن نسبة كبيرة من هذه الأعداد تُعَدُّ طاقات كامنة خاملة، عاجزة عن الحركة والإنتاج ـ فضلاً عن الابتكار والإبداع! ـ ؛ لكونها مقيدة بآسار من التبعية والاتكالية، فقد أنهكت السلبية والغثائية والتفلت من المسؤولية جسم الأمة الإسلامية في كثير من قطاعاتها، وأصبحت بعض رجالات الأمة أرقاماً هامشية، لا تعْدُ أن تكون تكثيراً لسواد الصالحين فحسب، دون أن يكون لها دور أكثر جدية في العطاء والبناء!، وصدق الرسول الكريم ﷺ : «تجدون الناس كأبل مئة، لا يجد الرجل فيها راحلة»[1].

لقد بدت مساحة الخير الواسعة التي امتدت فشملت قطاعات كبيرة من الأمة أرضاً خصبة قابلة للتنمية، والاستنبات والرعاية، وبدا أبناء الصحوة محتاجين إلى اليد التي تنقلهم من العاطفة النقية إلى الإخلاص المؤصل، ومن الثقافة العابرة إلى العلم الراسخ، ومن العبادة الآلية إلى التنسك المخبت، ومن المشاعر الطيبة إلى الوعي الواثق، ومن الشعارات العامة إلى الإيمان الصادق.



ونحسب أنه آن الأوان للنهوض من هذه الغفلة، والتخلص من تلك السلبية، فإنَّ المهمة الكبرى التي تواجه المصلحين والدعاة والمربين في كثير من المحاضن التربوية: هي اكتشاف تلك الطاقات، وإعادة بناء المحاضن العلمية والتربوية القادرة على احتوائها، وتنميتها، وتوجيهها التوجيه

كلمة في البناء الدعوي

---

١) أخرجه مسلم : ك فضائل الصحابة، ح/٢٥٤٧.

الأمثل، وفق خطط علمية مدروسة، ورؤى منهجية محكمة.

إن للتربية الإيمانية المتكاملة أثراً كبيراً في بناء الطاقات، وتنميتها، واستثمارها استثماراً مناسباً . .

تأمّل حال العرب قبل الإسلام، وانظر إلى التخلف العقلي والفكري الذي كان يسيطر عليهم، ثم انظر كيف استطاع الإسلام تكوينهم تكويناً جديداً، نقلهم من وهدة الجاهلية وضلالها وسكرتها، إلى نور الإسلام وصفائه وإيجابيته ، وأضحى رعاء الشاء قادة للأمم كلها، حين تساقط تحت أقدامهم عرشا كسرى وقيصر.

لقد كان من أوائل ما نزّل على رسول الله ﷺ قول الله (تعالى) : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ② نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾ [المزمل: ١ – ٤].

تتحدث هذه الآيات عن الإعداد والبناء من أجل تحمل المسؤولية العظيمة: ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ⑤ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً** ﴾ [المزمل:٥، ٦] .

وكان للصحابة (رضي الله تعالى عنهم) نصيب وافر من هذه التربية الكريمة، قال الله (تعالى) : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ**





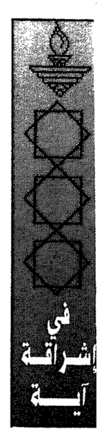
أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المزمل: ٢٠].

إنَّ إحياء الشعوب، وبناء الأمم، وصناعة الحضارات، يتطلب جهداً عظيماً، تتآلف فيه كافة الإمكانات ـ والطاقات البشرية منها على وجه الخصوص ـ، ولن يتم ذلك إلا بشحذ الهمم وتقوية العزائم والسعي الحثيث لبناء الرجال.

إن الله (تعالى) اختار نبيه محمداً ﷺ ليكون المثل الأعلى والقدوة الحسنة للناس كافة، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فكانت سيرته العطرة منهجًا عمليًا يعكس الحياة الإسلامية في أسمى صورها، فقد كان الرسول حاكمًا عادلاً، وأبًا حنونًا، وقائداً موجهًا، وداعية مخلصًا.. فالطريق الحق هو طريقه، والمنهج الكامل هو منهجه، وذلك ما دلنا عليه الهدي الكريم في قوله (تعالى): ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].





النفس اللوامة

بقلم :
د. محمد عز الدين توفيق

في هذا المقال أحاول الحديث عن بعض معاني النفس اللوامة التي أقسم الله تعالى بها في قوله (عز من قائل): ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾ [القيامة: ١، ٢] مستفيداً في قراءتي للآية من أبحاث علم النفس المعاصر؛ بقصد توسيع إدراكنا لمعاني هذا القسم الإلهي، ومعرفة بعض المقاصد التي وراء الإقسام بالنفس الإنسانية عندما تتصف بهذه الصفة (صفة اللوم).

أسلوب القسم في القرآن الكريم:

سورة القيامة مكية بلا خلاف، وموضوعها يُعرف من أول آية فيها، ولذلك سميت به، وهذا من براعة الاستهلال، عندما تعرف موضوع الكلام من أول جملة تسمعها منه.

وتنضم سورة القيامة إلى مجموعة من السور القرآنية المبدوءة بالقسم، والقسم في لغة الناس وكلامهم طريقة في تأكيد ما يخبرون به، فهم يقسمون على الخبر لأنه صحيح، ومهم، ويترتب على جحده من طرف السامع خطر أو ضرر، ويُقسم الشخص على كلامه إذا لمس في الناس تردداً في تصديقه، ولا يلزم أن يكون متهماً عندهم بالكذب، فقد يكون مصدَّقاً فيهم، ولكن غرابة الخبر تَدَعَهم في تردد بين صدق المخبِر وغرابة الخبر، فيأتي القسم ليدعم صدق الخبر ويقويه، حتى لا يدعو استغرابه إلى التكذيب به، والذي أخبر به الرسل من أمور الغيب غريبًا على الناس وهم في عالم الشهادة؛ فيستدلون لهم بصدقهم في أمور الشهادة أنهم

صادقون فيما أخبروا به من أمور الغيب، ومن طرق الاستدلال: القسم.

يتكوّن أسلوب القسم من: مقسم به، ومقسم عليه، وأداة القسم، ومن أمثلة وروده في القرآن: القسم الذي جاء في سورة العصر، والمقسم به هو: الزمان، أو صلاة العصر، والمقسم عليه هو: سعي الانسان الذي يجعله إما من أصحاب الحكم العام (الخسران) أو الاستثناء الخاص (النجاة)، وقد تظهر لنا مناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، وقد لا تظهر، وفي الحالتين فإن اختيار المقسم به والمقسم عليه وتجاورهما في أي موضع من كتاب الله لا يخلو من حكمة ومناسبة.

المقسَم به في القرآن الكريم:

والله يقسم في القرآن بذاته وبمخلوقاته، وقد جاء في كتابه المنزل الإقسام بهما، فمثال الإقسام بذاته فقط قوله (سبحانه): ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥]، ومثال الإقسام بالمخلوقات فحسب قوله (تعالى): ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٧٩]، ومثال الإقسام بهما معًا قوله (تعالى): ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٠]، وهذا أعظم قسم في القرآن؛ لأن الله (عز وجل) أقسم فيه بكل شيء، ففيه الإقسام بالخالق والمخلوق، وبالغيب والشهادة، وبالسماء والأرض، وبالدنيا والآخرة، وتضمن الإخبار بالغيب كله.

وإذا كان له (سبحانه) أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وقد أقسم بعدد منها، فلا بد أن تكون في اختيار المقسَم به حكمة خاصة غير الحكمة العامة التي يأتي من أجلها القسم، وهي: توكيد المقسم عليه، وقد أبدى العلماء حكمتين للمقسم به في القرآن الكريم.

الأولى: توجيه نظر الإنسان إليه؛ لأنه آية من آيات الله، فيكون الإقسام

في إشراقة آية

بتلك الآية وسيلة لتوجيه نظر الإنسان إليها وتدبر ما فيها من عبرة، وأكثر أقسام القرآن الكريم من هذا القبيل، فجميع الآيات الكونية والنفسية التي وجه القرآن الكريم النظر إليها بأساليب أخرى جاء الإقسام بها.

الثانية: هي التنبيه على قدر المقسم به وفضله وشرفه، كما أقسم (تعالى) بحياة نبيه، تبيانًا لشرف هذه الحياة، فإنه أشرف عمر وأبركه بين أعمار الناس، قال (تعالى) في قصة لوط وقومه: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر: ٧٢].

وفي الإقسام بيوم القيامة والنفس اللوامة الحكمتان معًا؛ ففيه لفت النظر إلى الآيات المبثوثة فيهما، وفيه بيان قدر هذا اليوم وقدر هذه النفس.

المقسم عليه في القرآن الكريم:

لم يقسم في القرآن الكريم على مثل ما يقسم عليه الناس من أمور صغيرة وتافهة، بل أقسم على القضايا الكبيرة، فأقسم على الحق الذي جاء به رسوله إلى الناس، والله هو الحق، ولقاؤه حق، والنبيون حق، والجنة حق، والنار حق، لقد أقسم القرآن الكريم على أعظم أركان الإيمان وهو الإيمان بالله فقال (عز وجل): ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ**﴾ [الصافات: ١ - ٤]، وأقسم على صدق نبيه، فقال: ﴿**يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [يس: ١ - ٣]، وأقسم على صدق القرآن وأنه حق من عند الله، فقال: ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٣]، وأقسم على صدق البعث وأنه واقع لا محالة، فقال: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [التغابن: ٧].

العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه:

وحيث إن في كل قَسَم من أقسام القرآن مقسمًا به ومقسمًا عليه: فلا بد من مناسبة بينهما، فإذا اتحد المقسم به والمقسم عليه وكانا شيئًا واحدًا فالمناسبة هي هذا الاتحاد نفسه، كما

في سورتنا، حيث جعل (سبحانه) يوم القيامة مقسماً به ومقسماً عليه. وإن اختلف المقسم به والمقسم عليه: فلا بد أن تظهر بعض المناسبات بينهما، ففي قوله (تعالى): ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ١ - ٤]، كانت المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه: أن الليل والنهار هما وعاء الأعمال، ولا تُتصور أعمال الناس خارج الزمن، فهم يتسلمون أعمارهم أقساطًا أقساطًا، ويصنعون منها أعمالاً تيسرهم لليسرى أو للعسرى.

وفي قوله (تعالى): ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:١-٣] أقسم (تعالى) بالعصر، وهو الزمان أو العمر؛ لأن المقسم عليه هو سعي الإنسان الذي يجعله إما من أصحاب الحكم العام (الخسران) أو الاستثناء الخاص (النجاة)، وقد تظهر لنا مناسبة بين مقسم به ومقسم عليه، وقد لا تظهر، وفي هذه الحالة فإن اختيار المقسم به والمقسم عليه وتجاورهما في أي موضع من كتاب الله لا يخلو من حكمة ومناسبة.

النظر في القسم الوارد في سورة القيامة:

فلننظر في القسَم الوارد في هذه السورة، لننظر أولاً في هذا الحرف الذي سبق القسم، والذي قد يفهم منه نفي القسم، وليس كذلك: وليس هذا هو الموضع الوحيد الذي جاء فيه القسم مبدوءاً بحرف (لا)، فقد جاء في سورة البلد: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، [البلد: ١]، وفي سورة الانشقاق: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ [الانشقاق: ١٦]، وفي سورة الواقعة: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]، وقد اتفق المفسرون: أنَّ (لا) في هذه المواضع ليست لنفي القسم، بل لتأكيده، والمعنى: (أُقسم)، وأحسن ما قيل في زياة (لا) على الفعل: أن ذلك مشهور في كلام العرب كأن الخبر من الوضوح والجلاء بحيث لا يحتاج إلى قسم، والله (تعالى) أجَلُّ وأعظم

في إشراقة آية

من أن يحتاج إلى القسم ليصدقه الناس، فهو أصدق القائلين، وإنما أقسم كما قدمنا على ما جرت به عادة الناس في كلامهم من تأكيد الكلام بالإقسام عليه، ثم قدم حرف (لا) لينفي ضرورة القسم، وهذا أبلغ في التأكيد، كما يُحَدِّث الرجل القوم بحديث، ثم يقول لهم: إني لست بحاجة أن أقسم لكم على ما قلت؛ فإن دلائله ظاهرة، وصدقه لا يحتاج إلى مزيد تأكيد.

ولننظر ثانيًا في المقسم به الأول، وهو يوم القيامة: وقد سُمي بيوم القيامة؛ لأن أبرز حدث يقع فيه هو قيام الناس لرب العالمين، فالبعث والحشر والحساب، هذه المواقف الثلاثة يشهدها الناس وهم قيام، فهو يوم القيامة.

ولننظر ثالثًا في المقسم به الثاني، وهو النفس اللوامة: وكلام المفسرين في معناها يدور حول معنيين:

الأول: أنها النفس البشرية بصفة عامة، مؤمنة أو كافرة، تقية أو فاجرة، فإن كل نفس تلوم صاحبها على أشياء، وإنما يختلف موضوع اللوم والباعث عليه حسبما تدين به كل نفس من مبادئ وتعتنقه من تصورات .

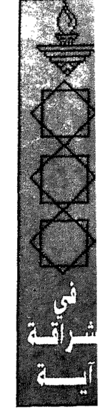
الثاني : أنها النفس المؤمنة : فإن نفس المؤمن هي اللوامة، تلومه على كل فعل حتى تطمئن أنه وقع خالصًا، وهذا المعنى الثاني مشتق من الأول، فالنفس المؤمنة تشترك مع غيرها في أصل الصفة، وتتميز بموازينها الخاصة في وضع اللوم موضعه الصحيح، ولهذا قال بعض أهل العلم: إن المعنى العام هو الأظهر؛ لأن له نظائر في أقسام أخرى، مثل القسم الوارد في سورة الشمس، حيث أقسم (سبحانه) بالنفس البشرية كما سواها، مؤمنة أو كافرة، تقية أو فاجرة، ونحن سنحتفظ بالمعنيين كليهما لأنهما متكاملان، والاختلاف بينهما اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، كما أن الإقسام بالنفس اللوامة إذا كانت هي النفس البشرية له معنى، وإذا كانت هي النفس المؤمنة له معنى آخر.

عندما تكون النفس اللوامة هي النفس البشرية:

عندما تكون النفس اللوامة هي النفس البشرية : فإن الإقسام بها في

هذه الحالة تنبيه على ما فيها من آيات، وخاصة الآيات العقلية والمعرفية، فإن الإقسام بالنفس البشرية وما تتمتع به من ملكات عقلية متعددة دعوة للتفكر في ذلك كله؛ ذلك أن اللوم الذي وصفت به النفس البشرية في هذا القسم نوع من أنواع التفكر، والتفكر إحدى عمليات العقل الداخلية المرتبطة بخاصية الفكر واللغة، فقد اتضح من أبحاث علم النفس المعرفي أن اللغة ليست وسيلة للتخاطب الخارجي فقط، بل هي النظام الأساس الذي يستخدمه الإنسان في التفكير أو الكلام النفسي، واللوم اتجاه من الاتجاهات التي يسير فيها التفكر، فعندما يتجه تفكير الإنسان إلى أعماله ولمراجعتها فهذا لوم، وتذكير الإنسان بالنفس اللوامة دعوة للنظر في آيتين: إحداهما: آية الفكر بصفة عامة، والثانية: آية التذكر بصفة خاصة، لأن النفس إنما تقوم بهذا اللوم بواسطتهما، وليس المجال مجال بسط ما قاله العلم الحديث في آية الفكر، والعجز الذي أصابه عندما حاول بيان الصلة بين الجسم والعقل، فالعلم البشري عندما يصعد من المستوى البيولوجي إلى المستوى العقلي في السلوك الإنساني يلتقي بالتعقيد في قمته، وقد قال أحد العلماء: «إذا وفق النوع البشري في استعمال كل وسائله الحالية لبناء كمبيوتر يمكن أن يفعل كل شيء يقوم به العقل الإنساني سيكون هذا الجهاز بحجم كرتنا الأرضية، ولن يعرف أحد كيف سيبرمجه».

ورغم هذا العجز الذي أصاب العلم البشري في فهم الصلة بين الفكر والسلوك، فإن القرآن الكريم دعا إلى التفكر في آيات الأنفس جسمية وعقلية؛ لأن نظر الاعتبار غير متوقف على نظر التسخير، فإن الجهل بكيفية حدوث عمليات العقل العليا لا يمنع من التفكر فيما يحدثه ويمارسه الإنسان، لقد وصف القرآن الكريم النفس بـ(اللوامة)، وهذا يعني أن اللوم إحدى عملياتها، فالإنسان ليس مجموعة من الاستجابات وردود الأفعال الآلية أو الحيوانية، ولكن



الإنسان قوة حية واعية، تفكر وتقرر وتفعل، وحياته الفكرية ممتازة في الاحتفاظ بالمعلومات إذا تم تدريبها، وحصول التذكر المفاجئ لأحداث قديمة دليل على أن الاحتفاظ يحل في كل وقت، أما حجم المعلومات التي تضمها سجلات الذاكرة فقد لا تتسع لها أضخم مكتبات العالم.

والإنسان عندما يمارس حياته العادية لا يعي دور الذاكرة في حياته، ولكنه عندما يتصور نفسه بدون ذاكرة سيعلم أنه يرتد إلى لحظة الولادة، وفي هذه الحالة سيعجز عن أبسط الأعمال، ولن يعرف اسمه وعنوان بيته، فالذاكرة هي مدة العمر وجرابه الذي يجمع الخبرات والمعلومات، والغريب: أننا نحمل معنا هذه الصرة ولا نعرف أين هي، فإلى الآن لم يعرف العلماء أين تقع المراكز والأقسام التي نحتفظ فيها بذكرياتنا، وكيف تتم برمجتها في تلك الأقسام، وهناك جملة من النظريات تقدم تفسيرات مختلفة.

إن العلماء حائرون في معرفة تلك الورقة وذلك الحبر وتلك الحروف التي يستخدمها عقلنا لتدوين وحفظ ما يصل إليه من معلومات، ولا زال الغموض يكتنف مسلسل الذاكرة الثلاثي: التسجيل والاحتفاظ والاستدعاء، فلماذا يدعو القرآن الكريم إلى النظر في آية التفكير عامة، وآية التذكر خاصة؟، ليس الهدف هو فهم كيفية حدوث هذه العمليات، فهذا شأن العلوم البشرية التي تدرس الظواهر من أجل التنبؤ والتسخير، بل الهدف هو: الاعتبار بها، سواء فهم مسلسل حدوثها أو لم يفهم.

إن هذه الملكات العقلية اللغوية ليست لحل مشكلات الحياة فقط، وليست لمجرد التكيف مع البيئة والدفاع عن الذات والصراع من أجل البقاء، بل هناك الوظيفة الإنسانية العليا، وهي استعمال هذه الملكات في محاسبة النفس ومراجعتها استعداداً لحساب الآخرة .

ورغم أن الذاكرة نفسها سجل تدون فيه أعمال الإنسان إلا أننا نؤمن بأن الله (تعالى) وكَّل بكلِّ إنسان ملائكة يدونون أعماله تدويناً مستقلاً

عن ذاكرته، ولا يعرض لهذا التدوين ما يعرض للتدوين البشري من الاضطراب أو التحريف، ولأن الإنسان لا يطلع في الدنيا على هذا التدوين الملائكي ليعرف ما فيه: جعل الله له كتاباً ـ هو الذاكرة ـ يدون علومه وأعماله، وبإمكانه الاطلاع على صفحات هذا الكتاب في أي وقت، ولا يختلف ما فيه عما في الكتاب الآخر إلا في طريقة التدوين.

الخلاصة: أن النفس اللوامة، إذا كان المقصود بها هو النفس البشرية، فالإقسام بها لأجل توجيه نظر الإنسان إلى آيات الله في نفسه.

إذا كانت النفس اللوامة هي النفس المؤمنة:

وإذا كانت النفس اللوامة هي النفس المؤمنة، فالإقسام بها تنويه بقدرها وشرفها عند الله (تعالى)؛ لأنها وجهت ملكاتها العقلية في مجال التسخير، وهذا تشترك فيه مع بقية النفوس، وفي مجال الاعتبار، وهذا ما تنفرد به، وبه استحقت التنويه، هذا التنويه نالته النفس المؤمنة لأنها استشعرت هذه الملكات الفكرية في أسمى مجال، وهو التهيؤ للقاء الله والتدرب على المحاسبة الشاملة التي ستجرى بين يديه، فأي نفس لوامة يعني القرآن الكريم؟.

لا بد أن نتساءل هذا التساؤل؛ لأن اللوم منه ما هو إيجابي وما هو سلبي، فالسلبي هو: اللوم العابر الذي لا أثر له، كما يلوم المرء نفسه، ويعتب عليها إذا سمع موعظة، أو مرت به شدة، فإذا ابتعدت الموعظة وزالت الشدة امحى أثر ذلك اللوم، وزال وشم ذلك العتاب، فهذه ليست النفس اللوامة التي نوه بها القرآن الكريم حتى جعلها الحق (سبحانه) مقسماً به في إحدى سوره.

أما اللوم الإيجابي: فهو اللوم الذي يستمر في النفس وتعقبه محاسبة يتبعها تغيير، فشأننا بهذا اللوم الإيجابي، وعنه نتحدث.

كيف يبدأ اللوم في النفس:

لقد أكدت آخر الأبحاث في علم النفس المعرفي أن تغير الأفكار هو المدخل الصحيح لتغيير أي استجابات

شعورية أو خارجية، وأثبت علماء النفس المعروفون أن كل عمل اختياري يقوم به الإنسان يسبقه نشاط فكري داخلي، وهذا نفسه ما قرره الإسلام الذي دعا إلى البدء بتغيير هذا النشاط المعرفي الداخلي، ولقد اهتم العلماء المسلمون - قبل علماء النفس الحديث - بالخواطر والأفكار الأولى التي تدور في قلب الإنسان قبل أن تتحول إلى قرارات وأعمال ظاهرة، وقرروا أن القلب في نشاط دائم، وشبهوه بالرحى الدائرة التي لا تسكن، ولا بد لها من شيء تطحنه، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحَبّ الذي في الرحى، وبَيَّن هؤلاء العلماء أن أحسن طريق لإحداث التغيير في الشخصية هو تغيير الاتجاه الذي تسير فيه الخواطر والأفكار.

فما هي *الفكرة المركزية* التي إذا تغيرت صارت النفس لوامة ؟:

إنها ليست سوى فكرة الإنسان عن نفسه، حيث تتغير نظرته لأصله وغايته ومصيره، فتتغير - تبعًا لذلك - (قراءاته) وتأويلاته للكون والتاريخ والمجتمع والحياة، ويستقبل الوجود والزمان بنظرة جديدة، حتى إنه يتعجب: كيف لم يكن يرى الأشياء من قَبْل كما يراها الآن رغم قرب هذه النظرة الجديدة منه، فهي في أعماق فطرته، وهي في كل شيء، وفي نفسه، فيكون مثله كما قال الشاعر:

ومن العجائب والعجائبُ جَمّة
قربُ الحبيب وما إليه وصول
كالعيسِ في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

وكما قال الآخر:

ومِنْ عَجَبٍ أنّي أحِنّ إليهمُ
وأسأل عنهم دائمًا وهُمُو معي
وتطلبهم عيني وهم في سَوادها
ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

هذه اللحظة التي تنطلق فيها عملية اللّوم تسمى لحظة التوبة، أو لحظة الهداية، وهي الميلاد الثاني؛ لأن به يدرك حكمة الميلاد الأول، وبين الميلادين مشابهات، ففي الميلاد الأول: يكون الرحِم مغلقا مِنْ عنقه، ولا يزال عندِ المخاض ينفتح ويتسع حتى يبلغ مداه، فيخرج الوليد، وفي الميلاد

الثاني: يتفتح القلب وتتسع نافذة النور فيه، حتى يبلغ هذا النور أقصاه ويضيء أقطار القلب، فيحصل فيه الإيمان، وتحل به الهداية.

في الميلاد الأول: يتكلم الأطباء عن تقلصات للرحم تأخذ صورة نبضات متباعدة، ولا تزال تتقارب وتتسارع حتى تزف لحظة الميلاد، **وفي الميلاد الثاني أيضاً**: تبدأ ومضات متباعدة، ولا تزال تتقارب وتتسارع وتقوى حتى تبدد ظلمة القلب، وتمزق الحجب التي تحجب عنه النور.

في الميلاد الأول: يخرج الإنسان من عالم الرحم، وهو عالم ضيق صغير مظلم، إلى عالم واسع فسيح مضيء، **وفي الميلاد الثاني**: يخرج القلب من تصور ضيق صغير مظلم إلى تصور واسع مضيء يتسع للغيب والشهادة.

وقد وصف القرآن الكريم لحظة الهداية بأنها حياة من بعد موت، ونور من بعد ظلمة، فقال (تعالى): **﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾** [الأنعام: ١٢٢].

ودعا كل إنسان أن يعيش هذه اللحظة ويجتاز هذه التجربة التي تشبه القَوْمة التي تأتي بعد رقاد طويل، قال (تعالى): **﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾** [سبأ: ٤٦].

أن تقوموا كما يقوم هذا النائم من نومه، فيسمع، ويبصر، ويعقل، وهذا لا يعني أن الإنسان قبل الهداية لم يكن يفكر، بل كان يفكر، لكنه لم يكن يتفكر، وكان يشاهد، لكنه لم يكن يشهد، وكان ينظر، لكنه لم يكن يعتبر، والتفكير غير التفكر، والمشاهدة غير الشهود، والنظر غير الاعتبار.

التفكر (هذه العملية العقلية السامية) يستفيد من كل عمليات التفكير) لكنه يختلف عن التفكير المعتاد في كونه لا يسعى إلى حل مشكلات، بل إلى الاعتبار بآيات، فالمعارف والإدراكات التي اكتسبها الشخص بوسائله المعرفية هي نفسها مادة هذا التفكر.

بداية النفس اللوامة يقظة تشتغل منها الوظيفة الإنسانية للسمع والبصر والفؤاد، فيخرج الإنسان من دائرة الذين قال الله فيهم : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وإنما نفى عنهم في حال الغفلة الوظيفة الإنسانية للأعين والآذان والقلوب ، ولم ينف الوظيفة الحيوانية (الفسيولوجية) .

وأول ثمرات هذه القومة : هو النظر فيما سلف من الإساءة وما تقدم من التقصير ، وكان قبل ذلك غافلاً عنه، ناسيًا له ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [الكهف : ٥٧] .

وكيف ينسى أو يغفل الآن ومعه فكرة وبصيرة وعزم ؟! .. ما أردت بأكلتي؟، ما أردت بحديث نفسي؟ .. وإن الفاجر يمضي قُدُمًا ما يعاتب نفسه.

وهذه المحاسبة، هل تكون قبل العمل أو بعده؟ ... الصحيح أنها قد تكون قبل الفعل أو بعده، وقد ذكر (سبحانه) عن المتقين أنهم يتذكرون قبل الفعل ، أو يتذكرون بعده، قال (سبحانه) في لومهم أنفسهم بعد الفعل : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٥] ، وقال (عز وجل) في لومهم أنفسهم قبل الفعل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] .

واللوم الذي يكون قبل الفعل أنفع من الذي يكون بعده؛ لأن الأول يعترض السوء وهو لا زال خاطرة أو فكرة، بينما يمنع الذي يكون بعد الفعل من تكراره فقط.

اللوم حراسة للفضاء النفسي :

ويمكن تشبيه اللوم قبل الفعل بالحراسة التي تَضرِبُها الدول على مجالها الجوي، فتُرغم كل طائرة غريبة على الانسحاب ، وسماءُ الفكر لدى الإنسان مستهدفة في كل لحظة بخواطر كثيرة : إلهامات ووساوس، فإذا كانت للقلب حراسة فإنه يأذن لخواطر

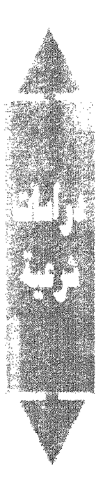
الخير، ويمنع خواطر السوء، كلاهما يجول في الصدر ينتظر الإذن بالهبوط، فيؤذَن لإلهامات الملك وتطرد وساوس الشيطان.

وإذا أردنا أن نُفَصِّل هذا المثل أكثر نقول: إن الخاطرة الطارئة تثير رادارات القلب، فيستدعي كافة المعلومات اللازمة لإصدار القرار، وتجري مشاورات مع الأقسام المختصة تنتهي بإصدار حكم على هذه الخاطرة، يكون أساس الرفض أو القبول.

اللوم مناعة روحية:

كان ذلك تشبيهًا (عسكريًا)، ويمكن أن نستعير تشبيهًا آخر من عالم البيولوجيا والطب يقرب إلينا دور اللوم الذي تقوم به النفس قبل الفعل، فمعروف أن الجسم يملك جهازًا دفاعيًا يحميه من هجوم الجراثيم، ويتكون هذا الجيش من كتائب هي عبارة عن مجموعات من الخلايا البيضاء الحية تدور في الجسم وتحاصر المهاجمين وتدمرهم، ومع تكرار المعارك يتكون في الدم ما يشبه «المضادات الحيوية» التي تكون خط مناعة يمنع الجراثيم من اختراق الجسم والدخول فيه، وكذلك اللوم: إذا تكرر أفرز شبيهًا بخط المناعة ذاك، يمنع الوساوس والخواطر من أن تلج وتتحول إلى أفعال.

نسأل الله أن يقينا مواضع الزلل، ويرزقنا النفس اللوامة التي تحرس جوارحنا من مضلات الفتن.



مقدمة في التنوع المشروع
(صفة الصلاة أنموذجاً)

(١من ٢)

بقلم :
سلمان بن عمر السنيدي

مدخل :

العبادات التي فعلها النبي ﷺ على أنواع، لا يلزم أن يرجح نوع منها دون غيره بلا مرجح؛ أو يفعل واحد منها مع هجر الأنواع الأخرى، بل كمال العمل بالسنة: أن يفعل ما فعله الرسول ﷺ من أنواع العبادات على الصفة التي فعلها من غير كراهة لشيء من ذلك، قال شيخ الإسلام ـ تأكيداً لهذا الأمر ـ: «العبادات التي فعلها النبي ﷺ على أنواع، يشرع فعلها على جميع تلك الأنواع، لا يكره منها شيء، وذلك مثل: الجهر بالقراءة في قيام الليل والمخافتة؛ وأنواع القراءات التي أنزل القرآن عليها، ومثل الترجيع في الأذان وتركه، ومثل إفراد الإقامة وتثنيتها، وإن قيل إن بعض تلك الأنواع أفضل، فالاقتداء بالنبي ﷺ في أن يفعل هذا تارة وهذا تارة أفضل من لزوم أحد الأمرين وهجر الآخر كالاستفتاح ... فجميع ما شرعه الرسول ﷺ له حكمة ومقصود؛ فلا يهمل ما شرعه من المستحبات»(١)، وقال (رحمه الله): «الصواب: مذهب أهل الحديث ومَن وافقهم، وهو تسويغ كل ما ثبت في ذلك عن النبي ﷺ؛ لا يكرهون شيئاً من ذلك؛ وليس لأحد أن يكره ما سن رسول الله ﷺ؛ والوسط: أنه لا يكره هذا ولا هذا، ومن تمام السنة في هذا: أن يفعل هذا

١) الفتاوى، ٢٢ / ٣٣٥، وانظر أيضاً: ٢٤ / ٢٤٦.

تارة وهذا تارة، وهذا في مكان وهذا في مكان؛ وهذا أصل مستمر في جميع صفات العبادات أقوالها وأفعالها »[1].

ولابن القيم (رحمه الله) كلام نفيس عند ذكر منهجه في تأليف كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد)، قال (رحمه الله): « وليس مقصودنا إلا ذكر هديه ﷺ الذي كان يفعله هو؛ فإنه قبلة القصد وإليه التوجه في هذا الكتاب، وعليه مدار التفتيش والطلب، وهذا شيء، والجائز الذي لا ينكر فعله شيء؛ ونحن لم نتعرض في هذا الكتاب لما يجوز وما لا يجوز، وإنما مقصودنا فيه هدي النبي ﷺ الذي كان يختاره لنفسه، فإنه أكمل الهدي وأفضله »[2].

وذكر الشوكاني ما يشبه القاعدة في ذلك، فقال: « والحق ـ إن صح تعدد الواقعة ـ: أن الأحاديث المشتملة على زيادة يتعين الأخذ بها؛ لعدم منافاتها للمراد »[3].

وقد أكد الشاطبي في الموافقات على التوسط في ذلك، وهو تحري الأعم الأغلب والأكثر والمداومة على ما هو مشهور وإن كان العمل على وفق الآخر لا حرج فيه، وقد حذر من ملازمة العمل النادر، فقال: « أما لو عمل بالقليل دائماً للزمه أمور:

أحدها: المخالفة للأولين في تركهم الدوام عليها، وفي مخالفة السلف الأولين ما فيها.

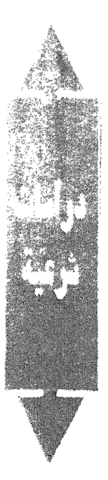
والثاني: استلزام ترك ما داوموا عليه، إذ الفرض أنهم داوموا على خلاف هذه الآثار، فإدامة العمل على موافقة ما لم يداوموا عليه مخالفة لما داوموا عليه.

والثالث: أن ذلك ذريعة إلى اندراس أعلام ما داوموا عليه واشتهار ما خالفه؛ إذ الاقتداء بالأفعال أبلغ من الاقتداء بالأقوال؛ فإذا وقع ذلك ممن يقتدى به كان أشد، فالحذر الحذر من مخالفة الأولين !؛ فلو كان ثم فضل ما، لكان الأولون أحق به، والله المستعان »[4].

---

١) الفتاوى، ٢٢/٦٦-٩٩.
٢) زاد المعاد، ١/٢٧٥.
٣) نيل الأوطار، ٣/٣٢٨.
٤) الموافقات، ٣/٧٠-٧١.

وتعليقًا على حديث ابن مسعود المتفق عليه الذي قال فيه : «لا يجعل أحدكم للشيطان شيئًا من صلاته، يرى أن حقًّا عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه، لقد رأيت النبي ﷺ كثيراً ينصرف عن يساره»، يقول ابن المُنيِّر: «وفيه أن المندوبات قد تنقلب مكروهات إذا رفعت عن رتبتها؛ لأن التيامن مستحب في كل شيء، أي من أمور العبادات، لكن لما خشي ابن مسعود أن يعتقدوا وجوبه: أشار إلى كراهيته»[1].



متى يكون التنوع مشروعاً؟ :

يشترط للعمل بالتنوع بين الصفات المتعددة في أي عبادة شرطان:

الأول: صحة الدليل الذي يفيد نوعًا من الصفات المشروعة في العبادة.

الثاني: خلو المسألة من تعارض لا يقبل التنوع، فيصار إلى ترجيح إحدى الصفات؛ وهذا يكون غالبًا إذا كانت الحادثة لم تقع إلا مرة واحدة واختلفت فيها الروايات، فلا سبيل إلى التنوع؛ بل لا بد من الترجيح لأحد الوجهين أو الصفتين، فإن وجود التعارض صارف لوجود التنوع؛ يقول الشاطبي (رحمه الله): «وهو واضح في أن العمل العام هو المعتمد، على أي وجه كان، وفي أي محل وقع، ولا يلتفت إلى قلائل ما نقل، ولا نوادر الأفعال إذا عارضها الأمر العام والكثير...

وبسبب ذلك: ينبغي للعامل أن يتحرى العمل على وفق الأولين، فلا يسامح نفسه في العمل بالقليل، إلا قليلاً، وعند الحاجة، ومس الضرورة، إن اقتضى معنى التخيير ولم يخف نسخ العمل، أو عدم صحة في الدليل، أو احتمالاً لا ينهض به الدليل أن يكون حجة، أو ما أشبه ذلك»[2]، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): «إن جميع صفات العبادات من الأقوال والأفعال إذا كانت مأثورة أثرًا يصح التمسك به لم يكره شيء من ذلك، بل يشرع ذلك كله»[3].

---

١) فتح الباري، ٢/٣٣٨.
٢) الموافقات، ٣/٦٧ ـ ٧٠.
٣) الفتاوى، ٢٤/٢٤٢.

مراتب التنوع المشروع من حيث الطريق الذي جاء به التنوع :

المرتبة الأولى :

ما دل قول الرسول ﷺ على تنوعه وجاء في رواية واحدة، ومثاله : تنوع القراءات الوارد في حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم، حيث قرأ كل واحد منهما سورة الفرقان بقراءة مختلفة عند رسول الله ﷺ، فقال لكل واحد منهما : « هكذا أنزلت » [١].

المرتبة الثانية :

ما دل قول الصحابي على مشروعية كلا النوعين، ومثاله : ما رواه ابن مسعود (رضي الله عنه) من تنوع انصرافه ﷺ من القبلة بعد انقضاء الصلاة عن اليمين وعن الشمال، حيث قال (رضي الله عنه) : « قد رأيت رسول الله ﷺ كثيراً ينصرف عن شماله » [٢]، ومفهوم كلامه أن الرسول ﷺ فعل كلا النوعين.

المرتبة الثالثة :

ما انفرد صحابي أو أكثر بذكر نوع من هديه ﷺ، وانفرد غيره بذكر نوع آخر، ومثاله : تنوع الأذان، وتنوع التشهدات في الصلاة، وعامة التنوعات من هذا المرتبة.

مراتب التنوع المشروع من حيث درجة التنوع :

يمكن تقسيم التنوع المشروع بحسب درجة التنوع إلى ثلاث مراتب، كما يلي :

المرتبة الأولى :

التنوع المطلق، وهو ما يتساوى فيه الفضل بين الأنواع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : « فإذا كان الرسول ﷺ قد شرع تلك الأنواع، إما بقوله وإما بعمله، وكثير منها لم يفضل بعضها على بعض : كانت التسوية بينها من العدل، والتفضيل من الظلم؛ وكثير مما تتنازع الطوائف من الأمة في تفاضل أنواعه لا يكون بينها تفاضل، بل هي متساوية، وقد يكون ما يختص به أحدهما مقاوماً

---

١) رواه البخاري ، ح/ ٤٩٩٢ .

٢) رواه البخاري ،ح/ ٨٥٢، ومسلم . ح/٧٠٧.



لما يختص به الآخر، ثم تجد أحدهم يسأل: أيهما أفضل هذا أو هذا؟، وهي مسألة فاسدة؛ فإن السؤال عن التعيين فرع ثبوت الأصل، فمن قال إن بينهما تفاضلاً حتى نطلب عين الفاضل؟!.

والواجب أن يقال: هذان متماثلان؛ أو متفاضلان، وإن كانا متفاضلين: فهل التفاضل مطلقًا، أو فيه تفصيل، بحيث يكون هذا أفضل في وقت، وهذا أفضل في وقت؟» [1].

المرتبة الثانية :

تنوع يكون فيه أحد الأنواع أفضل؛ لكونه أشهر وأكثر استعمالاً، ويؤخذ ذلك من وصف الصحابة لفعله ﷺ، أو ما نقل من فعل الصحابة وهديهم، أو ما اشتهر من فعل السلف الصالح وطريقتهم السائرة.

واختلفت تسمية هذا الفرق بين النوعين عند الفقهاء، وفيما يلي بعض أقوالهم التي توضح اختلاف تسميتهم:

فمنهم من «يسمي المشهور: السنة المؤكدة، وغيره: غير المؤكدة» [2].

ومنهم من «يسمي السنة: ما واظب عليه النبي ﷺ، والمستحب: ما فعله مرة، أو مرتين، أو أحيانًا، ولم يواظب عليه»، نُقل ذلك عن القاضي حسن والبغوي والخوارزمي من الشافعية [3].

ومنهم من «يسمي السنة: ما واظب ﷺ على فعله مع تركٍ ما بلا عذر، وما لم يواظب عليه: مندوبًا ومستحبًا وإن لم يفعله بعدما رغّب فيه» [4].

وقال ابن الهمام (رحمه الله): «حديث «من ثابر على ثنتي عشرة ركعة...»، إنما يصلح دليل الندب والاستحباب لا السنة؛ لما عرفت أن السنة لا تثبت إلا بنقل مواظبته ﷺ» [5].

وأما عن وصف الصحابة (رضي الله عنهم) صلاة النبي ﷺ: «أنه كان يفعل

١) الفتاوى، ٢٤/٢٥٢.

٢) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم، ١/١٧١.

٣) انظر: الإشارات شرح نظم الورقات، للشيخ عبد الحميد محمد، ص ١١، وكذلك المجموع للنووي، ٤/٢.

٤) انظر: التحرير، ص ٣٠٣، لابن الهمام.

٥) انظر: فتح القدير، ١/٤٤٢.

كذا...» فيقول ابن دقيق العيد: «(كان) تشعر بكثرة الفعل أو المداومة، وقد تستعمل في مجرد وقوعه»[1].

قال شيخ الإسلام (رحمه الله): «يستحب بعض المأثور ويفضل على بعض إذا قام دليل يوجب ذلك التفضيل ولا يكره الآخر»[2].

وقد أشار الشاطبي (رحمه الله تعالى) إلى هذه المرتبة: حيث إن النبي ﷺ قد يكون فعله في عبادةٍ ما مستمراً على طريقة معينة، ولكنه يُؤثر أحياناً قليلة فعلاً مخالفاً للأول، إما من جهة الكثرة أو الوقت أو الحال، فيتبعه في ذلك الصحابة والسلف الصالح، وحكمه الذي ينبغي فيه: الموافقة للعمل الغالب كائناً ما كان؛ وترك القليل أو تقليله حسبما فعلوه، ولا بد من تحري ما تحروا وموافقة ما داوموا عليه، وإن فرض أنه يقتضي التخيير؛ فعملهم إذا حقق النظر فيه لا يقتضي مطلق التخيير؛ بل اقتضى أن ما داوموا عليه هو الأولى في الجملة ـ وإن كان العمل الواقع على وفق الآخر لا حرج فيه ـ، وأما الأئمة والعلماء والفضلاء المقتدى بهم: فإن هؤلاء منتصبون لأن يقتدى بهم فيما يفعلون، فيوشك أن يعتقد بهم الجاهل بالفعل ـ إذا رأى العالم مداوماً عليه ـ أنه واجب، وسد الذرائع مطلوب مشروع، وهو أصل من الأصول القطعية في الشرع[3].

وقد يفعل المرجوح أحياناً لمصلحة راجحة، وعن ذلك يقول شيخ الإسلام: «قد يكون ترك المستحبات لغرض راجح أفضل من فعله، بل الواجبات كذلك، ومعلوم أن ائتلاف الأمة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات، فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك مستحباً، ويكون فعله أفضل إذا كانت مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب، ولو كان أحدهما أفضل لم يجز أن يُظلم من يختار المفضول، ولا يذم، ولا يعاب، بإجماع المسلمين، ولا يجوز التفرقة بذلك بين الأمة، ولا أن يعطى المستحب فوق حقه، فإنه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير؛ ولا يجوز أن تجعل

---

1) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، جـ1، ص 230.

2) الفتاوى، 24/243.

3) انظر: الموافقات، 3/57 ـ 61.

المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يمتنع الرجل من تركها ويرى أنه خرج من دينه، أو عصى الله ورسوله»[1].

المرتبة الثالثة :

التنوع المقيد، وهو ما يكون فيه أنواع مشروعة تفعل للحاجة، أو للتعليم، أو لبيان الجواز.. ونحو ذلك، كما علم جبريل رسول الله ﷺ أوقات الصلاة، فصلى به في أول الوقت وفي آخر الوقت [2].

وقسم الشاطبي اختلاف أفعاله ﷺ إلى قسمين :

الأول: أن يكون له سبب، كتأخير صلاة الظهر للإبراد، وحكم هذا النوع : أن يتبع السبب.

الثاني: ألا يتبين لذلك سبب [3]، فيجعل فعله ﷺ حادثة عين لا يقاس عليها، كالخاص به ﷺ.

أقسام المواطن من حيث اجتماع الأنواع فيها وعدمه :

القسم الأول :

مواطن لا تجتمع فيها الصفات المتنوعة، بل ينوب بعضها عن بعض، فيأتي الإنسان مرّة بصفة، ومرّة أخرى بصفة أخرى، مثل: أنواع الأذان، وأنواع التشهدات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): «ومعلوم أنه لا يمكن المكلف أن يجمع في العبادة المتنوعة بين النوعين في الوقت الواحد: لا يمكنه أن يأتي بتشهدين معًا، ولا بقراءتين معًا، ولا بصلاتي خوف معًا ، وإن فعل ذلك مرتين كان ذلك منهيًا عنه، فالجمع بين هذه الأنواع محرم تارة، ومكروه أخرى...، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: ليس سنة، بل خلاف المسنون؛ فإن النبي ﷺ لم يقل ذلك جميعه جميعًا، وإنما كان يقول هذا تارة وهذا تارة، إن كان الأمران ثابتين عنه

---

١) الرسالة الثامنة من مجموع الرسائل المنيرية ، جـ٣ / ١٤٦.

٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

٣) انظر: الموافقات،٣ / ٦٥.

فالجمع بينهما ليس سنة، بل بدعة وإن كان جائزاً.

الوجه الثاني: أن جمع ألفاظ الدعاء والذكر الواحد على وجه التعبد ـ مثل جمع حروف القراء كلهم على سبيل التلاوة والتدبر ـ بدعة مكروهة قبيحة، إلا على سبيل الدرس والحفظ.

الوجه الثالث: أن الأذكار المشروعة أيضًا لو لفّق الرجل له تشهداً من التشهدات المأثورة فجمع بين حديث ابن مسعود وصلواته وزاكيات تشهد عمر ومباركات ابن عباس، بحيث يقول: التحيات لله، والصلوات والطيبات والمباركات والزاكيات، لم يشرع له ذلك، ولم يستحب؛ فغيره أولى بعدم الاستحباب.

الوجه الرابع: أن هذا إنما يفعله من ذهب إلى كثرة الحروف والألفاظ، وقد ينقص المعنى أو يتغير بذلك، ولو تدبر القول لعلم أن كل واحد من المأثور يحصل المقصود وإن كان بعضها يحصله أكمل، فإنه إذا قال: ... «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد»، أو قال: «اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته»، فأزواجه وذريته من آله بلا شك، أو هم آله، فإذا جمع بينهما وقال: «على آل محمد، وأزواجه وذريته» لم يكن قد تدبر المشروع، فالحاصل: أن أحد الذكرين، إن وافق الآخر في أصل المعنى، كان كالقراءتين اللتين معناهما واحد، وإن كان المعنى متنوعًا: كان كالقراءتين المتنوعتي المعنى، وعلى التقديرين: فالجمع بينهما في وقت واحد لا يشرع، وأما الجمع في صلوات الخوف أو التشهدات أو الإقامة أو نحو ذلك بين نوعين: فمنهي عنه باتفاق المسلمين»[1].

القسم الثاني:

مواطن يشرع للإنسان فيها صفة يفعلها أحيانًا، ويتركها أحيانًا، مثل ارتفاع صوته بالقراءة بالآية والآيتين فيما حقه الإسرار، فيكون المشروع فيها يدور بين الفعل والترك.

القسم الثالث:

مواطن يمكن للإنسان أن يأتي بالصفات المتعددة المشروعة بعد إتيانه بالواجب،

---

١) انظر: الفتاوى، ٢٤/٢٤٣، بتصرف.

مثل: أذكار الركوع، وأذكار السجود.

اهتمام العلماء بالتنوع المشروع:

لقد اهتم العلماء بالتنوع المشروع: ففي طبقة الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا يقرؤون القرآن بقراءات متنوعة كما سمعوها من النبي ﷺ، وكان ﷺ يقرهم على ذلك التنوع، فعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ؛ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره [(١)] في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه [(٢)]، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟، قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت[(٣)]، فإن رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها؛ فقال رسول الله ﷺ: أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعت يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه» [(٤)].

وكذلك أنكر عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) من يستمر على صفة واحدة في موطن شُرع فيه التنوع، وجعل ذلك من مكر الشيطان بالإنسان؛ حيث ألزم نفسه بعمل لم يلتزمه النبي ﷺ، فقال (رضي الله عنه): «لا يجعل أحدكم نصيباً للشيطان من صلاته: ألا ينصرف إلا عن يمينه، وقد رأيت رسول الله ﷺ كثيراً ينصرف عن شماله» [(٥)].

---

١) قال ابن حجر: «أي: آخذ برأسه، ووقع في رواية مالك: «أن أعجل عليه»»، الفتح ٩ / ٢٥.

٢) قال ابن حجر: «أي: جمعت عليه ثيابه، لئلا يتفلت مني»، الفتح ٩ / ٢٥.

٣) قال ابن حجر: «المراد بقوله: «كذبت» أي: أخطأت، لأن أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ»، الفتح ٩ / ٢٥.

٤) رواه البخاري، ك ٦٦ ب ٥، ح/ ٤٩٩٢.

٥) رواه البخاري، ح/ ٨٥٢، ومسلم، ح/ ٧٠٧.

ولقد اختلف اهتمام العلماء بالتنوع المشروع، فأخذ صوراً متعددة:

فابن خزيمة (رحمه الله) في صحيحه يعبر عن التنوع المشروع بتعبير آخر، فيقول في باب ترجيع الأذان: «وهذا من جنس اختلاف المباح؛ فمباح أن يؤذن فيرجع في الأذان ويثني الإقامة، ومباح أن يثني الأذان ويفرد الإقامة؛ إذ قد صح كلا الأمرين من النبي ﷺ»[1]، وأورد أربعة مواطن يعبر عنها بالاختلاف المباح في كتاب الصلاة من صحيحه.

وأما محمد بن رشد القرطبي (رحمه الله) فيذكر في ذلك ما يشبه القاعدة، فيقول: «فإن الأفعال المختلفة أولى أن تحمل على التخيير منها على التعارض»، ويعلق على من ذهب مذهب التخيير بينها بأنه قول حسن[2].

أما ابن تيمية (رحمه الله) فقد أخذ اهتمامه بالتنوع المشروع صوراً عدة:

منها: حثه على الأخذ بالتنوع المشروع وعدم كراهيته شيئًا من ذلك، وجعلها كالقاعدة العامة.

ومنها: بيانه أن الأخذ بهذه القاعدة يجعل كثيراً من اختلاف المذاهب يزول، ويبقى اختلاف اختياراتهم بين السنن المشروعة، وذلك طريق إلى اجتماع الأمة بموافقة هديه ﷺ؛ حيث إن السنة مقرونة بالجماعة.

وذكر (رحمه الله) وجوهًا خمسة تدعو إلى التنوع المشروع، وأنه أفضل من المداومة على نوع واحد، وتقدم ذكره لأربعة وجوه تدل على ضعف الجمع في عبادة واحدة بين نوعين في وقت واحد، وذكر اثني عشر موضعاً للتنوع المشروع، جمعها في قوله: «جميع صفات العبادات من الأقوال والأفعال إذا كانت مأثورة أثراً يصح التمسك به لم يكره شيء من ذلك، بل يشرع ذلك كله كما قلنا في أنواع صلاة الخوف، وفي نوعي الأذان: الترجيع وتركه، ونوعي الإقامة: شفعها وإفرادها، وفي أنواع التشهدات، وأنواع الاستفتاحات، وأنواع الاستعاذات، وأنواع القراءات، وأنواع تكبيرات العيد الزوائد، وأنواع صلاة الجنازة، وسجود السهو،

---

1) صحيح ابن خزيمة، ١/ ١٩٤.

2) بداية المجتهد، ١/ ١٣٦.

والقنوت قبل الركوع وبعده، والتحميد : بإثبات الواو وحذفها، وغير ذلك »[1].

أما الشاطبي (رحمه الله) فقد أفرد المسألة الثانية عشرة من كتاب الأدلة الشرعية في الموافقات لذلك، فقال: « كل دليل شرعي لا يخلو:

- أن يكون معمولاً به في السلف المتقدمين دائمًا أو أكثريًا.
- أو لا يكون معمولاً به إلا قليلاً أو في وقت ما.
- أو لا يثبت به عمل » [2].

ثم أكد المثابرة على ما هو الأعم والأكثر من عمل السلف المتقدمين وإن كان العمل على وفق الآخر لا حرج فيه، ثم ذكر أمثلة على ذلك، وقد تميز بذكر لوازم المداومة على العمل القليل [3].

أما ابن مفلح (رحمه الله) فينقل ما يشبه القاعدة في ذلك عن شيخه تقي الدين في تنوع الاستفتاح: « قال شيخنا : الأفضل أن يأتي بكل نوع أحيانًا، وكذا قاله في أنواع صلاة الخوف وغير ذلك ، وأن المفضول قد يكون فاضلاً لمن انتفاعه به أتم » [4] .

ويعلق المرداوي موضحًا السبب في ذلك التنوع، فيقول: « وهو الصواب؛ جمعًا بين الأدلة » [5].

وأما الشوكاني (رحمه الله) فإنه يوافق ابن تيمية في قاعدة الأخذ بالسنن وتنوعها دون هجر بعضها أو اختيار نوع دون غيره، وأكد على الأخذ بالأحاديث المشتملة على زيادات ثابتة، ولا يصار إلى الترجيح إلا إذا كانت الحادثة واحدة[6].

أما من العلماء المعاصرين :

فإن المحدث محمد ناصر الدين الألباني (حفظه الله) له في ذلك كتاب قيم هو (صفة صلاة النبي ﷺ) ضمنه جل الصفات المتنوعة في الصلاة من التكبير

---

١) الفتاوى ، ٢٤/ ٢٤٢.
٢) الموافقات ، ٣/ ٥٦.
٣) انظر : الموافقات ، ٣/ ٧٠.
٤) انظر: الفروع ، ١/ ٤١٣.
٥) انظر: الإنصاف ، ٢/ ٤٧ .
٦) انظر: نيل الأوطار ، ٣/ ٣٢٨.

إلى التسليم، دون ذكر الأذان والإقامة والأذكار بعد السلام وصلاة الخوف، وأما صفات الصلاة على الميت: فذكرها في كتابه الجنائز، وفي كتاب صفة الصلاة ذكر الأحاديث دون ذكرٍ لاختيارات الفقهاء، متمثلاً القاعدة التي أكدها في مقدمة كتابه، وهي: الأخذ بجميع السنن الثابتة دون هجر شيء منها، وكان يعبر عن تفاوت التنوع في هديه ﷺ بكلمات، منها قوله: «وتارة يفعل»، و«ربما يقول»، و«أحيانًا يفعل» .. حيث ترك للقارئ تمييز المشهور من السنة: الأكثر فعلاً من النادر أو الأقل فعلاً، وذكر في كتابه اثني عشر موطنًا يشرع فيها التنوع.

وأما سماحة الشيخ «عبد العزيز بن باز» (حفظه الله): ففي كتابه (صفة صلاة النبي ﷺ) على صغر حجمه، ذكر خمسة مواطن تتنوع فيها الصفات المشروعة، وقال مبينًا القاعدة في ذلك: «لثبوت الصفتين عن النبي ﷺ، الأفضل أن يفعل هذا تارة وهذا تارة» [١].

وأما الشيخ «محمد بن صالح العثيمين» (حفظه الله): فقد أخذ اهتمامه بالصفات المتنوعة في الصلاة تقسيمه للعلماء تجاه العبادات الواردة على وجوه متنوعة، فذكر من يرى أن الأفضل الاقتصار على واحدة، ومن يرى فعل جميعها في أوقات شتى، ومن يرى جمع ما يمكن جمعه، وصحح القول الثاني، ومن جملة اهتمامه: ذكره فوائد لفعل العبادات الواردة على وجوه متنوعة، وقال: «وهذه قاعدة ينبغي لطالب العلم أن يفهمها: أن العبادات إذا وردت على وجوه متنوعة فإنها تفعل على هذه الوجوه، على هذا مرة، وعلى هذا مرة» [٢].

١) انظر: ص ٨ من «صفة صلاة النبي ﷺ».

٢) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٣/٣٦، ومنظومة في أصول الفقه وقواعد فقهية، الأبيات ٤٤، ٤٥، ودروس في الحرم المكي، عام ١٤٠٨هـ، ص ٥٧.

آراء وتأملات في فقه الزكاة

(١)

د. محمد بن عبدالله الشباني

دراسات اقتصادية

يتميز الإسلام بمنهجية متفردة، حيث يعمل على تحقيق التوازن بين الحاجات المادية والروحية، ضمن تنظيم يعطي للحياة الدنيا دورها والآخرة دورها، بدون تفريط ولا إفراط، ﴿ **وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

تتمثل هذه المنهجية في الاهتمام بالفرد باعتباره مناط التكليف، لذلك: فقد وضع قواعد وسن شرائع تمثل في مجموعها نمطية السلوك الذي ينبغي على الإنسان المسلم التزامه، حتى تتحقق خلافته لله في الأرض، كما يريدها الله، وفق العهد الذي أخذه الله على بني آدم.

يتميز دين الإسلام بأنه الدين الذي جمع في إهابه الواجبات التي ينبغي للفرد القيام بها تجاه خالقه، والواجبات التي عليه القيام بها تجاه أخيه الإنسان، فتنتظم الحياة الإنسانية، فلا يكون انفصال بين متطلبات الحياة الآخرة ومتطلبات الحياة الدنيا، وإنما هناك رابط يجمع بينهما .

من الشواهد على حقيقة الارتباط بين عبادة الله وأداء الحقوق المالية تجاه

المجتمع: ما نجده من اقتران الصلاة والزكاة في آيات القرآن الكريم، حيث نلاحظ أن الصلاة ، التي هي الشعيرة المحسوسة لتأكيد خضوع الإنسان لله تقرن دائمًا بالزكاة، التي تمثل الجانب المالي في تنظيم المجتمع، يقول الله (تعالى): ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، ويقول: ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١].

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهو الركن الذي لا يصبح الإنسان مسلمًا حقًّا إلا إذا أداه، فهي واسطة العقد، وهي الرابطة بين صحة الاعتقاد والعبادة، فالصلاة والصيام والحج عبادات بدنية، والزكاة تمثل جسر الإيمان الذي يربط بين ظواهر ومؤشرات ودلائل الاعتقاد.. وواقع الحياة، حيث يتحقق التلازم بين الاعتقاد والعبادة من جانب، والتكافل الاقتصادي لأفراد المجتمع من جانب آخر، فيتحقق مفهوم الإسلام الذي يقوم على أساس أن الدين لا ينفصل عن واقع الحياة ، وأنه يعمد إلى إسعاد الناس في حياتهم الدنيا كما يسعدهم في حياتهم الآخرة.

إن دور الزكاة في تحقيق التوازن الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي دور مهم، لكن واقع المجتمعات الإسلامية في هذا العصر لا يعطي لهذا الأمر أهمية، فتُرك الأمر للأفراد في تأدية الزكاة، وغُيِّر وجهها، واستبدلت الضرائب وغيرها من وسائل الجباية بالزكوات، وأصبحت التنظيمات المالية الحالية لا تعطي أهمية لدور الزكاة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والتكافل الاجتماعي، وتحقيق ما ينادي به الاقتصاديون المعاصرون من إقامة دولة الرفاهية، فحلت الأنظمة المالية القائمة على النظام الربوي محل النظام المالي الإسلامي، الذي يقوم على منهج مغاير للفكر الفلسفي الذي تقوم عليه التنظيمات المالية المطبقة حاليًا والمقتبسة من النظام الغربي[1].

---

١) لمعرفة أسلوب التنظيم المالي للدولة وفقًا للشريعة الإسلامية، يرجع إلى كتابنا (المالية العامة على ضوء الشريعة الإسلامية)، نشر: دار عالم الكتب بالرياض.

دراسات اقتصادية

المفهوم السائد لدى كثير من الناس عن الزكاة أنها نوع من التصدق لا علاقة لها بتنظيم شؤون الدولة المالية، وليست جزءاً من التنظيم الاجتماعي، وبالتالي: فإن الزكاة هى جزء من التراث الأخلاقي الذي لا يمكن أن يقوم عليه البناء المالي للمجتمع، هذا المفهوم الخاطئ يرجع في أساسه إلى عدم فهم حقيقة الزكاة، والجهل التام بالتراث الفقهي المالي، مما ينتج عنه هذا المفهوم القاصر لدور الزكاة في المجتمعات الإسلامية.

إن الزكاة هي التنظيم المالي الوحيد في التشريعات المالية التي عرفها البشر المخصصة للإنفاق على احتياجات الأفراد الذين لا يجدون كفايتهم، ولم تقتصر الزكاة على نوع معين من الدخل، بل شملت كل مصادر الدخل، كما أنها تميزت بشمولية المشاركين في دفعها، حيث ظلت الحد الأدنى الذي إذا بلغه المال وجبت فيه الزكاة، مع ملاحظة طبيعة المال، فربطت وجوب الزكاة في بعضه على مرور الحول ـ مثل النقدين والتجارة والأنعام ـ، وبعضه الآخر في تاريخ تحققه ـ مثل الزروع أو الركاز أو المعادن ـ.

إن الزكاة هي التنظيم المالي القادر على تحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع، والتقليل من التفاوت بين مختلف الأفراد والجماعات، وغرس روح التعاطف والمودة بين مختلف الأفراد، لذا: فلا بد من معرفة أحكامها وكيفية تحديد وعائها، ومقدارها حسب الأموال التي تجب فيها، وحسب واقع الأنشطة الاقتصادية المعاصرة، والتي تعددت وتنوعت، وما صاحب ذلك من ازدياد حجم الثروات ووسائل تبادلها، مع بروز أشكال من الأعمال الاقتصادية لم تكن معروفة في الماضي؛ مما يوجب دراستها وبيان التخريج الفقهي الملحق لها بنوع المال الذي ورد فيه النص، وبالتالي: مقدار نصاب زكاتها والأحكام المتعلقة بذلك.

إن الغاية من نشر هذه المجموعة من الحلقات هو دراسة ومناقشة أحكام الزكاة المتعلقة بالأنشطة الاقتصادية

المعاصرة، التي من أمثلتها: مزارع الدواجن، والخضروات، والعقارات، والمصانع، والمناجم، وشركات الخدمات، ومقاولات البناء، والصيانة.. وغير ذلك من الأنشطة الاقتصادية التي يثور حولها كثير من التساؤلات فيما يتعلق بكيفية تحديد زكاتها.

مفهوم الزكاة وشمولها:

لفهم أحكام الزكاة باعتبار أنها الركن الثالث من أركان الإسلام: لا بد من تحديد معنى الزكاة لغة، حيث يفيد اللفظ معنى النماء والزيادة، فأصل «الزكاة»: من زكا الشيء، إذا نما وزاد، وفي لسان العرب: فإن الزكاة تعني الطهارة والنماء والبركة، ولقد وردت هذه المعاني في القرآن والحديث، أما المفهوم المرتبط بالمال وفق المدلول الشرعي فيوضحه ابن قدامة بقوله: «الزكاة من الزكاء والنماء والزيادة، سميت بذلك لأنها تثمر المال وتنميه، يقال: زكا الزرع إذا كثر ريعه، وزكت النفقة إذا بورك فيها، وهي في الشريعة: حق يجب في المال، فعند إطلاق لفظها في موارد الشريعة ينصرف إلى ذلك»[1].

من الألفاظ الدالة على الزكاة وفق المفهوم الشرعي التي إذا استخدمت عُرف أن المقصود هو الركن الثالث من أركان الإسلام: لفظ «الصدقة»، ولتداخل المعنى بين لفظي الصدقة والزكاة، فقد حدد الإمام الماوردي معنى التطابق للفظين، فهو يقول: «الصدقة زكاة، والزكاة صدقة، ويفترق الاسم ويتفق المسمى»[2].

ويؤكد هذا المفهوم (ورود لفظ الصدقة بمعنى الزكاة) ما جاء في القرآن الكريم، حيث جاءت آيات الصدقة وقصد بها الزكاة، كما في قوله (تعالى): ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقوله: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ**

١) المغني، لابن قدامة، جـ٢، ص ٥٧٢.

٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، للماوردي، ص ١٤٥.

يَسْخَطُونَ ﴾[التوبة:٥٨].

لكن العرف صرف معنى الصدقة، فأصبحت عنوانًا على التطوع، وما تجود به النفس على المتسولين وغيرهم، وأصبح لا يُدرَك مدلول الآيات القرآنية لدى عامة الناس عند تلاوتها، حيث ارتبط مفهوم الصدقة بالتطوع لا بالإلزام والوجوب.

إن دلالة لفظ «الصدقة» يُفهم من أصل مادة الكلمة، يقول القاضي ابن العربي بهذا الخصوص: إن مدلول لفظ الصدقة حسب مادتها «مأخوذ من الصدق في مساواة الفعل للقول والاعتقاد»[1].

إن هذا المفهوم الذي أشار إليه ابن العربي (رحمه الله) يرتكز على مفهوم أساس يقوم عليه الإسلام، وهو التلازم بين الفعل، والقول، والاعتقاد، فلا يكمل الاعتقاد بدون قول، كما لا يكمل القول بدون فعل، فالتلازم بين هذه الأمور الثلاثة لحمة عقيدة الإسلام ومرتكزها.

إن ارتباط الزكاة بالعقيدة وكونها جزءًا أساسًا لا يكتمل الإيمان إلا بها.. يدل عليه ما ورد من آيات عن الزكاة في العهد المكي، حيث لم تتكون بعد الدولة الإسلامية، ولم تتحدد أنواع الأموال والمقادير الواجب إخراجها، إنما كانت الإشارة إلى الزكاة في هذه الفترة باعتبار أنها جزء من الاعتقاد، مما يوضح ويؤكد مدى التلازم بين الإيمان بالله والعبودية، والالتزام تجاه الجماعة المسلمة في الحياة الدنيا، ففي سورة الأعراف أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله (تعالى): ﴿ **وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، لقد جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن بني إسرائيل وطلب موسى (عليه الصلاة والسلام) المغفرة من ربه، حيث كانت الإجابة بنفيها عن قومه لأسباب، من أهمها: أن المغفرة لا تعطى إلا لمن اتقى وآتى الزكاة،

١) أحكام القرآن، لابي بكر ابن العربي، جـ٢، ص ٩٤٦.

فغضب الله يحيق بأولئك الذين لايعطون حق الله في أموالهم التي منحهم الله أياها، هذا الارتباط بين الإيمان القلبي والسلوك المادي تؤكده كذلك سورة مريم حكاية عن عيسى (عليه السلام)، في قوله (تعالى): ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١]، وفي السورة نفسها عندما مدح الله نبيه ورسوله إسماعيل (عليه الصلاة والسلام) أشار إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥].. وغير ذلك من الآيات التي تتحدث عن الزكاة في العهد المكي، حيث أوضحت أن الزكاة جزء أساس لاستكمال حقيقة الإيمان.

إن رسالة الإسلام هي إيجاد المجتمع المؤمن الذي يرعى أغنياؤه فقراءه، وتربية للفئة المؤمنة التي التحقت بالركب الإسلامي في مكة، بأن عقيدة الإسلام لا تنفصل واقع الحياة عن العقيدة، وأن التكافل الاجتماعي أحد المقومات الأساس للمجتمع الذي يريده الإسلام، كما إنها تأكيد للأجيال المسلمة ممن يدخل الإسلام ـ بعد تكوين دولته وقيام السلطة المسؤولة عن تنفيذ أحكام الله ـ أن الإسلام دين لا يؤدي دوره الفاعل في الحياة الإنسانية إذا لم يقم المال بدوره في تحقيق الحياة الآمنة المستقرة.

إن آيات القرآن الكريم التي نزلت في المدينة أعلنت بكل وضوح وجوب الزكاة، في سورة البقرة جاء أمر الوجوب في قوله (تعالى): ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١١٠]، بعد الإشارة إلى الرغبة لدى أهل الكتاب في صرف المسلمين عن الإيمان في قوله (تعالى): ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وكان الله ينبه المؤمنين إلى أن الإيمان الذي يرغب الكفار في صرف

المسلمين عنه تتمثل مظاهره في الصلاة والزكاة، فتَرْك واحدة من هاتين العبادتين تحقيق لأمنية الكافرين.

كما نجد هذا المفهوم يظهر أكثر وضوحًا عند تحديد الإطار التنظيمي لجماعة الأمة المسلمة، بأنها تلك الجماعة الملتزمة بأداء الصلاة والزكاة، وأن المشركين لا يمكن دخولهم حظيرة الجماعة إلا إذا أدوا هاتين الشعيرتين، ويحدد في سورة التوبة أن الزكاة جزء من إطار العلاقة التي تُبنى عليها الجماعة المسلمة ، والتي تتميز بها عن بقية الجماعات الأخرى، في قوله (تعالى): ﴿ **فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ٥]، وفي السورة نفسها: حدد مفهوم الأخوة الإسلامية، وإطار بنائها، ومن هو الذي يحق له الانتماء إليها ممن لا يكون منها، وذلك عندما تحدث عن المشركين، وعهودهم، وما تضمره قلوبهم، وأن شرط دخولهم في حظيرة الجماعة المسلمة يتحدد وفق ما جاء في قوله (تعالى): ﴿ **فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [التوبة: ١١].

لهذا نجد كيف فهم خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق (رضي الله عنه وأرضاه) هذا التلازم بعد أن التحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى وارتدت بعض قبائل العرب وزعمت أن الزكاة شيء كان يأخذه رسول الله ﷺ منهم وبموته ينتهي هذا الالتزام، فقد أطلقها مدوية في سمع التاريخ قائلاً: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها .

إن من المفاهيم الأساس للزكاة، التي ينبغي إدراكها ومعرفتها: أن الزكاة من أهم المقومات التي يتميز بها المجتمع المسلم، وتعطيل الزكاة والتهرب من أدائها علامة من علامات انحراف المجتمع، وبروز النفاق، ويؤكد القرآن

دراسات اقتصادية

هذا المفهوم في قوله (تعالى): ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

أما المنافقون: فهم أولئك القابضون على أيديهم، فهم لا ينفقون، مخالفين لكل ما فيه خير وصلاح، يقول (تعالى): ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧].

تجب الزكاة وفق هذا المفهوم كما أجمع عليه علماء الإسلام على كل مسلم، بالغ، عاقل، حر، مالك نصاب الزكاة وفق شروطها، فالزكاة لا تجب على غير المسلم، فلا يطالب بها الكافر، ولهذا: وجب فصل موارد الزكاة عن الموارد الأخرى التي تتحصل عليها الدولة؛ لأن طبيعة الزكاة وأغراضها والأهداف التي من أجلها شُرعت تختلف عن الأموال الأخرى التي قد يقوم ولي الأمر بجبايتها لمصلحة ظاهرة، فالزكاة لا تسقط بعدم وجود الحاجة إليها ولا تسقط باستبدالها بموارد أخرى، فهي تملك خصوصية ارتباطها بطبيعة التنظيم الاجتماعي للجماعة المسلمة الذي يسعى إلى تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي القائم على الأخوة الإيمانية، بجانب ارتباطها بالاعتقاد، فإخراجها يرتبط بالإيمان، فهي لا تدفع لقاء منفعة مباشرة كما في الرسوم والضرائب وغير ذلك من أنواع الجبايات التي تفرضها الدول على رعاياها لتحقيق مصلحة ومنفعة عامة.

لم يحدد القرآن الكريم جميع الأموال التي تجب فيها الزكاة، ولا شروط وجوبها ولا مقاديرها، ولكن السنة النبوية القولية والعملية فصّلت ما أجمله القرآن، وبينت ما أبهمه، وخصصت ما عمَّمَهُ، فالرسول ﷺ مكلف ببيان ما أنزل الله من القرآن، وهذا ما يقرره قوله (تعالى):

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

لقد أشار القرآن إلى بعض أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة، وأجمل بقية الأموال بكلمة عامة، وهي كلمة (أموال)، كما في قوله (تعالى): ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وفي قوله (تعالى): ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: ١٩].

أما الأموال التي حددها فهي:

أولاً: الذهب والفضة، كما في قوله (تعالى): ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

ثانيًا: الزروع والثمار، كما في قوله (تعالى): ﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ثالثًا: الكسب من التجارة وغيرها، كما في قوله (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

رابعًا: الخارج من الأرض من معدن وغيره، كما في قوله (تعالى): ﴿ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

إن شمولية الزكاة لجميع الأموال يعود إلى المفهوم اللغوي لكلمة «المال» كما جاءت في القرآن الكريم، والذي يُدخل كل ما يرغب الناس في اقتنائه وامتلاكه، وقد جاء في لسان العرب: «المال: ما ملكته من جميع الأشياء..، والجمع: أموال، وفي الحديث: نهى عن إضاعة المال، قيل: أراد به الحيوان، أي: يُحسَن إليه ولا يهمَل، وقيل: إضاعته: إنفاقه في الحرام والمعاصي وما لا يحبه الله،.. قال ابن الأثير: المال في الأصل ما يُملك من الذهب والفضة، ثم أُطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر أموالهم» [1].

١) لسان العرب، جـ١١، حرف اللام، ص ٩٣٥ ـ ٩٣٦.

أهزوجة للعيد

شعر : محمد بن سعد العجلان

إخواننا المنكوبون في جل ديار الإسلام، ماذا عساهم أن يقولوا وهم يستقبلون العيد؟:

قتل وتعذيب وتشريد ... فمتى سيغمر كوننا العيد!
ومتى متى يا أمتي فرحي! ... ومتى متى ستزغرد الغيد!
في كل أرض صرخة لفم ... دوَّت فدوَّت بالصدى البيد
لكننا نلهو فلا غضب ... نبدي ولا الإيثار موجود
وكأن وقراً قد تغلغل في ... آذاننا فالسمع مسدود
صرب وصهيون تمزقنا ... وسلاحنا في الصدر تنهيد !
والمجلس المأمول في شغل ... عنا يماطل فوقه الهود
والنخوة القعساء صادرها ... متفرد في الرأي نمرود
وإذا العروبة تنبري شيعاً ... عادت إليها الأزمن السود
يا أمة شاخ الزمان بها ... وعلت محياها التجاعيد
عاث الخلاف بها وفرقها ... بُعْدٌ عن الإسلام مشهود
الهدي فيها وهي ضائعة ... يقتادها القيثار والعود
قد خدرت بفم منغمة ... شغلت بها والسيف مغمود
في كل يوم يستباح بها ... دم يقامر فيه عربيد
يا أمتي ما ضاع يرجعه ... سيف به الإيمان معقود
يا أمتي هذا الكتاب لنا ... ولنا به عز وتسويد
فإذا به سِرْنا سيغمرنا ... نصر من الرحمن موعود

نص شعري

الإعلام من المنطلق الغربي إلى التأصيل الإسلامي

(٢ من ٢)

بقلم : أحمد حسن محمد


دراسات إعلامية

تناول الكاتب في الحلقة السابقة : أثر الحضارة الغربية في المسيرة الإعلامية بعامة، وأوضح مدى التدفق الإعلامي الغربي نحو المجتمع الإسلامي، واتجاهات الإعلام الغربي وآثاره، ثم انتقل إلى الحديث عن الدعوة الإسلامية والإعلام، فبيّن أهمية الإعلام الدعوي، معرجًا إلى الحديث عن مميزات الدعوة الإسلامية التي يفصّلها ـ وجوانب أخرى ـ في هذه الحلقة. - البيان -

أولاً: الطبيعة الإعلامية للدعوة الإسلامية:

فالدعوة الإسلامية ذات طبيعة إعلامية مميزة ولها سماتها التي تؤكد قدرتها على إبراز كافة عناصر الرسالة الإعلامية القادرة على التعامل بإيجابية بما يجعلها في مكان الريادة والقدرة في مجال الدراسات الإعلامية المعاصرة.

فحملتها أتباع دعوة المُرسلُ فيها هو الحق (سبحانه وتعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٠٥].

ومضمون الرسالة هو التوحيد وعبادة الله في الأرض: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

والوسيلة هي الوحي الذي هو التعليم السري الصادر عن الله (تعالى) الوارد إلى الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)[1] : ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ [الشورى: ٥١].

والدعاة إلى الله هم وسائل تحمل رسالة الله للناس، وهم أهل العلم والاختصاص: ﴿ **فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والمتلقي للرسالة هي البشرية جميعها، بل والجن أيضًا، حيث إن الرسالة الإسلامية تخاطب الإنسان لأن مادتها الإنسان ذاته[2] : ﴿ **الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً** ﴾ [النساء: ١][3].

ثانيًا: قدرة الدعوة الإسلامية على استيعاب الوسائل المتاحة:

نظرًا لأن هذه الدعوة هي قَدَر هذه الأمة وغايتها[4]: فقد أصبح لزامًا عليها أن تبحث عن كل الوسائل المتاحة والممكنة للقيام بوظيفة البلاغ المبين وتقديم رسالة الإسلام.

وإذا كان الغرب قد حقق تقدمًا في وسائل الإعلام وتقنياته فإن الإسلام لا يقف حائلاً دون الاستفادة من هذه التقنيات لتكون في خدمة الدعوة الإسلامية

---

١) د. محمد عبد الله دراز، المختار من كنوز السنة ، باب الوحي.

٢) د. طه عبد الفتاح، كيف تبنى مؤسسات الإعلام على أسس إسلامية (بحث من وقائع الندوة العالمية للشباب الإسلامي)، ص ٤٣٧ .

٣) انظر: زين العابدين الركابي، النظرية الإسلامية في الإعلام ، ص ٢٩٣.

٤) القيام بأمانة التبليغ يعتبر فرضًا على الأمة المسلمة، وقد قال بعض العلماء بأنه فرض عين.

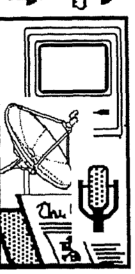


إذا ما توفر شرطان أساسان:

أ ـ أن يكون استخدام الوسائل لا يعني بالضرورة نقل الأفكار والاتجاهات .. فالوسائل أجهزة محايدة تنقل ما يطلب منها.

ب ـ أن يكون استخدام الوسائل الحديثة لا يعني فساد الوسائل الرئيسة في الدعوة الإسلامية، التي جاءت في الهدي القرآني والسنة المطهرة ، وبالتالي: لا يعني تركها وإبعادها عن الاستخدام في الساحة الإعلامية.

وبذلك فإن الأمة الإسلامية تستطيع تقديم رصيدها الثقافي والحضاري مستفيدة من التطور التقني في مجال وسائل الإعلام الحديثة بجانب ما تتمتع به الوسائل الإسلامية المتميزة في مجال الدعوة الإسلامية من فاعلية وقدرة على المعايشة والاستمرار، بل إن الوسائل التقنية الحديثة يمكن استيعابها ضمن الوسائل الإسلامية المتميزة، مثل: استخدام التسجيلات ومكبرات الصوت في المساجد التي تعتبر منابر حية للدعوة الإسلامية، وكذلك في مجتمعات المسلمين التعبدية مثل صلاة الجمعة ومواسم الحج، فإن الأقمار الصناعية الحديثة وما تقدمه من خدمات إعلامية عالية تقوم بدور كبير إذا ما أحسن استخدامها للإعلام بالرسالة الإسلامية، ليس فقط على المستوى المحلي بل على المستوى الدولي والعالمي.



وتظل العبرة قائمة بمدى الاستفادة التي تفيد منها الدعوة الإسلامية من كافة المخترعات الحديثة في كافة المجالات والنظم، حيث إن الأصل هو نشدان رضا الله بخدمة الإسلام في مجالات العلوم الضرورية لرقي الأمة المسلمة وعزتها، وهذا الشرط ليس ضروريًّا لكل جهد يسهم بقصد أو عن غير قصد في مسيرة التطبيق الإسلامي؛ فكم من كافر أسهم في إثراء العلوم الإسلامية، وكم من مسلم أسهم في تشويه التراث المعرفي للإسلام، فالعبرة إذن بنتيجة المساهمة، فإن كانت موافقة للإسلام فلا مانع من الاستفادة منها [1] ، وعلى ذلك يتأكد أن استخدام

---

١) د. سعيد إسماعيل صيني، مدخل إلى الإعلام الإسلامي.

ما أنتجه الغرب ـ غير المسلم ـ ليس كله مرفوضاً لمجرد أنه غربي غير مسلم، بل إن الرفض والقبول يتوقفان على ما يحقق لهذا الدين من نفع وانتشار، مع التفريق بين نية المسلم في الاستخدام والاستفادة ونية الكفار في الاختراع والإنتاج.

ثالثاً: تمايز المسيرة الإسلامية ومتعلقاتها:

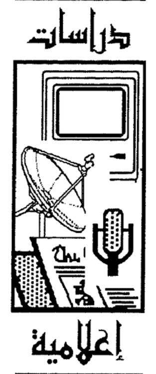
إذا كان الغرب قد رفض الدين نتيجة لمواقف معادية وتناقضات بين تطلعات الناس وما فرضه رجال الدين عندهم من قيود.. فإن العالم الإسلامي لم يصطدم يوماً بأصول عقيدته، وإذا كانت بعض السلبيات قد ظهرت في مجال الأسلوب الدعوي، فإن مَرَدَّ ذلك يعود غالباً إلى التطبيق الخاطئ الصادر عن فهم بعيد عن الأصول الثابتة، وليس خطأ في أصل الشريعة ومنهاجها ... ذلك لأن الإسلام يتمتع بمصدريه الأساسين الثابتين (القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، التي وصلت بحمد الله إلى درجة عالية من التوثيق والثبات، فضلاً عن حفظ الله (سبحانه) للقرآن الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]،) وظل هذان المصدران ـ وسيظلان بإذن الله ـ مرجعاً موثوقاً لكل من يريد البحث والاستقصاء، وفيصلاً لكل خلاف يخرج بالمسلمين عن الأصول الشرعية الكبيرة.

ومن جانب آخر: فإن الدين الإسلامي لم يكن بمعزل عن الحياة البشرية والنشاط اليومي بما يحمله من توجيهات للمسلم بضرورة الذكر المتصل، والعبادة بأوقاتها المحددة، وضوابط التعامل اليومي في الأسرة والجماعة والمجتمع، بجانب أخلاقيات العلاقات الدولية في السلم والحرب.

وبذلك: فإن الإسلام يحمل إعلاماً لا يحتمل ما حدث من انفصام بين الخطاب الديني والخطاب الدنيوي (كما حدث في الغرب)، حيث ظلت له القدرة على تحقيق المصالح الدنيوية وإرضاء أذواق الناس وحاجاتهم من المتعة

والتسلية ضمن إطاره الذي لا يخرجه عن الشرع الذي أباح كل هذه الأنشطة وفق شروطها بعكس الرسالة الإعلامية التنصيرية من محطات نصرانية.

وبذلك: فإن الرسالة الإعلامية الإسلامية تتعدى إلى مجالات متنوعة دون التقيد بحيز ضيق، حيث إن الدعوة الإسلامية هي دعوة للإيمان، مقترنة بالدعوة إلى العلم، والعبادة، والعمل، والفكر، وتنمية الروح والوجدان... ويظل الفصل بين ما هو ديني وما هو غير ديني أمراً ترفضه طبيعة الإسلام ويؤثر كثيراً على الرسالة الإعلامية المسلمة؛ إذ يحصر العقيدة والدين في مكان ضيق ويبعده عن مفهومه الواسع، والأمر إذن يتطلب رفض الاتجاه الغربي الذي يقدم القضايا الدنيوية والحياتية بعيداً عن قيم التوجه الأخلاقي، حيث تتحلل هذه القضايا من الالتزام بهذه القيم .. مما أوجد حشداً من الصحف والمجلات والوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية (في الغرب) تمارس ألواناً من الفساد والتضليل والانحلال، تسرب معظمها إلى بلاد المسلمين في غيبة الالتزام الإسلامي الصحيح، فأصبحت تهدد أبناء الأمة في أعز ما تملكه من قيم ومبادئ [1].



المنطلقات الأساس للإعلام الإسلامي:

إن الإعلام باعتباره نتاجاً لنشاط بشري إنما يأتي معبراً عن قيم ومبادئ وأفكار المصدر الذي تصدر عنه الرسالة الإعلامية... فقد جاء الإعلام الغربي متأثراً بالمادية، باحثاً عن اللذة والرفاهية، بينما كان الإعلام الشيوعي مدعَّماً بمفاهيم الإلحاد وسيطرة الطبقة العاملة، في حين أن الإعلام النازي كان يركز على سيادة الدم الأزرق والعنصرية القومية، معلناً شعار «ألمانيا فوق الجميع».

وتتفق كل هذه الاتجاهات على تأصيل السيطرة وبسط النفوذ الفكري والاقتصادي على كافة الشعوب النامية لضمان التبعية والخضوع لها.

---

١) د. عبد القادر طاش، دراسات إعلامية، وانظر: (الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفاز)، لمروان كجك.

ويأتي الإعلام الإسلامي مختلفاً في منطلقاته؛ حيث يعبر عن الإسلام دين القيم والمبادئ، التي تتمثل فيما يلي:

١ ـ منطلق العقيدة التي تقوم على فطرة البشر، وتستقيم مع متطلبات الحياة الإنسانية، وتعطي للفرد معنى الحرية من قيود الدنيا وشهواتها، فلا يخضع إلا لله رب العالمين وبذلك تتحقق حرية التعبير والسلوك والفكر في إطار تحكمه قيم السماء؛ لأن الهدف هو إرضاء الله (تعالى) وليس المكسب الدنيوي فقط.

٢ ـ منطلق العلم، الذي هو طريق المعرفة، فقد جاءت آيات الله (سبحانه) واضحة، تفرق بين العالم والجاهل، والرسالة الإعلامية تؤتي ثمارها بقدر ما يتوفر لها من زاد علمي صحيح.

٣ ـ الأخلاق، وهي سمة الإنسانية الفاضلة ودستور التعامل بين البشر، فيصدر الإعلام عن نفْس تعرف الصدق والأمانة والطهارة عن إيمان وامتثال، وليس عن تقليد ومحاكاة.

٤ ـ منطلق الإنسانية، بما تحمله من معاني الرحمة والتكافل والتعاطف، وما تعنيه من أخوة بين البشر ورغبة في التعايش والتعاون المثمر.

والإعلام الذي يحمل سمات الإنسانية هو أقدر من غيره على التأثير والتجاوب.

٥ ـ الجمال وحسن العرض، وهي أمور تحقق الارتياح النفسي، لذا: فقد دعا الإسلام إلى الجمال في الملبس والتعامل والحديث والسكن.

٦ ـ منطلق المصلحة العامة للأمة والحرص على أمن المجتمع واستقراره، بعيداً عن الإشاعة المغرضة والتحريض الهدام ضد فئات المجتمع وقادته، بل دعوة صادقة لمسؤولية مشتركة تحفظ كيان الأمة وتنشر الخير للناس جميعاً [١].

هذه هي بعض المنطلقات الأساس للإعلام الإسلامي، التي يمكن أن تكون

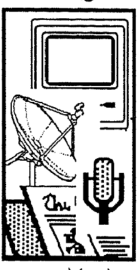
١) د. سيد محمد ساداتي، البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل.

أساسًا يحقق تمايز الرسالة الإعلامية في المجتمع المسلم عن غيرها في المجتمعات الأخرى، وحتى يتحقق هذا التمايز في التطبيق العملي، فإننا نوصي بالتوجيهات الآتية التي في مجملها خلاصة للعرض السابق في هذا البحث:

توصيات ومقترحات:

١ ـ رفع العزلة عما أطلق عليه (إعلام ديني) والذي جعل المفاهيم الإسلامية محصورة في بعض البرامج والمقالات المنفصلة عن بقية الموضوعات المطروحة في الوسائل الأخرى، مما أدى إلى عزل الدين عن الحياة المعاشَة وحصره في مفاهيم العبادة والتشريع، بخلاف طبيعة الدين الإسلامي الذي يعايش الناس في كل أمور حياتهم الدينية والدنيوية وينظم أنشطتهم سواء في المسجد أو ملعب الرياضة أو أماكن العمل من مكاتب ومزارع ومتاجر ومصانع، كما يعالج قضايا الأمة السياسية والاقتصادية والعلمية والفنية... والإعلام بطبيعته يتفاعل مع كل هذه الأمور إبلاغًا وتوجيهًا ونقدًا، وفي تقسيمه إلى إعلام ديني وآخر دنيوي ما يتعارض مع وحدة التوجيه واستقامة التربية ويؤدي إلى ازدواجية الرأي والمعالجة، فيصبح إعلامًا متناقضًا في رسالته ومضمونه .

دراسات



إعلامية

٢ ـ أن يكون الخطاب الإعلامي الصادر عن الأمة المسلمة خطابًا شاملاً لكل البشر على طول الزمان وسعة المكان، حيث إن الإسلام جاء للناس جميعًا : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٣]، وكانت الرسالة السماوية التي قام عليها رسول الله ﷺ مؤكدة لهذا المعنى الذي اختص بها سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام): ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سبأ:٢٨]، وصدع بها رسول الله ﷺ استجابة لأمر الحق (سبحانه): ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**

وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فالخطاب الإسلامي ليس وقفًا على أمة دون غيرها، بل هو خطاب عالمي أزلي، والرسالة الإعلامية الدعوية هي ترجمة لهذا المفهوم القائم على هدي الوحي المنزل.

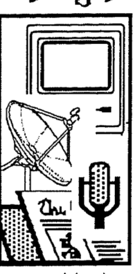
٣ ـ التأهيل الأمثل والإعداد السليم للقائمين على الإعلام الذي يحمل رسالة الإسلام، أو بمعنى آخر: إعداد القائم بالاتصال في مجال الإعلام إعداداً إسلاميًّا متكاملاً . . . فقد عني الإعلام الغربي كثيراً بكل من له صلة بالرسالة الإعلامية، ونشأت نظرية (حارس البوابة) والذي يقوم على صناعة المعلومة قبل بثها . . . وقد عني الإسلام كثيراً بحملة الرسالات وأصحاب البلاغ المبين، فاصطفى رسله من حملة رسالته من أحسن الخلق، وأصدقهم قولاً، وأفضلهم أخلاقًا: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١]، ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١]، ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤]، ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦]، ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم: ٥٨].

وكان خاتم الرسل (عليهم الصلاة والسلام) هو نبي هذه الأمة ورسولها المصطفى (عليه الصلاة والسلام) ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ٣ ـ ٥].

فقد أعده الله (سبحانه) لهذه الرسالة ليكون القدوة والأسوة والنموذج الأعلى للداعية الصادق: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ② نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً

ثَقيلاً ۝٥ إنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦ إنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۝٧ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۝٨ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل: ١ – ٩] .

ثم أعطاه الله من الخير في حياته الدنيا والآخرة، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝٨٧ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٧ – ٨٨]، فاستحق بذلك أن يكون صاحب الخلق القويم والسلوك الأمثل : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١ – ٤].



والإعلام الإسلامي هو الامتداد الأمثل لرسالة هؤلاء الرسل، وعليه حمل أمانة التبليغ لإقامة أمة الرسالة : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وذلك على شرط الحق والثبات : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١–٣] .

ولما كان الإعلام في عصرنا الحاضر قد تعددت وسائله وأساليبه : فقد أصبحت الضرورة قائمة لإعداد إعلاميين، أو بمعنى أدق : حملة رسالة لكل وسيلة من هذه الوسائل بما يتيح استخدامها الاستخدام الأمثل، ويعطي للمسلم القدر الكافي على التعامل السليم مع الجمهور المتلقي، ويشمل ذلك ـ بجانب الصفات الأخلاقية والعقدية الأساس ـ : الإعداد المهني السليم لحامل الرسالة في كافة المجالات، مثل :

ـ مجال الخطابة في المساجد والمحافل والتجمعات .

ـ مجال المناظرة والحوار والندوة.

ـ مجال الكتابة الصحفية والأدبية.

ـ مجال الإلقاء الإذاعي والتلفازي.

ـ مجال الإعداد البرامجي في الإذاعة والتلفاز.

ـ الإخراج، التمثيل، الثقافة، الإنشاد.

ـ مجال المعارض.

ـ مجال المؤتمرات.

على أن يقوم هذا الإعداد وفق برامج تدريبية مدروسة ذات أهداف واضحة على أيدٍ مخلصة واعية وخبيرة.

وبذلك يتحقق للإعلام أصالته الإسلامية وتمايزه عن الصبغة الغربية.

نجيب محفوظ
خلفية فكرية لفنه الروائي

(٢ من ٢)

بقلم: د. مصطفى السيد

عرض الكاتب في الحلقة الماضية المناخ الثقافي والاجتماعي قبل مولد «نجيب محفوظ»، ثم أوضح الخلفية الثقافية والفكرية لهذا الروائي، وأخذ يعرض أثر هذه الخلفية في رواياته وانعكاسها على أبطال هذه الروايات ... ويواصل الكاتب عرض جوانب أخرى من الموضوع. - البيان -



إن هؤلاء الأبطال ومثلهم كثير في الرواية العربية، كبطل (موسم الهجرة إلى الشمال) لـ «الطيب صالح»، وبطل (الحي اللاتيني) لـ «سهيل إدريس».. ليسوا إلا تجسيداً ـ وإن كان متفاوتًا في درجته وحدته ـ للخروج على ميراث الأمة الديني وتراثها الأدبي، تمهيداً لإيجاد قراء يحاكون هؤلاء، وبذلك تزلزل الرواية عبر نصوصها وشخوصها ـ ومن ثمَّ: عبر قرائها ـ قواعد البُنى الفكرية للأمة، تمهيداً لاستيلاء شرائح نخبوية تتبنى الفكر الغربي ويضمحل الحس الديني والنص الشرعي في قلوبها وعقولها وسلوكها.

وكيف تكون النتائج السابقة مستنكرة على الرواية العربية التي يقومها أحد النقاد بقوله: «الرواية العربية الجديدة التي شكل الواقع بؤرتها ومادتها، رواية الفضيحة والعري والحرائق والهزيمة والجنس» (١).

١) مجلة كتابات معاصرة، ع/٦، م/٢، ٥/١٩٩٠م، ص٤٩.

يفهم المسلم أن يكون لأمثال «سارتر» و«همنجواي» و«كامي» و«دستوفسكي» وأضرابهم أزمتهم الروحية بوصفهم نتاجًا لمسيحية محرفة وحضارة ممزقة، ولكن ما هو متعذر على الفهم أن يكون لمحفوظ هذه الأزمة التي تحدث في أكثر رواياته!، هل كانت أزمة مصطنعة لتضع الرواية العربية في مصاف الرواية الغربية بوصف القلق أحد أهم مؤهلات الأخيرة؟!!، أم كان القلق يعكس أزمة حقيقية للكاتب، سببها ابتعاده أو إبعاده عن قراءة واعية ومراجعة دائمة للإسلام، راضيًا من الفكر العربي بـ«سلامة موسى»، الذي قد لا يحمل من مؤهلات هذا الفكر إلا اللسان العربي؟.

وإذا كان محفوظ قارئًا نهمًا للفكر الغربي ـ لا سيما في عالم الرواية وعلم الفلسفة ـ، وكان معنيًّا ـ كما صرح غير مرة ـ بمتابعة الجديد في هذين الأمرين، فإنه على العكس من ذلك: يتجمد في ثقافته الإسلامية، مكتفيًا بخلاصة ـ أو ملخص ـ إن أغنت مسلمًا عاديًّا فكيف تغني أكبر كاتب روائي عربي؟ .

إن ثقافته العقدية جاءت واضحة في مقالاته التي كتبها في شبابه (١٩٣٠م) في مجلة (شيخه) «سلامة موسى» ، وإن هذه الثقافة ـ كما يقول الدكتور «عبد المحسن بدر» ـ : «استمر يكتبها حتى وصل إلى مرحلة الرجولة، وهذه الفترة من حياة الإنسان هي فترة تكوينه لقيمته الاجتماعية والثقافية التي تعمق وتنضج الفترات التالية من عمره، ومن النادر أن تتحول بعد هذه الفترة تحولاً جذريًّا» [١].

يقول محفوظ في «المجلة الجديدة» سنة ١٩٣٠م ، ص ١٤٦٨، في أحد مقالاته التي يشير إليها الدكتور بدر: «لا نبتئس بقرب زوال المعتقدات البالية، ولا ندعو المفكرين إلى الكف عن بحثها ونقدها».

ما المعتقدات البالية التي يريد هذا الشاب ألا يبتئس لزوالها، ولا يمنع المفكرين من نقدها؟.

١) الرؤية والأداة، ص ٣٤ .

أليست هي ما جاء على لسان « كمال » في (السكرية) آنفًا؟ .

وفي مقابل ما يعيشه أبطاله بوصفهم امتداداً مباشراً أو غير مباشر له : ما يعيشونه من الانفلات من ربقة الدّين، بل التجرؤ الصادم لمشاعرنا على نقده، نجد الكاتب يعقد صلحًا نهائيًّا مع العلم الذي تحدّر إليه من « سلامة موسى » وأمثاله، فيقول سنة ١٩٧٠م : « لعل الإيمان الوحيد الحاضر في قلبي هو الإيمان بالعلم وبالمنهج العلمي ! »[١] .

وإذا سلم الباحث لبعض النقاد بأن هَدَف محفوظ « الوصول إلى ما يشبه علمنة الدين وتديين العلم »[٢] فإن هذا أيضًا يظل إسلاميًّا غير مقبول؛ لأنه لا يعدو إحياء مذهب المعتزلة بأثواب جديدة .

إن ما خطه « نجيب محفوظ » من أعمال روائية وقصة قصيرة لم تلق فنيًّا - في حدود ما قرأت - نقداً شديداً باستثناء ما كتبه د. « عبد المحسن طه بدر »، ولكن المعركة حول القيم الفكرية لأعماله الروائية لم يَخْبُ أوارها، وما أخاله يخبو ما دامت هذه الأعمال يرتفع فيها صوت الفكر على صوت الفن، وتتصدى بجلد وإصرار لنقد المفاهيم القائمة في المجتمع والدعوة إلى قيم وأفكار تضاد عقيدة المجتمع وهويته في أحايين كثيرة، يقول على لسان أحد أبطاله في (السكرية):



« حسن أن تدرسوا الماركسية، ولكن تذكروا أنها وإن تكن ضرورة تاريخية، إلا أن حتميتها ليست من نوع حتمية الظاهرات الفلكية، إنها لن توجد إلا بإرادة البشر وجهادهم، فواجبنا الأول ليس في أن نتفلسف كثيراً، ولكن في أن نملأ وعي الطبقة الكادحة بمعنى الدور التاريخي الذي عليها أن تلعبه لإنقاذ نفسها والعالم جميعًا »[٣] .

---

١) مجلة الهلال، شباط / فبراير، ١٩٧٠م.

٢) (الله) في رحلة نجيب محفوظ الروائية، لجورج طرابيشي ، ص ٣٠ .

٣) السكرية ، ص ٢٩٦ .

قد لا يحتاج القارئ إلى دليل يؤكد أن الكاتب قد تخلى عن دوره الروائي إلى الدور التحريضي، حتى ليمكننا القول: إن الفقرة السابقة نشرة حزبية وليست فقرة روائية.

وإذا كان «نجيب محفوظ» قد يمم وجهه شطر (الحارة) القاهرية، ولم يتجاوزها في أكثر أعماله، جاعلاً من الحارة الفضاء المكاني لأدبه والإطار الموضوعي لأفكاره، فهو لم يعرف عنه أدنى تعاطف مع هذه الحارة، ولم ير منها غير الجوانب المظلمة، ولم يُقدّم في أعماله إلا الشخصيات التي أشربت في قلبها الشر، وأهلكت الحرث والنسل، لا تنتقل من سيء إلا إلى ما هو أسوأ، ولا تغادر منكرًا إلا إلى ما هو أنكر، حتى ليخيل للقارئ أنه يقرأ عن أناس لم يعد في حياتهم مثقال ذرة من دين أو خير، أو يعيش في مجتمع أقرب إلى الجحيم منه إلى المجتمعات السوية.

ولقد كان الكاتب متورطًا إلى حد كبير فيما أخذه على أبطاله ورآه سببًا لانحرافهم، فقد اعترف بمعاقرته الخمر كما مر بنا قريبًا، و«لقد سمح لنفسه ابتداءً من سنة ١٩٤٥م بكتابة سيناريو عدد كبير من الأفلام، فيها الكثير من الأفلام التي تخضع للمقاييس الفنية الهابطة للسينما المصرية، وقد يدهش المرء حين يعلم أن كاتبنا الكبير هو كاتب سيناريو أفلام مثل: «ريا وسكينة»، و«المنتقم»، و«عنتر وعبلة»، و«لك يوم يا ظالم»»[١].

ويتهمه ناقد آخر بتوظيفه فنه لأغراض مادية رخيصة، وخدمة مآرب أخلاقية خسيسة عندما يتجنى على أبطاله وطبقتهم، وإظهارهم بصور غاية في الانحلال، تهييجًا للغرائز واستدرارًا لأموال منتجي الأفلام، وذلك عندما «يرصد نماذج مشوهة وساقطة وعاجزة لكي يضعها في أعماله، ويتجنى بعد ذلك على صدق وحقيقة ما يحصل في قلب الواقع المصري من طرح جديد دائم لنماذج إنسانية بين الثوريين، وبين فتيات الجامعة بالذات، وهو يعرف سلفًا

١) الرؤية والأداة، ص ٦٧.

ما سيعقب ذلك من استخدام هذه النماذج في السينما المصرية التجارية، ومنتجي الأفلام التجارية الرخيصة الذين يزيدون في تشويه الصورة وتملق غرائز متدنية للمتفرج، سواء في الجنس أو تزييف صورة الثوري اليساري في رواياته، [لقد كان] الأمر يتعلق بإلحاح «نجيب محفوظ» على أن يظل روائي المرحلة الجديدة، وشاهداً على لوحة الصراع الدرامي في مجتمعنا، ولقد كان ـ في اعتقادي ـ بعيداً عن التقاط حقيقة أزمة الفتاة المتعلمة، التي لها موقفها السياسي، والتي تقف مع الرجل ضد كل ما يسلب الإنسان حريته وأحلامه في تقدم طبقته المسحوقة.

إن «سمارة بهجت»، و«سوسن حماد»، و«زينب دياب»[*] للأسف لا وجود لهن إلا في الاتساق الشكلي لبناء الرواية بمواصفات جاهزة عند نجيب محفوظ، أما الفتاة المصرية المثقفة والمناضلة فلم تلتقطها عدسته الروائية، فهي بعيدة عن عالمه، لأنه هو أيضاً بعيد عن عالمها أيًّا كانت حسن نياته»[١].

ومن العجيب أن يكون موقف الكاتب من مجتمع الطبقات الشعبية منبثقاً من رؤية طبقية لا من نظرة قيمية، وذلك عندما يمنح إعجابه الفتيات الأرستقراطيات، ويمنعه عن نساء الطبقة العاملة!.



يقول الدكتور «عبد المحسن بدر» من حديث له في مكتبه «الأهرام»: «الأرستقراطيات جديرات بالإعجاب، أيٌّ متعلمةٍ أو رقيقة كانت أرستقراطية، أما سيدات الطبقة العاملة فأرضيات»[٢].

يقول هذا الكلام في الوقت الذي يرسم نده ومعاصره «إحسان عبد القدوس» (ت١٩٨٩م) صورة مظلمة للطبقة الأرستقراطية عموماً، وصورة حالكة في السواد والتردي الأخلاقي لنساء هذه الطبقة على وجه الخصوص

---

*) من بطلات روايات نجيب محفوظ.

١) الرؤى المتغيرة في روايات نجيب محفوظ، عبد الرحمن أبو عوف، ص ١٤٧، ١٤٨.

٢) الرؤية والأداة، ص ٦٣.

«حيث إنه ما من كاتب استطاع أن يصور الشرائح العليا من البورجوازية المصرية مثله، فقد استطاع النفاذ إلى واقع الحياة الاجتماعية في (الزمالك)، و(جاردن سيتي)، واخترق بأعماله الحصار المضروب على (نادي الجزيرة)، لكي لا تقترب منه أعين الدهماء والصعاليك من أبناء الشعب، ولولا كتاباته لسقط هذا الجانب المهم من الذاكرة التاريخية» (١).

هل تمالأ الكاتبان ليكملا الحصار على المرأة، فيشوه أحدهما سمعة هذه الطبقة، ويشكك الآخر في عفة الطبقة الأخرى؟!.

وهل بات الفن نوعًا من القذف العشوائي لأخلاقيات المجتمع؛ لييأس المصلحون والتربويون؟.

وهل يليق بكاتب بمكانة الأستاذ «نجيب محفوظ» أن يتخذ موقفًا مسبقًا قبْليًّا من المرأة العاملة، فيصمها بالأرضية، وينحاز آليًّا إلى المرأة الأرستقراطية فيجعل الرقة والأرستقراطية وجهين لعملة واحدة؟.

وما الفرصة المتاحة للمرأة العاملة (امرأة الحارة) بمستقبل أفضل إن كان الكاتب قد حكم بألاَّ مستقبل لها أصلاً؟.

ثم: أليس من الجمود الفني أن تكون الشخصية جامدة، ولا تمتلك إمكانات النمو والتطور؟.

إن ما حققه الكاتب وما يحققه أي كاتب من مستوى فني متقدم لا يمنع مساءلته، ولايسقط حق الأمة عبر نقادها ومثقفيها في محاكمة المضامين الفكرية للأعمال الأدبية، لا سيما أعمال المشهورين الذين تتعاقب الأجيال على قراءتهم والتفاعل الإيجابي والسلبي مع هذه القراءة.

ومما شجعني على إيلاء الجانب الفكري في أدب محفوظ هذا الاهتمام هو ما قاله بعض الروائيين والنقاد عن محفوظ: إنه مفكر يتقنع بالقناع الروائي.

---

١) مقال في جريدة الحياة، ع/١٢٠٢٦-٢٧/١/١٩٩٦م.

يقول الروائي السوداني «الطيب صالح»: «وليس نجيب محفوظ في اعتقادي رائد الرواية العربية الأول، لكنه من أعظم المفكرين في العالم العربي، وتقوم اقتراحاته كمفكر وليس ككاتب(*)»(١).

ويقول الدكتور «مصري حنورة»: «لنتفق مبدئيًّا على أن نجيب محفوظ مفكر قبل أن يكون فنانًا؛ وأنه لا يكتب أساسًا بحثًا عن قيم جمالية، أو استعراضًا لأساليب بلاغية، وإن كان هذا يتم دون عمد منه، كذلك فهو لا يهتم في المقام الأول بأن يقدّم تطويراً لتكنيك فني، حيث إن كل ذلك خارج عن دائرة اهتمام هذا المبدع، فشاغله الأساسي هو قضايا مجتمعه وهموم الإنسان، أي إنه ـ وفقًا لمنظورنا ـ يغلب عليه الجانب المعرفي»(٢).

ويقول ناقد ثالث: «إن المرحلة الجديدة التي دخلت إليها الرواية على يد نجيب محفوظ تتلخص في عدة مميزات، منها: الاهتمام بـ(هموم الفكر)»(٣).

ويقول ناقد رابع: «نظراً لأن الأسلوب الروائي عند نجيب محفوظ أسلوب واضح، وسهل، وخالٍ من التراكيب المفتعلة، وأقرب إلى اللغة العادية، يظل التحليل الأسلوبي لأعماله الروائية محدود الأثر، ونظـراً لأن الأعمال الروائية لـ«نجيب محفوظ» تكاد تخلو من الصور الفنية أو المركبة، مثل «وغنى الماء في القنينة» لوصف قرقرة الجوزة، فإن تحليلها يظل أيضًا محدوداً، لذلك يظل النقد البنيوي لمعرفة المعمار الروائي عند «نجيب محفوظ» وأنماطه المثالية السائدة والمتكررة في أعماله الروائية: هو الأكثر غنى للكشف عن العالم الروائي عنده، ويظل النقد الاجتماعي كذلك هو الكاشف للنص الروائي الذي يعكس الواقع الاجتماعي الثقافي والديني والسياسي هو الأكثر مباشرة على



---

*) الصواب ان يقال: بوصفه مفكراً وليس بوصفه كاتبًا.

١) نجيب محفوظ والقصة القصيرة، إيفلين يارد، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٨٨م، ص٢١٤.

٢) مجلة فصول، الحداثة في اللغة والأدب، جـ٢، ع/٤،ص ١٩٩.

٣) مجلة فصول، تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، ص ٢٢.

الاقتراب من هذا العالم الروائي»[1].

ولعل القارئ الكريم يعذرني إن أطلت في هذه النقول لأسباب، أهمها:

● أن أدب «نجيب محفوظ» دخل كل بيت تقريبًا، إما مقروءًا، وإما مرئيًا على شاشة (التلفاز)، وإما مسموعًا من (المذياع)، ومن حق القارئ على الكاتب وواجب الأخير أن يبين ما فيها من فكر هابط وفن سامق.

● قول الناقد «سيد قطب» (رحمه الله):

«إن الناقد في الشرق العربي لا ينهض لتصحيح مقاييس الفن وحدها، ولكن ينهض لتصحيح معايير الأخلاق أيضًا»[2].

● ولأن همسات المجتمع تلقين للبطل، وهجمات البطل تجسيم لأحلام المجتمع، فإن معايير البطولة التي تتفاعل معها ـ ولا سيما تفاعلنا مع أبطال كاتب مقروء باستمرار وواسع الانتشار كـ«نجيب محفوظ» ـ ينبغي ألا تكون فنية محضة.

ولعله من ذلك كله يكتسب الحديث عن الخلفية الفكرية لـ«نجيب محفوظ» مشروعيته ويستمد أهميته.

١) مجلة عالم الفكر، مجلد: ٢٣، ع/٣، ٤، يناير إلى يونيو ١٩٩٥م.

٢) مجلة الرسالة، ٢٧/١١/١٩٤٤م، ص ١٠٤٤.

السقوط من الداخل

ترجمات ودراسات في المجتمع الأمريكي

تأليف / د. محمد بن سعود البشر

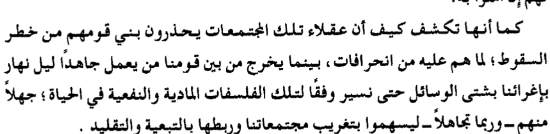
عرض

محمد حيان الحافظ

تمهيد:

تحرص مجلة البيان على عرض بعض الكتب والدراسات المتميزة في مختلف فنون المعرفة، مما يفيد القارئ، وينوع ثقافته، ويؤصل وعيه، وقد سبق أن نشرت البيان عرضاً لكتاب آخر للمؤلف نفسه بعنوان (يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة) (*) ، جاء فيه أن مثل هذه الدراسات وإن كانت موجهة أصلاً للشعب الأمريكي، إلا أنها مفيدة لنا ـ معشر المسلمين ـ، فإن دراسة واقع المجتمعات الغربية التي لها علاقات متشابكة مع عالمنا الإسلامي لها أهمية بالغة من عدة جوانب، لعل أبرزها: رصد ظاهرة تأثر الضعيف بالقوي، وظاهرة التقليد عموماً، إضافة إلى استشراف مستقبل هذه الأمم ورصد زمن أفول تلك الحضارات؛ مما يشد أزر المسلمين بعامة، ويدفع المسلمين ممن يعيشون في تلك المجتمعات إلى الاستفادة من الواقع المتردي في عرض دين الإسلام، ولعله يكون عامل نجاة لهم إن آمنوا به.





كما أنها تكشف كيف أن عقلاء تلك المجتمعات يحذرون بني قومهم من خطر السقوط؛ لما هم عليه من انحرافات، بينما يخرج من بين قومنا من يعمل جاهداً ليل نهار بإغرائنا بشتى الوسائل حتى نسير وفقاً لتلك الفلسفات المادية والنفعية في الحياة؛ جهلاً منهم ـ وربما تجاهلاً ـ ليسهموا بتغريب مجتمعاتنا وربطها بالتبعية والتقليد.

وهيا نتصفح معاً هذا العرض الموجز لهذا الكتاب. ـ البيان ـ

بانتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي وتحلل الهياكل التنظيمية للكتلة الشرقية، ازداد سطوع نجم الولايات المتحدة في سماء السياسة الدولية، وذهب كثير من المراقبين إلى اعتبارها القوة العظمى في العالم، مستدلين على ذلك بالدور الذي لعبته في تحرير الكويت من الاحتلال العراقي عام ١٩٩١م.

بيد أن فريقًا آخر من المحللين والباحثين في مجال العلاقات الدولية يرون أن الولايات المتحدة، وإن كانت تتمتع في الوقت الحالي بمقومات القوة العظمى، إلا أنها تحمل في ذاتها بذور اضمحلالها ؛ ففيها من عوامل الضعف الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والسكاني والإداري ما يكفي لانحدارها قريبًا وهزيمتها في المنافسة الآتية من كل من الاتحاد الأوروبي واليابان.

ويأتي كتاب (السقوط من الداخل) ليسلط الأضواء على نقاط الضعف الموجودة في كلٍّ من الدولة والمجتمع في أمريكا، وما يميز هذا الكتاب عن غيره: أنه شخَّص عِلَل المجتمع الأمريكي استناداً إلى شهادات أمريكية مهمة لها وزنها ومكانتها العلمية.

والكتاب يقع في (١٤٠) صفحة، ويتضمن (٦) دراسات، الخامسة منها أعدها المؤلف دراسة شخصية له في موضوعها ، أما الأخريات: فإن دور المؤلف فيها قد اقتصر على ترجمتها إلى العربية وتقريبها، وتمتاز هذه الدراسات في مجملها بأنها تمثل انعكاسًا صادقًا لحقيقة المجتمع الأمريكي وليست انطباعات شخصية لمؤلفيها، كما أنها معززة بالأرقام والجداول الإحصائية الموثقة.

الدراسة الأولى: (يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة):

هي دراسة أنجزها باحثان أمريكيان، هما: «جيمس باترسون» و«بيتر كيم» تناولت واقع المجتمع الأمريكي في شتى مناحي الحياة من دينية وسياسية وثقافية واقتصادية وإعلامية، وتمتاز الدراسة بأنها تصف ملامح المجتمع الأمريكي من خلال لقاءات ميدانية أجراها المؤلفان مع عينة كبيرة من

الشعب الأمريكي، وأهم الحقائق التي تضمنتها الدراسة ما يلي:

● فقدان ثقة المواطنين في قياداتهم السياسية والدينية، وذلك بسبب غياب القدوة، وأدى ذلك إلى اختلاط المعايير وعدم احترام تعاليم الدين؛ لأنها خاطئة حسبما ظهر لهم.

● الحياة الشخصية لعامة الشعب الأمريكي تتسم بالنفاق، فهم يظهرون خلاف ما يبطنون، هذا بالإضافة إلى الكذب الذي أصبح عادة في حياة الفرد الأمريكي!.



● انتشار الزنا، حيث تشيع الخيانة الزوجية هناك، فأكثر من ثلث الأمريكيين المتزوجين كانت لهم أو لا يزالون مرتبطين بعلاقات جنسية غير شرعية، وغالبية الشعب الأمريكي تؤمن بأن الاتصال الجنسي مع شخص آخر غير الزوج أو الزوجة جائز ومباح.

● كثرة جرائم القتل والانتحار والاغتصاب، فنسبة من ارتكبوا جرائم بأنواعها المختلفة يصل إلى ٣٩٪ من مجموع الشعب الأمريكي، وعدد جرائم القتل بلغ (٢٥) ألف جريمة سنويًا، ونتيجة لذلك: ينفرط عقد الأمن، ويتضاعف عدد السجناء، وتتزايد حالات عقوبة الإعدام.

الدراسة الثانية: (نحن القوة الأولى: أين تقف أمريكا وأين تسقط في النظام العالمي الجديد؟):

أصدر هذا الكتاب «أندرو شابيرو» في عام ١٩٩٢م، كشف فيه المؤلف مواطن الضعف وملامح الانهيار في بنية المجتمع الأمريكي السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية.. وغيرها، وذلك في سياق تفنيده لمقولة: إن الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة العظمى الأولى في العالم، تلك المقولة التي وردت على لسان الرئيس الأمريكي السابق «جورج بوش» بعد انتهاء حرب الخليج الثانية، ويرى المؤلف أن الولايات المتحدة هي القوة الأولى، من حيث مؤشرات القوة الاقتصادية والعسكرية، إلا أن عوامل الضعف والتدهور تسري في الوقت ذاته في شتى القطاعات، فمثلاً: تحتل الولايات المتحدة المرتبة الأولى في الإنفاق على الشؤون الصحية، إلا أنها

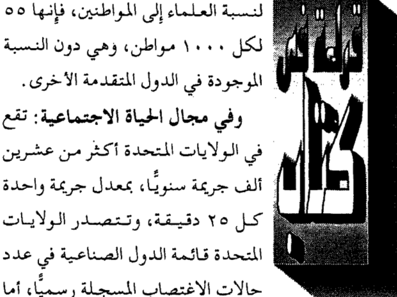
الدولة الأولى في عدد الوفيات والموت الجماعي للأطفال الرضع، وقد عقد المؤلف مقارنة بين الولايات المتحدة و(١٨) دولة صناعية أخرى، هي: أستراليا، والنمسا، وبلجيكا، وكندا، والدانمارك، وفنلندا، وفرنسا، وألمانيا، وأيرلندا، وإيطاليا، واليابان، وهولندا، ونيوزيلندا، والنرويج، وإسبانيا، والسويد، وسويسرا، وبريطانيا.

ثم استعرض المؤلف بعد ذلك بشكل أكثر تفصيلاً، مظاهر الضعف في الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها دولة، والتي تشمل مختلف القطاعات: السياسية، والاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية.

فبالنسبة للقطاعات السياسية: يرى المؤلف أن ثقة الشعب الأمريكي في الحياة السياسية مهزوزة، وذلك نظراً لما يراه من فساد سياسي وأخلاقي يتجلى في إنفاق بعض المرشحين لعضوية الكونجرس ملايين الدولارات على حملاتهم الانتخابية، ومن مؤشرات الضعف السياسي في الولايات المتحدة: تضخم مديونيتها للأمم المتحدة، وعدم قبولها لتوصيات منظمات ولجان حقوق الإنسان، وضآلة مساهمتها في قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، حيث تحتل المرتبة الثامنة عشرة في هذا المجال.

وفي الاقتصاد: يلاحظ أن الولايات المتحدة تحتل المرتبة الأولى في العالم في عدد المليونيرات، بينما تضم في الوقت ذاته أكبر نسبة من الأطفال البائسين الذين يعيشون فقراً مدقعاً، حيث يعيش خُمْس الأطفال الأمريكيين وعُشر المواطنين البالغين في فقر مدقع، كما يوجد بالولايات المتحدة ما يقرب من ثلاثة ملايين مواطن بلا سكن، ٤٦٪ من المواطنين السود، و١٥٪ من أصول إسبانية أو برتغالية أو أمريكية لاتينية.

وفي مجال الدفاع: تعتبر الولايات المتحدة هي الدولة الأولى في العالم من حيث الإنفاق الدفاعي، ولكن هذا يأتي على حساب مجالات أخرى، كالرعاية الصحية والتعليم والضمان الاجتماعي، وفي المقابل: تعاني الولايات المتحدة من عجز كبير في



الميزانية العامة، بحيث وصل العجز في عام ١٩٩١م إلى ما يقارب (٢٧٩) بليون دولار، وفي عام ١٩٩٢م وصل إلى (٣٦٢) بليون دولار .

أما الديون الخارجية : فقد وصلت إلى (٤٠٠) بليون دولار، وهذا فقط جزء من المديونية العامة للدولة التي تصل إلى (٢,٢) ترليون دولار.

وفي التعليم : يلاحظ ارتفاع معدل الأمية، حيث يبلغ عدد الأميين (٢٧) مليونًا، كما يتدنى مستوى التحصيل العلمي في صفوف الطلاب، وبالنسبة لنسبة العلماء إلى المواطنين، فإنها ٥٥ لكل ١٠٠٠ مواطن، وهي دون النسبة الموجودة في الدول المتقدمة الأخرى .

وفي مجال الحياة الاجتماعية : تقع في الولايات المتحدة أكثر من عشرين ألف جريمة سنويًا، بمعدل جريمة واحدة كل ٢٥ دقيقة، وتتصدر الولايات المتحدة قائمة الدول الصناعية في عدد حالات الاغتصاب المسجلة رسميًا، أما جرائم تعاطي المخدرات : فعددها مليون جريمة سنويًا، وتتزايد فيها حالات تعاطي الكوكايين والماراجوانا، كذلك تشيع في المجتمع الممارسات الجنسية غير الشرعية، إذ تصاب ! فتاة واحدة من بين كل عشر فتيات بين سن الـ ١٥ والـ ١٩ بأعراض الحمل نتيجة الممارسة الجنسية غير المشروعة، كذلك تحتل الولايات المتحدة المرتبة الأولى من بين الدول الصناعية في عدد حالات الإصابة بالإيدز، ولقد مات بسبب هذا المرض أكثر من ١٣٠,٠٠٠ أمريكي، وقبل حلول عام ١٩٩٣م أصيب أكثر من ٤٨٠,٠٠٠ أمريكي بالمرض نفسه .

الدراسة الثالثة : (دولة من شعبين. البيض والسود .. تمييز، وانفصال، وعداء، وعدم مساواة) :

وهي بقلم البروفسور « أندرو هيكر »، وصدرت في عام ١٩٩٢م، وقد تناول فيها قضية التمييز العنصري في الولايات المتحدة بين المواطنين البيض والمواطنين السود، وانعكاساتها على المجتمع الأمريكي، حيث استعرض المؤلف المتاعب والمضايقات التي يتعرض لها السود من قِبَل البيض على المستوى الشعبي وعلى المستوى المؤسسي، حيث تحدث المؤلف عما

أسماه بـ (العرقية المؤسساتية) التي قد تحدث في الكنيسة أو الجامعة أو الشركات التجارية أو الدوائر الرسمية الحكومية كالمباحث الفيدرالية ومديرية أمن (لوس أنجلوس)، كذلك تناول المؤلف موقف كل من المحافظين البيض والليبراليين من السود، وذكر المؤلف أن السود لا يزالون يواجهون مضايقات من جراء وضع العقبات أمام توظيفهم، ويختم البحث بإثارة نقطة على صعيد العنصرية السياسية، تتمثل في كون عملية الاقتراع في الانتخابات تتم وفقًا للأصل العرقي للمرشح، بمعنى أن كثيراً من الناخبين البيض في الولايات المتحدة يصوتون للمرشح الأبيض، بينما يصوت السود لصالح المرشح الأسود.

وننتقل إلى الدراسة الرابعة، وعنوانها: (السقوط التراجيدي.. أمريكا عام ٢٠٢٠م):

وقد أصدرها الجنرال المتقاعد «هاميلتون هوز» في عام ١٩٩٢م، وهو رجل أمريكي شغل عدة مناصب عسكرية مهمة في بلاده، والكتاب يتناول الخصائص العامة للمجتمع الأمريكي في شتى مناحي الحياة: السياسة، والاقتصاد، والصحة، والتعليم، والمخدرات، والجريمة، والأخلاق، مع تركيز واضح على الفساد السياسي في الحكومة والدستور والقانون الجنائي، ويرى المؤلف أن العالم لم يعد ينظر إلى الولايات المتحدة باعتبارها قوة فريدة في العالم، وأن أهم علل المجتمع الأمريكي: تردي الأخلاق، ويظهر ذلك في الممارسات الجنسية الشاذة، كما يتحدث المؤلف عن الجريمة والقانون الجنائي الأمريكي، فيذكر أن معدلات الجريمة قد ارتفعت، وذلك بسبب فساد القانون الجنائي الأمريكي، إذ يوجد تساهل كبير في إصدار الأحكام القضائية على المجرمين، كذلك يعاني المجتمع الأمريكي من عجز في الميزانية وتضخم المديونية؛ نتيجة للفساد السياسي والاقتصادي وعجز الحكومة عن إيجاد حلول لمشكلات تعاني منها البلاد، مثل: مشكلة الجريمة، والمخدرات، والعجز في

الميزانية، وارتفاع الضرائب، وتردي النظام التعليمي، والعنصرية، ويختم المؤلف كتابه بالتعبير عن قلقه على الولايات المتحدة التي لن تستمر طويلاً في كونها القوة العظمى الوحيدة في العالم؛ وذلك مرده إلى الانحطاط الأخلاقي وانهيار القيم على كافة المستويات: المجتمع، والكونجرس، والقضاء.

الدراسة الخامسة: (البيت الأبيض.. تسييس الشذوذ في و ضح النهار):

وهي لمؤلف الكتاب الذي نعرض كتابه: د. «محمد بن سعود البشر»، تناول فيها حركة الشواذ جنسيًّا في المجتمع الأمريكي وازدهار نشاطهم في عهد الرئيس الأمريكي الحالي «بيل كلينتون»، حيث إنهم ساندوا حملته الانتخابية، ولذلك كافأهم بعد تنصيبه بأن اعترف بمطالبهم، ووعد بالعمل على تلبيتها في رسالته التي بعث بها إليهم وهم يتظاهرون أمام البيت الأبيض في السادس والعشرين من أبريل ١٩٩٣م، ويذكر المؤلف أن ظهور فئة الشاذين جنسيًّا يرجع إلى عقد السبعينيات، أما نشاط هذه الفئة فقد امتد ليشمل مجالات عديدة من الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والترفيهية، ويذكر المؤلف أن من أهم وأخطر أسباب ظاهرة الشواذ جنسيًّا في المجتمع الأمريكي: التغلغل اليهودي في مراكز القوى السياسية والاجتماعية في المجتمع الأمريكي، وما سببه من «شذوذ» حضاري في واقع الحياة الاجتماعية في أمريكا، فليس صحيحًا أن الحركة اليهودية موجهة ضد المسلمين فقط، وإنما هي حركة تهدف إلى تدمير الأخلاق، وانتشار الفاحشة، وهدم مبادئ الدين للمجتمعات الغربية أيضًا، فهم أحد أسباب طغيان المادية والانحطاط الأخلاقي الذي نشاهده اليوم في عالم الغرب.



الدراسة السادسة: (ليست للبيع بأي ثمن.. كيف نحفظ أمريكا لأطفالنا؟):

وهي لـ «روس بيرو»، رجل الأعمال الأمريكي الشهير الذي رشح نفسه

لانتخابات الرئاسة الأمريكية ١٩٩٢م، وهزم فيها أمام مرشح الحزب الديمقراطي «بيل كلينتون».

يناقش هذا الكتاب المشكلات التي تعاني منها الولايات المتحدة الأمريكية اليوم، مع اهتمام واضح بالوضع المتردي للاقتصاد الأمريكي الذي يعزوه في الأساس إلى فساد الحكومة والكونجرس، ويذكر «بيرو» أن أمريكا هي أكثر الدول الصناعية عنفاً، وأن نظام التعليم فيها هو أقل الأنظمة التعليمية كفاءة مقارنة بأنظمة التعليم في الدول الصناعية، ويذكر أيضاً أن هناك غلاءً فاحشاً في الخدمات الصحية، كما أن علامات التصدع والانهيار بدأت تظهر على الطرق السريعة والجسور والأنفاق، ويلوم «بيرو» الساسة الأمريكيين لعدم جديتهم في تطبيق الفلسفة الرأسمالية، وانشغالهم بدلاً من ذلك بفرض القوانين، وزيادة معدلات الضرائب، وجمع الأموال .. لتمويل الحملات السياسية، وعن الدَّين العام: ذكر «بيرو» أنه بلغ أكثر من أربعة تريليونات دولار، وأن ديون الولايات المتحدة قد زادت بمقدار ثلاثة تريليونات خلال اثنتي عشرة سنة فقط، وهو ما يعني: أن الزيادة كانت بمعدل تريليون واحد لكل فترة رئاسية، وعن البطالة في الولايات المتحدة، قال «بيرو»: إن الشركات الكبرى هناك أخذت في تقليص حجمها، وتقليل كميات إنتاجها، وتسريح بعض مستخدميها، مما أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة، حيث فقد المجتمع الأمريكي أكثر من ٧٠٠ ألف وظيفة في القطاع الصناعي الخاص، ويختم «بيرو» كتابه بالحديث عن فقر الأطفال في بلاده، حيث يذكر أن خُمْس أطفال أمريكا يعيشون في مستوى الفقر المعروف دوليًّا.

*) انظر العدد (٨٤) من مجلة البيان، ص ٣١ ـ٣٧، حيث عرضت هذه الدراسة بعد صدورها بترجمة موسعة في كتاب مستقل.

جماعة الأحباش

حقيقتهم وآراؤهم

(١ من ٢)

لا شك أن الابتداع في الدين قد ذمته نصوص السنة صراحة ونصوص الكتاب ضمناً، والبدعة مذمومة ذم الكفر إذا كانت مكفرة، وذم الفسوق والعصيان إذا كانت أدنى من ذلك، ومن عموم النصح للمسلمين: تعرية الفرق والجماعات والمذاهب المبتدعة، وكشف عقائدهم الباطلة.. ومن تلك الجماعات: جماعة الأحباش، التي سوف نستعرض في هذه المقالة واقعها وما هي عليه من الضلال والانحراف.

أولاً: تاريخ ونشأة الأحباش:

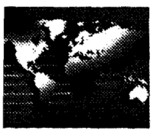
ينتسب الأحباش إلى شيخهم عبد الله الهرري الحبشي، والهرري نسبة إلى بلاد «هرر» في الحبشة، وينسب نفسه إلى بني عبد الدار، وقد جاء إلى بلاد الشام سنة ١٣٧٠هـ(١٩٥٠م)[١] تقريباً.

وقد بدأ في نشر عقيدته الفاسدة في سوريا، حيث وجد بعض القبول عند بعض مشايخ الطرق الصوفية، وقد تصدى للحبشي وأفكاره المنحرفة الشيخ «محمد ناصر الدين الألباني»، فإن له عدة ردود عليه ومقالات في نقده، أهمها: كتاب (تصحيح حديث إفطار الصائم قبل سفره)، وكتاب (الرد على التعقيب الحثيث)، حيث رد فيهما على الحبشي، وبيّن قلة علمه في الحديث.

١) مجلة الفرقان، عدد (٣٣) ـ ١٤/١/١٩٩٣م، ص ١٣، نقلاً من كتاب للأحباش، وانظر أيضاً: لقاء مع نزار الحلبي في جريدة (المسلمون)، العدد (٤٠٧).

المسلمون والعالم





بقلم:
عبد الرحمن بن عبد الله الحجاج

ولما لم يجد الحبشي في سوريا أرضًا خصبة لترويج عقيدته الفاسدة وأفكاره المنحرفة، انتقل إلى لبنان واستغل ظروف اضطراب البلاد في حربها الأهلية الأخيرة بعد عام ١٩٧٥م، واتخذ من بيروت مستقراً له في منطقة (برج أبي حيدر)، ثم أخذ يتردد على طرابلس، ويجالس الناس في المقاهي، ويجمعهم حوله، ويؤول لهم الرؤى والأحلام، ويروي لهم القصص، فاجتذبهم من هذا الباب؛ حيث إن عوام الناس بطبعهم يحبون القصص والقصاصين والخرافة وتفسير الأحلام.

وبهذا الأسلوب تزايد أتباعه، وخاصة أن في مذهب الأحباش ما تشتهيه الأنفس المريضة من اللهو واللعب، بل إن كل مريد يجد مراده في هذا المذهب، فمريد التصوف والخرافات يجد مراده، ومريد الانحراف الخلقي يجد بغيته بما ستراه من تأويلات باطلة، وكل صاحب هوى يجد شهوته.

ويزعم الأحباش أنهم أهل السنة والجماعة! وهم أبعد الناس عنها، بل هم أعداء السنة الذين يكيدون لها، وقد حذر منهم كثير من أهل العلم، منهم: الشيخ الألباني، كما ذكرنا سابقًا، والشيخ عبد العزيز بن باز، حيث يقول: «إن هذه الطائفة معروفة لدينا، فهي طائفة ضالة، ورئيسهم المدعو عبد الله الحبشي معروف بانحرافه وضلاله، فالواجب

مقاطعتهم وإنكار عقيدتهم الباطلة، وتحذير الناس منهم، ومن الاستماع لهم، أو قبول ما يقولون » [1] .

وقد صدرت بعض الكتب للرد على هذه الطائفة الضالة، منها :

- (الرد على الشيخ الحبشي)، عثمان الصافي .
- (استواء الله على العرش)، أسامة القصاص .
- (الاستواء بين التنزيه والتشويه)، عوض منصور .
- (إطلاق الأعنة في الكشف عن مخالفات الحبشي للكتاب والسنة)، للهاشمي .
- (الرد على عبد الله الحبشي) ، عبد الله محمد الشامي .
- (بين أهل السنة وأهل الفتنة) ، عبد الله الشامي .
- (شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة) ، عبد الرحمن دمشقية .
- (موسوعة أهل السنة في نقد أصول وشبهات أهل البدعة)، وهو كتاب ضخم، يقع في حوالي خمسمئة صفحة، لم يصدر حتى الآن، لعبد الرحمن دمشقية .

ثانياً: عقيدة الأحباش:

عقيدة الأحباش عقيدة فاسدة مباينة لعقيدة أهل السنة والجماعة، وهي خليط من عقائد الفرق الضالة، وهي عقيدة متناقضة، وتتضح معالم الانحراف والضلال لديهم فيما يلي :

١ ـ صفات الله (عز وجل) :

ينفي الأحباش جميع الصفات التي وصف الله (جل وعلا) بها نفسه، ولا يثبتون إلا ما تتخيله عقولهم القاصرة، زاعمين أنهم بِرَدِّ هذه الصفات



١) فتوى أرسلها سماحة الشيخ في معرض جوابه للجالية الإسلامية اللبنانية بأستراليا عام ١٤٠٦هـ، بتاريخ ٣٠/١٠/١٤٠٦هـ.



الواردة في الكتاب والسنة ينزهون الله، وهم يُكَفِّرُون كل من يثبت هذه الصفات لله، ويتهمونه بأنه مشبه ومجسم.

وللأحباش طريقة عجيبة في نفي صفات الله (جل وعلا) ـ أو كما يقولون : لتنزيهه ـ ، وذلك بمقارنته بالمخلوق، فيقولون : المخلوق له يد ، فالله منزه عن اليد ، والمخلوق له قدم، فالله منزه عن القدم، والمخلوق له عينان، فالله منزه عن العينين، ويتجاهلون أن الله ليس كمثله شيء، وأن صفاته ليست كصفات المخلوقين، فإثبات هذه الصفات ـ كما يليق بجلاله ـ لا يستلزم تمثيله بمخلوقاته.

وقد وصل الأمر بالأحباش إلى كلام عن اللسان والحنجرة والأسنان، بل إلى الإليتين!!، فقالوا : « إذا قلنا : إن الله مستو على العرش، فمعنى ذلك أن له إليتين »[١] ، انظر إلى هذه الجرأة في حق الله (جل وعلا) وإلى هذا الجهل المطبق . . ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ .

ويقوم الأحباش بنفي بعض الصفات عن الله (تعالى) تفصيليًّا بطريقة بدعية، ويقارنون ذات الله بذوات المخلوقين، فيقولون : الله ليس كالرجل الضخم، الله ليس كذا وكذا، مما يطبع في ذهن السامع صوراً وأشكالاً وتفكراً في ذات الله (سبحانه وتعالى)، وقد ورد عن ابن عباس (رضي الله عنه) موقوفًا، وروي مرفوعًا إلى النبي ﷺ : « تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله »[٢] .

والمعلوم أن طريقة القرآن ـ في الغالب ـ هي أن نفي النقائص عن الله يكون مجملاً ، وإثبات الكمال لله يكون مفصلاً، بخلاف طريقة أهل

---

١) لقاء مع نزار الحلبي في جريدة (المسلمون)، العدد (٤٠٧)، وورد في كتاب شيخهم (الدليل القويم) ، ص ٣٦، مثل هذه التخرصات البدعية.

٢) حديث حسن، رواه أبو نعيم في الحلية، وانظر صحيح الجامع : ح/ ٢٩٧٦.

البدع التي تقوم على النفي المفصل والإثبات المجمل، وأيضاً: إن هذا النفي المفصل ـ والذي يسميه الأحباش تنزيهاً ـ يعتبر ذمًّا وليس مدحاً؛ فلو قلت لرجل: أنت لست سارقًا ولا زانيًا ولا كلبًا ولا قذراً.. إلخ.. ألا يغضب هذا الرجل، ويعتبر هذا التنزيه عن هذه النقائص ذمًّا؟، فكيف بمقام رب العالمين، (سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيراً).

وقد أورد الله (تعالى) في كتابه العظيم هذا النفي مجملاً، فقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤].

ولكن أنى لهم أن يفقهوا العقيدة الصحيحة في الله (تعالى)، وفاقد الشيء لا يعطيه.

٢ ـ توحيد الله (جل وعلا):

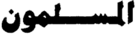
التوحيد عند الأحباش هو توحيد الربوبية فقط، وهو توحيد الله بأفعاله، كالاعتقاد بأن الله هو الخالق الرازق.. وقد تأثروا في ذلك بالفلاسفة والمتكلمين، وهذا التوحيد آمن به حتى مشركو قريش، يقول (تعالى): ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] ويقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ولكن هذا التوحيد لم يكتمل لديهم، ولو اكتمل لم ينفعهم؛ لأنه يلزم معه توحيد الألوهية، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، والاستعاذة..

والأحباش هم أعظم الناس نقضاً لتوحيد الألوهية؛ حيث أباحوا الشرك





الأكبر، كدعاء الأولياء، والأموات، والاستغاثة بهم.. وفي هذا يقول شيخهم: «الاستغاثة بغير الله والاستعانة لا تعتبر شركًا، كما زعم بعض الناس، فلو قال قائل: يا رسول الله.. المدد!، فهو صار كافرًا عندهم؟»[1] ويقول: «إني لأعجب من هؤلاء الذين يكفرون المسلمين لمجرد التمسح بقبر وليّ أو قولهم: يا رسول الله المدد»[2]، وقال شيخهم عن حكم من يستغيث بالأموات ويدعوهم، كأن يقول: يا سيد يا بدوي أغثني، يا سيدي دسوقي المدد.. فقال: «يجوز ذلك، فإنه يجوز أغثني يا بدوي، ساعدني يا بدوي» فقيل له: إن الأرواح تكون في برزخ معين، فكيف يستغاث بهم وهم بعيدون؟ فأجاب بقوله: «الله (تعالى) يكرمهم بأن يسمعهم كلامًا بعيدًا وهم في قبورهم، فيدعون لهذا الإنسان وينقذه، وأحيانًا: يخرجون من قبورهم فيقضون حوائج المستغيثين بهم، ثم يعودون إلى قبورهم»[3].





وهذا ـ والله ـ من أعظم الشرك والعياذ بالله، وكأنهم لا يقرؤون قول الله (تعالى): ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله (تعالى): ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله عن رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]، وقوله (تعالى) على لسان رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ

١) عبد الله الهرري الحبشي: بغية الطالب، ص١٠.
٢) المصدر السابق، ص ٥١.
٣) عبد الله الشامي: بين أهل السنة وأهل الفتنة.

وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ثم: ألا يعلم هؤلاء أنهم بهذا الدعاء يعبدون موتاهم؟!، كما أخبر (عليه الصلاة والسلام) بقوله: «الدعاء هو العبادة» (١)، وقوله ﷺ: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» (٢).

٣ ـ رسول الله ﷺ وسنته:

عقيدة الأحباش في رسول الله ﷺ عقيدة غريبة عجيبة، فهم غلاة في مواطن، وجفاة في مواطن أخرى؛ حيث يستغيثون به، ويطلبون منه المدد والعون، ويجعلون ذلك من القربات ومن دواعي محبته، بل من لوازمها أحيانًا، فهم مخالفون معاندون لأمره وهديه ﷺ، حيث قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»(٣)، وعندما قال أحد أصحابه ﷺ: ما شاء الله وشئت، قال: «جعلتني لله عدلاً، ما شاء الله وحده» (٤).

ومن جهة أخرى: فالأحباش مجحفون في حقه ﷺ بعدم اتباعهم هديه، ثم بقولهم وإعلانهم أنه يكفي أن يصلي المسلم على النبي ﷺ مرة واحدة في عمره كله.. وأهل السنة والجماعة ـ الذين يدعي هؤلاء أنهم منهم ـ يقولون بمشروعية وتأكيد الصلاة عليه ﷺ في مواطن كثيرة،

---

١) حديث صحيح، رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، وأبو داود في كتاب الصلاة، وابن ماجة في كتاب الدعاء، والإمام أحمد في مسند الكوفيين.

٢) حديث صحيح، رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، والرقائق، والورع، وأحمد في مسند بني هاشم.

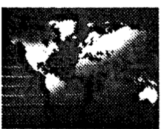
٣) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، والإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة.

٤) حديث صحيح، رواه أحمد في مسند بني هاشم.

وأن تاركها آثم، وخاصة عند ذكره ﷺ، حيث قال: «رَغِمَ أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ»[١]، وقال أيضًا: «البخيل من ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ»[٢]، والأحباش مخالفون لسنته ﷺ أشد الخلاف، ولهم شغف بالبدع، كبدعة الاستغاثة به ﷺ، وبدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وهذه من ضروريات مذهبهم، وهم يحتفلون بها على أكبر نطاق، ويقيمون لذلك صالات الاحتفالات الكبيرة، ويحتفلون بالمناسبات البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويملؤون الشوارع بإعلاناتهم لذلك، بل إنه في بعض البلاد ينقل التلفزيون هذه الاحتفالات باسم الإسلام.

ولا يكتفي الأحباش بهذه البدع، بل تعدى ذلك إلى خرافات المتصوفة وانحرافاتهم، فهم ـ أي الأحباش ـ يعظّمون أئمة التصوف الزنادقة، ويترضون عنهم، ويطعنون فيمن يتكلم فيهم بسوء، ويتهمونه بأنه يكفّر علماء المسلمين[٣].

المسلمون



والعالم

١) حديث صحيح، رواه الترمذي في كتاب الدعوات، والإمام أحمد في باقي مسند المكثرين.

٢) حديث صحيح، رواه الترمذي في كتاب الدعوات، والإمام أحمد في مسند أهل البيت.

٣) عبد الله الهرري الحبشي: الدليل القويم، ص ١٥٢.

جهود الرافضة

في الجزر الفلبينية

المسلمون والعالم



مدخل:

لما كنت من الراصدين لنشاط الروافض في الفلبين منذ سنوات: فقد توقفت عند كل ذلك طويلاً، متأملاً ما يبذلونه من جهود كبيرة لنشر مبادئهم في أوساط المسلمين بالفلبين كما سيتضح من هذا الموضوع.

وقررت ـ مستعيناً بالله ـ كشف تلك الأفاعيل التي تجتاح هذه البلاد على حين غفلة من بعض أهلها .

فتعالوا معي للاطلاع على تلك الحقائق والوقوف على آليات تحركهم من ناحية، والتعرف على الخطر الداهم الذي يُهدد مسلمي هذه البلاد في دينهم من ناحية أخرى !!.

متى ... وكيف دخل الرافضة الفلبين؟! :

يحدد بعض المراقبين عام ١٩٦٦م بداية لدخول الشيعة إلى الفلبين، ومنذ ذلك التاريخ وحتى العام ١٩٧٦م، كان نشاط الشيعة يقتصر على مجهودات فردية غير منظمة لعدد من الطلاب الإيرانيين الوافدين للدراسة في الجامعات الفلبينية، إلى أن وقعت حادثة أدت إلى توقف هذا النشاط بشكل مؤقت، حيث قتل اثنان من أولئك الطلاب الإيرانيين الذين كانوا يدرسون في جامعة « مينداناو » الحكومية، وكانوا من أبرز الناشطين في الدعوة لمذهبهم بين مسلمي « ميندناو »، وذلك في ظروف غامضة، ولم يعرف حتى اليوم الدافع وراء القتل أو من هم منفذوه.

بقلم :
محمد بن عبد الله المهاجر



والجدير بالذكر أن من العوامل المهمة التي ساعدت أولئك الطلاب على حرية الحركة والانتشار: خصوصية العلاقات السياسية المتميزة التي كانت تربط دولة الفلبين سابقًا بقيادة «ماركوس» ودولة إيران بقيادة «الشاه رضا بهلوي» حيث كان الاثنان من أوفى عملاء أمريكا في تلك الحقبة الزمنية البائدة.

وعلى إثر وصول «خميني» إلى كرسي الحكم في طهران أخذت حكومة الآيات على عاتقها تصدير دين الرفض وخرافات «خميني» وأمثاله، التي بثوها عبر منشوراتهم عن طريق وسائل إعلامهم الأخرى.

ومن هنا: تحولت سفارات إيران في الخارج إلى بؤر لنشر مذهبهم، ولما كانت سفارتهم في الفلبين من أكبر أوكارهم بالخارج، ومن أكثرها حركة وإمكانات: فقد عرَّض ذلك مسلمي الفلبين لجرعة كبيرة من دعاياتهم، هذا بالإضافة لعدة عوامل أخرى حفزت الرافضة وجعلتهم يولون اهتمامًا كبيرًا لاختراق المجتمع المسلم الفلبيني السني، ومن أهم هذه العوامل ما يلي:

١ ـ تأثر بعض القبائل الفلبينية المسلمة بعادات واعتقادات الشيعة، وإقامة الاحتفالات الشيعية البدعية التي ورثوها من قديم الزمان، حيث إن دعاة الإسلام الأوائل الذين قدموا لجزر الفلبين من حضرموت بجنوب الجزيرة العربية كانوا من الصوفية الذين يشتركون مع الرافضة في المظاهر

البدعية المعروفة، وقد تلقت منهم هذه القبائل الإسلام على نحو ما يعتقده أولئك، ولا زالت حتى اليوم بقايا من هذه المعتقدات والمظاهر بين تلك القبائل.

٢ ـ يشكل المسلمون في الفلبين نسبة مقدارها (١٢٪) من مجموع السكان، وهي نسبة لا بأس بها لأقلية تتجمع في جزيرة من جزر الجنوب الثلاث مما يسهل عملية انتشار الدعوة بين صفوفهم.

٣ ـ تردي الحالة الاجتماعية والاقتصادية لمسلمي الفلبين وحاجتهم الماسة للمساعدة، حيث يمكن الدخول عليهم من هذا الباب الواسع.

٤ ـ وجود سفارة إيرانية ذات إمكانات كبيرة وعدد غفير من الطلاب الإيرانيين الدارسين في الجامعات الفلبينية المختلفة، والذين ينظمون أنفسهم تحت ما يسمى بـ(اتحاد الطلاب الإيرانيين بالفلبين).

٥ ـ انتشار الجهل والتخلف بين كثير من المسلمين في الفلبين؛ مما يجعلهم صيداً سهلاً لأصحاب المذاهب المنحرفة والاتجاهات الهدامة.

الطرق والوسائل التي اتبعها الرافضة:

لقد اتبع الرافضة طرقًا شتى وفاعلة للوصول لأهدافهم، من أهمها ما يلي:

١ ـ الإغراء بالمال:

لقد كان المال من أقوى الوسائل التي أغروا بها مسلمي الفلبين، فقد دخلوا إلى الفلبين بأموال كثيرة لثقتهم بالأثر القوي جداً لهذا العنصر في بلد يعاني مسلموه من فقر شديد، فاستغلوا حاجة الناس أسوأ استغلال، تمامًا كما يفعل المنصرون، ولعلنا نستطيع القول بداية بأن نسبة النجاح التي حققوها في الفلبين إنما وصلوا إليها فقط بما ينفقونه من أموال.

٢ ـ توجيه الدعوات للعلماء والدعاة لزيارة إيران:

لقد حرص الرافضة منذ البداية على توجيه دعوات رسمية للعلماء





والدعاة من أهل السنة لزيارة إيران ويقومون بتقديم كل التسهيلات اللازمة لهم من مصاريف وتذاكر سفر وتأشيرات وتنظيم لقاءات رسمية مع رؤساء ومسؤولي الحكومة في طهران، بل وحتى إصدار وثائق سفر إيرانية خاصة لبعضهم، وتسفير من يريد عن طريق أوروبا بطريقة غير مباشرة؛ حتى لا تعرف ذلك عنه الحكومة الفلبينية، مع عدم وضع تأشيرات في جواز سفره الأصلي.

والمؤسف أنه قل أن يَسْلَم أحد من مسلمي الفلبين ممن زار إيران من التشيع باستثناء اثنين فقط من العلماء .

٣ ـ تنظيم المؤتمرات والندوات:

ينظم الروافض الإيرانيون في الفلبين مؤتمرات وندوات ينفقون عليها أموالاً ليست قليلة، وغالبًا ما تعقد هذه الندوات والمؤتمرات في المناسبات الدينية الشيعية ـ مثل عاشوراء وغيرها ـ أو المناسبات الوطنية الإيرانية، وقد أعد أول مؤتمر لهم في الفلبين في عام ١٩٨٤م، في محافظة (لاجونا) المجاورة لمنطقة العاصمة (مانيلا)، وقد أشرف على ذلك المؤتمر الإيراني المدعو «علي مرزا» وهو أنشط رافضي في الفلبين في مجال الدعوة لمذهبه، وتقول بعض المصادر الفلبينية أن «مرزا» هذا مرتبط بأجهزة الاستخبارات الإيرانية.

وقد دعي لهذا المؤتمر أكثر من سبعين من العلماء المحليين تحت شعار «توحيد صفوف علماء مسلمي الفلبين» وفي ختام المؤتمر وجهت الدعوة الرسمية لسبعة من المؤتمرين لزيارة (طهران) ، ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم يشكل خمسة من أولئك السبعة الدعامة الرئيسة للدعوة الرافضية في الفلبين، وعلى رأس هؤلاء: المدعو «علوم الدين سعيد» والذي لقّبوه بإمام الفلبين!!.

إما عن الندوات العامة: فإنهم يستغلونها لدعوة العوام وإيقاع جهال الناس في شراكهم.

٤ ـ وسائل الإعلام:

يقوم الرافضة في الفلبين باستغلال وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة، خاصة المقروءة بشكل واسع، فيقومون بنشر كتبهم ومطبوعاتهم باللغات العربية والإنجليزية، وقد قام المدعو «علوم الدين سعيد» بترجمة بعض الكتب الشيعية إلى اللغة المحلية (المراناو)، ويقومون بتوزيع هذه المطبوعات على المدارس والمعاهد الإسلامية ـ وحتى الأشخاص ـ عن طريق عناوينهم البريدية، دون علم أصحاب هذه العناوين، ومن أشهر تلك الكتب التي يقومون بتوزيعها كتاب (ثم اهتديت).

أما عن الوسائل المسموعة: فيقوم الروافض المحليين بتأجير بعض ساعات الإرسال في إذاعة مدينة (مراوي) الإسلامية، ويتعمدون خلال ذلك مهاجمة علماء ودعاة أهل السنة كما أن القسم الثقافي في سفارة إيران في (مانيلا) يقوم ببث برنامج أسبوعي عبر ما يسمى بـ (إذاعة الهداية ـ صوت الإرشاد) DWBL.

هذا بالإضافة إلى توزيع الآلاف من صور «خميني» و«خامنئي» أمام المساجد في أيام الجمع والمناسبات والاحتفالات الدينية.

٥ ـ تأسيس مكتبات عامة ومساجد ومدارس خاصة:

لقد عمد الرافضة الإيرانيون بالتعاون مع الرافضة المحليين إلى إنشاء ثلاث مكتبات عامة في مواقع تَجمُّع المسلمين، فأقاموا اثنتين في مدينة (مراوي) حيث تبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٥٪ من السكان، الأولى أطلقوا عليها (مكتبة حزب الله)، ويقوم بالإشراف عليها بعض المثقفين ثقافة غربية من أبناء الفلبين، وملحق بهذه المكتبة مطبعة لطباعة الكتب، أما

المسلمون



والعالم



المكتبة الثانية : فهي (مكتبة وردة الزمان) ويقوم بالإشراف عليها بعض العلماء الذين تشيعوا، أما الثالثة : فقد أُنشئت بضاحية (تاجيج) بالقرب من مدينة (مانيلا) ويطلق عليها (مكتبة الإمام خميني) .

أما عن مساجد الرافضة في الفلبين: فقد لجؤوا لإنشاء مساجد خاصة بهم لإقامة شعائرهم وطقوسهم الخاصة، وذلك بعد أن ضيق عليهم الدعاة والأئمة المخلصين الخناق، ولم يمكنوهم من اعتلاء منابر مساجد أهل السنة كما كان الحال قبل معرفة حقيقة هذه الدعوة.

ويقع مسجدهم الرئيس في مدينة (مراوي) بجزيرة (مينداناو)، وملحق به مدرسة لأطفال المسلمين، ويتولى الإمامة فيه « علوم الدين سعيد »، ويطلق عليه (مسجد كربلاء)، أما المسجد الثاني: فيقع في مدينة (باكولود) بجزيرة (بيسايس) بوسط الفلبين، والثالث: ببلدية (ألاباتج) بالقرب من (مانيلا) بجزيرة (لوزون)، وبهذا يكونون قد غطوا الجزر الثلاث الرئيسة لدولة الفلبين بمساجدهم.

ويجدر أن نشير إلى أنهم قد تمكنوا بإغراءات مادية من السيطرة على المدرسة العربية الواقعة بقرية (مهارليكا) من ضواحي (مانيلا)، وقد أدخلوا في منهجها الدراسي مادة اللغة الفارسية على حساب اللغة العربية!!.

٦ ـ المنظمات والجمعيات :

وحتى يتمكن الروافض من اختراق المجتمع المسلم بفئاته المختلفة فقد أقاموا ثلاث جمعيات متعددة، لكل جمعية نشاط موجه لقطاع معين من المجتمع المسلم، **فالأولى ـ وهي عامة ـ تسمى (منظمة أهل البيت)**، ومقرها الرئيس مدينة (مراوي)، وعلى رأسها إمام الرافضة في الفلبين، وينضوي تحت لوائها عدد ممن بذل جلده من العلماء، أمثال: « علي

سلطان»، و«جنيد علي»، و«عبد الفتاح لاوي».

أما الجمعية الثانية ـ ونشاطها موجه للشباب بشكل خاص ـ فيطلق عليها: (مؤسسة حزب الله)، ويتولى الإشراف عليها مجموعة من ذوي الثقافة الغربية، ومقرها مدينة (مراوي) أيضاً، **والجمعية الثالثة: جمعية نسائية**، وتسمى **(مؤسسة فاطمة)**، وتقع في مدينة (مانيلا)، وتضم بعض النسوة العلمانيات ومجموعة من النساء معتنقات الإسلام حديثاً.

٧ ـ زواج الإيرانيين من النصرانيات الفلبينيات:

لما كان عدد الإيرانيين ـ خاصة الطلاب ـ في الفلبين كبيراً: فقد لجؤوا لطريقة جديدة لتكثير سوادهم ونشر مذهبهم، وهي الزواج من الفتيات النصرانيات الفلبينيات، وبذلك نجحوا في إخراج جيل فلبيني جديد رافضي قلباً وقالباً!!.

مدى إقبال المسلمين على المذهب الشيعي:

يمكن القول بأنهم في البداية أدخلوا المذهب الشيعي على مسلمي الفلبين، فنجحوا في جذب أعداد غير قليلة إلى دعوتهم، وسارت في ركابهم أعداد أخرى، ولم يكن ليتصدى لهم أحد، معتمدين على جهل كثير من مسلمي هذه البلاد بحقيقة دعوتهم، ومروجين لشعاراتهم الزائفة، إلا أنه مع عودة الدفعات الأولى من الدعاة الفلبينيين الذين أتموا دراساتهم الشرعية في الدول الإسلامية، بدأت الأمور تأخذ منحًى آخر، حيث قاد هؤلاء حملات التصدي لدعوة الرافضة، وتصاعد هذا التصدي حتى أخذت الدعوة الرافضية في الانحسار، وتنبه عوام الناس لحقيقة دعوتهم، وعاد كثير منهم إلى الحق تاركين خلفهم بقية من المنتفعين، وعماة الجهل، وأصحاب العقد النفسية الذين وجدوا لأنفسهم متنفساً في الدعم الإيراني المادي والمعنوي، وكان للجمعيات الخيرية العاملة في





الدعوة إلى الله في الفلبين جهود مشكورة في بيان مكر وخداع الرافضة في الدعاية لمذهبهم، حيث كشفوا كثيراً من مخططاتهم بوسائل الدعوة، ومنها:

١ ـ الدراسة في المدارس الإسلامية.

٢ ـ نشر الكتب الشرعية التي توضح انحرافاتهم العقدية وترجمتها.

٣ ـ الدروس الدعوية والمحاضرات التي تبين حقيقة هذا الدين دون زيادة أو نقصان (*).

الحصاد المر:

منذ أن عمل الرافضة على نشر دعوتهم بين المجتمع الفلبيني المسلم ولم يحصد مسلمو هذه البلاد إلا مزيداً من التناحر والخلافات وشق الصفوف، هذا في الوقت الذي هم في أمس الحاجة ـ بوصفهم أقلية ـ لجمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم!!.

نعم، فلم يدخل الرافضة على مسلمي الفلبين حاملين معهم الغذاء والدواء كما يفعل المنصرون ودعاة المذاهب الشيطانية الأخرى، إنما دخلوا عليهم حاملين السب واللعن والطعن والتسفيه لأهل السنة والجماعة وعلمائهم سلفًا وخلفًا، مما أشعل الفتنة (لعن الله من أيقظها) بين الإخوة في الدين، وغدت محطة إذاعة مدينة (مراوي) ميدانًا للتهجم على أهل السنة وعرض الخلافات بين أبناء المجتمع الواحد، هذا في دولة يتربص بمسلميها عدو صليبي حاقد!! .

ومن ناحية أخرى: ساد اتجاه جديد بين عوام الناس، وهو: أنه كلما

(*) سبق أن وضحت البيان بعض جهود هذه الجمعيات الخيرية في الدعوة والإغاثة لمسلمي الفلبين ، انظر : العدد (٨٨) ، وكذلك : (الدعوة الإسلامية في الفلبين) للشيخ سعود آل عوشن.

عرض عليهم رأي فقهي في مسألةٍ ما سارعوا مباشرة بمقارنتها بمذهب الرفض في المسألة ذاتها.

كما أنه قد ترتب على الخلاف بين علماء السنة ودعاة الرفض المحليين حالة من البلبلة وعدم الثقة في العلماء والدعاة عامة، سعد بها الزعماء السياسيون العلمانيون، وعملوا على تأجيجها لتوطيد مراكزهم والاستئثار بقيادة المجتمع المسلم.

كما أنهم تمكنوا من دعوة بعض النصارى فاعتنقوا دين الرفض، وأصبحوا يشكلون طابوراً خامساً لهم، أما الأمر المؤسف فهو نجاحهم في التأثير على بعض الطلاب العرب الذين يدرسون في الفلبين، وذلك عن طريق صرف أموال لهم بصفة دورية وتسهيل الزنا باسم المتعة!!.

دور علماء السنة في التصدي للمد الرافضي:

لقد أجمع العديد من علماء ودعاة الفلبين المخلصين ـ ممن نحسبهم كذلك ـ أجمعوا أمرهم على التصدي لجهود الرافضة، وقد نجحوا في ذلك إلى حدٍّ كبير، حيث استخدموا منابر المساجد لتوعية المسلمين، وقام بعضهم بترجمة بعض الكتب إلى اللغات المحلية لهذا الخصوص.

كما أنه كانت لـ (اتحاد الطلبة المسلمين بالفلبين) ـ وهو اتحاد للطلاب الدارسين في الفلبين من الدول الإسلامية ـ جهود محمودة في هذا السبيل، لذا: فيعتبر الرافضة هذا الاتحاد عدوهم اللدود في الفلبين، وعداوتهم لأعضائه ظاهرة جداً.

قبل الختام:

وأخيراً لا بد من التنبيه إلى أنه على الرغم من انحسار الموجة العاتية لدعوة الرافضة في الفلبين، فإنهم لم يستسلموا، ولا زال سعيهم حثيثاً لتحقيق أهدافهم، لذا: لا يمكن بحال غض الطرف عن نشاطهم

المسلمون والعالم



وحركتهم، خاصة بعد أن لجؤوا إلى تغيير آلية حركتهم من العلن إلى السر ـ في غالب الأحيان ـ بعد أن تصدى لهم العلماء والدعاة، وأصبح من يتبع مذهبهم يخفي ذلك عمن حوله، ويتظاهر ـ تُقية! ـ باتباع أهل السنة، ومن هنا: فأرى أنه لا بد على المسلمين في الداخل والخارج العمل على تحقيق التوصيات التالية:

أولاً: لا بد لزامًا على المجامع العلمية والهيئات والمنظمات الإسلامية وعلماء الأمة جميعًا إعلان التبرؤ من البدع الرافضية الاعتقادية والعملية، وإعلانها صريحة جلية ببيان المخالفات المعروفة بين أصولهم المعتبرة عندهم ومنهج أهل السنة والجماعة.

ثانيًا: الاهتمام بأمر مسلمي الفلبين وتوفير الدعوة والتربية الإسلامية الصحيحة لهم، واستغلال أموال المساعدات التي تقدم لهم استغلالاً فعّالاً، وضرورة تعاون الجمعيات الإسلامية ـ القائمة بجهود مشكورة في هذا الباب ـ فيما بينها، وتوحيد صفوفها لمواجهة ذلك الغزو الخطير.

ثالثًا: قيام الجهات والجمعيات المهتمة بطباعة المزيد من الكتب والنشرات التي تفضح مخططات الرافضة وتفند مزاعمهم الضالة، وترجمتها لعدة لغات مختلفة ما أمكن لذلك سبيلاً.

رابعًا: ضرورة قيام الدعاة الفلبينيين بواجباتهم كاملة، وإعطاء مواجهة الدعوة الرافضية القدر المناسب من نشاطاتهم، حتى لا تقوم لهذه الدعوة قائمة، ولا يرتفع لها لواء فوق أرض الفلبين مهما أجلبوا لذلك من جهود، وذلك بالتذكير بالتباين الجذري بين عقيدتهم والعقيدة الإسلامية الصحيحة.

والله نسأل أن يوفق العاملين المصلحين لما فيه الخير والصلاح، وأن يحبط كيد المرجفين ودعاة المبادئ المنحرفة، وما ذلك على الله بعزيز.

مالي...

من يسبق إلى احتلال القلوب؟!

تعتبر جمهورية مالي من كبريات دول غرب إفريقيا مساحة، حيث تبلغ مساحتها ١,٢٤٠,٠٠٠ كم² تقريبًا.

وتقع في الوسط الشمالي الغربي لإفريقيا، وتحدها شرقًا جمهورية النيجر، وغربًا جمهوريتا السنغال وغينيا، وشمالاً جمهوريتا موريتانيا والجزائر، وجنوبًا جمهوريتا ساحل العاج وبوركينا فاسو.

تتألف جمهورية مالي من ثمانية أقاليم إدارية، هي: كاي، وكوليكورو، وسيكاسو، وسيقو، وموبتي، وتبمكتو، وغاو، وكيدال، والعاصمة باماكو.

ويبلغ عدد السكان حوالي (٨) ملايين نسمة تقريبًا، وتتكون أجناسهم من: **السود**: وهم الأغلبية، منهم البامارا، والفلاتة، والسركولي، والصونغاي، وسنيفو، وبوزو، والدغوني، والمالكي، وسومونوا، ومانيكا، .. وغيرهم.. **والبيض**: ومنهم البيضان والطوارق.

واللغات في مالي كثيرة جداً، ولكل جنس لغته ولهجته، أما اللغة الرسمية فهي الفرنسية.

وتوزيع الأديان في مالي كالتالي:

١ ـ الإسلام، ونسبة المسلمين ٩٥٪.

٢ ـ النصرانية، ويوجد من طوائفها: الكاثوليك، البروتستانت، شهود يهوه، الرسالة الجديدة، السبتية أو المجاتية.

٣ ـ الوثنية.

المسلمون



والعالم



بقلم: مندوب المجلة المتجول

مالي والإسلام:

تعتبر جهود بعض المنتسبين إلى الطرق الصوفية سببًا في انتشار الإسلام في دولة مالي إن لم يكن في أغلب الدول الإفريقية، ولكن صاحب ذلك انتشار بعض العقائد الفاسدة والعبادات البدعية، وبعد ظهور الدعوة الإصلاحية في نجد على يد الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» (رحمه الله) وتوافد المسلمين إلى مكة في موسم الحج ومكثهم هناك، وبرجوع هؤلاء من الحرمين الشريفين قبل تأسيس الجامعات: بدأت الدعوة السلفية في مالي (مع العلم أن المنطقة لم تخل من أفراد أهل السنة)، وفي الخمسينيات من هذا القرن الميلادي بدأت بشائر الدعوة السلفية تظهر في الآفاق، وفي عام ١٩٤٨م بدأت أولى المصادمات في باماكو بين رواد الدعوة السلفية وأهل الطرق الصوفية، الأمر الذي تسبب في خسائر فادحة.

ومنذ وقت مبكر كان قد التحق عدد من أبناء مالي بالحرمين الشريفين والأزهر ـ قبل تأسيس الجامعات الحديثة ـ؛ لطلب العلم ونشره في البلاد بعد عودتهم، مثل: الشيخ «أحمد حماه الله»، والشيخ «محمد عبد القادر ذكري»، والشيخ «يعقوب كمارا»، والشيخ «محمد السنوسي»، وعندما منَّ الله على المسلمين بفتح الجامعات بمختلف الدول العربية والإسلامية بادر عدد كبير من أبناء مالي بالالتحاق في تلك الجامعات، ونال كثير منهم الألقاب العلمية المختلفة.

ويوجد في مالي عدد كبير من هؤلاء الخريجين الذين يقومون بخدمة

الإسلام والمسلمين في مجالات التدريس والخطابة والإمامة والوعظ والإرشاد والفتوى.

لكن الواقع الأليم الذي خلّفه النظام الغربي والعلماني والغزو الفكري قلل من دور هؤلاء العاملين في الإصلاح الاجتماعي.

وفي العقد الأخير خاصة بدأت الصحوة الإسلامية الرشيدة تأخذ مجراها الطبيعي في المفاهيم وتوضيح الأهداف وتصويب المسيرة، وذلك عن طريق:

١ ـ دروس المساجد، وخطب الجمعة.

٢ ـ توزيع المصاحف والكتب ـ وخاصة المترجمة إلى اللغة الفرنسية ـ على المثقفين: طلبة وموظفين.

٣ ـ توزيع الشريط الإسلامي الميسر.

٤ ـ تسيير القوافل الدعوية والإغاثية.

٥ ـ تنظيم الدورات والملتقيات.

٦ ـ تنظيم المخيمات الطلابية والشبابية.

٧ ـ التعليم في المدارس النظامية والكتاتيب.

وقد ركزت الدعوة السلفية جهودها في تأسيس المساجد والمدارس بشكل واضح، وهي تعاني من مشكلة خطيرة للغاية، وهي عدم وجود مفتٍ عام أو إمام موحد تجتمع عليه الكلمة ويرجع إليه، مع وجود أئمة للفتوى على مستوى العرف العام، إلا أن كل تجمع قد يميل إلى هذا المفتي أو ذاك، وفي نظري: إن هذه المشكلة جاءت نتيجة لعدم تمكن هذه الجماعات من نيل نصيبها من التربية الإسلامية الجادة وخاصة باب الولاء والبراء، إضافة إلى أن السلطات لم تعط فرصة لهذه الدعوة لتنمو وتؤدي واجبها على النحو المطلوب، بل كانت هناك محاولات كثيرة لعرقلة هذه الدعوة، إضافة إلى جهل كثير من المستجيبين لها لدورهم الذي يجب عليهم القيام به.



المؤسسات الدعوية في مالي:

مما سبق يتضح أن أهم المؤسسات الدعوية في مالي هي: المساجد، والمدارس، والهيئات، والجمعيات.

١ ـ المساجد:

دور المسجد في الدعوة إلى الله دور مهم ومعروف، وإمام المسجد في مالي له مكانة كبيرة وعالية جداً، حتى أن الإمام يكون أحياناً هو القاضي أو المفتي في شؤون الحياة كلها.

والمساجد السلفية في باماكو خاصة وفي مالي عامة لعبت دورها في تصحيح المفاهيم، حيث تولى إمامتها مشايخ وشباب جامعيون، مما جعل المسجد يتمتع بأعلى سلطة لتوجيه المسلمين وإرشادهم، ونسأل الله (عز وجل) دوام التوفيق والسداد.

ولقد كان أهل السنة ممنوعين من بناء المساجد باسمهم، وكان أكثرهم يصلي الجمعة مع أعضاء بعثة المهندسين المصريين الذين كانوا يشتغلون في بناء فندق الصداقة في باماكو.

وكان الشيخ الحاج «موركي منغاني» قد تبرع بجزء من منزله، واتخذ أول مسجد جامع لأهل السنة في باماكو في (باجالا) عام ١٩٦٨م، وهو المسجد الذي يعرف الآن بمسجد النور، ومن ثم: توالى إنشاء المساجد في العاصمة (باماكو) وخارجها بعد الانقلاب العسكري الذي تم بقيادة «موسى تراوري».

ولا يوجد في الوقت الحاضر أي قيود على بناء المساجد طالما التزم المسلمون الحكمة واتحدت كلمتهم وتواصوا على الحق والصبر، وبحمد الله يوجد في (باماكو) العاصمة مئة مسجد لأهل السنة، غير تلك التي توجد في بقية الأقاليم والقرى المجاورة.

٢ ـ المدارس الإسلامية:

لا يخفى أن المدرسة دار تربية وتعليم، ومرعى للتكوين والإعداد،

وكذا: تعتبر المدارس من أهم المؤسسات الدعوية التي يجب على المسلمين الاعتناء بها والحرص عليها.

وفي عام ١٩٤٦م، بدأ تأسيس المدارس الإسلامية في مالي على النمط المعروف حاليًا، فأسس الحاج «محمود باه» مدرسة في (كاي)، و«سعد عمر توري» في (سيقو)، وتم تأسيس أول مدرسة سلفية في (باماكو) على يد جمعية الشباب المسلمين، وتولى إدارة المدرسة الشيخ «أحمد حماه الله يتابري».

ثم توالى إنشاء المدارس العربية والإسلامية على الرغم من المضايقات من قبل السلطات الاستعمارية آنذاك.

وتوجد في مالي أكثر من (٣٠٠) مدرسة عربية إسلامية، وكلها أهلية، مما يدعو أهل الخير والفضل والخبرة إلى الاهتمام والمبادرة بالمساهمة في تسيير هذه المدارس، وتوجيهها وتزويدها بالمناهج والكتب والمدرسين.

ومن أهم المشاكل التي تواجهها المدارس الإسلامية ما يلي:

١ ـ عدم وجود منهج متكامل يدرس فيها.

٢ ـ الافتقار إلى معهد لتكوين أو تدريب المعلمين.

٣ ـ ندرة الكتاب المدرسي.

٤ ـ عشوائية نظام الامتحانات.

٥ ـ غياب التنسيق بين المدارس والمسؤولين فيها.

أما المدارس الحكومية: فبعد استقلال مالي عام ١٩٦٠م كان المستعمرون قد تمكنوا من تغيير لغة التعليم من العربية إلى الفرنسية، وصارت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للبلاد، ومن ثم: اتجه الناس إلى تعلم اللغة الفرنسية حسب منهج مرسوم من قبل المستعمر الفرنسي، وانتشرت المدارس الفرنسية في كل أنحاء البلاد، وقصدها الطلاب والطالبات، إما رغبة أو رهبة، ومنذ وقت مبكر قامت السلطات في مالي بافتتاح المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وكذلك بعض المدارس





المهنية والمعاهد العليا في العاصمة وفي المدن الرئيسة، كما تم إيفاد عدد كبير إلى الخارج للدراسة الجامعية، وكان الاتحاد السوفييتي يحظى بنصيب الأسد، كما أوفد إلى فرنسا والجزائر ودول أخرى حسب خطة مرسومة.

٣ـ الهيئات الإسلامية في مالي:

بدأ ظهور الهيئات الإسلامية في مالي منذ عشر سنوات تقريباً، وذلك عن طريق فتح مكاتب تقوم بتسيير أعمال تلك الهيئات، أو اختيار مندوب يشرف على الأعمال التي تتبناها.

وفيما يلي نذكر أسماء بعض الهيئات التي يوجد لها مكتب أو مندوب يقوم بتسيير أعمالها:

١ ـ المنتدى الإسلامي.
٢ ـ مؤسسة الحرمين الخيرية.
٣ ـ جمعية إحياء التراث الإسلامي.
٤ ـ مكتب لجنة مسلمي إفريقيا.
٥ ـ المركز الثقافي الإسلامي.
٦ ـ مؤسسة إبراهيم البراهيم الخيرية.
٧ ـ هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.
٨ـ مكتب الوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة.
٩ ـ مكتب الجمعية الإسلامية العالمية للدعوة.

كما أن الرافضة افتتحوا منذ فترة مركزاً لبث مذهبهم من خلاله.

٤ـ الجمعيات الإسلامية في مالي:

منذ عام ١٩٧٩م تم تأسيس أول جمعية إسلامية في مالي، وهي: «جمعية مالي للاتحاد وتقدم الإسلام»، وهي الجمعية الوحيدة لعموم مسلمي مالي، وذلك بتوجيه ومبادرة من الحكومة.

وكانت اجتماعات الجمعية تعقد بحضور مندوب الحكومة، وذلك حتى نهاية حكم «موسى تراوري» للبلاد.

المرأة في مالي:

بالرجوع إلى عهد ما قبل الاستعمار نجد أن المرأة في مالي قد نالت حظها في التربية الإسلامية الجادة، حيث شاركت بدور بارز في تربية النشء وملازمة بيت الزوجية، وفي عهد الاستعمار ومع وجود عدد كبير من المنصرين بمفاهيمهم المخالفة للإسلام وبسلوكهم وبدينهم وبقوانين معاملاتهم المنحرفة: تأثرت المرأة في العالم بصفة عامة وفي مالي بصفة خاصة بهذه المؤثرات التي شكلت ظواهر ومظاهر اجتماعية ذات أبعاد خطيرة، متأثرة بمنهج التعليم العلماني وبرامجه وأدواته وأساليب التثقيف العام من الصحف والمجلات والسينما والمسرح والفن والإعلام المقروء والمسموع والمرئي..

وتوجد في مالي أكثر من خمس منظمات نسائية غير حكومية، كلها تعمل في خط لا تراعي فيه الحكم الشرعي في تصرفاتها ونشاطاتها، وأما التجمعات النسائية الإسلامية في مالي فكثيرة أيضًا، يقودها في الغالب نساء متقاعدات تعودن القيادة في عملهن الوظيفي، والغرض من هذه التجمعات: تعليم أحكام الصلاة والقراءة والكتابة (مستوى محو الأمية)، وبعضها لتعليم الخياطة والتطريز، وتخلو الساحة من وجود مراكز نسائية متكاملة، إلا إن (الجمعية الإسلامية للإصلاح) و(جمعية الشباب المسلم) استطاعتا تكوين فروع نسائية نشيطة على نطاق واسع في البلاد، ومعظم رواد هذه الفروع من الشابات المتعلمات تعليمًا عربيًّا وفرنسيًّا، وكذلك (جمعية عباد الرحمن) و(جمعية ليما) اللتين تضمان عددًا كبيرًا من النساء في صفوفهما.

التنصير في مالي:

لا يمكن إغفال دور المنصرين الذي سبقت حركتهم تواجد الاستعمار في مالي، بل إن حركات التنصير هي التي مهدت الطريق للاستعمار.

وللتنصير في مالي تواجد كبير وإمكانات ضخمة، يعملون من خلالها





في المجتمع، ويعتبر إقليم (كاي) في منطقة (كيتا) كعبة المنصِّرين التي يحجون إليها كل عام، ويبرز وجودهم في المناطق التالية: منطقة (كولو كاني)، و(سان)، و(بنجاغارا)، و(الدغوي)، و(كاتي).

ويقومون بتقديم المساعدات للسكان، كالعلاج، وبناء المدارس الحكومية، وتوفير اللوازم الدراسية، وبناء المستوصفات، وتوزيع الغذاء والملابس، وبناء المشاريع الزراعية والحيوانية، وكفالة المنصِّرين.. وغير ذلك.

ويوجد في منطقة (سان) ذات الجو الحار على سبيل المثال منصِّر فرنسي يبلغ من العمر (٨٣) سنة!! استطاع بناء مجمع يضم عيادة طبية، وروضة للأطفال، ومعهداً، بالإضافة إلى كنيسة كبيرة.

ولكن يعتبر تأثير المنصرين محدوداً مقارنةً بالجهود والمساعدات التي يقدمونها **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾** [الأنفال: ٣٦].

وبعد: فإن نسبة ارتفاع المسلمين في هذه الدولة الإفريقية، وتقبل أهلها لمنهج أهل السنة والجماعة، وعدم ترسخ العقائد الصوفية في أغلب مجتمعه، وانتشار العلم الديني بين الشباب.. لعلامة خير تبشر بمستقبل إسلامي زاهر في هذه الدولة الفقيرة، السبب الذي يجعلنا ننادي الهيئات الخيرية المتواجدة في مالي لمضاعفة الجهد، مع عدم إغفالنا لنشاط بعض الهيئات المتميز.

ونسأل الله (عز وجل) أن يعلي كلمته وينصر دينه وعباده.. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

معاناة داعٍ إلى الله

الدعاة إلى الله يعملون جاهدين لتبليغ أوامر الله ونواهيه وفقًا لكتاب الله ورسوله وبفهم السلف الصالح، وطريقهم ليس مفروشًا بالورود، وقد صورت حال (داعٍ إلى الله) وما قد يواجهه في بعض المجتمعات الإسلامية من مضايقات، أرجو أن أكون وفقت لنقل هذه الصورة.

سائرٌ في ربى الزمن ... طارقٌ بابَ ذي المننْ

حامل بين أضلعي ... لوعة من لظى الشجنْ

صابر في مضرتي ... أبتغي الجنة الثمنْ

بين قوم تململوا ... وأذاقونيَ الإحنْ

كل هذا لأنني ... قلت: ما الدهر مؤتمنْ

قلت يا قوم احذروا ... أنْ تميلوا إلى الفِتنْ

جئت بالحب مشفقًا ... أنْ تضلوا خطى السَنَنْ

* * *

في دجى الليل قَهقَهوا ... صافحوا راحة العَفَنْ

وأنا بِتُّ ضارعًا ... مَنْ لقومي سِواك مَنْ؟

ويح قومي بصيفهم ... حسرة ضيعوا اللبنْ

قولهم عند دعوتي ... هوِّن الأمر لا تُجَنْ

شعر : وفاء بنت عبد الله

إنمـــا الـــديـــن هـــيّـــن حَـــلّ بـــالـــقـــلـــب واقـــترنْ

إنمـــا الله غـــافـــر الـــذ نـــب رحـــمـــاك فـــاصـــمـــتنْ!

*　　*　　*

وأنـــا الـــهـــون مـــنـــهـــجـــي مـــا ســـيـــرضـــيـــهـــمـــو إذنْ؟

ذاع صـــيـــتـــي بـــريـــبـــة ظِـــلْـــتُ فـــي الـــنـــاس ممـــتـــهـــنْ

كـــل هـــذا لأنـــنـــي قـــد وعـــى قـــلـــبـــي (اتـــزِنْ)(*)

والـــذي يـــنـــشـــر الخـــنـــا لا يـــرى غـــيـــره الحـــســـنْ

يـــا لـــقـــومـــي مـــتـــى أرى عَـــوْدهـــم يـــخـــضـــل الـــفَـــنَـــنْ

أغـــفـــلـــوا الـــديـــن وارتـــضـــوا غـــربـــتـــي واشـــتـــروا الـــوســـنْ

قـــل لـــهـــم صـــابـــر أنـــا لـــو دنـــى أو نـــأى الـــوطـــنْ

وســـأحـــيـــا بـــدعـــوتـــي لله مَـــنْ ســـواهُ مَـــنْ ؟

(*) المقصود: الاستقامة الواردة في قوله (تعالى) : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].

و.. عبد الناصر تحت المجهر

بقلم:
أحمد عبد الله المصري

دفعني ما نشرته البيان في العددين (١٠٦، ١٠٧)، تحت عنوان: (أتاتورك .. حقيقته والدور الذي أداه)، إلى الكتابة عن «جمال عبد الناصر»، نظراً لوجود تشابه بين الشخصيتين من عدة وجوه، مع تماثل الدور الذي قاما به.

ويمكن إجمال أوجه التماثل فيما بينهما فيما يأتي:

الميلاد والنشأة:

هناك كلام كثير حول يهودية «مصطفى كمال أتاتورك» وانتسابه إلى طائفة الدونمة، وعلاقاته باليهود والمحافل الماسونية وصداقاته لشخصيات يهودية، كذلك التحاقه بالجيش بعد حصوله على الثانوية العسكرية، وأنه كان على صلة بالإنجليز.

كذلك عبد الناصر: فقد ذكر بعض الكتاب وجود دلائل حول مدى نسبته لليهود؛ إذ لما بلغ من العمر ثماني سنوات[١] أرسله والده إلى القاهرة لاستكمال دراسته، فكان يقطن مع إحدى قريبات والدته في حي اليهود في منطقة الموسكي (٥ شارع خميس العدسي).

وذكر الدكتور علي شلش[٢]: أن سيدة يهودية تدعى مدام «يعقوب فرج شمويل» كان عبد الناصر يدين لها بالفضل؛ لأنها هي التي رعته في طفولته بعد وفاة أمه، وكانت تعاملة كأحد أبنائها، وذكر «حسن التهامي» أن هذه السيدة قريبة والدته.. فإذا

١) انظر: ملفات السويس، محمد حسنين هيكل، ص ١٤٣، ولعبة الأمم وعبد الناصر، محمد الطويل، ص٤٨.

٢) تاريخ اليهود والماسونية في مصر، ص ١٦٣.

كانت قريبة والدته يهودية فتكون والدته كذلك ، ولا يخفى أن نسب الشخص عند اليهود لأمه وليس لأبيه، ثم : لماذا اختار أبوه سيدة يهودية لرعايته قريبة كانت أو بعيدة؟ ولماذا حارة اليهود شبه المغلقة على اليهود وقتها؟، وهل ضاقت القاهرة كلها إلا من حارة اليهود؟ . . وقد استمر عبد الناصر في حارة اليهود حتى رتبة « الملازم أول » وعمره (٢٤) عامًا .

يقول اللواء « محمد نجيب » (أول رئيس لجمهورية مصر) للواء « عبد المنعم عبد الرؤوف » عام ١٩٧٩ : « عبد الناصر أصله يهودي، من يهود الشرق الذين جاؤوا من اليمن » [١] .

ويقول « جلال كشك » : « أعترف أن مثل هذه النصوص التي يقدمها هيكل تجعل التفسير القائل بيهودية عبدالناصر يلح إلحاحًا لا يمكن مقاومته . . » [٢] .

الصلات المشبوهة:

تذكر الكتب والمراجع صلة أتاتورك باليهود والإنجليز ، وكذلك عبد الناصر: كان على صلة مستمرة باليهود والأمريكان قبل الثورة وبعدها [٣]، ففي عام ١٩٤٨م، أثناء حصار (الفالوجا)، كان يقوم بالاتصال مع كل من « بروجام كوهين »، و« إيجال آلون »، وفي عام ١٩٥٠م عاد إلى (تل أبيب) ليدلهم على جثث قتلاهم في حرب ١٩٤٨م كطلب الحكومة الإسرائيلية!، ومكث هناك أكثر من عشرة أيام اجتمع خلالها كثيراً مع « إيجال آلون » .

وذكر زملاء عبد الناصر في الكتيبة السادسة [٤] احتمال نجاح إسرائيل في تجنيد عبد الناصر لحسابها بواسطة « إيجال آلون »، وأنه كان يحمل مشاعر الحب لليهود منذ صباه، وارتبط بصداقات مع الفتيان اليهود بالحارة رفاق عمره .

وكان عبد الناصر عضواً بالتنظيم الشيوعي (حدتو)، الذي يرأسه اليهودي « هنري كورييل »، وضمن أعضائه « ماري روزنيتال » و« مارسيل

١) مذكرات عبد المنعم عبد الرؤوف ، ص ٧٥ .

٢) ثورة يوليو الأمريكية ، ص ٥٥٧ .

٣) عبد الناصر وعلاقاته الخفية ، ص ٣٦ : ٥٣ .

٤) جريدة الشرق الأوسط ، ١٣/٦/١٩٨٧م .

ليون»، و«إيلي شوارتز» صهر «موشيه ديان» (قائد جيش إسرائيل في حرب ١٩٦٧م).

واستمرت صلة عبد الناصر باليهود حتى وفاته، ولم تنقطع أبداً.

أما عن صلة عبد الناصر بالولايات المتحدة الأمريكية، والمماثلة لصلة أتاتورك بإنجلترا، فقد بدأت عام ١٩٤٩م مع السفير الأمريكي «كافري» ـ كما تقول بعض المصادر ـ، أو مع الملحق العسكري الأمريكي «دافيد إيفان» من عام ١٩٥٠م إلى ١٩٥٢م، واستمرت مع «كيرميس روزفيلت» مندوب المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط، و«مايلز كوبلاند» مندوب المخابرات الأمريكية في القاهرة، واستمرت علاقته بالولايات المتحدة الأمريكية طوال حياته كذلك ولم تنقطع أبداً، رغم الصلة والتغطية الظاهرة لعلاقته بروسيا [1].

التلميع والدور البطولي:

ظهر أتاتورك بأنه دَحَر قوات الحلفاء في (جناق قلعة)، وأن جيشه هاجم مستودعات الأسلحة والذخائر التابعة للحلفاء، وأنهم أرسلوا ما حصلوا عليه باعتباره غنائم حرب.

وقام الحلفاء بتحريض اليونان على غزو (إستانبول)، ثم توقف الهجوم اليوناني وانسحب أمام قوات أتاتورك (تماماً كانسحاب قوات إنجلترا وفرنسا وإسرائيل من مصر عام ١٩٥٦م).

وقامت الدعاية الغربية بتضخيم الحادثة؛ لتُظهر أتاتورك منقذاً للبلاد من عدوها (والشيء نفسه حدث مع عبد الناصر).

وهكذا يلمِّع الأجانب أذنابهم دائماً، ويصنعون منهم أبطالاً، لكن الحقائق قلَّ من يعرفها، والله المستعان.

فقد بالغت الدعاية الواسعة بإظهار أتاتورك بصورة البطل المغوار الذي هزم الحلفاء، وخاصة الإنجليز واليونان، حتى تسابق الشعراء في الثناء عليه وعلى انتصاراته، فأنشد أحمد شوقي مخاطباً أتاتورك ـ قبل أن تتضح له حقيقته ـ:

الله أكبر كم في الفتح من عجب
يا خالد الترك جدّد خالد العرب

---

١) انظر: علاقة جمال عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية، لجلال كشك، ولعبة الأمم، لمايلز كوبلاند.

متابعات

أما الدعاية الواسعة والدور البطولي المزعوم، فقد كان مع عبد الناصر أكبر وأضخم بكثير، فقد ذُكر أن السفير الأمريكي «كافري» استدعى مسؤول الدعاية السوداء في المخابرات الأمريكية[1]، ليقوم بتخطيط إعلامي يهدف إلى تصعيد نجومية عبد الناصر، وقد أجرى عبد الناصر بعض التعديلات عليها واحتفظ بنسخة عنده، وسلمت نسخة لـ «عبد القادر حاتم» وزير الإعلام حينها ليقوم تنفيذ دوره.

ومن أساليب الدعاية وإضفاء البطولة على عبد الناصر: (حادث المنشية) المنسق مع المندوب المذكور عام ١٩٥٤م ، وظهوره بصورة البطل الشجاع، وتعاطف الشعب معه على إثر هذا الحادث.

ومن أساليب الدعاية معه كذلك: تنسيق واستغلال تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م، وإظهاره بمظهر المتحدي للغرب، ثم هجوم الدول الثلاث وانسحابها بعد أن تم تحقيق الدور البطولي له باستعادة القناة وانسحاب القوات المعتدية، وكان للولايات المتحدة دور كبير في إتمام الانسحاب.

ومن مسرحيات التلميع له كذلك: طلب تمويل بناء السد العالي، ورفض الولايات المتحدة الأمريكية، ثم اللجوء إلى روسيا، ومن ثم: بناء السد العالي، واستغلال ذلك والظهور بمظهر المتحدي لأمريكا كذلك.

وكان من هذه التمثيليات: طلب السلاح من الغرب ، ثم رفض هذا الطلب، وعمل صفقة ضخمة مع (تشيكوسلوفاكيا)، رغم أنف الولايات المتحدة كما يبدو، الأمر الذي أظهره بمظهر البطل القومي الذي لم يرضخ لأكبر دولة في العالم.

وغير ذلك كثير، مثل: تأميم المصانع والشركات.. وغيرها.

وقد اشتركت أجهزة الإعلام المصرية، ودور التعليم[*]، والإعلام

---

١) لعبة الأمم ، مايلز كوبلاند ، ص ١٣٣ .

*) سُئل الأديب «أحمد الحوفي» (رحمه الله): لماذا يضع اسم «عبد الناصر» ضمن الأبطال في كتابه (االبطولة والأبطال)؟، فقال (رحمه الله): إن هذا الفصل وضع ضمن الكتاب حتى يتسنى وضعه مقرّرًا للدراسة في مدارس مصر آنذاك.

متابعات

العالمي شرقًا وغربًا في تمجيد البطل، وإعلاء شأنه، حتى تضاءل أمامه أي زعيم، ودونه أي بطل.

وقد تكرر ذلك في المناسبات المختلفة، وفي غير المناسبات، ولعل إخراج فيلم سينمائي أخيراً في مصر اسمه (ناصر ٥٦) وعرضه في (١٤) دار عرض في وقت واحد يسير في هذا الطريق، أو لعله لإبراز وتلميع بقايا فلوله الذين لم يعد لهم قبول شعبي، والعجيب: أن يتم ذلك بعد فضائح حكمه وهزائم جيشه خاصة عام ١٩٦٧م، وفساد حاشيته.

لكن عندما تضعف ذاكرة أفراد الأمة يستطيع المتاجرون بالفن والقيم التلاعب بعواطفها وقلب الحقائق، ليصنعوا من الأقزام عمالقة وأبطالاً.

الاستبداد والتجبر:

من سمات هؤلاء الحكام: قسوة القلب، وحب السلطة والظهور، وهكذا كان أتاتورك جباراً وطاغية، يقول: «سوف أجعل كل إنسان ينفذ رغباتي ويطيع أوامري، ولن أقبل نقداً أو نصيحة، سأسير في طريقي الخاص وسوف تنفذون أنتم جميعاً ما أريده دون مناقشة»[(١)].

ويقول عبد الناصر نظير هذا الكلام: «اسمع يا فريد... أقول لك اللي في نفسي واخلص.. أنا عندي فكرة مستوليَّة عليَّ، ولا أعرف بأن كانت غلط ولا صح!!.. إنما أنا عايز في خلال سنتين .. ثلاثة، أَوْصَل إلى أني أضغط على زر البلد تتحرك زي ما أنا عايز .. وأضغط على زر البلد تقف!!»[(٢)].. وقد كان، وتم له ذلك فيما بعد.

واتسمت فترة حكمه كلها بالطغيان والاستبداد، واعتقال الآلاف، والمحاكمات الصورية، والسجن والإعدامات، ولم تنجُ فئة من ذلك أبداً، وإن كان للإسلاميين النصيب الأوفر: «فلقد استطاعت (الثورة) القضاء على كل معارضيها، حتى هؤلاء الذين شاركوا في صنع الثورة،

---

١) من كتاب الذئب الأغبر، لـ «أرمستروغ»، ص ١٥٧.

٢) الصامتون يتكلمون، ص ٤٦، مذكرات حسن العشماوي، ص ١٠٤.

ولا اعتراض على أي قرار تتخذه الحكومة، فالكل يصفق للقرار، ويصفق لإلغائه، طالما أنه من السلطة... فلم يعد في مصر صحافة ولا برلمان له رأي أو صوت، ولا مجلس وزاري له حق النقاش»[1].

ولا يقف الكلام عن عبد الناصر عند حد معين، ولقد تكلم فيه كثيرون: زملاؤه السابقون في الجيش، أو الثورة، أو الحكم.. أصدقاؤه.. معارفه[2].

وعبر عن شخصيته في هذا المجال «مايلز كوبلاند»: فقد «سئل مرة، إذا خُيّر عبد الناصر بين التنازل عن السلطة أو دمار مصر؟، فقلت: بلا تردد سيختار البقاء في السلطة»[3].

تقديم الخدمات لأعداء الإسلام:

قدم أتاتورك خدمات عظيمة لأعداء الإسلام من اليهود والنصارى في مجالات كثيرة، أهمها: إلغاء الخلافة، وفصل الدين عن الدولة، والاتجاه الحاد نحو التمكين للعلمانيين.

وكذلك فعل عبد الناصر، أو هكذا نَفَّذ ما طُلب منه بعناية فائقة سواء ما يختص بمصر فقط، أو المنطقة العربية، أو ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، ونخص بالذكر الخدمات والمكاسب التي حققها لليهود، وبإيجاز:

١ ـ مقتل البطل أحمد عبد العزيز: وهو قائد الفدائيين في حرب فلسطين، وكان أعد خطة للاستيلاء على القدس التي حاصرها بعشرين ألف فدائي، وفي اليوم السابق للهجوم، ذهب إليه «صلاح سالم» زميل عبد الناصر في الثورة، وعند معسكر عبد الناصر، أطلق عليه الرصاص من جهة «صلاح سالم»، ولم تتم له إسعافات طبية حتى فارق الحياة، وفشل بالتالي الهجوم[4].

٢ ـ حرب ١٩٥٦م، ١٩٦٧م:

---

١) مذبحة الأبرياء في ٥ يونيو، ص ١٣٧.

٢) منقول منها الكثير في كتاب: (الإخوان وعبد الناصر)، ص ٣١٣ : ٣٢١.

٣) ثورة يوليو الأمريكية، لجلال كشك، ص ٦١٦.

٤) لعبة الأمم وعبد الناصر، ص ٣١.

حيث الهزيمة والخسائر الفادحة في الأموال والعتاد والأرواح بدور عبد الناصر الرئيس في ذلك [1].

٣ ـ حرب اليمن عام ١٩٦٤م:

حيث أُنفقت الأموال الطائلة ، وقتل أكثر من ١٠٠,٠٠٠٠ من الجيش المصري، هذا إلى جانب خسائر العتاد والأسلحة، وإلى جانب الخسائر في الجانب اليمني، وإشعال فتنة الانقسامات والحروب بين الأمة.

٤ـ الوحدة الفاشلة مع سوريا:

والتي كانت مثالاً على استبداد عبد الناصر وسفهه وسوء تدبيره في الإنفاق والسياسة هو وزمرته ، وتم أثناءها استصلاح وردم بحيرة الحولة، بعد أن منع عبد الناصر القوات المسلحة من التعرض للقوات الإسرائيلية، كما كان يحدث قبل هذه الوحدة.

ولا نريد أن نستطرد أكثر من هذا؛ فغيرها كثير، وقد ذكرنا بعض الأمثلة فقط للدلالة على ما نقول.

آثار الحكم:

لم يتوقف التغيير والإفساد على فترة حكم أتاتورك، بل امتدت إلى ما بعد موته حتى الآن، بل كثيراً منها يُحمى ويُفرض بقوة القانون.

أما عبد الناصر فالتغيير الذي تم في عهده امتد وزاد وانتشر بشكل عجيب، وشمل معظم المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والزراعية.. وغيرها، وأهم التغييرات: التغيير الاجتماعي والنفسي في تركيبة الإنسان المصري، ولولا ضيق المكان لأفسحنا لذلك كلامًا مستقلاً ، ويمكن الرجوع بشأنه إلى الكتب المختصة[2]، وبنظرة تأمل واحدة إلى الواقع ؛ فسنرى فرقًا هائلاً بينه وبين ما قبل عبد الناصر.

---

١) للمزيد : يرجع لكتاب مذبحة الأبرياء في ٥ يونيو، وغيره.

٢) الخطايا العشر لعبد الناصر ، تأليف : إبراهيم دسوقي أباظة، باشوات وسوبر باشوات : د.حسين مؤنس، الناصرية في قفص الاتهام ، سراديب الشيطان : أحمد رائف، عبد الناصر وعلاقاته الخفية ، أحمد عبد المجيد .. وغيرها.

متابعات

وللبيان كلمة :

حقيقة نشكر الكاتب على تجشمه عناء المتابعة والربط بين شخصيتين من أخطر ما مر بتاريخ الإسلام المعاصر، حيث كان لهما من الآثار السلبية والجهود الكبرى والمحاولات المتتابعة لوأد الإسلام وتغريب مجتمعاته، إلا أن الله أبطل كيدهم وجعل عاقبة المحنة التي مرت بالإسلام ودعاته في عهديهما خيراً..

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

والحقيقة: إن اتهام (عبد الناصر) أو غيره بأنه يهودي أو من أصل يهودي ينبغي ألا يعوَّل عليه كثيراً؛ فإنه ينبغي أن يُنظر إلى الأعمال ذاتها بغض النظر عن أصل صاحبها ونسبه، كما أن ما حصل من كيد ومكر ضد الإسلام ودعاته ـ سواء أكان من رجل مسلم أو من متظاهر بالإسلام ـ له دلالته على إبطال كيد الكائدين، إذ لا يمكن أن تكون العاقبة النهائية: فلاح تلك الجهود في أداء أدوارها؛ لأن الله ناصر دينه ومعلي كلمته، ومن يكيد للإسلام سيفضحه الله جزاءً وفاقًا، سواء في دنياه أو في أخراه، ولكن.. هل يتعظ أعداء الدين والمتربصون به وبدعاته السوء؟، هل يعقلون ذلك أم إنهم لا يعقلون؟.. ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ـ البيان ـ

تحولات التعبير

عن الفكر الإسلامي المعاصر

بقلم:
د. محمد يحيى

في دائرة الضوء

شهد الخطاب الدعوي أو الفكري الإسلامي (وأنا أفضل أن أسميه بالحديث تجنباً للمصطلح الآخر غير الدقيق) تحولات عدة في السنوات الأخيرة، كادت تنحرف به بعيداً عن المسار الصحيح، ولو كانت هذه التحولات حدثت استجابة طوعية متدبرة لمتغيرات طرأت على الساحة، أو كانت من علامات النضج والتطور إلى الأفضل: لكانت مما يستحق الترحيب والتشجيع، إلا إنها ـ في نظري ـ وقعت تحت ضغط ظروف وأوضاع غير طبيعية وغير مقبولة فُرضت على هذا الحديث الفكري الذي أقصد به الكتابات الإسلامية المتحدثة عن هذا الدين، ولعل أبرز هذه الضغوط: تلك الضجة القبيحة المثارة في أجهزة الإعلام ومن ورائها دوائر ثقافية واجتماعية وسياسية في الغرب ـ بل وفي أنحاء عدة من العالم الإسلامي ـ ضد مجمل الأوضاع الإسلامية، وهي ضجة صاحبتها تحركات سياسية وأمنية أثمرت اضطرابات وصراعات زادت الأمور بلبلة واضطراباً، وقد ولدت هذه الضغوط الشديدة التحولات التي أعنيها في الحديث الديني المعاصر، ولا سيما ما يصدر منه عن جهات وهيئات تقع بحكم طابعها تحت سيطرة أو تأثير الدوائر صاحبة الحملة على الإسلام.

وإذا أردنا أن ندخل مباشرة إلى وصف معالم تلك التحولات دون أن نسهب في تفصيل الضغوط والظروف غير الموضوعية التي أدت إليها، للاحظنا على الفور تحول نبرة الحديث الديني ومحتواه من الطرح الإيجابي الواثق ـ وأكاد أقول «الهجومي» لولا الإيحاءات

السيئة التي قد تحيط بهذه الكلمة ـ إلى نوع من الموقف الدفاعي والاعتذاري والتبريري الذي كان قسمة من قسمات الحديث الديني البارزة في عنفوان الهجمة الغربية الاستعمارية والعلمانية في مطلع هذا القرن وأواخر القرن الماضي.

ويلمح المرء سمات هذه الردة أو التراجع في الحديث الديني كأشد ما تكون في نفي تهم التطرف والإرهاب والتعصب عن الإسلام والمسلمين في وجه الطرح الدائم لهذه الاتهامات في الأجهزة المعادية، ويصاب المرء بالدهشة الشديدة ـ بل وبالهلع ـ عندما يجد أن معظم الحديث الديني الإسلامي في الوقت الراهن يخصص للرد على هذه الاتهامات، إلى حد أن نفي التهم أصبح طقسًا مقدسًا من طقوس الكتابة الإسلامية.

ويتصور المتابع لهذه الكتابات ـ ومنها ما يصدر عن مراجع دينية وعلمية رسمية مرموقة المناصب ـ أن الإسلام لا يحتوي من المبادئ إلا مبدأ نفي تهمة التطرف والأصولية عنه، وأن هذا الدين ما نزل إلا ليعلن أنه العقيدة التي لا تُغضِب الآخرين ولا تختلف معهم، وتمتزج بهذه الكتابات والأطاريح الاعتذارية نبرة من الاستخذاء والإحساس بالدونية، وتكون عقدة بالذنب تجاه غير المسلمين، الذين يفترض أن الإسلام قد عاداهم وظلمهم طيلة عهده بالوجود، وأذكر أنني طالعت ـ في أواخر جمادى الأولى ـ مقالاً صحفيًا يتناول لقاء وزير للشؤون الدينية في بلد مسلم كبير مع وفد من التجار الألمان، وهالني أن الرجل لم يتحدث إليهم بكلمة واحدة تعرفهم بمبادئ الإسلام أو عقيدته، بل تركز حديثه على موضوع واحد فقط، وهو طمأنة زواره أن الإسلام بريء من التطرف والإرهاب، وكأنه يسم إخوانه المسلمين بهذه التهم ثم يحاول الاعتذار للأجانب ـ الذين لا يهتمون إلا بالصفقات التجارية ـ عن هؤلاء المسلمين، وقد وصل الأمر إلى أن العديد من المؤتمرات التي تعقد هنا وهناك في العالمين العربي والإسلامي من جانب المؤسسات الدينية لا تبحث إلا في قضية نفي التهم المختلفة عن الإسلام من التعصب إلى انتقاص حقوق المرأة والإنسان.

إن للجانب الدفاعي في الفكر الإسلامي دوراً لا ينكر في الذب عن تعاليم الدين وعقيدته ودحض الشبهات والافتراءات ببيان الحقائق جلية ناصعة،

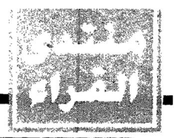
في دائرة الضوء

لكن لا يعني هذا أن الحديث الديني ينبغي أن يكون كله مكرَّسًا لهذا الجانب، أو أن الدفاع عن الدين في وجه الاتهامات لا بد وأن يتحول إلى نوع من الاعتذار المستخذي أو التبرير دونما حاجة إلى تبرير، كما أن القيام بواجب الدفاع الفكري عن الدين لا يعني تناول كل اتهام يوجه إلى هذا الدين من أي مصدر كان، لا سيما وأننا نشهد في هذه الفترة سهولة وسيولة في توجيه الاتهامات إلى الإسلام من كل حدب وصوب، حتى من جانب صحف الدرجة الثالثة والأقلام المشبوهة التي لا يستطيع المرء الرد عليها دون أن يحط من قدر نفسه بمجرد النزول إلى مستوى مخاطبتها، والفكر الدفاعي الواعي والمتزن لا يمكن أن يستدرج إلى الدوران في حلقة مفرغة من الرد (اللانهائي) الواحد على تهمة واحدة توجه بشكل (لا نهائي) أيضًا كما هو الحال في تهم التطرف والإرهاب والأصولية التي نسمعها الآن توجه منذ أكثر من عقد من الزمان وبالحدة نفسها والصيغ المبسطة ذاتها دون أن يفلح الرد والنفي الدائم لها من جانب المسلمين في التخفيف منها أو إسكاتها، ولا بد لنا أن ندرك في هذا الصدد: أن توجيه الاتهامات والشبهات إلى الإسلام والمسلمين لا يكون مدفوعًا ـ إلا في حالات قليلة ـ بالرغبة الصادقة في المعرفة أو بسوء الفهم أو نقصه، فالباعث الأكبر وراء هذا التوجيه الملح لِكَمٍّ محدودٍ من الاتهامات المبسطة المطروحة بشكل دائم ـ رغم كل الردود عليها ـ هو تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وإشغالهم بالرد عليها، وحصر تنوع وثراء الفكر الإسلامي في نطاق ضيق لا يتعدى مجرد نفي تهم محفوظة مكررة بمقولات معادة مملة، كتلك الكتابات التي نعهدها والتي لا تفتأ تجتر مقولات حقوق المرأة أو الأطفال أو العمال في الإسلام في وجه الاتهامات، دون أن تقدم لنا أطاريح إيجابية حول كيفية ضمان هذه الحقوق في دنيا الواقع، أو تربط مفاهيم الحقوق بالإطار الإسلامي الأوسع.

ويبدو على ضوء ما نراه حولنا من تردي الحديث الإسلامي إلى هوة الاعتذار والتبرير وعُقَد الدونية والذنب: أن ما ابتغاه القائمون على الطرح الرتيب للاتهامات ضد الإسلام قد تحقق بشكل كبير، فالتركيز الشديد على مجرد نفي الاتهامات ومحاولة الرد عليها، ثم الرد مرة ثانية بعد إعادة طرحها.. وهكذا دواليك: قد حرم الفكر الإسلامي من تقديم أي

أطاريح إيجابية حول ماهية الإسلام، وطبيعة عقيدته وشريعته، ومعالم حلوله لقضايا الحياة والإنسانية، ويزداد العجب والغيظ عندما نجد من متابعتنا لما يجري في الغرب أن الفكر الكنسي النصراني هناك ـ الذي هو بحاجة شديدة إلى الدفاع عنه في مواجهة اتهامات حقيقية وخطيرة ظلت توجه إليه على مدى سنين أو حتى قرون ـ لا يشغل نفسه في هذه الفترة بالرد على الاتهامات، بل يطرح النصرانية بشكل إيجابي يبرز أنها تقدم الحلول لمشكلات المجتمعات الغربية!!، وأنها تستطيع معالجة أوجه الفشل والقصور في المذاهب العلمانية نفسها التي كانت حتى عهد قريب تتعالى على نصرانية الكنائس وتصوب إليها الاتهامات في مقتل، وهكذا.. فالفكر النصراني ـ وهو واقع في وضع ضعف حقيقي ـ لا يرد ولا يستدرج إلى حلقة الفكر الدفاعي التبريري المفرغة، في حين أن الفكر الإسلامي ـ وهو القوى الواثق والواقف على أرض صلبة ـ يجثو على ركبتيه؛ ليعتذر عن نفسه ويبرر مجرد وجوده أمام اتهامات ما أنزل الله بها من سلطان، ولا توجه لغرض معرفة الحق، بل للكيد وللاستدراج إلى فخ الدفاع السلبي المعاد غير المقنع، وقد بلغ التردي في هوة الاعتذار والتبرير مداه حينما أصبحنا نجد أن جوانب عديدة من الشريعة والأخلاق والقيم الإسلامية يجري تجاهلها ـ بل وإسقاطها من بنية الفكر الديني نفسه ـ خوفًا من ألا تُعجب الأجانب وتصبح عرضة لتوجيه اتهامات جديدة، وهكذا خفت الحديث ـ أو اختفى ـ عن تطبيق الشريعة الإسلامية، أو إعداد العدة للجهاد، أو تكريس الجهود لنشر الدعوة الإسلامية، أو رعاية قيم الفضيلة والعفة والتماسك الأسري والحياء، إن أحداً لا يستطيع الآن ـ في الحديث أو الخطاب الديني الإسلامي ـ أن يتحدث مثلاً عن ضرورة طاعة المرأة لزوجها، أو تطبيق الحدود الشرعية، أو النهوض لمحاربة غير المسلمين المتسلطين على بلاد الإسلام، فكل هذا الحديث ممنوع في ظل سيادة نزعة دفاعية اعتذارية قد رتبت وجودها على مجرد النفي الدائم والأزلي لاتهامات دائمة وأزلية.

إن هذا هو إحدى قسمات التحول في الحديث الديني المعاصر نتيجة لخضوع بعض المتحدثين ـ أو أكثرهم ـ، للضغوط والظروف التي سلطت على هذا الخطاب.



وجاء العيد

في هذا الجو المشحون بالأحداث والأعاصير ! وفي هذه الساعة المُترعة بأخبار المسلمين المُسرّة والمحزنة !! يجيء العيد.. ! فأتساءل .. ! ويتساءل الغيورون على الأمّة الإسلامية في كثير من بقاع الأرض.. ! هذه التساؤلات المترجمة لحال المنكوبين من المسلمين.

عيدٌ.. بربّك هل تحلو الأناشيدُ؟ — أم هل تُرى - في الدُّنا - تعلو التغاريدُ؟

عيدٌ.. بربك ما هذا يحلُّ بنا؟ — أُنسٌ وعُرسٌ .. أم تنكيلٌ وتسهيدُ ؟

عيدٌ.. بربّك هل ترجوا السرورَ لنا — يا عيد؟ أم إنها الأحزانُ يا عيدُ؟

هل إنها الفرحةُ الغمراء تأسرنا — أم إنه اليأس يضنينا وتنكيدُ؟

هل إنه الطيبُ والحلوى يُجاء بها — أم إنه صوتُ رشّاشٍ وبارودُ؟

يا عيدُ .. أقبلْتَ والمأساةُ ما برحتْ — ترجو الخلاص، وخيطُ القهرِ ممدودُ

فأمّتي لم تَزَلْ - يا عيدُ - في كمدٍ — قتلٌ ونهب وإحراقٌ وتشريدُ

وأمّتي لم تزلْ في الذلّ غارقةٌ — بيعٌ وحبس وإرغامٌ وتعبيدُ

وأمّتي لم تزل في القيد مُوثقةٌ — يسومُها السوءَ طاغوتٌ وصنديدُ

وأمّتي لم تزل في الشرقِ مُكلَمةٌ — وأمّتي لم تزل في الغرب تهديدُ

وإخوةُ الدينِ من عُربٍ ومن عَجمٍ — سهامهم للعدا: شجبٌ وتنديدُ!!

كيف السرور .. وأرض المسلمين لظًى؟ — كيف الهناءُ.. و« أقصى » الشرق موؤودُ؟

فمسجدُ القدسِ - وأسفي - يدنّسه — شعب اليهودِ، ويُذْكي النار « ليكودُ »[1]

والأرض ترجف من عُهرٍ ومن دنَسٍ — أما الديار فتنصيرٌ وتهويدُ

---

١) حزب الليكود الصهيوني الذي تولى رئاسة إسرائيل حاليا بزعامة « بنيامين نتنياهو » .



شعر : علي بن جبريل

يا عيد فَجْرُك يُدمي الروحَ مُذْ يبدو — يا عيد يومُك بالآلام مقصودُ

هلاَّ تغرّبْتَ عن داري وعن بلدي؟! — هلاَّ ترحّلت كي يصفو لنا عيدُ؟!

فنظرةٌ منك نحو الشرقِ ثاقبةٌ — تُلين قلبَك - حتمًا - وهو جلمودُ!

* * *

أتيتَ يا عيد والأيام مترعة — ومن معانيك: تغييرٌ وتجديدُ

فقد رأيت ظروفَ المسلمين، فلم — يُرحمْ - لنا - صبيةٌ مأواهمُ البيدُ

انظر.. ترى طفليَ الباكي طفولتَه — ثيابُه رثّةٌ، أقدامُه سُود

يداه ما حملتْ حلوًى ملوَّنةً — كالطيفِ، أو لامست أثوابَه «عودُ»

انظر إلى دمعِه الرقراقِ يسكبُه — وقلبُه مُترَعٌ بالهمِّ، محشودُ

يودُّ لو عاش في أكنافِ أسرته — لكنّه تائهٌ في الكونِ، مطرودُ

وجئتَ يا عيد ترجو البشر يأسِرُنا! — فكيف يركضُ من في القيدِ مصفودُ؟

* * *

عذرًا أيا عيدُ، فلترحلْ إلى أمَدٍ — كيما تزول عن الوجه التجَاعيدُ

عيدٌ سعيدٌ.. نعم.. لو أمتي انتصرتْ — أمّا وأمَّتنا ثكلى فلا عيدُ!

إذا رأيت ديار المسلمين غدتْ — مأمونةً؛ عندها فلتأتِ يا عيدُ

فعندها تصدح الأطيارُ هانئةً — وبلبلٌ يُرسلُ الألحانَ، غرِّيدُ

* * *

بريد البيان

■ الأخ / محمد الروبي، والأخ / سعد الزهراني:
ما بعثتما به من مشاركات به عاطفة صادقة ووعي بواقع الأمة، ولكن يشوبها ضعف فني، لذا: نعتذر عن نشره.

• • •

■ الأخ / فرحات محمد أبو زهرة، والأخ / مبارك عامر:
مشاركتكما أجيزتا، وستنشر أجزاء منهما ـ بإذن الله ـ في منتدى القراء في عدد قادم.

• • •

■ الأخ / عمر عبد الله خير الله نهايو:
نشكر لك حسن ظنك بالمجلة، أما بخصوص مقالكم عن الصراع القبلي في بورندي، فهو تحت الدراسة.

• • •

■ الأخ / موسى المطرفي:
نقدر ثناءك، وستنشر مشاركتك (الدعوة والإنسان) في منتدى القراء في عدد قادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

• • •

■ الأخ / عبد العزيز هاشم المكي، والأخ / طارق العمودي:
سوف تصل إلى كل منكما رسالة خاصة.

■ الأخ / محمود محمد دبش:
قصيدة (قادمون) كأن فيها نثر وشعر، فحاول إصقال موهبتك بالقراءة في جيد الشعر قديمه وحديثه، ونأمل التوفيق لمشاركة أكثر شاعرية.

• • •

■ الأخ / عمرو أحمد عبد العزيز:
مشاركتك القصصية تحمل فكرة لا بأس بها، غير أن القالب القصصي والأسلوب في حاجة إلى إحكام أكثر.

• • •

■ الأخ / محمد عبد الرحمن الزامل:
يرجى إعادة إرسال تعقيبك الذي بعنوان (هل يكفي النفي) لعدم وضوحه على الهاتف المصور.

• • •

■ الأخ / أحمد راجح:
نشكر لك ثناءك وحسن ظنك، ونسأل الله أن يَجْزيك خيراً على اقتراحاتك التي ستكون محل دراسة، أما بالنسبة لطلبك فإننا نعتذر عن تلبيته.

■ الأخ الدكتور / عزمي صبري كنانة:
اقتراحك محل عنايتنا، وستنشر قريباً فتاوى مختارة ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

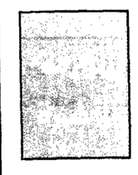
• • •

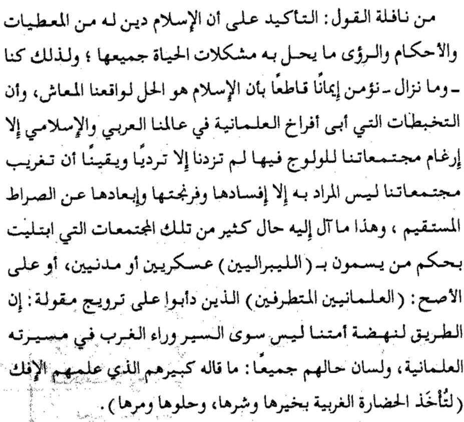
■ الأخ / طارق عبد الفتاح السيد:
أحسسنا ـ ونحن نقرأ خواطرك حول القصة ـ بتفاؤل وأمل بأن ترزق الأمة بفتية على مستوى فكري عال، ووعي واعد، حيث تكون أنت ومثلك ـ بإذن الله ـ بشرى ذلك وطليعته، نسأل الله (عز وجل) أن يبارك عمرك، لتكون قلماً إسلامياً واعياً يصبُّ مداده في تعزيز الخير وإشاعة المعروف، أما عن مشاركتك فستنشر في منتدى القراء في عدد قادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

علمهم يا (تشارلز)

CHARLS' TEACH THEM

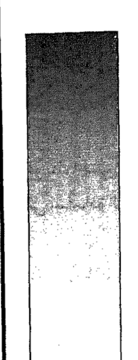
بقلم : احمد العويمر





من نافلة القول: التأكيد على أن الإسلام دين له من المعطيات والأحكام والرؤى ما يحل به مشكلات الحياة جميعها ؛ ولذلك كنا ـ وما نزال ـ نؤمن إيمانًا قاطعًا بأن الإسلام هو الحل لواقعنا المعاش، وأن التخبطات التي أبى أفراخ العلمانية في عالمنا العربي والإسلامي إلا إرغام مجتمعاتنا للولوج فيها لم تزدنا إلا ترديًا ويقينًا أن تغريب مجتمعاتنا ليس المراد به إلا إفسادها وفرنجتها وإبعادها عن الصراط المستقيم ، وهذا ما آل إليه حال كثير من تلك المجتمعات التي ابتليت بحكم من يسمون بـ(الليبراليين) عسكريين أو مدنيين، أو على الأصح: (العلمانيين المتطرفين) الذين دأبوا على ترويج مقولة: إن الطريق لنهضة أمتنا ليس سوى السير وراء الغرب في مسيرته العلمانية، ولسان حالهم جميعًا: ما قاله كبيرهم الذي علمهم الإفك (لتُأخَذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها، وحلوها ومرها) .

فماذا استفدنا من آرائهم الزائفة تلك سوى أن صرنا في آخر الركب، فلا نحن الذين تمسكنا بمبادئنا، ولا نحن الذين صارت لنا مكانة مرموقة، مع أن الغرب نفسه وفي قرارة نفسه يسخر من تلك المجتمعات الممسوخة، ويرفض أن تكون جزءاً من منظومته الحضارية،



كما يفعل الغرب مع تركيا في محاولاتها للدخول في (السوق الأوروبية المشتركة) أو الاستفادة من معطياتها، وكما هو موقف الغرب بكافة فئاته من قضايانا الملحة مع ذلك الواقع المؤلم.

يصر العلمانيون في بلادنا على المزيد من التغريب والسقوط، وفي الوقت نفسه: يصرون على محاربة أسلمة مجتمعاتنا، ومواجهة الدعاة لأسلمة المعرفة، والإصرار على إبعاد أمتنا عن مصدر عزتها وفخارها، بل وتقنين الأنظمة والدساتير التي تؤكد علمنة البلدان وإبعادها عن العودة لهويتها الحقيقية.

العجيب: أن رجلاً بمكانة «الأمير تشارلز» مع كونه غير مسلم فهو أعرف بحقيقة ديننا الحنيف من كثير من علمانيينا؛ إذ له من الوقفات والآراء والمواقف ما أشاد فيها بالإسلام، حيث دعا إلى الاستفادة من معطياته، وأنحى باللائمة على أمته بخاصة والغرب بعامة على المادية المفرطة والسقوط الأخلاقي المفجع الذي يتردون فيه؛ مما يؤذن بخطر عظيم، ومن ذلك: كلمته في (مركز الدراسات الإسلامية في جامعة إكسفورد)، التي أشاد فيها بدور الإسلام في نهضة الحضارة الغربية، ودعوته للاستفادة من الإسلام في عدالته وتسامحه وشموله.

وكذلك: ما أدلى به في كلمته المتميزة التي ألقاها مؤخراً في (مؤتمر بناء الجسور بين الإسلام والغرب) في لندن، ومما قاله: «إن القيم الإسلامية تساعد على استعادة الرؤية المتكاملة لما يجري في عالمنا الفسيح».

فمتى يعي العلمانيون العرب الذين يصرون على تغريب مجتمعاتنا الإسلامية ولا يعيرون آداب وأخلاق الإسلام أدنى اهتمام.

ومتى يعرفون حقيقة ديننا وأهميته، وأنه ليس لنا فقط، وإنما للإنسانية بعامة.

إننا نذكرهم بأهمية العودة للجذور، فنحن أمة أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله، فهل يعون ذلك، أم على قلوب أقفالها؟.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

عبدة الشيطان!

العبثية وغيبة الهدف اللتان تسيطران على الحياة الغربية، أوجدا تصدُّعًا نفسيًّا، وخواءً روحيًّا سيطرا على الناس هناك، وظهرت آثاره في التخبط الفكري الذي يعيث في نفوسهم فساداً، ولهذا تعددت المنظمات الفكرية و(الروحية)، وتباينت معتقداتها وتوجهاتها.. حتى إن بعضها تتبنى عبادة الشيطان!، وتمارس كل أنواع التفلت والشذوذ.

والغريب: أنَّ تلك المنظمات سعت لتصدير هذا الفكر المنحل إلى بعض البلاد الإسلامية، تريد غزوها في عقول شبابها، والأكثر غرابة: أن منهم من استجاب لهـذه الدعوة، فقد أعلن مؤخراً في (مصر) عن ضبط تنظيم لـ «عبدة الشيطان» من أبناء طبقة الفنانين والمسؤولين ـ كما ذكرت الصحف ـ، كما أُعلن أن للتنظيم صلة ببعض تلك المنظمات الغربية، وبغض النظر عن الدوافع السياسية التي دعت مصر لاعتقال بعض أفراد هذا التنظيم، وتصعيده إعلاميًّا، فإنه يدل دلالة واضحة على عمق الانحراف النفسي والفكري الذي ينخر في نفوس بعض الشباب.

ولنا أن نتساءل: هل الدولة بكافة فعاليتها معفاة من تلك المسؤولية..؟!.

إن هذا التخبط الفكري والخواء النفسي نتيجة حتمية لسياسة التغريب والعلمنة المكثفة، وفتح أبواب العبث والانحلال على مصاريعها، كما أنه نتيجة حتمية لسياسة تجفيف المنابع، وملاحقة منابر الدعوة الإسلامية، خاصة ان التحقيقات المعلنة ذكرت بأن تعاطي المخدرات، وارتياد الخمارات، ودور اللهو، والشاليهات السياحية..!! سلوكيات رئيسةٌ في تجمعاتهم.

ولعله يتسنى رصد أشمل لهذه الظاهرة في عدد قادم ـ إن شاء الله ـ.

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الاهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

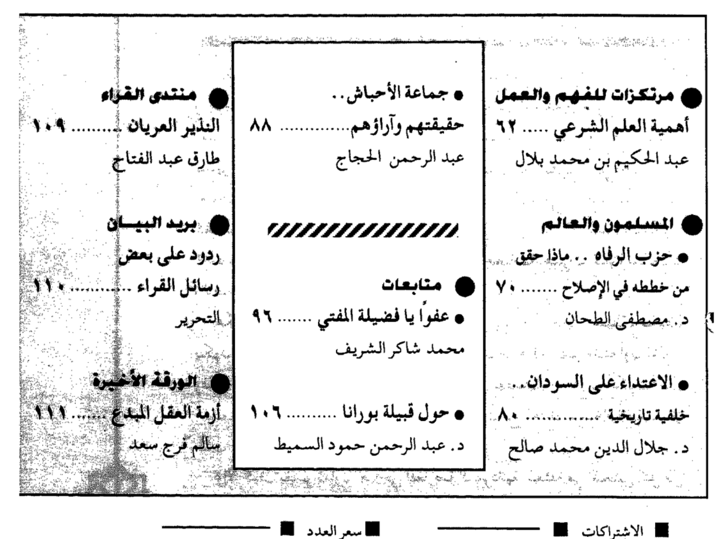
اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي امام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065

الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)



■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الاردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ٥ر١ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهًا ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

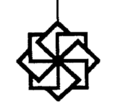
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

ماذا وراء التحالف المشبوه..؟!

الصلة الوثيقة التي أوجدها الإسلام بين معتنقيه نادرة المثال في أصالتها وديمومتها، وحسبنا أنّ ديننا الحنيف جعل العلاقة بين المسلمين مثل علاقة أجزاء الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالتأثر السريع، يقول البشير النذير ﷺ «**ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، فـ«الجسد أصل كالشجرة، وأعضاؤه كالأغصان، فإذا اشتكى عضو من الأعضاء اشتكت الأعضاء كلها، كالشجرة إذا حُرك غصن من أغصانها اهتزت كلها بالتحرك والاضطراب»(*).

هكذا كان حال المسلمين في ارتباطهم وتعاونهم مع شكاية بسيطة، فكيف يكون حالهم مع النوازل والطوام؟.. لا شك أن العلاقة أكبر والتعاون أشد، وذلك حينما يناصّبون العداء ويوقف في طريق نهضتهم، وكيف يكون الحال حينما تقوم فئات منسوبة إلى الإسلام بالتعاون مع أعداء الإسلام الحقيقيين لجلب منافع ذاتية أو مصالح متوهمة؟!.

وإلا كيف يفسر تعاون جناحي المعارضة السودانية الممثلة في شخص كل من زعيمي حزب الأمة والحزب الوطني الاتحادي الديمقراطي ووضع أيديهما في يد الصليبي الحاقد: «جون قرنق» والهجوم على دولة السودان بعد أن فعلا ما فعلا في الحياة السياسة في ذلك البلد؟، ولا يُغضّ الطرف عما يُعرف عن حقيقة هذين الحزبين وانحرافاتهما العقدية والبدعية، وكذلك انحرافاتهما السياسية النفعية وجنايتهما على الحياة السياسية في السودان على ضوء تاريخهما.





*) انظر فتح الباري، جـ ١٠، ص ٤٥٢، والحديث أخرجه البخاري، ح/ ٦٠١١، وكذا: مسلم بصيغة مقاربة (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم)، جـ٣، ح/ ٢٥٨٦.

وللحقيقة والتاريخ فقد بيّنّا أكثر من مرة مآخذنا على النظام القائم، وما زلنا نطالبه بالتصحيح والمزيد من الأسلمة، بعيداً عن أي شعارات مبهمة، أو اتجاهات حزبية، أو انحرافات فكرية.

لكننا نعلم كما يعلم غيرنا أن السودان دولة ـ على الأقل ـ تعلن تبني الإسلام ظاهراً ، وتنادي بتطبيق الشريعة.

وترفض أن ينتزع سيادتها المتآمرون عليها الذين استطاعوا في فترات عديدة من تاريخها بوسائلهم الميكيافيلية استغلال ضعفها، وتحريك الفعاليات الحاكمة فيها من وراء الكواليس، وجعل الجيب النصراني الجنوبي وسيلة ضغط لإضعاف السودان وابتزازه والتدخل في شؤونه الداخلية، وبخاصة حينما يكون الأمر متعلقًا بتطبيق الشريعة الإسلامية، وهذا ما ترفضه الحكومة الحالية؛ مما جعلها تتعرض لعداوة الغرب وأذنابه.

وما يتعرض له السودان من ضغوط ومضايقات واتهامات ممجوجة ومكرورة إلا دليل على ما نقول، فلماذا لم يتعرض لهذه العداوة إبان الحكم العسكري والطائفي في كثير من فترات تاريخه المعاصر..؟!.

الغريب: أن حزبي المعارضة المذكورَيْن محسوبان على الإسلام باعتبارهما في الأصل من الطرق الصوفية، لكن بعض رموزهما اتخذوا الدين ـ فيما يظهر ـ ستاراً لتحقيق مصالح طائفية ضيقة، ولا نشك في مدى معرفتهما بخطورة ما يفعلان، وهما اليوم مخلب قط في يد العدو الصليبي، يحاربان إخوانهم في الدين!!، ثم ماذا عن حقيقة (الولاء والبراء) الذي هو أصل من أصول العقيدة أكده القرآن كثيراً ، في مثل قوله (تعالى): **﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .. ﴾** [المجادلة:٢٢]؟ .



إن ما فعله الحزبان يذكرنا بالأدوار المشبوهة لفرق الضلال وصلاتها المعروفة بأعدائنا عبر التاريخ؛ مما يعيد للذهن تلك العلاقات المريبة، فهل يكون ما عملاه إعادة لتلك المهازل التاريخية؟! .



بقي لنا في هذا المقام وقفات وتنبيهات نلخصها فيما يلي:

أولاً : أن الاعتداء الآثم الذي اجتمع فيه نصارى إثيوبيا، وإريتريا، وأوغندا، ونصارى الجنوب، وتعاونهم فيما بينهم.. على دولة السودان، يؤكد العلاقة

الوثيقة بين الذين كفروا في الوقوف ضد كل مظهر إسلامي، وصدق الله العظيم: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ .. ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ثانيًا: نعتقد أن هذا التحالف المشبوه ليس مؤامرة عابرة بسبب خلاف سياسي مع الحكومة السودانية، بل هو تحالف استراتيجي يمتد ليهدد الأمة العربية والإسلامية بأسرها، فهو حلقة من حلقات التعاون العسكري الصهيوني مع دول القرن الإفريقي، الذي بدأ في وقت مبكر، **وكان من أبرز معالمه:**

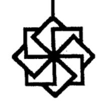
● **إقامة عدد من القواعد العسكرية اليهودية** في كل من إثيوبيا وإريتريا، وما تبع ذلك من المناورات الميدانية المشتركة، التي تهدف إلى تطويق البلاد العربية من الجهة الجنوبية، وفتح ثغرات عسكرية لمواجهة أمتنا من جهات مختلفة.

● **احتلال جزيرة (حنيش) اليمنية الاستراتيجية**، بالتعاون بين إريتريا والعدو الصهيوني للسيطرة على الملاحة البحرية في البحر الأحمر، والتحكم بالممرات الجنوبية في مضيق باب المندب.

● **دخول يهود بشكل مكشوف في الصراع الدائر في منطقة البحيرات** العظمى للسيطرة على مجاري الأنهار ومنابع المياه، ولإحكام السيطرة على دول نهر النيل، وتهديد أمنها، (وخاصة السودان ومصر).

ثالثًا: أنَّ الحركات الانفصالية النصرانية في جنوب السودان بقيادة «جون قرنق»، صنيعة الاستعمار البريطاني منذ الأيام الأولى للاستقلال، وُجِدَت لزعزعة الأمن في السودان وخلخلة أركانه، **ويراد من ذلك أمور، منها:**

■ **إشغال السودان بالحروب لتعطيل برامج التنمية**، وإفقاره، ومحاصرته اقتصاديًّا، خاصة أن السودان يملك أرضًا زراعية خصبة يمكن أن تكون مصدر دخل اقتصادي كبير، ليس للسودان فحسب، بل للأمة العربية كلها.



■ **الوقوف في وجه المد الإسلامي في القارة الإفريقية**، إذ إن السودان هو البوابة الإسلامية لإفريقيا السوداء.



ومن المعلوم أن جميع الحكومات السابقة فشلت فشلاً ذريعًا في الوقوف أمام الحركات الانفصالية (وخاصة حكومة الصادق المهدي الأخيرة!!)، حيث توغلت عصابات جون قرنق داخل الأراضي السودانية، وهددت الخرطوم،

فلما جاءت الحكومة الحالية استطاعت ان تحرر الأراضي السودانية المحتلة، وتقف في وجه الانفصاليين النصارى، وتتبع فلولهم في إثيوبيا وأوغندا، وهذا الموقف بلا شك أزعج الدول الغربية التي رمت بثقلها العسكري والسياسي لدعم (قرنق الصليبي)، ثم كان هذا التحالف المشبوه تحت القيادة العسكرية لهذا (الزعيم)؛ لفتح ثغرات متعددة على السودان؛ حتى يعجز عن السيطرة على منطقة الجنوب، ومن ثم: تمهيد الطريق لانهياره من الداخل.

رابعاً: لاشك بأن التحالف بين الانفصاليين الجنوبيين والمعارضة الشمالية، له دلائل وعلامات كثيرة، منها:

- إفلاس المعارضة الشمالية، وعجزها عن اتخاذ قرار مسؤول يخدم السودان، فقد كانوا يعارضون الحركات الانفصالية الجنوبية، ولكن المصالح والأهواء جعلتهم ينسون ثوابتهم الحزبية، ويبيعون أرض السودان بثمن بخس.
- عدم مقدرة عصابات نصارى الجنوب على تحقيق أهدافها، خاصة بعد التصدع السياسي والعسكري الذي أصاب جيوش قرنق، مما جعله يمد يده للتنسيق مع المعارضة الشمالية، على الرغم من عدائه السابق لها.
- عجز المعارضة السابقة بشتى فصائلها عن زعزعة الحكومة الحالية أو إسقاطها من الداخل، ممَّا ينبئ بأن الشارع السوداني ليس مع المعارضة، مما جعلهم يلجؤون إلى التحالف مع دول الجوار النصرانية..!!.

وأخيراً: فإننا أمام واقع مأساوي مزعج، تحالف فيه الأعداء ضد بلد مسلم، فعلينا فَهْم الأهداف الاستراتيجية الخطيرة لذلك التحالف، وألا نكون عوناً للأعداء ضد إخواننا لمجرد خلافات أو مصالح، ولنحذر من السقوط في أيدي الأعداء والتعاون معهم ضد ديننا وعقيدتنا.

ومما يؤسف له: الشماتة الظاهرة ـ بدون مبرر مقبول ـ في متابعة بعض الصحف العربية للحدث، بل وفرحهم بسقوط بعض المواقع الحكومية الأمامية!!.

وبين عجز العرب وكيد الغرب الأيام حبلى، والله نسأل أن يصلح الأحوال وأن يرفع عن أمة الإسلام ما يحاك ضدها من مؤامرات.

وما يثار بين أبنائها من فتن

والله من وراء القصد،



ماذا وراء التحالف المشبوه.!

أحكام قضاء الصلوات الخمس

بقلم : عبد الله الإسماعيل

مدخل:

الصلاة.. وما أدراك ما الصلاة، فريضة محكمة، هي أحد أركان الإسلام الخمسة، افترضها الله (تعالى) على نبينا محمد ﷺ في السماوات العلى، ووجوب أدائها ثابت بالكتاب والسنة ومعلوم للجميع، وقد تساهل في أدائها كثير من الناس لأعذار ما أنزل الله بها من سلطان، بل تركها بعضهم مطلقًا، نسأل الله العافية، وقد تنازع العلماء في حكم تاركها سلفًا وخلفًا إلا إن القول الراجح الذي نراه هو ما حرره العلامة الشيخ «محمد العثيمين» بقوله: إذا رَدَدْنا هذا النزاع إلى الكتاب والسنة وجدنا أنهما يدلان على كفر تارك الصلاة الكفر الأكبر المخرج من الملة، وساق الأدلة على ذلك[1] .. ولمعالجة موضوع قضاء الصلوات الخمس يتناول الكاتب الكريم هذا المبحث بدراسة علمية، نسأل الله أن ينفع بها الجميع. - البيان -

ينقسم الناس من حيث وجوب القضاء وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يجب عليهم القضاء بالإجماع، وهم :

١ ـ النائم. ٢ ـ الناسي. ٣ ـ السكران.

أما النائم والناسي فقد حكى الإجماع عليهما ابن حزم في (المحلى) [٢ / ١٠]، وابن القيم حكى الاتفاق في كتابه (الصلاة) [ص ٥١]، ومن أدلة السنة عليه: حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها، فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله

١) انظر: رسالة (حكم تارك الصلاة، والرد على المخالفين)، لفضيلة الشيخ (حفظه الله).

يقـول : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ »[1].

وأما السكران: فقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على وجوب القضاء عليه، كابن المنذر في كتابه (الإجماع) [ص ١٠]، وقال ابن حزم في المحلى[2]: « وأما من سكر حتى خرج وقت الصلاة، أو نام عنها حتى خرج وقتها، ففرض على هؤلاء خاصَّة أن يصلوها أبداً.. وهذا كله إجماع متيقن » ، وقال ابن قدامة [3]: « لا نعلم فيه خلافًا ».

القسم الثاني : من لا يجب عليهم القضاء بالإجماع، وهم:

١ ـ الحائض والنفساء. ٢ ـ الكافر الأصلي.

أما الحائض والنفساء: فقد حكى الإجماع على عدم وجوب القضاء عليها جمع من أهل العلم، منهم ابن المنذر في كتابه (الإجماع) [ص ٩]، وابن حزم في (المحلى) [٢/٨]، والنووي في (المجموع) [١/٣٨٣]، ومن أدلة السنة: حديث معاذة (رحمها الله) قالت: سألت عائشة (رضي الله عنها) فقلت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحروريّة [4] أنت؟ قلت: لست بحروريّة، ولكني أسأل، فقالت: كان يصيبنا ذلك، فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة» [5].

أما الكافر الأصلي: فقد حكي الإجماع على أنه إذا أسلم لم يجب عليه قضاء الصلاة [6]، ومن أدلة الكتاب: قوله (تعالى): ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ

---

١) أخرجه مسلم ، ح/٦٨٤.

٢) المحلى، لابن حزم ، جـ٢، ص٩، ١٠.

٣) المغني، لابن قدامة، جـ٢ ،ص ٥٢ .

٤) نسبة إلى حروراء ، وهي بلدة على ميلين من الكوفة، ويقال لمن يعتقد مذهب الخوارج: حروري؛ لأن أول اجتماع لهم للخروج على علي (رضي الله عنه) كان بالبلدة المذكورة، فاشتهروا بالنسبة إليها، (انظر الفتح، ١/٥٠٢).

٥) أخرجه البخاري ، ح/٣٢١، ومسلم، واللفظ له، ح/٣٣٥.

٦) ابن قدامة في المغني ، ٢/٤٨، وغيره.

دراسات شرعية

لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، ومن السنة: قوله ﷺ: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟» [١].

القسم الثالث: من هم محل خلاف بين العلماء، وهم:

١ ـ المجنون: والخلاف فيه ضعيف، والراجح أن المجنون لا يقضي ما تركه زمن الجنون، وهو قول جماهير الأمَّة [٢]، والأدلة في ذلك كثيرة، ومنها: حديث عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ، قال: «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل» [٣].

٢ ـ المرتد: والراجح أنه لا يقضي ما تركه زمن الردَّة، وهو قول الجمهور، والأدلة عليه كثيرة، منها:

أ ـ القياس على الكافر الأصلي، فكما أن الكافر الأصلي لا يجب عليه القضاء بالإجماع، فكذا المرتد بجامع الكفر.

ب ـ أن الذين ارتدوا زمن النبي ﷺ ـ كعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وغيره ـ مكثوا على الردة زمنًا ثم أسلموا، ولم يأمرهم النبي ﷺ بالقضاء، وكذا: من أسلم من المرتدين في زمن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لم يؤمروا بقضاء ما تركوه زمن الرِّدة، ولو أمروا لنقل إلينا [٤].

جـ ـ ولأن في إيجاب القضاء عليه تنفيراً له من التوبة مع طول زمن الردَّة، بل تكون التوبة في حقه عذابًا إذا ألزمناه بالقضاء.

٣ ـ المغمى عليه: وقد اختلف أهل العلم فيه على ثلاثة أقوال، الراجح منها: أن المغمى عليه لا يقضي ما تركه زمن الإغماء؛ طال الإغماء أو قصر، وهو مذهب المالكيَّة [٥]، والشافعيَّة [٦]، وقول طاووس، والحسن البصري، وابن

١) أخرجه مسلم، ح/١٩٢.   ٢) انظر: المغني، ٢/٥٠.
٣) أخرجه أصحاب السنن، وصححه الألباني، كما في (الإرواء)، ٢/٤.
٤) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٢/١٠٣.
٥) انظر: التاج والإكليل، ١/٤١٠.   ٦) انظر: المجموع، ٣/٨.

سيرين، والزهري، وأبي ثور [1]، وابن حزم[2].

والدليل: أن المغمى عليه فاقد لمناط التكليف ـ وهو العقل ـ فأشبه المجنون، ويعضد هذا التعليل أثر ابن عمر (رضي الله عنهما): «أنه أغمي عليه فذهب عقله، فلم يقض الصلاة» [3].

واستدل القائلون بمشروعية القضاء بأثرين:

الأول: عن يزيد مولى عمار: «أن عمار بن ياسر (رضي الله عنه) أغمي عليه في الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فأفاق نصف الليل، فصلّى الظهر والعصر، والمغرب، والعشاء».

الثاني: عن أبي مجلز قال: قيل لعمران بن حصين: إن سمرة بن جندب يقول في المغمى عليه: يقضي مع كل صلاة مثلها، فقال عمران: ليس كما يقول، يقضيهن جميعًا».

وأثر عمار ضعيف؛ فقد أخرجه عبد الرزاق [ح/٤١٥٦]، والدارقطني: [٢/٨١]، والبيهقي [١/٣٨٨]، كلهم من طريق السدي عن يزيد مولى عمّار، ويزيد مجهول (انظر نصب الراية، ٢/١٧٧)، والسدي قال عنه ابن حجر: «صدوق يَهِم، ورُمي بالتشيّع» [التقريب، ص ١٠٨]، وقال الشافعي: «هذا ليس بثابت عن عمّار» [نصب الراية، ٢/١٧٧]، وقال ابن التركماني: «وسنده ضعيف» [الجوهر النقي، ١/٣٨٨].

وأثر عمران ضعيف أيضًا؛ فقد أخرجه ابن أبي شيبة [٢/٢٦٩] بإسناد رجاله ثقات، إلا إن أبا مجلز لم يلق سمرة ولا عمران، كما صرح بذلك ابن المديني [انظر تهذيب الكمال، ٣١/١٧٨]، فالإسناد ضعيف بهذا الانقطاع.

---

١) انظر: الأوسط، ٤/٤٩١.

٢) انظر: المحلى، ٢/٨.

٣) أخرجه مالك، ح/٢٤، وعبد الرزاق، ح/٤١٥٢، بإسناد صحيح، وممن صرح بتصحيحه: ابن المنذر في الأوسط، ٤/٣٩٠، وابن حزم في المحلى، ٢/٩.

وبضعف الأثرين يكون أثر ابن عمر (رضي الله عنهما) سالمًا من المعارض.

٤ ـ **من زال عقله بدواء**، كالبنج[١] قديمًا، والآن يستعمل المخدِّر لإجراء العمليات الجراحيَّة في المستشفيات.

والراجح فيه: وجوب القضاء عليه، وهو مذهب الحنفيَّة[٢]، والحنابلة[٣] قياسًا على النوم بجامع زوال الإدراك تمامًا، وعدم امتداده، وعدم ثبوت الولاية فيهما[٤].

أما إلحاقه بالمغمى عليه فبعيد؛ لأن الإغماء آفة ليس للعبد فيها أي قصد، بخلاف زوال العقل بالدواء، فإنه يكون بقصد من العبد، وغالبًا ما يعلم المريض بأنه سيخدَّر تخديراً تامًا، ولو تركه لما زال عقله.

٥ ـ **تارك الصلاة عمداً**؛ أي: من ترك الصلاة عمداً بلا عذر حتى خرج وقتها، سواء أكانت صلاة واحدة، أو فروضًا كثيرة.

والخلاف في هذه المسألة قوي جدًّا، وجماهير العلماء على وجوب القضاء.

والقول الآخر: بعدم وجوب القضاء، وهو قول الحسن البصري[٥]، وابن حزم[٦]، واختيار ابن تيمية[٧] (رحمهم الله)، واختاره من العلماء المعاصرين: الشيخ «ابن باز»، والشيخ «ابن عثيمين»[٨] (حفظهما الله).

ولعل القول الثاني هو الأقرب إلى الرجحان، وهو: أن الصلاة لا تقضى ـ ولو كانت فريضة واحدة ـ لجملة من الأدلة، منها:

١) البنج: نبات مغيِّب للعقل، مسكن للأوجاع، وهو غير الحشيشة، فإنها مسكنة، ولها لذَّة عند تناولها بخلاف البنج، انظر: مجموع الفتاوى، ٣٤/١٩٨.

٢) انظر: البحر الرائق، ٢/١١٨.

٣) انظر: الإنصاف، ١/٣٩٠.

٤) انظر: الكافي: لابن قدامة، ١/٩٤.

٥) انظر: تعظيم قدر الصلاة، ٢/٩٩٦.

٦) انظر: المحلى، ٢/١٠.

٧) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٢/٤٠ ـ ٤١.

٨) الشرح الممتع، ٢/١٣٥.

١ ـ حديث عائشة (رضي الله عنها): أن رسول الله ﷺ قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» [١].

٢ ـ أن القضاء لا يجب إلا بأمر جديد، ولم يرد أمر جديد بقضاء الصلاة لمن تركها عمداً [٢]، وإنما ورد في حق النائم والناسي.

٣ ـ أن تارك الصلاة قد يكون مرتداً، والمرتد لايشرع في حقه القضاء كما سبق.

والله (تعالى) أعلم، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد.

---

١) أخرجه مسلم، ح/١٧١٨.

٢) انظر: المسوَّدة، ص ٢٤.

مقدمة في التنوع المشروع
صفة الصلاة أنموذجاً

(٢ من ٢)

بقلم : سلمان بن عمر السنيدي

تحدث الكاتب في أولى الحلقتين عن تنوع العبادات التي وردت عن الرسول ﷺ ، وكيف أن المطلوب : الإتيان بأنواعها جميعًا ، ثم تحدث عن شرطي التنوع ، فمراتبه ، ثم أوضح أقسام مواطن التنوع ، من حيث اجتماع الأنواع فيها وعدمه ، ووقف الحديث عند اهتمام العلماء ـ قديمًا وحديثًا ـ بالتنوع ، ويواصل الكاتب في هذه الحلقة عرض بقية الموضوع. - البيان -

آثار العمل بالتنوع المشروع :

ومما ينبغي الإشارة إليه : أنه لا بد أن يسبق العمل بالتنوع المشروع : استظهار الأدلة لكل نوع ، وتحرير محل الخلاف ، وبيان الاختيار بين اجتهادات الفقهاء ، وتوجيه تنوع الصفات المشروعة ، ومعرفة الغالب على صلاة النبي ﷺ ، وما هو سبب الاختلاف ، هل هو لبيان صفة جديدة ، أم هو لبيان الجواز ، أم هو لحاجة عارضة . .

وإذا تبين ذلك وتوجه العمل بالتنوع المشروع : فإن له آثارًا يمكن توضيحها كما يلي :

١ ـ طريق إلى الاتفاق ورفع الخلاف :

يحصل بدراسة الصفات المتنوعة الثابتة عن النبي ﷺ وبيان تنوع فعله لها : إزالة الخلاف الصوري المستند على اختلاف الاختيار بين الصفات الثابتة المتنوعة .

وانظر إلى اختيارات الأئمة بين أنواع السنة الثابتة ، فربما نقل المتأخرون الاختيار ونسبوه لأحد المذاهب القائمة ، فنظر مَن هو غير مؤهل إلى أنه اختلاف قائم يحتاج إلى ترجيح ، فيركن إلى أحدها تقليداً لإمامه ، ويهجر سواه باعتباره مرجوحًا

أو خطأ أو بدعة وضلالة.

ولكن إذا حصل تعلم هدي النبي ﷺ وما جاء عنه من التنوع المشروع: زال السبب لهذا الاختلاف، واعتبرت الصفات المتنوعة المشروعة من الهدي الذي يسوغ فعله كما كان يفعله ﷺ .

ولقد اشتهر نقل صفة صلاة النبي ﷺ عن ابن عباس، وأبي حميد الساعدي، ووائل بن حجر.. وغيرهم (رضي الله عنهم أجمعين)، وقد اختلفوا في نقلهم بحسب ما رأوه من صلاته ﷺ، يقول النووي (رحمه الله) : «الجمع بين حديث ابن عباس وأحاديث أبي حميد ووائل هو: أن النبي ﷺ كانت له في الصلاة أحوال، حال يفعل فيها هذا، وحال يفعل فيها ذاك، كما كانت له أحوال في تطويل القراءة وتخفيفها وغير ذلك من أنواعها، كما هو معلوم من أحواله ﷺ، وكان يفعل العبادة على نوعين وأنواع؛ ليبين الرخصة والجواز بمرة أو مرات قليلة، ويواظب على الأفضل بينهما على أنه المختار والأوْلى، فالحاصل أن كليهما سنَّة، لكن إحدى السنَّتين أكثر وأشهر» [1].

والنووي (رحمه الله) يحكي الإنكار على من جعل التنوع المشروع خلافًا يحتاج إلى ترجيح ، ويرى أنه صفات مشروعة، فيقول: «وأنكروا على إمام الحرمين والغزالي حيث حكياه أوجهاً ، وهي أقوال مشهورة» [2].

وابن رشد القرطبي ينبه على طريق الأخذ بالتخيير بين الأحاديث المختلفة دون تصور التعارض بينها، فلا يحتاج إلى ترجيح، فيقول عن الفقهاء: «وسبب اختلافهم: اختلاف ظنونهم في الأرجح منها، فمن غلب على ظنه حديثٌ ما من هذه الأحاديث: مال إليه، وقد ذهب كثير من الفقهاء إلى أن هذا كله للتخيير»[3].

ويشرح ابن تيمية نشأة الخلاف، وكيف بدأ بتفضيل أمرٍ لم يفضل، وذلك بالمداومة عليه وهجر ما سواه، فيقول: «والسلف كان كل منهم يقرأ ويصلي ويدعو ويذكر على وجه مشروع، وأخَذَ ذلك الوجه عنه أصحابه وأهل بقعته، وقد تكون تلك الوجوه سواء، وقد يكون بعضها أفضل، فجاء في الخلف من يريد أن

١) انظر: المجموع ، ٣/٤٣٩.
٢) انظر: المجموع ، ٣/٤٥٤.
٣) انظر: بداية المجتهد ، ١/١٣٠.

دراسات شرعية

يجعل اختياره لما اختاره لفضله، فجاء الآخر فعارضه في ذلك، ونشأ من ذلك أهواء مردية مضلة، فقد يكون النوعان سواء عند الله ورسوله، فترى كل طائفة طريقها أفضل، وتحب من يوافقها على ذلك، وتُعْرض عمن يفعل ذلك الآخر، فيفضلون ما سوى الله بينه، ويسوون ما فضل الله بينه، وهذا باب من أبواب التفرق والاختلاف الذي دخل على الأمة، وقد نهى عنه الكتاب والسنة، وقد نهى النبي ﷺ عن عين هذا الاختلاف »[1].

وقال (رحمه الله) موضحًا أن هجر المشروع سبب إلى نسيانه، ومن ثم: طريق إلى الاختلاف والعداوة: « وهجران بعض المشروع سبب لوقوع العداوة والبغضاء بين الأمة، قال (تعالى): ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [المائدة: ١٤]، فأخبر (سبحانه) أن نسيانهم حظًا مما ذكروا به سبب لإغراء العداوة والبغضاء بينهم، فإذا اتبع الرجل جميع المشروع المسنون، واستعمل الأنواع المشروعة، هذا تارة، وهذا تارة، كان قد حفظت السنة علماً وعملاً، وزالت المفسدة المخوفة من ترك ذلك »[2].

وقال (رحمه الله) في بيان آثار المداومة على ما لم يداوم عليه الرسول ﷺ: « مبدأ المداومة على ذلك يورث اعتقاداً ومحبة غير مشروعين، ثم يخرج إلى المدح والذم، والأمر والنهي بغير حق، ثم يخرج ذلك إلى نوع من الموالاة والمعاداة غير المشروعين من جنس أخلاق الجاهلية كأخلاق الأوس والخزرج في الجاهلية.. ثم يخرج من ذلك إلى العطاء والمنع... من غير استحقاق شرعي... ثم يخرج من ذلك إلى الحرب والقتال، كما وقع في بعض أرض المشرق، ومبدأ ذلك: تفضيل ما لم تفضله الشريعة والمداومة عليه، وإن لم يعتقد فضله سببًا لاتخاذه فاضلاً اعتقاداً وإرادة: فتكون المداومة على ذلك: إما منهيًا عنها وإما مفضولة، والتنوع في المشروع بحسب ما تنوع فيه الرسول ﷺ أفضل وأكمل »[3]، ويوضح ابن تيمية (رحمه الله) علاقة هجر ما ثبت في السنة بالتفرق والاختلاف، فيقول: « هجر ما وردت به السنة وملازمة غيره، قد يفضي إلى جعل السنة بدعة، والمستحب واجبًا، ويفضي ذلك إلى التفرق... ، مع أن الجميع حسن قد أمر به

---

١) انظر: الفتاوى، ٢٤/٢٤٦.
٢، ٣) انظر: الفتاوى، ٢٤/٢٤٩ ـ ٢٥١.

النبي ﷺ، وإن الضلالة حق الضلالة أن ينهى عما أمر به النبي ﷺ »[1].

ويقول (رحمه الله) : «فإذا كان التنازع في الاستحباب: عُلم الإجماع على جواز ذلك وإجزائه في العبادات، ولم يكن التنازع في الاختيار ضاراً، بل قد يكون النوعان سواء، وإن رجّح بعض الناس بعضها، ولو كان أحدها أفضل لم يجز أن يظلم من يختار المفضول »[2].

ويقول (رحمه الله) في بيان أن العمل بالتنوع المشروع يورث الاتفاق والألفة: « إن ذلك يوجب اجتماع قلوب الأمة وائتلافها، وزوال كثرة التفرق والاختلاف والأهواء بينها، وهذه مصلحة عظيمة، ودفع مفسدة عظيمة، ندب الكتاب والسنة إليها »[3].

وقال الشاطبي: « يقع الاختلاف في العمل لا في الحكم، كاختلاف القراء في وجوه القراءات، فإنهم لم يقرؤوا بما قرؤوا به على إنكار غيره، بل على إجازته والإقرار بصحته، وإنما وقع الخلاف بينهم في الاختيارات، وليس في الحقيقة باختلاف؛ فإن المرويات على الصحة منها لا يختلفون فيها »[4].

وهكذا يكون الأخذ بالسنن المتنوعة طريقاً إلى الاتفاق والائتلاف.

ويحسن أن نختم هذا الأثر بمسألة ذكرها ابن القيم (رحمه الله)، فقد أفاد وأجاد في تطبيق ما تقدم ذكره من أخذه بالتنوع المشروع فيما ثبت من هديه ﷺ في موطن من مواطن الخلاف، فقال (رحمه الله):« أهل الحديث هم أسعد الناس بالحديث، يقنتون حيث قنت رسول الله ﷺ، ويتركونه حيث تركه، فيقتدون به في فعله وتركه، ويقولون: فعله سنة، وتركه سنة، ومع هذا: فلا ينكرون على من داوم عليه، ولا يكرهون فعله، ويرونه بدعة ولا فاعله مخالفاً للسنة، كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل، ولا يرون تركه بدعة ولا تاركه مخالفاً للسنة، بل من قنت فقد أحسن، ومن تركه فقد أحسن، وإذا جهر به الإمام أحياناً ليعلم المأمومين فلا بأس بذلك؛ فقد جهر عمر بالاستفتاح ليعلم المأمومين، وجهر ابن

---

١) انظر: الفتاوى ، ٢٢/٦٦ ـ ٦٩.

٢) انظر : الرسالة الثامنة من مجموع الرسائل المنيرية ، ٣/١٤٦.

٣) انظر: الفتاوى، ٢٤/٢٤٨.

٤) انظر: الموافقات ، ٤/٢١٧.

عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة ليعلمهم أنها سنة، ومن هذا أيضاً : جهر الإمام بالتأمين، وهذا من الاختلاف المباح الذي لا يعنف فيه من فعله ولا من تركه، وهذا كرفع اليدين في الصلاة وتركه، وكالخلاف في أنواع التشهدات، وأنواع الأذان والإقامة»[1].

٢ ـ كمال الاقتداء :

لقد أمر الله عباده بالاقتداء بنبيه ﷺ في قوله (تعالى) : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وخصّ النبي ﷺ عبادات بمزيد اعتناء، فقال في حق الصلاة: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[2].

ومن كمال الاقتداء: فعل كل ما ثبت عنه ﷺ وعدم الاقتصار على نوع دون نوع، بل من اتباع السنة: عدم هجر شيء منه وتعطيله، وإن من كمال الديانة ورسوخ العلم وسلامة المذهب: تتبع السنن ولزومها والحرص على أدائها بآدابها.

قال أبو عثمان الجبري: من أمّر السنة على نفسه قولاً وعملاً نطق بالحكمة.

وقال شاه الكرماني: من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشبهات، وعمّر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعوّد نفسه أكل الحلال: لم تخطئ له فراسة.

وقال أبو العباس بن عطاء: أعظم غفلة: غفلة العبد عن ربه (عز وجل)، وغفلته عن أوامره، وغفلته عن آداب معاملته.

وقال إبراهيم الخوّاص: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما العلم: من اتبع العلم، واستعمله، واقتدى بالسنن، وإن كان قليل العلم.

وقال أبو حمزة البغدادي: من علم طريق الحق، سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله إلا متابعة سنة الرسول ﷺ في أحواله وأفعاله وأقواله.

وقال عبد الله بن منازل: لم يُبْتَلَ أحد بتضييع السنن إلا يوشك أن يبتلى بالبدع[3].

---

١) انظر: زاد المعاد، ١/٢٧٤.

٢) رواه الإمام أحمد، ٥/٥٣، والبخاري، ك/١٠، ب ١٨، ح/٦٣١، وك/٩٥، ب١، ح/٧٢٤٦.

٣) انظر: الاعتصام، ١/١٢٨.

وقال الخطيب البغدادي: «وينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام، باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله (تعالى) يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾»[1].

وقال الغزالي: «اعلم أن مفتاح السعادة في اتباع السنة والاقتداء برسول الله ﷺ في جميع مصادره وموارده، وحركاته وسكناته، حتى في هيئة أكله وقيامه، ونومه وكلامه».

عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: «لا يجعل أحدكم نصيباً للشيطان من صلاته: أن لا ينصرف إلا عن يمينه، وقد رأيت رسول الله ﷺ كثيراً ينصرف عن شماله»[2].

فالشيطان حريص على نقل العبادة الحية التي يستشعر فيها الإنسان كمال الاقتداء بنبيه ﷺ إلى عبادة شبه ميتة، تفعل تباعًا لا روح فيها ولا استشعار لحقيقة الاقتداء والتأسي، لذلك عدّ ابن مسعود فعل الإنسان حالة واحدة على وجه الالتزام والتقيُّد وجعله مثل الواجب الحتم الذي لا يفعل غيره.. عدّ ذلك إعطاءً للشيطان نصيبًا من الصلاة، والله أعلم، حتى قال ابن قدامة: «وفي اتباع السنة: بركة موافقة الشرع، ورضا الرب (سبحانه وتعالى)، ورفع الدرجات، وراحة القلب، ودَعَة البدن، وترغيم الشيطان، وسلوك الصراط المستقيم»[3].

وقال شيخ الإسلام عن العمل بالتنوع المشروع: «والتنوع في المشروع بحسب ما تنوع فيه الرسول ﷺ أفضل وأكمل.

هذا هو اتباع السنة والشريعة؛ فإن النبي ﷺ إذا كان قد فعل هذا تارة وهذا تارة، أو لم يداوم على أحدهما: كان موافقته في ذلك هو التأسي والاتباع المشروع، وهو أن يفعل ما فعل على الوجه الذي فعله لأنه فعله»[4].

وقال شيخ الإسلام: «وإن قيل: إن بعض تلك الأنواع أفضل، فالاقتداء بالنبي

---

١) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ١/٢١٥.

٢) أخرجه البخاري، ح/٨٥٢، ومسلم، ح/٧٠٧.

٣) انظر: ذم الموسوسين، ص ٤١.

٤) انظر: الفتاوى، ٢٤/٢٥٠، ٢٤٨.

ﷺ في أن يفعل هذا تارة وهذا تارة: أفضل من لزوم أحد الأمرين وهجر الآخر»[1].

٣ ـ إحياء السنة :

قال ﷺ : «تقدموا فَأْتموا بي، وليأتم بكم مَن بعدكم»[2].

قال ابن حجر: «وقيل: معناه تعلموا مني أحكام الشريعة، وليتعلم منكم التابعون بعدكم، وكذلك أتباعهم إلى انقراض الدنيا»[3].

ولقد أخذ الصحابة بهذه الوصية حق الأخذ، فرمقوا صلاته ﷺ منفرداً، وإماماً، في بيته، وفي المسجد، في ليل، ونهار، فوصفوا صلاته وما فيها من حركات وسكنات وسكتات وهيئات، حتى سألوا عما خفي عليهم، فقد روى البخاري ومسلم قول أبي هريرة: بأبي وأمي يا رسول الله، إسكاتك بين التكبير والقراءة، ما تقول؟، فأخبره بدعاء الاستفتاح: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي...»، الحديث متفق عليه، ويقول ابن حجر معلقا على ذلك: «وفيه: ما كان الصحابة عليه من المحافظة على تتبع أحوال النبي ﷺ في حركاته وسكناته، وإسراره وإعلانه، حتى حفظ الله بهم الدين»[4].

فعلموا ذلك، وعملوا به، وعلّموه من بعدهم من التابعين، حتى صار ورثًا تفيض به دواوين الإسلام وكتب الفقهاء (رحمهم الله تعالى).

والعلم بالتنوع المشروع طريق للدعوة إلى جميع ما جاء به الشرع المطهر من الصور المختلفة للعبادة الواحدة، ومعلوم ما في ذلك من إحياء للسنة ونشرها وجعلها ظاهرة معروفة سائرة بين الناس، ومعلوم ما في تعليم صورة واحدة من السنة من القصور في نشر السنة كاملة، وربما عُلّل ذلك الاقتصار بالتدرج في تعليم الناس، ولكن التدرج يدل على عقد العزم على تعليم ونشر عامة السنن المتنوعة الثابتة عن النبي ﷺ، فإذا تحقق ذلك زال المحذور.

وإنك لترى وجوهًا من السنن مهجورة، تكاد تندثر بسبب إهمالها؛ لأن «هجر ما وردت به السنة وملازمة غيره، قد يفضي إلى أن يجعل السنة بدعة»[5].

---

١) انظر: الفتاوى، ٢٢/٣٣٧.
٢) رواه مسلم، ٤/١٥٨، وأصحاب السنن.
٣) انظر: الفتح، ٢/٢٠٥.
٤) انظر: الفتح، ٢/٢٣٠.
٥) شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى، ٢٢/٦٦.

والعبادات الواردة على وجوه متنوعة يتنوع العمل فيها لبقاء السنة حية؛ لأنه لو أخذ الناس بوجه وتركوا الآخر لمات الوجه الآخر، فلا يمكن أن تبقى السنة حية إلا إذا كنا نعمل بهذا مرة وبهذا مرة.

قال شيخ الإسلام (رحمه الله): «إن المداومة على نوع دون غيره هجران لبعض المشروع؛ وذلك سبب لنسيانه والإعراض عنه حتى يُعتقد أنه ليس من الدين، بحيث يصير في نفوس كثير من العامة أنه ليس من الدين، وفي نفوس خاصة هذه العامة: عملهم مخالف علمهم؛ فإن علماءهم يعلمون أنه من الدين ثم يتركون بيان ذلك، إما خشية من الخلق، وإما اشتراء بآيات الله ثمناً قليلاً من الرئاسة والمال؛ كما كان عليه أهل الكتاب، كما قد رأينا من تعود أن لايسمع إقامة إلا موتورة أو مشفوعة فإذا سمع الإقامة الأخرى نفر منها وأنكرها، ويصير كأنه سمع أذاناً ليس أذان المسلمين، وكذلك من اعتاد القنوت قبل الركوع أو بعده، فإذا اتبع الرجل جميع المشروع، واستعمل الأنواع المشروعة: حفظ السنة علماً وعملاً، ونكتة هذا الوجه: أنه وإن جاز الاقتصار على فعل نوع، لكن حفظ النوع الآخر من الدين، ليعلم أنه جائز مشروع، وفي العمل به تارة حفظ الشريعة، وترك ذلك قد يكون سبباً لإضاعته ونسيانه»[1].

٤ ـ حفظ السنة وتذكرها :

والعمل بالسنة على وجوه متنوعة سبب في حفظ السنة؛ لأنك لو أهملت إحدى الصفتين نسيت ولم تحفظ.

وصح عن علي (رضي الله عنه) أنه قال: «هتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل»[2]، «وقال وكيع: إذا أردت حفظ الحديث فأعمل به»[3].

وحين أراد ابن الهمام أن يذكر حديث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في الاستفتاح الطويل الذي رواه مسلم، قال: «نسوقه إعانة على حفظ ألفاظ السنة ليتبرك بها في النوافل»[4].

---

١) انظر: الفتاوى، ٢٤/٢٥٠.

٢) مختصر اقتضاء العلم العمل، ص ١٤

٣) انظر: الباعث الحثيث، ص ١٥٣.

٤) انظر: فتح القدير، ١/٢٨٨.

دراسات شرعية

٥ ـ حضور القلب :

العمل بصور الصفات المتنوعة يساعد على استحضار النية وحضور القلب؛ « لأن كثيراً من الناس إذا أخذ بسنة واحدة صار يفعلها على سبيل العادة، ولكن إذا كان يعود نفسه أن يقول أو يعمل هذا مرة وهذا مرة صار منتبهاً للسنة »[١]، وصار غير شارد في صلاته وعبادته، طارداً للسآمة والخمول عن عبادته، مستحضراً الإخلاص لله والاقتداء بنبيه (عليه الصلاة والسلام)، وهذا من أقوى الأسباب التي تعين العبد على الخشوع في صلاته، ومن ثم : تحصيل الأثر المرجو من ذلك الوعد في قوله (تعالى) : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وقوله ﷺ : « خمس صلوات افترضهن الله (عز وجل)، من أحسن وضوءهن، وصلاتهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن: كان له على الله أن يغفر له »[٢].

٦ ـ طريق للمسابقة إلى الخيرات :

يحصل بنشر الصفات المتنوعة تقريب أبواب مشروعة للتسابق إلى فعل الخيرات، وإن من المعلوم أن الاقتصار على ميادين محدودة في الدعوة إلى الله، أو على أبواب أوَّليَّة، إنما يكون محموداً إذا كان لتحبيب فئة من الغافلين المقصرين في جنب الله إلى فعل السنن والتزود من الطاعات، أما أن يكون هذا هو غاية ما يدعو إليه الداعون على مدى سنوات عديدة فلا، وإنه لحقٌّ للنفوس التي قطعت شوطاً في الاستقامة على أمر الله والتنافس في الخيرات أن تقرب أمامها جميع الأبواب المشروعة لفعل الخيرات.

٧ ـ العمل بالأنواع المشروعة يخرج الجائز المسنون من أن يشبّه بالواجب :

فإن المداومة على المستحب أو الجائز مشبهة بالواجب، ولهذا: أكثر هؤلاء المداومين على بعض الأنواع الجائزة أو المستحبة لو انتقل عنه لنفر عنه قلبه وقلب غيره، أكثر مما ينفر عن ترك كثير من الواجبات؛ لأجل العادة التي جعلت الجائز كالواجب[٣].

---

١) انظر: الشرح الممتع، ٣/٣٧.

٢) رواه مالك، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان، عن عبادة بن الصامت، وصححه النووي في المجموع، ٣/١٧، وكذا الألباني في صحيح سنن أبي داود، ح/٤٥١ و ١٢٧٦.

٣) انظر: الفتاوى، ٢٤/٢٤٨.

٨ ـ في العمل بالأنواع المشروعة تحصيل مصلحة كل واحد من تلك الأنواع؛
« فإن كل نوع لا بد له من خاصة، وإن كان مرجوحًا، فكيف إذا كان مساويًا، وقد يكون المرجوح راجحًا في مواضع »[٢].

٩ ـ العمل بالأنواع المشروعة وضع لكثير من الآصار والأغلال التي وضعها الشيطان على الأمة بلا كتاب من الله، ولا أثارة من علم؛ فإن مداومة الإنسان على أمر جائز مرجحٌ له على غيره، ترجيحًا يحب من يوافقه عليه، ولا يحب من لا يوافقه عليه، بل ربما أبغضه بحيث ينكر عليه تركه له، ويكون ذلك سببًا لترك حقوق له وعليه يوجب أن ذلك يصير إصرًا عليه لا يمكنه تركه، وغلاً في عنقه يمنعه أن يفعل بعض ما أمر به، وقد يوقعه في بعض ما نُهِيَ عنه[٣].

وهذا مصداق قول عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : « لا يجعل أحدكم نصيبًا للشيطان من صلاته أن لا ينصرف إلا عن يمنيه... » الحديث متفق عليه.

١٠ ـ العمل بالأنواع المشروعة عدل بين شرائع الدين :

« فإن الله يأمر بالعدل والإحسان، والعدل: التسوية بين المتماثلين، ومن أعظم العدل: العدل بين الأمور الدينية، فإن العدل في أمر الدنيا من الدماء والأموال كالقصاص والمواريث ـ وإن كان واجبًا، وتركه ظلم ـ فالعدل في أمر الدين أعظم منه، وهو العدل بين شرائع الدين وبين أهله، فإذا كان الشارع قد ساوى بين عملين أو عاملين: كان تفضيل أحدهما من الظلم العظيم، وإذا فضّل بينهما: كانت التسوية كذلك، والتفضيل أو التسوية بالظن وهوى النفوس من جنس دين الكفار، فإن جميع أهل الملل والنحل يفضل أحدهم دينه، إما ظنًا، أو هوًى ، وإما اعتقادًا، وإما اقتصادًا ، وهو سبب التمبسك به وذم غيره، فإذا كان رسول الله قد شرع تلك الأنواع، إما بقوله، وإما بفعله، وكثير منها لم يفضل بعضها على بعض: كانت التسوية بينها من العدل، والتفضيل من الظلم »[٣].

نسأل الله (عز وجل) أن يفقهنا في الدين ويهدينا سبل الرشاد.

---

١) انظر : الفتاوى ، ٢٤ /٢٤٨.
٢) انظر: الفتاوى ، ٢٤ /٢٤٩.
٣) انظر: الفتاوى ، ٢٤ /٢٥١.

مسألة في رمي الجمرات

بقلم :
الشيخ/ عبد الله بن حسن القعود



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وبعد :

■ فإن شبه المجيزين لرمي جمرات اليوم الحادي عشر في الليلة التالية له، وكذلك رمي جمرات اليوم الثاني عشر في الليلة التالية له، هي - فيما يظهر لي - ما يلي :

١ - قولهم : إن الرسول ﷺ رمى نهاراً، ولم يحدد نهاية وقت الرمي .

٢ - عموم حديث البخاري : أن رجلاً قال يوم العيد لرسول الله ﷺ : رميت بعدما أمسيت، فقال ﷺ : « لا حرج » .

٣ - قولهم : ليلة العاشر أُتبعت باليوم الذي قبلها باعتبارها وقت وقوف بعرفة، فكذلك تتبع الليلة التالية للحادي عشر به باعتبارها وقت رمي، وكذلك التالية للثاني عشر.

٤ - حديث : أنه (عليه الصلاة والسلام) رخص للرعاء أن يرموا ليلاً .

٥ - عمومات نصوص التيسير ورفع الحرج .

والجواب عند من يرى أن الأصل في وقت رمي جمرات أيام التشريق : انتهاؤه بغروب الشمس - وهو الحق - ما يلي :

١ - الأصل في العبادات التوقف حتى يقوم الدليل، سواءً في إنشائها أو كيفيتها أو وقتها، فقياس الليلة التالية للحادي عشر - وكذلك الليلة التالية للثاني عشر - على ليلة العاشر لا يجوز؛ فلا قياس في العبادات، والكل مجمعون على أن الليلة التالية للثالث عشر لا تتبعه .

٢ - الأصل في العبادات الأخذ بالحقائق والمسميات الشرعية، لا بمجرد الألفاظ اللغوية فحسب، كمسمى الصلاة، ومسمى الزكاة، ومسمى الوضوء ، والتيمم.. ومسمى اليوم - كما هو معروف في الصيام وغيره -: من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

٣ ـ أفعال الرسول ﷺ بيانٌ لواجب مجمل في الحج، وما كان بيانًا لواجب مجمل فهو واجب إلا ما خرج بدليل، وقد رمى (عليه الصلاة والسلام) يوم العيد ضحًى، ورمى أيام التشريق بعد زوال الشمس، وإن ابن عمر (رضي الله عنه) المعروف بتحريه، الذي جاء عنه: «كنا نتحين»، روى عنه البيهقي قوله: «من نسي أيام الجمار ـ أو قال: رمي الجمار ـ إلى الليل: فلا يرمِ حتى تزول الشمس»، وقوله: «من غربت له الشمس في أوسط أيام التشريق فلا ينفرن حتى يرمي الجمار من الغد».

٤ ـ حديث «رميت بعدما أمسيت» جاء في رمي جمرة العقبة يوم العيد لا في جمرات أيام التشريق، على اختلاف في تفسير هذا المساء: أهو ما بعد الزوال، أم ما بعد الغروب إلى غياب الشفق، أم هو إلى نصف الليل، والظاهر: إنه في هذا الحديث ما بعد الزوال؛ لقرائن الحال، وسبق أن لا قياس في العبادات.

٥ ـ حديث (أن الرسول ﷺ رخص للرعاء أن يرموا بالليل وأية ساعة شاؤوا من النهار) سنده ضعيف، ولفظه فيه إطلاق يستوجب النظر، وهو قوله: أية ساعة، وعلى فرض صحته فهو يدل على أن الرمي نهارًا لا ليلاً؛ لأن الرخصة يقابلها عزيمة.

٦ ـ دعوى أن الرسول ﷺ لم يحدد آخر وقت الرمي محل نظر، بل فيها تجاوز في القول والرأي بلا مستند؛ فالصحابة والمسلمون يعرفون مسمى اليوم، وفي قوله ﷺ: «.. ثم يرمون ليومين، ثم يرمون يوم النفر»، وقول الله (سبحانه): ﴿**فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ**﴾ [البقرة: ٢٠٣]، ما يدل على مسمى اليوم الشرعي في الحج، ثم أيهما أقرب إلى الحق وأحوط في هذا الأمر، أهو الذي يأخذ بالحقائق الشرعية ومسمى اليوم لغة وشرعًا، أم الذي يمد وقت الرمي إلى نصف الليل أو إلى الفجر أو إلى غير حدٍّ بدون دليل على التمديد، وذا يلزم من تفوه بمقولته الجريئة: الرسول لم يحدد؟.

أما ما قيل من وجود زحام ومشقة تبيح الرمي ليلاً: فقد أُجيب عنه في النقل الآتي، ولمزيد الفائدة أذكر للقارئ الكريم أن سماحة مفتي المملكة في وقته الشيخ «محمد بن إبراهيم آل الشيخ»، وسماحة والدنا الشيخ «عبد العزيز بن عبد الله بن باز»، وعددًا من المشايخ (رحم الله الجميع أحياءً وأمواتًا) قرروا في مواجهتهم للشيخ «عبد الله المحمود» في فتواه بجواز الرمي ليلاً: أن وقت رمي الجمرات أيام التشريق: ما

بين الزوال إلى غروب الشمس[1] ، وأن سماحة الشيخ «عبد الله بن محمد بن حميد» رئيس المجلس الأعلى للقضاء في حياته (رحمه الله) كتب ـ عندما استفتوه بجواز الرمي ليلاً ـ ما نصه: «لا يجوز رمي الجمرات ليلاً؛ للأمور الآتية:

أولاً: لم يُنقل عن الرسول ﷺ أنه رمى ليلاً، أو أقره، وهو القائل (صلوات الله وسلامه عليه): «خذوا عني مناسككم»، وما عرف الرمي قربة إلا بفعله ﷺ، ولا شيء أحسن من التمسك بهديه، والاقتداء بأفعاله، والأخذ بما عليه سلف هذه الأمة وأئمتها الذين هم القدوة، فقد جرى عمل الصحابة (رضوان الله عليهم) في حجهم أنهم لا يرمون إلا نهاراً، وكثير منهم يحج في كل عام، فما ثبت أن أحداً منهم رمى ليلاً.

ثانيًا: ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، قال: رمى رسول الله ﷺ يوم النحر ضحى، وأما بعد ذلك: فإذا زالت الشمس، ورميه ﷺ جمرة العقبة يوم النحر ضحى وفي أيام التشريق بعد الزوال: دليل على الوجوب؛ لأنه فعله ﷺ مشرعًا لأمته على وجه الامتثال والتفسير، فكان حكمه حكم الأمر.. وهو داخل في عموم قوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم»، قال شيخ الإسلام «ابن تيمية» (رحمه الله) في شرح العمدة: «والفعل إذا خرج مخرج الامتثال والتفسير كان حكمه حكم الأمر».

ثالثًا: ما رواه البيهقي في سننه عن ابن عمر (رضي الله عنه): «من نسي أيام الجمار ـ أو قال: رمي الجمار ـ إلى الليل فلا يرمِ حتى تزول الشمس من الغد، فهذا صريح من ابن عمر (رضي الله عنه) بأن من نسي رمي الجمار إلى الليل أنه لا يرمي حتى تزول الشمس من الغد، ولو لم يكن في معلوم ابن عمر منع الرمي ليلاً لما قال: لا يرم حتى تزول الشمس.

رابعًا: مما يدل على منع الرمي ليلاً: ما رواه مالك في الموطأ، عن يحيى بن سعيد، عن عطاء ابن أبي رباح: أنه سمعه يذكر أنه رخص للرعاء أن يرموا بالليل، يقول في الزمن الأول، والتعبير بالرخصة يقتضي أن مقابلها عزيمة، وأن الإذن وقع للعلة المذكورة، وإذا لم توجد أو ما في معناها لم يحصل.

ومثله ما رواه البيهقي في السنن، والطحاوي في شرح معاني الآثار، عن عطاء

---

١) فتاوى الشيخ «محمد بن إبراهيم»، جـ٦، ص ٦٩.

دراسات شرعية

ابن أبي رباح، قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله ﷺ: «الراعي يرمي بالليل، ويرعى بالنهار».

خامسا : ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: «كان رسول الله ﷺ يُسأل يوم النحر بمنى، فيقول: لا حرج، فسأله رجل فقال: حلقت قبل أن أذبح، قال: اذبح ولا حرج، فقال: رميت بعدما أمسيت، فقال: لا حرج..» فهذا صريح في وقوع الرمي نهاراً ؛ فالمساء يقصد به ما بعد الزوال، لأن ـ لغة ـ العرب يسمون ما بعده مساءً وعشاءً ورواحًا، كما في الموطأ عن القاسم بن محمد أنه قال: ما أدركت الناس إلا وهم يصلون الظهر بعشي، وإنما يريد تأخيرها عن الوقت الذي في شدة الحر إلى وقت الإبراد، ولوقوع السؤال يوم النحر، إذ لا يكون اليوم إلا قبل مغيب الشمس، قال الموفق: ولأن القائل: «رميت بعدما أمسيت» أشكل عليه رميه مساء بعد الزوال؛ لعلمه أن النبي ﷺ رمى يوم النحر ضحًى، وأن رميه لم يوافق زمن رمي النبي ﷺ، فلهذا قال : رميت بعدما أمسيت، فاحتاج إلى أن يسأله بقوله: «رميت بعدما أمسيت»، أي: إن رميه وقع في آخر النهار، ورمي النبي ﷺ كان في أوله، فقال له الرسول ﷺ: ارمِ ولا حرج، ولأن رمي الجمار عبادة نهارية أشبه بالصوم لا يقع ليلاً، وقد استمر عمل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة (رضي الله عنهم) في اختصاص رميهم بالنهار، والخير والبركة في اتباع سبيلهم والاقتداء بآثارهم وعدم الخروج عما كانوا عليه (رضوان الله عليهم أجمعين) ، وهذا القول هو مذهب الإمام أحمد، ومذهب أهل الحديث، وقول طائفة من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي.

ودعوى وقوع المشقة وكثرة الزحام في الرمي لكثرة الوافدين يبيح الرمي ليلاً، مردودة بأن المشقة وكثرة الزحام موجود في زمن النبي ﷺ، ومع هذا لم يرخص لهم في الرمي ليلاً ولا في أيام التشريق قبل الزوال كما في حديث أم جندب (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً، فإذا رميت الجمرة، فارموا بمثل حصى الخذف» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة»[1]، والله اعلم.

وبالله التوفيق، وصلى الله على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١) حاشية منسك الشيخ عبد الله بن حميد.



لماذا ندرس حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟

بقلم: عبدالعزيز بن ناصر الجليِّل

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد :

فإن مهمة الرسل (عليهم الصلاة السلام) مهمة عظيمة شريفة، يجب أن يعرفها الناس ويفقهوها، ويعرفوا حقوق هؤلاء الرسل الكرام ويتخذوها منهاجًا، يهتدون بهديه، وبخاصة من نسب نفسه إلى الدعوة إلى الله (تعالى)، حيث يتعين عليه دراسة حياة رسل الله (عز وجل) ليترسم طريقهم إن أراد الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

ولما كانت حياتهم (عليهم الصلاة والسلام) هي حياة الكمّل من الناس، الذين اختارهم الله (عز وجل) عن علم وحكمة، واصطفاهم على البشر: كان لا بد أن نتعرف على هذه الحياة المباركة، التي صُنعت على عين الله (تبارك وتعالى)، كما كان لزامًا على من أراد لنفسه النجاة في الدنيا والآخرة ـ فردًا كان أو جماعة ـ أن يدرس هذه الحياة المباركة، وبخاصة في عصور الغربة والغرباء كعصرنا الحاضر؛ علّها أن تكون نبراسًا لحياتنا، ونجاة لأمتنا مما هي فيه ـ في كثير من البلدان ـ من واقع أليم.

ويمكن إبراز أهمية دراسة حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) من خلال أمور كثيرة، أهمها ما يلي:

أولاً : لأننا مأمورون من الله (عز وجل) بالاقتداء بهم والتأسي بهديهم، وفي ذلك طاعة لله (سبحانه) وعبادة له قبل كل شيء، ومن

هذه الآيات: ما ذكره الله (عز وجل) في سورة الأنعام من شأن بعض أنبيائه ورسله، ثم ختم هذه الآيات بأمر الرسول ﷺ بالاقتداء بهديهم، والأمر له ﷺ أمر لأمته، قال الله (تعالى): ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٩٠].

قال الطبري (رحمه الله تعالى) عند الآية الأخيرة: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾: «يقول الله (تعالى ذكره): ﴿أُولَٰئِكَ﴾ هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين، هم الذين هداهم الله لدين الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم (جل ثناؤه) لذلك، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، يقول (تعالى ذكره): فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم ﴿اقْتَدِهْ﴾ يا محمد، أي: فاعمل وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاج من سلكه اهتدى»[1].

والأمر له ﷺ أمر لأمته، لقوله (تعالى): ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

---

١) تفسير الطبري، ت: شاكر، عند الآية (٩٠) من سورة الأنعام.



وقال صاحب المنار (رحمه الله تعالى): «فمعنى الجملة على هذا: أولئك الأنبياء الثمانية عشر الذين ذكرت أسماؤهم في الآيات المتلوة آنفًا والموصوفون في الآية الأخيرة بإيتاء الله إياهم الكتاب والحكم والنبوة، هم الذين هداهم الله (تعالى) الهداية الكاملة، فبهداهم ـ دون ما يغايره ويخالفه من أعمال غيرهم وهفوات بعضهم ـ اقتد أيها الرسول فيما يتناوله كسبك وعملك، مما بعثت به من تبليغ الدعوة وإقامة الحجة، والصبر على التكذيب والجحود وإيذاء أهل العناد والجحود، ومقلدة الآباء والجدود، وإعطاء كل حال حقها من مكارم الأخلاق وأحاسن الأعمال، كالصبر والشكر، والشجاعة والحلم، والإيثار والزهد، والسخاء والبذل، والحكم بالعدل» [1].

ومن الآيات التي ورد فيها أيضًا الأمر بالاقتداء بهدي الأنبياء: قوله (تعالى): ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال الشوكاني (رحمه الله تعالى): «وقوله (تعالى): ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ متعلق بأسوة أو بحسنة، أو هو نعت لأسوة، أو حال من الضمير المستتر في حسنة، أو خبر كان، و ﴿لَكُمْ﴾ للبيان، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ هم أصحابه المؤمنون، وقال ابن زيد: هم الأنبياء» [2].

ومن الآيات الواردة في الأمر بالاهتداء بهدي الأنبياء: ما شرعه الله (عز وجل) في سورة الفاتحة في كل صلاة أن ندعوه (سبحانه) بأن يهدينا صراطهم المستقيم، وذلك في قوله (تعالى): ﴿... اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ...﴾، وأول من

١) تفسير المنار، عند الآية (٩٠) من سورة الأنعام. ٢) فتح القدير، ٥/٢٠٦.

يدخل في وصف المنعَم عليهم هم أنبياء الله (تعالى) وأتباعهم؛ وذلك لقوله (تعالى) ـ بعد أن ذكر جملة من الأنبياء الكرام في سورة مريم ـ : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[مريم :٥٨] .

ثانيًا : لأن حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) هي الحياة المعصومة، خاصة فيما يتعلق بالعقيدة وما أُمروا بتبليغه؛ ذلك لأن الله (تعالى) اجتباهم واصطفاهم عن علم وحكمة؛ قال (تعالى) : ﴿ ...وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا .... ﴾، وقال (سبحانه) عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم الصلاة والسلام) : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [سورة (ص) : ٤٦، ٤٧]، وقال عن نبيه موسى (عليه الصلاة والسلام) : ﴿ ... وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩]، وقال عن علمه (سبحانه) بمن يختار من رسله : ﴿ ... اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ... ﴾ [الأنعام : ١٢٤]، وقال (سبحانه) : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ... ﴾ [الحج : ٧٥]، والآيات في ذلك كثيرة، والحاصل منها : أن من اصطفاه الله (عز وجل) واجتباه لرسالته هم أولى بالاتباع والاقتداء؛ وذلك لحفظ الله (عز وجل) لهم وعصمته لهم من الزلل والانحراف، ولو وقع منهم الخطأ لم يُقَرُّوا على ذلك، فحري بمن هذه صفاتهم أن يُقتدى بهم، وتُدرس حياتهم، ويُتعرف على هديهم؛ وذلك لضمان الاهتداء وعدم الانحراف، لهداية الله (عز وجل) لهم وعصمته لهم، فيتم الاقتداء من المقتدين وهم في غاية الاطمئنان على صحة ما يأخذونه ويقتدون به وسلامته من الانحراف .

ثالثًا : في دراسة حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) أكبر العظات والعبر للدعاة إلى الله (عز وجل) في كل مكان وزمان؛ سواء ما يتعلق بالإيمان العظيم والتوحيد الصادق الذي عليه أنبياء الله (عز وجل)، أو فيما يتعلق بأخلاقهم وسلوكهم، أو بهديهم ومنهجهم، وصبرهم في الدعوة، والصراع مع



الباطل وأهله، وإبراز هذه الجوانب من حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) هو من أهم أغراض ورود قصص الأنبياء في القرآن الكريم؛ حيث لم تأت لمجرد التسلية والمعرفة التاريخية فقط، وإنما جاءت للاقتداء والتأسي بتوحيدهم لله والدعوة إليه، والتعزي بحياتهم وصبرهم وجهادهم؛ حتى لا تفتر عزائم الدعاة ويضعف صبرهم، فلهم في هذا السلف المبارك أكبر عزاء وقدوة في الثبات وشحذ الهمم.

يقول شيخ الإسلام (رحمه الله تعالى): «وفي قصص هذه الأمور عبرة للمؤمنين بهم؛ فإنهم لا بد أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك ولا ييأسوا إذا ابتلوا بذلك، ويعلموا أنه قد ابتلي به من هو خير منهم، وكانت العاقبة إلى خير، فليتيقن المرتاب، ويتب المذنب، ويقو إيمان المؤمنين، فبها يصح الاتساء بالأنبياء» [1].

رابعاً: وتأتي دراسة حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في عصرنا الحاضر ونحن في أشد الحاجة إلى دراستها من أي وقت مضى؛ وذلك لما يشهده عصرنا من غربة في أحوال كثير من المسلمين وفرقة بين دعاة الحق، وتسلط الأعداء، وكيد المنافقين، وتخبط في بعض المناهج الدعوية ما بين يائس، ومداهن، ومستعجل، وهذا يبرز أهمية التعرف على حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في واقعنا المعاصر؛ لعلّ في الدراسة المتجردة الواعية لهذه الحياة المباركة أن يقي الله (سبحانه) بها من التخبط والانحراف، وأن يهدينا بها إلى الصراط المستقيم الذي يوحد صفوفنا، ويبطل كيد أعدائنا، ويوصلنا في النهاية إلى النصر والتمكين الذي نصر الله (عز وجل) به أنبياءه والمتبعين لهم بإحسان.

خامساً: في دراسة حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) تعرف على سنن الله (عز وجل) في التغيير، وتعرف على سننه (سبحانه) في الدفع والمدافعة، كما أنها تكشف للدعاة إلى الله (عز

١) مجموع الفتاوى، ١٥/ ١٧٨.

وجل) ذلك الصراع الطويل المرير بين الحق والباطل، وفي هذا أكبر العزاء لأهل الحق؛ وذلك لإيمانهم بحتمية هذا الصراع، وأن الدولة والعاقبة في نهاية الأمر للحق وأهله، وهذا كله لا يبرز بوضوح كما يبرز في حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) وصراعهم مع أقوامهم: بالحجة والبيان، والهجرة، والجهاد، حتى أتاهم الله (تعالى) بنصره وتمكينه؛ قال (تعالى): ﴿ ... وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال (تعالى): ﴿ ... وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال (تعالى): ﴿ ... وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقال (سبحانه) عن السنن: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وإن في التعرف على هذه السنن الربانية لأعظم فائدة في تجنب الأخطاء وتوقي موارد الهلكة، ومعرفة أسباب النصر والتمكين.

يقول الإمام ابن تيمية (رحمه الله تعالى): « ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم يصح الاعتبار بها؛ لأن الاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره؛ كالأمثال المضروبة في القرآن »(١).

ومن السنن التي يمكن التعرف عليها من خلال دراسة حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ما يلي:

١ ـ سوء عاقبة المكذبين للرسل وإهلاكهم.

٢ ـ نصره (سبحانه) لعباده المؤمنين .

٣ ـ مداولة الأيام بين الناس من الشدة إلى الرخاء.

---

١) جامع الرسائل ، ص ٥٥.

٤ ـ زوال الأمم بسبب الترف، والفساد، وفشو الظلم، والتجبر على الناس.

٥ ـ أن البشر يتحملون مسؤوليتهم في الخير والشر.

٦ ـ أن انهيار الأمم وهلاكها يكون بأجل .

٧ ـ أن الابتلاء للمؤمنين سنة جارية.

٨ ـ تقرير سنة التدافع والصراع بين الحق والباطل[١] .

سادساً: ولعل في دراسة حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) بصدق ورغبة في اتباع هديهم سبيلاً إلى الانتظام في سلكهم والسير في قافلتهم المباركة، ولعل الله (عز وجل) أن يلحق من هذه نيته بركبهم الميمون، وأن يحشره في زمرتهم، فيصدق عليه قول الله (تعالى): **﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾** [النساء: ٦٩، ٧٠]، نسأله (سبحانه) أن يفيض علينا رضاه وجنته، وأن ينعم علينا باللحوق بهذه الصفوة المباركة باتباعنا لهم، وحبنا إياهم، وإن قصرت أعمالنا وأحوالنا عنهم كثيراً كثيراً.

فعن أنس (رضي الله عنه): «أن رجلاً سأل الرسول ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها ؟» قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: «أنت مع من أحببت»، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل أعمالهم»[٢].

يعلق الشيخ السعدي (رحمه الله تعالى) على صفات عباد الرحمن

١) انظر لمزيد من التفصيل: منهج التاريخ الإسلامي، للدكتور محمد بن صامل السلمي، ص ٥٨ ـ ٧٤.

٢) البخاري ، ح/٦١٦٧ في كتاب الأدب، ومسلم ،ح/٢٦٣٩ في كتاب البر والصلة.

الواردة في آخر سورة الفرقان ـ ورسل الله (عليهم الصلاة والسلام) أول من تصدق عليهم هذه الصفات ـ فيقول : « ما أعلى هذه الصفات، وأرفع هذه الهمم، وأجل هذه المطالب، وأزكى تلك النفوس، وأطهر تلك القلوب، وأصفى هؤلاء الصفوة، وأتقى هؤلاء السادة... ولله منّة الله على عباده، أن بيّن لهم أوصافهم، ونعت لهم هيئاتهم، وبين لهم هممهم، وأوضح لهم أجورهم؛ ليشتاقوا إلى الاتصاف بهم، ويبذلوا جهدهم في ذلك، ويسألوا الذي منّ عليهم وأكرمهم ـ الذي فضْلُه في كل مكان وزمان، وفي كل وقت وأوان ـ أن يهديهم كما هداهم، ويتولاهم بتربيته الخاصة كما تولاهم، فاللّهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان ، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك، لا نملك لأنفسنا نفعًا ولا ضرًّا ، ولا نقدر على مثقال ذرة من الخير إن لم تيسر ذلك لنا، فإنا ضعفاء عاجزون من كل وجه، نشهد أنك إن وكلتنا إلى أنفسنا طرفة عين وكلتنا إلى ضعف وعجز وخطيئة، فلا نثق يا ربنا إلا برحمتك التي بها خلقتنا ورزقتنا وأنعمت علينا بما أنعمت من النعم الظاهرة والباطنة، فارحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك، فلا خاب من سألك ورجاك »[1] .

---

١) تفسير السعدي ، ٣ / ٤٥٥ .

آراء وتأملات في فقه الزكاة

(٢)

د. محمد بن عبدالله الشباني

دراسات اقتصادية

في الحلقة السابقة تمت مناقشة أنواع الأموال التي أشار القرآن الكريم إلى وجوب زكاتها، وإلى المفهوم اللغوي لكلمة المال، وفي هذه الحلقة سيتم مناقشة القواعد والضوابط والشروط التي تحدد صفة المال الذي تجب فيه الزكاة:

ضوابط ما يجب زكاته من أموال:

يختلف المعنى الشرعي للمال لدى فقهاء المذاهب، فمنهم من يرى: أن المال هو كل ما يمكن حيازته والانتفاع به على وجه معتاد، وقد اختُلف حول مفهوم الحيازة لدى الشافعية والمالكية والحنابلة، إذ لا يقتصر مفهوم الحيازة على إمكان إحرازه بنفسه، بل يكتفى بحيازة أصله ومصدره، وبحسب هذا المفهوم للحيازة تكون المنافع أموالاً[١].

على ضوء ما سبق من مفهوم للمال سواء وفق المفهوم اللغوي أو الشرعي، فهل يمكن اعتبار كل ما يملكه الإنسان مما له قيمة مالاً، وبالتالي تجب فيه الزكاة مهما يكن مقداره ومهما تكن الحاجة إليه؟.

إن الإجابة على هذا التساؤل تتم من خلال دراسة ضوابط وشروط المال الذي تجب فيه الزكاة.

وتتمثل هذه الضوابط والقواعد في الأمور التالية:

الضابط الأول: تمام الملك:

ويقصد به الحيازة وحق التصرف فيه، أما حقيقة الملك فهي لله وحده؛

١) انظر: فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، جـ١، ص ١٢٥.

فهو منشئه وخالقه، وواهبه ورازقه، يقول (تعالى): ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، ويقول: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، أما ملك الإنسان للمال فهو ملك حيازة وتصرف وانتفاع، لا تملك إيجاد وإنشاء؛ لهذا نرى أن القرآن الكريم حينما يضيف المال إلى الإنسان فهو يؤكد هذا المعنى، كما في قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ [المنافقون: ٩]، وقوله (تعالى): ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣]، وقوله (تعالى): ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢]، فتمام الملك في المفهوم الشرعي ـ كما عرّفه القرافي في (الفروق) ـ هو: «حكم شرعي قُدِّر وجوده في عين أو في منفعة، يقتضي تمكين من أضيف إليه من الأشخاص من انتفاعه بالعين أو بالمنفعة أو الاعتياض عنها ما لم يوجد مانع من ذلك»[(١)].

يرتب هذا الشرط على المال بعض الأحكام، من حيث أن يكون مرجواً غير ميئوس منه، وهذا الأمر يقتضي إما وجوب الزكاة أو عدم وجوبها، فمثلاً عدم وجوب الزكاة على أموال الدولة التي تجبيها مثل أموال الزكاة أو ما تمتلكه ملكية عامة مثل المرافق المنتجة المملوكة بالكامل للدولة، حيث إن عائد هذه الملكية وأصل المال يرجع إلى المسلمين بأجمعهم، وما تكسبه الدولة من هذا المال تصرفه على مصالح المسلمين.

كما يترتب على مفهوم تمام الملك موضوع الديون ومدى وجوب الزكاة فيها، وعلى من تجب؟: على الدائن أم المدين؟، ومتى يتحقق الوجوب؟.

إن موضوع الديون من الموضوعات المهمة بالنسبة لتحديد وعاء الزكاة؛ ولهذا: نرى اختلاف الفقهاء (رحمهم الله) حول الديون ومدى وجوب الزكاة فيها، ويقسم جمهور الفقهاء الدَّين إلى نوعين:

١ ـ دين مرجو الأداء، بأن يكون لدى موسر مقر بالدين، فهذا يزكى مع المال في كل حول، وقد روى أبو عبيد القاسم بن سلام رأي علماء السلف في ذلك بأن يزكى مع المال الحاضر؛ لما رواه عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

١) نقلاً عن المصدر السابق، ص ١٢٩.

دراسات اقتصادية

أنه كان إذا أخرج العطاء أخذ الزكاة من شاهد المال عن الغائب والشاهد.

كما روى ذلك عن عثمان (رضي الله عنه) وأنه كان يقول: «إن الصدقة تجب في الدين الذي لو شئت تقاضيته من صاحبه، والذي هو على مليء تدعه حياء أو مصانعة، ففيه الصدقة»، كما روى عن ابن عمر (رضي الله عنه) أنه كان يقول: «كل دين لك ترجو أخذه فإن عليك زكاته كلما حال الحول»، كما روى ذلك عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه)، وقد وافق عدد من التابعين هؤلاء الصحابة، منهم: مجاهد، ومروان بن مهران [1].

٢ ـ الدين غير المرجو تحصيله، ففيه مذاهب، هي:

الأول: تزكيته عند القبض لما مضى من السنين، وهو مذهب علي وتابعه ابن عباس (رضي الله عنهم)، فكان علي (رضي الله عنه) يقول في الدين المشكوك فيه: «إن كان صادقًا فيزكه إذا قبضه لما مضى»، ويقول ابن عباس (رضي الله عنه): «إذا لم ترج أخذه فلا تزكه حتى تأخذه، فإذا أخذته: فزكٍّ عنه ما عليه».

الثاني: تزكيته عند القبض لسنة واحدة، وهو مذهب الحسن، فقد روى أبو عبيد عنه أنه كان يقول: «إذا كان للرجل دين حيث لا يرجوه فأخذه بعد: فليؤد زكاته سنة واحدة»[2].

وكان يقول بذلك عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)، فقد روى عنه ميمون بن مهران قائلا: «كتب إليَّ عمر بن عبد العزيز في مال رده عليَّ رجل، فأمرني أن آخذ منه زكاة ما مضى من السنين، ثم أردفني كتابًا أنه كان مالاً ضماراً فخذ منه زكاة عامه»[3].

الثالث: أنه لا زكاة عليه، وهو مذهب أبي حنيفة، باعتباره مثل المال المستفاد، يستأنف به صاحبه الحول، فلا زكاة فيه [4].

وقد اختار أبو عبيد القاسم بن سلام الرأي الأول فيما يتعلق بالدين

---

١) الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ص ٥٢٦ ـ ٥٢٧. ٢) المرجع السابق، ص ٥٢٨.
٣) المال الضمار: هو الذي لا يظن صاحبه الحصول عليه، انظر: المرجع السابق، ص ٥٢٨.
٤) انظر: المصدر السابق.

المرجو: أنه لا زكاة فيه حتى يتم قبضه وتزكيته عما مضى، وعلل رأيه بقوله: «وإنما اختاروا ـ من اختار منهم ـ تزكية الدين مع عين المال؛ لأن من ترك ذلك حتى يصير إلى القبض لم يكن يقف من زكاة دينه على حد، ولم يقم بأدائها؛ وذلك أن الدين ربما اقتضاه ربه متقطعًا كالدراهم الخمسة والعشرة وأكثر من ذلك وأقل، فهو يحتاج في كل درهم يقتضيه مما فوق ذلك إلى معرفة ما غاب عنه من السنين والشهور والأيام، ثم يخرج من زكاته لحساب ما يصيبه، وفي أقل من هذا ما تكون الملامة والتفريط، ولهذا: أخذوا بالاحتياط، فقالوا: تزكيته مع جملة ماله في رأس الحول، وهو عندي وجه الأمر، وهذا كله في الدين المرجو الذي يكون على الثقات»[1].

ونحن نميل إلى هذا الرأي فيما يتعلق بالدين المرجو، أما بالنسبة للدين غير المرجو والمشكوك في تحصيله: فنميل إلى الأخذ بالمذهب الثاني، وقد أخذ به من الفقهاء المعاصرين: فضيلة الدكتور «القرضاوي»[2]، وهو أن يتم تزكيته عند قبضه لعام واحد، باعتباره ميئوسًا منه، وأنه بمثابة المال المستفاد الذي يتم إخراج زكاته عند تحصيله دون اشتراط الحول.

إن الأخذ بهذا الرأي سوف يحقق أمرين:

أولهما: عدم إضاعة حق الفقراء والمساكين عند تحصيله .

ثانيهما: أنه لو تم احتساب زكاته عما مضى لكل سنة فقد يكون فيه ضرر على صاحب المال، فقد تستغرق الزكاة الدَّين جميعه، كما قد يصعب تحديد فترات الحول، وخاصة بالنسبة للتجار الذين يتعاملون مع أعداد كبيرة من المدينين .

الضابط الثاني: النماء :

يقصد بالنماء: أن المال الذي تؤخذ منه الزكاة يكون ناميًا بذاته، بالتوالد، والتناسل، والتجارات، أو قابلاً للنماء، والذي من شأنه أن يدر على مالكه ربحًا أو غلة أو إيرادًا، بحيث يكون هو نفسه نماءً أو فضلاً وزيادة، مثل مدخرات النقود.

---

١) المرجع السابق، ص ٥٣٠ ـ ٥٣١ .

٢) انظر : فقه الزكاة ، جـ١، ص٣٨ .

إن الحكمة من اشتراط النماء ـ كما ذكر ابن قدامة ـ: أن «الزكاة إنما وجبت مواساة، ولم نعتبر حقيقة النماء؛ لكثرة اختلافه وعدم ضبطه، ولأن ما اعتبرت مظنته لم يلتفت إلى حقيقته، كالحكم مع الأسباب، ولأن الزكاة تتكرر في هذه الأموال، فلا بد لها من ضابط؛ كي لا يفضي إلى تعاقب الوجوب في الزمن الواحد مرات، فينفد مال المالك»[1]، ويحدد الكاساني الحكمة من ذلك في (بدائع الصنائع) من زاوية أخرى، فيقول: «ولا نعني به حقيقة النماء؛ لأن ذلك غير معتبر، وإنما نعني به كون المال معدًّا للاستثمار بالتجارة أو الإسامة؛ لأن الإسامة سبب لحصول الدر والنسل والسِّمَن، والتجارة سبب لحصول الربح، فيقام السبب مقام المسبب ويعلق الحكم به، كالسفر مع المشقة.. ونحو ذلك»[2].

إن تأثير هذا الضابط على الأموال التي تجب فيها الزكاة يتمثل في مدى شمولية واتساع الأموال الخاضعة للزكاة، وهو مجال اختلف فيه الفقهاء، فمثلاً لا يأخذ ابن حزم بشرط النماء، وإنما يطبق الزكاة على الأصناف التي أخذ منها النبي ﷺ الزكاة، وبالتالي: فهو لا يوجب الزكاة، على الأصناف الأخرى، أما من جعل من ضوابط المال الخاضع للزكاة ضابط النماء: فقد أفسح المجال لخضوع جميع الأموال مهما تنوعت وتغيرت أنماطها، وقد دلت آيات القرآن الكريم والأحاديث التي أوجبت الحقوق في الأموال على ذلك، ولا يتم استثناء بعض الأموال من الزكاة إلا بدليل شرعي يخرجها من هذا الضابط.

الضابط الثالث: بلوغ النصاب:

يضع هذا الضابط حدًّا للمال الذي تجب فيه الزكاة، والذي يتمثل في بلوغ النصاب، فإذا بلغ المال هذا الحد وجبت فيه الزكاة، وما لم يبلغه المال فلا زكاة فيه، وبالتالي: فإن مقدار الزكاة يتفاوت بتفاوت المال وفق تفاوت الأنصبة، وقد حددت السنة الأنصبة لمختلف أنواع الأموال بحيث لا

١) المغني، جـ٢، ص ٦٢٥.

٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، جـ٢، ص ٢١.

دراسات اقتصادية

يستوجب المال الزكاة إلا إذا بلغها، كما ربطت الأنصبة بجنس المال.

إن اعتبار النصاب أحد الضوابط في اشتراط وجوب الزكاة فيه إرشاد إلى الغاية من فرض الزكاة، فالغاية منها: تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة، وقيام أغنياء الأمة بكفالة فقرائها والمحتاجين من ذوي النوائب.

ومقدار الأنصبة وتحديدها قد يفهم منه الإرشاد إلى الحدود الدنيا لكفاية الإنسان وضرورة الاسترشاد بذلك بدراسة حجم الأموال التي تخرج الإنسان من دائرة الفقر إلى دائرة الغنى.

إن من الإشكاليات التي تطرح حول مقادير الأنصبة: ثباتها، فمثلاً: إن قيمة مئتي درهم أو خمسة أوسق قد لا تكفي حاجة الإنسان إذا نظر إلى أن الأنصبة تمثل حدود الفقر والغنى، وعليه: فهل يمكن رفع مقدار الأنصبة بما يعادل الزيادة في تغير قيمتها بمرور الزمن؟.

إن هذا التساؤل مهم إذا نُظر إلى الأنصبة باعتبارها حدود الإعفاء، واعتبار الزكاة ضريبة، أي: نظر إلى الزكاة باعتبارها أداة من أدوات المالية العامة، وبالتالي: فيعتبر النصاب هو حد الإعفاء، ومن هنا: ينبغي النظر في رفع النصاب باعتباره حد الإعفاء وفق التغير في قيمة السلع والمنافع.

إن الرد على ذلك ـ وفق ما أشرنا إليه في الحلقة الماضية ـ: أن أصل الزكاة عبادة، يجب على الفرد المسلم أداؤها إذا توفر لديه النصاب، وتحديد النصاب أمر توقيفي، لذا: تظهر ضرورة قياس أنصبة الأموال المستجدة بالأموال التي ورد فيها النص.

إن بعض الباحثين المعاصرين عند مناقشته لأنصبة الزكاة أو التعرض لأحكام الزكاة ينظر للأمر من زاوية التشريعات المالية المعاصرة، وبموجب هذه النظرة: فقد يحدث مخالفة الأحكام الواردة في الأحاديث النبوية المتعلقة بالزكاة، كما ينبني على هذه النظرة أن الشريعة الإسلامية تحاكي في تشريعها المالي النظام المالي المعاصر، والذي يضع حدوداً للإعفاء لمقابلة احتياجات الممولين، ولكن الشريعة بكمالها لم تغفل هذا الجانب من تأثير التغير في قيمة النصاب، حيث تم استيعاب ذلك من خلال الضابط الرابع، وهو: الفضل عن الحوائج الأصلية.

دراسات اقتصادية

الضابط الرابع: الفضل عن الحوائج الأصلية:

إن وجوب الزكاة في المال وفق ما يذهب إليه الأحناف لا يجب إلا إذا كان النصاب فاضلاً عن الحاجة الأصلية لمالكه، وقد استُدل بأحاديث، منها: ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «إنما الصدقة عن ظهر غنى»[1]، وفي رواية: «لا صدقة إلا عن ظهر غنى»، وما ورد عن الصحابة في تفسيرهم لقوله (تعالى): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما): العفو: ما يفضل عن أهلك، وقد ذكر ابن كثير أن هذا القول قال به ابن عمر، ومن التابعين: مجاهد، وعطاء، وعكرمة، وسعيد بن جبير.

وترد بقية المذاهب على ذلك بعدم اشتراط هذا الضابط بحمل الحديث وما جاء في تفسير الآية على صدقة التطوع والإنفاق المندوب لا الواجب، وعلى هذا: لا يمكن اعتبار أنه لا يزكى إلا ما فضل عن حاجة الشخص حيث إن الحاجة نطاقها واسع حتى ولو حددت بالأمور الأساسية، كما أن الأحاديث الواردة في الزكاة والسنة الفعلية للرسول ﷺ لم تعمد إلى تحديد الحوائج الأصلية، وقد كانت الزكاة تؤخذ ممن توفر لديه النصاب بدون نظر إلى الحاجة، كما يُرَد على ذلك: بأن شرطي النماء والنصاب كافيان عن اشتراط الفائض عن الحوائج؛ لأنه لا صدقة إلا عن ظهر غنى حقيقي، فلا يمكن حينئذ أن يصل المال إلى النصاب والإنسان لا يكفي حاجته الأساسية، كما أن شرط الحول يقتضي أن الإنسان سيقوم بالصرف على حاجته من ماله، فإذا حل الحول وهناك فائض وصل حد النصاب: فإن ذلك مؤشر على سداد الإنسان لحاجته.

الضابط الخامس: السلامة من الدين:

يقصد بهذا الضابط: ألا يكون مالك النصاب مدينًا لأحد دَيْنًا يستغرق نصاب الزكاة، أو ينقصه عن النصاب، ففي هذه الحالة لا زكاة عليه.

---

١) أخرجه أحمد بن حنبل، ٢/٥٠١، والدارمي، وأخرجه البخاري (ك/ الزكاة، ١٨)، وأحمد ابن حنبل (٢/٢٣٠) بلفظ: «لا صدقة إلا عن ظهر غنى».

لقد اختلف الفقهاء حول هذا الضابط، وهل يتم استقطاع الديون الواجبة على مالك المال من وعاء الزكاة؟.

واختلف الفقهاء في استقطاع الديون الواجبة على مالك المال (المكلف) من وعاء الزكاة، فبالنسبة للأموال الباطنة (النقود وعروض التجارة) فإن جمهور الفقهاء ذهبوا إلى أن الدَّين يمنع وجوب الزكاة أو ينقص بقَدْره قيمتها، وذهب بعض الفقهاء (فيما يتعلق بالأموال الظاهرة) إلى أن الدين لا يمنع وجوب الزكاة فيها، حيث إن تعلق الزكاة فيها أظهر، وبذلك: فالزكاة أوكد، وقد قال بهذا مالك والأوزاعي والشافعي، وورد عن أحمد[1].

وبالنسبة للدين في الزروع: فقد اختلف ابن عمر وابن عباس (رضي الله عنهما) كما ذكره ابن قدامة، حيث قال: «روي عن أحمد أنه قال: قد اختلف ابن عمر وابن عباس، فقال ابن عمر: يُخرج ما استدان أو أنفق على ثمرته وأهله، ويزكي ما بقي، وقال الآخر: يخرج ما استدان على ثمرته، ويزكي ما بقي، وإليه أذهب: أن لا يزكي ما أنفق على ثمرته خاصة ويزكي ما بقي»[2].

وعلى ضوء ما سبق ووفقًا لهذا الضابط: فإنه يمكن تحقيق وعاء الزكاة بالديون المستحقة على صاحب المال، ولكن يشترط أن يلاحظ ضرورة ثبات الدين وصحته، وقيام صاحب المال بالسداد في وقت حلوله، وألا يماطل به وفق ما أشار إليه عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كما روى ذلك أبو عبيد عن السائب بن يزيد، قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: «هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤده، حتى تخرجوا زكاة أموالكم»[3].

الضابط السادس: الحول:

إن مفهوم الحول هو: أن يمر على المال اثنا عشر شهراً عربيًّا، وهذا الشرط خاص بالنقود والثروة الحيوانية وعروض التجارة، أما ناتج الأرض والمستخرج من المعادن والكنوز ونحوها من الأموال

---

١) انظر: فقه الزكاة، للقرضاوي، جـ١، ص ١٥٧.

٢) المغني، جـ٣، ص ٤٢.

٣) الأموال، لأبي عبيد، ص ٥٣٤.

المستفادة فلا يشترط لها مرور الحول.

إن علة عدم تطبيق ضابط الحول على جميع الأموال أشار إليها الإمام ابن قدامة بقوله: «الفرق بين ما اعتبر له الحول وما لم يعتبر له: أن ما اعتبر له الحول مرصد للنماء، فالماشية مرصدة للدر والنسل، وعروض التجارة مرصدة للربح، وكذا: الأثمان، فاعتبر له الحول؛ لأنه مظنة النماء؛ ليكون إخراج الزكاة من الربح، فإنه أسهل وأيسر، ولأن الزكاة إنما وجبت مواساة، ولم نعتبر حقيقة النماء؛ لكثرة اختلافه وعدم ضبطه، ولأن ما اعتبرت مظنته لم يلتفت إلى حقيقته، كالحكم مع الأسباب، ولأن الزكاة تتكرر في هذه الأموال، فلا بد لها من ضابط كيلا يفضى إلى تعاقب الوجوب في الزمن الواحد مرات، فينفد مال المالك، أما الزروع والثمار: فهي نماء في نفسها، تتكامل عند إخراج الزكاة منها، فتؤخذ الزكاة منها حينئذ، ثم تعود في النقص لا في النماء، فلا تجب فيها زكاة ثانية؛ لعدم إرصادها للنماء، والخارج من المعدن مستفاد خارج من الأرض بمنزلة الزرع والثمر، إلا إنه إن كان من جنس الأثمان ففيه الزكاة عن كل حول؛ لأنه مظنة للنماء، من حيث إن الأثمان قيم الأموال ورأس مال التجارات، وبهذا تحصل المضاربة والشركة وهي مخلوقة لذلك، فكانت بأصلها وخلقتها كمال التجارة المعد لها» [1].

إن اشتراط الحول كضابط من ضوابط المال الذي تجب فيه الزكاة، قد قسم ـ على ضوئه ـ الأموال إلى نوعين: ما أجمع عليه جمهور الفقهاء، ويشمل الذهب والفضة والماشية، لثبوت ذلك عن الخلفاء الأربعة، ولانتشاره في الصحابة (رضي الله عنهم)، ولانتشار العمل به[2]، أما بالنسبة لبقية الأصناف الأخرى من الأموال مما لا يشترط فيه الحول: فقد اختلف الصحابة والتابعون فيه :

فقد جاء عن ابن مسعود وابن عباس ومعاوية (رضي الله عنهم) وجوب تزكية المال عند استفادته دون اشتراط الحول، وجمهور الصحابة ـ ومنهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي (رضي الله عنهم) ـ على

١) المغني، جـ٢، ص٦٢٥.

٢) انظر: فقه الزكاة، جـ١، ص ١٦٢.

دراسات اقتصادية

خلافهم، وهذا يتعلق بالمال المستفاد من غير جنس ما عنده.

ويقصد بالمال المستفاد: كل مال يدخل في ملكية الشخص بعد أن لم يكن له، وتنقسم الأموال المستفادة إلى قسمين: أموال تجب فيها الزكاة عند الحصول عليها، مثل: الزروع والثمار والمعادن إذا بلغت النصاب، وقسم يدخل ضمن الأموال الحولية، مثل: النقود، وعروض التجارة، والماشية، وقد أشار ابن قدامة إلى أحوال المال بالنسبة للأموال الحولية، وقسمها إلى قسمين[1]: القسم الأول: المستفاد مما يعتبر له الحول ولا مال سواه وبلغ النصاب، أو كان له مال من جنسه لا يبلغ نصابًا فبلغ بالمستفاد نصابًا: فإن وجوب الزكاة تتم عند تمام الحول فيه.

النوع الثاني: إن كان عنده نصاب من جنس المال المستفاد، وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام: الأول: أن يكون المستفاد من النماء ـ كربح مال التجارة ونتاج السائمة ـ فيضم إلى ما عنده من أصله، ويعتبر حولُ المال المستفاد حولَ أصله، وهذا متفق عليه بين العلماء،

الثاني: أن يكون المستفاد من غير جنس ماله: فلا يُضَم هذا المال إلى ما عنده في زمن الحول ولا في النصاب، فإن بلغ نصاب زكاة بعد مضي حول على اكتسابه وإن لم يبلغ النصاب: فلا شيء فيه، وهذا قول جمهور العلماء، لكن روي عن ابن مسعود وابن عباس ومعاوية (رضي الله عنهم) أن الزكاة تجب فيه حين استفادته.

الثالث: أن يكون المال المستفاد من جنس نصاب ما عنده، وقد انعقد عليه حول الزكاة بسبب مستقل، مثل: أن يكون عنده أربعون من الغنم مضى عليها بعض الحول، فيُعطى مئة، ففي هذه الحالة اختلف فيها: هل تجب على الماشية الزكاة أم لا، قال الشافعي: إنه لا تجب فيها الزكاة حتى يمضي حول عليها، وأما أبو حنيفة فيرى أن يضم إلى ما عنده في الحول فيزكيهما جميعًا عند تمام حول المال الذي كان عنده، إلا أن يكون عوضًا عن مال مزكى.

---

1) انظر: المغني، جـ٢، ص ٦٢٦ - ٦٢٧.

حوار مع

د. حسن الأمراني

حول مرجعيات الاستشراق المعاصر

أجرى الحوار:

محمد بن عمر

توطئة:

تعد ظاهرة الاستشراق من أبرز الظواهر الثقافية التي تبقى مفتوحة للسؤال والقراءة؛ لأن أغلب الأسئلة التي تؤسس هذه الظاهرة الثقافية هي من نوع الأسئلة التي يغلب عليها طابع الإثارة والإغراء بالمتابعة.

لكن أكثر أسئلة الاستشراق إثارة واستفزازاً هي تلك الأسئلة التي اختارت التعايش مع لحظة السقوط الحضاري وتجربة الانهيار الغريب التي عاشتها الأمة الإسلامية.

لقد كانت نية الاستشراق من هذا التوجه: العمل على تكريس هذه التجربة واستمراريتها في نسيج الثقافة الإسلامية المعاصرة.

فالاستشراق توجَّه خاصة إلى ثقافة السقوط، وبالمقابل أغفل ثقافة البناء، كل ذلك تحت غطاء البحث العلمي والفضول الفكري والمعرفي.

إنه انطباع أولي استخلصناه من نص الحوار الذي أجريناه مع الدكتور «حسن الأمراني»[1] الذي أنجز عملاً جامعيًّا اختار له عنوان: «المتنبي في

البيان الأدبي

١) الدكتور حسن الأمراني كاتب من القطر المغربي، يشتغل أستاذا للنقد الأدبي القديم بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة (المغرب)، وهو واحد من رواد الأدب الإسلامي المعاصر، ورئيس تحرير مجلة المشكاة.

كتابات المستشرقين الفرنسيين»[1]، وقد أثار في هذه الدراسة كثيراً من القضايا التي تمس الاستشراق بشكل مباشر، ومن أهم هذه القضايا: الاستشراق: الموضوع، المنهج، المرجع،...

ومن أهم المحاور والقضايا التي تستوقف الباحث والقارئ لهذا البحث: قضية اشتغال الاستشراق الفرنسي بشعر وأدب المتنبي، من حيث هو لحظة تاريخية وحضارية تعبر عن السقوط والانهيار، وتنشد البناء، وتبحث عن السبل الكفيلة بالخروج من هذا السقوط والانهيار الحضاري.

وهذا الاعتناء بهذه اللحظة بالذات، أدى بالاستشراق إلى إغفال الجوانب الأخرى المُشَكِّلة لأدب المتنبي، خاصة الفني... وهذا الإغفال له ما يبرره إذا أدركنا النوايا والخلفيات التي كانت توجه قراءة المستشرقين للتراث العربي الإسلامي.. **وهذا نص الحوار:**

● من الأفكار التي راجت كثيراً في فضائنا الثقافي مؤخراً: فكرة نهاية الاستشراق؛ لأن المعطيات الثقافية والحضارية التي كانت من وراء نشأة هذه الظاهرة لم تعد مستمرة في هذا الفضاء، وهذا ما حوَّل الاستشراق من ظاهرة ثقافية إلى ظاهرة تاريخية.. ما هو تعليقكم على هذا الفهم؟.

■ قد ينتهي الاستشراق مصطلحاً، ولكنه لا ينتهي فكرة، ولعله اليوم أشد ما يكون ارتباطاً بالمؤسسات الغربية وخدمة لمصالحها، فمنذ نشأة الاستشراق كان همه المعرفة المرتبطة بالغلبة والهيمنة، ولئن كان في فترة من الفترات مرتبطاً أشد الارتباط بالكنيسة، ولا سيما منذ قرار مجمع (ڤيينا الكنسي، ١٣١١م ـ ١٣١٢م)، فإنه ما فتئ يغير جلده دون أن يغير أهدافه ومقاصده.

إن المستشرقين كانوا أول من دعا إلى تدمير آليات الاستشراق التقليدي؛ لشعورهم بانه استنفذ أغراضه، ولا بد له ـ إن أراد أن يستمر في الحياة ـ من أن يغير أدواته، وتلك كانت الأغراض من وراء صيحة «ماكسيم رودنسون»،

---

١) صدرت هذه الدراسة عن مؤسسة الرسالة، عام ١٩٩٤م.

إن عزوف المستشرقين منذ فترة عن هذا المصطلح، ورفضهم أن ينعتوا به، واكتشافهم بدائل أخرى كـ(الاستعراب).. لم يكن الهدف من ورائه الدقة العلمية ـ كما يريدون أن يوهمونا بذلك ـ بقدر ما كان تخلصاً ممّا يحمله المصطلح القديم من ظلال استعمارية وتحكمية.

وإن وجود فئة من المستشرقين المعتدلين أو الموضوعيين أو حتى المتعاطفين مع القضايا الإسلامية لا ينفي القاعدة بقدر ما يؤكدها، لأن أولئك يمثلون استثناء، والشاذ لا حكم له كما يقال.

وهل يشك عاقل في أن الذين يخدمون (الإمبريالية الغربية) تحت اسم (الخبراء) هم مستشرقون من نوع جديد؟، إن ما قدّمه «برنار لويس» وأضرابه مثلاً لا يقارن بما قدمه أسلافهم.

● الدكتور حسن الأمراني: لقد أنجزتم أطروحة جامعية حول الاستشراق الفرنسي وكلفكم هذا الإنجاز زيارة كثير من مكتبات فرنسا، نود أن تقدموا للقارئ أهم المستويات المعرفية التي تؤسس الاستشراق الفرنسي وتميزه عن غيره من أنواع الاستشراق.

■ يجب ألا ننسى أن فرنسا وبريطانيا تمثلان حالة متفردة في علاقتهما بالعالم الإسلامي، فهما (الإمبراطوريتان) الاستعماريتان اللتان بسطتا سلطانهما على معظم العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الأول من هذا القرن، كما أن ماضيهما مرتبط أكثر من غيرهما من دول الغرب بالحروب الصليبية، ولذلك: كانت العلاقة بين هاتين الدولتين والعالم الإسلامي علاقة احتكاك حربي وتدافع ومغالبة أكثر مما كانت علاقة تواصل حضاري.

ولقد انعكس هذا الإرث الثقيل على التراث الاستشراقي لهما، ولذلك: تجد أن الذين يصنفون عادة ضمن المتعاطفين مع التراث الإسلامي من المستشرقين، من أمثال «ماسينيون» كانوا من أشد الناس ولاءً للفكر الاستعماري، ولذلك: كان «ماسينيون» نفسه مستشاراً لشؤون الاستعمار،

كما إنه كان من أشد الدعاة إلى إحياء اللهجات المحلية في البلدان الإسلامية وإحلالها محل العربية، أي إنه كان يدفع ـ ببحوثه وكشوفاته ـ في اتجاهين اثنين لا يتعارضان في نهاية المطاف: **الاتجاه الأول** هو: تمجيد الشخصيات الفلسفية في تاريخ الإسلام وبعثها نموذجًا ومثالاً ينبغي أن يحتذى، **والاتجاه الثاني**: تشجيع النزاعات التفتيتية والتفكيكية داخل المجتمع الإسلامي، فما بالك إذا تجاوزنا «ماسينيون» إلى سواه من المستشرقين المعروفين بعدائهم السافر للمجال الحضاري الذي يتخذونه مرتكزًا لدراساتهم.

أما المعتدلون منهم، من أمثال «جيل كيبل»، و«أندريه ميكال»، فإنهم يحسون بغربة قاتلة داخل مجتمعاتهم، ويشعرون بأن أصواتهم لا تكاد تسمع، لا في الغرب ولا في العالم الإسلامي.

● هناك ظاهرة غريبة تبدو في استنتاجات المستشرقين، ذلك بأن أغلب المستشرقين نعتوا الثقافة الإسلامية بأنها حضارة نص!، بماذا تفسرون هذا الاستنتاج؟.

■ بدلاً من أن نتساءل: هل الحضارة الإسلامية حضارة نص أم ليست كذلك؟: لا بد أن ندرك طبيعة المعرفة الاستشراقية، هذه المعرفة التي ظلت تفتقد إلى العمق والشمولية، وهذه السمة هي التي ما تزال عالقة بما يمكن تسميته: الاستشراق الدائري، الذي يعتبر «محمد أركون» علمًا بارزًا من أعلامه.

لقد كانت المعرفة الاستشراقية ـ في منطلقها ـ معرفة خبرية، تقوم على ما يصل إلى المؤسسة الاستشراقية من أخبار لا تخلو من أوهام، يسوقها بعض الرحالة، أو نسجها الخيال الشعبي، ومما لا شك فيه أن المعرفة الخبرية من مقومات العلم في الإسلام، ولكن شرطها: الصحة، وهو الشرط المفقود في المعرفة الاستشراقية، ويكفي أن نقرأ (أنشودة رولان) لندرك طبيعة تلك المعرفة المشوهة التي تجعل المسلمين ـ بزعمه ـ وثنيين مشركين، يؤمنون بثلاثة آلهة: (أبولون، وترافاكان، ومحمد).

وقد كان يغذي هذا الاتجاه ما ظهر عند طلائع المستشرقين، من أمثال «جيوم بوستل» (١٥١٠ ـ ١٥٨١م)، الذي قيل عنه إنه كان من دعاة الوحدة بين المسلمين والمسيحيين!، ومع ذلك لم يستطع أن يتخلص من النظرة التي ترى أن من فوائد تعلم العربية أنها تعين على مجادلة أعداء المسيح من المسلمين!!.

ثم تحولت هذه المعرفة إلى معرفة نصيَّة عندما قام «ديربيلو» (١٦٢٥ ـ ١٦٩٥م) بتأليف كتابه (المكتبة الشرقية) ، هذا الكتاب الذي يعد أول كتاب غربي يضم معارف عن الشرق الإسلامي في شكل موسوعة معجمية ، وبذلك انتقلت المعرفة ، مع «ديربيلو»، من الخبر إلى النص ، أي: إلى استنباط المعرفة المتعلقة بالشرق الإسلامي ، من كتب المشارقة أنفسهم.

وستمر فترة من الوقت قبل أن يُضاف إلى هذا المصدر المعرفي مصدر آخر هو المصدر العيني.

وكان الفرق بين هذه المرحلة وسابقتها: أن إحداهما كانت غارقة في الماضي، بينما جمعت الأخرى بين الماضي والحاضر.

وقد كان الاستشراق الحديث والمعاصر بحاجة إلى جهد كبير لتخليص المعرفة الاستشراقية مما علق بها من قصور ، نتيجة قصور مصادر المعرفة.

● **الأستاذ حسن الأمراني ، تنزعون في الكتابة نحو مجالات مختلفة: الإبداع ـ النقد ـ الكتابة الفكرية .. لكن الذي جمع هذه الكتابات هو أنها تعبير عن زمن السقوط وتشخيص للحظة الانهيار الفكري والحضاري الذي تعيشه الأمة الإسلامية.. من خلال هذا المُعطى نود منكم كلمة أخيرة لقراء مجلة «البيان»؟.**



■ لا أدري أي هاجس دفع بي ـ وأنا أعد دراستي عن المتنبي في دراسات المستشرقين ـ إلى أن أُعْنَى عناية خاصة بلحظة من التاريخ فيه من واقعنا المعاصر تشابه كبير، فقد تبين لي أن تلك اللحظة هي لحظة الانهيار الحضاري التي قام المتنبي في وجهها صارخاً مستصرخاً باحثاً عن الفتى الذي

يستطيع أن يحقق معه رسالته ، فكان « سيف الدولة » [على ما فيه] أقرب ما يكون إلى الصورة المثال التي كان يحلم بها الشاعر ، فلذلك ربط مصيره بمصيره، وقد عني المستشرقون بهذه اللحظة بالذات أكثر مما عنوا بدراسة الجانب الفني من شعر أبي الطيب ، وذهبوا في تفسير تلك اللحظات مذاهب شتى لم تكن تخلو من الشطط.

ولا يشك أحد أننا نعيش لحظة من أشد لحظات الانهيار الحضاري الذي يواكبه تغطرس الاستكبار التدميري ، وأمام هذا الواقع لا مفر من صيحةٍ تنبه الغافلين ، وتستل من الظلمة فجراً، فلا عجب إذن أن يكون هنالك خيط جامع ـ عندي ـ بين الإبداع والإنتاج الفكري، وهذا الخيط هو صرخة الألم التي قد تكون من جهة المصدر كصرخة ابن أبي موسى الغساني في غرناطة، ولكنها من جهة الأثر ـ بحكم كونها صرخة جماعية لا فردية ـ قد تكون كصرخة قطز في (عين جالوت) .. ولعلها ـ كما قال « الكواكبي »(*) ـ : كلمة حق وصيحة في واد، إن ذهبت اليوم مع الريح، فقد تذهب غداً بالأوتاد.

---

*) لمعرفة من هو « عبد الرحمن الكواكبي » وتقويم فكره: انظر كتاب (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، د/محمد محمد حسين.
- البيان -

قبل الهاوية

بقلم:
د. مجدي الطويل

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾.. آيات سمعها المُلحن الكبير في المذياع فإذا جَرْس نبراتها يأسر تفكيره، وإذا به يدندن بها، وتتقاذف (الجمل الموسيقية) في رأسه.. ويتمتم: عظيم.. عظيم!.

اجتمع في النادي مع (شلته) المفضلة . صحفي كبير، نائب رئيس تحرير جريدة (التنوير)، وكاتب، وشاعر، وموسيقي.. أخذ يحدثهم عن المشروع الذي ينويه: تلحين مقدمة سورة النازعات بجرسها الموسيقي الخطير.. فإذا بهم ينهالون عليه بالثناء.. رائع، إنك لقادر على تلحِين الكلام العادي فما بالك بكلام القرآن!!.. سوف تضيف جديداً للقرآن!!.. إنه التفسير الموسيقي للقرآن!!، ولسوف يخلدك التاريخ!.. إنك لرائد من رواد التنوير بهذا العمل الضخم، ولسوف تنقل الأمةَ من الجمود والتخلف إلى النورانية والعالمية.. وانهالت عليه كلماتهم بالمديح.. انتفخت أوداج الرجل وَشرَع في تركيب الجمل الموسيقية.. والنّاااازعات... وشرد في جُملِه عنهم، فاستأذنوه، وقال له الصحفي: سوف أنشر الخبر، إن هذا عمل حضاري كبير.

ومرت الأيام على الملحن وهو حابس نفسه بين جدران معمله الموسيقي في منزله الهادئ.. وأخذ يلحن، ثم يعيد التلحين، وقد استجمع كل مهارات

البيان الأدبي

صنعته .. إنه القرآن العظيم ، أعظم النصوص وأقدسها.. فيجب أن يكون العمل على هذا المستوى.. يجب أن تكون الموسيقى معبّرة عن الجلال والمهابة والغموض والقدرة..

قطع الهاتف حبل أفكاره.. قرأت أنك ستلحن مطلع سورة النازعات، عمل رائع، لو أخذته منك سيكون رصيداً طيبًا لمجموعتي الدينية!.. واستمرت المغنية المشهورة تخاطبه، واسترسلت: لن يستطيع أحد غيري أداء هذه المعاني.. سوف أبهر بها الجمهور .. وقاطعها قائلاً: سوف أفكر .. ما زال الأمر في بدايته..

واتصل به آخر، كاتب تنويري كبير: إن عِمَم الأزهر سوف تُهاجمك.. لا تبال فهم جامدون وكلنا نقف وراءك نؤازرك، إنهم لا يفهمون عظمة هذا الدين وسماحته، إن ما تفعله الآن سوف يخرج منه طاقة هائلة بلغة العصر.. سوف يخلدك التاريخ كما خلد كبار الموسيقيين الذين لحنوا للكنيسة، إنه عمل متأخر قليلاً، ولكنه يجب أن يبدأ.

ردّ عليه بالشكر وأنّ الأمر لا يأخذ عنده كل هذه الأبعاد، فكل ما يفكر فيه هو استغلال الجرس الموسيقي الموجود في كلمات القرآن!! وأنه سيحاول المحافظةعلى ذلك بالجمل الموسيقية اليسيرة التراكيب والعميقة المعنى ذات التأثير في الشعور والوجدان.

اتصل به آخر من الملحنين الذي حذره من غلبة التجريد على الموسيقى دون التطبيق الواقعي من الموسيقى الشعبية.. وعده أنه سيبذل قصارى جهده وأنه يعتبر نفسه في صلاة وعبادة!.. وطلب منه الدعاء .

ملّ الرجل بيته قبل الفجر بقليل فقرر أن يذهب إلى الناس حيث ألِفَ ذلك دائمًا .. قرر الذهاب إلى منطقة الأزهر؛ حيث الزحام الشعبي الذي يستوحي منه موسيقاه الشعبية في أعماله.. وبعد قليل وجد نفسه في أحضان المنطقة.. رائحة البخور الندية تملأ الصدور وشواهد التاريخ القديم تضفي الغموض والراحة على النفس.. اختفى بين الناس ومع الناس .. يستوحي هذه المنطقة القديمة بسحرها الغامض وتراثها القديم .. وأخذ ينظر

إلى الأزهر من بعيد بأحجاره ومآذنه وشموخه المعماري الفريد.. وأُذّن لصلاة الفجر، وكان هذا هو ميعاد انصرافه.

همّ بالانصراف لولا أن قابله صديق قديم متجه إلى الأزهر، أخذه بالأحضان.. أين أنت يا رجل؟.. مَرّ عُمْر.. ولكن أخبارك عندنا.. اسمك يملأ وسائل الإعلام.

ـ أنت؟.. وأين أنت الآن؟..

ـ أنا مدرس للشريعة في جامعة الأزهر، تزوجت وعندي أولاد، وحالي طيبة والحمد لله، هيا بنا قبل أن تضيع علينا الصلاة..

تردّد المُلحن وتلعثم.. ولكن الصديق القديم جذبه كما كان يجذبه في الماضي: هيا يا رجل حتى لا تضيع منك الجوهرة.. وبحد الحياء ذهب معه.. توضأ، ودخل المسجد..

ـ كم مر عليَّ من زمن لا أصلي؟.. يا الله!.. زمن طويل.. الأزهر بديع في الفجر.. وهذا الباب الحجري الضيق الذي يكاد ينكتم فيه نفسك ثم تعبره لتجد رحابة في فناء المسجد الواسع المترامي الأطراف.. وكأنك قد تحررت من قيودك وقيود المجتمع والناس..

شعر بارتياح كبير، وقال لنفسه: هذه هي الحالة المثالية لتلحين المشروع.. ليتني آخذ ركناً هنا.. وقطع صوت الإقامة عليه تفكيره، وجذبه صديقه ليقوم للصلاة.. الله أكبر، واستمع إلى الإمام: ﴿**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**.....﴾.

انتبه الملحن إلى الكلمات.. أي قَدَر هذا.. وترددت الكلمات في جنبات المسجد الرحب وانعكست جميعها في آذانه الصاغية.. أي مهابة وأي غموض وأي جلال.. واشتغل اللحن في رأسه وتداخل مع الألفاظ القرآنية تصارعه ويصارعها.. جذبه صاحبه للركوع ثم للسجود.. هكذا حتى انتهت الصلاة.

نظر إليه صاحبه بعد الصلاة في شفقة ومحبة.. وقال له: أين كنت؟، ما هذا الذهول البادي على وجهك.. فرد عليه: لقد كنت أصلي!.. فتعجب

صاحبه من الرد الغامض.. ولاحقه الملحن: أتعرف تفسيراً لما قرأه الإمام؟.. ابتسم صاحبه وصمت هنيهة من الزمن، ثم قال: (النازعات غرقًا): هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم بشدة، (والناشطات نشطًا): هي الملائكة تنشّط نفس المؤمن فتقبضها، (والسابحات): هي الملائكة تَسْبح وتُسبّح في الفضاء الكوني كله، (والسابقات): هي الملائكة التي سبقت الإنسان لعبادة الله الواحد القهار، (والمدبرات أمرًا): هي الملائكة المُدبرة لما أُمرت به من أوامر الله (سبحانه وتعالى)..

قال الملحن: إذن، فالحديث عن الملائكة؟!.

قال له صاحبه: نعم، فهم خلق الله الذين لا يعصون له أمراً.

إنه حديث نادر لا يأتي إلا من عند الله؛ فهو وحده القادر على وصف أعمالهم، ومن يستطيع أن يخبر بذلك غيره؟..

انتبه الملحن لهذا التفسير وازدادت نفسه تشوقًا لمعرفة المزيد من المعاني .. زاده صاحبه واصفًا مشاهد نهاية الدنيا، والبعث، والنشور..

تعجب الملحن وازداد ذهوله..يا له من حديث.. أي صورة هذه؟ .. أي غموض؟.. ملائكة لا ندري عن خلقهم شيئًا، يروحون ويجيئون في هذا الكون الفسيح، ثم هذا اليوم العظيم بهذه الصورة المخيفة المرعبة..

وتابع صاحبه: يا صديقي، إنه يوم عظيم، يجب أن يعمل له العاملون.. والله لو أننا عبدنا الله صلاةً وتسبيحًا، وجاهدنا صباحًا ومساءً ما ضمنّا ماذا يُعمل بنا في هذا اليوم؟.. وسأل الملحن في شغف: أين أستطيع أن أجد هذا التفسير؟ .. ودلّه صاحبه على مكانه .. واستأذن الملحن وقد بدى عليه الإجهاد من يوم طويل حافل.. وانصرف إلى بيته.

عكف الملحن على كتاب التفسير وانشغل مع الصور والمعاني التي يحفل بها النص الذي يريد تلحينه.. ووجد نفسه يعرج إلى القرآن من أوله .. علّه يعطيني إلهامًا لمشروعي!.. وبدء فيه: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ..**﴾، ﴿**الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ..**﴾.

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ... ﴾ .

﴿ لِلَّه مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ... ﴾ ، ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ .. ﴾ .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ .. ﴾ .

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّه ... ﴾ .

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ .. ﴾ .

وقرأ :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

تملّكته التلاوة والمعاني والصور أياماً انقطع فيها عن العالم.. العالم الذي ينتظر منه ولادة المشروع العظيم.. التفسير الموسيقي للقرآن.. وحاول العودة إلى ما بدأه ولكنه استحقر ما دار بخلده.. استرجع أعمال الموسيقيين في الترانيم الكَنَسيّة .. فلم تلهمه معاني تتقارب إلى ما يشعر بهِ من جلال ومهابة وخوف ووَجَل ورجاء وتمنّي وحسرة وندم وإشراق واستمتاع حسّي وذهني ..

- ما الذي سأضيفه للبشرية؟.. و كيف أستطيع أن أعبر عن ذلك كلّه؟.

شعر بالعجز .. بل شعر أنه يتجرأ على الله .. ودبّ الخوف في قلبه، فقطّع كلّ ما كتبه وأحرق تسجيلاته.. ثم توضأ وانغمس في صلاة طويلة طوال الليل، وقرأ فيها : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ... ﴾ .



رأى الناسُ فيما يرى النائمون | وللنوم في الشرع حكم الجنون
كأنّ اليهود غداً يجنحون | لسلْمٍ وبعد غدٍ يُسْلِمون
وأنهمُ يوقفون البناء | وها همْ أولاءِ مضوا يبتنون
وأن «نتنياهُ» إن فازَ لانَ | فلا هو لانَ «ولا يحزنون»
وأن اليهود إذا غادروا | سيخلفهم بشرٌ يَرْحَمون
فلما صحوا علموا أنهمْ | رأوا صُوراً أبداً لن تكون
فَفَرُّوا إلى النوم أنْسًا به | فقد وجدوا فيه ما يشتهون

شعر :

د. محمد بن ظافر الشهري

البيان الأدبي

إسرائيل

تَفَوَّقِي تَفَوَّقِي   فَإِنَّنَا فِي مَأْزِقِ

تَلُفُّنَا جِرَاحُنَا   مِنْ أَخْمَصٍ لِمَفْرِقِ

وَيَدَّعِي جُهُولُنَا   زَعَامَةً لَمْ تُسْبَقِ

لَمْ يَشْفِ مِنَّا غِلَّهُ   أَوْ يَنْتَظِمْ فِي مَوْثِقِ

يَبِيعُنَا نِكَايَةً   لِمُشْتَرٍ مُسْتَرْزِقِ

وَلا يَرَى غَضَاضَةً   أَوْ رَعْشَةً فَيَتَّقِي

وَقَدْ طَمَتْ هُمُومُنَا   وَحِسُّنَا لَمْ يَرْتَقِ

وَصَوْتُنَا فِي حَلْقِنَا   يَنَامُ كَالْمُسْتَغْرِقِ

وَقَلْبُنَا فِي هَجْعَةٍ   كَأَنَّهُ لَمْ يَخْفُقِ

وَقُدْسُنَا مَرْهُونَةٌ   وَالْخُلْفُ فِي تَأَلُّقِ

تَفَوَّقِي تَفَوَّقِي   تَفَوَّقِي تَفَوَّقِي

تَفَوَّقِي فَإِنَّنَا   فِي قِمَّةِ التَّمَزُّقِ

يَقُودُنَا لِحَتْفِنَا   مُكَابِرٌ لا يَتَّقِي

يَسُوسُنَا بِغِلْظَةٍ   كَالْهَائِجِ الْمُمَخْرَقِ

وَيَدَّعِي حَصَافَةً   لِفَهْمِهِ الْمُسْتَغْلَقِ

شعر : مروان كجك

لَمْ يَدْرِ أَنَّ حَظَّهُ   عِنْدَ الْعَدُوِّ الأَزْرَقِ
حَقَارَةٌ وَخِسَّةٌ   وَخُلْفُ كُلِّ مَوْثِقِ
قَدْ حُطَّ تَحْتَ ذُلِّهَا   كَالطَّائِرِ الْمُطَوَّقِ
إِذَا تَأَبَّى مَرَّةً   أوْ ضَاقَ بِالتَّسَلُّقِ
حَزَّ الْحَدِيدُ رَأسَهُ   كَكُلِّ بَاغٍ أَحْمَقِ
تَفَوَّقِي تَفَوَّقِي   تَفَوَّقِي تَفَوَّقِي

فتاة الشرق وفتاة الغرب

إلى العلم يا أختاه جوزي المعابرا ... وجذّي بسيف الحزم فيه المعاذرا
إلى المجد والعلياء في موكب الهدى ... جناحاك: تقوى الله والعلمُ للذّرى
أيا نجمةً في الشأو سامت كواكبًا ... ويا درةً في الصون فاقت جواهرا
أشاعوا بأن الشرق جهل وبِنْتَهُ ... جهولٌ وفي أبنائها أجهل الورى
حبيسة بيت الزوج لم تألف الفضا ... تؤدي له بالحبس ما كان أمهرا
وقالوا فتاة الغرب بنت حضارة ... يشير لها التاريخ بدءاً وآخرا
إذا ما تبدّت عطّرَ الجوَّ ريحُها ... وألوى إليها كل شيء معطرا
وقالوا.. وقالوا والدعايات جمّة ... وتخفي صدور القوم أدهى وأكبرا
«ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوًا» لدودًا للنصحيةِ مُظهرا
ذرونا من التخليط واستنطقوا الدنا ... فما تعرف الأيام مَيْنًا ولا مِرا
وهل يستوي ماء السوابل آجنًا ... وخيمًا وماء القطر ينهلّ طاهرا
وماضرّ ضوءَ الشمس أن قيل محرق ... ولا ضرّ ضوءَ البدر أن يجلب الكرى
وما عاب زهرَ الروض نكران فوحه ... وما زال منكوس الطبائع منكرا
وإن قلت هذا الدرب وهو نقيضه ... فما ذنب ذي اليمنى إذا كنت أعسرا
ويحفظ حق البنت والأخت شرعة ... ويوفي حقوق الزوج والأم مؤثرا

البيان الأدبي

شعر : د. عبد الغني أحمد مزهر

وهـذي فـتـاة الـشـرق أم كـريمـة تـعد شـباب الجيل سيفًا ومنبرا

وليس لها في الغرب حق وحرمة إذا لم تكن شيئًا يباع ويُشترى

فتلك الملاجي والمبرّات بيتها تبيت كأشقى من يبيت وأحقرا

فأَحْير من ضَبٍّ إذا ضل جحره وأجوع من ذئب إذا بات مقفرا

رأيت بعيني لا أقول تخرصًا ولا أدّعي زورًا عليهم ولا افترا

أمورًا عظامًا تصدع الصخر حسرة ويدمى لها قلب العفيف تحسرا

ففي كل صوب للطهارة مذبحًا وفي كل شبر للرذيلة متجرا

تقول ذروني إنني اليوم حرّة أعيش كما أهوى وأهوى كما أرى

أقول لذات الخال لله ناصحًا نصيحة من يخشى عليها الدوائرا

أفيقي هداك الله يا أخت واحذري فذو الحزم يحيى ما أطاق محاذرا

ولا تخدعي بالشائعات فربما أذلّوا بسيف الشائعات الحرائرا

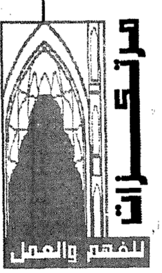
وإن وراء الشائعات ـ صراحة ـ ذئابًا جياعًا أو صقورًا كواسرا

متى كان فعل الموبقات ثقافة ووعيًا، وإيثار العفاف تحجرا؟!

أتدعى حياةُ العهر فيهم تقدمًا وتدعى حياةُ الطهر فينا تأخرا؟!

أهمية العلم الشرعي

بقلم :
عبد الحكيم بن محمد بلال



الدعوة إلى الله وظيفة مصطفاة في الأساس لأشرف الخلق، وهم الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، الذين تولى الله (سبحانه وتعالى) حفظهم وتنشئتهم.. وحريٌّ بمن يقتدي بهم في الوظيفة أن يسعى إلى اقتفاء آثارهم، وتحري طريقتهم في التكوين والنشأة.

والركيزة الأولى في تكوين الداعية إلى الله (تعالى) هي العلم، فهو الذي أمر الله به نبيه في أول آية أنزلت عليه، والأمر له ولسائر أمته معه، وعلى ضوء العلم يتم العمل والدعوة.

وكما حرس الله بيضة الإسلام بالمجاهدين: حفظ شريعة الإيمان بالعلماء والمتعلمين، والجهاد لا يتم على وجهه الحق إلا بالعلم المفصل بالقرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، إذن: فالعلم ضرورة شرعية [1]؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولأن حاجتنا إليه لا تقل عن حاجتنا إلى المأكل والمشرب والملبس والدواء؛ إذ به قوام الدين والدنيا.

ولقد كان من أعظم أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر: الجهل، وقلة العلماء العاملين، وسوء الخطط في مراحل الدراسة المختلفة في البلاد الإسلامية، وضعف الهمم والعزائم في الجد والتحصيل، والتخصصات الجزئية التي

(1) انظر رسالة بهذا العنوان ، د. ناصر العمر.

أضعفت العلوم الشرعية، والانهزام النفسي أمام بعض العلوم المادية، والنظر إلى التخصصات الشرعية نظرة دونية.

أقسام العلم الشرعي ـ من حيث الحكم ـ ثلاثة:

١ ـ **فرض عين**: وهو تعلم ما يتأدى به الواجب العيني.

٢ ـ **فرض كفاية**: وهو تحصيل ما لا بد للناس منه في أمور دينهم ودنياهم.

٣ ـ **مستحب**: وهو التبحر في أصول الأدلة، والإمعان فيما وراء القدر الذي يحصل به فرض الكفاية.

فضائل العلم وأهله[١]:

إن تذكرها يبعث الهمم، ويجدد العزائم، ويطرد الكسل، ويعين على الجد، وقد جاءت بها نصوص كثيرة جداً.

فمن فضائل العلم: أنه أول ما خاطب الله به نبيه، فقال: ﴿اقرأ﴾، وما أمره بطلب الزيادة من شيء إلا منه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ولا غرو: فإنه يورث الإيمان، بل لا يكون الإيمان إلا به، وثمرته اليقين، وهو من علامات الإيمان ودلائل إرادة الله الخير بصاحبه، وهو أجل النعم، فإنه حياة القلب ونوره، والجهل من صفات أهل النار، والعلم ميراث الأنبياء، وهو خير من النوافل، فإنه من أعظم الجهاد، وأجلّ العبادات؛ قال ﷺ: «من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله...»[٢].

وهو الحماية من الغفلة، وسبيل النجاة، وطريق الجنة، وهو شرف لصاحبه، ورفعة في الدارين، وهو سبيل الكمال، وطريق البركة، ودوام الأجر، وسبيل السعادة، وهو كشاف للحقائق، وإمام العمل، وطريق الهداية، ودواء الأمراض القلبية، وبه ينال صاحبه بركة دعاء النبي ﷺ، ويستثنى من اللعنة، وتضع له

---

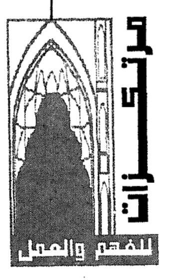
(١) انظر تفصيلها في مفتاح دار السعادة، لابن القيم، جـ١، ص ٤٨ ـ ١٥٧.

(٢) رواه ابن ماجة، ح/ ٢٢٧، وانظر صحيح سنن ابن ماجة، ح/ ١٨٦.

الملائكة أجنحتها، ويُباهي به الله ملائكته.

ومن فضائل أهله: أن الله استشهدهم على توحيده، فزكاهم وعدّلهم، ونفى التسوية بينهم وبين غيرهم، فإن الجاهل بمنزلة الأعمى، وأولو العلم هم أهل الذكر، الذين يظهر لهم الحق، وهو آيات بينات في صدورهم، فاستحقوا رفعة الدرجات في الدارين ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [المجادلة: ١١]؛ فهم أهل الخشية، والمنتفعون بضرب الله الأمثال، وعدول الأمة.

أما آثاره على الأمم فهي متمثلة في: الإيمان بالله (تعالى)، ومعرفته حق المعرفة، واجتناب المنكرات، والقيام بحقوق كل ذي حق، والسعادة النفسية، وتحكيم شريعة الله.



مقارنة بين العلم والمال:

- العلم ميراث الأنبياء، والمال ميراث الملوك والأغنياء.
- العلم يحرس صاحبه، وصاحب المال يحرس ماله.
- العلم يزداد بالبذل والعطاء، والمال تذهبه النفقات ـ عدا الصدقة ـ.
- العلم يرافق صاحبه حتى في قبره، والمال يفارقه بعد موته، إلا ما كان من صدقة جارية.
- المال يحصل للبر والفاجر، والمسلم والكافر، أما العلم النافع فلا يحصل إلا للمؤمن.
- العالم يحتاج إليه الملوك ومن دونهم، وصاحب المال يحتاج إليه أهل العدم والفاقة والحاجة.
- المال يعبِّد صاحبه للدنيا، والعلم يدعوه لعبادة ربه.
- العالم قَدْرُه وقيمته في ذاته، أما الغني فقيمته في ماله.
- الغني يدعو الناس بماله إلى الدنيا، والعالم يدعو الناس بعلمه إلى الآخرة.

آثار الجهل على الأمم:

إن الأمة التي ترضى بالجهل، وتتقاعس عن العلم تدفع الثمن غاليًا، والضريبة مضاعفة، ومن آثار الجهل ـ التي شهدت بها السنن الكونية، وسطرها التاريخ على مستوى الفرد، أو المجتمع ـ: انتشار البدع والضلالات في العقائد والعبادات والمعاملات، وضعف الإيمان، وقلة التقوى، وازدياد المعاصي، وضعف الهيبة أمام الأعداء، وتقييد الأمة بأغلال التخلف في جميع المجالات، وكثرة المشكلات الأسرية، والخمول والكسل، وضعف الهمم، والقصور عن إدراك المعالي.. وهي نتائج حتمية للجهل.

وشتان بين هذه، وبين ما جعله الله جزاءً حسنًا عاجلاً في الدنيا لمن يتعلمون العلم ويعملون به، الذين يحصِّلون الإيمان بالله (تعالى)، ومعرفته حق المعرفة، فتقل فيهم المنكرات، ويحصل القيام بحقوق كل ذي حق، وتُحكَّم شريعة الله، وبذلك تُجتلب السعادة.

الأسباب المعينة على طلب العلم(وسائل التعلم):

١ ـ **تقوى الله**: قال الله (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ...** ﴾ [الأنفال: ٢٩].

٢ ـ **كثرة الاستغفار والتوبة والدعاء**، والانطراح بين يدي الله (تعالى)، وسؤاله العلم النافع والعلم الصالح.

٣ ـ **ذكر الموت والآخرة**، ليعين على شغل الوقت بالنافع.

٤ ـ **المحافظة على الأوقات**، وحسن ترتيبها، والحرص على استغلالها، بحيث يُعطى كل ذي حق حقه، بدون غلو ولا جفاء، وهذا شرط لا يحصل العلم بدونه.

٥ ـ **ترك الفضول من الكلام والسماع والنظر والخلطة والمنام**، والاقتصار على ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة من ذلك.

٦ ـ **الإكثار من قراءة ما ورد في العلم وفضل أهله**، وحال السلف في

طلبهم للعلم.

٧ ـ **مخالطة من هم أكثر علمًا وفهمًا**؛ لئلا يقنع الطالب بما حصّل من علم، فيحرص على الاستزادة، وليتجنب العُجْب والغرور.

٨ ـ **سلوك الوسائل المباشرة للتعلم**، مثل:

ملازمة العلماء والمشايخ في المساجد والبيوت، والتلقي عنهم، والتعلم في المدارس، والمعاهد، والجامعات، والقراءة مع الزملاء والأصدقاء وطلاب العلم، وكثرة الاطلاع، والقراءات الخاصة المنتقاة المرتبة، وإعداد البحوث الدقيقة، والاستماع إلى الأشرطة النافعة.

بعض صفات طالب العلم وآدابه:

ـ **الإخلاص لله (تعالى)**، قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله (عز وجل) لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عُرْف الجنة يوم القيامة»[1]، يعني ريحها.

ـ **الصبر وتحمل المشاق وسعة الصدر**، فإن العلم جهاد لا شهوة.

ـ **التواضع والحذر من الكبر والغرور.**

ـ **التفرغ للعلم والإقبال عليه**، بشرط التوازن وعدم الإخلال بالواجبات الأخرى.

ـ **توقير العلماء وإكرامهم** والتأدب معهم، وحفظ مكانتهم، وتوقير مجالسهم، وحسن السؤال والإصغاء.

ـ **البعد عن الجدال** والمراء العقيم.

ـ **حسن المظهر** وجمال الهيئة.

واجبات طالب العلم:

إن المسؤولية عظيمة، والواجب كبير، ومما يجب على طالب العلم: الورع،

١) أخرجه أبو داود، ح/٣٦٦٤، وانظر: صحيح سنن أبي داود، ح/٣١١٢.

والتقوى، والعمل بالعلم، والحرص على نشر العلم وتبليغه ـ مع الحذر من الفتوى بغير علم ـ، والدعوة إلى الله على بصيرة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقدوة الصالحة، والاستمرار في طلب العلم حتى الممات، والجرأة في الحق، والوعي الكامل الشامل بواقع الأمة، ومعرفة سبيل المجرمين.

إن الانخراط في سلك العلم الشرعي يعني أن صاحبه وقف نفسه لله، ونذر وقته لخالقه، يتعلم ليعمل ويعلِّم ويدعو ويصلح، وإذا لم يقم طالب العلم بواجبه فمن سيقوم به؟!، ويكفي أن نعلم أنه لو قام عدد كاف من طلاب العلم بواجبهم لما كانت الأمة بهذا المستوى، فإلى الله المشتكى .

اقتضاء العلم العمل [1]:

وهو بيت القصيد، والذي يجب التركيز عليه والاهتمام به؛ وذلك لما نرى من كثرة المتعلمين، وقلة العاملين، ولما نشاهد من إعجاب كثير من طلاب العلم بألقابهم ونسيانهم لرسالتهم في أمتهم ومجتمعاتهم؛ حيث لم يدركوا خطورة إهمالهم لأمر الله (تعالى) ورسوله ﷺ، وأيضاً: لما نلحظ من القصور الواضح في مناهج التعليم، وبخاصة الفصل الواضح بين العلم والعمل، والأمة إنما تحتاج ـ في الحقيقة ـ إلى العلماء المؤثرين العاملين، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

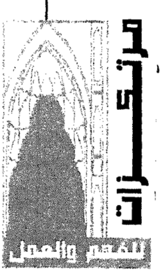
إن العلم لا قيمة له بدون العمل، ولذا: تكاثرت النصوص في الكتاب والسنة ـ وكذا أقوال السلف ـ مؤكدة وجوب ربط العلم بالعمل، ومحذرة من الفصل بينهما: كم نقرأ في كل يوم قول الله (تعالى): ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، قال العلماء: المغضوب عليهم: هم الذين لم يعملوا بعلمهم، ويدخل فيهم اليهود بهذا الوصف، والضالون: هم الذين يعملون على جهل وضلال، ومنهم النصارى، فهل فهمنا المقصود؟!.

---

١) للخطيب البغدادي رسالة بهذا العنوان.

وقال (تعالى): ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال ﷺ: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس»... وذكر منها: «.. وماذا عمل فيما علم»[1]، وكان ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع [2].

وقال أبو هريرة: «مثل علم لا يعمل به كمثل كنز لا ينفق منه في سبيل الله»، وقال عمر: «لا يغرركم من قرأ القرآن، ولكن انظروا من يعمل به»، وقال سهيل بن عبد الله: «الدنيا جهل وموات، إلا العلم، والعلم كله حجة، إلا العمل به، والعمل كله هباء إلا الإخلاص، والإخلاص على خطر عظيم حتى يختم به».



من آفات طالب العلم:

وهي آفات مهلكة، أو مضيعة للعلم، أو مسببة لعدم الانتفاع به، ومنها:

١ ـ **المعاصي**، وهي آفة الآفات؛ لأن العلم هو ما ورث الخشية، قال (تعالى): ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، والمعاصي تناقض الخشية.

٢ ـ **الكبر والغرور**، وهو من أسرع الآفات إلى طلبة العلم، والمتعلمين.

٣ ـ **المراءاة والمخاصمة والجدل**.

٤ ـ **كتم العلم**، وهو يؤدي إلى نسيانه وذهابه، وكذا: عدم التورع في إطلاق الفتوى، والقول بلا علم.

٥ ـ **الانشغال بالدنيا**، وكثرة الفضول.

٦ ـ **المداهنة في دين الله**، والسكوت عن إظهار الحق، وعلى إنكار الباطل.

٧ ـ **النسيان**، ويكون علاجه: بالمذاكرة، وبذل العلم، وترك أسباب ذهابه،

---

١) أخرجه الترمذي، ح/٢٤١٦، وانظر صحيح الجامع، ح/٧٢٩٩.

٢) أخرجه مسلم، ح/٢٧٢٢.

كالمعاصي وغيرها.

ملحوظات وتنبيهات:

● ينبغي ألا يدفعنا الحديث عن العلم إلى الانقطاع له انقطاعاً يشل حركة بقية جوانب العمل الأخرى، بل لا بد من الشمول والتوازن؛ لأن التخلي عن الدعوة والعمل بحجة طلب العلم خطأ وانحراف، فالواجب: تزامن الأمرين؛ فإن الفصل بين العلم والعمل تفريط وشطط.

فالأمة: كما أنها تحتاج العلماء، فإنها تحتاج الدعاة والمجاهدين، وتحتاج كذلك أن يكون هناك متخصصون في العلوم التجريبية بشتى فروعها، ولكن ينبغي ألا ينسى كل هؤلاء حظ أنفسهم من العلم الشرعي الواجب، والاستزادة قدر الإمكان من القدر المستحب.

● أيضاً لا بد من الشمول والتوازن في طلب العلم، فيأخذ طالب العلم من كل علم بقدر، ولا مانع بعد ذلك أن يتخصص في علم من العلوم الشرعية بهذا الشرط، وهو أن يكون على صلة وثيقة ببقية التخصصات الأخرى.

نسأل الله (عز وجل) أن يوفقنا إلى العلم النافع والعمل الصالح.

حزب الرفاه

ماذا حقق من خططه في الإ صلاح

تمهيد:

نال حزب الرفاه الإسلامي أكثر الأصوات في الانتخابات الأخيرة وإن لم ينل الأغلبية، ومر استلامه السلطة بمخاض طويل، اتضح فيه للجميع مدى الخيبة والمصيبة التي حلت بالأحزاب العلمانية التركية، وتبين أيضاً مدى الحقد الذي يكنه أولئك العلمانيون ضد الإسلام، وفي آخر الأمر: استلم (الرفاه) رئاسة الوزراء لأول مرة في تاريخ تركيا المعاصر بعد انقلاب «أتاتورك» الماسوني، مؤكداً تطلع قطاعات كبيرة من الشعب التركي إلى عودة الإسلام من جديد، مما يضع سابقة لن يصبح بعدها الإسلاميون غرباء على الحياة السياسية بوصفهم اتجاهاً فاعلاً له شعبيته.

وما زال العلمانيون يضعون الأحجار في طريق الرفاه، ومنها: ما كان منهم بعد إقامة «أربكان» (احتفالاً رمضانياً)، فقد أثار حزب الشعب اليساري دعوى ضد «أربكان» لمحاكمته، بزعم خرقه الدستور العلماني، والمطالبة بسجنه، وفي هذه المقالة يقدم لنا الأستاذ مصطفى محمد الطحان ـ بحكم متابعته للحدث ـ هذه الدراسة الموثقة، ونحن قد لا نتفق بالضرورة معه في كل ما ذكره، إلا إنها متابعة تستحق القراءة والتأمل، وتستحق الشكر لكاتبها. ـ البيان ـ

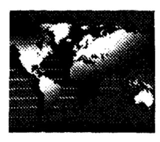
الحديث ما زال مبكراً عن إنجازات حزب الرفاه، حيث لم يكمل بعد سنته الأولى.

كما أن الأمر لا يتعلق بحزب الرفاه وحده، فهو شريك حزب الطريق القويم، الأكثر تمثيلاً للاتجاه العلماني الحديث، الذي يضم في صفوفه صقور الجيش والأمن السابقين أمثال «دوغان غوريش» رئيس الأركان السابق، و«محمد أغار».. وغيرهم، وهو الضمانة الأقوى للدفاع عن العلمانية والحداثة والتعالي القومي.

المسلمون



والعالم



بقلم: مصطفى محمد الطحان

بالإضافة إلى ذلك: فالساحة التركية شديدة التعقيد داخليًا وخارجيًا.. فقد قطّعت أسبابها مع محيطها منذ سنين عدة.. وتعلقت بأوروبا التي لم تقدرها كما ينبغي .. فغدت مثقلة بالمشكلات والتوترات، والتضخم الاقتصادي، والحرب الكردية التي تستنزف ثلث ميزانية البلاد، بالإضافة إلى ضرب وحدتها الوطنية.

وفي هذه الظروف الصعبة يطالب المراقبون حزب الرفاه بكشف الإنجازات خلال هذه الفترة الوجيزة من حكمه!!.

مقابلة مع الرئيس: في مقابلة مع رئيس الوزراء البروفيسور «نجم الدين أربكان»، بعد أيام من تسلمه منصبه الجديد.. قال: لقد كنّا نعارض الخطط الاقتصادية الحكومية التي تعتمد على القروض والضرائب.. وكنّا نتصور أن دولة غنية مثل تركيا لا يمكن أن تكون منهارة اقتصاديًا ما لم تكن هناك أيادٍ عابثة تنهب ثروات البلاد.. وعندما أصبحنا في الحكومة واطلعنا عن كثب على الأمور: وجدناها أسوأ بكثير مما كنا نظن، وجدناها فئة محدودة العدد من أرباب الشركات الكبرى (الهولدنغ) تسلطت على الدولة، كل ينهب بأقصى قدرته.. ورجالات الدولة مجرد شركاء لهؤلاء في التسلط والنهب.

ـ الديون الداخلية تقترضها الخزينة من هؤلاء.. فيتقاضون على ديونهم ١٤٠٪ فائدة، أي: بمعدل ٣٧٪ على حساب الدولار.

ـ البنك المركزي يقترض أموالاً لمدة يوم أو يومين بفائدة ٨٠٪، يقترضها أيضًا من هؤلاء.

ـ هذه الأمور زادت التضخم ورفعت الأسعار، وأفقرت الشعب، وأفلست الدولة.. لحساب فئة محدودة متحكمة في السياسة والاقتصاد وفي الأمة كلها.. وضبط هذا التسيب يوفر على الدولة خمسة مليارات دولار في السنة على الأقل.

ـ رصيدنا من العملات الصعبة يبلغ حاليًا (٢١) مليار دولار، منها (١٨) مليار دولار مودعة لدى الغرب بناء على تعليمات البنك الدولي، تتقاضى تركيا عليه ٢ر١٪، بينما تدفع أكثر من ١٠٪ فائدة عن كل قرض تأخذه من هؤلاء.. أليس هذا أمر عجاب ..؟!.

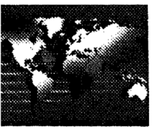
ـ عندما نظرنا في الخزينة وجدنا للدولة (١٠٠) ألف حساب بنكي متناثر، يعبث به العابثون.. عندما جمعنا هذه الحسابات في حساب مركزي واحد وجدناه يعادل (١٥) مليار دولار.

ـ بالتدقيق السريع وجدنا أن كميات البنزين التي تُشتري لحساب سيارات الدولة ـ وعددها (٣٠٠) ألف سيارة ـ تزيد ثلاث مرات عن الحاجة الحقيقة.. وضبط ذلك يوفر على الدولة ٣٠٠ مليون دولار في السنة.

ـ وكم من المصالح الحكومية تهدر بهذه الطريقة...!! .

أولاً: الانجازات الاقتصادية: لقد أثبتت التجربة المرّة أن النظام العلماني الذي قام في تركيا منذ أكثر من سبعين سنة .. لم يعد صالحًا للاستمرار.. لقد اختفت الطبقة المتوسطة، وأصبحت غالبية السكان الساحقة من الفقراء المحرومين من لقمة عيشهم ومسكنهم وطبابتهم وملبسهم ومدارسهم وجامعاتهم.. والأحزاب على اختلاف ميولها ، ورجال الأحزاب على اختلاف أسمائهم، ما هم إلا شركاء في الجريمة، يتنافسون ويتشاكسون للحصول على مغانم أكبر .. كان هذا هو السبب الرئيس الذي اندفع من أجله الناس لتأييد حزب الرفاه.. وعليه: فقد بادر الحزب منذ الأيام الأولى إلى اتخاذ سلسلة من الإجراءات الاقتصادية لانتشال هذا الشعب ـ بالقدر المستطاع ـ من وهدة الفقر الذي هو قرين الجريمة والكفر،





ومن هذه الإجراءات :

رفع أجور موظفي الدولة والمتقاعدين :فقد أصدرت الحكومة قراراً برفع أجور موظفي الدولة والمتقاعدين بنسبة ٥٠٪، واستفاد من هذا القانون حوالي (٧,٥) مليون موظف ومتقاعد، كما تم رفع رواتب الجيش والبوليس بنسبة أعلى من هذه النسبة، أي : إن نصف الشعب التركي قد تحسنت أحوالهم المعيشية على الفور.

وفي الوقت نفسه : تمّ رفع الحد الأدنى للأجور إلى (١٧) مليون ليرة تركية شهريًا ، أي : ما يعادل أكثر من ٢٠٠ دولار .. بعض العمال كانوا يتقاضون أقل من خمسين دولاراً شهريًا .. فهل بالإمكان أن نتصور كيف كان يعيش هؤلاء في بلاد أصبح كل شيء فيها مكلفًا ...؟.

خطة الرفاه الاقتصادية :

أعلن حزب الرفاه خطته الاقتصادية، وتشمل النقاط التالية :

- تشجيع استقدام مدخرات العاملين في الخارج.
- تسريع عملية التخصيص .
- بيع الأراضي والمؤسسات والأبنية التابعة للدولة، التي يستغلها أصحاب النفوذ.
- جمع حسابات الدولة في حساب واحد.
- تسريع جمع الضرائب .. وخفض قيمتها لمن يدفع أسرع.
- استقطاع نسبة ٦٪ من قيمة الواردات لتشجيع الصادرات.
- تحصيل رسوم استخراج المعادن.
- الأبنية التي بنيت بدون رخصة رسمية .. ترخص وتباع .

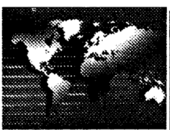
وهذه الخطة توفر على الدولة عشرة مليارات دولار.

وعلى الرغم من أن الصحف نالت من هذه الخطة ووصفتها بـ(الخيالية) .. إلا إنها الأولى منذ خمسين سنة التي لم تبنَ على مزيد من الضرائب، أو مزيد من القروض، أو مزيد من طبع الأوراق المالية.

لقد أعلن «أربكان» في مؤتمر صحفي أن (صندوق الفقراء) الذي كان يُسرق أو يحول إلى مصروفات أخرى.. قد أعيد تشكيله .. ولن يبقى في تركيا محتاج واحد.. وأعطى أرقام تلفونات ليتصل عليها كل محتاج ليأخذ حاجته، وختم كلامه فقال: إن هذه الطبقة التي يتبرأ منها الجميع، نحن أصحابها.

ثانيا: الإنجازات الأمنية: إعادة الأكراد إلى قراهم، هذه القضية من أخطر القضايا التي تعاني منها تركيا، وإذا كانت الأحزاب تعلن في شعاراتها حلولاً للقضية الكردية، إلا أنها ظلت مجرد شعارات للاستهلاك، بينما أوكلت هذه الأحزاب القضية للجيش، والجيش لا يعرف غير القتال، وهكذا قتل أكثر من (٣٠) ألفًا من أبناء تركيا (أتراكاً وأكراداً) واستنزف ثلث الميزانية، وهجرت (٢٤٠٠) قرية من (٢٠) محافظة في شرق تركيا وجنوب شرقها، ونزح أكثر من (٢٧٥) ألف كردي من أراضيهم بعد تهديم بيوتهم والقضاء على ثرواتهم الحيوانية، أما حزب الرفاه فإنه يؤمن بالقضية إيمانًا حقيقيًّا؛ فالأكراد يمنحونه أصواتهم منذ تأسيسه، والأخوة الإسلامية التي يطرحها الحزب حلاً لهذه القضية هي الحل الأوحد الذي لا حل سواه.

وهذه القضية لم تعد قضية محلية ، فلحزب العمال الكردستاني الذي يقاتل الجيش التركي منذ عام ١٩٨٤م ، ويطالب بالانفصال عن تركيا.. لهذا الحزب علاقات مع كل الدول المعادية لتركيا مثل بلغاريا واليونان وسوريا والعراق، وربما إيران .. ولهذا: فحل القضية الكردية لا يكفي فيه الإعلان عن إعادة الأكراد إلى قراهم وتعويضهم .. بل لا بد من الوصول إلى حل حقيقي عن طريق التفاوض .. يحفظ لتركيا وحدتها ويعطي للأكراد هويتهم وحقوقهم ، وكذلك لا بد من التصالح مع كل دول الجوار التي تغذي الأكراد وتدربهم وتسلحهم.. ولقد حاول حزب الرفاه القيام بكل ذلك، فلقد صرّح الكاتب الإسلامي «إسماعيل ناجار» لجريدة



(صباح) التركية أن رئيس الوزراء كلفه بالاجتماع ببعض الشخصيات الكردية المؤيدة لحزب العمال الكردستاني لاستطلاع أيسر السبل لإيقاف هذا النزيف المستمر.

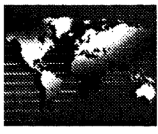
كما إن النائب عن حزب الرفاه «فتح الله أرباش» صرّح بأنه يقوم بمحاولات مشابهة، وأن الحكومة تؤيد وجود إذاعة ومحطة تلفزيونية باللغة الكردية، وصرح نائبْ رئيس حزب الطريق القويم «محمد جولهان» أن الحزب يؤيد مثل هذا التوجه بشرط أن يُلقي المحاربون أسلحتهم.

أما تهيئة الأجواء الخارجية لحل هذه القضية: فالحزب جاد في ذلك .. فلقد بعث وزراءه إلى دمشق وبغداد، وزار «أربكان» إيران .. وجزء رئيس من أهداف هذه الزيارات هو نزع فتيل القضية الكردية، وقد تعهد الرئيس «رفسنجاني» بتعزيز الأمن على الحدود بين البلدين .. الأمر الذي سينعكس إيجاباً على القضية الكردية وعلى علاقات الجيش التركي مع الحكومة الحالية.

التمديد لقوة المطرقة لمدة ٥ سنوات: وحزب الرفاه يطالب بانسحاب القوات الغربية التي ترابط في تركيا منذ حرب الخليج بحجة مراقبة شمال العراق وتأمين الحماية لأكراد العراق.

ولقد أعلن «أربكان» في البرلمان، يوم التجديد لهذه القوات، وسط مزايدات أحزاب المعارضة، فقال: لقد مددتم لهذه القوات مدة خمس سنوات .. فهل تريدون أن نسحبها في اليوم الأول لوجودنا في السلطة؟ إن هذا بعيد عن الإنصاف!!.

ومع ذلك: فلم يوافق الرفاه على التمديد هذه المرة إلا بعد الموافقة على الشروط التالية: صيانة الحدود العراقية، عدم قيام دولة كردية في شمال العراق، توحيد الجهود ضد الإرهاب، تيسير المحادثات بين قادة أكراد شمال العراق وحكومة بغداد، إغلاق معسكر (أرتوش)، الإسراع في تسليم الأسلحة الأمريكية التي دفعت تركيا ثمنها ولم تتسلمها، زيادة عدد



القوات التركية في مركز (زاخو)، تأمين حرية التجارة بين تركيا والعراق وفتح خط النفط المغلق، تعويض تركيا عن الأضرار التي لحقت بسبب الحصار، تقليل طلعات الطيران المنطلق من (زاخو) إلى النصف، والعمل على نقل مركز هذه القوات من (زاخو) إلى (سيلوب) في تركيا.

لم يقبل حزب الرفاه التجديد لهذه القوات إلا بعد أن وقّعت الدول المتحالفة على هذه الشروط ، وشروط أخرى وافق عليها البرلمان، وهي: إنهاء حالة الطوارئ في منطقة شرق تركيا بالتدريج، وإعادة الأكراد المهجرين إلى قراهم، وربط الموافقة على وجود قوات المطرقة بمجلس الوزراء في المستقبل .

وحسب قول ديبلوماسي غربي : أثبت « أربكان » أنه مفاوض ماهر، وأنه يعرف قيمة ما يقدمه للغرب، وهو وجود عسكري ونفوذ سياسي في المنطقة، وهذا لا يمكن أن يكونٍ بلا ثمن، **فهل تعتبر هذه الموافقة الاضطرارية المكبلة بالشروط نوعًا من الإنجاز؟!.**

أزمة السجون : بعد تسلم حزب الرفاه السلطة مباشرة، انفجرت أزمة كبيرة في سجون تركيا .. حيث أعلن السجناء اليساريون في مختلف السجون إضرابًا عن الطعام ، يطالبون بإغلاق سجن إسكي شهير، الذي يسمونه (التابوت)، ونقلهم إلى سجون أخرى، وتحسين ظروف اعتقالهم، وكانت فرصة لانقضاض الصحافة على حزب الرفاه وعلى وزير العدل « شوكت كازان »، وتساءل معلق صحفي مشهور هو « محمد ألتان » ، لماذا يحدث هذا؟!، إننا نرى إرهاب الدولة كل ليلة عبر شاشات التلفزيون، نرى الشرطة تركل وتضرب، وتجر شعور بنات شابات، وإذا كانوا يفعلون هذا أمام أعيننا فماذا يفعلون سرًّا..؟.

وتمكن « كازان » بالتعاون مع عدد من الوسطاء من حلّ القضية والاتفاق مع السجناء على إنهاء الاضراب، ونقل المضربين إلى المستشفيات، وتحسين ظروف المعتقلين، وتحسين أوضاع السجون، وكان

المسلمون والعالم

بإمكان حزب الرفاه التنصل من هذه القضية؛ فقد ورثها عن سابقيه، إلا إنها تكشف مدى الانهيار الأخلاقي في تعامل السلطة مع السجين، وليس الأمر في تركيا وحدها.

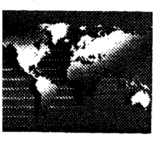
ثالثاً: الإنجازات الخارجية: لا نعرف بالضبط إذا كانت القوى الحليفة التي شكلت الحكومة مع «أربكان» قد أدركت مغزى تصريحاته، فمنذ اللحظة الأولى أصر «أربكان» على صداقة الغرب والتعاون معه، مع الاهتمام بعلاقات تركيا مع دول الجوار والدول الإسلامية، فالاتحاد الإسلامي إحدى الركائز الخمس التي يقوم عليها برنامج حزب الرفاه، وسواء أأدرك هؤلاء أم لم يدركوا، فقد كان لجولة رئيس الوزراء إلى إيران وباكستان وسنغافورة وماليزيا وإندونيسيا أكثر من مغزى وأكثر من تفسير، وإن كانت زيارته لإيران أثارت العديد من التفسيرات.

لقد وقّع «نجم الدين أربكان» مع إيران عقداً تزود بموجبه إيران تركيا بالكهرباء والنفط والغاز لمدة عشرين سنة، قيمة العقد (٢٣) مليار دولار.

ولقد استقبلت الإدارة الأمريكية هذا الخبر بكثير من الاستياء، وصدر عن المسؤولين الأمريكان العديد من التعليقات التي تحمل التهديد في طياتها، ولقد ردّ «أربكان» على ذلك بطريقة غير مباشرة، وقال: «إن حقبة جديدة بدأت بين البلدين الجارين المسلمين، وإن هذا الأمر لا يعني السياسة الأمريكية ولا أهدافها».

إن «أربكان» لا ينظر لهذه العلاقات بالمنظار الاقتصادي البحت، وإن كان ذلك مهمًّا للغاية بالنسبة له، ولكنه يرى في ذلك قوة سياسية واستقراراً أمنيًّا يفيد الجميع، فإذا كانت إيران تشجع حزب العمال الكردستاني نكاية بالسياسة التركية السابقة تجاهها، فهي معنية اليوم بالاستقرار من أجل مصالحها؟.

وينظر «أربكان» لهذه المسألة من زاوية أخرى: فهو يرى أن «كلينتون» عندما يعاقب الذين يتعاملون مع إيران، وليبيا، والعراق،



وغيرها.. فهو إنما يفعل ذلك استكباراً لا حق له فيه، واستهتاراً بمصالح الشعوب الأخرى ، فهل على الشعوب بالتالي أن تستسلم لهذه الهيمنة أم تدافع عن حقوقها؟، ثم: هل يحق لتركيا أن تضحي بعشرين مليار دولار قيمة خسارتها عندما تقطع علاقاتها التجارية مع جيرانها، من أجل مصالح الغرب في المنطقة واستيعابها حسب مصالحه..؟.

وإذا كان الاتحاد الأوروبي الذي هو شريك أمريكا في (البلطجة السياسية) استنكر قانون «كلينتون»، أفلا يحق لنا أن ندافع عن مصالحنا مثلهم؟.

إن تحسين العلاقات بين تركيا وإيران ضرورة أمنية واقتصادية واستراتيجية، والتنسيق بينهما في آسيا الوسطى يحقق للبلدين كثيراً من الفوائد.

زيارة أربكان لبعض الدول الإسلامية: قام «أربكان» بزيارات شملت إيران وباكستان وسنغافورة وماليزيا وإندونيسيا ، وللزيارة أسبابها الخارجية، فقد أراد أن يقول لهذه الدول وللعالم المقولة نفسها التي ذكرها للصحفيين بعد عودته: أردنا أن يعرف العالم أن تركيا التي أعرضت عن الدول الإسلامية ردحًا من الزمن عادت إليهم لتتعاون وتتكامل معهم سياسيًّا واقتصاديًّا .

وللزيارة كذلك جانب اقتصادي واستراتيجي، فمن أهم مشكلات تركيا: العجز في ميزان تجارتها الخارجية، وهذه الزيارات ستزيد من حجم صادرات تركيا لهذه الدول، خاصة وأن دول آسيا لها موقع مهم في الاقتصاد العالمي؛ فهي تنتج حاليًا ٢٠٫٨٪ من الإنتاج العالمي، وسيزيد هذا الرقم في سنة ٢٠١٩هـ إلى ٥٠٫٧٪، بينما سيتناقص إنتاج أوروبا وأمريكا واليابان إلى ٣٩٫١٪، مما يؤكد أهمية العلاقات مع هذه الدول الصاعدة.

وفي إيران: اتفق على ترتيب أمن الحدود المشتركة، وتطوير التعاون التجاري والمواصلات، وإزالة العقبات التي تحول دون تطوير الصادرات، بحيث يرتفع حجمها إلى (٢٫٥) مليار دولار في السنة، بدلاً من

المسلمون



والعالم

(٢٠٠) مليون دولار حالياً.

وفي باكستان: اتفق على تنفيذ بعض المشاريع المشتركة في الصناعات العسكرية، وأن تتعاون الدول الأربع على إنتاج طائرات للنقل الجوي وطائرات مروحية ، وبعض الصناعات الإلكترونية، وصناعة الغواصات، وتطوير محركات توماسان، وتشجيع ذلك عن طريق خفض الجمارك، واستخدام البنك الإسلامي الآسيوي للتنمية في تمويل هذه الصفقات.

وفي سنغافورة : اتفق على تدريب الطياريين السنغافوريين على طائرات أف ـ ١٦ ، وتشجيع الاستثمار في تركيا، وخاصة في المنطقة الحرة الواقعة على البحر الأبيض والبحر الأسود.

وفي ماليزيا : اتفق على مشاريع في ميدان الصناعات العسكرية، كالغواصات والدبابات والطائرات، وزيادة استثمارات ماليزيا في صناعة السيارات والمنتجات التكنولوجية والإلكترونية، وتطوير السياحة، ورفع مستوى الصادرات من (٤٠٠) مليون دولار إلى (١,٥) مليار في السنة، واستقدام أعداد كبيرة من العمالة التركية.

وفي إندونيسيا : اتفق على زيادة التعاون في ميدان صناعة الطائرات والغواصات والإلكترونيات والدبابات والسيارات.

وهكذا حققت هذه الزيارة التي استمرت عشرة أيام زيادة في حجم التجارة الخارجية بمقدار تسعة مليارات دولار، الأمر الذي سيسد العجز في تجارة تركيا الخارجية.

وأخيراً:

فالإعلام الداخلي فقد توازنه أمام حيوية رئيس الوزراء «نجم الدين أربكان»، وانسجام حزبي السلطة، والتناغم بين الحكومة والجيش، والتعلق الشعبي بالرفاه.. والإعلام الخارجي ينقل أكاذيب الإعلام الداخلي، لكن الحقيقة لن تغيب عن المتابعين والموضوعيين.

المسلمون



والعالم

الاعتداء على السودان..

خلفية تاريخية

في تطورمفاجئ ومريب وجد السودان نفسه أمام هجوم عسكري مباغت يقوده المتمرد الجنوبي «جون قرنق» وحلفاؤه الشماليون من الجبهة الشرقية، وتدعمه كل من إثيوبيا وإريتريا التي أكّد رئيسها «إسياس أفورقي» ـ في أكثر من تصريح له ـ دعم حكومته لكل عمل عسكري يسعى إلى إسقاط نظام الحكم في الخرطوم، بل وأتبع ذلك خطوات عملية تمثلت في توحيد المعارضة السودانية تحت قيادة «جون قرنق» في (أسمرا)، وإتاحة مجال التدريب العسكري لجنديها، وتزويدها بكافة التسهيلات الإعلامية والتحركات السياسية اللازمة، هذا غير ما يقوم به هو شخصيًا في المحافل الرسمية من اتهام السودان بتصدير الإرهاب، وإيواء المتطرفين، فماذا وراء هذه التحالفات المشبوهة التي يرعاها «إسياس أفورقي» ويتقدم مسيرتها؟.

للإجابة على هذا: لا بد من العودة إلى الوراء واستقراء التاريخ؛ حتى تتضح الرؤية، وتكتمل الحلقة، وإلا فمن الصعب تحليل أحداث اليوم بمعزل عن وقائع الأمس، ذلك أن أحداثًا كهذه لا يمكن أن تكون وليدة الساعة وليس لها جذور تاريخية، ولا ارتباطات خارجية.

أمور لا بد من إدراكها: وما يحدث حاليًا في القرن الإفريقي بعامة، وفي السودان بخاصة لن يتم تحليله بشكل صحيح ـ في نظري على الأقل ـ إلا في إطار هذه الرؤية الشمولية، ومن هنا: فإذا أردنا أن نعرف حقيقة الأحداث الماثلة أمامنا في هذه المنطقة الحيوية من العالم لزمنا إدراك ما يلي:

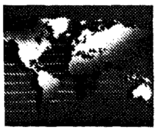
أولاً: أهمية موقعها الاستراتيجي.

ثانيًا: دورها الإقليمي والدولي في الصراعات العقدية، والاقتصادية.

المسلمون



والعالم



بقلم: د. جلال الدين محمد صالح

ثالثًا: الصبغة الحضارية المتفاعلة فيها.

ولبيان ذلك: أرى ضرورة عرض شيء مما شهدته المنطقة قديمًا ـ ولو بشكل مقتضب ـ من صراعات ضد النفوذ، وفرض الهيمنة، فإن ذلك يعيننا على ربط الأحداث بعضها ببعض، وفهمها على نحو متكامل.

تعود أهمية هذه المنطقة إلى أهمية وجود البحر الأحمر، حيث ميناء (مصوع) و(عصب) في إريتريا، و(بربرة) في الصومال، و(بورتسودان)، و(سواكن) في السودان، ثم ميناء (جيبوتي)، وكلها موانئ إسلامية مربوطة ومتصلة بميناء (جدّة)، والسواحل اليمنية، الأمر الذي يَسَّر ولوج الحضارة الإسلامية إليها منذ وقت مبكر، وربط أهلها بمنابع الثقافة الإسلامية عبر التواصل مع منائرها العلمية: (الحرمين الشريفين) في بلاد الحجاز، و(زبيد) في اليمن، و(الأزهر) في مصر، حتى كان من ثمار ذلك: بروز علماء أفاضل يحملون قسطًا من هَمّ الرسالة الإسلامية، كـ «جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي»، صاحب كتاب (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية)، و«عبد الرحمن الجبرتي» صاحب التاريخ المشهور بـ (تاريخ الجبرتي)، والإمام المجاهد «أحمد قران ١٥٠٦ ـ ١٥٤٣م» الذي أرخ لفتوحاته «شهاب الدين أحمد الجيزاني» في كتاب له سماه (فتوح الحبشة).

ولقد مات الإمام المذكور مقتولاً برصاص البرتغاليين الذين استنصر بهم الملك الحبشي ـ آنذاك ـ في صراعه مع المسلمين، ومنذ ذلك الحين ارتبطت سياسات الحبشة بسياسات الأوروبيين وأطماعهم، ففي عام ١٥١٠م

كتبت «هيلينا» التي تولت حكم الحبشة (من عام ١٥٠٨ ـ ١٥٤٠م) إلى «عمانويل» ملك البرتغال تقول: «السلام على عمانويل سيد البحار، وقاهر المسلمين القساة الكفرة، تحياتي إليكم، ودعوتي لكم، وصلتنا رسالة من قائد أسطولكم في بحر الهند؛ ليدافع عن عقيدة المسيح، ونحن على استعداد لمنازلة أولئك الكفار بإرسال أكبر عدد من جنودنا في البحر الأحمر، أو إلى مكة وجدَّة، لنقضي قضاءً تامًّا على جرثومة الكفار»[١].

وفي عام ١٥٢٠م أبرم حكام الحبشة وثيقة عهد وتحالف مع الدول الأوروبية، ترجمت إلى جميع اللغات الأوروبية، ونصت على توزيع مناطق النفوذ على النحو التالي:

«يحتفظ ملك فرنسا بقوة عسكرية في (سواكن)، ويمتلك ملك أسبانيا (زيلع)، ويتخذ ملك البرتغال من (مصوع) قاعدة لقواته، وأن تعمل هذه الجيوش ـ ومعها قوات حبشية ـ على غزو جزيرة العرب مهد الإسلام، وطرد الأتراك المسلمين من مصر وغيرها، وأن تمد الحبشة قوات حلفائها بما تحتاجه من رجال، وطعام، وأموال؛ حتى يتم تحقيق هذه الأهداف»[٢].

وكشف جاسوس فارسي يدعي «نور الدين علي تبريزي» ـ قبض عليه المماليك في مصر ـ أن: «نجاشي الحبشة أرسله إلى ملك الفرنجة يدعوه إلى الانضمام إليه لسحق الإسلام، ورفع لواء المسيحية بأن يغزو مصر من ناحية البحر، في الوقت الذي تغزوها فيه جيوش الحبشة من ناحية البر»[٣].

وكان من أهداف القادة البرتغاليين: «تحويل مياه النيل إلى البحر الأحمر لحرمان مصر من ري أراضيها، وتخريب شبكة الري التي كانت قائمة فيها»[٤].

المسلمون



والعالم

١) د. رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة في العصور الوسطى، ص١١٣.
٢) المصدر السابق، ص ١١٦.
٣) غسان محمد رحال: صراع المسلمين مع البرتغال في البحر الأحمر، ص ٧٩.
٤) المصدر السابق، ص ٩٩.

ولما جاء «منليك الحبشي ١٨٦٥ ـ ١٩١٣م» ساند بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا في جهودهم الرامية إلى الاستيلاء على السواحل الصومالية [١].

وفي عهد الإمبرطور «هيلا سيلاسي» ازداد هذا التواصل صلابة حتى إن عضو الكونجرس الأمريكي «هنري س. ريوس» قال: «كان الجيران المسلمون هم الأعداء التقليديون للملكة الإثيوبية، ومنذ القرن الخامس والأباطرة الإثيوبيون يتمسكون بالمذهب النصراني القبطي، وكانوا في حروبهم الواحدة تلو الأخرى يدافعون عن الإمبراطورية ضد الغزاة المسلمين المحتلين، وقد كان معظم القتال يدور بالقرب من الساحل الشمالي فيما يسمى اليوم إريتريا» [٢].

حقائق على ضوء التاريخ:

من خلال هذا العرض التاريخي يمكن أن نصل إلى تقرير ما يلي:

أولاً: أن هذه المنطقة هدف مقصود من الغرب لتقويض الوجود الإسلامي ومحاصرة نفوذه، وأن صراعهم مع المسلمين فيها قديم، قدم اكتشاف أهميتها عندهم.

ثانياً: أن الهيمنة عليها من الطرف المعادي يشكل تهديداً أمنيًّا، واقتصاديًّا لمن حولها من الدول الإسلامية، ويعدُّ أيسر الطرق إلى إخضاعها لسياسات معينة.

ثالثاً: أن تحقيق ذلك لا يتم إلا من خلال ربط الحكام المتعاقبين على الحبشة بمشاريع الحضارة الغربية، ومن هنا: كان عزل الكنيسة الحبشية ـ بإيعاز من بريطانيا ـ الملك «ليج إياسو ١٩١٣ ـ ١٩١٧م» الذي أعلن إسلامه [٣]، وتنصيب «زوديتو» ابنة «منليك» مكانه، وهي التي

١) غسان محمد رحال: صراع المسلمين مع البرتغال في البحر الأحمر، ص١٥٠.

٢) وثيقة الكونجرس عن محضر جلسة الكونجرس الامريكي في ١٩ يوليو ١٩٨٦م، ص٢٩ نقلاً عن رسالة الأخ بيان صالح: (الدعوة الإسلامية في إريتريا ما بين ١٣٧٠ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٥٠ ـ ١٩٩٠م)، ص ٦٦ ـ ٦٧.

٣) «ليج إياسو» هو في الأصل ابن السلطان «محمد علي» أحد سلاطين مسلمي الحبشة=



ورث عنها العرش الإمبراطور « هيلا سيلاسي » الذي استمر حتى عام ١٩٧٤م ، وهو العام الذي تحولت فيه إثيوبيا إلى نظام ماركسي متحالف مع الكتلة الاشتراكية تحت زعامة ما كان يعرف بـ(الاتحاد السوفياتي) سابقًا، ثم لم تلبث أن عادت إلى سيرتها الأولى بعد انتصار ثورة (التجراي) بقيادة « ميلس زيناوي »، و« إسياس أفورقي » على نظام « منجستو هيلا ماريام » بتأييد من الغرب الرأسمالي.

فمن هو «ميلس زيناوي»، ومن هو «إسياس أفورقي»، وما العلاقة بينهما؟.

«ميلس زيناوي»: هو زعيم الجبهة الشعبية لتحرير (التجراي)، ينحدر من قبيلة « التجراي » المجاورة لإريتريا شمالاً ، التي منها الملك « يوحنا الرابع »[1] ١٨٧٢ ـ ١٨٨٩م، قتيل الحركة المهدية[*] في معركة (المتى) على الحدود السودانية الإثيوبية ، ترأس « ميلس زيناوي » التحالف الذي أسقط « منجستو هيلا ماريام » وخلفه في حكم الحبشة.

إمّا «إسياس أفورقي»: فهو حاكم إريتريا الحالي، التحق بالثورة الإريترية في الستينيات بعد أن قطع دراسته الجامعية في (أديس أبابا)، وابتعثته الثورة الإريترية إلى (بكّين) ليعود بعد ذلك ويساهم في تأسيس حزب ماركسي[2] يمتطيه إلى غاياته ، كتب وثيقته (نحن وأهدافنا) منذ فجر التحاقه بالثورة، أبرز



المسلمون والعالم

= الذين تغلب عليهم « منليك »، وأُجْبِر على التنصر، وزوج بابنة الملك « منليك »، وأنجب منها « ليج إياسو »، وحيث إن « منليك » لم يخلف ذكرًا يرثه، رأى أن يكون حفيده وريثه، ولكن بعد ان أسلم خُلع وأودع السجن، ومات فيه مقتولاً على يد الإمبراطور « هيلا سيلاسي » وقت خروجه من إثيوبيا إلى السودان بعد انتصار الإيطاليين ودخولهم الحبشة، وقد عزل (رحمه الله) في ٢٧ / ٩ / ١٩١٧م، دون تاريخ حياته بأسلوب قصصي رائع الأديب الإسلامي « نجيب الكيلاني » (رحمه الله) في رواية (الظل الأسود).

١) قال الجنرال الإنجليزي « جوردن » الذي قُتل في الخرطوم : « إن يوحنا ـ ويا للعجب ـ يشبهني تعصبًا للدين، وإن له رسالة سينجزها، الا وهي تنصير المسلمين جميعًا » عباس العقاد، الإسلام في القرن العشرين.. حاضره ومستقبله، ص٧٢.

٢) صرح « إسياس » أن حزبه الماركسي تاسس عام ١٩٦٦م، الحياة/ ٧ / ١٠ / ١٤١٤هـ، ١٩ / ٣ / ١٩٩٤م.

*) انظر الفرق بين سلفهم وخلفهم !!.

فيها نزعته الشعوبية المعادية «للعرب» و «الإسلام»، وقد تمكَّن من أن ينفرد بقيادة (الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا) ويوجهها نحو أهدافه.

والعلاقة بينه وبين حليفه «ميلس زيناوي» تتمثل فيما يلي:

أولاً: أنهما يشتركان في اللغة، والعادات، والدين، والانتماء القومي، ويتجاوران في الموقع الجغرافي.

ثانياً: يجمع بينهما حلف سياسي مدعوم من الغرب وإسرائيل، وضعا نواته الأولى وهما في الأدغال، ويقوم على توطيد حكم الأقلية (التجرانية) في إثيوبيا، وإريتريا.

ثالثاً: يرتبطان بإسرائيل تمام الارتباط، وينسقان معها في رسم سياساتهما، التي محورها معاداة الوجود (العربي) و(الإسلامي) في المنطقة.

كان من آثار تحالفهما: الانقضاض المبكر على جبهة تحرير إريتريا [1] عام ١٩٨١م وإجلاؤها إلى السودان؛ باعتبارها تمثل الوجه العربي، وتنتمي إلى جذور إسلامية، والآن يعملان بعد وصولهما إلى السلطة بدعم من القوى الصليبية والصهيونية للحيلولة دون نهضة المشروع الإسلامي في المنطقة، سواء أكان في السودان أو غيره، ويحاولان إعادة تشكيل السودان على النحو الذي يتفق مع أهدافهما ومخططات حلفائهما، إدراكاً منهما لدور السودان، المتميز في نشر الثقافة الإسلامية ولغتها العربية في إفريقيا الشرقية، وحيث إن «جون قرنق» هو العدو التقليدي للوجود العربي والإسلامي في السودان؛ فإنه أنسب من يحمل هذا المشروع بحماس وإخلاص؛ ومن هنا: جرى تنصيبه قائداً عسكريًّا يقود الهجوم حاليًا على السودان، وانتصاره يعني بالنسبة لهما تأمين خلفيتهما بالقضاء على مشروع حضاري منافس ومغاير لمشروعهما، ويحكم من قبضتهما على من تحتهما من الشعوب الإسلامية، ويجعل من الثلاثة غصة في حلقوم

---

١) تعتبر جبهة تحرير إريتريا امتداداً لنشاط حزب الرابطة الإسلامية الذي تأسس في الخمسينيات، التي بدأت عام١٩٦١م بقيادة «حامد إدريس عواتي»، إلا إنها وقعت تحت حزب العمل الشيوعي حتى دخولها السودان، وسبب تصفيتها يعود إلى الخشية من عودتها إلى أصالتها.

الدول الإسلامية المجاورة، ويكون لهم ـ أيضًا ـ وزنهم في ترتيب الوضع الأمني، والاقتصادي للمنطقة.

أما الزعيمان الشماليان: «الصادق المهدي، ومحمد عثمان الميرغني»، فإنهما على الرغم مما يعرفانه عن «جون قرنق» وحقده عليهما، وخروجه على نظامهما: فقد رضيا الانضواء تحت لوائه،ومعلوم أن تحالف «جون قرنق» معهما ينتهي بانتهاء غاياته، فهو تحالف مرحلي، والعجيب أن «إسياس أفورقي» حامي هذا التحالف وراعيه، ـ الذي لجأ إليه الصادق المهدي ـ وصف حكومة الأخير بعدم الأهلية للمساهمة في حل المسألة الإريترية عندما سئل عما يمكن أن يقوم به السودان في ظل حكومة «الصادق» إزاء حل القضية الإريترية، ـ بل وبكل تحدٍّ ودون إشعار حكومة الصادق ـ تجرأ «إسياس أفورقي» على عقد اجتماع مع الرئيس الأمريكي الأسبق «جيمي كارتر» لمدة ساعة على متن طائرته في مطار الخرطوم حول تطورات القضية الإريترية عام ١٩٨٩م، وكان هذا اللقاء أول خطوة في الطريق إلى (أتلانتا) التي شهدت تحت رعاية «جيمي كارتر» اجتماع وفد القيادة الإثيوبية والإريترية، هذا اللقاء الذي تمخض عنه إدانة «منجستو» وتحميله فشل كل المساعي السلمية، وإضفاء وسام «الوطنية»[1] على جبهة «إسياس أفورقي» الذي توج أخيراً حاكماً على إريتريا بعد لقاء لندن الذي ضمه مع «ميلس زيناوي» و«هيرمان كوهين» رئيس دائرة القرن الإفريقي وقتها في وزارة الخارجية الأمريكية، وتعاقد فيه الثلاثة على المضي قدمًا ضمن استراتيجية التحالف التي كان منها استيلاء القوات الإريترية على جزيرة (حنيش الكبرى)، وتهديد أمن اليمن بأسلوب، قد يكون من بين أهدافه وضع فخ قصد به اصطياد اليمن بإقحامه في حرب منهكة ومهلكة، فضلاً عن الهيمنة على الجزيرة.

الخطر يهدد مصر أيضا: وليست (مصر) أيضًا بمنجاة عن أهداف هذا التحالف، بل هي في أولويات أهدافه، ولكن من خلال بعثرة أمن السودان

١) كان ذلك في ندوة عقدها الأمريكان عقب سقوط (مصوع)، ونشرت وقائعها جريدة الحياة، ٩/٣/١٩٩٠م.



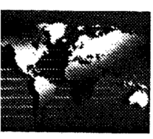
وإسقاطه في وحل الصراعات العسكرية، حتى يؤول ـ على الأقل ـ إلى ما آل إليه الصومال، وهذا في حد ذاته مكسب للأهداف الصهيونية، وإضعاف لمصر من خلال تطويقها باضطرابات أمنية، أو أنظمة حكم مناقضة لهمومها الثقافية والسياسية، والاقتصادية، ووقتها ستجد (مصر) نفسها مهددة في ثروتها المائية النابعة من النيل، والتي بدأت إسرائيل من الآن ـ بالتعاون مع إثيوبيا ـ في بناء سدود حولها من أجل تصريفها إلى منافع مشتركة بينهما، وقد أبدت مصر فعلاً قلقها وقدمت احتجاجها، واستفسارها عن هذا النشاط.

بل إن تحييد (الصومال) بإغراقه في مشكلاته لا يبعد عن أهداف هذا التحالف، إذ نرى النظام الإثيوبي يستبيح بيضته، وينتهك حرمته لضرب ما أسماه بالعناصر الإرهابية المتطرفة، ونرى «إسياس أفورقي» يؤيد هذا الانتهاك ويباركه، وفوق ذلك: يرتب لقاءً بين السفير الإسرائيلي بأسمرا «أريل كريم» ونائب رئيس ووزير خارجية ما عرف «بجمهورية أرض الصومال»، وقد نصح السفير الوفد بتحرير خطاب إلى «إسحاق رابين» رئيس الوزراء في حينه، وقد حرر الخطاب فعلاً إلى «رابين» في ٣ يوليو ١٩٩٥م، موقعاً من «محمد إبراهيم عجال» الرئيس المنصَّب لهذه الدولة المزعومة، وتَضَمَّن تخويف (إسرائيل) من خطر «التأثير الإسلامي الذي يهدد المنطقة بأكملها» على حد تعبيره، وتعهد بأن يجعل من جمهورية أرض الصومال «حصناً ضد انتشار الأصولية الإسلامية».. كل ذلك بعد أن بين أن هذا الخطاب حرر بناءً على نصيحة السفير «أريل كريم» سفير إسرائيل لدى إريتريا [١].

هذه هي خلفيات الهجمة العسكرية على السودان، فهل سنبكيه كما بكينا الأندلس من قبل؟، وهل نحن أيقاظ أم نيام؟.

١) تسعى إسرائيل ـ وفق استراتيجية مرسومة ـ إلى السيطرة الكاملة على البحر الأحمر، يقول «منصور خالد» وزير خارجية السودان الأسبق، والمستشار الخاص لـ «قرنق» حالياً: «إن إسرائيل كعدو لا تستطيع استخدام البحر الأحمر سلمياً، وتلك حقيقة لا بد أن يضعها العرب في الاعتبار» (د. عبد الله عبد المحسن: البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ص١٣٨)، ورغم ذلك ينساق المستشار إياه وراء ذلك المخطط الآن.

المسلمون والعالم



جماعة الأحباش

حقيقتهم واتجاهاتهم

(٢ من ٢)

تحدث الكاتب في الحلقة السابقة عن نشأة جماعة الأحباش مفصلاً القول عن مؤسسها، الذي وفد من الحبشة إلى دمشق ثم بيروت، وأردف بالحديث عن الانحرافات العقدية عند تلك الجماعة المباينة لأهل السنة، وذلك في مسائل ثلاث مهمة: عقيدتهم في صفات الله، وتوحيده، وعقيدتهم في رسول الله وسنته، ويواصل الكاتب في هذه الحلقة عرض بقية الموضوع. ـ البيان ـ

٤ ـ أصحاب رسول الله ﷺ والسلف الصالح والأئمة والعلماء:

عقيدة الأحباش في أصحاب رسول الله ﷺ فيها شبه كبير من عقيدة الرافضة، فهم يقولون بلا خجل ما يقتضي الطعن في أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)[١]، ويفسقون صاحب رسول الله ﷺ وكاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)[٢]، بل إنهم يقولون عن كل من اشترك من الصحابة ضد علي (رضي الله عنه): إنه من الدعاة إلى النار[٣](*)، بل قد بلغت جرأة شيخهم ـ وكأنه دخل في قلب معاوية (رضي الله عنه) فعرف ما لا يمكن أن يعرفه إلا الله (جل وعلا) ـ أن يقول: «ثم ليُعلم أن معاوية كان قصده من هذا القتال: الدنيا، فلقد كان به الطمع في الملك وفرط الغرام في الرئاسة»[٤].

المسلمون



والعالم

---

١) عبد الله الهرري الحبشي، صريح البيان، ص ١٩٨.

٢، ٣) المصدر السابق، ص ٢١١. ٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٠.

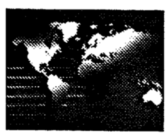
*) الموقف الصحيح من الخلاف بين الصحابة (رضي الله عنهم) هو الإمساك عما شجر بينهم؛ لقوله ﷺ: «إذا ذُكر أصحابي فامسكوا»، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير، ٢/٧٨، ولمزيد البيان، انظر: (العواصم من القواصم) لابن العربي، وكذلك: (تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة)، د/ محمد أمحزون، و(اعتقاد أهل السنة في الصحابة)، د/ محمد الوهيبي. ـ البيان ـ

بقلم: عبد الرحمن بن عبد الله الحجاج

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحُد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[1]، وقال الله (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وقد شابه الأحباش الخوارج في مسائل التكفير، فقد كفَّروا كثيراً من علماء المسلمين وأئمتهم ودعاتهم، فهم يطعنون في الإمام الذهبي، ويكفرون ابن خزيمة، ويسمون كتابه (التوحيد) كتاب الشرك، كما يُكفرون ابن القيم وابن كثير (رحمهما الله)، أما شيخ الإسلام ابن تيمية وإمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب فتكفيرهما على لسان كل حبشي صباح مساء، ولم يسلم أعلام الأمة المعاصرون من تكفير الأحباش، وفي مقدمتهم: المشايخ: الألباني وابن باز وابن عثيمين وسيد سابق.. وغيرهم من العلماء والدعاة والمفكرين.

والأحباش يفترون على رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، وهم يستغلون جهل أتباعهم لتمرير تلك المفتريات، ومن أمثلة ذلك: قول شيخهم: «إن مذهب الأشاعرة والماتريدية هو مذهب رسول الله والصحابة والسلف الصالح»[2]، أما افتراؤهم على الأئمة والعلماء



---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، وأبو داود في كتاب السنة، والترمذي في المناقب، وابن ماجة في المقدمة، والإمام أحمد في باقي مسند المكثيرين.

(٢) لقاء مع عبد الله الهرري الحبشي في مسجد الصديق بطرابلس في لبنان، ربيع الأول ١٤١٣هـ.

فحدث ولا حرج، وخاصة على شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) الذي افترى عليه شيخهم، حيث ادعى أنه قال: «إن من خالف في مسألة الطلاق فهو كافر» [١]، ولكن ابن تيمية يقول: «إن من خالف في مسألة الطلاق فهو مجتهد معذور مأجور عند الله» [٢] .. وأمثال هذه الأكاذيب كثيرة جداً في كتب شيخهم، سواء على شيخ الإسلام أو غيره من علماء أهل السنة والجماعة.

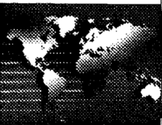
رابعاً: فتاواهم العجيبة:

لم يكتف الأحباش بالفساد في العقيدة، بل تعدوا ذلك إلى الفساد في السلوك.

وللأحباش فقه عجيب يدعو إلى التبرج والفجور والمجون.

فهم يقللون من شأن المعاصي، مثل لمس المرأة الأجنبية، بل ومفاخذتها!، فيجيزونه بحجة أن ذلك من الصغائر [٣]، وذلك لترويج مذهبهم بين الشباب المراهق المنحل وأصحاب النفوس المريضة، ويفتي الأحباش بجواز الاختلاط بين الرجال والنساء [٤]، بل يجيزون للمرأة أن تخرج من بيتها متعطرة متزينة، إذا لم تُرِدْ فتنة الرجال [٥] !! ويستدل شيخهم على ذلك بحديث: «أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» [٦]، حيث قال شيخهم: «فقوله ﷺ: «ليجدوا ريحها» بيان منه أنه لا يحرم على المرأة خروجها متطيبة إلا إذا

المسلمون



والعالم

١) عبد الله الهرري الحبشي، المقالات السنية في كشف ضلالات ابن تيمية، ص ١٩١.
٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٣/١٤٩.
٣) عبد الله الهرري الحبشي، صريح البيان، ص ٢٦٩ - ٢٧٢.
٤) المصدر السابق، ص ٣٣٠.
٥) عبد الله الهرري الحبشي، بغية الطالب، ص ٤٤٧.
٦) حديث صحيح، رواه أبو داود في كتاب الترجل، وأحمد في مسند الكوفيين، والنسائي في كتاب الزينة، والدارمي في كتاب الاستئذان، كما رواه الترمذي في كتاب الأدب بدون لفظة «ليجدوا ريحها».

كان قصدها ذلك »[1] ، ولو كان عند هذا الرجل مثقال ذرة من فقه لَعَلِم أن اللام في الحديث ليست للتعليل، بل للصيرورة والعاقبة، كما في قوله (تعالى): ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، أي: ليكون عاقبة أمره ـ أو ليصير لهم ـ عدوًا وحزنًا، فهم لم يلتقطوه من أجل أن يكون لهم عدوًا وحزنًا، فهذا لا يقول به عاقل، بل التقطوه ليكون قرة عين لامرأة فرعون، فمعنى الحديث: أن أي امرأة استعطرت ثم خرجت ستكون نتيجة ذلك أن يجد الناس ريحها، وهذا التأويل الذي قاله الحبشي إذا لم يدل على الجهل المطبق، فإنه يدل على تعمد إفساد نساء المسلمين؛ وذلك لأن الأحاديث الواردة في الترهيب من خروج المرأة كثيرة معلومة، كقوله ﷺ: «أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل»[2] ، وقوله ﷺ: «أيما امرأة أصابت بخوراً، فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»[3] .

ونساء الأحباش في ظل هذا الفقه الأعوج يلبسن الثياب الشفافة الضيقة التي يرى باطن الجسم من ظاهرها، بزعم أن الواجب هو ستر البشرة، كما أفتى لهم مشايخهم[4] ، وعندما سئل أحد شيوخهم: إن كثيراً من نساء الأحباش يمشين بين الرجال الأجانب بالبنطلون الضيق جداً (الجينز)!، قال: «إننا نجمع بين الموضة والسترة»[5] .

هذا ما يقوله الأحباش، أما محمد ﷺ فيقول: «صنفان من أهل النار لم أرهما»، وذكر: «نساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لايدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها



---

١) عبد الله الهرري الحبشي ، بغية الطالب، ص ٢٦٩، وصريح البيان، ص ٣٤٢.

٢) رواه الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين، وابن ماجة في كتاب الفتن، واللفظ له.

٣) رواه مسلم في كتاب الصلاة، وأبو داود في كتاب الترجل، والنسائي في الزينة ، والإمام أحمد في باقي مسند المكثرين.

٤) عبد الله الهرري الحبشي، بغية الطالب ، ص ١٣٧.

٥) لقاء مع نزار الحلبي في جريدة (المسلمون)، العدد ٤٠٧ .

ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (١) . ولعلنا نختم هذه الإلماحة بفتوى إباحية عجيبة لشيخهم، حيث يقول: «إن مجامعة الخنثى في نهار رمضان لا تفطر ، إذا جومع في آلته الزائدة» (٢) !!! و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

خامساً: الفقه الشاذ عند الأحباش:

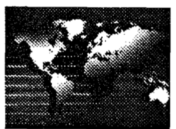
للأحباش فقه شاذ لم يسبقهم إليه أحد، ونذكر هنا أمثلة على هذا الشذوذ الفقهي:

١ـ إسقاط الزكاة في العملة الورقية، وإيجابها في الذهب والفضة فقط، حيث يقول شيخهم: «لا زكاة في الأثمان غير الذهب والفضة، لأن النبي ﷺ لم يذكر زكاة غيرهما» (٣).

٢ـ فتوى: أن الأم إذا لمست بول طفلها أثناء تنظيفه، فإن ذلك يعتبر كبيرة اقترفتها !! (٤).

٣ ـ اتباع الحيل لترك الواجبات ، مثل أكل الثوم والبصل لترك صلاة الجماعة.. وغيرها من الحيل (٥).

٤ ـ التناقض العجيب في الفتوى، حيث تجوز عند الحبشي الصلاة متلبساً بالنجاسة ، حتى لو كانت من بول الكلب أو غيرها من النجاسات(٦) ، وفي المقابل، وفي الكتاب نفسه يقول: «أما قشرة البرغوث أو القملة أو البقة أو نحوها فنجسة غير معفوٌ عنها، فلو صلى بشيء من ذلك فصلاته باطلة، علم به أو لا !!!» (٧).



---

١) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، والإمام أحمد في باقي مسند المكثرين.
٢) عبد الله الهرري الحبشي ، بغية الطالب ، ص ٢٤٣ .
٣) عبد الله الهرري الحبشي ، بغية الطالب ، ص ٢٦٦ .
٤) عبد الرحمن دمشقية، شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة ، ص ٣٧٤ .
٥) المصدر السابق ، ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .
٦) عبد الله الهرري الحبشي، بغية الطالب ، ص ١٣٢ .
٧) المصدر السابق ، ص ١١٩ .



٥ ـ تتبعهم لشذوذات المذاهب وسقطاتها، ومنها:

ـ إجازة الزنا بنساء أهل الكتاب (نكاية) في دينهم [١].

ـ إباحة أخذ الربا من الكفار؛ حيث يزعمون أنه يجوز أخذ مال الكفار في دار الحرب عن طريق الربا [٢].

سادساً: المؤسسات والأنشطة:

للأحباش عدد كبير من المؤسسات والأنشطة، وذلك لبث أفكارهم وانحرافاتهم الخطيرة.

١ ـ الجمعية:

للأحباش جمعية خاصة بهم تسمى (جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية)، تأسست عام ١٩٨٣م [٣]، ومركزها: بيروت، ولها فروع في كافة المحافظات اللبنانية، وكذلك لها فروع في عدد من دول العالم، كالأردن، وأستراليا، والسويد، وفرنسا، وأمريكا، وبريطانيا، وبلجيكا، وألمانيا، وروسيا، وتايوان.. وغيرها، ويبلغ عدد هذه الفروع ثلاثة وثلاثين فرعاً، وهي جمعية مشبوهة، هدفها المعلن: التعليم الديني، وبناء المساجد والمدارس، ومساعدة الفقراء والأيتام.. وغير ذلك من أعمال البر، بينما هي تروج للمبادئ المنحرفة لهذه الجماعة.

٢ ـ المدارس:

قام الأحباش ببناء مدارس خاصة بهم لجميع المراحل الدراسية، وهم يقيمون في هذه المدارس دورات صيفية دينية، بالإضافة إلى التعليم الشتوي، وذلك لكي ينشروا عقيدتهم بين أبناء المسلمين، ويوجد في هذه المدارس مئات الطلاب والطالبات في شتى المراحل، ومن أمثلة هذه المدارس: (مدارس الثقافة) في كلٍّ من بيروت، وطرابلس، وبعلبك.

١) عبد الرحمن دمشقية، شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة، ص ٤١٢.
٢) عبد الله الهرري الحبشي، صريح البيان، ص ٢٦٦.
٣) مجلة (المجلة)، العدد ٦٧٩ ـ ١٠ ـ ١٦/٢/١٩٩٣م.

٣ ـ الإعلام :

كان للأحباش إذاعة محلية خاصة بهم، تبث من بيروت، وينشر من خلالها غثاؤهم وإباحيتهم، ولهم أيضاً مجلة شهرية باسم (منار الهدى) تقوم بنشر مذهبهم ، والطعن في أئمة المسلمين وعلمائهم، كما تقوم بعض المجلات والجرائد المحلية والدولية بلقاءات ومقابلات وتحقيقات مطولة مع أقطابهم، الهدف منها : الدعاية لهم ، والترويج لهم، والثناء عليهم، كما فعلت جرائد السفير، والنهار، والأنوار، والمسيرة اللبنانية، وكذلك مجلة الوطن العربي، ومجلة الأسبوع العربي . . وغيرها من المجلات والجرائد .

أيضاً للأحباش نشاط كبير في التلفزيون اللبناني وغيره من القنوات الخاصة بلبنان، حيث تعرض اللقاءات والدروس، ويعمل الأحباش الآن على تشغيل محطة تلفزيونية خاصة بهم .

وللكتب والأشرطة والنشرات دور بارز في ترويج مبادئ هذه الجماعة، ونشر معتقداتهم، وذلك من خلال مؤسستهم المسماة : (مركز الأبحاث والخدمات الثقافية) في بيروت، كما تصدر جمعيتهم تقويماً خاصاً بهم، يحوي كثيراً من السموم المختلفة في العقيدة والسلوك والفقه وغيرها .

٤ ـ الغناء والطرب والأندية :

لدى الأحباش في لبنان عشرون فرقة للغناء والأناشيد الدينية ـ كما يزعمون ـ ، وتقوم أناشيدهم الدينية على ترسيخ عقائدهم المنحرفة، مثل نفي العلو لله (تعالى)، حيث ينشدون : « الله ليس في السماء، وليس له مكان »!، وكذلك تبث هذه الأناشيد الشرك بالله، حيث يحرصون على نشر أشعار المتصوفة، كالبوصيري، وابن الفارض . . وغيرهما .

ويهتم الأحباش كثيراً بالألعاب الرياضية المختلفة من كرة قدم وسلة وكاراتيه . . وغير ذلك؛ لجذب الشباب والشابات والتودد إليهم وتعليمهم عقيدتهم الفاسدة، بل وتحذيرهم من أهل التوحيد، وأشهر أنديتهم : (نادي الفوز الرياضي) بطرابلس، وكذلك : (مجمع ناجي الرياضي)



بطرابلس أيضاً، وهي أندية مختلطة للرجال والنساء، ويركز الأحباش على النساء خاصة، وهذا دأب أعداء الإسلام دائماً!، لأن تأثير المرأة عظيم جداً في المجتمع، فإذا فسدت: ربت الأجيال على الفساد، وإذا صلحت: تخرج على يديها الأخيار والصالحون والأبطال.

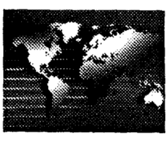
وأخيراً:

لقد تبين من خلال هذا العرض المختصر لبعض ضلالات الأحباش، ما هم عليه من انحراف في العقيدة والسلوك، واتباع للأهواء، وتلاعب بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

والأحباش على سذاجة دعوتهم وقلة علمهم ينتشرون بسرعة عجيبة، وقد يكون سبب ذلك: ما لديهم من إمكانات مادية، واختيارات واسعة، يأخذ منها كل صاحب هوى ما يوافق هواه، وأيضاً ما تعلنه هذه الطائفة من الولاء المطلق للحكومات الحاكمة بغير ما أنزل الله.

ولعل التحذير من هذه الطائفة يأخذ حجمه الحقيقي بين العلماء وخطباء المساجد وأجهزة الإعلام، لما يمثله هذا المذهب من خطر على العقيدة والأخلاق، وما يثيره من خصومات وجدل في المساجد ، وتكفير للمسلمين، وإثارة للفرقة، وبث للفتنة.

وهم يعدون العدة الآن لنشر مذهبهم في بلاد الإسلام بين أهل السنة والجماعة، بل في الجزيرة العربية، نسأل الله (تعالى) أن يبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعته، ويذل فيه أهل معصيته، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



عفواً... يا فضيلة المفتي
الحق خلاف ما ذكرت

بقلم: محمد شاكر الشريف

متابعات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم.. أما بعد.

فقد اطلعت في عدد جريدة الحياة رقم (١٢٣٢٥) المنشور بتاريخ ١٢/٧/١٤١٧هـ، على حديث لمفتي مصر الجديد فضيلة الشيخ «نصر واصل» أجرته معه الجريدة، ورغم ما لي من تحفظات على بعض ما جاء في حديثه السالف، فإن من كلامه الذي استوقفني أكثر من غيره موضوعين:

الأول: حديثه عن المرتد المدعو «نصر أبو زيد».

الثاني: حديثه عن إلزام فتوى المفتي للجميع.

لكن الذي أود مناقشته في هذه المقالة هو ما جاء من كلامه في الموضوع الثاني، إذ إنني أرى أن الموضوع الأول يظهر فيه وجه الحق لكل من تابع ـ بفهم ـ قضية المذكور، واطلع على بعضٍ من أقواله، وحيثيات الحكم الصادر بحقه، لذا: فإنه لا حاجة لي هنا في الحديث عنه، بل أعود إلى الموضوع الثاني الذي قد يلتبس أو تخفى حقيقته على كثير من الناس.

ولنبدأ بذكر أقوال فضيلته في الموضوع المشار إليه ـ حسبما جاء في الجريدة ـ، ثم نتبع ذلك بالمناقشة:

يقول عفا الله عنا وعنه رداً على سؤال الجريدة: (كيف ترى إصلاح الخلاف القديم بين الأزهر ودار الإفتاء؟)، يقول: «كانت هناك مشكلة في شأن من له حق الولاية

الشرعية على الفتوى في مصر، وأقول: إن هذه الولاية هي للمفتي وحده دون منازع، وفتواه ملزمة، وإن أخطأ فهو مسؤول أمام الله (سبحانه وتعالى)، والعلاقة بين المفتي وشيخ الأزهر متصلة ومتشابكة إلا إن هناك اختصاصاً لكل منهما، وشيخ الأزهر على قمة المؤسسة العلمية الأزهرية، ومن وظائفها: البحث والاجتهاد، لكنها لا تصدر فتاوى، فهذه يصدرها المفتي؛ لأنه صاحب الحكم الشرعي والولاية الرسمية على الفتوى».

ويقول المفتي رداً على سؤال الجريدة: (لكن.. ألا ترون أن مثل هذا الخلاف الذي يمس أموراً حياتية ـ مثل: فوائد المصارف ـ يثير بلبلة لدى الناس؟).

يقول: «الفتوى الرسمية قالت: إن الفوائد حلال؛ لأنها مقبولة من الطرفين، أما الرأي الآخر، فكان اجتهاداً، وتحويله إلى فتوى رغم وجود فتوى رسمية هو الذي خلق تلك البلبلة، والرأي الملزم هو ما قال المفتي، ونحن متمسكون بهذه الفتوى، وأؤكد أن كل فتوى صدرت عن دار الإفتاء ملزمة للجميع» انتهى المقصود منه.

وأبادر إلى القول بأنه ليس من مقصودنا ولا يجوز لأحد أن يظن أننا في هذه المناقشة نريد الانتصار لشخص من الأشخاص، إذ المقصود ـ إن شاء الله ـ هو الانتصار للدين، وقد حان الآن وقت الشروع في مناقشة تلك الأقوال:

أولاً: إن فتوى المفتي هي إخبار عن أو بيان لحكم الشرع في القضية المعروضة[1]، والمفتي في حديثنا هنا هو: من تأهل لهذا المنصب واستحقه بضوابطه المعروفة، ولسنا نتحدث عن الأدعياء، فهؤلاء خارجون عن حديثنا، فنقول: لم يَقُمْ الدليل الشرعي على عصمة المفتي فيما يبلغه للناس أو يبينه من أحكام الشرع، كما لم يقم الدليل

1) انظر في تعريف الفتوى: لسان العرب، 15/147 ـ 148، والتعريفات، للجرجاني، ص49، والموافقات، للشاطبي، ./79، والإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للقرافي، ص 53 .

الشرعي على وجوب التزام جميع المسلمين لما يفتي به، إذ طبيعة عمل المفتي لا تقتضي ذلك الإلزام ولا توجبه.

يقول القرافي: «المفتي يجب عليه اتباع الأدلة بعد استقرائها، ويخبر الخلائق بما ظهر له منها من غير زيادة ولا نقص، إن كان المفتي مجتهداً»[1]، ثم يبين أن فتواه ليست ملزمة للجميع، ويجوز الفتوى بخلافها حتى وإن كان المفتي هو الإمام الأعظم، فيقول: «النوع السادس: من تصرفات الحكام: الفتاوى في الأحكام في العبادات وغيرها من تحريم الأبضاع، وإباحة الانتفاعات، وطهارة المياه، ونجاسة الأعيان، ووجوب الجهاد، وغيره من الواجبات، وليس ذلك بحكم، بل لمن لا يعتقد ذلك أن يفتي بخلاف ما أفتى به الحاكم أو الإمام الأعظم»[2].

وفي هذا المعنى أيضاً يقول شيخ الإسلام «ابن تيمية»: «وما يجوز أن يحكم به الحاكم، يجوز أن يفتي به المفتي بالإجماع، بل الفتيا أيسر، فإن الحاكم يُلزِم، والمفتي لا يُلزم»[3].

ويقول الشاطبي: «المفتي قد أقامه المستفتي مقام الحاكم على نفسه، إلا إنه لا يُلزمه المفتي ما أفتاه به»[4].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في بيان ذلك: «قد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن الله (سبحانه وتعالى) فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ﷺ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه إلا رسول ﷺ، حتى كان صدِّيق الأمة وأفضلها بعد نبيه يقول: «أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم»[5]»[6].

من كل ما تقدم وغيره يتبين أن قول القائل: إن كل فتوى صدرت عن دار

١) الإحكام، ص ٢٥.
٢) الإحكام، ص ٩١ ـ ٩٢.
٣) مجموع الفتاوى، ٢٧/٣٠٣.
٤) الموافقات، ٤/٧٩، وانظر أيضاً: مجموع الفتاوى، ٣٥/٣٦٧، ٣٨٥.
٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة، وقال فيه ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح»، السيرة النبوية لابن كثير، ٤/٤٩٣.
٦) انظر: الدرة البهية، ص ٢٦ ـ ٢٧، أعده وعلق عليه: محمد شاكر الشريف.

الإفتاء، أو عن المفتي، أو عن فلان، هي فتوى ملزمة للجميع.. هو قول بيِّن الخطأ.

ثانياً: أن المسلم لا يلزمه أن يقتصر في طلب الفتوى على مفتٍ واحد، بل له أن يستفتي فيما ينزل به أكثر من مفتٍ ممن يثق في علمهم ودينهم و«اعتقد أنه يفتيه بشرع الله ورسوله من أي مذهب كان»[1] وإذا اختلفت فتوى المفتين عليه، أخذ من تلك الفتاوى ما ترجح لديه منها بحسب قدرته.

يقول ابن تيمية في بيان ذلك: «وأما تقليد المستفتي للمفتي، فالذي عليه الأئمة الأربعة، وسائر أئمة العلم: أنه ليس على أحد ـ ولا شُرع له ـ التزام قول شخص معين في كل ما يوجبه ويحرمه ويبيحه إلا رسول الله ﷺ، لكن منهم من يقول: على المستفتي أن يقلد الأعلم الأورع ممن يمكن استفتاؤه، ومنهم من يقول: بل يخير بين المفتين، [و] إذا كان له نوع تمييز فقد قيل: يتبع أي القولين أرجح عنده بحسب تمييزه، فإن هذا أولى من التخيير المطلق، وقيل: لا يجتهد إلا إذا صار من أهل الاجتهاد، والأول أشبه؛ فإذا ترجح عند المستفتي أحد القولين: إما لرجحان دليله بحسب تمييزه، وإما لكون قائله أعلم وأورع: فله ذلك وإن خالف قوله المذهب»[2].

ويقول ابن القيم: «فإن اختلف عليه مفتيان فأكثر، فهل يأخذ بأغلظ الأقوال، أو بأخفها، أو يتخير، أو يأخذ بقول الأعلم، أو الأورع، أو يعدل إلى مفتٍ آخر، فينظر من يوافق من الأولين فيعمل بالفتوى التي يوقع عليها، أو **يجب عليه أن يتحرى ويبحث عن الراجح بحسبه**؟، فيه سبعة مذاهب، أرجحها السابع»[3].

ولم يكن من هدي السلف الصالح استفتاء عالم بعينه دون نظرائه من العلماء، والتزام أقواله كلها بحيث لا يخرج عنها، فإن ذلك من البدع الحوادث، كما ذكره ابن القيم[4]،

---

1) انظر: مجموع الفتاوى، ٢٠ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩.
2) مجموع الفتاوى، ٣٣ / ١٦٨.
3) إعلام الموقعين، ٤ / ٢٦٤، والسابع هو: التحري والبحث عن الراجح.
4) انظر: إعلام الموقعين، ٢ / ٢٢٨.

وابن عبد البر [١] ، وابن حزم [٢] ، والشاطبي [٣] ، وولي الله الدهلوي [٤]، والفُلاني [٥]، وسند بن عنان المالكي [٦] ، ومحمد حياة السندي [٧]، والشوكاني [٨].

ومن هنا يتضح أن قول القائل: إن الولاية على الفتوى هي للمفتي وحده دون منازع، وأن فتواه ملزمة هو تجنٍّ على الحق وتجاوز للحد، وادعاء ما أنزل الله به من سلطان.

ثالثًا: أن الفتوى ليست حكرًا على طائفة معينة أو فرد ما، بل كل من استجمع شرائط الفتوى المعتد بها، حُقَّ له أن يخبر عن أحكام الشرع؛ إذ الإخبار عن أحكام الشرع وبيانها للناس هو من فروض الكفايات، وليس لأحد أن يحصر الفتوى في فرد أو طائفة بحيث لا تصدر الفتوى إلا منه أو منهم، ويمنع من الفتوى من هو مثلهم ممن تتحقق فيه شروط الفتوى ، أخرج الدارمي في سننه من حديث أبي كثير مالك بن مرثد أنه قال: «أتيت أبا ذر وهو جالس عند الجمرة الوسطى، وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثم قال: ألم تُنْهَ عن الفتيا؟، فرفع رأسه إليه فقال: أرقيب أنت عليّ، لو وضعتم الصَّمصامة على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها» [٩].

قال ابن حجر (رحمه الله): «إن الذي خاطبه رجل من قريش، وإن الذي نهاه عن الفتيا عثمان (رضي الله عنه)، وكان سبب ذلك: أنه كان بالشام، فاختلف مع معاوية في تأويل قوله (تعالى): ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ** ﴾ [التوبة: ٣٤]، فقال

١) جامع بيان العلم وفضله ، ٢/١٤٤.
٢) الإحكام في أصول الأحكام ، ٢/٨٥٨.
٣) الاعتصام ، ٢/٣٤٧ ـ ٣٥٥.
٤) الإنصاف في بيان أسباب الخلاف ، ٦٨.
٥ ، ٦ ، ٧) إيقاظ همم أولي الأبصار ، ص ٧٤ ـ ٧٧.
٨) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد.
٩) سنن الدارمي ، ١/١٤٦، وقد أخرجه البخاري في صحيحه معلقًا مجزومًا به من أول قوله: «لو وضعتم ...إلخ»، فتح الباري ، ١/١٩٢، والصمصامة: هو السيف الصارم الذي لا ينثني.

متابعات

معاوية: نزلت في أهل الكتاب خاصة، وقال أبو ذر: نزلت فيهم وفينا، فكتب معاوية إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر، فحصلت منازعة أدت إلى انتقال أبي ذر عن المدينة فسكن الرَّبَذَة (بفتح الراء والموحدة والذال المعجمة) إلى أن مات، رواه النسائي، وفيه دليل على أن أبا ذر كان لا يرى بطاعة الإمام إذا نهاه عن الفتيا؛ لأنه كان يرى أن ذلك واجب عليه؛ لأمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه كما تقدم، ولعله أيضا سمع الوعيد في حق من كتم علماً يعلمه»[1].

ويبين شيخ الإسلام (رحمه الله) الحالة التي يمنع فيها العالم من الفتوى بقوله: «وليس لأحد أن يحكم على عالم بإجماع المسلمين، بل يبين له أنه أخطأ، فإن بين له بالأدلة الشرعية التي يجب قبولها أنه قد أخطأ وظهر خطؤه للناس ولم يرجع، بل أصر على إظهار ما يخالف الكتاب والسنة والدعاء إلى ذلك، وجب أن يُمنع من ذلك، ويعاقب إن لم يمتنع، وأما إذا لم يبين له ذلك بالأدلة الشرعية لم تجز عقوبته باتفاق المسلمين، ولا مَنْعه من ذلك القول، ولا الحكم عليه بأنه لا يقوله إذا كان يقول: إن هذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة كما قاله فلان وفلان من علماء المسلمين»[2].

رابعاً: أن المفتي قد خلط في حديثه ذاك بين الفتوى والقضاء، إذ كثيراً ما يختلط هذا بذاك على العوام أو غير المتخصصين، فكان خلطه في ذلك من ثلاثة وجوه:

الأول: عده الفتوى ولاية من الولايات الشرعية، وهذه في القضاء وليست في الفتوى.

الثاني: قوله بلزوم كل ما صدر عن دار الإفتاء للجميع، وهذا فيما صدر عن القاضي أو الحاكم في قضايا الأعيان.

الثالث: جعله المفتي مفتقراً لكونه مفتياً إلى إسناد هذا الأمر إليه من ولي الأمر، وهذا في القضاء.

---

١) فتح الباري، ١/١٩٤، وانظر: مجموع الفتاوى، ٣٣/١٣٣ - ١٣٤.

٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٣٥/٣٨٢ - ٣٨٣.

ولتفصيل هذا الاختلاط الواقع في الحديث عن الفتوى نقول:

١ ـ إن الفتوى ليست ولاية من الولايات الشرعية، وإنما الذي يقال في حقه إنه ولاية ـ مما يمكن أن يشتبه أمره على العوام أو غير المتخصصين ـ إنما هو القضاء، وقد عدد الماوردي في (الأحكام السلطانية) ـ وكذلك أبو يعلى الفراء في كتابه (الأحكام السلطانية) ـ الولايات، فذكر كل واحد منهما القضاء فيما ذكرا من الولايات، ولم يذكر واحد منهم الفتوى، وكذلك عَدَّ القرافي في كتابه (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام) الولايات، وقسمها إلى خمسة عشر قسمًا، وذكر فيها القضاء، ولم يذكر فيها الإفتاء، وقد ذكر أيضًا شيخ الإسلام «ابن تيمية» في كتابه (السياسة الشرعية) كثيرًا من الولايات، وتحدث عن أحكامها، فذكر منها القضاء ولم يذكر الإفتاء، وبالجملة: فلست أعلم أحدًا ممن يُعتد به ذكر «الإفتاء» ضمن الولايات.

٢ ـ إن القول الملزم إنما هو للقاضي أو الحاكم (والقاضي والحاكم لفظان مترادفان في اصطلاح الفقهاء) والمفتي إنما له الإخبار، فـ «المفتي مخبر محض، والحاكم منفذ وممض»[١].

وقال علاء الدين الطرابلسي «فحقيقة القضاء: الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام، ومعنى قولهم: (قضى القاضي)، أي: ألزم الحق أهله»[٢] وقال ابن الشحنة الحنفي: «القضاء في اللغة عبارة عن اللزوم، ولهذا سمي القاضي قاضيًا؛ لأنه يلزم الناس، وفي الشرع يراد بالقضاء: فصل الخصومات وقطع المنازعات»[٣].

وقال ابن القيم فيما نقله عن أبي عثمان الحداد: «القاضي أيسر مأثمًا وأقرب إلى السلامة من الفقيه [يريد

١) القواعد السنية، بهامش الفروق، ٤ / ٨٩.

٢) معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام، ص ٧.

٣) لسان الحكام في معرفة الأحكام، لابن الشحنة، ص ٢١٨.

متابعات

المفتي]؛ لأن الفقيه من شأنه إصدار ما يرد عليه من ساعته بما حضره من القول، والقاضي شأنه الأناة والتثبت ، ومن تأنى وتثبت تهيأ له من الصواب ما لا يتهيأ لصاحب البديهة » انتهى.

يقول ابن القيم معقباً: « وقال غيره: المفتي أقرب إلى السلامة من القاضي؛ لأنه لا يلزم بفتواه، وإنما يخبر بها من استفتاه، فإن شاء قبل قوله، وإن شاء تركه، وأما القاضي فإنه يلزم بقوله، فيشترك هو والمفتي في الإخبار عن الحكم ، ويتميز القاضي بالإلزام والقضاء، فهو من هذا الوجه خطره أشد »[1].

والشاهد فيه: قوله عن المفتي: إنه « لا يُلزم بفتواه »، وقوله عن القاضي: إنه « يلزم بقوله » ، والفتوى أوسع مجالاً من القضاء، إذ كل ما يقضي فيه القاضي أو الحاكم يمكن للمفتي أن يفتي فيه، والعكس ليس بصحيح، فليس كل ما يفتي فيه المفتي يمكن أن يقضي فيه القاضي، يقول ابن القيم تعليقاً على ما نقلناه سابقاً: « فكلُّ خطر على المفتي فهو على القاضي، وعليه من زيادة الخطر ما يختص به ، ولكن خطر المفتي أعظم من جهة أخرى، فإن فتواه شريعة عامة تتعلق بالمستفتي وغيره، وأما الحاكم فحكمه جزئي خاص لا يتعدى إلى غير المحكوم عليه وله، فالمفتي يفتي حكماً عامًّا كليًّا: أن من فعل كذا ترتب عليه كذا، ومن قال كذا لزمه كذا، والقاضي يقضي قضاءً معيناً على شخص معين، فقضاؤه خاص مُلزم، وفتوى العالم عامة غير ملزمة، فكلاهما أجره عظيم وخطره كبير»[2].

ويقول القرافي في (الفرق بين قاعدة الفتوى وقاعدة الحكم) : « اعلم أن العبادات كلها على الإطلاق لا يدخلها الحكم البتة، بل الفتيا فقط فكل ما وجد فيها من الإخبارات فهي فتيا فقط، فليس لحاكم أن يحكم بأن هذه الصلاة صحيحة أو باطلة، ولا أن هذا الماء دون القلتين فيكون نجساً فيحرم على المالكي بعد ذلك استعماله، بل ما يقال في ذلك إنما هو

١) انظر: إعلام الموقعين ، ١/ ٢٩ ـ ٣٠.

٢) إعلام الموقعين ، ١/ ٣٠ ـ ٣١.

فتيا، إن كانت مذهب السامع عمل بها، وإلا فله تركها والعمل بمذهبه»[1].

٣ ـ المفتي لا يفتقر في كونه مفتيًا إلى جهة تسند إليه أمر الإفتاء غير تحقق شروط المفتين فيه، في حين أن القاضي لا يصير قاضيًا بتحقق شروط القضاء فيه حتى يُسند إليه أمر القضاء من له الحق في ذلك الإسناد، وهو الخليفة أو من يقوم مقامه، يقول الماوردي: «ولو اتفق أهل بلدٍ قد خلا من قاضٍ على أن قلدوا عليهم قاضيًا، فإن كان إمام الوقت موجودًا بطل التقليد، وإن كان مفقودًا صح التقليد ونفذت أحكامه عليهم، فإن تجدد بعد نظره إمام لم يستدم النظر إلا بإذنه، ولم ينقض ما تقدم من حكمه»[2].

ويقول الشيرازي ــ وبنحوه ابن قدامة الحنبلي وابن الهمام الحنفي ــ: «لا تجوز ولاية القضاء إلا بتولية الإمام أو تولية من فوض إليه الإمام؛ لأنها من المصالح العامة»[3].

والمفتي المتحقق فيه شروط الإفتاء له أن يفتي ولا يفتقر ذلك إلى تعيين من جهة ما؛ لأن ذلك من قبيل تبليغ الدين، وبالتالي: فليست هناك فتوى يقال عنها: إنها فتوى رسمية، وأخرى يقال عنها: إنها غير رسمية، طالما أن الفتوى خرجت ممن يحق له أن يفتي، ومعيار الصواب في الفتوى قائم على الالتزام بنصوص الشرع والإفتاء بها أو بموجبها، وليس لفتوى امتياز على فتوى أخرى إلا بانضباطها بذلك المعيار.

خامسًا: أن الربا حرام بالنص والإجماع المتيقن، لا تُحله فتوى يقال عنها: إنها رسمية أو غير رسمية، وكل فتوى خالفت ذلك التحريم فهي فتوى باطلة يحرُم الإفتاء بها أو العمل بمقتضاها، وليس ما يقال عنه من فوائد البنوك إلا صورة من صور الربا المحرم بالنص والإجماع، وذلك أن حقيقة هذه الفائدة إنما هي «زيادة اشترطت في رأس المال في مقابل

---

١) الفروق، للقرافي، ٤/ ٤٨، وانظر: مجموع الفتاوى، ٣٥/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠.

٢) الأحكام السلطانية، للماوردي، ص٧٩، وانظر أيضا: الأحكام السلطانية، لأبي يعلى الفراء، ص٧٣.

٣) انظر: نظام القضاء في الإسلام، المستشار جمال صادق المرصفاوي، ص ٣٩.

الأجل»[1] (التأخير)، سواء أكانت الزيادة مما يعطيها البنك للمودع (المُقرض) أو يأخذها البنك من المقترِض، فكل ذلك من الربا الجلي بيقين.

وهذه الصورة المحرمة من صور الربا لا يُحلُّها وجود فتوى يقال عنها إنها رسمية قالت بحلها، كما لا يُحلُّها القول بأنها معاملة: «مقبولة من الطرفين»؛ إذ ليس قبول الطرفين في المعاملات هو الموجب الوحيد للحل في المعاملات، فالقمار حرام ولو كان برضا الطرفين، والزنا حرام ولو كان برضا الطرفين .. فالرضا وإن كان معتبراً في المعاملات لكنه لا يحل ما حرم الله، وهذا واضح لا إشكال فيه.

ومن كل ما تقدم:

يتبين لنا أن كلام المفتي على قصره قد احتوى على كثير من الأمور المخالفة للشريعة، من ذلك:

١ ـ قوله إن الإفتاء ولاية.

٢ ـ قوله إن المفتي الذي عينه ولي الأمر هو الذي له حق الفتوى دون غيره من أهل العلم.

٣ ـ قوله إن فتوى المفتي ملزمة لكل الناس.

٤ ـ خلطه وعدم تفريقه بين الإفتاء والقضاء.

٥ ـ قوله بحل فوائد البنوك، ومخالفته في ذلك للإجماع القطعي لعلماء الأمة قديمًا وحديثًا.

وأخيراً:

فإن هذه الأخطاء الكثيرة الكبيرة المتتابعة ليس من السهل غض الطرف عنها، لاسيما وأنها جاءت ممن يتصدر الفتوى.

ولعل هذا الحديث الذي أدلى به فضيلة المفتي كان فرصة للتذكير وتبيين هذه الأمور، التي أصبحت تخفى على بعض المفتين في هذا العصر.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يثقل به موازيننا يوم العرض عليه، وأن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

والله من وراء القصد،

١) انظر: (البديل الإسلامي للفوائد المصرفية الربوية)، د/ عاشور عبد الجواد، ص ٦.

تعقيب وتوضيح

حول قبائل البورانا

بقلم: د. عبد الرحمن حمود السميط(*)

نشرتم بحثًا طيبًا عن قبائل البورانا في العدد (١٠٣)، أهنئ كاتب ذلك البحث، وأرجو أن نرى المزيد من أمثاله، ولكن لي بعض الملحوظات الإضافية:

إن معظم البورانا في إثيوبيا كما ذكر الكاتب من الوثنيين أو النصارى، أما البورانا في (كينيا) فأغلبهم مسلمون مع جيوب نصرانية نشأت في غفلة من المسلمين، وخاصة في (مرتي) و(غربة الله).

والرأي الذي أميل إليه: أن البورانا دخلوا الإسلام حديثًا، ولم يأخذوه بجدية وعزم؛ ربما لأن من بلّغهم الإسلام لم يكن على قدر من العلم الشامل؛ لذا: نجدهم نقطة ضعف في مسلمي (كينيا) رغم وجود صحوة إسلامية حديثة في هذه الجيوب.

وقد انتبهت المؤسسات الإسلامية إلى وضع تلك القبيلة منذ أوائل الثمانينيات الميلادية، وقامت بجهود مختلفة، ونذكر بالخير (المؤسسة الإسلامية) في (أسيولو) و(المنتدى الإسلامي) في (مرتي)، وقد بدأت (لجنة مسلمي إفريقيا) في عام ١٩٨٣م الاهتمام بالعمل وسطهم، وفي عام ١٩٨٨م بدأ تطبيق برنامج (قبائل البورانا) وهو برنامج دعوي تم وضعه خصيصًا لهذه القبائل.

وأذكر نتفًا من هذا البرنامج لفائدة القارئ:

متابعات

منطقة مدوغاشي :

يسكنها البورانيون والصوماليون، وقد بدأت المنظمات التنصيرية العمل، ففشلوا فشلاً ذريعًا مع الصوماليين، فبدأ تركيزهم ينْصَب على البورانيين، وبنوا مركزًا كبيراً جوارهم، وركزوا كل جهودهم على البورانيين، وأشاعوا بينهم أن الإسلام دين الصوماليين فقط، وحاولوا بذر الفرقة بينهم وبين إخوانهم من الصوماليين.

كانت خطتنا هناك أن يقوم ممثلنا في (مدوغاشي) (وهو صومالي) بكفالة عدد من أيتام البورانيين ودفع رسوم الدراسة عن أبنائهم من الطلبة الفقراء (وكلهم فقراء)، وذبح خروفين من العقائق والنذر التي يتبرع بها المحسنون كل يوم جمعة في الجانب البوراني، ثم توزيعه بالتعاون مع مشايخ قبائلهم على الفقراء والمعوزين، كما أقمنا مركزًا إسلاميًّا كبيراً يشمل مدرسة ومسجداً وداراً للأيتام ومزرعة وداراً لتدريب النساء.. وغيرها، كما تم إعطاء الجانب البوراني اهتماماً أكثر في برامج إفطار الصائم والأضاحي؛ بقصد تقوية إيمانهم وارتباطهم بالإسلام، وهناك بوادر خير طيبة نتجت عن تلك الجهود.

منطقة غربة الله :

وهي منطقة قريبة من (أسيولو) كان أهلها كلهم من المسلمين، إلا إنهم ضعفوا مع الأسف، وتنصر عدد من أهلها بسبب وجود مركزين للنصارى في المنطقة والإمكانات المالية والبشرية الهائلة التي جندتها الكنيسة لأداء عملها التنصيري.

قامت لجنة مسلمي إفريقيا ببناء مدرسة (عصرية/إسلامية)، تطورت إلى مركز إسلامي متكامل يشمل داراً للأيتام ودار تدريب للنساء ومسجداً وقاعة محاضرات.. إلخ، وعقدت في المنطقة عدة دورات إسلامية للشباب وأئمة المساجد والطلبة من المنطقة كلها، كما تم دفع رسوم الدراسة عن بعض الفقراء، وكُفِلَ أيتام، ونتج عن

هذا : أن أصبحت المدرسة الإسلامية من أفضل (خمس مدارس) في الإقليم كله، وأنجبت عدداً من النابهين والنابهات (ولله الحمد)، كما ارتفع مستوى الإدراك والالتزام بالإسلام في المنطقة؛ مما حدا بعدد من النصارى إلى العودة إلى فطرتهم، وكان آخرهم القسيس « هارون روبا »، وهو من كبار قسيسي البورانا، وكان مسؤولاً عن كثير من كنائس (الميثودست)، وأسلم مؤخراً نتيجة الصحوة الإسلامية في المنطقة.

منطقة مويالي ومرسابيت :

أقامت اللجنة معهدين شرعيين، رغم أنهما كانا جزءاً من برنامج (قبائل الغبرا) إلا إنه تم قبول عدد من أبناء البورانا، وتخرجت الدفعة الأولى من معهد (مرسابيت الشرعي) بعد أربع سنوات دراسة، مع التطبيق الميداني للدعوة خلال الدراسة، وختمت بفترة عملية مدتها ستة شهور في التنقل بين القرى للدعوة فيها.

وهناك برامج كثيرة قامت بها لجنة مسلمي إفريقيا كجزء من برنامج (قبائل البورانا) في كينيا، وكنا نتمنى لو استطعنا تقديم المزيد، إلا إن الظروف المالية تمنعنا من تنفيذ معظم بنود البرنامج.

ولا يفوتني هنا أن أشيد بما يقوم به عديد من المؤسسات الإسلامية الكبرى، أو ما يقوم به أبناء القبيلة ممن سرت فيهم روح الدعوة .

ولكن تبقى منطقة قبائل البورانا في إثيوبيا كالأيتام على موائد اللئام، تنتظر من يسهم في انتشالهم إلى بر الأمان والإيمان بجهود دعوية متميزة لإنقاذهم من الهجمات التنصيرية.

---

*) أمين عام (لجنة مسلمي إفريقيا) بالكويت ، وهو متفرغ للدعوة،وله جهود متميزة في مجال الدعوة والتعليم والإغاثة وكفالة الأيتام.. ونحوها، وقد فرحنا بهذا التعقيب؛ لما يتميز به الدكتور عبد الرحمن من الخبرة الواسعة في إفريقيا، نسأل الله له التوفيق والسداد. - البيان -



النذير العريان

بقلم : طارق عبد الفتاح السيد

(النذير العريان) هو ذلك الرجل الذي كان يحتل أعلى الجبل أو الهضبة، حتى إذا رأى الأعداء قد اقتربوا لمهاجمة قومه خلع ملابسه ولوّح بها لهم، ينذرهم ويحذرهم من اقتراب العدو، وكونه عرياناً أبلغ في الإنذار؛ ليعلموا أن الأمر جد لا هزل فيه ويعدُّوا للأمر عُدته.

وفي الواقع: إن الأمة الإسلامية ـ اليوم ـ لتمر بحالة هي أحوج ما تكون فيها إلى هذا (النذير العريان)، ولن تجد الأمة الإسلامية انصح ولا أخلص في النصح من دعاة الإسلام والعاملين له، فإن المؤمنين نَصَحة والمنافقين غَشَشَة.

إن هؤلاء الدعاة ـ من وجهة نظري ـ مثل كريات الدم البيضاء التي تصد الغزاة (الجراثيم)، وتعطل تقدمهم وتكاثرهم، فإذا دخلوا الجسد قاومتهم بشدة واستماتة حتى الاستشهاد ـ إذا وجب الأمر ـ.

ولا مناص إلا أن يرشح الدعاة أنفسهم ـ ومعهم كل عامل للإسلام ـ لهذا المنصب الخطير، منصب (النذير العريان)؛ فقدوتهم ﷺ قال ـ فيما أخرجه الشيخان عن أبي موسى (رضي الله عنه) ـ: « إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم !، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا (النذير العريان)، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق ».

نعم .. إنه ﷺ (النذير العريان) ، ونحن ـ بإذن الله (تعالى) ـ ورثته ﷺ الشرعيون ، فلا خيار إلا أن نرفع الراية ونقبل هذا المنصب العظيم.

وهذا المنصب يقتضي أن يكون الدعاة في كامل قواهم العقلية والذهنية، وأن يتحلوا بما يُطلق عليه « حاسة الاستشعار عن بعد »، وقبل ذلك وبعده: إخلاص لله (عز وجل)، وعلم شرعي تنجلي أمامه الشبهات.. وبهذه العُدَد نحذر قومنا وننبههم.. وسيؤكد الواقع ـ إن شاء الله ـ صدق حدسنا وظننا، فتثق بنا الجماهير، وقبل ذلك بالحق الذي نحمله.

بريد البيان

إخواننا القراء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع شكرنا لكم جميعًا على تواصلكم الحميم مع البيان نود التنبيه على ما يلي:

■ تصلنا موضوعات ناقصة، وبخاصة ما يرسل عبر (الهاتف المصور)، مثل: حلقة ثانية دون الأولى، أو حلقة واحدة لكنها غير واضحة المعالم، ويزيد الأمر عسرًا: أنه قد لا يكتب رقم الجهاز المرسل ليمكن التفاهم مع الكاتب.

■ العناية بتوثيق الشواهد من الآيات والأحاديث والآثار، والاهتمام بالرجوع للمصادر المعتبرة، وعدم الاكتفاء بمصادر غير موثوقة أو بمصادر وسيطة.

■ لا تنشر المجلة المختارات والنقول المجردة؛ لكونها لا جهد فيها ولا جديد.

■ بعض المقالات لا توقع بالاسم الصريح والصحيح البتة، أو توقع بكنية فقط، وحتى ينشر الموضوع لا بد من نشر الاسم الصحيح ووسيلة واضحة للرجوع له عند الحاجة.

■ المقابلات يتفق بشأنها مع المجلة قبل إرسالها.

■ **الأخ د. / عزمي كنانة:**
ما كتبته عن (اليهود من خلال كتابهم المقدس) مجرد نقول تحتاج إلى معالجة شاملة، سبقك بها كتاب آخرون في أكثر من موضع، ونرحب بك في مشاركات مناسبة.

• • •

■ **الأخ / غازي المهر:**
قصيدتك (غطرسة) ستنشر في منتدى القراء في عدد قادم.

• • •

توضيح

عتب بعض الأخوة القراء على نشر المجلة تقريرها السنوي في نهاية العام الميلادي، ونود توضيح أن ذلك ليس مقصوداً، حيث ينشر التقرير السنوي عادة في شهر شعبان من كل عام هجري، ومجيئه في نهاية العام الميلادي مجرد توافق ليس إلا، والله نسأل للجميع التوفيق والسداد.

• • •

■ **الأخ / علي بن محمد الزبيدي:**
نشكرك على متابعتك للبيان وثنائك على ما ينشر فيها، وستصلك رسالة خاصة.

• • •

■ **الأخت / أم عبد القادر:**
شكرًا لك، ومتابعتك واقتراحك بالمزيد من الدراسات الأسرية محل اهتمامنا، أما طبع مقال (بارك الله لك) في رسالة صغيرة، فهذا راجع لصاحبة المقال، ولعلها تقوم بذلك.

• • •

■ **الأخ / محمد علي العروسي:**
نقدر مشاعرك الفياضة، زادك الله إحسانا وتوفيقًا، وثبتنا الله وإياك على صراطه المستقيم حتى نلقاه، وكنا نود بعث رسالة خاصة لك لكننا لم نجد عنوانك.

• • •

■ **الأخ / سعيد بن صالح القحطاني:**
نشكر لك شعورك حيال البيان، والموضوع الذي اقترحت الكتابة عنه أحيل إلى أحد الكتاب للكتابة فيه بما يشفي - إن شاء الله -، وجزاك الله خيرًا على حسن ظنك.

• • •

الورقة الأخيرة

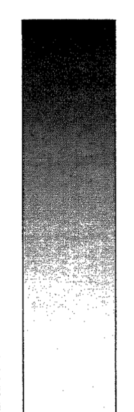
أزمة العقل المبدع

بقلم : سالم فرج سعد

إن التفرق الذي تشهده الساحة الإسلامية في صفوفها مردُّه إلى أسباب، منها:

ما يعتور العقل الإسلامي أحيانًا من عقم، وغياب التربية الإسلامية المتكاملة لدى الكثيرين.. وهي آفات تعوق حركة المنهج الإسلامي، وتشتت صفه وكلمته؛ لأن من سمات هذا المنهج الرباني: الشمول والتوازن ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١] ، ومن المتفق عليه بين العاملين في الساحة: أن ضعف التحصيل العلمي، والخلل العقلي في الفهم الشمولي للإسلام، هما سببان رئيسان أيضًا فيما يشهده العمل الإسلامي من تفرق.. لكن تظل أزمة الإبداع في العقل المسلم عائقًا كبيرًا دون العلم والعمل؛ لأن هذه الأزمة المشكلة اعتراها قصور وتقصير وغلو وتفريط، وذلك عندما واكبت الحضارة المعاصرة دونما ضوابط شرعية وقواعد علمية، وعندما جمدت على النص وعطلت الفهم الصحيح له، فصارت بين طرفي نقيض.

إن الفقه الإسلامي تراث زاخر بالجدية والحيوية، لكن عندما تعتريه آفات المقلدين، وتشنّج المتعصبين: يذهب بهاؤه، وتُشل حركته.. إذ إن عظمة الهدف وضخامته تفرض جدية الوسيلة، وتفوق المنهج.



فإذا سُخّرت أبحاث الفقه ـ مثلاً ـ لإحياء روح العمل والجهاد لنتج عن ذلك الهدف المرجو، ولتلاشت بذلك أزمات كثيرة في حاضرنا الإسلامي .

والفقه هو مثال واحد من أمثلة كثيرة في تراثنا الإسلامي الزاهر بالإبداع والهدى والنور، وإبداع العقل المسلم يأتي وفق تلك الإيحاءات الفقهية، والضوابط الشرعية بإخلاص واتباع؛ لأن الدعوة إلى الله عبادة مبناها على التوقيف والنص، وباعتبار استخدام الوسائل المشروعة التي تؤدي الغرض تكون عُرضة للاجتهاد والإبداع، لأن طبيعة الوسائل: التجديد والتطوير.

وعندها يأتي معنى القاعدة الفقهية (الوسائل لها أحكام المقاصد).

يقول الشيخ «السعدي» (رحمه الله): «وهذه القاعدة من أنفع القواعد وأعظمها وأكثرها فوائد ، ولعلها يدخل فيها ربع الدين»[1].

ولكن يكون الاجتهاد فيها بشروطه ومؤهلاته، والشأنُ كل الشأن في ألا يكون ثمة أمر محظور يُبطل الوسيلة أو يمنع الانتفاع بها.

---

١) شرح منظومة القواعد الفقهية ، ص ٣١.

● **التجديد :** ● تسعى مجلة البيان للتجديد في أسلوب الموضوعات ومضمونها

بشكل مستمر ☐ مقبول ☐ نادر ☐

● **تطوير الإخراج:** ● من خلال متابعتك لمجلة البيان فإن خطواتها نحو تطوير الإخراج

متميزة ☐ عادية ☐ غير ملحوظة ☐

● **التشويق والرتابة:** تعتبر مجلة البيان :

مشوقة ☐ عادية ☐ رتيبة ☐

● **تميز المجلة :** متميزة جداً ☐ متميزة ☐ عادية ☐

● **إذا كنت تراها متميزة، فماذا يميزها ؟** ....

من حيث الإخراج :

● **عدد الصفحات:** مناسب ☐ قليل ☐ كثير ☐

● **نوع الورق:** جيد ☐ مناسب ☐ غير مناسب ☐

● **حجم الحرف ونوع الخط:** ممتاز ☐ مناسب ☐ غير مناسب ☐

● **مساحات المقالات:** طويلة جداً ☐ طويلة ☐ مناسبة ☐ قصيرة ☐

● **تقسيم المقالات على حلقات:**

غير مناسب ☐ مناسب ☐ مناسب لمواضيع معينة ☐ (اذكرها) ....

● **بقايا الصفحات:**

تظل كما هي ☐ تشغل بقطوف وفوائد منوعة ☐ تشغل برسوم معبرة ☐

● **أداء المجلة لدورها:** أدت البيان الدور المنوط بها بشكل :

ممتاز ☐ جيد ☐ لا بأس به ☐ مقبول ☐

الزوايا : ● **دراسات شرعية :** الموضوعات المطروحة :

زائدة عن الحد ☐ قليلة ☐ مناسبة ☐

كيف تعرفت على مجلة البيان؟ من خلال مراكز التوزيع ☐

بواسطة صديق ☐ اطلعت عليها بأحد المراكز الخيرية ☐

من خلال الإعلانات ☐ أخرى: ☐ (اذكر) ....

من حيث التوزيع:

المنطقة التي تقيم بها :

مدينة كبيرة ☐ بلدة ☐ قرية ☐

- **هل لديك اشتراك في المجلة:** نعم ☐ لا ☐
- **إذا كانت الإجابة (نعم) : فهل تصلك المجلة بانتظام؟**

دائمًا ☐ غالبًا ☐ أحيانًا ☐ نادراً ☐

- **إذا كانت الإجابة (لا): فهل تجد صعوبة في الحصول على المجلة؟**

لا أجد صعوبة ☐ أجد صعوبة أحيانًا ☐ أجد المجلة بمشقة ☐

سعر المجلة : مناسب ☐ مرتفع ☐ يمكن زيادته ☐

من حيث المضمون :

- **الشمول بالنسبة للموضوعات التي يتطرق إليها :**

مناسب ☐ ضعيف ☐ غير مناسب ☐

- **مدى مناسبة مستوى الموضوعات المنشورة اذكر الموضوعات :**

أعلى من مستوى القراء ☐.................. مناسبة ☐.................. أقل ☐..................

- **يحصل التكرار في الموضوعات المنشورة :**

كثيراً ☐ نادراً ☐ أحيانًا ☐ لا يحدث ☐

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة صغيرة

التناقض الإيراني

إيران بلد إسلامي قامت فيه ثورة تقول إنها إسلامية، هكذا يزعم إعلامها، وتدعي نصرة المستضعفين، ودستورها يضمن للأقليات غير المسلمة حقوقها الإنسانية، إلا إنها تقف موقفًا عجيبًا غريبًا من أهل السنة فيها، فهي تناصبهم العداء، وتعمل بكل وحشية لاستئصال علمائهم ورموزهم، وتعمل على تهميشهم وعزلهم عن الحياة، فلا مدارس خاصة بهم سوى المدارس القرآنية المحدودة غير المعترف بشهاداتها، من أجل أن يضطر أبناؤهم إلى الانخراط في مدارسهم، ليتحولوا إلى التشيع أو أن يعيشوا كمًّا مهملاً غير معترف به، وهذا ما يريدونه، لقد وقف علماء السنة مع ثورتهم في بدايتها رغبة في الخروج من ظلم الشاه، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، وتعرض علماء السنة للسجن والتعذيب، ثم الاغتيال الذي حصد علماء ومفكرين ودعاة، بدعوى أنهم جواسيس ووهابيون وأعداء للثورة!! مثل «أحمد مفتي زادة» و «محمد صالح ضيائي»، و«بهمن شكوري».. وغيرهم، ممن قتلوا ظلمًا وعدوانًا وحقداً، ولا يُستغرب ذلك إذا علمنا أنه لا يوجد للسنة مسجد واحد في العاصمة (طهران)، بينما يوجد في جل المدن الإيرانية دور عبادة لليهود والنصارى وحتى المجوس.

فهل من إنصاف ومناصرة لأهل السنة في (إيران)، وهل يساوون ـ على الأقل ـ بتلك الأقليات تحت ظل حكم (الثورة الإسلامية!!) في إيران؟!.

لنا وطيد الأمل بدعم المسلمين لإخوانهم السنة في إيران بكل ما من شأنه رفع معاناتهم أسوة بغيرهم.

ولعله يتيسر لنا في عدد قادم ـ إن شاء الله ـ كشف الحقائق المتعلقة بمأساة أهل السنة ومعاناتهم المزمنة تحت مظلة نظام طهران.

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SWo 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الاردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦؛ فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065

الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس ، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهًا ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

الحج بين الواجب والواقع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد :

فما زالت قوافل الموحدين ـ ولله الحمد ـ تواصل المسير إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، اقتداءً بأبي الأنبياء وإمام الموحدين إبراهيم (عليه السلام) منذ أن صدح بالنداء الخالد مطيعاً لأمر الله الذي سجله القرآن الكريم: ﴿ **وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ...** ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨]، واتباعاً لسنة المصطفى (عليه الصلاة والسلام) القائل في حجة الوداع: «خذوا عني مناسككم» [١].

فما أن تأتي أشهر الحج إلا وحادي الحب لله (تعالى)، واتباع سنة المصطفى ﷺ، يحدو كل مسلم للرحيل إلى الرحاب المقدسة استجابة لله (تعالى).

لكن هل استطاع المسلمون ـ الذين يتجاوزون اليوم مليار نفس ـ أن يعيشوا هذه الفريضة، ويشهدوا المنافع المشار إليها في الآية الكريمة ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ** ﴾ في العاجلة والآجلة.

إن زاد العبادات في مجتمع المسلمين يفترض أن يصبغ حركة المجتمع كله بدينونتهم لله (تعالى) في علاقاتهم، ليظهر في سلوكيات الأفراد، فهل بدا واقع المسلمين بارزاً فيه صدى زاد الحج، تلك العبادة التي تمزج بين قلوب المسلمين وترسخ فيها وحدة الشعور ثمرة لوحدة الشعيرة، هل بدا كذلك؟، وهل تزوّد المسلمون من زاد الحج وعاشوا حكمه وهم يطبقون أحكامه على وجه مشروع ومسنون؟.





---

١) رواه مسلم بلفظ «لتأخذوا مناسككم»، انظر: إرواء الغليل، جـ٤، ص ٢٧١.

هل تحرك ذلك الموكب من ذوي الرداء الأبيض الناصع بين المشاعر شامة تزين الأرض، يباهي بها الرحمن ملائكته، حجيجاً مترابطي القلوب، مسلمين على منهج الله؟، هل بدت حِكَمُ الحج العظيمة وآثاره الجليلة متحركة مع ذلك الموكب، تنطق بها جوارح الحجيج وتبدو شاخصة في مناسكهم؟ هل ذابت الفوارق النفسية بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، وذهبت مع ثياب الحِل، وبدت النفوس صافية حانية متآلفة لا يقل صفاؤها عن صفاء ثياب الإحرام؟.

الحقيقة: إن اجتماع ذلك الكم الهائل من المسلمين على ذلك الصعيد الطاهر، وإن بدت زيادة عدده ملمحاً إيجابيًّا من ملامح الصحوة وزادت فيه مساحات الالتزام الصحيح أثراً من آثارها، إلا إن مساحات كبيرة منه تجيب سلبًا عما سلف من تساؤلات، وذلك لأسباب، منها:

- أن كثيراً من المسلمين بعيدون عن الأسس العقدية الصحيحة، وهذا انحراف جلي عن صراط الله المستقيم ومخالفة للهدي النبوي القويم الذي حذر من الشرك الخفي والأصغر، فضلاً عن الأكبر، مما يلزم معه أهمية التوعية بالتوحيد لله وإخلاص العبودية له (جل وعلا).

ومما يؤسف له، التقصير الملموس لدى بعض العلماء وسكوتهم المريب عن تلك المظاهر الشركية، وهم المؤتمنون على رسالة البلاغ المبين، فإلى الله المشتكى!.

- أن تلك العبادة أصبحت لدى كثير من المسلمين مجرد رحلات سياحية، تكاد تكون خالية من روحها الإيمانية، بل صارت مجالاً للتفاخر والمباهاة، وكأن الهدف أن يحلي أحدهم اسمه بالحاج فلان، وإذا لم يذكر اعتبر ذلك إهانة له.



- وبسبب الجهل السائد لدى كثير من الحجاج بآداب وأخلاقيات تلك الشعيرة ـ ولا سيما في التطبيق العملي للحج من الطواف والسعي، وعند التنقل بين المشاعر ـ انتشر ما يحصل بين الحجاج من سلوكيات غير حميدة، وإيذاء لا مبرر له، مع أن ذلك منهي عنه؛ لقوله (تعالى): ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن**

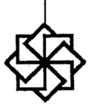


فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧].

ومن باب التناصح : فإننا نذكّر ببعض المسائل المهمة في الموضوع، ومن الله نستمد العون والتوفيق :

■ إن فريضة الحج يجب أن تؤدى وفقاً لما صح من السنة وكما روي عنه ﷺ ، مستحضرين ما فيها من تذكر لمواقف الأنبياء والمرسلين ولا سيما مواقف نبي الله إبراهيم (عليه السلام) من توديع طفله وزوجه هذا البيت في تلك الصحراء اللاهبة بقلب مفعم بالإيمان وهو يقول: ﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وكذلك موقف نبينا وقدوتنا محمد (عليه الصلاة والسلام) وهو يحج حجته الأخيرة ومعه الألوف من المسلمين ويلقي عليهم خطبة حجة الوداع، التي وضح فيها معالم الإسلام ومبادئه البارزة، وحسبنا مما قاله (عليه الصلاة والسلام) في تلك الخطبة : «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة .. وربا الجاهلية موضوع .. اتقوا الله في النساء .. وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله .. »[1] .

وتزامن مع هذه الحجة الأخيرة للرسول ﷺ نزول قوله (تعالى): ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة:٣]، مما يؤكد على اكتمال الإسلام ديناً مهيمناً على حياة المسلم كلها، وأن أي محاولات لتحجيم هذا الدين بدعاوى المبطلين مردودة عليهم، فالتلاعب بدين الله مرفوض تماماً .





■ إن تلك المشاهد والذكريات والمواقف الحبيبة إلى النفوس التي يتذكرها الحاج وهو يؤدي المناسك تعلمنا الإيمان الحق بالله وحسن التوكل عليه، ومن

١) أخرجه الخمسة عدا النسائي ، واللفظ لأبي داود ، وصححه الألباني، انظر صحيح سنن أبي داود ، ح/١٦٧٦ .

توكل على الله حق التوكل إيمانًا ويقينًا بما عند الله آتاه مقاصده ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : ٣] .

■ ولمن وفق لأداء هذه الشعيرة فرصة سانحة لتجديد العهد مع الله (تعالى)، لما في ذلك من الجزاء الأوفر، يقول الرسول ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » [رواه مسلم] .

■ ثم إن الحج مظهر من مظاهر وحدة المسلمين، وفيه تذكير بالحشر يوم المعاد، مع ما فيه من التمرين على الصبر والمصابرة وجهاد النفس والجهاد لمواجهة الأعداء ، بل هو من أفضل الأعمال، يقول الرسول ﷺ - عندما سئل عن أي العمل أفضل؟ - : « إيمان بالله ورسوله، قيل : ثم ماذا؟، قال : ثم الجهاد في سبيل الله .. قيل : ثم ماذا؟، قال : حج مبرور »[أخرجه السبعة عدا أبي داود]، وحينما سألته عائشة (رضي الله عنها) قالت : يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل الأعمال، أفلا نجاهد؟، قال : « لا، ولكن أفضل الجهاد : حج مبرور » [رواه البخاري] .

وأخيراً : ننبه إلى نقطة مهمة في الموضوع : فقد جرت على ألسنة كثير من الكتاب والمفكرين دعوى أن الحج مؤتمر إسلامي ، وهم بلا شك يقصدون المعاني الطيبة التي تنبثق من اجتماع المسلمين وتدارس أحوالهم، والعمل على حل ما يعتورهم من مشكلات، لكن ذلك - مع أهميته - ليس هو الهدف الحقيقي من الحج، فالحج لا يقصر على النخبة من الناس كما في المؤتمرات، التي لا تقتصر على مكان أو أمكنة بعينها، لكن الحج عبادة وشد وارتحال للبيت العتيق، وهو عامٌّ لكل من تحقق فيه شروطه من المسلمين .



وبالتالي : فالحج شعيرة لها أركانها وواجباتها وشروطها، ما أحوجنا إلى تفهم حكمتها ومعرفة حدودها والاستفادة القصوى منها، وحسبنا الوعد الإلهي لمن أحسنها وأتقنها بأن جزاءه الجنة .

والله نسأل أن يتقبل حج المسلمين وأن يجعل حجهم مبروراً وسعيهم مشكوراً .

فاستقم كما أمرت

بقلم: د . عبد الكريم بكار

يقول الله (عز وجل) : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾(*).

قضية الاستمرار في الامتثال لأمر الله (تعالى) ـ في المنشط والمكره ـ من القضايا الجوهرية في التصور الإسلامي، ومن القضايا الجوهرية كذلك في بنية التشريع وأدبياته، وليس أدل على ذلك من وصية الله (تعالى) لنبيه ﷺ في هذه الآية وفي غيرها بـ (الاستقامة)، التي هي: (المداومة على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه).

وقد قام (عليه الصلاة والسلام) بإسداء النصح بلزومها لمن سأله عن قول فصل يصلح به جماع أمره، حيث جاء في الصحيح: أن سفيان بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: قلت: «يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: قل: آمنت بالله، ثم استقم»(١) .

ولنا مع هذه الآيات المباركة الوقفات التالية:

١ ـ إن في قوله (جل وعلا) ﴿وَلا تَطْغَوْا﴾، وقوله: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ إشارة واضحة إلى ما يعترض سبيل الاستقامة من ملابسات السرّاء والضرّاء ، وقد أخبرنا ربنا (جل وعلا) أن من طبيعة البسط والتمكن استدعاءَ البغي والطغيان، حيث قال (سبحانه): ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] .

*) الآيتين : ١١٢ ، ١١٣ من سورة هود .

١) أخرجه مسلم .

والبغي هو مجاوزة الحد، وهو يتجسد في صور متعددة: فبغي القوة: البطش بالضعفاء، وبغي الجاه والنفوذ: الظلم وأكل الحقوق، وبغي العلم: اعتماد العالم على ما لديه من شهرة ومكانة؛ مما يدفعه إلى القول بغير دليل، ورد أقوال المخالفين من غير حجة ولا برهان، وطغيان المال: التبذير والإسراف والتوسع الزائد في المتع والمرفهات.

والعارض الثاني للاستقامة على خلاف الأول، حيث تدفع الطموحات والتطلعات المصلحية والضعف والظروف الصعبة إلى مصانعة الظالمين ومداهنتهم وإشعارهم بالرضا عما هم فيه، والاستفادة من قوتهم وما لديهم من متاع في تحسين الأحوال وتحقيق المكاسب ... مع أن طبيعة الاستقامة والالتزام في هذه الحال تقتضي المناصحة، والهجر، والضغط الأدبي، والتحذير من التمادي في ذلك، وهذا كله مناف للركون؛ لكن الشيطان يبرهن دائماً على أنه يملك خبرات مميزة في تزيين الباطل والتلبيس على الخلق، فهو ينسيهم أحكاماً ومواعظ وأدبيات ومواقف وتجارب، ويدفع بهم بعيداً عن كل ذلك !.

٢ ــ إن الاستقامة في التحليل النهائي ليست سوى تمحور المسلم حول مبادئه ومعتقداته، مهما كلف ذلك من عنت ومشقة، ومهما ضيع من فرص ومكاسب.

وينبغي أن يكون واضحاً: أن المرء إذا أراد أن يعيش وفق مبادئه، ورغب إلى جانب ذلك أن يحقق مصالحه إلى الحد الأقصى، فإنه بذلك يحاول الجمع بين نقيضين، وسيجد أنه لا بد في بعض المواطن من التضحية بأحدهما حتى يستقيم أمر الآخر.

إن تحقيق المصلحة على حساب المبدأ يُعدُّ انتصاراً لشهوة أو مصلحة آنيّة، أما الانتصار للمبدأ على حساب المصلحة فإنه بمثابة (التربع) على قمة من الشعور بالسعادة والرضا والنصر والحكمة والانسجام والثقة بالنفس، وقد أثبتت المبادئ أنها قادرة على أن تكرر الانتصار المرة تلو المرة، كما أثبت الجري خلف الشهوات دون قيد ولا رادع أنه يحقق نوعاً من المتع والمكاسب الآنيّة، لكنه لا يفتأ أن يرتد على صاحبه بالتدمير الذاتي، حيث ينمو الظاهر على حساب فساد الباطن، ويتألّف الشكل على حساب

في إشراقة آية

ضمور المضمون!.

إن المبدأ أشبه شيء بـ(النظارة) إذا وضعناها على أعيننا، فإن كل شيء يتلَّون بلونها، فصاحب المبدأ له طريقته الخاصة في الرؤية والإدراك والتقويم، إنه حين يرى الناس يتسابقون على الاستحواذ على منصب يستغرب من ذلك، ويترفَّع؛ لأن مبدأه يقول له شيئًا آخر غير ما تقوله الغرائز للآخرين، وإذا رأى الناس يخبطون في المال الحرام تقززت نفسه؛ لأنه يعلم ضخامة العقوبة التي تنتظر أولئك، وإذا أصيب بمصيبة فإنه يتجلد ويصبر؛ لأنه يرجو المثوبة عليها من الله (تعالى).

إذا قلَّبنا النظر في اهتمامات الناس ومناشطهم اليومية فإن من السهل الوقوف على المحور الذي يعلقون عليه توازنهم العام، ويدورون بالتالي في فلكه، وهناك تشاهد من همُّه الأكبر النجاح في عمله والمحافظة على سمعته فيه، كما تشاهد من يتمحور حول المتعة، فهو يبحث عنها في كل نادٍ وواد، ومن يتمحور حول المال، فهو يجوب العالم بحثًا عنه، ومن يبحث عن السيطرة والنفوذ، فهو مستعد لأن يفعل أي شيء في سبيل التمكن والتحكم.. وتجد ثلة قليلة بين هذا الطوفان من البشر استهدفت أن تحيا لله، وأن تبحث عن رضوانه، ومن ثم: فإنه يمكن تفسير كل أنشطتها ومقاصدها في ضوء هذا المحور، وهذه الثلة هي التي أُمِر النبيُّ ﷺ أن يفصح عن محورها باعتباره رائدها وهاديها: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

إن الذين يعلنون الولاء للمبادئ كثيرون، بل هم أكثر أهل الأرض، ولكن لا برهان على ذلك لدى أكثرهم، ويمكن أن يقال: إن لأكثر الناس دينين: دينًا معلَنًا ودينًا حقيقيًّا، ودينُ المرء الحقيقي هو الذي يكرِّس حياته من أجله.

إن من طبيعة المبدأ أنه يمد من يتمحور حوله بقوى وإمكانات خارقة وخارجة عن رصيده الفعلي، ولذا: فإن التضحيات الجليلة لا تصدر إلا عن أصحاب المبادئ والالتزام، وهم أنفع الناس للناس؛ لأنهم يثرون الحياة دون أن يسحبوا من رصيدها الحيوي، إذ

إنهم ينتظرون المكافأة في الآخرة.

التمحور حول المبدأ هو الذي يمنح الحياة معنى، ويجعلها تختلف عن حياة السوائم الذليلة التي تحيا من أجل التكاثر ومجرد البقاء!! .

المبدأ هو الذي يُضفي على تصرفاتنا الانسجام والمنطقية، ويجعلها واضحة مفهومة.

نحن لا ننكر أن الظروف الصعبة تُوهِن من سيطرة المبدأ على السلوك، لكن تلك الظروف هي التي تمنحنا العلامة الفارقة بين أناس تشبَّعوا بمبادئهم؛ حتى اختلطت بدمائهم ولحومهم، وأناس لا تمثل المبادئ بالنسبة لهم أكثر من تكميل شكلي لبشريتهم[1].

٣ ـ لا يماري أحد في أن الإنسان اكتشف في العصر الحديث من الآيات والسنن ما لم يكتشف عشر معشاره في تاريخ البشرية الطويل، لكن مع هذا فعنصر المخاطرة والإمكانات المفتوحة ما زال قائماً؛ حيث تتحكم في الظاهرة الواحدة عشرات الألوف من العلاقات التي يصعب معها التنبؤ بنتائج الاجتهادات والأنشطة المختلفة، ولا سيما في القضايا الكبرى، كمصائر الأمم والحضارات، وقضايا التقدم والتخلف، وما تنطوي عليه من تفاعلات وتغيرات، وإن الله (جل وعلا) قد ضمن لنا نتائج الاستقامة في الدنيا والآخرة، فهي بوجه من الوجوه وعلى نحو من الأنحاء لا تكون إلا خيراً، وإلا في صالح الإنسان، وقد قال الله (جل وعلا): ﴿**إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقوله: ﴿**لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [طه: ١٣٢]، وقوله: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٦].

أما من يسلك دروب المعاصي والفجور، ويتبع مغريات الأهواء والشهوات فإنه يظل يتوجس خيفة من سوء العاقبة، لكنه لا يعرف شكل العقوبة، ولا طريقة نزولها ولا توقيتها؛ ليكون الشك والغموض والخوف عاجل جزائه، ومقدمةً للبلاء الذي ينتظره، ثم تكون الخيبة الكبرى

١) انظر في ميزان التمحور حول المبدأ: العادات السبع للقادة الإداريين، ص ١٢٠.

في إشراقة آية

والخسارة العظمى!! .

إن هناك فترة سماحات ـ تطول أو تقصر ـ بين الانحراف وعواقبه وهذا هو الذي جعل الابتلاء تامًّا ، كما أنه هو الذي جرَّأ أهل المعاصي على التماري في غيهم، لكن العاقل الحصيف ينظر دائمًا إلى الأمام ويتحسس ما هو آتٍ، ويضغط على واقعة من أجل السلامة في مستقبله .

٤ ـ علينا أن نجمع بين النصوص التي تدل على ضرورة الاستقامة والالتزام بالمنهج الرباني، والنصوص التي تفيد رفع الحرج والعنت عن هذه الأمة، من مثل قوله (جل وعلا) : ﴿ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وإذا فعلنا ذلك، فإننا سنفهم من مجموعها أمرين :

الأول: هو ضرورة تزويد المسلمين بثقافة شرعية تتضح فيها حدود الواجبات والمباحات والمحظورات، بما يشكل خارطة فكرية واضحة لما ينبغي أن يكون عليه سلوك المسلم وعلاقاته.

الثاني: توفير الظروف والشروط الموضوعية التي تجعل التزام المسلم بدينه ميسوراً، وبعيداً عن الحرج والمشقة التي لا تُحتمل؛ إذ إنه لا يكفي أن تكون التعاليم الإسلامية ضمن الطوق، بل لا بد إلى جانب ذلك من أن تكون الظروف المعيشية العامة التي يحيا فيها المسلم مناسبة ومشجِّعة على الالتزام.

إنه كلما تعقدت الظروف المطلوبة للعيش الكريم قلَّ عدد أولئك الذين يتصرفون ضمن مبادئهم ويلتزمون حدود الشرع، فحين يكون المرتَّب الشهري للموظف لا يكفي لسداد أجرة البيت الذي يسكنه فإن شريحة كبيرة من الموظفين سوف تلجأ إلى طرق غير مشروعة في تأمين احتياجاتها اليومية، وآنذاك سيشعرون أن الالتزام التام لا يخلو من العنت، وحينئذ سيكون عدد الملتزمين بالطرق الشرعية في الكسب محدوداً.

إن الحضارة الحديثة أضعفت الإرادة بما أوجدته من صنوف اللهو والمتع، وجعلت الشروط المطلوبة للحد الأدنى من العيش الكريم فوق طاقة كثير من

الناس، كما أنها أوجدت من الطموحات إلى الكماليات وأشكال المرفِّهات ما يتجاوز بكثير الإمكانات المتاحة، وهذا كله جعل الاستقامة على الشرع الحنيف بحاجة إلى نمط من الرجال أرقى ، كما جعل من الواجب على الأمة أن تفكر مليًّا في توفير ظروف تساعد على الاستقامة ، وتحفز عليها .

إن المنهجية الإسلامية تقوم دائمًا على ما يمكن أن نسميه بـ (الحلول المركبة) ؛ إذ إن هناك من النصوص والأحكام ما يرفع الوتيرة الروحية للمسلم، كما إن هناك ما يزيد في بصيرته ، وهناك ما يدعوه إلى الصبر والجلد ، وهناك ما يحفزه على تحسين ظروف عيشه وأدائه ، ولا بد أن نمنح الفاعلية لكل ذلك حتى يمكن تجسيد المنهج الرباني في حياة الناس.

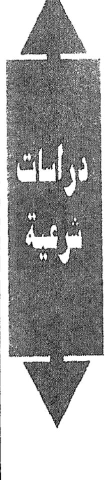
إن الفكر مهما كان قويًّا، وإن الوعي النقدي مهما كان عظيماً ، فإن سلوك الناس لن يتغير كثيراً ما لم تنشأ ظروف وأوضاع جديدة تحملهم حملاً على التحول إلى سلوك الطريق الأقوم والأرشد .

ويؤسفني القول : إننا لم نستطع إلى الآن أن نبلور نظرية إصلاحية إسلامية معاصرة ومتعمقة في تلمس شروط الاستجابة والظروف الصحيحة والمثلى لها، إلى جانب تلمس مجمل الحساسيات والترابطات والتداعيات التي تشكل المناخ المطلوب لقيام حياة إسلامية راشدة ! .

إن جل اهتمامنا ينصب على بيان ما يجب عمله، أما البرامج والكيفيات والإجراءات والأطر والسياسات التي يجب اتباعها وتأسيسها من أجل تحويل المبدأ إلى واقع معيش.. فإنها لا تلقى ما تستحقه من اهتمام ومتابعة، والخبرات لدينا في ذلك ما زالت ضئيلة، بل إن هناك مَن يستوحش من الخوض في غمار مثل هذا النوع من البحث، ويعد التعمق في ذلك ضرباً من (الاستغراب) أو الجنوح نحو المادية ! ، ومن الدعاة من يدعي أنه عارف بكل ذلك، لكن لو نظرت في إنتاجه المعرفي لم تقف له في هذه السبيل على كتاب أو رسالة، بل على خاطرة أو فكرة .

(وما أطيب العرسَ لولا النفقة) ! ! .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .



من أخطائنا في عشر ذي الحجة

بقلم: محمد بن راشد الغفيلي

تمهيد :

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ﷺ، وبعد :

فنحن في موسم فاضل من مواسم الله (تعالى)، ألا وهو(عشر ذي الحجة)، فيه من الأعمال والنوافل ما يتقرب بها العبد إلى الله (تعالى) لعله أن تصيبه نفحة من نفحاته (تعالى)، فيسعد به في الدارين، سعادة يأمن بها من الموت وشدته، والقبر وظلمته، والصراط وزلته.

و(عشر ذي الحجة) موسم فيه كثير من العبادات المتنوعة التي يمتاز بها عن غيره، قال الحافظ في الفتح: « والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي : الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولايتأتى ذلك في غيره » [1].

لهذا رأيت تنبيه إخواني القراء إلى الأخطاء التي قد تقع من بعضهم في هذا الموسم؛ رغبة في معرفتها وتجنبها.. والله الموفق.

أولاً : أخطاء عامة :

١ ـ مرور عشر ذي الحجة عند بعض العامة دون أن يعيرها أي اهتمام، وهذا خطأ بيِّن؛ لما لها من الفضل العظيم عند الله (سبحانه وتعالى) عن غيرها من الأيام، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله منه في هذه الأيام العشر» .

---

١) فتح الباري ، م٤ ، جـ٥ ، ص ١٣٧ .

٢ ـ عدم الاكتراث بالتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد فيها :

وهذا الخطأ يقع فيه العامة والخاصة إلا من رحم الله (تعالى)، فالواجب على المسلم أن يبدأ بالتكبير حال دخول عشر ذي الحجة، وينتهي بنهاية أيام التشريق، لقوله (تعالى): ﴿ **وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ....** ﴾ [الحج : ٢٨].

والأيام المعلومات : العشر، والمعدودات : أيام التشريق، قاله ابن عباس (رضي الله عنهما) [١].

قال الإمام البخاري : « وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما » [٢]، وذلك بشرط ألا يكون التكبير جماعيًّا، ولا تمايل فيه ولا رقص، ولا مصحوباً بموسيقى أو بزيادة أذكار لم ترد في السنة أو بها شركيات، أو يكون به صفات لم ترد عن الرسول ﷺ .

٣ ـ جهر النساء بالتكبير والتهليل، لأنه لم يرد عن أمهات المؤمنين أنهن كبّرن بأصوات ظاهرة ومسموعة للجميع، فالواجب الحذر من مثل هذا الخطأ وغيره.

٤ ـ أنه أحدث في هذا الزمن زيادات في صيغ التكبير، وهذا خطأ؛ وأصح ما ورد فيه : ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان : قال : كبروا الله : الله أكبر، الله أكبر كبيراً ، ونقل عن سعيد بن جبير ومجاهد وغيرهما [أخرجه جعفر الفريابي في كتاب العيدين] ـ وهو قول الشافعي ـ وزاد : « ولله الحمد »، وقيل : يكبر ثلاثًا ويزيد : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له »، وقيل : يكبر ثنتين، بعدهما : لا إله إلا الله ، الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر، ولله الحمد »، جاء ذلك عن عمر، وعن ابن مسعود بنحوه، وبه قال أحمد وإسحاق [٣].

---

١) صحيح البخاري ؛ في كتاب العيدين؛ باب فضل العمل في أيام التشريق، وانظر : فتح الباري ، جـ٥، ص١٣٣ وما بعدها .

٢) صحيح البخاري ، جـ١ ، ص ٣٢٩ .

٣) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، م٤ ، جـ٥ ، ص ١٣٩ .

وبهذا نخلص إلى أن هناك صيغتين صحيحتين للتكبير، هما :

ـ الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد .

ـ الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً.

وما ورد في بعض كتب المذاهب مثل المجموع ـ على جلالة قدر مصنفه ـ من زيادات على تلك الصيغة فهي غير صحيحة ، أو لعلها وردت في غير العشر الأواخر.

٥ ـ **صيام أيام التشريق**، وهذا منهي عنه، كما ورد عن الرسول ﷺ ؛ لأنها أيام عيد، وهي أيام أكل وشرب، لقوله ﷺ (١) : « يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق: عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب » (٢).

٦ ـ صيام يوم أو يومين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك في عشر ذي الحجة وعليه قضاء رمضان، وهذا خطأ يجب التنبه إليه؛ لأن القضاء فرض والصيام في العشر سنّة، ولا يجوز أن تقدم السنة على الفرض.

فمن بقي عليه من أيام رمضان وجب صيام ما عليه، ثم يَشْرع بصيام ما أراد من التطوع.

وأما الذين يجمعون القضاء في العشر مع يومي الاثنين والخميس لينالوا الأجور ـ كما يقولون ـ فإن هذا قول لا دليل عليه يركن إليه، ولم يقل به أحد من الصحابة فيما نعلم، ولو صح فيه نص من الآثار لنقل إلينا، والخلط بين العبادات أمره ليس بالهين الذي استهان به أكثر العامة(*) .

ثانيًا : أخطاء في يوم عرفة :

١ ـ **من الأخطاء : عدم صيامه**، علمًا بأنه من أفضل الأيام في هذه العشر، وهذا خطأ يقع فيه كثير ممن لم يوفق لعمل الخير، فقد ورد عن أبي قتادة

---

١) انظر: صحيح سنن أبي داود ،ح/٢١١٣.

٢) المرجع السابق ، ح/٢١١٤ .

*) ذكر الكاتب في أصل المقال تنبيهات على أخطاء تقع من المضحي لم نذكرها؛ لأنه سبق للمجلة أن نشرت مقالاً عن أحكام الأضحية في العدد ١٠٠؛ وذلك رغبة في الاختصار. ـ البيان ـ

الأنصاري (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة فقال: «يكفر السنة الماضية والسنة القابلة»[1]، وهذا لمن لم يحج؛ لنهيه ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات.

٢ ـ قلة الدعاء في يوم عرفة عند أغلب الناس والغفلة عنه عند بعضهم، وهذا خطأ عظيم؛ حيث يُفوِّتُ الشخص على نفسه مزية الدعاء يوم عرفة، فإن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الدُّعَاء دعاء يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلتُ أنا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلي: لا إلَه إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمدُ، وَهُوَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[2].

قال ابن عبد البر: «وفيه من الفقه: أن دعاء يوم عرفة أفضل من غيره، وفي ذلك دليل على فضل يوم عرفة على غيره، وفي فضل يوم عرفة دليل على أن للأيام بعضها فضلاً على بعض؛ إلا أن ذلك لا يُدْرَكُ إلا بالتوفيق، والذي أدركنا من ذلك التوفيق الصحيح: فضل يوم الجمعة، ويوم عاشوراء، ويوم عرفة؛ وجاء في يوم الاثنين ويوم الخميس ما جاء؛ وليس شيء من هذا يدرك بقياس، ولا فيه للنظر مدخل، وفي الحديث أيضاً: دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب كله في الأغلب، وفيه أيضاً أن أفضل الذكر: لا إله إلا الله ...»[3].

ثالثاً: أخطاء في يوم النحر:

١ ـ عدم الخروج إلى مصلى العيد، بل تجد بعض الناس لا يخرج إلى المصلى، خاصة منهم الشباب، وهذا خطأ؛ لأن هذا اليوم هو من أعظم الأيام، لحديث عبد الله بن قرط (رضي الله عنه) عن النبي قال: «إن أعظم الأيام عند الله (تعالى) يوم النحر، ثم يوم القر»[4]، يعني: اليوم الذي بعده.

٢ ـ وإذا ما خرج بعضهم خرج بثياب رثة، بحجة أنه سيحلق ويقص أظافره

---

١) أخرجه مسلم في كتاب الصيام، ح/١١٦٢.

٢) أخرجه مالك في الموطأ، جـ١، ص ٤٢٢، ح/٢٤٦، والترمذي: انظر: صحيح سنن الترمذي، ح/٢٨٣٧.

٣) التمهيد، جـ٦، ص ٤١ ـ٤٢.

٤) أخرجه أبو داود بإسناد جيد، قاله الألباني في المشكاة، ح/٢٦٤٣.

ويتطيب ويستحم بعد ذبح أضحيته، وهذا خطأ، فينبغي للمسلم أن يتأسى بالنبي ﷺ بهيئة حسنة وبألبسة جديدة ذات رائحة زكية، لما ورد عن ابن عمر أنه كان يلبس أحسن ثيابه في العيدين، وقد صح الاغتسال قبل العيد عند بعض السلف من الصحابة والتابعين[1] .

٣ ـ الأكل قبل صلاة العيد، وهذا مخالف للمشروع ، حيث يسن في عيد الأضحى ألا يأكل إلا من أضحيته، لما ورد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، قال: كان النبي لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم، ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي.

قال ابن قيم الجوزية : «وأما في عيد الأضحى ، فكان لا يَطْعَمُ حتى يَرجِعَ من المصلى فيأكل من أضحيته»[2] .

٤ ـ عدم تأدية صلاة العيد في المصلى، بحجة أنها سنة، وهذا حق، لكن لا ينبغي لمسلم تركها وهو قادر عليها، بل هي من شعائر الإسلام فلزم إظهارها من الجميع كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، ومن تركها بدون عذر فقد أخطأ خطأً عظيمًا.

٥ ـ التساهل في عدم سماع الخطبة، فينبغي للمسلم أن يستمع للخطبة لما في هذا من الفضل العظيم.

٦ ـ التساهل في الذهاب والإياب، وهذا خطأ؛ فكان من سنته ﷺ أن يذهب من طريق ويرجع من طريق آخر .

٧ ـ التساهل بترك تهنئة الناس في العيد، وهذا خطأ؛ فالزيارات وتجمع العوائل مع بعضها ، والتهنئة فيما بينهم . . من الأمور المستحبة شرعًا، كأن يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منّا ومنكم، ونحو ذلك من العبارات التي لا محذور فيها.

---

١) انظر : فتح الباري ،م٤، جـ٥ ، ص ١١٢ ، والمغني لابن قدامة، جـ٢ ، ص ٣٧٠ .

٢) زاد المعاد، جـ١ ، ص ٤٤١ فصل : في هديه ﷺ في العيدين.

٨ ـ اعتقاد بعض الناس زيارة المقبرة للسلام على والد أو قريب متوفى، وهذا خطأ عظيم، فزيارة المقابر في هذا اليوم الفاضل ـ بزعمهم أنهم يعايدون الموتى ـ من البدع المحدثة في الإسلام؛ فإن هذا الصنيع لم يكن يفعله أصحاب رسول الله ﷺ، وهم أسبق الناس إلى كل خير، وقد قال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١]، أي: مردود عليه

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): قوله ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً»[٢] قال: «العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً، إما لعود السنة أو لعودة الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك»، وعلى هذا: إذا اعتاد الإنسان أن يزور المقبرة في يوم العيد من كل سنة بعد صلاة العيد وقع في الأمر المنهي عنه[٣]؛ حيث جعل المقبرة عيداً يعود إليه كل سنة، فيكون فعله هذا مبتدعاً محدثاً؛ لأن الرسول ﷺ لم يشرعه لنا ولا أمرنا بفعله، فاتخاذه قربة مخالفة له ﷺ.

والله نسأل للجميع التوفيق والسداد،

---

١) أخرجه مسلم، ح/١٧١٨ في كتاب الأقضية .

٢) رواه أبو داود بلفظ: «لا تجعلوا»، انظر سنن أبي داود، ح/١٧٩٦ .

٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ٣/٢٨٩، والمدخل لابن الحاج، ١/٢٨٦، وانظر: أحكام الجنائز وبدعها، للألباني، ص ٢٥٨ .

مقال

رؤية: في الاستفادة من الحج

بقلم: زيد بن محمد الرماني

تمهيد:

العبادات في الإسلام بجانب أنها شعائر يؤديها المسلم لكونها مفروضة عليه من ربّه ـ فليس عليه إلا الإذعان والخضوع والامتثال لأوامر الله وإظهار العبودية له ـ فهي أيضًا تحمل في حقيقتها معاني كثيرة، وترسخ أخلاقيات حسنة، وتثمر فوائد اجتماعية كريمة ومتعددة، تعود على المسلم والمجتمع بالخير الكثير.

والحج ـ بالتعبير الاقتصادي ـ موسم تجارة، كما هو بالمفهوم الشرعي موسم عبادة، وهو الفريضة التي تلتقي فيها شؤون الدنيا والآخرة، كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة القريبة والبعيدة.. أصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقًا رائجة؛ حيث تجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء من أطراف الأرض، ويَقْدم الحجيج من كل فجّ ومن كل قطر، معهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض، يتجمع كله في البلد الحرام في وقت واحد، فهو موسم تجارة ومعرض نتاج، وسوق عالمية تقام في كل عام، وهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح، وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام.

ويكون ذلك مثمرًا ونافعًا يوم أن تصل البلاد الإسلامية إلى مستوى التميز والإنتاج، بحيث يحدث تبادل السلع والمصنوعات الإسلامية صناعةً وتحويلاً، وتنعكس تلك المنافع قوة للاقتصاد الإسلامي على مدى المعمورة، لا أن يكون

الحجيج وسطاء أو (تجار حقيبة) لسلع الشرق والغرب .

وعندئذ يكون الحج وسيلة للتعارف والتشاور، وتنسيق الخطط، وتوحيد القوى، وتبادل السلع والمنافع والمعارف والتجارب الإسلامية الواقعية.

ولا ينقص ذلك فهم بعضهم من أن الحج ليس مجرد رحلة عفوية يبدّد فيها المسلم وقته وجهده وماله، ولكنه رحلة يبدو فيها جلال التآخي والفوائد والمنافع الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وهنا تبرز وتظهر أهداف الحج عظيمة، إذ هو امتثال لأمر الشرع، وهو زاد إيماني وتربوي، وهو ـ أيضاً ـ فرصة لتبادل المنافع.

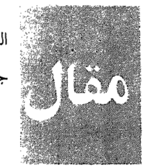
من حكمة مشروعية الحجّ :

لا شك في أن الله (سبحانه) بحكمته وعظمته اختار ـ منذ خلق الإنسان ـ هذا المكان الطيب الطاهر في مكة المكرمة؛ ليشرفه بخصوصية لم يفز بشرفها أي مكان في العالم، حين اختصه بأن يكون مقرًّا لبيته الحرام، ومحلاً لالتقاء وتجمّع المسلمين جميعًا من كل بقاع الدنيا، من الذين منّ الله عليهم فوهبهم الاستطاعة التي تؤهلهم لشرف تلبية نداء الله، فيقصدون هذا البيت العتيق.

قال (تعالى) : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] .

وحين نقرأ هذا القول الحكيم في قوله (تعالى) : ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ** ﴾ نطمئن معه إلى قول من قال بأن أول من بنى هذا البيت هم ملائكة الرحمن؛ ذلك لأن لفظة (الناس) يطلق على آدم وذريته، ومعنى ذلك أن هذا البيت العتيق وُضِع قبل ـ أو مع ـ أول الناس في الأرض، وهو آدم (عليه السلام) .

وقيل: إن هذه الآية جاءت ردًّا من الله على اليهود، حين قالوا إن بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة؛ لكونه في الأرض المقدسة ومهبط الأنبياء.



فبيّن الله (سبحانه) بهذه الآية مكانة البيت الحرام بمكة المكرمة (البيت العتيق)؛ منبهًا لهم وللناس جميعًا بأن هذا أول بيت وضع للناس، وأشرف بيت جعل للعبادة ﴿هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ .

في ظلال قوله (تعالى) : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ...﴾ [الحج : ٢٨] :

حين نتأمل هذه الآية وما فيها من توجيهات ربانية نجد فيها المسائل التالية :

أولاً : إن الله (تعالى) لما أمر بالحج في قوله ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ اختُلف فيها، فبعضهم حملها على منافع الدنيا، وهي أن يتجر في أيام الحج، وبعضهم حملها على منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة، وبعضهم حملها على الأمرين جميعًا، وهو الأَوْلى .

ثانيًا : إنما نكّر المنافع؛ لأن المراد ـ والله أعلم ـ منافع مختصة بهذه العبادة، دينية ودنيوية، لا توجد في غيرها من العبادات .

يقول ابن الجوزي (رحمه الله) في كتابه « زاد المسير » : « والأصح : مَنْ حملها على منافع الدارين جميعًا؛ لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصد الحج، والتجارة تبع » .

ويقول عبد الكريم الخطيب في كتابه (التفسير القرآني) : « والمنافع التي يشهدها الوافدون إلى بيت الله الحرام كثيرة متنوعة، تختلف حظوظ الناس منها، فهناك منافع روحية تفيض من جلال المكان وروعته وبركته، وذلك بما يغشى الروح من هذا الحشر العظيم، الذي حُشر فيه الناس على هيئة واحدة في ملابس الإحرام مجرّدين من متاع الدنيا، وما لبسوا فيها من جاه وسلطان .

ولقد أحسن النسفي (رحمه الله) في تصوير هذه الفريضة، وفي عقد الشبه بينها وبين الحياة الآخرة، حيث يقول : فالحاج إذا دخل البادية، لا يتكل فيها إلا على عتاده، ولا يأكل إلا من زاده ، فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة، وركب

بحر الوفاة، لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده .

الهدي .. المشكلة والحل :

الهدي: يطلق على الحيوان الذي يسوقه الحاج ؛ هدية لأهل الحرم من غير سبب موجب، ويطلق على ما وجب على الحاج أو المعتمر بسبب معين كترك واجب أو فعل شيء محظور، أو كالإحصار والتمتع ، وهذا هو المراد في قوله (تعالى) : ﴿ **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ...** ﴾ [الحج: ٣٦]، يقول القرطبي (رحمه الله) : وسميت هديًا؛ لأن منها ما يُهدى إلى بيت الله والقاطنين فيه من الفقراء والمساكين.

إن شراء الهدي والتقرب به إلى الله (سبحانه)، يعتبر من أوضح أدلة التضحية بالمال، ويعتبر مثالاً صادقًا على اقتران القيم التعبدية الروحية بالقيم الاقتصادية المادية في شعيرة الحج .

ولقد كان تكدس لحوم الهدي في منى مثلاً أيام النحر الثلاثة مشكلة تحتاج إلى حلّ ، حيث هي عرضة للتعفن والتلف، ومن ثم: إلقائها إلى الحيوانات، أو التصرف غير الاقتصادي الذي لا يفيد المسلمين، بل يضّر بهم وبفقرائهم ومساكينهم ، وبالمستحقين.

ولذلك، طُرحت بعض الحلول للخروج من هذه المشكلة بحل سليم يساعد في الإفادة من لحوم الهدي.. **وفي هذا الصدد يمكن أن نقدّم بعض التوصيات لاقتراحات للإسهام في حل هذه المشكلة، ومن ذلك :**

١ ـ تأسيس مؤسسة اقتصادية إسلامية تتولى العناية بهذه اللحوم وتصنيعها وحفظها في معلبات، وإرسالها إلى مستحقيها من المسلمين في بلاد العالم الإسلامي.

مع العلم أن البنك الإسلامي للتنمية يتولى حاليًا إنشاء ثلاجات كبيرة لحفظ

هذه اللحوم بعد تنظيفها، ثم تصديرها إلى الفقراء والمساكين والمجاهدين والمستحقين.



٢ ـ تعليم الحجاج أحكام الهدي، والتي منها أن الحاج المفرِد لا ذبح عليه، بل القارن والمتمتع فقط.

٣ ـ تكوين جمعية خيرية إسلامية تتولى مهمة الإشراف على جمع وتوزيع وتصدير لحوم الهدي للمحتاجين والفقراء والمساكين.

المدلول الاقتصادي للحجّ :

للحج مدلول اقتصادي كبير؛ ذلكم أنه فرصة للكسب الشرعي ، والكسب الأخروي؛ فهو عبادة مالية وبدنية معًا ، وثوابهما معلوم للجميع.

إن الحج موسم يلتقي فيه العلماء وذوو الخبرات العالمية الإسلامية، من صناعيين، وتجار ، ومهنيين، ومن جميع التخصصات المختلفة، وبهذا تُنتهز فرصة الحج؛ لا لهذا الغرض فحسب، بل تكون تابعة غير مقصودة، ولكنها في الواقع فرصة للمؤسسات الإسلامية، وللمسلمين جميعًا، حيث تنمو العلاقات الاقتصادية بين المسلمين؛ إذ يناقشون مشكلات الأمن الغذائي ومشكلات الاقتصاد بصفة عامة، مما يعود عليهم أفرادًا وجماعات بالخير العميم.

فلنستفد من هؤلاء :

يعيش العالم الإسلامي اليوم مرحلة مهمة من مراحل أيامه الفاضلة، ألا وهي موسم الحج، والذي يعود كل عام على المسلمين، حيث يحج كل عام أناس جدد ومسلمون لم يسبق لهم الحج، وفي حجهم تعليم لهم وتربية، فقد جاؤوا من بلاد بعيدة ومن كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ، جاؤوا ليكتسبوا رضا الله (جل وعلا) وهم في أمن وطمأنينة، هذه الفئة المؤمنة الصادقة، والتي منها شباب ذوو خبرة وثقافة علمية وتقنية ، ولهم اطلاع واسع على بلادهم وما جاورها.

فلم لا يستفاد من وجود هؤلاء في مجال الإعلام الإسلامي؟.

إن على الصحافة ـ وهي بحمد الله تشارك في الحج بكل ما تملك من إمكانات مادية وبشرية ـ أن تجعل من الحج فرصة طيبة لمعرفة العالم الإسلامي، والتعريف به في الصحافة على صعيد واسع، وينبغي أن تكثف الجهود في الالتقاء بالشخصيات من ذوي الثقافات المتعددة والمتخصصة؛ لأن في الحجاج أساتذة جامعات، وأعضاء هيئات تدريس، ومديري معاهد متخصصة، ومسؤولين عن روافد الفكر في بلادهم ، كل هؤلاء حقيقٌ بنا أن نرى ما عندهم فننقله إلى العالم الإسلامي عبر وسائل الإعلام، مما يضيف رصيداً جديداً للصحافة، ورافداً متميزاً بالإعلام والتعليم لمعشر المسلمين.

إن العالم الإسلامي وهو يشعر بالوحدة والعزلة ، ليسره أن يسهم في كل مكان بالتعريف بأرضه، بجباله، وبسهوله، بكل بقعة منه لقاطني هذه المعمورة.

ولعل هذه الفكرة أن تكون سهلة التنفيذ، أما مصادر المعرفة للصحفيين فإنها متوفرة ، فمن الحجاج أنفسهم، ومن الأماكن التي تحتفظ بأسماء الحجاج، وخاصة المطوفين، وجهات أخرى ، أعتقد أنها كلها على استعداد لأن تجعل من موسم الحج مائدة فكرية للقارئ المسلم في كل البلاد.

والله ولي التوفيق ،

دراسات دعوية

ظواهر الغربة
في الصحوة المعاصرة

بقلم: جمال شقدار

«يحاول كاتب المقال من خلال نظرة متأنية الإشارة إلى بعض ظواهر الغربة في الصحوة الإسلامية المعاصرة، الماثلة على نطاق الجماعات المنتشرة في العالم الإسلامي، ويعتبر هذا المقال مقدمة تعريفية للاتجاه الذي سيسلكه في النقد الذاتي لمناهج وسلوكيات الجماعات والفرق عامة، دون التركيز على جماعة أو فرقة بعينها...».

عندما دخل حكيم الأمة[1] أبو الدرداء على زوجه (رضي الله عنهما) كان مغضباً مما رآه تغيراً في الناس عن سنة المصطفى ﷺ، فقال عبارته المشهورة: «ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً»[2]، هذا مع كونه (رضي الله عنه) لم يعش هذه الغربة طويلاً، فقد لحق بحبيبه ﷺ، وما رأى الفتن العظام.. مات قبل مقتل عثمان (رضي الله عنهم جميعاً).

وقد أحسَّ بهذه الغربة الإمام راوية الإسلام[3] خادم رسول الله ﷺ ورفيقه في سفره وإقامته: أنس بن مالك (رضي الله عنه) الذي عاش بعد

---

١) وصفه بذلك الإمام الذهبي في ترجمته (رضي الله عنه)، انظر: سير أعلام النبلاء، جـ٢، ص ٣٣٥.

٢) الأثر ثابت عنه (رضي الله عنه)، انظر: صحيح الإمام البخاري، ك/الأذان، ح/٦١٣.

٣) وصفه بذلك الإمام الذهبي في ترجمته (رضي الله عنه)، انظر: سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص ٣٩٥.

أبي الدرداء ما يزيد عن ستين عاماً، فصارح تلميذه الزُهْرِي باكياً: «لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت» (١).

وهذا الإمام ابن الجوزي صاحب البصيرة النافذة والنظر العميق في أحوال خواص الأمة قبل عوامها بعد خمسمئة عام من عصر أبي الدرداء يعلق على موقف حكيم الأمة فيقول: «واعجباً .. كيف لو رآنا اليوم، وما معنا من الشريعة إلا الرسم ..؟!» (٢).

وقبل أن يظن بعض أهل الصحوة أني أشير بهذه الآثار الثابتة إلى حال عوام الناس اليوم وغربة الإسلام التي تضج بها سلوكياتهم.. أقول: إن غربة الإسلام في العوام متوقعة بعد مرور ما يقرب من ألف وأربعمئة عام على العصر الذهبي لصدر الإسلام، لكن الغريب كل الغرابة أن نعيش الغربة داخل الصحوة ونحن ندَّعي أنها جاءت لتنقذ الأمة وتجدد لها دينها الذي ارتضاه ربنا لها..!! وأجد أنه من العدل والموضوعية قبل أن نتطرق للنقد الذاتي لظاهرة الصحوة أن نذكِّر بأن لها من الإيجابيات الواضحة ما لا ينكرها إلا مكابر، وقد تركت هذه الإيجابيات بصماتها الواضحة على المسلمين اليوم أفراداً ومجتمعات، ولعله يتيسر لنا يوماً ـ إن شاء الله ـ رصد هذه الإيجابيات والكتابة عنها بتوسع (٣).

والحقيقة: إن الناظر بعين البصيرة لظاهرة الصحوة في هذا العصر على اختلاف مناهج فرقها وتعدد اتجاهاتها، يجد كثيراً من الظواهر المَرَضِيَّة المتفشية في مجموع الفرق والجماعات، وعلى جميع المستويات العاملة بها، والقارئ لسيرة السلف (رضي الله عنهم) ـ بتمعن ـ سيجد نفسه مضطراً إلى أن يعقد المقارنة تلو المقارنة بين حال الصحوة اليوم وما كان عليه السلف في

---

١) الأثر ثابت عنه (رضي الله عنه)، انظر: صحيح الإمام البخاري، ح/٤٩٩، وبالفاظ أخرى في ح/٤٩٨.

٢) انظر: (صيد الخاطر)، ص٢٥٥، وله في الكتاب كثير من التعليقات حول بعض الأمراض السلوكية التي تصيب خواص المسلمين والحلول المناسبة لها، مع ملاحظة المآخذ على الكتاب التي ذكرها الأستاذ محمد الحداد في تهذيبه له.

٣) يوجد في المكتبات كثير من الكتب التي تحدثت عن الصحوة سلباً أو إيجاباً، والذي أعتقده: أنه ينقصنا الأسلوب الموضوعي الذي لا يعطي الصحوة حجماً أكبر من حجمها الحقيقي فنعول على خيال، ولا ينكر كل ما لها من إيجابيات فنهضمها حقها.



عصر صدر الإسلام [1]... وسيرى بسهولة مقدار الغربة عن الإسلام في صحوة اليوم ، وله أن يتساءل حينها : أين وحدة المسلمين تحت مظلة الاسم الواحد الذي سماهم به الله في كتابه العزيز ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ...**﴾ [الحج : ٧٨] مما هو حاصل اليوم من افتراق (خواص المسلمين) تحت رايات عديدة وأحزاب شتى ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [الروم : ٣٢]، يكيدون ويحاربون بعضهم بعضاً، ويكيلون التهم جزافًا، بدءاً من التبديع ومروراً بالعمالة والتفسيق، وانتهاءً بالتكفير..!! مدفوعين بقوة الجهل والهوى، جاعلين أنفسهم بما يفعلون في مصاف المفارقين لأهل السنة والجماعة [2].

وله أن يتساءل أيضًا : أين بساطة المعتقد عند السلف ووضوحه عما هو حاصل اليوم من تتبع عقائد الفرق الضالة حذو القذة بالقذة، وتبني أساليب أهل الكلام ومتاهاتهم اللفظية والعقدية؟.

بل وأين القلوب الهينة اللينة.. ذات النفوس الخاشعة والعيون الدامعة مما يعاينه أفراد الصحوة ـ على شتى اتجاهاتها ـ من قسوة في القلوب وتفريط في العبادات كمًّا .. وكيفًا..؟ [3].

ولا شك أن سبب الغربة عامة وغربة الصحوة بشكل خاص هو :

---

١) انظر : تحليل صاحب (المعالم) (رحمه الله) في فصل (جيل قرآني فريد)، ص ١١، وهو يوضح الفروقات التي يعتقد أنها تفصل بين جيل الصحابة (رضوان الله عليهم) وجيل الصحوة اليوم.!!.

٢) انظر: الصفات العامة للمفارقين للسنة والجماعة في الفصل السادس من كتاب (أهل السنة والجماعة) المقتبسة نصوصها من (مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية، راجع أيضًا الفتاوى ، جـ٣، ص ٣٧٨ .

٣) تأمل سيرة الصحابة (رضوان الله عليهم) وما يدل على لين قلوبهم، وانظر وصف علي (رضي الله عنه) لهم فيما يُروى عنه : «والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا سجداً وقياماً، يتلون كتاب الله (تعالى) ، يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله (عز وجل) وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين»، (تهذيب موعظة المؤمنين، جـ٢ ، ص ٤٢٣) .

البعد عن سنة المصطفى رسول الله ﷺ، التي تعرف بأفعاله وأقواله الثابتة وبما سار عليه خلفاؤه وأتباعه في القرون المفضلة.. **أما سبب الانحراف عن هذه الطريقة فهو كما يلخصه لنا الإمام ابن الجوزي** (رحمه الله تعالى): «إما الجهل بها أو الخروج عليها.. فيجري الإنسان مع الطبع والعادات، وربما اتخذ ما يضاد الشريعة طريقاً»[1].

وقلما يجد من عاين أحوال الدعوة وأطوارها شاباً من أفراد الصحوة لا تنبئ فعاله قبل مقاله عن بعده عن منهج السلف الصالح.. فتجده يشكو قسوة القلب وغلظة الطبع وغياب الخشوع في الصلاة وانشغال اللسان عن ذكر الله[2].

بل وقد يسقط بعضهم في مهاوي الرذيلة سراً، فلا يجد ما ينتشله من هذا التردي سوى التخفي خلف صلاح الظاهر بحجة «إذا بليتم فاستتروا»، فتكثر البلوى في الخلوه، ولا تكاد تبين في الجلوة، وبدلاً من الشروع في علاجها وتداركها تراه يتستر عليها من الناس دون الله (عز وجل) المطلع على السرائر والأحوال.

وقلما يجد الناظر ببصيرة فرقة أو جماعة إلا وَهمُّها (الدعوي) الأكبر زيادة الأتباع، والمسابقة على (اقتناص) الأفراد والمواقع في المجتمعات، وبدلاً من التركيز على الكيف، كان الكم هو الشاغل الأكبر، ولا شك أن من كثر جمعه تشتت جهده، فيتربى الأتباع تحت هذه العباءات وداخل هذه الأطر في أجواء التسابق (الدعوي) المحموم والتعصب المكشوف، فتنمو علومه ومهاراته (الحركية) على حساب إصلاح النفوس والتخلص من آفات القلوب، وعلى حساب الأنس بالله (عز وجل) الذي هو غاية المقصود من كل علم وتعليم، ولا

---

1) صيد الخاطر، ص ٢٥٥ .

2) قارن حالنا هذا بما روي في سيرة أبي بكر (رضي الله عنه): «أنه كان بكّاءً لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن»، حلية الأولياء، جـ١، ص ٣٠، هذا في رقة قلوبهم، وانظر: ما روي عن خشوع التابعي القدوة مسلم بن يسار في صلاته كيف «أنه وقع حريق في داره وأطفئ، فلما ذكر له ذلك قال ما شعرت»، سير أعلام النبلاء، جـ٤، ص ٥١٢، وانظر: ما روي عن أبي الدرداء أنه كان لا يفتر عن الذكر، فقيل له: «كم تسبّح في كل يوم؟ قال: مئة ألف إلا أن تخطئ الأصابع»، سير أعلام النبلاء، جـ٢، ص ٣٤٨ .

شك أن من كانت هذه أفعالهم فإن لهم «قلوب غافلة عن الله (عز وجل)، إذ لو كانت لها به معرفة لاشتغلت به، وكان أنسها بمناجاته، وإيثارها لطاعاته، وإقبالها على الخلوة به، لكنها لما خلت من هذا تشاغلت بالدنيا، وذلك دنيا مثلها، فإذا خلت بخدمة الله (تعالى) لم تجد لها طعماً، وكان جمع الناس أحب إليها وزيارة الخلق لها أثر عندها، وهذه علامة الخذلان.

والنفس لا بد لها مما تُشغل به، فمن اشتغل لخدمة الخلق أعرض عن الحق فإنما يربي رياسته، وذلك مما يوجب الإعراض عن الحق ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ** ...﴾ [الأحزاب: ٤]»[١].

وترى همة الفرد في هذه الجماعات قد اقتصرت في سني حياته (الدعوية) على زيادة أتباع فرقته والذود عن حمى رموز الجماعة، فيضيق مفهوم الولاء والبراء حتى يصل إلى قناعة (من لم يكن معي فهو ضدي) وتكون قاصمة الظهر.. ضيقاً في الأفق، وفرزاً للناس، وتصنيفاً للعاملين في مسار الدعوة للتعامل معهم بمقتضى هذا التصنيف سلباً وإيجاباً، وكم جرَّ هذا التصنيف من «قارعة في الديار، بتشويه وجه الحق، والوقوف في سبيله، وضرب للدعوة من حدثاء الأسنان في عظماء الرجال باحتقارهم وازدرائهم، والاستخفاف بهم وبعلومهم، وإطفاء مواهبهم، وإثارة الشحناء والبغضاء بينهم، وهضم لحقوق المسلمين في دينهم وعرضهم، وتحجيم لانتشار الدعوة بينهم، بل صناعة توابيت تقبر فيها أنفاس الدعاة ونفائس دعوتهم»[٢].

وتطفيف المكيال.. وما أدراك ما تطفيف المكيال؟ ترانا نَزِنُ ما لأنفسنا بدقة، ونحاسب ونلوم من نتعامل معه من الخلق.. كيف أنقصنا؟! ولِمَ تَجرأ على ذلك؟، ونحن أهل الدعوة الحق، الموقعون باسمه (تعالى)!!

---

١) الإمام ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر)، ص ٣٣٥.

٢) الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه القيم (تصنيف الناس بين الظن واليقين)، ص ٢٥.

واغتررنا بما زعمناه لأنفسنا وكررناه في تعاملنا مع الله، فإذا أتينا ما يكرهه (سبحانه) ساغ لنا أن ننتظر منه (تعالى) ما نحبه [1] ، وغفلنا أن لا نَسَبَ لأحد مع الله، ونسينا قوله (تعالى) لليهود مؤكداً ميزان العدل عنده (تعالى): ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر:٤٣].

ونتيجة حتمية أخرى من نتائج البعد عن منهج السلف: أن تخطئ بعض الفرق والجماعات الموزعة في العالم الإسلامي مرة تلو الأخرى في سعيها للتغيير وإعادة البناء ، ويؤدي ذلك إلى ضرب الدعوة وإغلاق مجالات الخير أمام الصالحين، ثم تجيء جماعة أخرى ، وفي بلد آخر لتبدأ من الصفر وتقع في التجربة الفاشلة نفسها [2] ، ولنرى بأعيننا كيف أننا نفتن في كل عقد مرة أو مرتين ثم لا يكون فينا التائبون ولا يكون فينا المتذكرون!.

فإذا كان هذا هو حال جماعات الصحوة على الأغلب، وهو كذلك بلا مجاملة ولا خداع، فلا بد من مراجعة للمسار وتقويم للصحوة ذاتها ومنهجها، ولا بد أن يتجرد الناصحون من ذوي البصيرة النافذة والأفق الواسع والمرجعية الشرعية المستقلة لمدارسة ما للصحوة وما عليها، وإن مما ابتليت به الصحوة أن يكتب مثلي ـ على ضعف علمه وقلة خبرته ـ ناقداً وسابراً لأغوارها، فلا حول ولا قوة إلا بالله، غير أن عزائي فيما قلته وسأقوله في هذا المجال: أني مسلمٌ شاء له قدره أن يتطفل على أهل العلم والاختصاص متجرءاً عليهم؛ لعل وعسى أن يتجرد ناصحوهم فيتدارسوا أمر هذه الصحوة ويضعوا لها النقاط على الحروف بميثاق شرف يجمع الأمة مرة أخرى، عوامها وخواصها على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وليكن حلف فضول جديد، نُدعى له فنجيب.

والله من وراء القصد ،

---

١) يقول الإمام ابن الجوزي في فصل (ميزان العدل) في كتابه (صيد الخاطر) ، ص ١٧: «وأعظم الخلق اغتراراً: مَن أتى ما يكرهه الله، وطلب منه ما يحبه هو، كما روي في الحديث: والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

٢) تأمل بعض المعاني المهمة حول هذا الموضوع في مقدمة كتاب (حركة النفس الزكية) للأستاذ محمد العبدة.

فارس المنبر

في هذا العام ١٤١٧هـ، انتقل إلى رحمة الله عالمٌ جليل من علماء الإسلام ، قضى حياته في الدعوة إلى الله، وفي الصَّدْع بكلمة الحق، وفي الذَّبِّ عن حياض الإسلام، تخيّر طريق الدعوة إلى الله بأسلوبه الخاص المؤثر ، وعانى في سبيل الله من حَسَد الحُسَّاد ، وعداوة العلمانيين، حتى أوقف عن الخطابة، فصَبَرَ واحتَسَبَ؛ وعمل جاهدًا على تفسير القرآن حتى أنجزه، ثم لقي ربّه بما قدّم، نسألُ الله له الرحمة والمغفرة، ذاكم هو فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك (رحمه الله) ، وفي رثائه قلتُ هذه الأبيات :

بَكَى الْحِجَازُ، وَضَجَّتْ مِصْرُ مِنْ أَلَمٍ ... وأَجْرَتِ الدَّمْعَ كَالْهَطَّالِ فِي الدِّيَمِ

لِفَقْدِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الشَّهْمِ حِينَ ثَوَى ... فَمَوتُهُ ثُلْمَةٌ لِلْخَيرِ وَالْقِيَمِ

لَمَّا سَمِعْتُ بموت الشيخ أَفْزَعَنِي ... كأنَّ قَلْبِي بسَهْمِ الْحَاسِدِينَ رُمِي

كَتَمْتُ حُزْنِي، وَنَارُ الصَّبِّ تَحْرِقُنِي ... جُرْحُ الْحَبِيبِ بِقَلْبِي لَيسَ ذَا أَلَمِ

اللهُ يَعْلَمُ مَا طَافَتْ بِذَاكِرَتِي ... ذِكْرَاكَ إِلاَّ سَكَبْتُ الدَّمْعَ مِنْ سَقَمِ

مَا زِلْتَ حَيًّا، فَكَمْ مِنْ مَيِّتٍ ذكرت ... آثاره بينَ أَهْلِ الْعِلْمِ والأُمَمِ

لَكِنَّ فِي أُمَّةِ الإِسْلامِ طَائِفَةً ... مِنْ نَهْرِهِ طه تَغَذَّتْ أَفْضَلَ الْحِكَمِ

قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِ الطَّيرِ لَيِّنَةٍ ... فِي جَانبِ الْخَيرِ، وَالأَحْلاَمُ كَالْعَلَمِ

عَبْدَ الْحَمِيدِ: جَزَاكَ اللهُ مَكْرُمَةً ... فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَعْصُومًا مِنَ التُّهَمِ

أَخْلَصْتَ سَعْيَكَ لِلإِسْلامِ مُجْتَهِدًا ... حَتَّى رَفَعْتَ شِعَارَ الدِّينِ لِلْقِمَمِ

شَيَّدْتَ لِلدِّينِ أَسْوَارًا وَأَبْنِيَةً ... ولِلْفَضِيلَةِ رُكْنًا غيرَ مُنْهَدِمِ

نص شعري

شعر : عبد الله الزهراني

فِي كُلِّ بَيتٍ يُدَوِّي صَوْتُكُمْ لَهَجًا بِالْحَقِّ يَسْرِي مَسِيرَ النُّورِ فِي الظُّلَمِ

لَمْ تُؤْثِرِ الصَّمْتَ حَتَّى اهْتَزَّ مِنْبَرُكُمْ كَالسَّيفِ فِي وَجْهِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْجُرُمِ

كَلامُكُمْ فِي رُبُوعِ الأَرْضِ طَارَ بِهِ إِخْلاَصُكُمْ حِينَ صُغْتُمْ حَرْفَهُ بِدَمِ

تَرَكْتَ ذِكْرًا لكُمْ في الأَرضِ ينْشُرُهُ فِي الْخَافِقَينِ إِلَهُ البيتِ وَالْحَرَمِ

وَالذِّكْرُ عُمْرٌ جَدِيدٌ لَيسَ يُغْفِلُهُ مَنْ كانَ ذَا هِمَّةٍ كَالسَّيلِ مُحْتَدِمِ

عُمِّرْتَ دَهْرًا فَمَا شَابَتْ عَزَائِمُكُمْ والشَّيبُ فِي الرَّأْسِ غَيرُ الشَّيبِ فِي الْهِمَمِ

أَمْسَكْتَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فَمَا سَمِعَتْ أُذْنَاكَ عَنْ لَومِ مَأْفُونٍ وَلا قَزَمِ

غَرَفْتَ مِنْ نَهْرِ فَارُوقٍ وَحِكْمَتِهِ وَمِنْ خِصَالِ عَلِيٍّ أَفْضَلَ الشِّيَمِ

تَرَكْتَ فَارُوقَ مِصْرٍ أَو خُدَيوِيَهَا وكُلَّ أَرْعَنَ جَبَّارٍ وَمُنْتَقِمِ

لا شَمْسُ بَدْران أَو بَسْيُونِي أَرْهَبَكُمْ فَأَنْتَ لَيثٌ ، وهُمْ أَدْنَى مِنَ الرَّخَمِ

مَا رَاعَكُمْ سَوطُ جَلادٍ وَشِدَّتُهُ وَلا عَزَائِمُكُمْ خَارَتْ مِنَ الأَلَمِ

فِي سِجْنِ يُوسُفَ عِشْتَ الْعُمْرَ مُحْتَسِبًا وَالسِّجْنُ مَدْرَسَةُ الأَبْطَالِ وَالْبُهَمِ

سَوَادُ عَينَيكَ زَادَ الْقَلْبَ فَاجْتَمَعَا عَلَى الْعُلُومِ بِعَزْمٍ غَيرِ مُنْصَرِمِ

عَبْدَ الْحَمِيدِ سَأَلْتُ اللهَ مَسْأَلَةً أَنْ يَجْعَلَ الْمُلْتَقَى فِي جنَّةِ النِّعَمِ

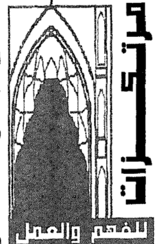
مَعَ النَّبِيِّينَ وَالأَخْيَارِ قُدْوَتِنَا مَعَ الرَّسُولِ أبي الأَيتَامِ وَالْكَرَمِ

مَعَ الصَّحَابَةِ لا حُزْنٌ وَلا سَقَمٌ وَلا هُمُومٌ، وَلا نَشْكُو مِنَ الْهَرَمِ

بَينِي وبَينَكَ دِينُ اللهِ يَجْمَعُنَا مَا جَمَّعَتْنَا عُرَى الأَنسَابِ وَاللُّحَمِ

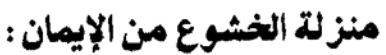
الخشوع
منزلته .. موجباته .. آثاره

بقلم :
عبد الحكيم بن محمد بلال



الخشوع : ضراعة القلب، وطمأنينته وسكونه لله (تعالى)، وانكساره بين يديه، ذلاً، وافتقاراً، وإيمانًا به وبلقائه.

ومحل الخشوع : القلب، وثمرته : تظهر على الجوارح، ولذا قيل : إذا ضرع القلب، خشعت الجوارح، وذلك لأن القلب مَلِك البدن، وأمير الأعضاء، تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده، فيمثل الخشوع إذن : الانقياد التام لأوامر الله ونواهيه، والعكوف على العمل من غير توانٍ ولا فتور.



منزلة الخشوع من الإيمان :

الخشوع من الإيمان؛ الذي هو في القلب، وإنما يزيد الإيمان بحياة القلب، وذلك بالاشتغال بالعلم النافع والعمل الصالح، كما أنه ينقص بمرض القلب، ويذهب بموته، وذلك بالانصراف إلى الشبهات والشهوات، فعلى المسلم أن يتعاهد قلبه في جميع أحواله ليدفع عنه القسوة؛ فإنها إذا استبدت به منعته الخشوع.

والله (عز وجل) يريد من عباده الترقي في سلم الإيمان، ودرجات اليقين، ولذا : عاتب المؤمنين الذين لم يبلغوا قمة الخشوع؛ حيث تدل حركتهم البطيئة على ضعف لا يرضاه الله للعصبة المؤمنة حاملة المنهج الرباني، لتبليغه للناس كافة؛ عاتبهم فقال : **﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**

وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] ، وفي الآية تلويح بما كان عليه أهل الكتاب من قسوة أورثتهم الفسق في الأعمال، ومن هنا كان التحذير الشديد من مآلهم، حيث طال عليهم الزمان، واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم، وذهب إيقانهم.

ثم قطع الله دابر اليأس، وبَعَث الأمل؛ فإن القلب القاسي يمكن عودته إلى الله وإقباله عليه؛ كالأرض يحييها الله بعد موتها، قال (تعالى): ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]، خاطبهم بكل ذلك؛ ليزدادوا قربًا منه (تعالى)، فتوجل قلوبهم لذكره، وتسكن قلوبهم لأمره؛ ليكونوا من المخبتين، فيتأهلوا لدار كرامته، ويصيروا من أهل النفوس المطمئنة لتُنادى بالنداء الكريم العظيم: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

هذا هو خشوع الإيمان الذي يريده الله من عباده، ليس منه الزعيق والصياح، ولا الرقص والتصفيق، ولا ضرب الخدود وشق الجيوب. وشتان بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق الذي يبدو على الجوارح تصنعًا وتكلفًا ومراءاة، مع كون القلب غير خاشع، والنفس منطوية على إرادة الشهوات [١].

وقد رأينا ثمرة هذا الخشوع الإيماني في حياة سيد الخاشعين ﷺ، الذي كان له في الانكسار لله (تعالى) والذل بين يديه أكمل الأحوال، فقد رؤي ﷺ يصلي، وفي صدره أزيز كأزيز الرحى - أي الطاحون - من البكاء[٢]، وربما بكى فبلّ حِجْرَه، ولحيته، والأرض تحته[٣]، وكان ﷺ كثير الذكر والاستغفار

---

١) انظر: الروح، لابن القيم، ص ٥٢٠، ٥٢١.

٢) سنن أبي داود، ح/ ٩٠٤، وانظر صحيح سنن أبي داود، ح/ ٧٩٩.

٣) أخرجه ابن حبان، ح/ ٦٢٠، وصحح محققه إسناده.

والتوبة، وكذا صاحبه الصديق (رضي الله عنه) كان وجلاً رقيقًا، إذا صلى أو قرأ القرآن بكى[1]، وأما الفاروق فيكفيك أنه مرض مرة لسماع القرآن وعاده الناس في مرضه لا يدرون ما به!، وقد أصاب سهمٌ أحدَ الصحابة وهو في صلاته فأزاله ورماه وأتمّ صلاته.

ومن السلف من كان يقوم في الصلاة كأنه عمود تقع الطيور على رأسه من شدة سكونه وإطالته، ولهم في ذلك أحوال يطول منها عجبنا؛ لأننا لا نرى ذلك في واقع حياتنا[2].

مكانة الخشوع وفضائله:

والخشوع علم نافع؛ لأن العلم النافع ما أوجب خشية القلوب، لذا: كان ﷺ يستعيذ من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا تُسمع، فإن القلب الذي لا يخشع: علمه لا ينفع، ودعاؤه لا يسمع.

وهذا العلم النافع هو أول ما يرفع من الأمة، كما في الحديث: «أول ما يرفع من الناس الخشوع»[3]، وبذهاب الخشوع تكون العبادة بغير روح، وهذا أمر يورث الخوف على القلب، وتفقده دائمًا.

وفضائل الخشوع كثيرة: فهو يقرب القلب من الله، فيمتلئ نورًا، فينتفع صاحبه بآيات الله الشرعية، والكونية، ويكون له في كل نظرة عِبرة، وعَبْرة. ويقي صاحبه من غوائل العجب والغرور والإدلال والرياء. وبه تُستنزل رحمة الله (تعالى)، وأعظمها: حصول البشرى ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، وبه ينال الأجر العظيم، فالخشوع طريق الفلاح الموصل إلى الجنة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، ثم قال:

---

١) صحيح مسلم، ح/٤١٨.

٢) انظر رسالة قيمة لعبد الملك القاسم بعنوان (والثمن الجنة)، فقد ملأها من مثل تلك المواقف.

٣) أخرجه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح/٢٥٧٦.

﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١].

مواطن الخشوع [١]:

وهي كثيرة، ولكنه ارتبط بالصلاة أكثر من غيرها، فلا يُذكر إلا وينصرف الذهن إليها؛ لأن أعمالها تتضمن الذكر، والدعاء، وقراءة القرآن، والركوع، والسجود، وهي مواطن الخضوع والبكاء والخشية والتخشع.

وقد أمر الله (تعالى) بإقامة الصلاة، وإقامتها تعني: أداءها كما أمر الله ورسوله، بتوجه القلب والجسد كلية إلى الله (تعالى)، وبالخشوع فيها يجمع المصلي بين طهارة الظاهر والباطن، ثم إن المغفرة وتكفير السيئات ورفعة الدرجات مرتبة على قدر الإحسان في أداء الصلاة، وقد بلغ من منزلة الخشوع فيها أن الله (سبحانه) جعل الصلاة الخاشعة أول صفات المؤمنين المفلحين الوارثين للفردوس، حتى اختلف الفقهاء في الاعتداد بالصلاة التي لا خشوع فيها !!، وإن كان يسقط أداؤها، لكن الأجر بعيد.

والصلاة مرآة لإيمان المصلي، فخشوعها الباطن مرآة القلب، وخشوعها الظاهر مرآة الجوارح، وفي بيان صلة الخشوع بالإيمان قال (تعالى): ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وكما أن كل زيادة في الإيمان تزيد في الخشوع، فإن الصلاة من أعظم أعمال الإيمان، وخشوعها يزيد الإيمان.

إن تفاعل المسلم مع صلاته لا ينبغي أن ينفصل عن تفاعله مع بقية إسلامه: علماً، وعبادة، ودعوة، فالذي يعيش الإسلام، ويعيش للإسلام، ويحاول أن يستأنف حياة إسلامية في شخصه ومجتمعه، تنفتح له آفاق من الخشوع عند

---

١) كُتب كثيراً عن الخشوع في الصلاة، ومما استفدت منه استفادة كبيرة: رسالة د. محمد عز الدين توفيق (الخشوع في الصلاة)، فما رأيت أنفع منها.

الصلاة والذكر والتلاوة والتفكر، لا تنفتح لغيره، فيجد لعبادته هذه حلاوة.

موجبات الخشوع (الطرق الموصلة إليه):

إن مما يحصّل به المسلم الخشوع:

١ـ تلقي أوامر الله (تعالى) بالقبول والامتثال، وعدم معارضتها بشهوة أو رأي.

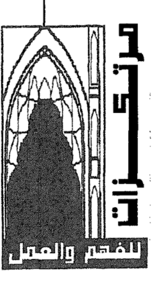
٢ ـ الحرص على الإخلاص، وإخفاء الأعمال عن الخلق قدر المستطاع، ومطالعة عيوب النفس ونقائص الأعمال ومفسداتها من الكبر والعجب والرياء وضعف الصدق، والتقصير في إكمال العمل وإتمامه.

٣ ـ الإشفاق من رد الأعمال وعدم قبولها.

٤ ـ مشاهدة فضل الله وإحسانه، والحياء منه؛ لاطلاعه على تفاصيل ما في القلوب، وتذكر الموقف والمقام بين يديه، والخوف منه، وإظهار الضعف والافتقار إليه والتعلق به دون غيره.

٥ ـ طلب هدايته وتوفيقه وتسديده.

٦ ـ ومن أعظم الطرق: معرفة الله (جل جلاله) بأسمائه الحسنى وصفاته العلا.. والعلم النافع، وهو: العلم بآيات الله الكونية والشرعية، الذي يربط القلب بالله.



وكذلك الإكثار من ذكر الموت، والجنة والنار، والإكثار من ذكر الله تضرعًا وخِيفة، ودعائه تضرعًا وخُفية، فإن ذلك أعظم إيمانًا وأبلغ في الأدب، والتعظيم، والتضرع، والخشوع، والإخلاص، وجمعية القلب على الله (تعالى).

ويمكن تحصيل ذلك كله بالإقبال على كتاب الله الكريم، مع تعاهد التلاوة، وإدامة النظر، وطول التأمل وكثرة التدبر، الذي يورث الصلة بالله (تعالى)، والمسارعة في الطاعات، واستباق الخيرات، وهو الأمر الذي لأجله أنزل الله

القرآن الكريم.

وأما الصلاة: فإن تفصيل الطرق الموصلة إلى الخشوع فيها يطول، ولكن هذه بعض مفاتيحها:

١ ـ العلم بمنزلة الصلاة، والإلمام ببعض أسرارها، وهو الأمر الذي لا يهتم به إلا قليل من الناس.

٢ ـ المحافظة على آدابها الظاهرة حال التطهر والاستعداد لها والخروج إليها، والاعتدال والاطمئنان في كل أركان الصلاة وأجزائها، مما يحقق خشوع الظاهر، فيساعد على خشوع الباطن.

٣ ـ التحقق بخشوع القلب، وتجريده من الرياء، فإنه لا خشوع بلا إخلاص، ولابد منهما جميعاً، فإن ذهاب أحدهما يتعلق به ذهاب الآخر، قال (تعالى): **﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾** [الماعون: ٤ ـ ٦].

أما الوساوس والخطرات فأفضل شيء لها: التخلص من الشواغل قبل الدخول في الصلاة، والتحصن ضدها بعد الدخول في الصلاة، وذلك أمر يحتاج إلى طول المجاهدة وإدامة الصبر حتى يبدأ القلب في الخشوع مرة تليها ثانية، حتى يصير الخشوع صفة من صفات القلب اللازمة له، والله المستعان.

٤ ـ تدبر معاني الأقوال، وأسرار الأفعال في الصلاة، وهي مجال خصب وبحر لا ساحل له.

٥ ـ النظر في سير الخاشعين أحياءً وأمواتًا.

٦ ـ قيام الليل، وهو مدرسة تعلم الخشوع والإخلاص.

علامات الخشوع:

وهي أمارات يتعرف بها الإنسان على حال قلبه، ومنها:

ـ حب الصلاة والاشتياق إليها، والمسارعة إليها، وكونها سهلة خفيفة تشرح

الصدر ويطمئن لها القلب.

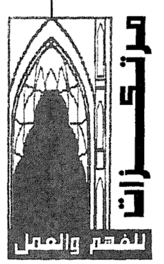
ـ حضور القلب عند تلاوة القرآن ، والذكر والدعاء، وسماع المواعظ والخطب، وتدبر كل ذلك بيسر وسهولة.

ـ دوام الشكر عند حصول النعم واندفاع النقم، وبقاء القلب على وجل من كون ذلك استدراجاً.

ـ دوام الصبر عند وقوع البلاء وتلقيه بالرضى والاستسلام والطمأنينة.

ـ كثرة التدبر والتأمل والتفكر في مخلوقات الله، وفي حال النفس، وأحوال العصاة، والشفقة عليهم، وسؤال الله العافية.

ومما ذكر الله من صفات الخاشعين: الخوف من الله بمجرد ذكر اسمه، والبكاء من خشيته، وعند سماع كلامه، والصبر، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وتعظيم شعائر الله، واليقين بملاقاة الله (تعالى)، والمسارعة في الخيرات، ودعاء الله رغَباً ورهَباً.



آثار الخشوع:

يضفي الخشوع على الأفراد والأمم آثاراً كثيرة، منها :

١ ـ أنه يبعث الحياة في العمل، فيؤتي ثمرته المرجوة وغايته المقصودة.

٢ ـ أنه يجعل العبادة محببة للنفس، خفيفة غير ثقيلة.

٣ ـ المسارعة إلى الإذعان للحق والدعوة إليه، وبذل غاية الوسع في التعليم والدعوة والتربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤ ـ توحيد المشاعر والاتجاهات والمقاصد نحو الله (تعالى) لاشريك له، فيتوجه العمل والنشاط والعبادة نحو غاية واحدة، فيحصل من ذلك :

ـ إحياء الأمة وقوتها وانتصارها ، بصلاة الخاشعين ودعائهم وإخلاصهم ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وقد لمسنا آثار الخشوع في حياة سلف هذه الأمة الذين قاموا بأمر الله خير

قيام، وحملوا لواء العلم والعبادة والدعوة، وما كان ليحصل ذلك لولا ما تحمله قلوبهم من تعظيم الله ومحبته وخشيته.

وإذا لم يكن الخشوع صفة الدعاة وحالهم، فإن الخطب جلل، والمصيبة عظيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نسألك يا مقلب القلوب أن تُلزم قلوبنا خشيتك، وأن تعمرها بتعظيمك، وتملأها بالذل لك (*).

---

*) من مراجع هذا الموضوع المهمة أيضاً :

ـ مدارج السالكين ، لابن القيم، الجزء الأول.

ـ مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة.

ـ الخشوع وأثره في بناء الأمة، سليم الهلالي.

كيف نتحرر من أفكارنا الخاطئة؟

بقلم : فاطمة محمد الخراز

كلٌ فرد منا له منظارٌ خاص ينظر من خلاله إلى الأشياء المحيطة به، وكلٌ منا له وجهة نظره تجاه الأحداث والمجريات، فهناك من يتعامل مع الأحداث بشيء من الحكمة، وهناك من يرى أن من الحكمة أن يُفل الحديد بالحديد، وهناك من ينظر من عدسة مظلمة فلا يرى سوى لونين: الأسود، والأبيض الممتزج بشيء من الكدرة والظلام، وفي الطرف الآخر: نجد الإنسان الذي أحسن تنظيف عدسته فأصبح يرى الأشياء على حقيقتها الأسود أسود والأبيض أبيض، وكذا: الأخضر، والأحمر، وسائر الألوان، فأصبح يتعامل معها ويمزج بعضها ببعض فيخرج لنا بلوحات رائعة من الرؤية الصحيحة والفهم السليم.

وقد تشاهد امرأة تجني على أطفالها بالضرب حينًا وبالتقريع الكلامي حينًا آخر، وقد تسمع ـ وربما تشاهد ـ المعلم الذي يلطم طفلاً على وجهه لأنه لم يحسن فهم مسألة ما، ولو فتشنا في خبايا العقل الباطن لكلٍّ من هذين النموذجين فربما نجد أن الأم ربما تسلك هذا السلوك للتنفيس عن المشاعر المكبوتة لديها تجاه الأب! ، فقد يكون الأب على خلاف معها ، فهي تنتقم من الأب من خلال الأطفال دون أن تشعر.. أما بالنسبة للمعلم: فإنّه ربما يكون قد تعرض في صغره لصفعة مماثلة، فهو يريد الانتقام، أو أنه يحمل في طيات نفسه شعوراً بالعظمة جعله يحتقر كل من لم يفهم وكل من يتعثر.. وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح.

كثيراً ما تتكدر الأسماع عند الإنصات لفئة من الناس جعلت أكل اللحوم البشرية مهنتها السائغة، فهي لا تفتأ في كل مناسبة عن إثارة الزوابع الكلامية، وتطعن في فلان وفلانة وتتفنن بالشماتة من هذا وذاك، إن سمعت خيراً تسترت عليه، وربما ينطبق على هذه الفئة المثل العامي: «كل يرى الناس بعين طبعه».. معنى ذلك: أن المسألة مرتبطةٌ بالطبع، والطبع ناتج عن العادات، والعادات ناتجة عن النوايا، والنوايا تعني الأفكار، إذن: الفكرة هي مصدر الهم والقول والعمل، فإذا كانت الفكرة حسنة اتخذ صاحبها وسيلة حسنة وتوصل إلى قولٍ حسن أو فعل حسن، وإن كانت الفكرة بخلاف ذلك امتطى صاحبها حصانًا جامحًا لم يسرج، فما يلبث أن يجد نفسه واقعًا تحت حوافره، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[1].

إن كثيراً من التخبطات التي يعيشها الأفراد والجماعات ناتجة عن سوء التفكير، وإذا تأملنا حياة إنسانٍ وُفرت له جميع وسائلِ الرفاهية والراحة والسعادة ثم لم نجده قد حظي بشيء من ذلك أو شعر به، فما علينا إلا أن ننقب في فكره، فالترسبات الفكرية التي مرَّ بها الإنسان لها دور كبير في دفع حياته للأمام أو الخلف وإن كانت جيدة، فلا يصح أن نطلق عليها ترسبات، وإنما هي شحنات إيجابية، أما ترسبات الماضي التائهة في محيط النفس والمدفونة في القاع فقد تأتي عليها لحظة فتقفز إلى السطح .. فنرى الإنسان يتصرف تصرفات غير واعية... وحينما يلام تكون إجابته: لا أدري ما الذي جعلني أتخذ هذا الموقف أو أتفوّه بتلك الكلمة أو أتصرف ذلك التصرف!.. ولم يدرِ أنها مخلفات الماضي التي لم يسعَ إلى طردها من فكره.

الإنسان الذي ينظر لنفسه دائمًا ويتصرف من منطلق النصرة والثأر لكرامتها ليس إلا إنسان طغت لديه (الأنا)، فهو أناني محبٌّ لذاته (لذاته فقط) وليس أحد سواه، ولسان حاله: (أنا ومن بعدي الطوفان)، فالمهم (هو)، والمحور

١) متفق عليه.

بأقل مهن
بأقل مهن
بأقل مهن

(هو)، وبؤرة العدسة والشعور (هو) .. والإنسان الذي ينظر إلى الناس: كيف يرونني؟، وكيف أجعل الوجوه تنصرفُ إليّ؟، وكيف يهب الآخرون إجلالاً واحتراماً لي؟..، فهذا إنسان جعل نفسه عبداً من عبيد الناس، يلهث ويلهث دون جدوى، كلما رأى الناس تهوى أمراً فعله!، ولم يعلم أن رضا الناس غاية لا تدرك، ولم يعلم حقيقة معنى قوله (تعالى): ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ... ﴾ [الأنعام: ١١٦].

إن الأفكار ـ أيًّا كانت حسنة أوسيئة ـ ما هي إلا بذرة تخرج ثمارها في سلوكنا وتصرفاتنا ، وكل فكرة تُحدث في وعينا الداخلي قوة تبعثه نحو سلوك معين، وإلى هذا يشير المثل الصيني: «كما تفكرون تكونون»، فكل إنسان يحمل في نفسه بذور حقد دفينة، سيأتي لها لحظة تظهر فيها شجرة الزقوم.. وكل إنسان يحمل الغرور أو الكبر أو الحسد أو الأنانية... ولا يُظهر تلك المشاعر، فحتماً سيأتي موقف يخرج غيظ صدره، وسيأتي موقف تُسقى به تلك البذور بماءٍ غساق، لتخرج شجرة طلعها كأنه رؤوس الشياطين، فوراء كل فكرة هدف يسعى الإنسان للوصول إليه، شعر بذلك أم لم يشعر، ووجود الهدف يولد الفكرة التي تشكل النوايا تجاه هذا الهدف، والفكرة تزرع الأقوال والأفعال، ومن تراكم الأقوال والأفعال تنبثق العادات، ومن العادات ترسخ شجرة الطبائع فيصبح الإنسان متطبعًا بأمرٍ قد يرفضه، ثم يقول: ماذا أفعل؟، وهنا يأتي دور الإنسان للبحث عن مخرج ولمحاولة التحرر وتحطيم تلك الترسبات المتمثلة في الأفكار الخاطئة المنبعثة من قلب رازح تحت وطأتها، وبالتالي: يحرز الإنسان النصر على أقواله وأفعاله ويقوِّم ما أعوج منها.. كل شيء في الطبيعة الإنسانية قابل للتحول والتبدل، وأكبر مثال على ذلك: صحابة رسول الله ﷺ (رضي الله عنهم أجمعين)، فقد أمضوا سنين طوالاً تحت وطأة المعصية قبل بعثته ﷺ، وحين استجابوا لنداء ربهم تمردوا على تلك الطبائع وتحرروا من قيود المعاصي، فملكوا العالم وفتحوامشارق الأرض ومغاربها.

فإذا كنت تمتلك طبائع أقضت مضجعك لسوئها فما عليك إلا أن تبني في نفسك عزيمة صادقة على رفض تلك النوايا وتلك الطبائع، ورفضك لها يعتبر نقطة البداية في التغيير وفي التحرر من الأفكار الخاطئة والأقوال المبتذلة والأفعال المتسمة بالفوضى، ليسعك أن تهنأ براحة ضميرك وطمأنينة نفسك.

ولكي يتحرر الإنسان من تلك الأفكار فعليه أن يعلن الحرب عليها متسلحًا بسلاحين لا غنى له عنهما :

١ ـ إرادة قوية وعزيمة صادقة على تغيير تلك الأفكار لخطورتها .

٢ ـ إخضاع تلك الأفكار وفق ما يرضي الله.

إن العاقل من الناس يفكر دومًا باتجاه صحيح وفي مسار صحيح، متجردًا عن كل ما من شأنه أن يعرقل مسيرة تفكيره من رواسب الماضي ومخاوف المستقبل؛ فرواسب الماضي ومخاوف المستقبل هما العنصران المحركان لكل تفكير خاطئ، ولكل تصرف عشوائي، ولكل نظرة سوداوية، والمسلم في منجاة من ذلك كله؛ لأنه يعلم أن ما حدث له في الماضي هو بقضاء الله وقدره، وحسبه منه أن يأخذ منه عظة وعبرة.. وحسبهُ منه أن لله حكمة فيما يحدث إن لم تبدُ له الآن فستبدو له بعد حين، أما بالنسبة للمستقبل: فهو على يقين من قوله (تعالى) : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** ... ﴾ [التوبة: ٥١] .

حين نزرع في أنفسنا أفكارًا سامية فلا بد أن تكون مغارس بذورها طيبة، فالله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، فكثير من الناس يتشدقون بالأفكار النبيلة والكلمات اللطيفة ويبنون مدينة الفضيلة، ثم إذا نظرت في أيديهم وجدتها صفرًا من تلك القيم والأفكار والمبادئ.. أجل، لقد تعبوا في جمع شرانق دودة القز وواصلوا السهر لنسيج الحرير، ولكن لحظة امتحان إثر موقف مثير يجعلهم يحدثون ثورة عارمة فيتمزق الحرير الذي نسجوه وتتطاير الشرانق.. لقد كانت أفكارهم سامية، ولكن كان ينقصها أهم عامل يبعث فيها الحياة: كان ينقصها الصدق، ولم تكن تلك الأفكار إلا أهدافًا شخصية لواضعيها وللمتغنين بها..

فلنحذر الأفكار الزائفة؛ لأنها ستجعل منا فريسة لمواقف تكشف سوء النوايا، قال الشاعر زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تعلم

إذن: لتكن لنا أفكارٌ فاعلة، ولكن ليكن منبتها على أسس شرعية؛ فحين نعلن الحرب على العادات والطبائع علينا أن نجتثها من جذورها حتى لا تخرج لنا على لون أو شكل آخر، ولننظر في خبايا النفس لنكشف النقاب عن سرِّ تلك العادات، ومن ثم: نتخلص منها ، فالطبيب يبحث عن سبب المرض ثم يمنح الدواء، والشفاء يكون من عند الله.

إن مواقف الاختبار التي يمرّ بها الإنسان كثيرة .. كثيرة جدًّا، وهي جديرة أن تجعله يقف مع نفسه وقفات عدة.

حاول ألا يصدر منك ما لا ترضاه .. بل ما لا يرضاه الله من قول أو فعل أو هم أو فكر.. احرص أن تكون الأفكار التي ترتضيها لنفسك من المعدن النفيس، من الكتاب والسنة.. وحينما يمر بك موقف أو تصرف أو يطوف بك طائفٌ ما، فلا تتسرع بإصدار الحكم أو التفوه بكلمة أو اتخاذ قرار معين، بل امنح نفسك فرصة للتروي ومراجعة الحسابات: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾** [الأعراف: ٢٠١] ، فإذا الفجائية تأتي مباشرة بعد التذكر **﴿ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾**، فالإبصار يأتي مباشرة بعد التذكر فيخنس الشيطان ويندحر .. معنى ذلك: أن التذكر منحهم فرصة للتروي والأناة، فقد ورد عن السلف الصالح (رضوان الله عليهم): «إذا هممت بالنطق بالباطل فاجعل مكانه تسبيحًا».. إن هذا التسبيح يمنحك فرصة كبرى للتروي، وبالتالي: يدفعك للنجاح في الموقف الذي أنت بصدده.

هذا يعني أن المسلم أكثر الناس قدرة على التفكير السليم المجرد عن الأهواء الذاتية؛ فالمسلم حينما يرى نفسه في موقف يفقده احترامه بين الناس، أو يهزّ من شخصيته، أو يغيظه، أو يمنح غيره تفوقًا هو أجدر الناس به.. فما عليه إلا

أن يرى الأشياء من منظار نقي لا يخطئ .. منظار : ما التصرف الذي يرضي الله والجدير بخلق المسلم في هذا الموقف؟.. وحينما يُخضع المسلم آراءه وفق ما يرضي الله فسيكون على البيّنة؛ لأن الإنسان، مهما بلغ من رجاحة العقل ومتانة الفكر، فهو في طور الإنسانية المعرضة للخطأ المتكرر.. أما إذا أخضع أفكاره وردود فعله وتصرفاته لله (سبحانه وتعالى) : فإنه سيكون بمنأى عن البوار، وهو الرابح ـ بإذن الله ـ وإن كثرت في طريقه العقبات ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم** ﴾ [محمد : ١٤].

مما لا شك فيه أن هناك فرقًا واضحًا بين حكمة الأنبياء ومن سار على دربهم من العلماء والحكماء والعقلاء، بين تلك الحكمة وآراء الناس سواهم، وفرق شاسع بين من يكون على بينة من ربه ومن يتبع هواه.

إن المسلم حين يعثر يُقيل عثرته القرآن، وصدق أحد السلف حين قال: « من قرأ القرآن مُتِّع بعقله وإن بلغ مئتي سنة ».

فكِّر وفق ما يرضي الله ، وافعل ما يرضي الله، ستجد أنك على الجادة التي يرضاها الله.



قصة موسى (عليه السلام) والخضر

دراسة تعاقدية

بقلم: عدلي علي حماد

سورة الكهف من السور المكية، وقد عرضت هذه السورة ثلاث قصص من قصص القرآن العظيم، وهي: قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى (عليه السلام) مع الخضر، وقصة ذي القرنين.

فقد حكت لنا سورة الكهف بيان أحداث قصة نبي الله موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح الخضر، التي سوف أستعرضها ـ بإذن الله ـ في دراسة لهذه القصة من ناحية العلاقة التعاقدية التي نشأت بين موسى والخضر، وما هي طبيعتها، والأحكام المستفادة منها، وبالأخص النقاط التالية:

١ ـ طبيعة العلاقة. ٢ ـ الشروط المتبادلة.

٣ ـ الإنذار عند الإخلال بالتعاقد.

٤ ـ فسخ العقد. ٥ ـ آثار فسخ العقد.

أولاً: طبيعة العلاقة:

تبدأ القصة بذكر عزم موسى (عليه السلام) على الرحلة إلى مَجْمع البحرين في طلب العلم، كما قال (تعالى): ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا** ﴾ [الكهف: ٦٠].

وقد ذكر المفسرون أن سبب قول موسى (عليه السلام) لفتاه ـ وهو «يوشع بن نون» ـ هذا الكلام: أنه ذكر له أن هناك عبداً من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى، فأحب الرحيل إليه، وقال لفتاه: ﴿ **لا**

أَبْرَحُ ﴾، أي: لا أزال سائراً حتى أبلغ مجمع البحرين، قال قتادة: هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب، وقال محمد بن كعب القرظي: مجمع البحرين عند طنجة، والله أعلم[1].

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[الكهف: 65، 66]، لقي موسى (عليه السلام) الخضر، وهو عبد صالح وهبه الله نعمة عظيمة من العلم، وفضلاً كبيراً، وهي: الكرامات التي أظهرها الله على يديه، ﴿ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾، أي: علماً خالصاً بنا ،لا يُعلم إلا بأمرنا، وهو علم الغيوب، وهو العلم الرباني ثمرة الإخلاص، ويسمى «العلم اللدنّي»، يورثه الله لمن يشاء من عباده، قال ابن عطية: «كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت إليه، لا تعطي ظواهر لأحكام أفعاله بحسبها»[2].

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾، أي: هل تأذن لي في مرافقتك؛ لأقتبس من علمك ما يرشدني في حياتي؟، وهنا يظهر لنا من واقع قصة موسى (عليه السلام) مع الخضر: أن هناك علاقة تعاقدية قد نشأت بينهما، ينطبق عليها تعريف العقد، وهو لغة: «الجمع بين أطراف الشيء وربطه»، واصطلاحاً: «ارتباط الإيجاب بالقبول الصادر من أحد المتعاقدين بقبول الآخر على وجه يثبت أثره في المعقود عليه»، وأركان العقد هي:

أ ـ العاقدان، أو طرفا العقد (موسى والخضر).

ب ـ محل العقد، أو المعقود عليه (مرافقة موسى للخضر).

جـ ـ موضوع العقد (تعليم الخضر لموسى).

د ـ عناصر العقد (الرحلة في طلب العلم).

١ ـ صدور طلب المرافقة من موسى (الإيجاب)، وهي مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع من نبي الله الكريم، وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من

١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٣، ص ٩٢.

٢) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج ٦، ص ١٦.



يريد أن يتعلم منه، **وتعريف الإيجاب**: « أنه ما صدر أولاً من أحد المتعاقدين دالاً على رضاه بالعقد »، وقال الجمهور: « هو الصادر ممن يكون منه التمليك سواء صدر أولاً أو ثانيًا » [1] : أي: إن القبول كان من موسى والإيجاب من الخضر.

٢ ـ رد الخضر: يظهر منه عدم المخالفة في قبول اتباع موسى (عليه السلام) له، ولكنه تحفظ في القبول التام؛ لعلمه بعدم قدرة موسى (عليه السلام) على الصبر ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**﴾ [الكهف: ٦٧، ٦٨]، فبين له طبيعة الرحلة، وهذا أمر مهم، فعلى الطرف المتعاقد أن يوضح للطرف الآخر قبل التعاقد ماهية:

أ ـ المؤهلات المطلوبة من المتعاقد.

ب ـ بيان طبيعة المهمة المطلوبة منه؛ حتى لا يفاجأ بها وتكون سببًا للخلاف، وهي الجهالة المنهي عنها شرعًا.

٣ ـ ويُعَد صدور (القبول) من الخضر مشروطًا ﴿**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ أي: إنك لا تستطيع الصبر على ما ترى، قال ابن عباس: لن تصبر على صنعي؛ لأني عُلمت من غيب علم ربي [2]، ويعتبر هذا قبولاً من الخضر بمرافقة موسى له، حتى وإن لم يصدر بصيغة القبول الصريح، لأنه لما أجابه موسى (عليه السلام) باستعداده للالتزام بالشرط لم يحتج الأمر لصدور قبول ثانٍ من الخضر، **وتعريف القبول**: « هو ما صدر ممن يصير إليه الملك دالاً على رضاه بما أوجبه الطرف الآخر»، شرح الخضر سبب اشتراطه ذلك ﴿**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**﴾، أي: كيف تصبر على أمر ظاهره منكر وأنت لاتعلم باطنه.

٤ ـ تأكيد موسى لاستعداده تحمل مشاق الرحلة والالتزام بأوامر الخضر، ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف: ٦٩]،

١) عدنان خالد التركماني، ضوابط العقد في الفقه الإسلامي، ص ٣٢.

٢) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مج٢، ص ١٩٩.

أي: ألزمت نفسي طاعتك، فزاد موسى (عليه السلام) على ذلك أن اشترط على نفسه ـ بجانب الصبر على ما يراه من الخضر ـ عدم العصيان لأوامره، مع استثنائه وربط ذلك بمشيئة الله (عز وجل)، كما قال (تعالى): ﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ...** ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]، لذا: قال ابن عباس في الرجل يحلف، قال: له أن يستثني ولو إلى سنة[١]، كما يستحب الاستثناء في الحلف لحديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف على يمين فقال إن شاء الله فقد استثنى»[٢]، وكما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة (رضي الله عنه) في قصة سليمان بن داود (عليهما السلام) أنه قال: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقيل له: قل إن شاء الله، فلم يقل، فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركًا لحاجته»[٣].

٥ ـ على هذا الأساس تم إبرام العقد بناء على طلب موسى (عليه السلام) بقوله: ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾، سؤال تلطيف على وجه الطلب لا الإلزام والإجبار، فهو إيجاب من موسى يبدي استعداده لاتباع الخضر في مسيرته ورحلته مقابل شيء واحد: أن يعلمه مما عُلم رشداً، وهذا هو محل العقد أو العوض الذي طلبه موسى (عليه السلام) مقابل الاتباع، فيجوز أن يكون العوض ماديًّا، أو عينيًّا، أو خدمة مثل خدمة موسى لشعيب مقابل إنكاحه له إحدى بناته ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ** ﴾ [القصص: ٢٧].

فتكون قد تكاملت بذلك أركان العقد من تبادل الإيجاب والقبول، والاتفاق على موضوع العقد، والتزام موسى والخضر بذلك، ولم يكتبا ذلك، ولم يُشهدا

١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٣، ص ٧٩.

٢) صحيح سنن أبي داود، ح/٢٧٩٤، مج٢، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

٣) صحيح، مختصر مسلم، ح/١٠١٤، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مج٢، الألباني.

مقال

أحداً، مما يدل على أن الكتابة والشهود ليسا من شروط صحة العقد.

ثانيًا: الشروط المتبادلة:

١ ـ يتضح من الآيات التي مرت بنا أن كل طرف قد أملى شروطه قبل التعاقد، فاشترط موسى (عليه السلام) على نفسه الطاعة وعدم عصيان أوامر الخضر: ﴿**وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾؛ مما يوضح أن المتعاقد يحق له إملاء الشروط على نفسه بشرط أن يلتزم بها، واشترط الخضر على موسى (عليه السلام) عدم السؤال عن شيء حتى يقدم له البيان (الذكر)، أي: لا يحق لموسى (عليه السلام) السبق في السؤال أو الاستفسار عن شيء حتى يكون الخضر هو الذي يحدثه عنه: ﴿**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**﴾ [الكهف: ٧٠]، والمعنى: لا تسألني عن شيء حتى أبينه لك بنفسي، فيكون الخضر قد شرط عليه قبل بدء الرحلة ألا يسأله وألا يستفسر عن شيء من تصرفاته حتى يكشف له هو سرها.

٢ ـ ويستفاد أيضًا من القصة: قبول موسى (عليه السلام) المسبق لشرط الخضر رعاية لأدب المتعلم مع العالم؛ لأنه قال ﴿**وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾، وقد ألزمه الخضر بعدم السؤال، مما يعد قبولاً ضمنيًا من موسى (عليه السلام) بجميع شروط الخضر، والقبول الضمني يحتج به على المتعاقد إذا استمر في العقد بعد علمه بالشرط، وموسى (عليه السلام) استمر في مصاحبة الخضر بعد علمه بالشرط وإن لم يصدر منه قبول صريح بذلك الشرط.

٣ ـ ويعتبر العقد ناجزًا إذا لم يكن معلقًا على شرط، وإذا كان العقد مشروطًا فينبغي أن يكون الشرط صحيحًا شرعًا، لحديث النبي ﷺ: «من اشترط شرطًا ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مئة شرط»[١]، كما يجب ألا يكون الشرط منافيًا لمقتضى العقد، مثل: أن يقول البائع بعتك السيارة على ألا تركبها خارج البلدة، والشرط ملزم إذا صدر صحيحًا، كما

١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ح/ ٢٧٣٥، مج٥.

قال شريح القاضي: «من شرط على نفسه شرطًا غير مكره فهو عليه»[١].

وهناك العديد من أنواع الشروط العقدية التي يمكن أن تقترن بصيغة الإيجاب والقبول الصادر من أحد المتعاقدين، وهي كالتالي:

١ ـ التعليق. ٢ ـ التقييد. ٣ ـ الإضافة.

١ ـ التعليق: تعليق وجود العقد بوجود شيء آخر، بحيث لا يوجد ما لم يوجد الشيء الآخر، مثل: أن يقول أحد المتعاقدين للآخر: بعتك داري إن رضي شريكي.

٢ ـ المقيدة: صدور الصيغة المنشئة للعقد مقيدة حكمه وآثاره، مثل: أن يقول البائع: بعتك السيارة بشرط أن أركبها إلى بلدة كذا.

٣ ـ المضافة: بأن يتم تأخير أثر العقد لشرط معين كأن يتفق على بدء سريان عقد الإيجار بعد موعد محدد فيكون العقد مضافًا إلى زمن مستقبل[٢].

إذن: كان هذا أول أمر من الخضر لموسى (عليه السلام)، والشرط القائم الذي تعاقدا عليه: ألا يبادر موسى (عليه السلام) الخضر بأي سؤال عن أي تصرف يراه حتى يفصح له عن سبب ذلك التصرف، والقاعدة الشرعية ـ المستمدة من حديث النبي ﷺ «المسلمون على شروطهم»[٣]، وفي رواية أخرى زاد «إلا شرطًا أحل حرامًا أو حرم حلالاً»[٤] ـ تفيد: أنه إذا ما اشترط المتعاقد لنفسه شرطًا وكان هذا الشرط لا يستوجب حدوث أي مخالفة شرعية، فإن على الطرف الآخر الالتزام بتنفيذ ذلك الشرط، وفي حالة إخلاله بالشرط فمن حق المتعاقد أن يتخذ ما يراه مناسبًا لحفظ حقوقه.

ثالثًا: الإنذار عند الإخلال بالتعاقد:

وتوضح القصة أن موسى (عليه السلام) والخضر شرعا في تنفيذ العقد

---

١) منار السبيل، إبراهيم بن ضويان، جـ١، ص ٣١٣.

٢) ضوابط العقد في الفقه الإسلامي، عدنان خالد التركماني، ص٢٤٢.

٣) رواه أبو داود، ح/٣٥٩٤، إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، ح/١٣٠٣، الألباني.

٤) حديث حسن صحيح، رواه الترمذي، ١/٢٥٣.

مقال

مباشرة، ولكن ظهر أن موسى لم يتمكن من الالتزام بالشرط، وهو عدم السؤال عن أي شيء حتى يحدثه الخضر عن أمر ذلك الشيء.

١ ـ فكانت المخالفة الأولى بسبب سؤاله عن خرق السفينة: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١].

قال النبي ﷺ في الحديث: «كانت الأولى من موسى نسيانًا» [١] لذلك كان الخضر معه لطيفًا، ولفت نظره بلطف ونسب الضمير إلى الغائب ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ حتى يؤكد على ضرورة التمسك بشرطه الأساس وهو المقدرة على التحكم في نفسه، والصبر على ما يراه من تصرفات لأصحاب السفينة الذين أكرموهم وأركبوهم معهم مجانًا، فكيف يصح أن يخرق الخضر سفينتهم مقابل إحسانهم إليه.

والظاهر أن موسى (عليه السلام) نسي فاعتذر ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣]، قال القرطبي: «ففيه ما يدل على أن النسيان لا يقتضي المؤاخذة، وأنه لا يدخل تحت التكليف ولا يتعلق به حكم» [٢].

ولكن يثبت حق المتعاقد في إنذار الطرف المخل بشرط العقد ولفت انتباهه للمخالفة؛ حتى يعود عنها ويقوم بتصحيح وضعه، ولكن بشكل لطيف لا يرهق الطرف الآخر عسراً، ولكن يجعله ينتبه للمخالفة ويتدارك الخطأ فوراً.

٢ ـ أما الواقعة الثانية فكانت أشد استنكاراً، حيث رأى موسى (عليه السلام) منكرًا فأنكره فوراً: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٤ – ٧٦]، لم يكن موسى (عليه السلام) ناسيًا هذه المرة، ولو نسي لاعتذر، ولكنه قصد إنكار المنكر؛ لذلك استلزم مواجهته

١) رواه البخاري، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مجـ١، ص٧٤، ح/٢٧٢٨.
٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، مجـ٦، ص ١٥.

بالخطأ من الخضر ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، خاطبه على وجه التحديد، فقد وقره في الأولى، ثم واجهه في الثانية لعدم العذر له، هنا تظهر عودة موسى وإقراره بالخطأ؛ لأنه خالف وعده مرتين فلم يعد له عذر، فاشترط على نفسه شرطًا جديداً ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ أي: قد أعذرت لك في ترك مصاحبتي لمخالفتي لك مرتين، قال ابن العربي: «يدل على قيام الاعتذار بالمرة الواحدة مطلقًا، وقيام الحجة من المرة الثانية بالقطع»[1] ، قال القرطبي: «شرط هو لازم، والمسلمون عند شروطهم، وأحق شرط أن يوفَّى به ما التزمه الأنبياء»[2]، وهذا الشرط الجديد من موسى (عليه السلام) على نفسه هو شرط فاسخ للعقد، أو ما يسمى اليوم بالشرط الجزائي ، لم يكن متفقًا عليه بينهما في أول العقد؛ لذلك جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنه قال: «كانت الأولى من موسى نسيانًا، والوسطى شرطًا، والثالثة عمداً»[3].

٣ ـ المخالفة الثالثة التي أدت إلى فسخ العقد بدون إنذار: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: ٧٧ ، ٧٨]، فهذا وقت الفراق حسب قوله؛ لأن مجرد السؤال لثالث مرة موجب لعدم المصاحبة وفسخ العقد فوراً؛ لتحقق الشرط الفاسخ بدون إعذار أو إنذار للطرف الآخر، ويتجلى مدى الأدب النبوي من موسى (عليه السلام) في عدم الإلحاح أو طلب العذر مرة أخرى، بل رضي بتطبيق الشرط عليه وفسخ العقد؛ لأنه قبل بشرطه الذي اشترطه على نفسه كما قال ابن حجر: «دلالة العمل بمقتضى ما دل عليه الشرط، فإن الخضر قال لموسى (عليه السلام) لما أخلف الشرط: ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾، ولم ينكر موسى (عليه السلام) ذلك»[4].

---

١ ، ٢) القرطبي ، م/ ٦ ، ص ١٦ .   ٣) رواه البخاري ، ح/ ٢٧٢٨ .

٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مجـ٥ ، ص ٢٣٦ .

مقال

رابعًا : فسخ العقد :

والمقصود من انحلال العقد هو: زوال الرابطة التعاقدية التي تربط المتعاقدين بموضوع العقد، وهناك عقود لازمة بحق الطرفين ـ كالبيع والإيجار ـ، فسخها كإنشائها، لا يكون إلا باتفاق الطرفين، وكل العقود قابلة للفسخ إلا النكاح والطلاق والعتاق ، وأما العقود غير اللازمة بحق الطرفين كالشركة والوكالة فإنها تنفسخ برغبة كل واحد من طرفي التصرف ، مثل العقد الذي كان بين موسى (عليه السلام) والخضر فهو عقد غير لازم، لذلك جاز للخضر فسخه بسبب تحقق الشرط الفاسخ من موسى (عليه السلام)، ويعتبر هذا الفسخ الاتفاقي للعقد مقبولاً شرعًا، بحيث يجعل الطرفان بينهما مدة محددة أو سببًا محدداً ينفسخ العقد بعده، مثل : أن يقول: إن أتممت لك العمل الفلاني خلال ثلاثة أيام فأستحق أجرتي ، وإلا فلا أستحق شيئًا ، فإن لم يتم العمل في المدة المحددة كما اشترط على نفسه أُعتبر العقد مفسوخًا من تلقاء نفسه بسبب وقوع الشرط الفاسخ، ولذلك: لم يحتج الأمر إلى إعذار أو مواجهة لموسى (عليه السلام) بالخطأ الثالث عندما وقع منه، وهناك حالة أخرى تسمى الانفساخ، وتكون في حالة استحالة تنفيذ العقد ، مثل : هلاك عين المبيع قبل تسليمه، أو موت أحد الشريكين في عقد الشركة أو المضاربة [1]

خامسًا : آثار فسخ العقد :

المبدأ العام في نتائج انحلال العقد سواء بالفسخ أو الانفساخ: أنه يوجب إعادة العاقدين إلى سابق وضعهما قبل التعاقد، ولكن يجب أن يرد كل طرف ما عليه للطرف الآخر، فإذا كان الفسخ في عقد البيع وجب التراد، فعلى البائع إعادة الثمن وعلى المشتري رد المبيع، وفي قصتنا: نرى مقابلة الأدب النبوي من موسى (عليه السلام) بالوفاء من الخضر له بالشرط الأساس

١) ضوابط العقد في الفقه الإسلامي، عدنان خالد التركماني ، ص ٢٥٥ .

بالتعليم حتى بعد فسخه للعقد ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨]، وقص عليه أسباب الحوادث الثلاث، وأنها كلها تمت بأمر الله (عز وجل)، لذلك قال (عليه الصلاة والسلام): «رحم الله أخي موسى وددت أنه صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما، ولو لبث مع صاحبه لأبعد العجب»[1].

ويعتبر تنفيذ الخضر لشرط التعليم بالرغم من فسخ العقد المبرم مع موسى (عليه السلام)، يعتبر هذا أثراً من آثار العقد التي لا تنتهي أو لا تنقضي بانقضاء العقد؛ لأن الخضر أوجب على نفسه تعليم موسى (عليه السلام) وإن كان اشترط أن يتم ذلك في التوقيت الذي يحدده هو نفسه ﴿حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، مثل عقد الزواج الذي قد ينتهي بالطلاق أثناء حمل الزوجة ومع ذلك فإن ولادتها بعد الطلاق لا تعني عدم صحة نسب المولود للزوج السابق، بل يعتبر منسوباً له، لأنه أثر من آثار عقد الزواج الذي انقضى بالطلاق، ولا يحق للزوج إنكار النسب طالما جاء الولد على فراش الزوجية؛ لحديث المصطفى ﷺ: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»[2].

أسأل الله (عز وجل) أن أكون قد وفقت في هذا البحث المتواضع بتوضيح بعض الجوانب التعاقدية من واقع هذه القصة العظيمة المليئة بالدروس والعبر، والله هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

---

١) رواه مسلم، ح/ ٢٣٨٠.

٢) متفق عليه، إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل، ح/ ٢١١٠، الألباني.

الحداثة في العالم العربي

دراسة عقدية



أحمد سعيد البتاكوشي

رسائل جامعية

قام الباحث الأستاذ «محمد بن عبد العزيز العلي» بإعداد رسالة علمية لنيل درجة (الدكتوراة) من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكان عنوان أطروحته: «الحداثة في العالم العربي، دراسة عقدية»، وقد أجيزت هذه الرسالة سنة ١٤١٥هـ، ومنح الباحث درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف الأولى.

وقد أشار الباحث ــ في مطلع رسالته ــ إلى أهم أسباب اختياره هذا الموضوع، فذكر منها:

١ ــ كثرة المؤسسات التي تعنى بنشر الحداثة، وحرص الحداثيين على الدعوة إلى مبادئهم.. مما يستدعي كشف مخططاتهم وفضح مكائدهم.

٢ ــ ادعاء بعض الحداثيين ــ في الدول العربية ــ أن الحداثة خاصة بالأشكال الأدبية، فلا علاقة لها بالعقائد والأفكار.. فوجب بيان ماهية الحداثة وكذب ذلك الادعاء وبيان ما ينطوي عليه من أخطاء.

٣ ــ جهل كثير من الناس بالحداثة واستغلال هذا الجهل من قبل الحداثيين، لبَثّ أفكارهم عبر ما يسمونه إبداعاتهم، فلزم فضح أفكارهم وإظهارها للناس.

٤ ــ اختفاء كثير من أصحاب

الاتجاهات الماركسية والبعثية والعلمانية خلف شعار الحداثة، وبخاصة بعد كشف زيف تلك الاتجاهات...

ومن الصعوبة بمكان اختصار مادة الرسالة في سطور؛ لكثافة المادة وطولها من ناحية، وكثرة تشعبها وتفصيلاتها من ناحية أخرى، ولذا: سأضطر إلى الإشارة إلى بيان خطوطها العريضة باختصار:

مخطط البحث:

ـ قسّم الباحث رسالته إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، ثم خاتمة.

تطرق في المقدمة إلى أهمية الموضوع والتعريف به، ومنهجه في الدراسة، وتحدث في التمهيد عن تعريف بالمصطلحات المتعلقة بالموضوع، كالتراث والتجديد والعصرانية والتنوير والبنيوية، ثم تحدّث عن التجديد الصحيح وضوابطه، وتسليط الضوء على التجديد المنحرف وخطورته.

أما الباب الأول: فتناول مفهوم الحداثة ونشأتها ومصادرها، ويشمل ثلاثة فصول:

ففي الفصل الأول: بيّن مفهوم الحداثة، وحرص على ذكر مفهومها عند أربابها الغربيين، ثم أتبعه ببيان مفهومها عند أصحابها في العالم العربي، مما يتبين معه صدورهما من منبع واحد.

وفي الفصل الثاني: تحدث عن جذور الحداثة ومصادرها الفكرية والفلسفية، وبيّن أن مصادر الحداثة في العالم العربي هي الحداثة الغربية وما صدرت عنها من فلسفات، وكذا الماركسية والوجودية، ثم ذكر المصادر الباطنية والصوفية، وبيّن أن كثيراً من الأفكار الحداثية نابعة من ذلك المسلك.

وفي الفصل الثالث: استقرأ الباحث نشأة الحداثة وتاريخها، فتحدث عن تاريخها ومكان نشأتها في الغرب، ثم فصّل الحديث عن نشأتها وتاريخها في العالم العربي.

وأما الباب الثاني: فهو حديث عن اتجاهات الحداثة، ودعاتها، ووسائل نشرها، وفيه ثلاثة فصول:

عَرَض الباحث **في الفصل الأول** ـ لاتجاهات الحداثة، فعرّف

بالاتجاه وأتباعه في الغرب إجمالاً، ثم تحدث عن أتباعه في العالم العربي.

وذكر - **في الفصل الثاني** - دعاة الحداثة ومواقفهم، وقسّمه إلى قسمين: ففي **القسم الأول**: تحدّث عن دعاة الحداثة ومنظريها، وفي **القسم الثاني**: تحدّث عن بعض الأتباع والغوغاء الذين كثرت مقالاتهم دعايةً للحداثة، وليسوا في مكانتهم الحداثية كالقسم الأول.

وفي الفصل الثالث: كشف الباحث عن أهم وسائل نشر الحداثة في العالم العربي، كالصحف والمجلات والكتب والأندية والمؤتمرات والمهرجانات.

وفي الباب الثالث: تحدّث عن أسس الحداثة وآثارها، ويشتمل على أربعة فصول، بيّن الباحث في **الفصل الأول** قول الحداثيين بالصراع بين القديم والجديد، ووضح في **الفصل الثاني** قولهم بضرورة التحول والتطور، مبينًا الأمور التي يرون ضرورة تغييرها وتحويلها، وكشف الباحث في **الفصل الثالث** عن قولهم برفض ما هو قديم وثابت، فبيّن ما ينطوي عليه هذا الاتجاه من رفضهم لمصادر الدين والعقيدة، ورفضهم علوم الشريعة الإسلامية، ورفضهم اللغة العربية.



ودَرَس الباحث في **الفصل الرابع** آثار انتشار المفاهيم الحداثية في العالم الإسلامي ووسائل مقاومتها.

ثم ختم بحثه بخاتمة تحدث فيها عن أهم النتائج التي توصل إليها خلال بحث هذا الموضوع.

قراءة في الرسالة:

وقد أحسن الباحث في دراسة هذا الموضوع الشائك والطويل، وبذل جهودًا ظاهرة في الكشف عن حقيقة الحداثة وجذورها ونشأتها، كما أبدع في استقراء وتتبع مناشط الحداثيين ومنابرهم، ووسائل نشرهم الحداثة في العالم العربي.

وتميّزت الرسالة بتوثيق النقول، والدقة في عزوها، حيث رجع الباحث إلى كتب وكتابات الحداثيين أنفسهم، وتتبع مقالاتهم في مختلف الدول العربية، كما أورد جملة طيبة من أقوال الناقدين للحداثة من النقاد المختصين الذين درسوها عن كثب ووضحوا حقيقتها بجلاء.

وقد رجع الباحث إلى ستمئة

وأربعين كتابًا، كما تتبع كمًّا هائلاً من أنواع الدوريات، حيث رجع الباحث إلى ما يزيد عن سبعين عنوانًا من صحيفة أو مجلة.

وتتكون الرسالة من أربعة مجلدات، وبلغت صفحاتها ألفًا وستمئة وخمسين صفحة.

ولا تزال الرسالة بحاجة إلى مزيد بحث وتحرير في بيان الحكم الشرعي تجاه مقالات الحداثيين وأفكارهم.

ومما يحسن إيراده من هذه الرسالة القيّمة : ما سطّره الباحث في شأن آثار الحداثة في العالم الإسلامي، فذكر منها:

١ ـ إشاعة الفوضى العقدية والثقافية في العالم الإسلامي.

يقول الباحث: «ولقد تتبعت كثيراً من الصحف والمجلات والأندية والمهرجانات واللقاءات الأدبية، فتبيّن لي أن أثر الحداثيين جدّ خطير على عقيدة المسلمين، وذلك: أني رأيت أنهم خدعوا كثيراً من الناس، وبخاصة الشباب، فكم قرأت وسمعت لشباب صغار جهّال يتجرؤون على نقد أحكام شرعية ولمز العقائد (الموروثة) والقدح في العلماء، يلمزونهم بوصف (أصحاب الكتب الصفراء)» بزعمهم.

٢ ـ إيجاد طبقة معزولة عن المجتمع سياسيًّا وعقديًّا ، فالحداثة تتطلع إلى سلطة فوضوية لا تحرم محرماً، ولا تمنع قولاً أو عملاً مهما كان، بدعوى حرية المبدع فيما يقول، وفي العقيدة تدعو الحداثة إلى فلسفة وضعية حديثة، غربية ، لا تؤمن بدين ولا تصدر عن أحكام إسلامية (تراثية قديمة).

٣ ـ انخداع بعض المنتسبين للدعوة الإسلامية من العقلانيين وأمثالهم، ببعض دعاوى الحداثة المتمردة على النصوص الشرعية والالتزام بها، ومن ذلك ما كتبه «هويدي» في الدفاع عن «أدونيس».

٤ ـ تجرؤ بعض النساء على الأحكام الشرعية بنقدها والخروج عليها، وحجتهن في ذلك: أقوال الحداثيين وشبههم.. ومن ذلك: رفض الحجاب، والمطالبة بالاختلاط، والتمرد على الثوابت الإسلامية المحترمة.

٥ ـ ومن آثار الحداثة: إعلاء شأن الفرق الباطنية والفلسفية والصوفية بدعوى الحرية للجميع.

رسائل جامعية

٦ ـ تغلغل كثير من الحداثيين في وسائل التربية والتعليم والإعلام في العالم الإسلامي.. حتى قال «أدونيس»: «كن معي ... وأستطيع أن أجعل مقالاتك تنشر في أي صحيفة أو مجلة تريدها، ولا تضطرني أن أغلق في وجهك حتى زوايا بريد القراء في أي صحيفة».

يقول الباحث: «وقد تتبعت بعض المناهج الدراسية في بعض الأقسام الجامعية، وبخاصة في الجزيرة العربية، وتبيّن لي أن كتب الحداثيين تقرر على الطلاب والطالبات، ووجدت بأيدي الطلاب مذكرات صورت من بعض الكتب الحداثية، وذكروا أن أساتذتهم قرروها عليهم».

وأشار الباحث إلى عزمه القيام بدراسة مفصلة وافية عن تلك الآثار.

ثم ذكر وسائل مقاومة الحداثة ـ إجمالاً ـ، ومن ذلك:

ـ تربية الأمة على المنهج العقدي القويم، وغرس منهج أهل السنة والجماعة في قلوبهم.

ـ تذكير علماء المسلمين بحقيقة مبادئ الحداثة وأهدافها، وفضح أسسها الثائرة على مصادر الدين.

ـ فضح الحداثة وكشفها على حقيقتها الفكرية ونزع ما تتستر به من ادعاء للتجديد في الأدب والشعر.

ـ المطالبة بدراسة هذا المذهب في المجامع الفقهية على مستوى كبير، من قِبَل علماء المسلمين لبيان حكم الإسلام في دعاته ورموزه المعروفين بمواقفهم السيئة.

ـ العمل بشرع الله على كل حداثي يقدح في دين الله (تعالى) وشرعه.

نتائج ما توصل إليه البحث:

انتهى الباحث في دراسته المطولة هذه إلى العديد من النتائج المهمة، التي منها:

١ ـ الحداثة مذهب عقدي باطني فلسفي يسعى إلى تحديث مصادر التلقي وصرف النظر عن المصادر الشرعية المعتبرة.

٢ ـ الحداثة غريبة على العالم العربي، فهي مستوردة من الحداثة الغربية، وما صدرت عنه من فلسفات، وبخاصة الماركسية والوجودية.

٣ ـ أن الحداثة نشأت في العالم

العربي في حدود منتصف القرن العشرين الميلادي، حيث استوردتها الأقليات النصرانية والباطنية إلى لبنان، ومن ثم: نقلها أتباع لهم إلى بقية دول العالم العربي.

٤ ـ أن للحداثة اتجاهات عرفت بها في أول نشأتها، ثم خف تمسك الحداثيين بتلك الاتجاهات، لذا: تجد الحداثي يخلط بين أكثر من اتجاه، والمهم عنده هو الأسس الحداثية التي يتفقون عليها.

٥ ـ أن الحداثة تقوم على عقيدة صراع الأضداد، ومبدأ النقيض، فالحداثة عندهم هي نتيجة صراع الفكر الحديث مع العقائد القديمة.

٦ ـ الحداثيون لا يرفضون كل قديم، وإنما يرفضون منه الثوابت والمسلَّمات، أما الظواهر الثورية والتمردية كالخوارج، والقرامطة وأمثالهم.. فإنها محترمة عندهم.

وأخيراً:

فإن كان لنا ثمة ملحوظة على الرسالة: فهي: أنه كان ينبغي العناية بالمادة الأدبية والنقدية وتقويمها وبيان مدى تناسبها مع مادة البحث، وذلك يعطي للرسالة قيمة علمية إضافية فوق قيمتها الحالية، ولعل ذلك يتدارك قبل طبعها.

فالرسالة في وضعها الحالي ـ في نظري ـ أقرب ما تكون للموسوعة التي تجمع كمًّا كبيراً من المعلومات في بابها، إذ ينقصها الدراسة التحليلية والتقويم الأدبي والنقدي التخصصي، وهو محور مهم في أطروحة علمية تخصصية في هذا الموضوع.

ولعل القارئ يشاركنا الرأي بأهميته وضرورة تلافي ما عليها من ملحوظات، وأهمية طبعها ليطلع القراء على حقيقة الحداثيين في تراجمهم، وأبحاثهم، وأطروحاتهم، وما يحويه ذلك الكم الهائل من انحرافات عقدية وفكرية في ضوء ما يسمونه إبداعاتهم، وهو في الحقيقة انحرافاتهم الفكرية تحت رداء الأدب والإبداع الأدبي.

العدوان الثلاثي ...

على السودان

في مطلع الثمانينيات، تسربت من إسرائيل أنباء عما يسمى بـ (مشروع إنشاء دويلات طائفية) في منطقة الشرق الأوسط، ذلك المشروع الذي أذيعت بعض تفاصيله حينها، بما يكشف عن عزم دولة اليهود ـ بالتواطؤ مع الدول الغربية ـ العمل على إيجاد واقع جديد من التشرذم في المنطقة، يقوم على أساس تقسيم بعض الدول القابلة للتقسيم الطائفي (المذهبي أو الديني أو القبلي) إلى دول طائفية، وهذا بالطبع سيفتح أبواباً من الصراعات والنزاعات التي لا تنتهي، والتي ستعمل على الإضعاف الدائم لتلك الدول، بما يسمح لأصحاب المشروع باستثمار هذه الأوضاع لصالحهم في المنطقة.

ومما ذكر وقتها من ملامح ذلك المشروع: سعي تلك الدول الغربية إلى تقسيم العراق إلى كيانات طائفية متعددة (سنة ـ شيعة ـ أكراد)، والسعي إلى تكريس الطائفية في لبنان وتحويلها إلى كيانات منفصلة، وكذلك الشأن في كل من اليمن التي يمكن أن يستغل التنازع القبلي فيها، ومصر التي يتطلع الأقباط فيها للاستقلال بجنوب مصر وغربها.

وكان السودان من ضمن الدول التي أشار المخطط إليها على أنها قابلة للتقسيم الطائفي على أساس الدين، وأن المساعي ستجري لتقسيمه إلى قسمين أو ثلاثة بين الطوائف الإسلامية في الشمال والنصرانية والوثنية في الجنوب.

ثم ما لبثنا أن سمعنا عن نشوء ما يسمى بـ (الحركة الشعبية لتحرير السودان) عام ١٩٨٢م بزعامة الصليبي «جون جارانج»، ثم ازدادت الحرب الأهلية في لبنان اشتعالاً، وظهرت بوادر سعي حقيقي لإنشاء دولة قبطية في مصر، وكُشف عن

المسلمون



والعالم

بقلم: عبد العزيز كامل

المسلمون والعالم



نشوء حركات قبطية مسلحة في جنوب مصر تكدس الأسلحة في الكنائس والأديرة، وتفاعلت قضية الانفصال بين شطري اليمن حتى وصلت إلى حرب حقيقية في أواسط الثمانينيات، ثم عادت في التسعينيات.

ماذا يعني هذا؟، إنه يعني أن هناك من يخططون، ويدبرون، ويتصيدون في الماء العكر، وما أكثر العكارة وأقل الصفاء في ماء العرب!.

إننا لا نقول بأن الأعداء من اليهود والنصارى قادرون على كل ما يريدون، ولا نزعم أنهم يقولون للشيء كن فيكون، ولكن الشيء المؤكد: أنهم يتحركون في الفراغ الذي نتركه لهم، ويملؤون الثغرات التي نفتحها في حصوننا أمامهم.

وماذا ننتظر من أعدى أعدائنا غير ذلك؟ **﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾** [الممتحنة: ٢]، لقد امتدوا في الفراغ الذي تركه المسلمون يوم تنازعت دويلات الطوائف المتصارعة حول بيت المقدس فاجتاحها الصليبيون بحملاتهم، وامتدوا في الفراغ الذي أحدثته دويلات الطوائف المتنازعة في الأندلس، فاستلبها منهم عباد الصليب إلى اليوم، وشتتوا شمل دولة الخلافة في تركيا بعد أن صار الولاء للطين قبل الدين عند العرب والعجم، فتنازعوا تحت رايات القوميات والوطنيات.

وعندما جاء الدور على فلسطين، ما كان أحد يتصور أن خلافات العرب والمسلمين ستجمع شتات اليهود بهذه القوة وفي هذا الزمن الوجيز!.

ولنعود إلى السودان، فنلقي نظرة حول الجولة الجديدة من صراع

الأعداء المجتمعين ضد الإخوة المشتتين !.

وطن إسلامي يتعرض لخطر ماحق وبلاء داهم من أعداء متربصين من الداخل والخارج، يستهدفون فيه الدين والأرض والعرض، ومع هذا : فأحوال ذوي القربى حوله لا تختلف كثيراً عن أحوال إخوان وجيران أهل الأندلس وقت أن آلت للسقوط أو أحوال المحيطين بأهل بيت المقدس قبيل يوم الاجتياح.. الأحوال هي نفسها، أو صور منها: تردد ... جبن .. تملص.. تجاهل ... شماتة.. تشكيك.. وفي أحسن الأحوال: انشغال!.

ما حدث في السودان، وما يمكن أن يحدث في المستقبل المنظور، يمثل خارطة جديدة تحدد المواقع والمواقف لكل طرف من الأطراف المشاركة في صنع أحداث عالمنا الإسلامي، ويعيد رسم الولاءات والهويات التي قد يُختلف في فهمها وتعريفها.

ومن معطيات هذه الخارطة الجديدة ينبغي للمسلم في السودان وغير السودان أن يعيد النظر في المواقف من حوله؛ ليعرف من يوالي ومن يعادي، فإن الظروف الحرجة فرصٌ لا تُعوض لوضوح الرؤى، وتمايز الصفوف، واستبانة الحق، ففيها تنكشف بعض الغيوب ـ بأمر الله ـ فتكون شهادة ، يعظ الله بها عباده ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ** ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وحقًّا لقد ميزت هذه الأزمة كثيراً من الخبيث المختلف في خبثه، رغم أنها لا تزال في مبدء فصولها، وزادت كثيراً من الخبيث وضوحاً رغم الاتفاق على خبثه.



ولنستعرض هنا شيئًا من مواقف الخبثاء أطراف التآمر، ولكن قبل ذلك لا بد لنا من مراجعة ثلاث وقائع بالتحديد، أرى أنه يمكننا أن نفسر بها ـ إلى حد كبير ـ أبعاد الفصل الأخير من السلسلة التآمرية على ذلك البلد الصابر.

الواقعة الأولى : وتعود إلى شهر نوفمبر ١٩٩٢م، عندما طرحت أمريكا مشروعاً على مجلس الأمن بشأن السودان ، وكان يدور حول ما

يمكن فعله تجاه ما تعتبره واشنطن وحلفاؤها انتهاكات لحقوق الإنسان في السودان ، وتمثل هذا في إعدام رجل سوداني يدعى « تومي » بعد محاكمة علنية أدين خلالها بالتجسس لصالح التمرد في الجنوب، وثبتت مسؤوليته عن إمداد المتمردين بمعلومات تسببت في قتل مئات السودانيين ، وصدر بالفعل قرار من الأمم المتحدة بإدانة حكومة البشير لانتهاكها حقوق الإنسان في الجنوب، وقد رفض السودان القرار في حينه، واعتبرته الخرطوم بداية مخطط ضد السودان، وقال عمر البشير وقتها : « إن منظمة الأمم المتحدة أصبحت إدارة من إدارات وزارة الخارجية الأمريكية، وإنها لم تبن قرارها بالإدانة حتى على قوانينها ونظمها ولوائحها » [وكالات الأنباء ١٠ / ١٢ / ١٩٩٢م].

وتلقف راعي البقر الأسبق « رونالد ريجان » القرار الدولي، ودعا الأمم المتحدة إلى التدخل العسكري في السودان لوقف ما زعمه : « إبادة القبائل السودانية في الجنوب » ! .

وفي الشهر نفسه من العام المذكور : بدأت الولايات المتحدة ـ بالتنسيق مع الأمم المتحدة ـ تنفيذ عملية غزو الصومال بحوالي ٢٠ إلى ٣٠ ألف جندي مدججين بأحدث الأسلحة بحجة إطعام الجوعى!، وكان واضحًا وقتها لكل المراقبين أن السودان هو الخطوة التالية، أو المقصودة أصلاً من غزو الصومال، ولكن الغزو فشل، وانسحب الأمريكان أذلة، وقيل وقتها : إن السودان كان له دور في إفشال الغزو، لقيامه بمساندة المجموعات التي خاضت حرب عصابات ضد الغزاة .

الواقعة الثانية :وتعود إلى شهر فبراير من عام ١٩٩٣م، عندما زار (بابا) الكاثوليك السودان، حيث هوى من الطائرة ليقبل أرضها !!، إنه لم يقبلها بداهة لأنها أرض يقام فيها التوحيد، ولكن لأنها أرض تهتز بغزو الصليبيين!، ولقد أثبت بتصريحاته المقصود بحركته، إذ خطب في حشد من النصارى هناك وقال : « إن أسماء مسيحيي السودان منقوشة على كف

المسيح تخرقها المسامير» [الشرق الأوسط ١٢/٢/١٩٩٣م]، وأمام حشد آخر من رعيته الكاثوليكية (٢٠٠, ألف خرجوا لاستقباله) قال: «.. إنكم تمارسون حياتكم وأنشطتكم وسط صعوبات جمة، وربما ظننتم أحياناً أن بقية شعوب العالم قد نسيتكم، لكنكم لستم بعيدين أبداً عن (فكر الله وقلبه)!! ، ولا تنساكم الكنيسة، وخليفة القديس «بطرس» والمسيحيون في كل مكان يصلّون على الدوام من أجلكم!!» [الحياة ١١/٢/١٩٩٣م].

إن هذه الزيارة التي تجشمها (باباهم) لم تكن لمجرد الوعظ أو إسداء النصح، بل كانت لها أبعاد أخرى أخطر، وقد عبر عنها بنفسه قائلاً: «إنني أعتبر زيارتي للسودان أهم ثاني زيارة خارجية أقوم بها منذ زيارتي إلى بولندا أيام الحكم الشيوعي» [الشرق الأوسط ١٣/٢/١٩٩٣م]، وهذا التصريح فسرته العديد من الدوائر الدبلوماسية على أنه يعني أن للزيارة أبعاداً خفية قد تتكشف مستقبلاً، حتى إن جريدة (اللوموند) الفرنسية قالت في مقالها الافتتاحي في اليوم التالي للزيارة: «على الصعيد الملموس: فإن انعكاسات زيارة البابا لا يمكن أن تقاس إلا على المدى البعيد»!.

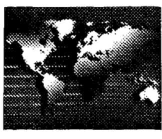
الواقعة الثالثة: وتعود إلى أواخر يناير ١٩٩٧م ، حيث أُعلن عن تحقيق كشف نفطي كبير في حقل الوحدة بجنوب السودان، وتأكد أن الاحتياطات المحتملة للنفط (٣٤١) مليون برميل ، وبلغ إنتاج أول بئر حوالي ١٠ آلاف برميل في اليوم، وهذا الكشف أعلنت عنه شركة (أراكيس إنيرجي) الكندية مع مشاركة صينية وماليزية وسودانية، وزفت هذه الشركة إلى العالم بشرى أنها بدأت ضخ النفط مما ترى أنه أكبر مشروع للطاقة في العالم [جريدة الحياة ٢٩/١/١٩٩٧م]، ووصفت أوساط أمريكية إمكانات النفط في السودان بأنها ضخمة! .

المقصود هنا: أن تلك الشركة الكندية فازت في مناقصة للتنقيب على النفط أمام شركة أمريكية هي شركة (أوكسيدنتال)، تلك الشركة التي خرجت من المناقصة بقرار من عمر البشير رداً على قرار أمريكا بإمداد

المسلمون



والعالم



الدول الثلاث المعادية للسودان (إثيوبيا ، وإريتريا ، وأوغندا) بما قيمته ٢٥ ـ ٥٠ مليون دولار من الأسلحة! .

أخطر قرار ينفذه البشير :

وهذه الواقعة ـ إن صحت بتفاصيلها تلك ـ تجعل هذا القرار أخطر من قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م الذي تسبب في العدوان الثلاثي على مصر ، ولكن أين المنصفون؟ .

إن هذه الوقائع الثلاث من شأنها أن تفسر ـ إلى حد كبير ـ أبعاد ما حدث وما يمكن أن يحدث في السودان بعد بدء الغزو الخارجي، وإذا أضفنا إلى تلك الوقائع ـ بدون تاريخ ـ اتفاق كل من إثيوبيا وإسرائيل على إقامة سدود في الأراضي الإثيوبية تتحكم في المياه المتدفقة إلى مصر والسودان .. فإن خيوط المؤامرة تتكامل ومعالمها تتضح .

فالسودان مستهدف دينيًا وحضاريًا ، ومستهدف عسكريًا وأمنيًا ، ومستهدف اقتصاديًا .. بتروليًا ومائيًا .

مستهدف من حلف ثلاثي : نصراني ـ يهودي ـ علماني.

أما أطراف هذا الحلف وأعضاؤه وأدواته، فهذه أخبارهم :

أولاً : الولايات المتحدة :

تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية منطقة القرن الإفريقي خط الدفاع الثاني عن منطقة الخليج الاستراتيجية، وقد أضيف إلى هذه الأهمية بُعد آخر، وهو ترشيح بعض بلدان تلك المنطقة ـ وعلى رأسها السودان والصومال ـ لأن تكون مصادر ثروة طائلة (النفط في السودان، واليورانيوم في الصومال) .

وأمريكا تعلن دائمًا أنه يهمها الاستقرار في منطقة القرن الإفريقي؛ لأهميتها الاستراتيجية البالغة، ولكن يبدو أن الاستقرار بمفهوم الأمريكان هو ألا يقر لأهل الأرض قرار، فلا بد من تسليح شعوب ضد شعوب، وطوائف ضد طوائف، لقد كان لوزير الخارجية الأمريكي السابق «كريستوفر» رحلة إفريقية، الهدف منها حسب ما أعلن : تكثيف الوجود الأمريكي في القارة الإفريقية،

وبخاصة في القرن الإفريقي، وترجمت هذه الرغبة عمليًّا ـ كما ذكرنا سابقًا ـ بتقديم أمريكا دعمًا عسكريًّا لثلاث من الدول المحيطة بالسودان، يتراوح ما بين ٢٥ إلى ٥٠ مليون دولار، وهذه الدول هي: (إريتريا ـ إثيوبيا ـ أوغندا).

وكان ذلك قبل العدوان على السودان بأقل من شهر، وقد أعلنته جريدة الـ(واشنطن بوست) ولم تنفه الإدارة الأمريكية، في إشارة إلى تبنيها العلني لخطة الهجوم على السودان، وعبَّر مستشار الأمن القومي الأمريكي «أنطوني ليك» (يشغل الآن منصب مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية)، عبر عن نوايا أمريكا المعلنة ضد السودان بقوله: إن واشنطن ستعمل على احتواء السودان من خلال جيرانه: إثيوبيا، إريتريا، أوغندا، مصرا.

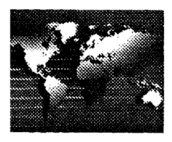
ثانيًا: الأمم المتحدة:

بات من الحقائق الملموسة أن أمريكا تحارب بخنجر مسموم ذي نصلين، أحدهما: القوة العسكرية، والثاني السلطة التشريعية الدولية من خلال مجلس الأمن (الأمريكي).. أقصد (الدولي)، ولهذا فقد أوعزت إليه أن يُحكم طوق الحصار والعقوبات على حكومة السودان؛ لإضعافها، تمهيداً لإسقاطها.

ومنذ أيام الأمين «بطرس» الإفريقي ومسلسل الخذلان لأهل السودان لا ينقطع، فعندما احتلت إثيوبيا مواقع ونقاطًا حدودية داخل الأراضي السودانية في ديسمبر ١٩٩٥م، وجهت السودان شكوى إلى مجلس الأمن حول هذا الاعتداء في حينه، إلا إن المجلس لم يقبل هذه الشكوى، وأحالها «بطرس» إلى منظمة الوحدة الإفريقية، باعتبارها في نظره تتعلق بمسألة داخلية إفريقية!.

ولكن مسألة أخرى داخلية إفريقية حولتها الأمم المتحدة بعد ذلك إلى قضية دولية، وهي حادثة محاولة اغتيال الرئيس المصري على أرض إثيوبيا، إذ اتهمت إثيوبيا ـ المسؤولة عن أمن ضيوفها ـ السودان بالتقصير أمنيًّا، مما تسبب في الحادث، واتهمته بعد ذلك بالضلوع في الحادث دون دليل مثبت، وعلى الرغم مما هو متعارف عليه من أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، فقد فتح مجلس الأمن بتلك الحادثة باب العقوبات الدولية





على السودان في القرارات (١٠٤٤، ١٠٥٤) ، وتم تصعيد هذه العقوبات إلى حد فرض حظر جوي على السودان ! .

ثالثًا : دول الجوار :

كان لا بد من تسريع الخطى نحو الإيقاع بحكومة السودان ، بدلاً من الاعتماد على الإيقاع البطيء لمفعول العقوبات الدولية السياسية والاقتصادية، وتقرر إشعال الأرض تحت أقدام السودانيين بنيران مجاورة صليبية ، تنفث فيها رياح علمانية، وبدأت حرب قذرة خطط لها بدهاء، بدأت منذ شهر ٩/ ١٤١٧هـ (١٢ / ١ / ١٩٩٧م)، إذ هجم الأحباش على منطقة النيل الأزرق في جنوب السودان ، واقتحم ما لا يقل عن ستة آلاف جندي نصراني إثيوبي، وألف نصراني جنوبي، وما يقدر بعشرة إلى سبعة عشر ألف علماني من منافقي أو مغفلي المعارضة الشمالية، فاحتلوا مدن (الكرمك)، و(قيسان)، و(جوفا)، وقرى حدودية أخرى ، واستهدفوا بعد ذلك مدينة (الدمازين) ذات الأهمية الاستراتيجية؛ لكونها مركزاً لتوليد الطاقة الكهربائية التي تغذي العاصمة الخرطوم ، ومرة أخرى تثبت الشرعية الدولية أنها ليست أكثر من شريعة غاب؛ فعندما طلب السودان من مجلس الأمن أن يبعث بمفتشيه للتحقق من وجود دور لدول أجنبية في الهجوم ، حالت أمريكا دون إنفاذ ذلك ! .

وبعد أن احتلت إثيوبيا مدينتي (الكرمك) و(قيسان) وسلمتهما لقوات « جون جارانج »، سلمته كذلك نقطة (الديم) الحدودية التي يقاس منها منسوب مياه النيل أوقات الفيضان ! .

أما إريتريا : فقد انبعث أشقاها «أفورقي» الصليبي،وسارع إلى الاستجابة المبكرة للدعوة الظالمة بمناصبة السودان العداء، فبادرت حكومته إلى قطع العلاقات مع السودان متهمة إياه بمساعدة تنظيم الجهاد الإسلامي الإريتري.

وأقبل حاكم إريتريا على خطوة دبلو(ماشية) هي الأغرب من نوعها في تاريخ العلاقات بين الدول ، إذ سلم السفارة السودانية في أسمرا إلى

المعارضة، لتجعلها مركزاً للتخطيط والتآمر على الحكومة السودانية!.

وأما أوغندا فرئيسها «يوري موسيفيني» صليبي حاقد، حكم أوغندا حكماً صليبياً بعد أن كانت إحدى الدول الإسلامية في عهد «عيدي أمين»، و«يوسيفيني» هذا صديق شخصي وزميل دراسة للأسقف «جارانج»!.

أما موقف جارة السودان الشقيقة الكبرى مصر، فهو موقف عجيب غريب من بلد عربي مسلم ضد جار شقيق له، مهما كان الخلاف بينهما.

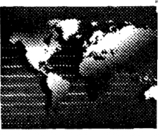
فالسودان عمق استراتيجي لمصر، ولا يؤمَن جانب «جارانج» وعصابته فيما لو آلت الأمور إليهم لا قدر الله، وحينها لا ينفع الندم.

رابعًا: إسرائيل:

السيطرة على النيل حلم قديم، بل عقيدة عتيدة عند اليهود، فعبارة التوراة المحرفة لا تزال تعلو الكنيست الإسرائيلي: «لنسلك أعطي هذه الأرض، من النهر الكبير نهر النيل إلى نهر الفرات»، ونهر النيل (الكبير) لا يمكن السيطرة عليه من رأسه، بل لا بد من جذوره، وإسرائيل اليوم تمد يديها حثيثًا إلى جذوره وأصوله.

إن خبراء الحروب وخبراء الاقتصاد في العالم يتحدثون منذ سنوات عن أن الحروب القادمة في الشرق الأوسط ستكون حروب مياه، وها قد بدت معالم أول حرب للمياه، وبأموال السحت اليهودي أو أموال صندوق النقد الدولي يشرع لليهود في بناء السدود هناك، عند الجذور، بالاتفاق مع الأحباش الإثيوبيين، والنصارى الإريتريين، حيث يجري العمل للسيطرة على منطقة البحيرات التي تغذي نهر النيل بموارده المائية من بحيرتي (ڤيكتوريا) التي ينبع منها النيل الأبيض، و(تانا) التي ينبع منها النيل الأزرق، وهما يلتقيان في الخرطوم.

الحكومة الإريترية الآن صناعة إسرائيلية، وإسرائيل هي المصدر الأساس لتسليح هذه الدويلة الصغيرة المستكبرة، الضعيفة المستقوية، وقد أقامت إسرائيل قاعدة عسكرية كبيرة في الأراضي الإريترية عام ١٩٩٤م، تحتوي



على أجهزة متطورة ونقاط مراقبة وتجسس يمكن أن تقع تحت طائلتها أراضي السودان وأعالي البحر الأحمر بشواطئه وموانيه، وبسلاح إسرائيل احتل نصارى إريتريا جزيرة (حنيش)، ليتحقق حلم آخر لليهود، وهو تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة إسرائيلية، بدءاً من ميناء (إيلة) المسمى (إيلات)، وانتهاءً بمضيق باب المندب الذي تتهدده (حنيش)! .

خامساً : الجيش الجنوبي :

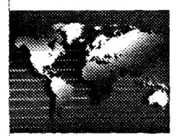
« جارانج » أو « قرنق » أو « غارانغ » ـ على اختلاف بين الصحف الناطقة بالضاد ـ رجل واضح ، ليس في أهدافه غموض أوالتواء، شكل حركة أسماها : (الجيش الشعبي لتحرير السودان)، نعم.. السودان، كل السودان، فهو يعتبر العرب والمسلمين أقلية وافدة ، ويقول : « العرب في الشمال كالبيض في جنوب إفريقيا، وإنهم سيخرجون من السودان كما خرج العرب من الأندلس التي مكثوا فيها قروناً طويلة »! .

وبما أن العرب والمسلمين أقلية تحكم السودان ـ كما يزعم ـ فهو لهذا يريد أن « يحرر » كل السودان، ووسيلته في ذلك (حركة تحرير السودان)، لا جنوب السودان فقط! .

إن هذا الحلم الأسطوري لا يزال يساور صنيعة مجلس الكنائس العالمي، ففي حديث أجرته جريدة الشرق الأوسط في ١١/٩/١٤١٧هـ ، **قال بالحرف الواحد :** « هدفنا ليس احتلال أجزاء في الجنوب أو في الشرق، بل تحرير البلد ككل »!!، فمن أي شيء يريد تحرير البلد ككل ، هل من أشخاص الحكومة الحالية؟، لا .. فهو يحارب قبل مجيئها، ولكنه يقصد بالطبع توجهها، وهو الإسلام ، فهو ما صعد حربه وما سعرها إلا بعد بدأت تجربة تطبيق الشريعة الإسلامية في عهد الرئيس الأسبق « جعفر نميري » رغم ما قيل عن أهدافها وقتذاك .

والمصيبة : **أن الوجه القبيح لـ« جارانج » وجد من يطليه بالأصباغ ويجمله بـ (المكياج)** ، ليتحول من انفصالي خائن إلى مصلح وحدوي

المسلمون



والعالم

ناصح، فبعد أن وضع أهل الشمال يمينهم في يمينه أغروه بالمزيد من الطغيان والعصيان، وأمدوه بشرعية ما كان يحلم بها، ووضعوه في المقدمة: مقاتلاً تحت راية الصليب يقود رعاعًا يزعمون التوحيد! ، وما دام الصادق (المهدي) قد وضع يده في يد «جارانج» (الضال) فمن حقه أن يهاجم من يرفعون راية الجهاد ضد جيشه الصليبي، لقد قال: «تتحدث الجبهة عن الحرب باعتبارها جهاداً ، لكن جهاد ضد من؟، ضد السودانيين؟، نحن في التجمع الوطني نمثل السودان كله»! ، **نعم ، «جارانج» وطني من التجمع الوطني، والدليل على وطنيته أن رسالته للدكتوراة أعدها عن مشروع قناة (جونقلي) في جنوب السودان** ، تلك القناة التي كانت من المفترض أن تجمع مياه المستنقعات لتصب في النيل الأبيض ، وتوفر ما يزيد على ستة عشر مليار متر مكعب من المياه التي تضيع في بحر الغزال.

ماذا فعل «جون» بعد أن أنهى رسالته وبدأ ثورته، **لقد أوقف العمل في هذا المشروع** ، ثم عمد إلى نسف منشآت تلك القناة وطرد مهندسيها المصريين والسودانيين!.

إن قوات «جارانج» الآن تتجه الآن بعد الاستيلاء على (الكرمك) و(قيسان) إلى التحكم في ولاية النيل الأزرق، وبالتالي: في ٨٥٪ من المياه المتدفقة إلى الشمال في مصر والسودان!.

فهل بدأت المعارضة تجني ثمار ثورتها الـديمقراطية (المسلحة)؟!.

سادسًا: حقيقة المعارضة:

تضم فصائل التجمع الوطني للمعارضة التجمعات التالية:

١ ـ الحزب الاتحادي الديمقراطي، بزعامة «الميرغني».

٢ ـ مؤتمر البجا ـ القيادة الشرعية. ٣ ـ الحزب الشيوعي السوداني.

٤ ـ حزب الأمة، بزعامة «الصادق المهدي».

٥ ـ الحركة الشعبية لتحرير السودان، بزعامة «جون جارانج».

وقد حسمت فصائل المعارضة الأربعة الأولى أمرها بتبني الخيار المسلح

المسلمون



والعالم

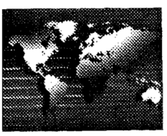
(الخروج) لمنازلة السلطة القائمة تحت قيادة الفصيل الخامس صاحب الراية الصليبية !، فهل يمكن أن يدعي رئيس حزب الأمة بعد ذلك أنه (صادق) أو (مهدي)؟!.

وأكثر من هذا : **لقد سئل المهدي سؤالاً صريحًا** . هل تقبل بأن يحكم «جارانج» السودان، وأن تعيش في ظل حكومة سودانية يحكمها هذا الرجل؟، فأجاب بلا تلعثم كعادته في الفصاحة : «نعم أقبل .. إذا كان ذلك هو اختيار الشعب في ظل حكم ديمقراطي» [المجتمع العدد ١٢٣٨]، أقول : أيها الصادق في ديمقراطيتك .. نحن نكفر بهذه الديمقراطية التي تجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً .

وأخيراً: هناك حقيقة لا بد من تسجيلها، وكلمة لا مناص من قولها، وهي أن التوجه الحالي في السودان لم يصنعه الترابي ولا البشير، بل هو توجه أصيل وعميق في ضمير الشعب السوداني الذي التف حول كل من دعا إلى الإسلام.. لقد التف السودانيون منذ قرن من الزمان حول الحركة المهدية ـ رغم ما شابها من انحراف ـ ، وما كان التفافهم حولها إلا لأنها رفعت الراية الإسلامية وقاتلت تحت لوائها الإنجليز النصارى.. والتف السودانيون حول «جعفر نميري» بقوة عندما ادعى الحكم بالشريعة الإسلامية، وحتى المهدي ـ زعيم الأنصار ـ لم يلتف السودانيون قبل ذلك حوله إلا لتدثره بالثوب الإسلامي وادعائه نصرة الدين، فشعب السودان مسلم متدين قبل الترابي وبعده، وقبل البشير وبعده، والذين يحاربون التوجه الإسلامي في السودان ، لا يحاربون الترابي ولا البشير، إنما يقفون أمام إرادة أمة اختارت الإسلام منهجًا وسبيلاً .

أما الترابي ، فلسنا مع طروحاته العقلية أو شطحاته الفلسفية التي نجزم بأن عوام المسلمين والمؤمنين من أهل السودان لا يفهمونها، ولو فهموها ما تبنوها، أما خواصهم وعلماؤهم فالأمل معقود على ريادتهم لصحوة علمية وتربوية تقود هذا الشعب جياش العاطفة إلى الإسلام... الإسلام وحده، لا إلى الثورات ولا إلى الجبهات.





لماذا يهمش
المسلمون في الهند؟!

الهند دولة علمانية ديمقراطية ـ وهي فيدرالية في طبيعتها، وهي متعددة الأديان، متعددة اللغات، متعددة الثقافات.

مر المسلمون في الهند بعد الاستقلال والتقسيم بمراحل مختلفة.

ففي العقدين الأولين ـ أي الخمسينيات والستينيات ـ كانوا يعانون من:

١ ـ أزمة الزعامة نتيجة للهجرة إلى باكستان.

٢ ـ الحالة النفسية المتصفة بالخوف الشديد نتيجة للمذابح التي تعرض لها المسلمون.

أما السبعينيات فيمكن أن نسميها حقبة إدراك الضعف.

كما يمكن أن نسمي الثمانينيات حقبة تأكيد الذات.

وتمثل التسعينيات فترة توسع في تأكيد الذات من خلال حركة الوحدة بين الأمة الإسلامية.

وكان الأثر الكبير للعقدين الأولين متمثلاً في روح البطء والتكاسل السارية في جسد الأمة الإسلامية، وكان المبرر الذي يتم اللجوء إليه هو (القَدَر)!، ومن ثم: الابتعاد عن المشاركة في التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية.

لقد كان المسلمون في حالة قلق وضيق بشأن هويتهم، وهو الأمر الذي أجبرهم على أن تكون لديهم مدارس دينية عديدة دون أن يكون لديهم تعليم عصري.

خلال الفترة نفسها كان عامل الخوف الذي عانى منه المسلمون في تزايد، مما جعل منهم (بنكًا للأصوات) تحت تصرف زعماء حزب المؤتمر

المسلمون



والعالم



بقلم: د. محمد منظور عالم



الهندي، فقد قدم هؤلاء وعوداً لم تنفذ قط، وسمي ذلك فيما بعد: النفاق، وذلك من قبل الحزب الهندوسي المتطرف، لذلك: فإن المسلمين وقعوا في فخ الوعود الزائفة.

في الفترة نفسها استُخدمت منظمة هندوسية متطرفة، هي (R.S.S)، لنشر دعاية مسمومة ضد المسلمين واصفة إياهم بالخونة، بدعوى أن ولاءهم ليس للهند ولكن لباكستان، ونتيجة لذلك: فإن المسلمين تم إبعادهم من المجالات العسكرية وعن المناصب الاستراتيجية، ولم يكن حصولهم على الوظائف يتناسب مع عددهم إلى مجموع السكان في الهند.

وقد أدى تأكيد المسلمين لوجودهم في السبعينيات في حقل التعليم والاقتصاد إلى إثارة حالة استنفار بين المتطرفين والسياسيين الهندوس، فبدؤوا بالتحريض على إثارة الاضطرابات الطائفية في مناطق مختارة تزدهر فيها أحوال المسلمين، وقد تم استخدام سياسة الترهيب والترغيب من قبل المنظمات الهندوسية المتطرفة والسياسيين الهندوس، لكن مثيري الطائفية من الهندوس لم يوفقوا والحمد لله في جعل المسلمين يتخلون عن تأكيدهم بوجودهم، وقد أدى ذلك إلى تصعيد الحركة الطائفية الهندوسية إلى ذروتها، الأمر الذي أدى إلى هدم بعض المساجد، ومن أشهرها المسجد البابري.

لقد كان هدم ذلك المسجد أكثر النقاط السوداء قتامة في وجه الهند العلماني الديمقراطي!!، لكن الطائفية كانت من تفريخ وتنفيذ الحكومات المركزية وحكومات الولايات، وكان ذلك يمثل تأكيداً بأن ديمقراطيتهم زائفة، وقد بادر المثقفون المسلمون والعلماء والباحثون

والنشيطون في المجال الاجتماعي إلى وضع خطط مختلفة وبرامج متنوعة لتحقيق الارتقاء الاجتماعي والتعليمي والسياسي والاقتصادي للمسلمين.

وعن طريق التخطيط المحسوب بشكل جيد فإن المسلمين نجحوا الآن في القيام بدور محدود في السياسة والتعليم والاقتصاد وإن كان لا يتناسب مع عددهم.

إن الحكومات الحالية حكومة فيدرالية بدعم من ١٣ ـ ١٤ حزب سياسي، وتريد الحكومة أن تجعل الهند بمثابة (الولايات المتحدة الهندية)، وذلك من خلال نقل السلطات إلى الحكومات الإقليمية هي ونصيبها في الإيرادات، وذلك من خلال تنفيذ تقارير لجنة (ساركاريا)، هذه العملية سوف تؤمن القدر الأفضل من السلطة لحكومات الولايات.

تغير تاريخي ودلالته :

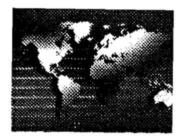
يعتبر تولي «ديفي جودا» (أحد أبناء الطوائف المتخلفة المطحونة) الزعامة حدثًا تاريخيًّا، فقد أصبح رئيسًا لوزراء الهند مؤخرًا، وهذا المنصب كان محجوزًا على الدوام للبراهمة، وحتى في مجموع الوزارات لم يحصل البراهمة إلا على ١٠٪ من المناصب، في حين كان نصيبهم في كافة الحكومات السابقة لا يقل عن ٦٠٪.

هذا التغير سوف يكون له ـ حسب رؤيتي ـ الأثر العميق في سير الأمور مستقبلاً، وذلك للآتي :

أولاً: وقبل كل شيء سوف يؤدي ذلك إلى زيادة نطاق الصراع بين الطوائف الدنيا والطوائف العليا الهندوسية؛ من أجل السيطرة على الحكم وأخذ نصيبها في كل أنواع الموارد.

ثانيًا: أنه قد يتم تطوير علاقة وتفاهم أفضل بين الطوائف الدنيا والمسلمين، نتيجة للتنسيق السياسي والخروج من نطاق مؤامرة البراهمة.

ثالثًا: أن الطوائف الدنيا التي كانت تعاني من اضطهاد البراهمة عبر قرون ـ عن طريق الاستغلال الديني وإبعادهم عن التعليم ـ سوف تخرج على حظيرة الهندوسية، وسوف تعاني هذه الطائفة من مشكلات الهوية



أو من أزمات أخرى في السنوات العشرين القادمة، مما سوف يعزز في الحقيقة نطاق الدعوة؛ فهذه الطوائف المتدنية تمثل غالبية السكان في الحقيقة، فنسبتها تبلغ ٥٧٪ من إجمالي عدد السكان.

هذه الأزمات التي ستجابههم ـ والتي تتعلق بالهوية ـ سوف يكون لها تأثير عميق على التكوين السكاني الذي سوف يغير من كيميائية السياسة في الهند.

وحينها فالعدالة الاجتماعية سوف تجد مكانها المناسب، كما إن تقاسم السلطة القائم على التمثيل النسبي سوف يكون بمثابة النظام السياسي.

إن النقاط التي ورد ذكرها سابقًا تجعل من الواضح تمامًا أن السياسة الهندية سوف يكون لها آليات فيدرالية تتصف بالاختلاف والصراع والنضال، وهي أمور يتعين أن يلعب كل عنصر من عناصر تكوينها دوره فيها، فأي طائفة تخفق في أخذ نصيبها الذي تستحقه بما يناسب طلبها سوف تخسر خسارة عظيمة.

تكمن القوة لأخذ النصيب المستحق في السلطة في:

١ ـ التعليم. ٢ ـ الاقتصاد.

٣ ـ الوعي الاجتماعي. ٤ ـ الوعي السياسي.

هذه العناصر الأربعة تعتمد إلى حد كبير على نوعية المناخ السياسي والاقتصادي السائد في البلاد وماهية المنافذ المتاحة داخل وخارج البلاد.

ويعاني المسلمون ـ للأسف ـ من الضعف والتخلف والتعرض للمخاطر، فالتحيز والتمييز يوجدان مناخًا غير مواتٍ للاستفادة من التعبئة العامة المنفذة في مجال التوظيف، والاستثمار، والاقتصاد، والأعمال، والتجارة، وذلك يجعلهم في وضع هامشي.

المسلمون في الواقع في حاجة إلى دفعة شد وجذب كبيرة، تتطلب الحكمة في تأمين فرصة نشر التعليم، مع الإيمان ـ من الأساس، ومن أولى المراحل ـ بالتعليم الفني والتعليم في مجال الإدارة، وذلك لاغتنام المستقبل في ضوء ما يسمى بالنظام العالمي الجديد.



إريتريا .. الوعد الكاذب بالحرية

مظاهر العلمنة والتنصير في توجهات الجبهة الحاكمة

(١ من ٢)

المسلمون



والعالم

اتخذ الصراع في القرن الإفريقي أشكالاً متعددة، وشعارات كثيرة، فهناك صراعات قبلية وقومية وإقليمية ودولية، ولكن الأبرز والأهم كان الصراع العقدي، صراع بين الحق والباطل، صراع بين الإسلام والنصرانية على وجه الخصوص.

فإذا خصصنا الحديث عن الصراع في إريتريا منذ ظهور قضيتها في مناقشات الأمم المتحدة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية نجد أن القرار الذي اتخذ في شأنها كان يراعي مصالح إثيوبيا النصرانية التي غدت جزيرة نصرانية في بحر مسلم، وقد كان يحكم إثيوبيا الإمبراطور الهالك «هيلاسلاسي»، وبعد الانقلاب العسكري الشيوعي عام ١٩٧٤م بقيت إريتريا تحت الاحتلال الإثيوبي، حتى إذا ما يئس النظام العالمي الجديد من استمرار إريتريا تحت الحكم الإثيوبي النصراني عمد إلى تسليم السلطة فيها للجبهة الشعبية بقيادة «إسياس أفورقي»، وتسليم السلطة في إثيوبيا إلى جبهة التجراي بقيادة «ميلس زيناوي»، وذلك بعد مؤامرات حيكت في كل من (أتلانتا) بقيادة الرئيس الأسبق للولايات المتحدة «جيمي كارتر» عام ١٩٩٠م، وفي (لندن) بقيادة «هيرمان كوهين» مسؤول القرن الإفريقي في الخارجية الأمريكية عام ١٩٩١م، وبهذا تمكنت الجبهة الشعبية ذات التوجهات الصليبية من تملك زمام الأمر في إريتريا.

مظاهر ظلم المسلمين:

وقد ظن كثير من الإريتريين أن فجر الحرية قد انبلج في بلادهم بخروج



بقلم: جمال سعيد حسن

الجيش الإثيوبي منها بعد صراع مرير وانتظار طويل استمر ثلاثين عامًا ، ولكن هذا الفجر لم يكن إلا فجراً كاذبًا للحرية، فها هي الجبهة الشعبية للديمقراطية والعدالة!! ـ كما زعمت ـ منذ أن كونت حكومتها في إريتريا عام ١٩٩١م، تعيث فيها ألوانًا شتى من الاضطهاد ضد المسلمين هناك، وتُظهر بين فترة وأخرى ممارسات تنم عن الحقد الدفين الذي تكنه للإسلام والمسلمين.

وسوف أتناول في هذه المقالة مجمل الأحوال السائدة في إريتريا منذ تولت تلك الجبهة الصليبية مقاليد الحكم، مع التركيز على الآثار المترتبة لهذا الحكم على المسلمين وانتشار الدعوة الإسلامية فيها، وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً : الاعتقالات والاغتيالات :

تملك الجبهة الشعبية جهازاً خاصًا مرتبطًا بالرئيس مباشرة، مهمته الحفاظ على أمن (حزب الجبهة الشعبية) الحاكم، ويرمز إلى هذا الجهاز بـ(07) ولهذا الجهاز صلاحيات تفوق صلاحيات وزير الداخلية، ويحق له القيام بإجراءات تصل إلى حد التصفية الجسدية دون مساءلة من أحد، وغالب أفراده غير معروفين، وكذا جميع أعماله سرية إلى أبعد الحدود، وقد قام في فترة ما بعد التحرير باعتقالات منظمة طالت المؤسسة العسكرية في تنظيم الجبهة الشعبية، وخاصة بعد عملية الاحتجاج التي قادها الجيش قبيل عملية الاستفتاء، كما قام هذا الجهاز بالتصفية الجسدية لبعض العناصر غير المرغوب فيها داخل التنظيم، على الرغم من أنها قيادات مشهورة.

كما قام هذا الجهاز بانتهاك صارخ لأدنى حقوق الإنسان، باعتقال عدد من الدعاة ومعلمي العلوم الإسلامية والعربية وبعض النشيطين في العمل الدعوي من الشباب، فبعد أشهر قليلة من دخول الجبهة الشعبية (أسمرا) تم اعتقال بعض معلمي المعاهد العلمية الذين كان لهم نشاط بارز في توعية الشباب وإقامة الدروس العامة في المساجد في مدينة (كرن) و(أسمرا)، ثم استمرت عمليات الاعتقال على فترات متفاوتة شملت مرة أخرى معلمي المعاهد والمدارس الإسلامية والنشيطين من شباب الصحوة في كل من العاصمة (أسمرا) ومدينة (كرن) و(حقات)، وغيرها من المدن الإريترية، وقد كانت بعض هذه الاعتقالات تجري في وقت متأخر من الليل، بينما بعضها الآخر يتم في وضح النهار، كما تم بعضها في أوقات متتالية، وقد وقعت آخر هذه الحملات المسعورة في العام المنصرم ١٩٩٦م في مدينة (قندع)، حيث طالت بعض خريجي الجامعات الإسلامية الذين كان لهم نشاط ملحوظ في تعليم الناس الإسلام، والأدهى والأمرّ: أن حكومة الجبهة الشعبية تنفي نفياً قاطعاً أن تكون هي التي تعتقل هؤلاء المواطنين، وتنكر على ذوي المعتقلين أن يكون أحد منهم في سجونها.

ولو أردنا أن نخرج بتحليل قريب لهذه الممارسة العجيبة نجد أن الجبهة الشعبية تسعى لاستئصال أي فكر يخالف الأفكار المشبوهة التي تسعى لصب الشعب الإريتري في قوالبها.

إن الذين شملتهم الحكومة الشعبية بالاعتقال الجائر لم يكن لهم أي نشاط سياسي مريب يهدد من وحدة الشعب الإريتري أو يعرض المصالح الوطنية للخطر، ولكن الجبهة الشعبية تنظر إلى الإسلام نظرة ريب وعداء، انطلاقًا من أهدافها الصليبية المعروفة ، فهي لا تريد إلا مصدراً واحداً لتربية النشء وتوعية الجماهير، ومعلمي العلوم الإسلامية يمثلون في نظرها حَمَلة أفكار منافسة يمكن أن تنتج جيلاً متطرفًا ـ بزعمهم ـ يهدد الأمن العام للدولة والشعب، بل يبدو من الممارسات التي تصدر عن نظام الجبهة





الشعبية الحاكمة أنها لا تريد أن تسمع للإسلام صوتًا، ولا أن ترى للمسلمين في إريتريا شخصية وعزًّا والتزامًا بالدين .. وإلا فماذا تقول في إقدامها بسجن عناصر ممن يمارسون الدعوة بالحكمة والحسنى في منطقة (سرايي) في عام ١٩٩٣م.

ثانيا : محاربة العلوم الإسلامية واللغة العربية بشكل خاص:

كان من الطبيعي أن تتحول برامج المدارس الحكومية التي كانت تشرف عليها الحكومة الإثيوبية إلى البرنامج الجديد للحكومة الإريترية بعد نهاية الاحتلال الإثيوبي، ولكن الشيء غير الطبيعي والمؤسف حقًّا: أن تتحرك أعين الساسة في الحكومة الشعبية المشبوهة إلى المدارس الإسلامية والمعاهد الدينية التي بذل الأهالي في سبيل إقامتها الغالي والنفيس سعيًا لاستمرار نبع العلوم الإسلامية والعربية في إريتريا عبر هذه المؤسسات.

وقد بعثت وزارة التعليم إلى هذه المدارس والمعاهد بتعليمات تطالبها بأن تسير وفق خطة التعليم الخاصة ببرامج الجبهة الشعبية ،وهو برنامج علماني بحت لا يسمح بتدريس العلوم الدينية إلا ساعة واحدة في الأسبوع تكون على شكل موعظة عامة للطلاب، فهو برنامج لا يخدم إلا الأهداف الصليبية الساعية إلى تفريغ العقول المسلمة من دينها، وتكوين جيل مذبذب، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وعندما حاول المدرسون والمثقفون الوقوف أمام هذا التسلط؛ زج بهم في السجون، ولا يعرف مكانهم حتى هذا اليوم، وسارت خطط (الشعبية) في خطى حثيثة نحو إجبار القائمين على المعاهد والمدارس الإسلامية بالسير كما تريد.

ثالثًا : استفزاز المسلمين بسياسة تجفيف المنابع :

وتمكنت الجبهة على ضوء ما ذكرنا من الوصول إلى النتائج التالية:

١ ـ **إغلاق بعض المعاهد الدينية تمامًا**،وعدم إصدار تراخيص لإنشاء مثل هذه المعاهد مستقبلاً.

٢ ـ وما استمر في عمله فقد فُرِّغ من رسالته التي أنشئ من أجلها، وهي نشر العلوم الإسلامية الشرعية والعربية في إريتريا.

٣ ـ حصر الجهود الأهلية التعليمية للمسلمين في الكتاتيب (الخلاوي القرآنية)، في المساجد أو غيرها، مع المراقبة التامة لها حتى لا تعلِّم غير القرآن شيئًا من العلوم الدينية، بل وحتى الأناشيد الإسلامية[1].

وتدعي حكومة الشعبية أن إقدامها على إجبار المدارس الإسلامية انتهاج خطة التعليم الحكومية يأتي حماية لمستقبل الطلاب الذين لن يجدوا فرصة للتعليم العالي أو العمل في الوظائف الحكومية إن هم استمروا في المدارس الإسلامية، وهذا تفكير يرمي إلى إقصاء الاعتبارات العقدية للمسلمين، فالعلم الشرعي في نظر الفرد المسلم منه ما هو فرض عين يجب على كل مسلم أن يتعلمه، ومنه ما هو فرض كفائي، ومنه ما هو دون ذلك، فتحصيل العلم الشرعي في حد ذاته يكون عبادة، فهل تريد الشعبية إغلاق باب من أبواب العبادة التي يؤمن بها المسلمون في إريتريا بدعاوى ما أنزل الله بها من سلطان؟، إننا نفهم أن المقصود من ذلك هو تجفيف المنابع، وذلك ما يلجأ إليه أعداء الإسلام في السنين الأخيرة.

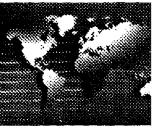
الأهداف البعيدة من سياستها تلك:

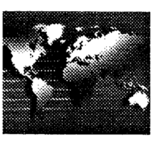
وعلى كلٍّ فإن الهدف الحقيقي لمساعي الشعبية في حربها المعلنة ضد المعاهد الدينية والمدارس الإسلامية ينحصر فيما يلي:

١ ـ تربية الأجيال القادمة وفق برنامج الجبهة الشعبية الهادف إلى تكوين شعب يؤمن بنهجها الفكري والسياسي والثقافي الصليبي المغلف بطبقة من العلمانية الهشة.

---

١) نشرت نشرة (النفير) التي تصدرها حركة الجهاد الإسلامي الإريتري، ع/٤٧/ ١٠/١٤١٥هـ-٣/١٩٩٥م، وثيقة استولت عليها الحركة في أحد معاركها ضد الشعبية، فيها أوامر صادرة من إدارة التعليم في إريتريا بمراقبة المساجد والخلاوي، ومنع إصدار التراخيص للمعاهد الدينية في منطقة شمال بركة أغوردار.





٢ ـ **تجفيف منابع التدين**، والتي تسميها الجبهة الشعبية بمنابع التطرف الديني!!.

٣ ـ **إذلال المسلمين واستضعافهم** والسيطرة على مقدراتهم.

٤ ـ **تحجيم اللغة العربية والحد من انتشارها وتوسعها** حتى تتلاشى من الوجود تماماً في إريتريا، وقد دأبت الجبهة الشعبية منذ نشأتها في تحجيم اللغة العربية وإقصائها من الحياة الثقافية والعلمية والسياسية على الرغم من المطالبات الكثيرة جداً من الشعب بإعطاء اللغة العربية مكانتها الطبيعية في إريتريا، وليس أدل على ذلك من استفسارات الجماهير الكثيرة عن وضع اللغة العربية في إريتريا التي توجه إلى قيادة الشعبية ـ بدءاً بالرئيس إلى آخر قيادي لديها ـ في جميع اجتماعاتها المهمة وغير المهمة، وعلى الرغم من ذلك فإن حكومة الشعبية ما زالت تأبى أن تعطي آذاناً صاغية لهذه المطالب، ضاربة بعرض الحائط دعوى الديمقراطية والعدالة اللتين تدعيهما، وقد أصمت بهذه الدعوى القاصي والداني من الشعب الإريتري.

والحقيقة: **أن الحكومة لم تتجرأ باتخاذ قرار يعلن إلغاء اللغة العربية** رسمياً من دوائرها الحكومية أو التعليمية أو الحياة العامة، مع أنه لا يستبعد أن يحدث هذا، بل هناك إرهاصات تدل على ذلك من خلال أحاديث الرئيس الإريتري، إذ الأمر الواقع هناك تحجيم لدورها وتضييق على منابعها، مع أنه ما زالت تصدر صحيفة أسبوعية باللغة العربية، وهناك بعض المدارس الابتدائية التي تدرس باللغة العربية.

ويبدو من برنامج الجبهة الشعبية أنها تسير الآن إلى جعل اللغة الإنجليزية لغة العلم والثقافة، بينما تكون اللغة التجرينية التي تعد اللغة الرئيسة للنصارى في إريتريا اللغة العامة للشعب، بينما تبقى اللغة العربية لتزيين اللوحات الحائطية أمام بعض مقرات الحكومة، والأماكن التجارية، وبعض الأوراق الرسمية.

والصراع مع اللغة العربية في إريتريا لا يرتكز على منطلقات قومية، سواء أكان الموقف الرافض للغة العربية المتمثل في حكومة «إسياس أفورقي» أو الموقف المطالب بنشرها وترسيمها في إريتريا، إنما المنطلق الأساس لهذا الصراع منطلق عقدي، فـ«إسياس» يعرف كما تعرف الجماهير المسلمة في إريتريا أن اللغة العربية وسيلة رئيسة في فهم الدين الإسلامي، وعلى رأسه فهم القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبها يرتبط المسلمون في إريتريا بتاريخهم المجيد وبحاضرهم الأليم مع العالم الإسلامي، وهذا هو محط النظر من الطرفين، مما يجعل الصراع عقديًّا أكثر منه قوميًّا أو ثقافيًّا بحتًا.

التقسيم الإداري للدولة ودوافعه:

لعل المرء يقول إن لكل دولة الحق في إجراء تقسيم إداري على أرضها بما تراه مناسباً ويخدم المصلحة العامة للوطن والمواطنين، بحيث يخدم خطط التنمية للبلاد بأسرها، وهذا هو السبب المعلن الذي اعتمدت عليه حكومة الشعبية في إعادة تقسيم البلاد إلى ستة أقاليم إدارية في مايو ١٩٩٥م، حسبما جاء في الجريدة الرسمية للبلاد (إريتريا الحديثة)، ع/٥٧/٢٠/٥/١٩٩٥م.

والعاقل يدرك أن الهدف من هذا التقسيم لم يكن ـ كما أُعلن عنه ـ تنمويًّا أو غير ذلك من الاعتبارات الوطنية، بل كان تقسيمًا ماكرًا يخدم النظام القائم في البلاد ويكرس من سيطرته المحكمة على المسلمين سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا، حيث يظهر من التقسيم أن جميع أقاليم البلاد ـ ما عدا إقليم (عصب) ـ أُدخل فيه جزء من إقليم (حماسين) ـ مسقط رأس «إسياس»، ومركز السكان النصارى في إريتريا ـ مما يعني أن زمرة «إسياس» ستسيطر على المجالس الأهلية للأقاليم الإدارية التي قرر إعلان التقسيم الإداري تكوينها في جميع الأقاليم، وستفرض عليها لغتها وثقافتها واتجاهها السياسي، كما أن هذه الزمرة ستجد الفرصة سانحة في



رفع مستواها الاقتصادي، من خلال استثمارها للأراضي الزراعية التي كانت تابعة في الأصل للمناطق الإسلامية.

المهاجرون الإريتريون:

يقدر عدد المهاجرين الموجودين في السودان وحدها ما يقارب نصف مليون نسمة، وأغلبهم من المسلمين، ويرفض هؤلاء العودة إلى ديارهم ووطنهم في ظل الظروف الراهنة، وذلك اعتقاداً منهم أن سياسة دولة «إسياس أفورقي» إرهابية لا يمكن أن يأمن الإنسان فيها على دينه وعرضه وكرامته.

وعلى الرغم من أن الوضع المادي لهؤلاء المهاجرين صعب للغاية إلا إنهم يفضلون العيش بحرية في ظل الوضع الاقتصادي المتردي بعيداً عن الأهل، بل الموت جوعاً، بدلاً من الموت فزعاً وقهراً في ظل الحرية المصطنعة والإرهاب الفكري الطائفي والسياسي الذي تمارسه الجبهة الشعبية الحاكمة في إريتريا.

وتدعي الحكومة في إريتريا بأنها ساعية إلى إعادة اللاجئين إلى وطنهم تدريجيًّا، وأنها حريصة على ذلك كل الحرص، **إلا إن الواقع ينفي ذلك**، فهي لم تبذل من الناحية الإدارية والمالية أي جهد يستحق الذكر، ويبدو أن لها حسابات مادية، وأكثر منه سياسية لهذه القضية، فهي تعلم أن الصحوة الإسلامية والمعارضة السياسية والعسكرية تنشط بشكل واضح في وسط هؤلاء المهاجرين واللاجئين، وإعادتهم إلى الوطن في ظل الظروف الراهنة تسبب متاعب لها لا يحمد عقباها، والحكومة في غنى عنها، ففضلت الانتظار والتريث، وبل المماطلة.

نسأل الله (العلي العظيم) أن يعجل بفجر الحرية الصادق لإريتريا والإريتريين.

المسجد الأقصى

نص شعري

قَدْ كُنتُ أَشْربُ حَسْرتي مِنْ بَعد أَخْبارِ المَساءْ
وأسُوقُ أَحْلامي إلى رَتْلِ النّفايةِ والفَناءْ
هِيَ عادَتي في كُلِّ يَومٍ أَمْتَطي خَيْلَ الفَضاءْ
هَلْ يكْنُسُ الشُّرفاءُ بعدَ اليَومِ أَذْيال الرّياءْ؟
وَهَلِ القَضيَّةُ أَنْ نكونَ وبعدَها تَقَعُ السَّماءْ؟
وَهَلِ الدّيانَةُ أَصْبَحتْ سِرًّا يُمارَسُ في الخَفاءْ
وَهَوَيْتُ مِنْ بُرْجٍ لِهامانٍ على صَوْتِ النّداءْ
أَبَتاهُ ما اسْمُ القِبْلةِ الأُولى ومَنْ سَكَنَ الفَضاءْ
فَنَظرْتُ صَوْبَ صَغيرتي والدَّمْعُ حَرَّق في الرِّداءْ
ماذا لَعلّي أنْ أُجيبَ وقَدْ تَلَجَّمني الحَياءْ؟!
سَرْجُ الجَبانِ سَلامَةٌ وسلاحُهُ فيها الرَّخاءْ
لكنْ سَأوجِزُ قصَّةَ الوَطنِ الذَّبيحِ بِلا افْتِراءْ
فَلَرُبَّ مُنْتَصِبٍ يُعالجُ ما بِجَنْبيَّ اكْتِواءْ
فالقِبْلَةُ الأُولى مَحَطَّةُ مَهْبِطٍ لِلأَنْبياءْ
أمّا القَضاءُ مُباركٌ واللهُ يَفْعلُ ما يَشاءْ

المسجد الأقصى

شعر : جعفر محمود عكاشة

والمسجدُ الأقْصى عَروسٌ غالَها مَهْرُ الإباءْ
والله أورَثهُ النبيَّ مُحمّداً حامي اللِّواءْ
مُذْ عَهْدِ فاروقِ الصَّحابَةِ كانَ يَمْنَعُهُ الفِداءْ
واليومَ يَرزَحُ تحْتَ نَيْرِ الهَدْمِ طُوبى للبِناءْ
والعُهْدَةُ العُمريَّةُ المُثْلى تُطالِبُ بالجَلاءْ
كُلَّ الذينَ تهوَّدُوا وبِنابِهِمْ حُفِرَ البَلاءْ
جَعَلُوا مِنَ النَّفَق المُريبِ شَرارَةً للإنْتِهاءْ
ولَسَوْفَ يَعْلَمُ جَمْعُهم أنّا صَناديدُ اللِّقاءْ
لله دَرُّ حِجارَةٍ قَلَعتْ معَ القَيْدِ الغُثاءْ
تُلْقي بِأيْدٍ بَرَّةٍ تَهَبُ المَنيَّةَ دُونَ داءْ
والله أكْبرُ عِنْدَما أنْ يُخْلِصَ العَربُ الوَلاءْ
بِيَدٍ مُوحَّدَةٍ وأذِّنْ أنَّ نَصْرَ الله جَاءْ
ماذا دَهاكِ بُنَيَّتي؟! هَتَفَتْ تَرانيمُ الحِداءْ
إنَّ القَضيَّةَ أنْ نكونَ وبَعدَها تَقَعُ السَّماءْ

السقوط في الانهزامية

بقلم: د. محمد يحيى

في دائرة الضوء

أدى بروز الصوت العلماني في الساحة الفكرية في البلاد العربية خلال السنوات الماضية إلى إحداث ضغوط قوية على بعض الناطقين باسم الإسلام من أرباب المناصب الرسمية، ولَّدت بدورها تناقضات صارخة فيما يصرح به هؤلاء الذين يفترض أنهم مهتمون بالإسلام بحكم مناصبهم على الأقل إن لم يكن بحكم دينهم، ومن النماذج التي التقطتها عفويًّا من بين عشرات الأمثلة: ما صرح به وزير للأوقاف في بلد عربي كبير لإحدى المجلات الأسبوعية عندما سئل عن رأيه في حالة حدوث تناقض بين القانون الوضعي وما ينص عليه الإسلام، وكانت إجابة الوزير بما يلي: «إذا تعارض القانون الوضعي مع ما نص عليه الإسلام: نبحث عندئذ عما فيه المصلحة بالنسبة للمسلمين .. فمصلحة المجتمع لها القول الفصل في هذه القضية».

والمشكلة في هذه الإجابة التي أوردت نصها أنها ملتفَّة وتثير من المشاكل الكثير، كما لو أن صاحبها لا يريد أن يجيب إجابة مباشرة؛ خوفًا من نفوذ العلمانيين أو ربما تأثرًا بفكرهم وميلاً إليه.

الإجابة المباشرة ـ فيما نفترض ـ تقول: إنه إذا حدث تعارض بين القانون الوضعي وما نص عليه الإسلام، فإننا في هذه الحالة نمضي ونحكِّم ما نص عليه الإسلام، لأننا مؤمنون به، أو

نمضي ونحكِّم القانون الوضعي إذا كنا علمانيين، لكن الإجابة التي أوردها الوزير ــ وهو فيما يقال أستاذ متخصص في الدراسات الإسلامية ــ تقول: إنه في حالة حدوث هذا التعارض نبحث عما فيه المصلحة بالنسبة للمسلمين، أي نبحث في القانون الوضعي وفي الإسلام عن أيهما يحقق مصلحة المسلمين!.

كان يمكن للأستاذ الجامعي المتخصص أن يقول: إن الإسلام لا بد أنه يحقق مصلحة المسلمين، وهذا بدهي؛ لأنه من غير المتصور أن يأتي دين ليهدم مصلحة من يؤمنون به، وكان يمكن للأستاذ الجامعي أن يقول: إن القانون الوضعي الذي يتعارض مع ما نص عليه الإسلام لا يمكن أن يحقق مصلحة المسلمين، وإن الشريعة الإسلامية بها من السعة والرحابة ما يحقق كل المصالح المشروعة، **لكن الأستاذ الوزير يترك المسألة معلقة بين القانون الوضعي والإسلام**، ويجعل من مصلحة المسلمين (وهو يحولها فيما بعد إلى ما يسميه بمصلحة المجتمع وهو تعبير أكثر عمومية وإيهامًا) القول الفيصل في هذا الأمر، وكأن الإسلام يستوي مع القانون الوضعي من ناحية أن كلاهما يمكن أن يحقق مصلحة.

وأيضًا من ناحية عدم التيقن من طبيعة المصلحة التي يحققها أي منهما، **وربما نقول من باب درء الشك: إن الأستاذ الوزير يتصور إمكانية** أن يصدر قانون وضعيٌّ ما، يحقق مصلحة المسلمين في مجال غير موجود في الشريعة الإسلامية، لكن هذه الشريعة تحتوي على مبدأ الاجتهاد الذي يُمكِّن من بسط أحكامها ومبادئها الكلية العامة على شتى مجالات الحياة الجزئية والفرعية والمتغيرة، بحيث يمكن في هذه الحالة القول بأن حكم الشريعة قد أُعمل في هذه الحالات الجزئية ليحقق مصلحة المسلمين أو المجتمع، **لكن السؤال الموجه إلى الأستاذ** لم يكن يدور حول قضية المصلحة (وهي قضية للشريعة الإسلامية فيها ضوابط وأصول) **وإنما دار حول قضية التصرف في حالة**

وقوع التناقض بين القانون الوضعي وما نص عليه الإسلام، إن السؤال الموجه مُحْكَم إلى درجة كبيرة، لأنه يتحدث عن التصرف في حالة حدوث التعارض بين قانون وضعي (أي علماني) وبين صريح الإسلام حيث ذكرت عبارة «ما نص عليه الإسلام»، وإزاء هذا الوضوح والتحديد في السؤال كان يجب على المجيب أن يكون واضحًا محددًا، وإلا وقع في اللف والدوران، وهذا الالتفاف الذي لاحظناه في الإجابة المذكورة هو ما نعنيه عندما نتحدث عن ضغوط ونفوذ وتأثير العلمانية الذي يشوه فكر بعض المتصدرين للحديث باسم الإسلام، ويجعلهم يتراجعون حتى عن إظهار بدهيات معروفة؛ خوفًا من إغضاب هذا النفوذ، أو كما قلنا: ميلاً قلبيًّا إليه.

فكيف يمكن أن يشك مسلم ـ فضلاً عن أستاذ جامعي دارس ـ في أن الإسلام يمكن أن يحقق مصلحة المسلمين، بل كيف يتوقف هذا المسلم ـ فضلاً عن الأستاذ الجامعي الدارس ـ ولا يُرجِّح كفة شرع الإسلام في حالة حدوث تعارض وتناقض مع القانون الوضعي، وكيف لا يذكر المسلم ـ فضلاً عن الأستاذ الجامعي الدارس ـ لمن طرح عليه السؤال أن للإسلام طرقه ووسائله واجتهادات علمائه ورخصه يحقق بها كلها مجتمعة مصلحة المسلمين، بل كيف يمكن للمسلم فضلاً عن الأستاذ الجامعي المتخصص أن يعلن أن الإسلام قد لا يحقق مصلحة المسلمين، وهذا هو المستفاد من إجابة الوزير، فهو يجعل الأولوية والكلمة العليا لمصلحة المجتمع ـ كما يقول ـ التي هي عنده المعيار والفيصل الذي يقاس به الإسلام وما نص عليه، كما يقاس به القانون الوضعي، ويختار من كليهما ما يحقق مصلحة المجتمع، ويطرح منهما ويرفض ما لا يحقق مصلحة المجتمع، ثم: ما هي مصلحة المجتمع؟، وهل المقصود المجتمع المسلم أم غيره؟، ومن الذي يحدد هذه المصلحة؟، وهذه نقطة مهمة؛ فمن الواضح من كلام الوزير أن الإسلام لا يمكن أن يكون هو المنوط به تحديد مصلحة المجتمع، لأنه هو نفسه تحت

المحك والاختبار ليتبين ما إذا كان يحقق تلك المصلحة أم لا ، لا بد إذن أن الذي سيحدد مصلحة المجتمع طرف آخر.. ، يحددها، ثم ينظر بعد ذلك في أحكام الإسلام وأحكام القانون الوضعي : أيهما يفي بهذه المصلحة، فيأخذ ما يتراءى له ولو كان القانون الوضعي، ويطرح الآخر ولو كان الإسلام وأحكامه!.

نحن إذن نصل إلى وضع غريب يصدر عن أستاذ جامعي مسلم ومتخصص في الدراسات الإسلامية، بل ويجلس في منصب يتحكم منه في سائر الشؤون الإسلامية والدروس والمواعظ الدينية ومجمل مضمون الفكر الإسلامي، يسأل هذا الأستاذ سؤالاً واضحًا محددًا حول ما يحدث في حال التناقض بين القانون الوضعي وصريح الإسلام، فلا يجيب الإجابة المباشرة، بل يذهب إلى التسوية بين القانون الوضعي وشريعة الإسلام في القبول والرفض، ويجعل من مصلحة المجتمع (وهي تعبير مبهم) القول الفصل ومعيار الحكم في القضية، ويسلب من الإسلام حق تحديد ماهية مصلحة المجتمع، كما يسلب منه دعوى تحقيق مصلحة المسلمين، ويجعلها محل نظر وفحص وتدقيق ومراجعة من جهات من الواضح أنها غير إسلامية؛ لأنها ـ حاليًا ـ تعلو على الإسلام وتنفرد بتحديد ما إذا كان هذا الإسلام يصلح لتحقيق مصلحة المسلمين أم لا!.

لماذا كل هذا اللف والدوران إزاء سؤال واضح ومحدد لايسمح إلا بإجابة واضحة محددة؟، الإجابة هي: أن ضغوط الفكر العلماني ونفوذه قد وصل في عالمنا العربي المسلم إلى أبعاد واسعة ومستويات عالية، بحيث أصبح الجالس في منصب يفترض أنه إسلامي يتحرج أو يخاف أن يدلي برأي واضح وقاطع يناصر الإسلام الذي يفترض منه ـ على الأقل بحكم المنصب والتخصص ـ أن يناصره.

وقفات متأنية مع آراء فضيلة د. القرضاوي

حول العلاقة مع أهل الكتاب

بقلم:
د. محمد بن عبد الله الشباني

متابعات

نشرت مجلة المجتمع في عددها رقم (١٢٣٣) خبراً نسبت فيه أقوالاً لفضيلة الدكتور الشيخ «يوسف القرضاوي» حول مقابلته مع المفكر الفرنسي المسلم «رجاء جارودي»، الذي أُثيرت حول بعض آرائه عن الإسلام شبهات وصلت إلى الحكم بردته، لقد نفى الشيخ «القرضاوي» ما زُعم من ردة «جارودي»، وقد أوردت المجلة في سياق خبرها أقوالاً نسبتها لفضيلة الشيخ «القرضاوي» لا يمكن تجاهلها، حيث إنها تتعارض مع المفاهيم الأساس للعقيدة الإسلامية حول علاقة الإسلام باليهودية والنصرانية، ولكون هذه الأقوال منسوبة لعالم من العلماء المشهورين، الذين لهم مواقف مشكورة محمودة تجاه الإسلام والذب عنه، فإن مناقشة ما نسب إلى فضيلته يعود إلى أمرين:

الأول: وجوب اتباع المنهج الذي أمر به رسول الله ﷺ من واجب أداء النصح وفق ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن تميم بن أوس الداري (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

الثاني: أن ما ورد من أقوال نسبت إلى عالم جليل ونشرت في مجلة يقرؤها جمع غفير من المسلمين وفيها مخالفة لمفاهيم إسلامية ترتبط بالعقيدة من ناحية، وبالولاء والبراء من ناحية أخرى.. مما لا يصح تجاهله مهما

كان قدر قائله، فإن الله قد أوجب على كل من يعرف الحق أن يظهره ولو كان في منزلة أقل ممن صدرت عنه هذه المخالفة، يقول (تعالى): ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٩]، وقبل الدخول في مناقشة ما ورد في تلك الأقوال أود أن أسجل عدة أمور أساس لحواري هذا؛ حتى لا يساء الفهم، وهي:

أولاً: أنني أكن احترامًا شديداً لفضيلة الشيخ «القرضاوي»، ولقد استفدت من علمه من خلال كتبه، وما نشره، وإن لم أحظ بمقابلته، وإن ما سوف يتم من معارضة لبعض ما نسب إليه لا يقلل من شأنه، ولا من علمه، ولا من حاجة الأمة إلى آرائه، ولا من فضله، ولنا فيما فعله وقاله شيخ الإسلام «ابن تيمية» عند رده بعض آراء الفقيه الإمام «محمد بن حزم» أسوة، فقد جاء في الفتاوى قوله: «وأبو محمد ـ مع كثرة علمه وتبحره، وما يأتي به من الفوائد العظيمة ـ له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه، كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة»[1]

ثانيًا: أن واجب النصح لكتاب الله، وسنة رسوله، ولعلماء الأمة، وعامتهم يقتضي عدم السكوت على أي شيء يمس الثوابت الدينية، وأن هذا الواجب لا يقتصر على فئة معينة، وإنما يتعدى ذلك إلى عموم الأمة، حيث يجب إظهار الحق ممن يعرفه، والالتزام به، والاستماع إليه وقبوله من قائله، ولو كان الاعتراض على قول صادر ممن له منزلة علمية أعلى من المعترض، فلنا في صحابة رسول الله ﷺ أسوة، فقد ورد في الأثر أن الخليفة «عمر بن الخطاب» (رضي الله عنه) عزم على تحديد المهور وأعلن ذلك على المنبر، ولكن امرأة من سائر أفراد الأمة اعترضت عليه وأدلت بالدليل، فما كان من عمر (رضي الله عنه) إلا أن عدل عن رأيه وأعلن خطأه.

إن الاعتراضات التي سأتناولها ـ والتي وردت فيما نُسب إلى فضيلته ـ تتمثل في الأمور التالية:

أولاً: ما ذكر من أن رسالة الإسلام

١) انظر: الفتاوى، جـ٤، ص ٣٩٦.

متابعات

في جوهرها أخلاقية بالدرجة الأولى، فقد ورد هذا القول عندما أشار فضيلته عند رده لتهمة الردة التي وجهت إلى «جارودي»، حيث قال وفق ما نسبته المجلة: «إن الرجل ما زال على خطه الأول الذي يعبر عن الإسلام الصحيح الذي يُدين الحضارة الغربية ويؤيد الشعوب المستضعفة، ويقف في صف الفقراء ضد الطواغيت المستكبرين في الأرض، فالرجل ضد الظلم والطغيان، ومع العدل والإحسان والرحمة، وهي أخلاقيات من جوهر الإسلام الذي هو رسالة أخلاقية بالدرجة الأولى».

إن القول بأن رسالة الإسلام في الدرجة الأولى هي رسالة أخلاقية غير صحيح، ويتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم، حيث إن الرسالة الأساس والأولى للإسلام هي: إخراج الناس من عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أما الأخلاق فهي تبع ولازم من لوازم الإيمان بالله، فالقول بأن رسالة الإسلام أخلاقية في الدرجة الأولى يتناقض مع حقيقة دعوة الإسلام، **فموضوع الأخلاق وما يندرج تحته أمر فلسفي تحكمه الأعراف الإنسانية والمجمعة على كثير من الفضائل، حيث يشترك في الإقرار بها والدعوة إلى الأخذ بها: المسلم الموحِّد، والملحد الكافر الذي لا يؤمن بأي إله، والوثني الذي يعبد مع الله آلهة أخرى، وأهل الكتاب الذين بدلوا تعاليم أنبيائهم من اليهود والنصارى فعبدوا غير الله** وشرعوا شرائع لم يأمر الله بها، فمنع الظلم، والإحسان إلى الفقراء، والرحمة بالضعفاء.. وغير ذلك من الصفات الأخلاقية الحسنة مقبولة، وجميع البشر يدعون إليها؛ فميثاق الأمم المتحدة، ومبادئ حقوق الإنسان المقرَّة من قِبَل هيئة الأمم المتحدة، وما يعرف بالشرعية الدولية.. فيها أمور أخلاقية لا يعترض عليها أي فرد مسلم أو غير مسلم، فهي أمور مشتركة؛ ولهذا: لا يمكن أن يقال إن رسالة الإسلام أخلاقية في الدرجة الأولى، والنصوص من القرآن الكريم قد أوضحت أن رسالة الإسلام الأولى هي توحيد الله (تعالى) وإفراده بالعبادة، يقول الله (تعالى): ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ**

يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، لقد فسر ابن كثير هذه الآية بقوله: «لا أتخذ وليًّا إلا الله وحده لا شريك له؛ فإنه فاطر السماوات والأرض، أي: خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق ﴿هُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾ أي: وهو الرزاق لخلقه من غير احتياج إليهم»[1]، ولتأكيد أن رسالة الإسلام هي تحقيق عبادة الله وحده وأن على أهل الكتاب تصحيح عقيدتهم، جاءت آية سورة النساء تؤكد هذا المعنى في قوله (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٤٧) إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٧، ٤٨]، وقد عقب ابن كثير على هذه الآية بعد أن أشار إلى أن الله (تعالى) أمر أهل الكتاب بالإيمان بما نزل على رسوله محمد ﷺ من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم، عقّب بقوله: «.. ثم أخبر (تعالى) أنه لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به، ويغفر ما دون ذلك ـ أي: من الذنوب ـ لمن يشاء ـ أي: من عباده ـ»[2]، ثم أورد أحاديث حول أهمية الإيمان بالله وأنه أساس الأمر في الإسلام، ومن تلك الأحاديث: ما رواه النسائي عن معاوية أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمداً»، وحديث ابن مسعود الذي ورد في الصحيحين أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟، قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، وهذه النصوص وغيرها تؤكد أن رسالة الإسلام في الدرجة الأولى ليست أخلاقية فقط، وإنما هي إخراج الناس من عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده، وأن الأخلاق تبع لذلك، ولهذا: فقد فهم الصحابة (رضوان الله عليهم) هذه الحقيقة، يقول ربعي بن عامر (رضي الله عنه) حيث أجاب رستم على سؤاله

١) تفسير ابن كثير، جـ٢، ص ١٢٥.

٢) السابق، جـ١، ص ٥٠٨.

متابعات

(عمَّ جاء بالمسلمين لمحاربة الفرس؟) بقوله: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام».

ثانيًا: ما ذكره من أن الحرب مع اليهود في فلسطين ليست حربًا دينية، بمعنى أنها ليست من أجل العقيدة، وقد نسبت المجلة إليه قوله: «إنه يفهم قصد جارودي ويؤيده في أن حربنا مع اليهود ليست حربًا دينية، بمعنى أنها ليست من أجل العقيدة، فنحن نحارب اليهود لأنهم استعمروا أرض فلسطين لا لكونهم يهودًا، فاليهودية دين سماوي يعترف به الإسلام، وقد عاش اليهود في ظل الدولة الإسلامية ـ من عهد النبي ﷺ وحتى اليوم ـ في حرية لم يجدوها في ظل أي دين آخر»، فإن كان فضيلته يقصد أن اليهود لا يقاتلون ولا يضطهدون لكونهم يهودًا، وأن قتالهم في فلسطين ليس دينيًّا، بمعنى: أن كونهم يهودًا ليس سببًا وحيدًا في قتالهم، فهذا لا غبار عليه ـ وإن كان قتالهم ودفعهم باعتبارهم معتدين على أرض إسلامية جهادًا إسلاميًّا مشروعًا وواجبًا يقوم به المسلم ثمرة لإيمانه ـ، وليس الأمر عند المسلم مجرد منازلة عسكرية أو سياسية ضد مستعمر احتل وطنه فحسب، ولقد حاربهم الرسول ﷺ وجاهدهم، ولكن لم يشن المسلمون ضدهم حرب إبادة عنصرية بسبب الدين، بل بقي في ظل الإسلام وتحت سلطان شريعته يهود ونصارى بوصفهم أهل ذمة يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، أما إجلاء الرسول لهم، فلكون ذلك خصوصية لجزيرة العرب التي أمر الرسول ﷺ ألا يجتمع فيها دينان.

وفيما يتعلق بهذا الأمر فهناك جانبان:

الجانب الأول: أن واقع الصراع الحالي مع اليهود هو صراع قائم على فكر لا يلتزم بالإسلام، وبالتالي: فهي حرب غير دينية ولم تقم على أساس إزالة الحكم اليهودي وإحلال الحكم الإسلامي محله، وإنما الصراع معهم قائم على أساس الأرض، ونحن نتفق معه في هذا الجانب إذا كان يقصد مجرد وصف حالة الصراع القائم،

ولهذا كانت حصيلة الفكر الذي يصارع اليهود على أرض فلسطين الانهزام والاستسلام لهم في الأخير.

الجانب الثاني: أن الحرب مع اليهود من الناحية العقائدية أمر يوجبه الإسلام ويأمر به، وينبغي أن يقوم صراعنا مع اليهود في هذا العصر على أساسه، حيث إن لهم صولة وجولة، والإسلام لا يعترف ولا يسلم بقيام دولة يهودية تمارس السلطة والحكم على ديار المسلمين، وما حرب الرسول ﷺ لليهود وإجلاؤهم عن المدينة وقتاله لقريظة عام الأحزاب، وما جاء من أمر بقتالهم في سورة الأحزاب، ومحاربة بني النضير وما نزل فيهم في سورة الحشر، ومحاربة يهود خيبر بعد صلح الحديبية، وما جاء في ذلك من ذكر في سورة الفتح.. إلا دلالات عملية بوجوب إزالة شوكة اليهود، تنفيذاً لأمر الله بقتال أهل الكتاب في قوله (تعالى): ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [التوبة: ٢٩]، يقول ابن كثير مفسراً لهذه الآية[١]: «وهذه الآية الكريمة أول أمر بقتال أهل الكتاب بعدما تهدمت أمور المشركين ودخل الناس في دين الله أفواجاً واستقامت جزيرة العرب.. أَمَرَ الله رسوله بقتال أهل الكتابين اليهود والنصارى».

وقد أوضح «ابن تيمية» قضية مقاتلة أهل الكتاب تعليقاً على هذه الآية بقوله: «وقد خرج النبي ﷺ لقتالهم بنفسه عام تبوك، واستنفر لقتالهم جميع المؤمنين، ولم يأذن لأحد من القادرين على الغزو في التخلف، ومن تخلف لأنه لم ير قتالهم واجباً كان كافراً، وإن أظهر الإسلام كان منافقاً ملعوناً، بيّن الله أنه لا يغفر لهم ونهى نبيه عن الصلاة عليهم، وأنزل في ذلك جمهور سورة براءة بالنقل المتواتر، حتى بيّن كفر الذين استأذنوه في ترك الخروج معه لقتال

١) انظر: تفسير ابن كثير، جـ٢، ص ٣٤٧.

متابعات

النصارى»[1]، وقد سبق غزوة تبوك أن بعث الرسول ﷺ إلى زعماء النصارى في الشام ومصر رسله بكتبه (عليه الصلاة والسلام) ، والتي دعاهم إلى دخول الإسلام، ثم أعقب هذه الكتب بعث مؤتة، فكانت أول مناوشة حربية مع النصارى، وبعد انتقال الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى واصل خليفتاه من بعده أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) محاربة النصارى في الشام حتى تمكنت دولة الخلافة من نشر الإسلام وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، أما حرية ممارسة الدين فهي مكفولة لمن يعيش في ظل الحكم الإسلامي، لكن مقاتلة أهل الكتاب الذين يناهضون المسلمين ويحيكون المؤامرات لهم ويستذلونهم ويمنعون نور الإسلام من أن يستضي به من يريد هداية الله.. أمر مجمع عليه من قِبَلِ سلف هذه الأمة.

ثالثاً: لقد نُسب إلى الشيخ «القرضاوي» أنه قال: «لا مانع في الإسلام من أن يقف أتباع الديانات السماوية الذين يتبعون إبراهيم الخليل (عليه السلام) في خندق واحد، وقد يختلفون في بعض الأمور، لكن بينهم من الأصول المشتركة ما يجمعهم ضد الذين ينادون بوحدانية الدولار، ووحدة السوق، ويعتبرون أنه لا إله إلا المادة».

إن هذا القول يناقض أصول الإسلام وحقائق التوحيد التي جاء بها الإسلام، ومن هنا فلا بد من محاورة فضيلته ، وما نسب إليه من هذا القول لا يُقر عليه، وهو قول لم يكن من الممكن تصور صدوره من عالم فقيه من علماء المسلمين، وقبل مناقشة هذا القول لابد من إيضاح حقيقة أساس، وهي: أن أصل الدين الصحيح واحد منذ آدم (عليه السلام) وحتى رسولنا محمد ﷺ، وهو دين الإسلام ، فقد أكد القرآن هذه الحقيقة في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله (تعالى): **﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا**

١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، جـ١، ص ٣٤٦.

تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ – ١٣٢]، وقد أوضح القرآن الكريم تحريف اليهود للتوراة وتحريف النصارى للإنجيل، بحيث ابتعد اليهود والنصارى عن أصل الدين، فابتدع كل منهم دينًا جديدًا يختلف في أصوله وقواعده عن دين الإسلام، وبالتالي: فليست هناك أي أصول مشتركة بين الإسلام واليهودية والنصرانية فيما يتعلق بأصول الاعتقاد.

إن محاورة فضيلته فيما نسب إليه من هذا القول يتمثل في الآتي:

■ ذكره أن الديانات السماوية ـ والمقصود بها اليهودية والنصرانية والإسلام ـ كلها تتبع إبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، وبالتالي: فأتباعها يشتركون في ذلك، قول يخالف صريح القرآن الكريم، يقول (تعالى) في سورة البقرة: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠]، لقد علق ابن كثير على هذه الآية بقوله: «ثم أنكر (تعالى) عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم، إما اليهودية وإما النصرانية، فقال: ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، يعني: بل الله أعلم، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى»[1]، وقد ذكر ابن كثير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: «اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًّا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا، فأنزل الله (تعالى): ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥]»[2]، وفي سياق تفسيره لقوله (تعالى): ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ...﴾ [الحج: ٧٨] نسب ابن كثير لمجاهد قوله: «الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر؛ ﴿وَفِي هَذَا﴾: يعني: القرآن، وكذا قال غيره»، وقد

١) تفسير ابن كثير، جـ١، ص ١٨٨.

٢) تفسير ابن كثير، جـ١، ص ٣٧٢.

علق ابن كثير على ذلك بقوله: «قلت: وهذا هو الصواب؛ لأنه (تعالى) قال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول (صلوات الله وسلامه عليه) بأنه ملة أبيهم الخليل، ثم ذكر منته (تعالى) على هذه الأمة بما نوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء، يتلى على الأحبار والرهبان، فقال: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾، أي: من قبل هذا القرآن»، ثم أورد بعد ذلك حديث حارث الأشعري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثي جهنم، قال رجل: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟، قال: نعم، وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله»[(١)]، وعلى ضوء هذا الحديث النبوي: فلا ينبغي أن يطالب باجتماع اليهود والنصارى في خندق واحد؛ حيث إنهم ليسوا من أتباع إبراهيم (عليه السلام) كما رد الله عليهم في كتابه، وإن الاجتماع معهم إنما يتم وفق قوله (تعالى): ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

■ ليس هناك أصول مشتركة مع اليهود والنصارى، فهم مشركون كفرة، قد حكم الله عليهم بالكفر، وإن من يدرس التوراة والتلمود والأناجيل ليعرف معرفة تامة أن اليهودية والنصرانية قد انحرفتا عن دعوة موسى وعيسى (عليهما السلام)، وقد أوضح القرآن الكريم شرك كلا الديانتين بعد التحريف، وأن أتباعهما قد ضلوا، يقول (تعالى): ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا

١) تفسير ابن كثير، جـ٣، ص ٢٣٦.

﴿يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١]، فما هي الأصول المشتركة بين الإسلام واليهودية والنصرانية المحرفتين بعد توضيح أن اليهود والنصارى مشركون وأن أقوالهم تتفق مع أقوال المشركين.

إن الاختلاف بين الإسلام والنصرانية واليهودية اختلاف جذري وليس اختلافًا في بعض الأمور كما نُسب ذلك إلى فضيلة الشيخ «القرضاوي»، بل إن الاختلاف حاصل في حقيقة أصل الإيمان ومفهومه، حيث يفترق الإسلام عن المسيحية واليهودية.

■ الاختلاف بين الإسلام واليهودية اختلاف لا يشمل فقط أصل الاعتقاد، بل يشمل الشرائع والحلال والحرام والأخلاق.. وغير ذلك، فاليهود كما ذكر «ابن تيمية»: «يُشَبهون الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق، التي يجب تنزيه الرب (سبحانه) عنها، كقول من قال منهم: إنه فقير، وإنه بخيل، وإنه تعب لما خلق السماوات والأرض.

والنصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التي ليس له فيها مثل، كقولهم: إن المسيح هو الله، وابن الله، وكل من القولين يستلزم الآخر، والنصارى أيضًا يصفون اللاهوت بصفات النقص التي يجب تنزيه الرب عنها، ويسبون الله سبًّا ما سبه أياه أحد من البشر... واليهود تزعم أن الله يمتنع منه أن ينسخ مما شرعه، كما يمتنع ما لا يدخل في القدرة، أو ما ينافي العلم والحكمة، والنصارى يجوِّزون لأكابرهم أن ينسخوا شرع الله الذي بعث به رسله، فيحللوا ما حرم، كما حللوا الخنزير وغيره من الخبائث، بل لم يحرموا شيئًا، ويحرمون ما حلل، كما يحرمون في رهبانيتهم التي ابتدعوها وحرموا فيها من الطيبات ما أحله الله، ويسقطون ما أوجب، كما أسقطوا الختان وغيره، وأنواع الطهارة من الغسل وإزالة النجاسة وغير ذلك، ويوجبون ما أسقط كما أوجبوا من القوانين ما لم يوجبه الله وأنبياؤه ... واليهود بالغوا في اجتناب النجاسات وتحريم الطيبات، والنصارى استحلوا الخبائث وملابسة النجاسات»[1].

١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، جـ٢، ص ٥٢، ٥٣.

تنبيه مهم:

■ قد يُستدل ببعض الآيات الواردة في القرآن عن علاقة أهل الكتاب بالمسلمين وأن الإسلام مدحهم في بعض آيات القرآن، فمن ذلك قوله (تعالى): ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤]، وقد علق «ابن تيمية» على هذه الآية بقوله: «فهذه الآية لا اختصاص فيها للنصارى، بل هي مذكورة بعد قوله (تعالى): ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ... ﴾ [آل عمران: ١١٠]»، إلى أن قال: «والآية إذا تناولت النصارى كان حكمهم في ذلك حكم اليهود، والله (تعالى) إنما أثنى على مَن آمن من أهل الكتاب، كما قال (تعالى): ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ... ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وقد ذكر أكثر العلماء أن هذه الآية الآخرى (في آل عمران) نزلت في النجاشي ونحوه ممن آمن بالنبي ﷺ، لكنه لم تمكنه الهجرة إلى النبي ﷺ، ولا العمل بشرائع الإسلام؛ لكون أهل بلده نصارى لا يوافقونه على إظهار شرائع الإسلام، وقد قيل: إن النبي ﷺ إنما صلى عليه لما مات لأجل هذا..» [1].

ومن الآيات التي تثير الأشكال في أذهان بعض الناس: قوله (تعالى): ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢]، فقد يستدل بهذه الآية بأن أفعال النصارى حسنة، وأن الله نفى عنهم الشرك بقوله ﴿ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ أشد الناس عداوة للذين آمنوا، والذين قالوا إنا نصارى أقربهم مودة، لقد رد «ابن تيمية» (رحمه الله) على من احتج

١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، جـ١، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

بهذه الشبه بقوله: «والجواب أن يقال: تمام الكلام: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ...** ﴾ [المائدة: ٨٣] فهو (سبحانه) لم يعد بالثواب في الآخرة إلا لهؤلاء الذين آمنوا بمحمد ﷺ الذين قال فيهم: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾، والشاهدون هم الذين شهدوا له بالرسالة، فشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهم الشهداء الذين قال فيهم: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣]»[١]، «فإن كان دينهم حقًّا لزم كفر اليهود، وإن كان باطلاً لزم بطلان دينهم، فلا بد من بطلان أحد الدينين، فيمتنع أن تكون الآية مدحتهما وقد سوت بينهما، فعلم أنها لم تمدح واحداً منهما بعد النسخ والتبديل، وإنما معنى الآية: أن المؤمنين بمحمد ﷺ، والذين هادوا: الذين اتبعوا موسى (عليه السلام) ـ وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل ـ، والنصارى: الذين اتبعوا المسيح (عليه السلام) ـ وهم الذين كانوا على شريعته قبل النسخ والتبديل ـ، والصابئين ـ وهم الصابئون الحنفاء ـ كالذين كانوا من العرب وغيرهم على دين إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق قبل التبديل والنسخ، فإن العرب من ولد إسماعيل وغيره الذين كانوا جيران البيت العتيق الذي بناه إبراهيم وإسماعيل كانوا حنفاء على ملة إبراهيم إلى أن غير دينه بعض ولاة خزاعة... وكذلك بنو إسحاق ـ الذين كانوا قبل مبعث موسى متمسكين بدين إبراهيم ـ كانوا من السعداء المحمودين.. فهؤلاء الذين كانوا على دين موسى والمسيح وإبراهيم ونحوهم هم الذين مدحهم الله (تعالى)»[٢].

١) المرجع السابق، جـ٢، ص ٥٥ ـ ٥٦.

٢) المصدر نفسه، ص ٦٢ ـ ٦٣.

منتدى القراء

الرد على شاتم الرسول ﷺ

بقلم : مبارك عامر بقنه

عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ :«يكون دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم قوم من جلدتنا، يتكلمون بالسنتنا» [1].

الحديث يخبر عن أمر غيبي، وهو من معجزات النبي ﷺ الدالة على صدق ما يقوله ويخبر به من أمر الغيب؛ فها نحن نرى اليوم أناساً يتكلمون بالسنتنا، ويلبسون زيّنا، ويعيشون بيننا، يدْعون بكل أسلوب وبكل طريقة إلى القدح في هذا الدين؛ بل والشتم في صاحب هذه الدعوة الخالدة رسول الله ﷺ.

بالأمس القريب كان الشتم بلسان أعجمي[2]، واليوم بلسان عربي [3]، قد طرح لباس التقوى، وجلباب الحياء، وجنّد نفسه لمحاربة هذه الدعوة الخالدة، فلا إيمان يردعه، ولا احترام أو أدب أو حبًّا للرسول يمنعه، ولا خوفًا من عقوبة يوقفه.

وإنني والله لأعجب أشد العجب؛ كيف يجرؤ مسلم على وجه الأرض أن يقول: إن محمداً ﷺ «قد فشل في دعوته» ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ [الكهف: ٥].

هذا النبي الذي اصطفاه الله، ورفع من قدره، وجعله خير خلقه.. فاشل؟، إن هذا لشيءٌ عُجاب، فوالله ما سمعنا بهذا من قبل، إن هذا إلا اختلاق، إن كان محمد قد فشل في دعوته، فمن ذا الذي قد نجح في دعوته إذن؟، **وتوضيحاً لخطأ وخطر هذه الدعاوى غير المسؤولة، أقول وبالله التوفيق:**

إن هذا الكلام الباطل يلزم منه إلزامات كثيرة، أذكر بعضاً منها:

أولاً: القدح في الله (عز وجل)؛ لأن الله يقول: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فكيف يكون لنا أسوة في رجل فاشل في دعوته؟؛ ثم يكتم الله ذلك ولا يبينه لنا، ولا يعاتب نبيه، ولا يبين الأسلوب الأمثل في الدعوة، فهذا يخالف الحق ويخالف قول الله (تعالى): ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٦].

ثانياً: القدح في الرسول الكريم ﷺ قدح في عقله وعلمه؛ لأن الغالب أن الفشل يأتي نتيجة نقص في العقل والعلم، حيث لا يتصرف بحكمة وعلم، ولا يعرف أفضل الطرق في الدعوة، وعليه:

---

١) رواه البخاري، ح/٧٠٨٤، ومسلم، ح/١٨٤٧، واللفظ له. ٢) كسلمان رشدي.

٣) وهذا المقال رد على د. سليمان البدر في مقالته (الرسول فشل تاريخيًّا، ونجاحه دينيًّا) والذي نشره في جريدة (الأنباء) الكويتية، بتاريخ ٩/١٢/١٩٩٦م.

فابتلاؤه (عليه الصلاة والسلام) وتلقيه الأذى من قومه كان نتيجة عن أخطاء ارتكبها الرسول ﷺ في دعوته لقومه، وهذا باطل في حقه لأنه مسدد بالوحيين.

ثالثاً: الطعن في الرسول طعن في الدين، فمن فشل في دعوته يكون فاشلاً في نقل الرسالة وتبليغ الناس ما أمر الله (عز وجل)، وهذا خلاف الواقع.

رابعاً: القدح في نجاح دعوته ﷺ قدح في أصحابه؛ لأن إذا كان صاحب الرسالة ـ وهو القدوة المتبع ـ قد فشل، فمن باب أولى أن يلحق الفشل بالصحابة والتابعين وكل من اتبعه.

خامساً: عذر المشركين والكفار بعدم استجابتهم للرسول ﷺ، حيث إن الرسول ﷺ قد فشل ـ بزعمه ـ في إظهار محاسن الإسلام كاملة، ولم يحسن الدعوة، فكان لهم الحق في عدم اتباعه وهذا لا يقول به مسلم.

سادساً: جهل أمة محمد ﷺ من عهد الصحابة إلى عهد هذا الرجل، حيث لم يلحظوا هذه الدعوى حيال النبي ﷺ، فلم يُذكر أن أحداً من أمة محمد ﷺ ادعى فشل النبي ﷺ في دعوته، وإن كان ما يقول المذكور حق فإنه يلزم من ذلك جهل أمة محمد ﷺ، أو أنهم قد علموا ذلك ولكن تواطؤوا على كتمانه.

هذه بعض الإلزامات والحقائق، التي بعضها يخرج من الدين، فكيف بها كلها؟!.

وإنني أريد أن أسأل الدكتور: هل ترضى أن يقول لك أحد إنك رجل «فاشل»؟ الجواب: معروف، لأنه ليس هناك أحد يريد أن ينسب إلى الفشل حتى ولو كان فاشلاً، فكيف ترضى بأن ينسب الرسول ﷺ إلى الفشل؟.

ألم تعلم أن الله قد عاتب قوماً رفعوا أصواتهم عند رسول الله ﷺ وحذرهم من أن تحبط أعمالهم، فقال (عز وجل): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾[الحجرات: ٢]، والله للذي قلت لهو أشد من رفع الصوت عند رسول الله ﷺ، أفلا تخشى أن يحبط الله عملك؟!.

وقولك: إنه قد فشل في دعوته، كلام باطل يرده الواقع؛ فلو كان قد فشل في دعوته لما بَقِيَت إلى هذا الزمان، ولما انتشرت في جميع أنحاء المعمورة، بل إنه قد تجاوز أتباعه المليار من المسلمين، فهل هذا يسمى فشل!!.

ولا يقتضي الأمر من عدم دخول قريش في الإسلام في بداية الدعوة فشل الرسول ﷺ في تبليغ الرسالة ودعوتهم إلى الله، كلا والله؛ لأن أساس الدعوة إلى الله هي البلاغ وليست إلزام الناس وإرغامهم على الدخول في دين الله، وكونهم لم يستجيبوا للرسول فهذه حكمة الله وإرادته وليس فشلاً من النبي ﷺ، ولو كنت تمارس الدعوة إلى الله لعلمت ماذا تعني الدعوة ولما تجرأت وتفوهت بما تقول، ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي الختام: لا أريد أن أطيل، فالأمر بيّن ولا يحتاج إلى إطالة، فالعدو يشهد قبل الصديق ببراعة ونجاح الرسول ﷺ في دعوته، ولا ينكر هذا إلا معاند، ألم يأن لهؤلاء أن يحترموا عقيدتنا، وإن يلجموا ألسنتهم عن نبينا، وأن يتركوا الطعن والقدح في ديننا من خلاله، وليسلكوا باباً آخر للشهرة، علّهم يجدون بغيتهم.

نبذة عن العلامة عبد الله بن زيد آل محمود (رحمه الله)

بقلم : علي بن عبد العزيز الشبل

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»، قاله ﷺ في حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) في الصحيحين، ولذا قال أبو عبد الله الشافعي (رحمه الله):

إذا ما مات ذو علم وتقوى ... فقد ثُلمت من الإسلام ثُلمة

فإنه بموت العلماء يستحكم الجهل، ويتقاصر الزمان ليبلغ آخره، إيذانًا بقيام الساعة؛ لأن موت العلماء زوال للعلم، ورفع العلم عَلَم من أعلام النبوة على قرب الساعة، لما في الصحيحين من حديث أنس (رضي الله عنه) مرفوعًا: «من أشراط الساعة».

ولقد رزئ المسلمون بعامة، وأهل الخليج بخاصة بموت ركن من علمائهم، وأحد أعمدة القضاء الشرعي، لبث قائمًا به أكثر من خمسين حولاً.

إنه الشيخ القاضي الفقيه «عبد الله بن زيد آل محمود» رئيس المحاكم الشرعية بقطر والذي توفاه مولاه في أواخر شهر رمضان الماضي.

ولد الشيخ عبدالله سنة ١٣٢٩هـ بحوطة بني تميم جنوب الرياض، من أسرة من كرائم أسر بلده، ثم توجه إلى طلب العلم، فبدأ بالقرآن، فحفظه وهو صغير، ثم شغف بالعلم مع ما وهبه الله من استعداد ذهني، حيث فاق زملاءه في الطلب، وتقدم إمامًا على جماعته في الصلاة والتراويح، ولم يتجاوز السادسة عشرة!.

وقد وفق بالدراسة على أئمة الدعوة السلفية في زمنه، فأخذ عنهم العلم الشرعي، ومنهم:

١ ـ مفتي الديار السعودية العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ت:١٣٨٩هـ).

٢ ـ العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع (ت: ١٣٨٥هـ).

٣ ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري (ت: ١٣٨٧هـ)، وهو الشهير بأبي حبيب.

٤ ـ الشيخ عبد الملك بن الشيخ إبراهيم بن عبد الملك بن حسين آل الشيخ .

نبوغه في العلم : ومن شواهد نبوغ الشيخ ابن محمود: استظهاره للمتون الشرعية في مناهج الدعوة السلفية، ومنها :

ـ **في العقيدة**: الأصول الثلاثة، وكشف الشبهات ، وكتاب التوحيد، للشيخ «محمد بن عبد الوهاب»، والواسطية، لشيخ الإسلام «ابن تيمية».

ـ **وفي الحديث**: بلوغ المرام، للحافظ «ابن حجر»، وعمدة الحديث، للحافظ «عبد الغني المقدسي» .

ـ **وفي أصول الحديث** : ألفية الحديث، «للسيوطي».

ـ **وفي الفقه** : آداب المشي إلى الصلاة، واختصار المقنع الشهير «بزاد المستقنع»، ونظم المقنع لابن عبد القوي أو مختصره.

ـ **وفي العربية** : الأجرومية ، وقطر الندى، ونظم المفردات.

وتلكم هي ركيزة العلم التي عليها تدور معالم فياض العلم في ابتداء الطلب .

ولما رحل الشيخ «محمد بن مانع» من قطر ، شغر مكانه فيها ، فرشح له تلميذه النجيب الشيخ «عبد الله بن محمود»، بمباركة من الملك «عبد العزيز آل سعود» والشيخ «عبد الله آل ثاني»، فتوجه الشيخ إليها بعد حج سنة ١٣٥٩ هـ قاضيًا ومفتيًا وعالـمًا، ولم يزل فيها إلى أن توفي، مع تردده إلى مسقط رأسه ومرتع صباه (الحوطة) جنوب مدينة الرياض.

فسدّ مكانه في قطر بقيامه بالقضاء الشرعي وتأسيس نظامه، وبث العلم ، والمنافحة عن العقيدة، وله أكثر من ثلاثين رسالة في فنون من العلوم الشرعية والرد على بعض المنحرفين، جمعت في ثلاثة مجلدات، وكانت له آراء محل حوار مع بعض إخوانه من علماء السعودية، أمثال الشيخ «عبد الله بن حميد»، والشيخ «عبد العزيز رشيد».

وقد تم أجله وانتقل إلى مثواه الأخير في ٢٨ / ٩ / ١٤١٧هـ عن نحو (٩٠) عامًا.

فما أجدرنا أن نقف عند تجارب العلماء وأساليب اجتهاداتهم؛ لنستلهم منهم الأسوة في العلم والعمل، ونسلك طريقهم؛ حتى نسعد بسلامة المنهج وحسن المقصد . فاللهم اغفر له وارفع درجته ووالديه وعلماء المسلمين، وزكِّ عقبه وتلاميذه ومحبيه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نَعَم .. جاء العيد

شعر : فيصل المشرقي

في هذا الجوّ المشحون بالأحداث والأعاصير ـ كما وصفه الأخ علي بن جبريل في قصيدته ـ وحينما جاء العيد ، صاح فتى من الشيشان وهتف إلى الأمة الإسلامية بأن النصر قريب ، وقد تلوح ملامحه تبدو من خلال انتصار الشعب الشيشاني .

وهذه الأبيات جذوة أمل في هذا الليل المظلم ، واستثناء من قصيدة الأخ الكريم .

«عيد بأية حال عدت يا عيد» ... شيشان بالنصر عمّتها الزغاريدُ

وعمت الفرحة الكبرى مرابعها ... أصيلة الوجه تزجيها التغاريدُ

الحزُن ولّى فلا عادت ملامحه ... «يا ليت دونك بيداً دونها بيدُ»

يا عالم الأمس اليومَ قد رجعت ... أيامنا الغرّ، لا ليلاتك السّودُ

في فتية قال يوم الرّوع فارسهم ... غداً تعود.. فوافته المواعيد

هَبّوا إلى الحرب لا ميل ولا كُشُف ... وجنّحوا لسلام حينما نودوا

شيشان حيّتك من هذي الورى مُهَجٌ ... تفديك بالروح لو عاداك عربيد

فيك السلام وفيك الحبّ، جَمّلهُ ... سماحةُ الوجه والإيمانُ والجود

ترابك التبر لولا أنه ذهب ... وأهلك الناس لولا أنهم صيدُ

الآن يا ريم لا ذئبٌ ولا أسدٌ ... فامرح بأرضك إن الوصل ممدود

ويا نسائم لا عادتك عاصفة ... ولا أتاك كئيب الوجه رِعديد

أطياب «منشم»[1] قد ضاعت روائحها ... وزال من فوق وجه الأرض صِنديد

فلتهنؤوا شهداء الدين إن لكم ... جنات عدن وفيها الطلح منضود

«عيد سيعدٌ نَعَم لو أمتي انتصرت» ... وشاع في الأرض إيمانٌ وتوحيد

عذراً «لجبريل»[2] لم أقصد مخالفةً ... «أما وأمّتُنا ثكلى فلا عيد»

---

١) امرأة عطارة كانت تبيع الحنوط بمكة، وكان العرب يتشاءمون منها، والمقصود بأطيابها هنا آثار الموت والخراب .

٢) الأخ علي بن جبريل صاحب قصيدة (وجاء العيد) في عدد البيان (١١٠).

شاعر الخليفة.. والصحافة العربية!

بقلم : أحمد بن عبد الرحمن الصويان

تهتم وسائل الإعلام العالمية بالتجديد والتنويع لجذب القراء وتشويقهم، أما الأبواق العربية فقد أخذت بطرف من هذه الفكرة سبيلاً للتغير والتلون، فما يكون صحيحًا وفتحًا كبيرًا في هذا اليوم، يكون باطلاً وعملاً لا قيمة له في الغد، فلا توجد ثوابت منطقية أو إعلامية، فكل شيء متحول ومتجدد إلا (الرغبات السياسية) . . !.

الكاتب يُعدّ قوميًا في هذه السنة، وطنيًا في السنة الأخرى، ثوريًا في الثالثة . . وصل بعض هؤلاء الكتاب إلى قمة الإبداع في التزوير وقلب الحقائق، فالكاتب المتمكن هو الأقدر على الكذب والتلفيق، وتسمية الأمور بغير مسمياتها . . !!.

حرب ١٩٦٧م ليست هزيمة، بل هي نكسة . . بل انتصار عظيم؛ لأن الزعيم العربي الملهم! لا زال على عرشه، عاضًا عليه بالنواجذ . . !.

« بيريز » الأمس مجرم سفاك إرهابي . . أما « بيريز » اليوم فهو حمل وديع وطفل بريء محب للحرية والسلام . . !.

(إسرائيل) الدولة الصهيونية المحتلة المغتصبة . . أصبحت بين عشية وضحاها دولة عضو في هيئة الأمم المتحدة، لها ـ كما لغيرها! ـ الحق في أن تعيش بسلام مع جاراتها الصديقات . . ! .

الثابت الوحيد الذي لا يتغير بتغير الأقنعة والشعارات، ولا يتبدل بتبدل المصالح والتقلبات النفعية، هو الهجوم على الإسلاميين.. المتطرفين .. الإرهابيين..(!!).

ولعلَّ بعض الكتبة في صحافتنا العربية من أحفاد ذلك الشاعر الفاطمي الذي رأى الزلزال يهز مصر، فتتساقط الضحايا، وتهدم الممتلكات، ويعم الخوف والهلع.. فتجود قريحته الإعلامية بأبيات خاطب فيها الخليفة.. قال فيها:

ما زلزلت مصر من خطب ألمَّ بها ... لكنها رقصت من عدلكم طربا..!

فلعل زلزال ١٩٩٢م في مصر كان ناتجًا من كثرة المتفجرات والقنابل اليدوية التي يحتفظ بها الأصوليون في إمبابة وأسيوط..!!.

وصدق الصادق المصدوق ﷺ : «إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت» [1].

---

١) أخرجه البخاري، ك/ الأدب، ب/ ٧٨، وكذا: أبو داود، وابن ماجة، واحمد بن حنبل.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

حين ينطق الحجر

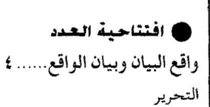
منذ قيام حكومة الليكود (التجمع الصهيوني المتطرف)، وهي تستفز مشاعر الأمة الإسلامية جمعاء، وتستهتر بالرأي العام العالمي كافة، وعلى الرغم من توقيع اتفاق (أوسلو) وما تبعه من لقاءات أعطت الفلسطينيين ما يسمى بالحكم الذاتي (الهزيل)، الذي سبق وأن قلنا إنه مجرد لعبة يهودية كلعبة «الكامب» ولعبة «وادي عربة» فيما بعد للاستفراد بالدول العربية واحدة واحدة من ناحية، وإدخال العدو في جسم الأمة من ناحية أخرى، ولإعطائه شرعية يستغل فيها قوى الأمة بعد تعطيل المقاطعة معه وليقوي اقتصاده على حسابها.

إن بناء مستعمرة (أبو غنيم) ليس سوى استمرار للسياسة الاستيطانية الثابتة مع مخالفتها لكل الاتفاقات التي وقعها «الليكود» ليقرر في النهاية بهذه المستعمرة استكمال الحصار وتطويق القدس بسلسلة من المستوطنات بلغت العشر، عزل بها المدينة المقدسة وأهلها عن باقي أبناء الشعب الفلسطيني، لتصبح القدس العاصمة الموحدة لهم، ويتعذر معها أي حل سياسي لتقسيمها أو طرحها على طاولة المفاوضات.

إن الشعب الفلسطيني المغلوب على أمره عاد بعد بناء تلك المستعمرة إلى الحجارة؛ ليؤدب يهود ويزرع فيهم الخوف والقلق الذي ينعكس سلباً على واقعهم الحياتي، وهي ها حكومة «نتن ياهو» تترنح، وها هو يطالب بحكومة ائتلافية، وربما تسقط حكومته بالفعل.

لقد نطق الحجر من جديد في يد شباب فلسطين المسلم الذي وقف ضد إرهاب الليكود ومن يدعمه، فهل نعين إخواننا في فلسطين بالدعم الحقيقي أم نكون عوناً لليهود ضد إخواننا بالضرب على أيديهم تحقيقاً لرغبة الصهاينة في إبعاد شباب الإسلام من المواجهة.

في هذا العدد :



■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢
الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨
قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠
مصر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .
المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤
السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ، الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .
اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .
البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١,٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهًا ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة .
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

على أعتاب العام الثاني عشر

واقع البيان وبيان الواقع

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان والأكملان على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فنحمد الله المستحق للحمد، ونشكره (تعالى) على ما هدانا إليه من نعمة الإسلام والتوفيق لقول كلمة الحق، ونشر منهج الصدق، والتحذير من سبل الباطل: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فبهذا العدد (١١٣) تدخل مجلة البيان سنتها (الثانية عشرة) وهي عاقدة العزم على الاستمرار فيما انطلقت منه، بالعض بالنواجذ على ما دعت إليه منذ عددها الأول الصادر في غرة ذي الحجة ١٤٠٦هـ، والذي أكدت فيه إشعار إخواننا في الدين وأشقائنا في الهدف إلى أن هذه المجلة قد قامت على أسس راسخة ومنطلقات ثابتة، ونؤكد على الخطوط العريضة لها المتمثلة فيما يلي:

- أننا دعاة إلى الله، نحرص على اتباع الوحيين، ونعمل جاهدين على السير وفق نهج سلفنا الصالح في القرون المفضلة ومن تبعهم بإحسان.
- نتبنى عقيدة أهل السنة والجماعة ونسير على منهجهم في التلقي، بعيداً عن غلو الغالين وانحراف المبطلين.



- نتلمس هموم الأمة ومشكلاتها في المشرق والمغرب، ونسعى لتعريف الناس بها ومعالجتها ـ قدر الطاقة ـ بعمق واتزان.



- نحرص على معالجة انحرافات الأمة من منظور شرعي راسخ، ونتجنب التهويل والتهوين.
- ندعو إلى الشمول في طرح الإسلام المتكامل عقيدة وعبادة ومنهج حياة.
- نضع أيدينا في أيدي كل المخلصين العاملين في سلك الدعوة إلى الله على

بصيرة، فلسنا لسان حزب أو دعاة طائفية أو إقليمية.

• نمقت العمل الارتجالي والنهج الفوضوي، ونرى في السيرة النبوية ومنهج الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) أسلوبًا أمثل لتوصيل رسالة الإسلام للناس كافة.

وربما نقصر أو نخطئ .. ولكننا نفتح قلوبنا لتقبل النصح والتوجيه والتصحيح، وقد وضعنا استبانة في عدد سابق للمساعدة في تحقيق هذا الهدف.

وقفة مهمة:

حقيقة ثابتة يجب أن نعيها ونعلمها علم اليقين: أن الإعلام الإسلامي اليوم لم يواكب النهضة الحضارية التي نعاصرها وينبغي أن تمر بها جل ديار الإسلام، ولا نكون مغالين لو قلنا إن تخلفنا الإعلامي هو نتيجة طبيعية لتخلف واقعنا الحضاري .. بل هو ثمرة للتناقض المرير الذي نعيشه في كثير من ديار الإسلام بين ما تدعيه دساتيرها من اعتبارها دولاً مسلمة وأن الإسلام فيها (مصدر من مصادر التشريع!!)، بين ذلك والواقع البائس لها نتيجة تنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم، حتى لم يبق منها سوى (أطلال الأحوال الشخصية) التي تتعرض بين وقت وآخر لموجات التطوير والمسخ والتحريف، لمواكبة الغرب والشرق في اتجاهاتهم المادية والليبرالية، حتى إنه ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ شُرِّع منع تعدد الزوجات في دستور إحدى الدول العربية، ويجرّم من يفعل ذلك، في الوقت الذي يعتبر الزنا الصريح برضا الطرفين حرية شخصية، فأي تناقض أكبر من هذا؟، (إنا لله وإنا إليه راجعون).

ـ ومن صور التناقض العجيب الذي نلمسه ونشاهده: تقنين منع الاتجاه الإسلامي بوصفه أحد المنطلقات الفاعلة في المجتمعات المسلمة بدعاوى غريبة وعجيبة، مثل: الادعاء بأن الاتجاه الإسلامي للجميع وليس لفئة دون غيرها، فضلاً عما ينسب للاتجاهات الإسلامية من ضلوع في التطرف والإرهاب، نعم.. قد تحصل من بعض المنتسبين للتيار الإسلامي مخالفات ومآخذ، لكن ليس من العدل تعميم ذلك على كل منتمٍ لهذا التيار، فهذا ظلم ولا يصح لمن يتحرى العدل أن يقع فيه، فلماذا يباح الرأي لفئات معينة من المجتمع دون غيرها؟.

لكن الهدف معروف سلفًا، وهو الضرب على وتر خاص، والتأكيد على

واقع البيان
وبيان الواقع

نهج بعينه، ثم تكرار القول حياله ـ حتى ولو بالباطل ـ إلى أن يصبح حقيقة مقررة في النفوس، وهذا ما علمهم إياه كبيرهم الذي علمهم الإفك، حينما قال: «اكذب.. اكذب حتى يصدقك الناس».

ويُرَد على هذه الادعاءات الباطلة والدعاوى الكاذبة بأن الاتجاهات المقبولة لديهم بكافة منطلقاتها ليست حكرًا على أهلها وذويها دون غيرهم، لكن الهدف المقصود لم يعد خافيًا على أي متابع، وهو مصادرة الإسلام ذاته، وتجريم دعاته، وتحجيم تأثيره في المجتمع؛ ليبقى الحاكمون بأمرهم هم السادة والممسكون بأزِمَّة الأمور، فعلى أمتنا بكافة فعالياتها معرفة تلك المؤامرة وكشفها للجميع.

ومما يؤسف له: أن دعاة الإسلام في جل ديارهم لم يستطيعوا استغلال الإعلام استغلالاً صحيحًا، ولم يستفيدوا من معطياته الاستفادة المرجوة؛ لأسباب، منها:

* ضعف الإمكانات البشرية والتقنية، مما ينعكس سلبًا على الأداء الإعلامي لديهم؛ الذي لم يعد له مجال سوى ما هو مقروء فقط، وتبعًا لحدود معينة؛ مما أفقد الدعاة إلى الله أساليب فاعلة في إيصال دعوتهم ومنهجهم إلى الناس كافة.

* النزعات الحزبية الضيقة التي ترى في نفسها أنها نسيج وحدها وما عداها لا قيمة له، لمجرد مخالفتها في الاتجاه.

* ويتبع ذلك: الانغلاق على الذات والعمل في المحيط الإقليمي، والترفع عن المحاسبة والنقد الهادف، مما جعلها لا تستفيد من تصويبات الآخرين، وبالتالي: السقوط في عقدة التعالي والترفع عن مراجعة الخطأ ،وهذا هو الخطأ بعينه.



* محاولة هدم جهود الآخرين والوصول إلى الطعن في النيات بدعاوى ما أنزل الله بها من سلطان، ومنها : تصنيف الناس والادعاء عليهم بالزور والبهتان لمجرد الخلاف معهم في الرأي، إلى أن يصل الأمر إلى البحث عن الزلات وتتبع العثرات، بينما الكفار والمبتدعة بمنجاة عن تتبعهم وكشف أخطائهم ، فهذا ـ والله ـ أمر عجيب، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

أيها الأحبة: كم نحن بحاجة ماسة إلى وقفة محاسبة لنا معشر العاملين في

حقل الإعلام الإسلامي، والتعاون على وضع ما يمكن تسميته (ميثاق شرف)؛ لتأصيل منهجنا الإعلامي في الحياة، وبيان السبل الصحيحة لإيصال الدعوة الإسلامية للناس كافة، طبقاً للآداب الإسلامية والأخلاق الربانية، بعيداً عن النزعات الفئوية والمناهج الحزبية والتوجهات الطائفية، بل انطلاقاً من مثل قوله (تعالى): ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

نعم.. طرحت رؤى وأفكار في هذا الباب، سواء في أطاريح رسمية أو دراسات علمية، لكنها لا تخلو من مآخذ وسلبيات.. والميثاق الذي ندعو إليه ـ بالإضافة إلى الأسس المنهجية الشرعية التي أومأنا إلى شيء منها ـ يلزم أن تتجلى فيه السمات التالية:

ـ أن يكون منهاج دعوة إلى الأخوة الإسلامية التي تربط المسلمين بعقيدتهم الصحيحة، لقوله (تعالى): ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، والتحذير من كل الاتجاهات المنحرفة من التغريب الاجتماعي والعلمنة الفكرية والانحرافات العقدية والغلو الديني.

ـ لا خلاف فيما ورد فيه نص شرعي محكم، والخلاف وارد في المسائل الفرعية، ولذا: ندعو إلى جمع الكلمة ووحدة الصف ونبذ الاختلاف وما ينطوي عليه من حقد وكراهية وبغضاء.

ـ لا يمكن بحال من الأحوال الشماتة بإخواننا في العقيدة ومناصرة أعدائهم لمجرد الخلاف في الرأي..



إننا بهذه المناسبة الطيبة ندعو أصحاب الفضيلة مشايخنا العلماء وإخواننا الدعاة والمفكرين.. إلى مشاركة (البيان) في إيصال دعوة الحق للناس ونشر الفضائل ونبذ الرذائل، والعمل على المزيد من التواصل لكشف مخططات أعداء الإسلام وتعريف الناس بالإسلام كله.

والله نسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .

آثار التعبد بأسماء الله وصفاته

بقلم: محمد بن عبد الله الزغيبي

دراسات شرعية

تمهيد :

إن البحث في أسماء الله وصفاته ـ وفق ما جاء في الكتاب والسنة ـ هو من أجلّ المعارف وأشرفها.

ولن نتعرض في هذا البحث المتواضع لكل ما يتعلق بالأسماء الحسنى [١]، ولكننا سنعرض لجزئية صغيرة، ولكنها مهمة وعظيمة، ألا وهي التعبد[٢] بأسماء الله وصفاته الحسنى، فإنه باب عظيم يضم بين جوانبه مسائل من التعبد، فمنها: إحصاء ألفاظها وعددها، وكذلك : الدعاء بها، وثالثها : ما نحن بصدده، وهو فهم معانيها ومدلولها [٣] .

وفهم معانيها ومدلولها له مترادفات أخرى ذكرها ابن القيم في ثنايا كتبه، وهي : إدراك موجبها، وآثارها، ومقتضياتها، ومتعلقها، ولوازمها، وأحكامها.. فكل هذه المترادفات المتقاربة تعني التعبد لله بأسمائه وصفاته، إذ كل اسم له تعبد مختص به علماً ومعرفة وحالاً، وله صفة خاصة، وكل صفة لها مقتضى وفعل، إما لازم، وإما متعدٍّ، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه، وهذا في خلقه، وأمره، وثوابه، وعقابه، وكل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها.

---

١) هناك كتب أفردت لذلك من بعض المعاصرين، فمنها: القواعد المثلى، للشيخ محمد العثيمين (حفظه الله)، وأسماء الله الحسنى، لصالح الغصن، وصفات الله (تعالى)، لعلوي السقاف، وهو غير ذلك السقاف القبوري المتمشعر المدعو «حسن السقاف».

٢) للتحقيق في هذه اللفظة راجع: بدائع الفوائد ، ١/ ١٨٠ ـ ١٨١ ، دار المؤيد .

٣) بدائع الفوائد ، ١/ ١٦٤ .

ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال.

فمثلاً اسم «السميع» من أسماء الله الحسنى، ولا بد من إثبات حكمه ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، ويسمع ضجيج الأصوات، على اختلاف اللغات.. وإدراك هذا الأثر من اسمه (تعالى) يورث العبد حالاً من التعبد والمراقبة والإنابة إلى ربه (سبحانه وتعالى).

واعلم أن التعبد بالأسماء والصفات الحسنى درجات ومراتب وأنواع كما سبق، وكلما زاد علم العبد بالله (جل وعلا) ارتفع في درجة التعبد، وأكمل الناس عبودية هو المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه «القدير» عن التعبد باسمه «الحليم» «الرحيم»، أو يحجبه عبودية اسم «المعطي» عن عبودية اسم «المانع»، أو عبودية اسم «الرحيم» و«العفو» و«الغفور» عن اسمه «المنتقم»، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللطف والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء.. ونحو ذلك.

وهو (سبحانه) يحب موجب أسمائه وصفاته، فهو عليم ويحب كل عليم، جواد يحب كل جواد، عفو يحب العفو وأهله، حيي يحب الحياء وأهله، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، حليم يحب أهل الحلم[1]، وإذا كان (سبحانه) يحب المتصفين بأثر صفاته فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف، وهو ما يسمى بالمعية الخاصة.

إن معرفة معاني الأسماء والصفات يحقق آثاراً ظاهرة لمن تعبَّد لله بها، ومن هذه الآثار:

١ ـ الأنس بالله ولمُّ شعث القلب:

«وذلك إنما هو أثر تجلي الأسماء والصفات الحسنى على قلب العبد، فترتفع

١) تهذيب مدارج السالكين، ص٢٢٢، وللاستزادة انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (حفظه الله)، ١/١٣٨.

حجب الغفلة والشك والإعراض، ويتم استيلاء سلطان المعرفة على القلب وقد استولى على العبد نور الإيمان بالأسماء والصفات ومعرفتها، ودوام ذكرها، والنظر إلى الواحد الفرد، الأول فليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء، سبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا فوق كل شيء بظهوره، وأحاط بكل شيء ببطونه»[1].

«وإذا بلغ العبد في مقام المعرفة إلى حدٍّ كأنه يكاد يطالع ما اتصف به الرب (سبحانه) من صفات الكمال ونعوت الإجلال، وأحست روحه بالقرب الخاص، حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وقلبه وبين ربه، فإن حجابه هو نفسه، وقد رفع الله عنه ذلك الحجاب بحوله وقوته، فأفضى القلب والروح حينئذ إلى الرب، فصار يعبده كأنه يراه»[1].

٢ ـ تعظيم الله (سبحانه وتعالى):

فمن شاهد الصفة فلا بد أن يشاهد متعلقاتها، فإن النظر في متعلقاتها يكسب التعظيم للمتصف بها.

فمن شاهد صفة الكلام مثلاً زادته تعظيماً لله (تعالى) ولا بد، إذ لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر، وأشجار العالم كلها أقلام يُكتب بها كلام الرب (جل جلاله) لفنيت البحار ونفدت الأقلام، وكلام الله (عز وجل) لا يفنى ولا ينفد، فمن شاهد الصفات الأخرى بمثل هذه المشاهدة من العلم والقدرة ونحوها، وجال قلبه في عظمتها: ازداد معرفة وتعظيماً لله (سبحانه)[2].

٣ ـ إدراك مقتضيات الصفات طريق لإثباتها:

فوجود هذا الكون المدبر المحكم الواسع يتطلب ربًّا مالكًا حكيمًا عليمًا، وكذلك وجود المخلوقات بأنواعها وأشكالها يوجب وجود خالق، ووجود الجناية والتقصير من العبد يوجب إثبات اسم «الغفار».. وغيره من الأسماء والصفات.

---

١) تهذيب مدارج السالكين، ص ٥٤٤ ـ ٥٨٥.
٢) انظر: تهذيب مدارج السالكين، ص ٥٨٥.

٤ ـ إدراك أسرار الشريعة وحقيقة الأحكام الشرعية :

فمن كانت له معرفة بأسماء الله وصفاته، واستقرار آثارها في الخلق والأمر، رأى الخلق والأمر ينتظمان بها أتم انتظام ، ورأى سريان آثارها فيها، وعلم ـ بحسب معرفته ـ ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله، وما لا يليق، فاستدل بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله، فإنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته، وكذلك يعلم ما يليق به أن يأمر به ويشرعه مما لا يليق به، فإذا رأى في بعض الأحكام جوراً أو سفهاً وعبثاً ومفسدة، فليعلم أنه ليس من أحكامه ودينه، وأنه بريء منه ورسوله؛ فإنه إنما أمر بالعدل لا بالظلم، وبالمصلحة لا بالمفسدة، وبالحكمة لا بالسفة» [١].

٥ ـ الطمأنينة :

والطمأنينة إلى أسماء الرب وصفاته نوعان : أحدهما : طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها واعتقادها، وطمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العبودية، فمثلاً : التعبد باسم « القدير » يوجب الطمأنينة إلى القَدَر وإثباته، ويقتضي الطمأنينة إلى مواضع الأقدار التي لا قدرة له على دفعها، فيسلّم لها، ويرضى بها، ولا يسخط، ولا يشكو، ولا يضطرب إيمانه، فلا يأسى على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه الله؛ لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل إليه وقبل أن يُخلق.

فهذه طمأنينة إلى أحكام الصفات وموجباتها وآثارها في العالم، وهي قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها واعتقادها [٢].

أمثلة توضح كيفية التعبد بمعاني الأسماء والصفات :

سنتطرق لبعض الأسماء والصفات، وإلا فإن توضيح ما مضى لجميع الصفات أمر يطول، ولكن يمكن فهم الأسماء والصفات على ما سنذكره :

١ ـ السميع :

إذا استشعر العبد بقلبه سمعه (سبحانه) لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، وأن سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، ولايشغله من جهر عن

---

١) طريق الهجرتين ، ص ٧٦ .

٢) الروح ، ص ٢٩٦ .

دراسات شرعية

سمعه لصوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كصوت واحد ، فعلم أن الله يسمعه: فلا يقول إلا خيراً، بل يستحي أن يسمع الله من كلامه ما يخزيه ويفضحه عنده، وإنما يشتد في ألا يسمع منه إلا الكلام الحسن، بل ويكثر منه؛ حتى يحظى عند ربه (سبحانه)[1] .

ويستشعر أن الله يسمع كلام أعدائه، وأن الله ليس بغافل عنهم ولا يرضى ما يقولون، فعند ذلك يعلم أن الله معه وأنه ناصره لا محالة ، وقد قال ابن القيم في النونية معبراً عن هذا المعنى:

وهو السميع يرى ويسمع كل ما	في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر	فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات لا	يخفى عليه بعيدها والداني

٢ ـ العزيز :

وسنتعرض لطرف من معنى هذا الاسم العظيم، وهو مشاهدة عزة الله (سبحانه) في تقديره (تعالى) على عبده بالمعاصي والذنوب.

فيشاهد عزة الله بأن قلّب قلبه وصرّف إرادته على ما يشاء (سبحانه)، وحال بين العبد وقلبه وأن يعرف أنه مدبَّر مقهور، ناصيته بيد غيره، لا عصمة له إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته فهو ذليل حقير، في قبضة عزيز حميد[2] .

٣ ـ الودود :

فهو يحب عباده الصالحين ويحبونه؛ فإن العبد إذا شاهد بقلبه غنيًا كريمًا جواداً ، عزيزاً قادراً ، كل أحد محتاج إليه بالذات، وهو غني بالذات عن كل ما سواه، وهو ـ مع ذلك ـ يود عباده ويحبهم، ويتودد إليهم بإحسانه وتفضله عليهم: كان له من هذا الشهود حالة صافية خالصة من الشوائب[3] .

---

١) انظر : طريق الهجرتين ، ص ٧٦ .

٢) انظر : تهذيب مدارج السالكين ، ص ١٣٢ .

٣) انظر : تهذيب مدارج السالكين ، ص ٥٥٩ .

٤ ـ السلام :

وحقيقة هذه اللفظة « السلام » هي : البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب، فإذا علمت أن الله هو « السلام » فتعلم أن تجاوزه عنك في معصيتك وذنبك سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذل أو مصانعة، كما أن عذابه سلام عن أن يكون ظلماً أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله.

وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم.

وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه أو تعلق أو انتفاع بقربه.

فتأمل كيف تضمن اسمه « السلام » كل ما نُزِّه عنه (تبارك وتعالى)، واستشعر هذا بقلبك؛ فإنه يبعث على تعظيم ربك (سبحانه) [١].

٥ ـ الجبار :

ولاسمه « الجبار » ثلاثة معان :

١ ـ أنه الذي يجبر ضعف الضعفاء من عباده، ويجبر كسر القلوب المنكسرة، فكم جَبَر من كسير، وأغنى من فقير، وأعز من ذليل، فإذا عرف العبد هذا المعنى تعبد لله بمقتضاه، وسأله بأن يجبر كسره، ويعينه على عبادته.

٢ ـ أنه القهار، فهو يجبر عباده على ما أراد مما اقتضته حكمته، فيستشعر العبد أن أفعاله بقدرة الله، ويعلم أن أعداء الدين لن يصيبوه إلا بما قضى الله وأراد.

٣ ـ أنه العلي بذاته فوق جميع مخلوقاته، فلا يستطيع أحد منهم أن يدنو منه، فيبعثه ذلك على تعظيم ربه وإدراك عزته واستعلائه [٢].

والله أعلم، وصلِّ اللهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم...

---

١) بدائع الفوائد ، ٢ / ١٣٥ ، بتصرف .

٢) صفات الله (عز وجل) للسقاف ، ص ٧٨، بتصرف وزيادات، وانظر: توضيح الكافية للسعدي، ص ٤٠ ، فقد ذكر معنى رابعاً.

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

من فتاوى أهل الذكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

فتاوى أهل العلم الأثبات هي عصارة علم المفتين وخلاصة فقههم، ومنارات يسترشد بها، هي جواب عن نوازل ومستجدات، وباب لتبليغ دين الله (تعالى).. ونظراً لأهمية (الفتاوى)، وتحقيقاً لرغبة القراء، فستقوم (البيان) ـ إن شاء الله (تعالى) ـ بنشر جملة من الفتاوى المهمة، حيث روعي في اختيارها تنوّع موضوعاتها، وعظم الحاجة إليها في هذا العصر، إضافة إلى تنوّع أصحابها زماناً ومكاناً.

وفي هذا العدد ننشر فتوى للشيخ «**العز بن عبد السلام**»[1] (رحمه الله تعالى)، في مسألة الوساوس والخطرات وسبيل علاجها.

سئل الشيخ «العز بن عبد السلام» (رحمه الله) هذا السؤال:

■ رجل مؤدٍّ لفرائض الله (عز وجل)، حافظ لحدوده، سالك طريق الآخرة، قد ابتلي بخواطر تخطر له، فمنها ما يشككه في (الخالق) (سبحانه وتعالى)، ولا سيما إذا جلس في خلوة للذكر، فتكثر هذه الخواطر عنده، ويفقد حلاوة الذكر، وهو يكابد هذا الأمر نحو عشرين سنة، وكان في ابتداء هذا الأمر يشق عليه وجوده، ثم صار إذا خطر له ذلك الخاطر لا يجد من نفسه تلك الكراهة، فما حكم هذه الخواطر في الجملة؟، وما حكمها في وقت غفلته عن الكراهة، وبأي دواء يدفع هذا الوسواس عنه؟.

---

١) هو أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، سلطان العلماء، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، كان فقيهاً مفسراً، ولي الخطابة بدمشق، له عدة مؤلفات، ويؤخذ عليه أشعريته في العقيدة، توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ، انظر: طبقات الشافعية، ٨/ ٢٠٩، البداية والنهاية، ١٣/ ٢٣٥.

فأجاب (رحمه الله) :

ليست هذه الوساوس من نفس الإنسان، وإنما هي صادرة من فعل الشيطان، ولا إثم على الإنسان فيها؛ لأنها ليست من كسبه وصنعته، ويتوهم الإنسان أنها من نفسه ، ولما كان الشيطان يحدث بها القلب، ولا يلقيها إلى السمع يتوهم الإنسان أنها صادرة منه، فيحرج لذلك ويكرهه، من غير أن ينشرح له صدره، ولو كان منه لانشرح له صدره، وقد قام بالوظيفة في كراهة ذلك، كما لو صدر ذلك من إنسان فسمعه بأذنه فكرهه مع العجز عن إزالته، فكذلك كراهة ما يلقيه الشيطان في قلبه هي الوظيفة في ذلك، إذ لا يقدر على دفع الشيطان عن الوسواس، كما لا يقدر على دفع من يعجز عن دفعه من المضلين، وإنما خفّت الكراهة في ذلك في آخر الأمر من جهة أن المعاصي إذا اعتيدت خفت كراهتها، ألا ترى أن أكثر الناس يتركون الصلوات المكتوبات فلا تشتد كما تشتد كراهة الإفطار في شهر رمضان بغير عذر؛ لأن ذلك غير معتاد، فخفة كراهة الوسواس كخفة كراهة ما اعتيد من العصيان، كشرب الخمر وإتيان الذكور وغير ذلك من العصيان، وقد تقع معصية صغيرة غير معتادة فتشتد كراهتها أكثر مما تشتد كراهة الكبائر المعتادة.. ولا طريق لمثل هذا إلا الالتجاء إلى الله (تعالى) في دفع وسواس الشيطان ، فإن غرضه بذلك أن يوهم الإنسان أنه قد كفر وأن عبادته لا تقبل مع كفره ، ليترك العبادة والطاعة، فإذا عرف العبد أن ذلك صادر من الشيطان لهذا الغرض انقطع الشيطان عن تلك الوساوس؛ إذ لا فائدة له فيها، فإذا عرف أنه لا يُلْتَفَتُ إليه سكن، إذ لا فائدة لسعيه ، وقد رأيت كثيراً من العبّاد الذين صح انقطاعهم إلى العبادة ابتلوا بمثل هذا أو بأشد منه، فلما عرّفتهم بما ذكرته لم يلبثوا إلا قليلاً حتى أزال الله (تعالى) عنهم كيد النشيطان؛ لانقطاع طمعه من فائدة سعيه، والله المستعان على دفع الشيطان وعلى دفع مكائد نفس الإنسان(*).

---

*) عن: فتاوى العز بن عبد السلام، تحقيق محمد جمعة كردي، ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠.

دراسات دعوية

من جوانب الاقتداء بهدي الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)

بقلم: عبد العزيز بن ناصر الجليل

في مقال سابق بيَّنت أهمية معرفة حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) وهديهم؛ وذلك لأخذ العبر العظيمة، والاقتداء بهم، والتعزي بما أصابهم، والحصول على الفوز في الدنيا والآخرة باتباعهم.

وسيكون التركيز في هذا المقال ـ إن شاء الله (تعالى) ـ بالوقوف على ثلاثة جوانب عظيمة من حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، هي في نظري من أهم جوانب الاقتداء بهم (عليهم الصلاة والسلام)، وهي كما يلي:

أولاً: من هديهم (عليهم الصلاة والسلام) في قوة العلم بالله (تعالى)، وأثر ذلك في صدق الإيمان وكمال التوحيد وقوة العبادة.

ثانياً: من هديهم (عليهم الصلاة والسلام) في الأخلاق والسلوك.

ثالثاً: من هديهم (عليهم الصلاة والسلام) في الدعوة والتبليغ.

وسيكون تحت كل جانب من هذه الجوانب الثلاثة تقسيمات أخرى تُفصَّل فيها بعض الصور والأمثلة الداخلة تحت كل جانب، مع محاولة الربط ما أمكن بواقعنا نحن المسلمين اليوم، وبخاصة ما يتعلق بالدعوة والدعاة في هذا العصر، موضحاً من خلال هذا الربط مدى قربنا أو بعدنا من هذا الهدي الكريم في كل جانب من الجوانب الآنفة الذكر من حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وهذا هو جهد المقل؛ فما وجدته أخي الكريم من صواب وحق فهو من الله (عز وجل)، وما وجدت فيه

من خطأ وخلل فمني ومن الشيطان، فإلى تفصيل ما أشير إليه آنفًا.

الجانب الأول: من هديهم في قوة العلم بالله (عز وجل)، وأثر ذلك في صدق الإيمان وكمال التوحيد :

إن أعلم الناس بالله (عز وجل) هم أنبياؤه ورسله (عليهم الصلاة والسلام)، وهذا العلم به (سبحانه) وبأسمائه وصفاته العلا هو الذي أوجد هذه الخشية العظيمة والإيمان الصادق والتوحيد الكامل لله (عز وجل)؛ لأنه كلما كان العبد أعلم وأعرف بربه (سبحانه) كلما كان أشد خوفًا وتعظيمًا وعبادة ومحبة وإخلاصًا له، والعكس بالعكس.

وإن مما اختص الله (سبحانه) به رسله، ومما منَّ به عليهم: تكميل هذا العلم العظيم في نفوسهم، والذي هو أشرف العلوم وأزكاها.

وإن المسلم مأمور بطلب هذا العلم الشريف قدر استطاعته اقتداءً بالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)؛ ولو أنه لن يصل إلى علمهم ولا إيمانهم، لكنه بذلك يقترب منهم ويسعد بثمار هذا العلم العظيم في قلبه وسلوكه وحياته كلها.

ومن الأدلة على شرف هذا العلم ما يلي:

- قول الله (تعالى): عن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) في دعوته لأبيه: ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا** ﴾ [مريم: ٤٣].

- وقوله (تعالى) عن يعقوب (عليه الصلاة والسلام): ﴿ ... **وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٦٨].

- وقوله (تعالى) عن يعقوب (عليه الصلاة والسلام): ﴿ ... **قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٩٦].

- وقوله (تعالى) عن نوح (عليه الصلاة والسلام) أنه قال لقومه: ﴿ **أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وهذا موسى (عليه الصلاة والسلام)، مع ما آتاه الله (عز وجل) من العلم العظيم، فإنه لم يكتف به، وإنما طلب المزيد.. وقصة سفره (عليه الصلاة والسلام) إلى الخضر (عليه السلام) ليتعلم منه معروفة، وقد قصها الله (عز وجل)

دراسات دعوية

علينا في كتابه الكريم، والشاهد منها قوله (تعالى): ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]، وللشيخ السعدي رحمه الله (تعالى) عند هذه القصة كلام نفيس، فليرجع إليه.

ـ وقوله (تعالى) لنبيه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٧].

ـ وقوله ﷺ عن نفسه عندما تنزه بعض الصحابة عن شيء رخص فيه الرسول ﷺ، فَبُلِّغ ذلك إليه، فخطب، فحمد الله، ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟!، فو الله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية»[1].

الآثار على نفوس الأنبياء: وبعد سرد هذه الأدلة ـ والتي هي على سبيل المثال لا الحصر ـ نأتي الآن إلى أثر هذه البينات العظيمة في نفوس الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، الناشئة عن هذا العلم الشريف بالله (عز وجل) وبأسمائه الحسنى وصفاته العلا، لعلنا نهتدي بهذه الآثار الإيمانية المباركة ونسعى للتأسي بهم.

ومن هذه الآثار ما يلي:

أولاً: شدة تعظيمهم لله (عز وجل) وخوفهم منه:

فعلى الرغم من اصطفاء الله (سبحانه) لهم وحبه لهم وقربهم منه.. فإن هذه المزايا لم تزدهم لربهم إلا تعظيماً، ومحبة، وخوفاً منه (سبحانه)، وخشية. وهذه سنة الله (سبحانه)؛ فكلما ازداد العبد معرفة بربه كلما عظّمه في نفسه، وخاف منه (سبحانه) خوف المحب لحبيبه؛ خوفاً يقرب إلى الله (عز وجل)، وخوفاً يهضم العبد عنده نفسه ويحقرها ولا يرى لها فضلاً ولا طوعاً، وإنما يراها أهلاً للظلم والخطيئة والضعف، إن لم يوفق الله (تعالى) صاحبها ويعينه عليها.

---

١) البخاري، ح/٦١٠١، ك/ الأدب، ومسلم، ح/٢٣٥٦، ك/ الفضائل.

وهكذا كان شأن الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، والأمثلة في ذلك كثيرة، منها:

مناجاة نوح (عليه الصلاة والسلام) لربه بشأن ابنه:

وقد جاء ذلك في قصة نوح مع قومه في سورة هود، حيث يقول الله (تعالى): ﴿ **وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [هود: ٤٥ – ٤٧]، ويظهر من هذه الآيات علم نوح (عليه الصلاة والسلام) بربه (عز وجل)، والذي أثمر عنده هذا الأدب العظيم مع ربه والخوف منه (سبحانه)؛ فتراه وهو يدعو ربه بشأن ابنه الهالك مع الكافرين يختم دعاءه بقوله: ﴿ **وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾، ولم يقل: وأنت أرحم الراحمين، وهذا من كمال علمه (عليه الصلاة والسلام) بأسماء الله البالغة التي اقتضت أن يكون ابن نوح مع الهالكين ولم يكن مع الناجين، ولذلك: ختم نوح (عليه السلام) دعاءه بقوله: ﴿ **وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾، كما يظهر في هذه المناجاة خوف نوح (عليه السلام) من ربه، واتهامه لنفسه بالظلم، وطلبه المغفرة من ربه (سبحانه)؛ وذلك في قوله: ﴿ **وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾.. الله أكبر!، هذا نوح (عليه السلام) الذي أمضى مئات السنين في دعوة قومه، وصبر وصابر، وناله من الأذى والاستهزاء الشيء العظيم، ومع ذلك يختم دعوته بطلب المغفرة والرحمة من ربه (سبحانه): ﴿ **رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا** ﴾ [نوح: ٢٨].

فماذا نقول نحن المفرطين الظالمين الجاهلين؟!.. سبحانك قد ظلمنا أنفسنا ظلماً كثيراً، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

هذا إمام الحنفاء وخليل الرحمن يخاف من ذنوبه ويسأل ربه المغفرة والستر،

دراسات دعوية

ويطلب من ربه (سبحانه) أن يلحقه بالصالحين، وكأنه ليس منهم!!.

يقول الله (تعالى) : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٢ – ٨٩].

إذن : فما حالنا ـ نحن المقصرين ـ ؟، ماذا عسانا أن نقول؟!، إنه ليس أمامنا إلا أن نحذو حذو هذا الركب المبارك المطهر ونقول ما أوصى به الرسول ﷺ أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) عندما سأله أن يعلمه دعاءً يدعو به في صلاته، فقال ﷺ : « قل : اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم » (١).

تعظيم نبينا محمد ﷺ لربه (سبحانه) وخوفه منه :

ونختم هذه الأمثلة من تعظيم الأنبياء لربهم (سبحانه) وخوفهم منه ببعض الشواهد من تعظيم نبينا محمد ﷺ لربه وخوفه منه، مع أنه سيد المرسلين، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. ولا غرابة في ذلك؛ فهو كما قال عن نفسه ﷺ : « فوالله إني لأعلمهم بالله، وأشدهم له خشية » (٢)، ومما ورد عنه ﷺ في هذا الشأن :

عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً » (٣) ؛ ولذلك : ما رؤي رسول الله ﷺ مستجمعًا ضاحكًا قط؛ إنما كان يتبسم.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كان رسول الله ﷺ إذا عصفت

---

١) البخاري ، ح/ ٨٣٤ ، ك/ الأذان ، ومسلم ، ح/ ٢٧٠٥ ،ك/ الذكر والدعاء .
٢) البخاري ، ح/ ٦١٠١ ، ك/ الأدب، ومسلم ، ح/ ٢٣٥٦ ،ك/ الفضائل.
٣) البخاري، ح/ ٦٤٨٦ ، ك/ الرقاق، ومسلم ، ح/ ٢٣٥٩ ،ك/ الفضائل.

الريح قال: «اللّهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به»، قالت: وإذ تخيّلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سُرّي عنه، فعرفت ذلك عائشة؛ فسألته، فقال: «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾» [١].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القَدَر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «بهذا أمرتم؟، أو لهذا خلقتم؟، تضربون القرآن بعضه ببعض. بهذا هلكت الأمم قبلكم» [٢].

ثانياً: كثرة ذكرهم لله (عز وجل) وشدة تضرعهم ودعائهم له (سبحانه) مع قوة عبادتهم:

وهذا الجانب من هديهم (عليهم الصلاة والسلام) ثمرة من ثمار الإيمان الصادق والتوحيد الكامل النابعين من كمال حبهم لله (عز وجل) وتعظيمهم له، والمتأمل في هذا الجانب من هديهم ليأخذه العجب والإجلال والحب الخالص لهذه الصفوة المختارة من عباد الله، وهو يرى إخباتهم لربهم (سبحانه) وكثرة ذكرهم له، وتضرعهم ودعاءهم المتواصل لربهم، مع كثرة عبادتهم وطولها وتنوعها.. كل ذلك وهم أولياء الله وأنبياؤه وصفوته من خلقه، وإن في هذا الهدي لعبرة لمن هو دونهم ممن يحسب نفسه من الدعاة المتبعين لهم. نعم.. إن في ذلك لعبرة لمن جاء بعدهم من المحبين لهم في أن يولوا هذا الجانب حقه، وأن يقتدوا بهؤلاء المصطفين الأخيار في كثرة ذكرهم لله (عز وجل)، وكثرة دعائهم وتضرعهم وعبادتهم له (سبحانه) مع ما هم فيه من هم الدعوة والجهاد والانشغال في أمر هذا الدين في الليل والنهار، ولكن كل ذلك لم

١) رواه مسلم، ك/ الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، ح/ ٨٩٩.
٢) صحيح سنن ابن ماجة، ح/ ٦٩، ١/ ٢١.

دراسات دعوية

يشغلهم عن الخلوة بربهم (سبحانه) والتفرغ لذكره ودعائه وعبادته .

وفي هذا رد على ما قد يتذرع به بعضنا ـ إذا نبه إلى هذا الجانب المهم في حياة الداعية ـ من التذرع بضيق الوقت وكثرة المشاغل وتعب الجسد وإجهاده في طلب العلم والدعوة إلى الله (عز وجل)، فيدخل الشيطان إلى النفس من هذا الباب (باب التفريط) فيجد الداعية نفسه وقد أهملها في أعظم رافد له في دعوته وأكبر زاد له في طريقه إلى الله.. وأورد الآن نماذج من هذا الهدي المبارك، لعلها أن تشحذ الهمم وتقوي العزائم، ولعلها في الوقت نفسه أن تطامن منا بعض النفوس التي أصابها داء العجب؛ فتشعر وهي تقرأ هذه النماذج بأنها لا زالت مقصرة ومفرطة في جنب الله، فيحصل مقت النفس في ذات الله (عز وجل) واحتقارها؛ الاحتقار الذي يؤدي مع الاستعانة بالله (عز وجل) إلى علاجها ويقظتها.

ومن هذه النماذج ما يلي:

*** تضرعهم (عليهم الصلاة والسلام) إلى ربهم (سبحانه) وسؤاله قضاء حوائجهم:**

ذكر الله (عز وجل) في آخر سورة الأنبياء مجموعة من أنبيائه ورسله (عليهم الصلاة والسلام)، وهم يسألون ربهم ويتضرعون إليه في قضاء حوائجهم، ويتوسلون إلى الله (عز وجل) بأسمائه وصفاته، كما يتوسلون بفاقتهم وافتقارهم إلى الله (عز وجل) . ومن ذلك قول الله (تعالى) : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤] .

يقول الإمام ابن القيم ـ رحمه الله (تعالى) ـ معلقاً على هذا الدعاء الخاشع من أيوب (عليه الصلاة والسلام) : « جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه ووجود طعم المحبة في التملق له،

والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته (سبحانه)، وشدة حاجته هو وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشفت عنه بلواه»[1] .

وفي قوله (تعالى) : ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ أي: إن في صبر أيوب (عليه الصلاة والسلام) ودعائه عبرة للعابدين من بعده؛ ليقتدوا بصبره وعبادته ودعائه ويقينه.

*** خشوعهم وبكاؤهم عند ذكر الله (عز وجل) :**

فبعد أن ذكر الله (عز وجل) مجموعة من الأنبياء في سورة مريم أثنى عليهم بقوله (تعالى) : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** ﴾ [مريم: ٥٨] .

يقول الشيخ السعدي (رحمه الله تعالى) عند هذه الآية: «فهذه خير بيوت العالم اصطفاهم الله، واختارهم واجتباهم، وكان لهم عند تلاوة آيات الرحمن عليهم، المتضمنة للإخبار بالغيوب، وصفات علام الغيوب، والإخبار باليوم الآخر، والوعد والوعيد.

﴿ **خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** ﴾ أي: خضعوا لآيات الله، وخضعوا لها، وأثرت في قلوبهم من الإيمان والرغبة والرهبة ما أوجب لهم البكاء والإنابة، والسجود لربهم»[2] .

وقوله (تعالى) عن يوسف (عليه الصلاة والسلام) أنه قال: ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ [يوسف: ١٠١] .

يقول السعدي (رحمه الله تعالى) عند هذه الآية: «ينبغي للعبد أن يتضرع إلى الله دائماً في تثبيت إيمانه».

ويقول ابن القيم (رحمه الله تعالى) عند هذه الآية أيضاً: «جمعت هذه الدعوة: الإقرار بالتوحيد، والاستسلام للرب، وإظهار الافتقار إليه، والبراءة من موالاة غير الله (سبحانه)، وكون الوفاة على الإسلام أجل غايات العبد، وأن ذلك

١) بدائع التفسير، ٣/ ١٨٩ .   ٢) تفسير السعدي، ٣/ ٢٠٩ .

دراسات دعوية

بيد الله لا بيد العبد، والاعتراف بالمعاد، وطلب مرافقة السعداء»[1] .

وأختم هذه الأدعية النبوية بذلك الدعاء الذي كثيراً ما كان يلهج به الرسول ﷺ ويردده؛ فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله قد آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟، قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»[2] .

فإذا كان هذا هو حال أنبياء الله (عز وجل) وصفوته من خلقه فحري بمن دونهم أن يخاف على نفسه من سوء الخاتمة، فمن ذا الذي يأمن الفتنة بعد أنبياء الله (عز وجل)؟ .

*** القوة في طاعة الله (تعالى) وعبادته :**

هذه الصفة العظيمة من أبرز ما في حياة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، حيث إنهم أكثر الناس عبادة وصلاة وإخباتاً لله (عز وجل)، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله تعالى) عند قوله (تعالى): ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]: وعن عطاء الخراساني: ﴿أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ﴾، قال: أولو القوة في العبادة والعلم بأمر الله، وعن مجاهد ـ وروي عن قتادة ـ قال: أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين»[3] .

والشواهد في ذكر عبادة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) كثيرة، منها:

ـ قوله (تعالى) على لسان إبراهيم (عليه الصلاة والسلام): ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] .

ـ وقوله (تعالى) في مدح إسماعيل (عليه الصلاة والسلام): ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥] .

١) بدائع التفسير، ٢/٤٧٦ .
٢) الترمذي، ح/٢١٤١، في القدر، وقال: حسن صحيح.
٣) مجموع الفتاوى، ١٩/١٧٠ .

-وقوله (تعالى) في مدح إسحاق ويعقوب: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

أما عن نبينا محمد ﷺ وكثرة عبادته وقوته فيها فهي كثيرة جداً، مع أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.. ولا غرابة في ذلك؛ فهو الذي امتلأ قلبه معرفة بربه (سبحانه) وحبًا وتعظيمًا له، وهو الذي قال له ربه (سبحانه): ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ② نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ١ - ٤]، وهو الذي قال له ربه (عز وجل): ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٦]، وقال له: ﴿.... فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وأكتفي بشاهد من أحواله الكثيرة في عبادته ﷺ وقوته فيها:

فعن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟!» (١).

وأخيراً: فهذه أحوال المصطفين الأخيار من أنبياء الله (عز وجل)، وما سبق ذكره إن هو إلا جانب يسير وغيض من فيض من صلتهم بالله (عز وجل)، ذكراً وتسبيحاً ودعاءً وصلاة، فهل من مشمر للأخذ بهديهم كما أمر الله (عز وجل) ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾؟، وهل بقي مجال لأحد أن يعتذر بكثرة المشاغل الدعوية وطلب العلم في التفريط في هذا الزاد العظيم؟.

وتبقى مسألة مهمة تبرز للمتأمل في تلك الكلمات والجُمل العطرة الجامعة، والتي تتألف منها أذكارهم وأدعيتهم (عليهم الصلاة والسلام)، ألا وهي: تجريد التوحيد لله (عز وجل) وإخلاص العبادة له وحده.

فهل بقي عذر لمن يتوجه إلى الأنبياء أو غيرهم في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو شأنهم مع ربهم في دعائهم له؟.

---

١) مسلم، ح/ ٧٧٢، ك/ صلاة المسافرين.

آراء وتأملات
في فقه الزكاة

(٣)

د. محمد بن عبدالله الشباني

تناول الكاتب في الحلقتين الماضيتين مفهوم الزكاة، ثم عرض أنواع الأموال التي تجب زكاتها، بعد تناوله للمعنى اللغوي لكلمة (المال)، ثم عرض ستة ضوابط تحدد صفة المال الذي تجب فيه الزكاة، وفي هذه الحلقة يتناول بعض التفصيلات. - البيان -



دراسات اقتصادية

زكاة الأنشطة الزراعية : يمثل القطاع الزراعي أحد المرتكزات الأساسية للنشاط الاقتصادي، فالثروة الزراعية من أهم مصادر الدخل الذي يعتمد عليه مخططو التنمية الاقتصادية في وضع الأسس والبرامج الخاصة بتحقيق النمو الاقتصادي.

لقد توسعت الأنشطة الزراعية، فظهرت منتجات زراعية تحقق دخلاً أكبر، مثل: الخضروات، والفواكه، والزهور، ويعود ذلك التنوع والتوسع إلى استحداث وسائل وأنظمة فعالة في الإنتاج والتخزين والتسويق.

ويتكون الإنتاج الزراعي من قطاعات رئيسة، هي:

١ - إنتاج الخضروات.
٢ - إنتاج المحاصيل الحقلية.
٣ - إنتاج الفاكهة.

إن ذلك التوسع والتنوع في الإنتاج الزراعي وتغير أساليب وأشكال التنظيم الإداري للمزارع من حيث الملكية والتخصص الزراعي يستدعي دراسة أحكام الزكاة فيما يتعلق بما استجد من منتجات، وبخاصة أن فقهاء المسلمين قد اختلفوا في وجوب الزكاة لأنواع من المنتجات الزراعية، فمنهم من أوجب الزكاة في كل ما تنتجه الأرض، ومنهم من قصره على أنواع معينة واستثنى بقية الأنواع، وكل فريق يستند في رأيه إلى نصوص

وقواعد شرعية، وهناك منتجات زراعية تحتاج إلى دراسة حكم الزكاة فيها على ضوء الواقع المعاصر، مثل الخضروات والزهور، لا سيما وهي تحقق الآن عائداً اقتصاديًّا عاليًا.

سبب الخلاف: إن سبب اختلاف العلماء حول زكاة المنتجات الزراعية يعود إلى الاختلاف على مناط زكاة المنتجات الزراعية، فهل مناط الزكاة هو الأرض، أو الزرع، أو مجموعهما؟.

- **فجمهور الفقهاء** يقول: إنه للشيء الذي تجب فيه الزكاة، أي: الزروع، أما الإمام «أبو حنيفة» فذهب إلى أنه للشيء الذي هو أصل الوجوب، وهو الأرض، أما «محمد بن رشد القرطبي» فيرى أنه حق لمجموعهما، أي: للأرض والزرع[1].

تترتب على هذا الاختلاف في النظر في مناط الزكاة أحكام شرعية، مثل: حكم ضياع الزكاة وهلاك بعض المال قبل الإخراج، أو موت المكلف الذي لم يخرج الزكاة، أو عند بيع المنتج الزراعي وقد وجبت فيه الزكاة، فعلى من تقع الزكاة، على البائع أم على المشتري والوارث؟ ،وكذلك في حالة الهبة، هل هي على الواهب أو الموهوب له، أما ما تجب فيه الزكاة من الإنتاج النباتي فقد اتفق العلماء على وجوب الزكاة في أربعة أصناف، من الحبوب: الحنطة، والشعير، ومن الثمر: التمر والزبيب[2].

إن السبب في الاختلاف حول زكاة المنتجات النباتية يعود أولاً إلى جنس النبات، ووفقًا لذلك: فقد قصر بعضهم الزكاة على الأصناف الأربعة السابقة، وقال بهذا «ابن أبي ليلى»، و«سفيان الثوري»، و«ابن المبارك»[3]، ومنهم من أوجب الزكاة في جميع المنتجات النباتية المدخرة المقتاتة، وهذا هو قول «مالك»، و«الشافعي»، ومنهم من أوجب الزكاة في كل ما تخرجه الأرض، ما عدا الحشيش والحطب والقصب، وأخذ بهذا الرأي «أبو حنيفة»[4].

علة الاختلاف: وعلة هذا الاختلاف يرجع إلى متعلق الزكاة: هل هو فقط للأصناف الأربعة بعينها، أو إنه يتعدى إلى غيرها إذا وُجدت العلة فيها؟.

ولهذا: فمن قصر العلة على الأعيان فقد قصر الزكاة على الأصناف الأربعة،

---

١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ١، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ . ٢) المرجع السابق، جـ١، ص ٢٥١ .
٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، جـ١، ص ٢٥٣. ٤) المرجع السابق، جـ١، ص ٢٥٣.

ومن قال بأن العلة هي الاقتيات، فقد أوجب الزكاة في جميع الأشياء المقتاتة، ولكن من اعتبر أن العلة ليست الاقتيات وإنما متعلق الزكاة هو بالأرض، فقد أوجب الزكاة في جميع ما تخرجه الأرض إلا ما وقع عليه الإجماع، مثل: الحشيش، والحطب، والقصب، وقد خالف بهذا المنهج القياسي، وأخذ بعموم اللفظ مستشهداً بقول الرسول ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًّا العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر»[1]، واعتبر حرف (ما) الوارد في الحديث بمعنى الذي، و(الذي) من ألفاظ العموم.

وقوله (تعالى): **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾** [الأنعام: ١٤١].

أما من أخذ بالقياس وجعل العلة الاقتيات: فقد فهم من هذا العموم ومن (الزكاة) أنما قصد منها سد الخلة، وذلك لا يكون غالبًا إلا فيما هو قوت، أما من غلّب العموم فإنه يوجبها قياسًا على جميع ما تخرجه الأرض إلا ما أخرجه الإجماع[2].

وقد أدى ذلك إلى عدم إيجاب الزكاة في الخضروات؛ بحكم أنها غير مقتاتة ممن يرى أن علة الزكاة هو الاقتيات، وبالتالي: فإن ما تجري به الفتوى ـ في الغالب ـ: عدم وجوب الزكاة في الخضروات والفاكهة، علمًا أن زراعة الخضروات والفاكهة والزهور في هذا العصر أصبحت من الأنشطة الزراعية ذات العائد الاقتصادي الجيد، بل إنها تفوق تلك المنتجات النباتية مما يقتات به مثل الحبوب.. كما أن المسقطين لزكاة الخضروات يحتجون ـ زيادة على الأخذ بعلة الاقتيات ـ بعدة أحاديث.

وجوب زكاة كل ما يخرج من الأرض: إن واقع الأنشطة الزراعية والمتعلقة بإنتاج الخضروات والفاكهة والزهور ـ حيث أصبحت من الأنشطة الزراعية النباتية المهمة ـ يستوجب دراسة حجج المسقطين للزكاة عن هذه الأنشطة الزراعية، وتبني وجهة نظر الإمام أبي حنيفة، الذي يوجب الزكاة في جميع ما يخرج من الأرض؛ حيث إن هذا الرأي هو الرأي المناسب الذي

١) أخرجه الستة، والعثري: ما يسقى بالسيل الجاري في الحفر. ٢) بداية المجتهد، جـ١، ص ٢٥٣.

يتفق مع روح الشريعة ومقاصدها، **ولهذا: أرى الأخذ برأي الإمام أبي حنيفة** بوجوب الزكاة على جميع ما يخرج من الأرض، لعدة أسباب:

١ ـ أن أدلة المسقطين للخضروات يعتورها الضعف، فلا يجوز العدول عن أصل وجوب زكاة الزروع والأخذ بأحاديث ضعيفة (١).

٢ ـ أن التغير الحاصل في أساليب وطرق الزراعة فيما يتعلق بزراعة الخضروات والفاكهة والزهور، والتقدم في أساليب التخزين.. أتاح للمنتجات الخضرية فرصة إطالة عمر الاستفادة منها، مع التطور في وسائل النقل بعيداً عن مراكز الإنتاج؛ مما جعل هذا النوع من النشاط أكبر فائدة للمزارعين من زراعة الحبوب، ولهذا: نجد أن الدول الغنية تعمد إلى تشجيع زراعة الحبوب من خلال شرائها منهم بأسعار أعلى من أسعار منتجات الخضر؛ بقصد توفير احتياجات الناس من الحبوب، وعلى ضوء هذه الحقيقة: فإن قواعد الشريعة وأصولها تقتضي عدم استثنائها حتى تتحقق عدالة توزيع المال وفق مقتضى القاعدة التي حددها الله في قوله (تعالى): **﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾**[الحشر:٧].

٣ ـ أن إنتاج الخضراوات في الماضي لم يكن يُهدف منه إلى تحقيق الثروة والغنى، وإنما كان زراعتها بقصد الاستهلاك العائلي، بعكس ما هو حاصل في هذا العصر، حيث أصبحت من المحاصيل الزراعية ذات المردود الاقتصادي الجيد.

تساؤل في محله: إن السؤال الذي قد يطرأ على ذهن القارئ هو: لماذا نوسع مجال أخذ الزكاة، ولا نكتفي بما ورد فيه النص وعدم الخروج على ما ذهب إليه جمهور السلف؟.

إن الإجابة على هذا التساؤل تندرج ضمن فهم أهداف الإسلام بوصفه ديانة وتنظيماً لأحوال الناس، فمن المعروف أن من مقاصد الإسلام: صيانة النفس والعرض، وأن من مستلزمات ذلك: إشباع حاجات الفرد من خلال تحقيق التكافل الاجتماعي،

(١) لمعرفة الأحاديث المستدل بها وتخريجها يراجع كتابنا ـ وهو تحت النشر من قبل دار عالم الكتب بالرياض ـ بعنوان: (زكاة الأموال ـ دراسة فقهية محاسبية لمختلف مصادر الثروة)، وكتاب (فقه الزكاة)، للشيخ الدكتور/ يوسف القرضاوي.

دراسات اقتصادية

ولتحقيق ذلك فقد شرعت الزكاة، ولم يترك الله (سبحانه) للناس تحديد مَن تدفع إليه الزكاة، بل حدد مصارفها؛ بقصد تحقيق الغاية التي من أجلها جعل الله الزكاة ركنًا من أركان الإسلام، وإن من مقتضيات تحقيق ذلك: وجوب شمولية الزكاة لجميع مصادر الدخول الاقتصادية، وناتج الأرض يعتبر من أهم مصادر تحقيق الثروة، فاستثناء نوع من الإنتاج بعدم تحقق وجوب الزكاة فيه يظهر عدم عدالة الإسلام (حاشا لله أن يكون الإسلام كذلك)، بل إن الإسلام قد شمل في أحكامه جميع نواحي الحياة، وقد حاد الناس عن أحكامه، إما جهلاً بها، أو انحرافًا عنها، بقصد أو بغير قصد، وبخاصة في هذا العصر الذي أصبحت مقاليد الأمور فيه بأيدي أعداء الإسلام ظاهراً أو باطنًا، فأبعدت الشريعة الإسلامية ـ في كثير من البلدان ـ من أن تحكم الحياة، وتولى زمام الأمر من يدعو إلى فصل الدين عن الحياة، وجعل تنظيم حياة الناس منوطًا بأهواء المضلين عن سبيل الله ومن يرغبون أن تكون الحياة عوجًا.

إن أدلة إيجاب الزكاة على الخضراوات والفاكهة والزهور هي تلك الأدلة التي قام عليها حكم وجوب الزكاة في الخارج من الأرض، وهي قوله (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ** ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله (تعالى): ﴿ **وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ** ﴾ [الأنعام: ١٤١]، وحديث ابن عمر (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ، الذي جاء فيه: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًّا العشر، وفيما سقي بالنضح نصف العشر»[(١)]، وحديث جابر (رضي الله عنه): أنه سمع النبي ﷺ يقول: «فيما سقت الأنهار والغيم العشور، وفيما سُقي بالسانية نصف العشر»[(٢)].

على ضوء ذلك: فما هو النصاب والمقدار الذي تجب فيه الزكاة بالنسبة للخضروات وغيرها من الإنتاج النباتي الذي يرى جمهور الفقهاء عدم وجوب الزكاة فيه؟.

قبل الإجابة على هذا التساؤل لا بد من بيان مقدار النصاب والمقدار الذي تجب فيه الزكاة بالنسبة لما أوجب فيه جمهور الفقهاء الزكاة من الناتج النباتي.

١) سبق تخريجه.

٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، ح/٧، والسانية: البعير الذي يستقى به الماء من البئر، ويقال له: الناضح.

إن مقدار النصاب الذي تجب فيه الزكاة هو: بلوغ الإنتاج خمسة أوسق، وهذا هو قول جمهور العلماء والصحابة إلا مجاهداً وأبا حنيفة ومن تابعه، فقد أوجبوا الزكاة في قليل ذلك وكثيره، مستدلين بعموم قول الرسول ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون العشر» باعتبار أنه ليس له حول فلا يعتبر له نصاب [1].

لكن قول الجمهور أرجح، كما دلت عليه أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة، مثل ما رواه البخاري ومسلم عن النبي ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»، وهذا خاص ويجب تقديمه على العموم وعدم اعتبار الحول؛ لأن اكتمال نمائه يتم باستحصاده لا ببقائه، واعتبر الحول في غيره؛ لأنه مظنة الكمال والنماء في سائر الأموال، والنصاب إنما اعتبر ليبلغ حداً يتحمل المواساة منه؛ فلهذا اعتبر النصاب؛ حيث إن الصدقة إنما تجب على الأغنياء، ولا يحصل الغنى بدون تحقق النصاب كسائر الأموال الزكائية [2].

إن السؤال الذي يمكن طرحه ـ بعد أن أخذنا برأي الأحناف في وجوب الزكاة في كل ما تخرجه الأرض ـ هو: كيف يتم تحديد النصاب بالنسبة لمنتجات الخضروات والفاكهة والزهور.. وغير ذلك من المنتجات النباتية غير المكيلة واليابسة والجافة والرطبة؟.

إن أساليب تسويق هذه المنتجات في الوقت المعاصر، وطرق التخزين والنقل لهذه المنتجات.. يؤدي إلى تكاليف إضافية على الإنتاج، وإذا أخرجنا الزكاة عيناً من هذه الأصناف من الإنتاج النباتي ففيه ضرر على بيت مال المسلمين، أما إذا أخذت الزكاة بعد البيع من إجمالي البيع وبدون احتساب تكاليف الشحن والتسويق والتخزين ففيه ضرر على المزكي.

إن الرأي الذي يمكن الأخذ به وفيه تحقيق لمصلحة بيت المال ومصلحة المزكي: أن يتم تحديد الزكاة من خلال تحديد تكلفة الإنتاج للحصة العينية للزكاة منسوبة إلى إجمالي التكاليف مأخوذة من صافي الربح.

ففي هذا الأسلوب تجنب للمحاذير التي أشرت إليها، فمثلاً: إذا كان هناك مزارع ينتج طماطم، وكمية الإنتاج بلغت مئة كيلو جرام، وتكلفة الكيلو جرام الواحد: ريال سعودي واحد، فإن

(١، ٢) انظر: المغني، جـ٢، ص ٦٩٥.

الزكاة العينية على أساس أن الإنتاج فيه مؤنة وسقي ٥٪، فيتم تحديد الزكاة على النحو التالي:

مقدار حصة الزكاة العينية هو : ١٠٠×٥٪ = $\frac{٥\times١٠٠}{١٠٠}$ =٥ كيلو جرام.

ومقدار تكلفة حصة الزكاة هو ٥×١= ٥ ريالات .

وإذا قدر أن صافي الربح هو ٥٠ ريالاً، فيتم احتساب الزكاة بقسمة تكلفة إنتاج الحصة العينية ـ وهو خمسة ريالات ـ على إجمالي التكاليف ـ وهو مئة ريال ـ مضروباً في صافي الربح، أي: $\frac{٥٠\times٥}{١٠٠}$ =٢,٥ ريال .

إن افتراضنا للأخذ بهذا الرأي في تحديد وعاء الزكاة للمنتجات النباتية غير المكيلة مقاس على ما قاله الفقهاء في تحديد مقدار النصاب في الحبوب غير المصفاة، وفي الثمار بعد الجفاف، يقول ابن قدامة في هذا الخصوص «وتعتبر خمسة الأوسق بعد التصفية في الحبوب والجفاف في الثمار، فلو كان له عشرة أوسق عنباً لا يجيء منه خمسة أوسق زبيباً لم يجب عليه شيء؛ لأنه حال وجوب الإخراج منه، فاعتبر النصاب بحاله، وروى الأثرم عنه: أنه يعتبر نصاب النخل والكرم عنباً ورطباً، ويؤخذ منه مثل عشر الرطب تمراً، اختاره أبو بكر، وهذا محمول على أنه أراد: يؤخذ عشر ما يجيء به منه من التمر إذا بلغ رطبتها خمسة أوسق؛ لأن إيجاب قدر عشر الرطب من الثمر إيجاب لأكثر من العشر، وذلك يخالف النص والإجماع فلا يجوز أن يحمل عليه كلام أحمد ولا قول إمام» [١].



ووجهة القياس: نقصان العنب بعد الجفاف، والثمر بعد تحوله من الرطب إلى التمر، وفي الخضروات: فإن قيمتها والاستفادة من الإنتاج لا يتحقق إلا من خلال اتباع أساليب التسويق الحديثة من تخزين وتبريد وتغليف ونقل..، وهذه تحتاج إلى تكاليف معينة؛ مما يؤيد ما طرحناه من اقتراح حول ذلك.

إن تحديد نصاب المنتجات النباتية ـ الذي إذا بلغ الإنتاج هذا المقدار وجبت فيه الزكاة ـ قد حددته أحاديث الرسول ﷺ، من ذلك مثلاً قوله ﷺ: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»، وهو حديث متفق عليه، ووفقاً له ـ كما يراه جمهور العلماء ـ فإن الزكاة لا تجب في الخارج من الأرض إلا إذا بلغ خمسة أوسق، وقد خالف أبو حنيفة جمهور

١) انظر: المغني ، جـ٢ ،ص ٦٩٦ .

العلماء بحيث أوجب الزكاة في قليل ناتج الأرض وكثيره، مستدلاً بعموم حديث رسول الله ﷺ: «فيما سقت السماء والعيون العشر»، باعتبار أن الناتج من الأرض ليس له حول، فلا يعتبر له نصاب، ولكن هناك أحاديث حددت الأنصبة فيما ليس فيه حول، وإن حديث تحديد النصاب قد خصص عموم الحديث الذي استشهد به الإمام أبو حنيفة، مثل: التخصيص لسائمة الإبل، والفضة، فهذه أموال تجب فيها الزكاة ولم تجب في قليلها، وإن عدم اعتبار الحول بالنسبة لناتج الأرض بسبب اكتمال نمائه يتم باستحصاده لا ببقائه، أما في غير ناتج الأرض فقد اعتبر الحول لأنه مظنة لكمال النماء، والنصاب اعتبر ليبلغ حداً يحتمل المواساة فيه [١].

لقد حددت الأحاديث الصحيحة مقدار النصاب في الحبوب والثمار على أساس خمسة أوسق، وأجمع العلماء على أن الوسق ستون صاعاً، وخمسة أوسق هي ثلاثمئة صاع، وهو يعادل ٦٥٣ كجم [٢].

أما تحديد مقدار النصاب للمنتجات التي لا يمكن أن تقدر بالكيل ـ مثل: القطن والزعفران والزهور ـ فقد اختلف في تقديرها على أقوال:

١ ـ على أساس المنتجات غير المكيلة إذا بلغ قيمة الخارج منها قيمة المكيلة.

٢ ـ تقدير قيمة غير المكيل بمئتي درهم بنصاب النقود.

٣ ـ تقدير قيمته بما يعادل وزنها المكيل، وهو ٦٥٣ كجم.

٤ ـ وجوب الزكاة فيما ينتج بدون تحديد نصاب، سواء أكان قليلاً أو كثيراً.. ونحن نأخذ بالرأي الأول [٣].

وتواجه محصلي الزكاة أو المكلفين فيما يتعلق بإخراج زكاة المنتجات الزراعية مشكلة تحديد وعاء الزكاة، وقد أوجبت السنة النبوية بالنسبة للمنتجات المكيلة والقابلة للتخزين ـ مثل: الحبوب والتمر ـ أسلوب تحديد الوعاء، وذلك بما عرف بـ (الخَرْص)، حيث يتم ـ بالظن ـ تقدير التمر والزبيب والحبوب الجافة المستخرجة وهي على أشجارها قبل أن تجف، فقد

١) انظر: المغني، جـ٢، ص ٦٩٥ ـ ٦٩٦.

٢) انظر: فقه الزكاة، للدكتور/ يوسف القرضاوي، جـ١، ص ٣٦٤ ـ ٣٧٢.

٣) لمزيد من الدراسة والنقاش: راجع كتابنا (زكاة الأموال ـ دراسة فقهية محاسبية لمختلف مصادر الثروة)، دار عالم الكتب بالرياض.

روى أبو داود، وابن ماجة، والترمذي، عن عثمان بن أسيد (رضي الله عنه) : أن النبي ﷺ « كان يبعث على الناس من يخرص عليهم كرومهم وثمارهم »[1]، ولتجنب الخطأ والإضرار بالمزارعين، فقد أمر رسول الله ﷺ بمراعاة ذلك، فقد روى ابن حبان والحاكم وأبو عبيد والبيهقي في السنن، عن سهل ابن أبي خيثمة، قال : قال رسول الله ﷺ : « وإذا خرصتم فخذوا ودعوا الثلث، فإن لم تدعوا الثلث فدعوا الربع »[2].

وهناك ظاهرة تتعلق بالمنتجات المكيلة مثل التمور والزبيب، حيث يتم بيعها قبل جفافها، مثل: بيع التمر رطباً والزبيب عنباً، وهذا يحقق دخلاً نقدياً أكثر مما لو خرص تمراً أو زبيباً ، وإذا جعل نصيب بيت المال بعد اكتمال نضجه وتحوله إلى تمر أو زبيب قد يفوت مصلحة مستحقي الزكاة بهذا، فإنه يمكن أن يتم الخرص في بداية النضج قبل أن يصبح تمراً أو زبيباً، ويحدد مقدار نصيب بيت المال عند الجذاذ النهائي، ويُرى: كم بيع من الرطب والعنب؟، فما نقص عن مقدار الخرص يحسب نصيب بيت المال بعد خصم تكاليف التسويق، فمثلاً: لو قدر أنه تم خرص التمر بثلاثين ألف كيلو جرام، وعند جذاذه أصبح مقداره عشرين ألف كيلو، بنقص قدره عشرة آلاف كيلو التي تمثل مقدار ما نقص من التمر بعد جفافه دون ما تم بيعه، وإذا قدر أن ما تم بيعه رطباً قدره خمسة آلاف كيلو، فإن مقدار الزكاة المقدرة بعد الجذاذ هو عشرون ألفاً مضروباً في ٥٪، أي: إن نصيب الزكاة هو ألف كيلو، وما تم بيعه من نصيب بيت المال رطباً يساوي خمسة آلاف مضروباً في ٥٪، يساوي مئتين وخمسين كيلو، فإذا كان سعر بيع الكيلو أربعة ريالات، فإن إجمالي بيع حصة الزكاة من الرطب هو ٢٥٠×٤= ١٠٠٠ ريال، يخصم منها حصة بيت المال في التسويق، فإذا كانت تكلفة التسويق ٢٠٪ من قيمة البيع: فإن إجمالي تكاليف التسويق الخاص بنصيب بيت المال هو ١٠٠٠×٢٠٪=٢٠٠ ريال، ويكون نصيب بيت المال من قيمة البيع هو ١٠٠٠ - ٢٠٠ =٨٠٠ ريال.

---

١) أخرجه ابن ماجة والترمذي ، وضعفه الألباني ، انظر: ضعيف سنن ابن ماجة، ح/ ٤٠١، وضعيف سنن الترمذي، ح/ ٩٨. - البيان -

٢) أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل ، وضعفه الألباني ، انظر: الضعيفة، ح/ ٢٥٥٦. - البيان -

أما بالنسبة لمقدار غير المكيل: فقد يصعب الخرص، خاصة الخضروات والزهور وبقية الفواكه؛ لتفاوت النضج؛ حيث لا يتم النضج في وقت واحد، وإنما يتتابع النضج والقطف، فكلما نضجت كمية قطفت وبيعت، حتى يتكامل الإنتاج وتنتهي قدرة الشجرة على الإفراخ.

ويرى جمهور العلماء عدم خرص المنتجات النباتية ما عدا النخل والعنب[1]، ولهذا: فإن تحديد مقدار الزكاة يتم لهذه الأنواع من المنتجات من خلال حصر الإنتاج الفعلي الذي تم بيعه والاستفادة منه بعد خصم جميع تكاليف التسويق والنقل والتخزين.

من الأمور التي يثور التساؤل حولها: ما يتعلق باستهلاك المُزَارِع مما ينتجه، وهل يتم استثناؤه أو يدخل ضمن الإنتاج وتقع عليه الزكاة؟.

الإجابة على هذا التساؤل تجده في حديث سهل بن أبي خيثمة أن النبي ﷺ قال: «إذا خرصتم فخذوا ودعوا الثلث، فإن لم تدعوا الثلث فدعوا الربع»[2]، ولتحقيق هذا التوجيه النبوي: يكون خرص الإنتاج الكلي، ثم خصم مقدار الربع أو الثلث مما خرص، لتكون الكمية المتبقية هي التي يقدر عليها مقدار الزكاة، فلو أن الخرص بلغ ثلاثين ألف كيلو، فمقدار ما يتم عليه تحديد الزكاة على أساس الثلث هو عشرون ألف كيلو، وعلى أساس الربع: اثنان وعشرون ألف وستمئة كيلو، هذا بالنسبة للأصناف التي يتم خرصها، أما الأصناف غير الخاضعة للخرص: فإن ما يتم تحديده هو: مقدار ما يتم بيعه، وما يأكله المزارع فلا يضم إلى ما بيع، قياساً على التخفيف فيما يخرص.

ومن الأمور التي تثار أيضاً ويدور حولها النقاش فيما يتعلق بخصمها من وعاء الزكاة وكيف يتم معالجتها أمران:

الأمر الأول: الديون التي تحملها المُزَارِع من أجل الإنفاق على نفسه أو من أجل الزراعة، فالإمام أحمد (رحمه الله) يرى أن الدَّيْن الذي عليه من أجل الزراعة يخصم من الناتج، أما الاستدانة من أجل الإنفاق على نفسه وأهله فلا يخصم؛ لأن ما أنفقه على الإنتاج من مؤونته، وقد روي بهذا القول عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، وأما عبد الله ابن عمر (رضي الله عنهما) فهو يرى خصم الديون من إجمالي الناتج[3]، ونحن نميل إلى الأخذ برأي ابن عمر

١) انظر: المغني، جـ٢، ص ٧١٠. ٢) سبق تخريجه. ٣) انظر: المغني، جـ٢، ص ٧٢٧.

دراسات اقتصادية

(رضي الله عنهما) بخصم الديون، سواء ما كان من أجل الزراعة أو من أجل الإنفاق على نفسه وأهله، بشرط أن تكون الديون حَالَّة في وقت وجوب الزكاة، وألا تكون وسيلة من وسائل التمويل الرأسمالي، أي: ألا تكون ديون ناشئة بسبب شراء أصول رأسمالية، مثل: المكائن، والحراثات والحصادات، ففي هذه الحالة لا تخصم.

الأمر الثاني : أجرة الأرض، فقد اختلف في مدى خصمها من الناتج، فمالك، والثوري، وشريك، وابن المبارك وابن المنذر يرون أن الزكاة على الناتج دون مالك الأرض، أما أبو حنيفة (رضي الله عنه) فيقول: إن الزكاة على مالك الأرض؛ لأنه من مؤنتها أشبه بالخراج[1] .

وقد رد ابن قدامة على من يرى أنها على مالك الأرض بقوله: «ولنا: أنه واجب في الزرع فكان على مالكه، كزكاة القيمة فيما إذا أعده للتجارة وكعشر زرعه في ملكه، ولا يصح قولهم: إنه من مؤنة الأرض؛ لأنه لو كان من مؤنتها لوجب فيها وإن لم تزرع كالخراج، ولوجب على الذمي كالخراج، ولتقدر بقدر الأرض لا بقدر الزرع، ولوجب صرفه إلى مصارف الفيء دون مصرف الزكاة»[2] ، وعلى ضوء ذلك، فهناك رأيان :

الأول : هو مذهب أبي حنيفة، الذى يرى أن الزكاة على مالك الأرض؛ لأن الأجرة من مؤنتها أشبه بالخراج، حيث إن العشر حق الأرض الثابت لا حق الزرع، والأرض هي أرض المالك، وكما إن الأرض تستنمى بالزراعة فهي تستنمى بالإجارة، فكانت الأجرة مقصودة .

الثاني : مذهب الجمهور الذين يرون أن العشر على المستأجر؛ لأن العشر حق الزرع لا حق الأرض والمالك لم يخرج له حب ولا ثمر .

إن سبب الاختلاف يعود إلى فكرة (على أي شيء تقع الزكاة؟)، على الأرض، أم على الزرع، أم على مجموعهما كما سبق مناقشته؟ .

من الفقهاء المعاصرين (فضيلة د/يوسف القرضاوي) من يرى ضرورة أن يشترك الطرفان في الزكاة، بحيث لا يعفى المستأجر إعفاءً كليًّا من وجوب الزكاة كما ذهب أبو حنيفة، ولا يعفى المالك إعفاءً كليًّا، حيث تجب الزكاة كلها على المستأجر[3] ، ولتطبيق هذا الرأي فقد أخذ بمفهوم صافي الربح من

---

١ ، ٢) انظر: المغني ، جـ٢ ، ص ٧٢٨.

٣) انظر: فقه الزكاة ، جـ١ ، ص ٤٠١ .

عائد الزروع بعد خصم الديون والنفقات من البذور، بحيث يرفع ما يوازيها من المحصول، ثم يزكى ما بقي إن بلغ نصاباً، ولقد اعتبر أن أجرة الأرض من نفقات الزرع كالخراج، فيجب أن تعد ديناً على المستأجر فيقطع من الخارج ما يقابل الأجرة، على أن يتولى مالك الأرض زكاة ما دفع إليه، بدلاً من المزارع، ممثلاً في الأجرة التي يقبضها [1]، وبالتالي: فإن فضيلته خصم مقدار الأجرة وترك للمالك حق التصرف بإخراج زكاة الأرض.

نحن نتفق مع فضيلته بضرورة مشاركة مالك الأرض في إخراج الزكاة، لكننا نختلف معه في الأسلوب الذي اتبعه.

إن الأسلوب الذي أراه يتمثل في أن هناك طريقتين للاتفاق مع المالك: إما أن تكون أجرة الأرض جزءاً من الإنتاج، وبالتالي: الزكاة واجبة على الناتج جميعه باعتبارهما شريكين، فلو فرض أن للمالك ٢٠٪ من الناتج، وقدر الناتج بثلاثة آلاف كيلو من القمح، فتخضع الزكاة للناتج الإجمالي، أي: ثلاثة آلاف، فمقدار الزكاة باعتبار أنها مسقية بالآلات: ٥٪، أي: مئة وخمسون كيلو، والصافي بعد الزكاة هو: ألفان وثمانمئة وخمسون كيلو، فيكون نصيب مالك الأرض هو خمسمئة وسبعون كيلو، بدلاً من ستمئة كيلو من إجمالي الناتج، ففي هذه الحالة تم دفع الزكاة مباشرة من المستأجر، لكنها أصبحت من الأجرة لصالح بيت المال حيث اشترك المالك والمستأجر في دفع الزكاة باعتبار أن الزكاة بالزرع نفسه وفق مذهب الجمهور.

الطريقة الثانية: إذا كان الإيجار مبلغاً نقدياً مثلاً، وكانت الأجرة ستمئة ريال، وبلغ الإنتاج ثلاثة آلاف كيلو، وتكلفة الكيلو مثلاً: ريال واحد، أي: إن تكلفة الإنتاج هي ثلاثة آلاف ريال، فيخصم من الإيجار المستحق له مقدار نصيبه من الزكاة، فكمية الزكاة المستحقة على الناتج هي: مئة وخمسون كيلو، ونصيب المالك من الزكاة يحسب باعتبار أن نصيبه من الإنتاج هو ستمئة كيلو فمقدار الزكاة: ثلاثون كيلو، وتكلفة الكيلو: ريال واحد، فمقدار الزكاة: ثلاثون ريالاً، فتخصم مقدار الأجرة خمسمئة وسبعون ريالاً، أما الثلاثون ريالاً المخصومة فتعطى لبيت المال، إما نقداً، أو عيناً ـ حسب رغبة ولي الأمر ـ، أخذاً بمفهوم أن الزكاة تؤخذ من عين مال المزكي، وأن المستأجر هو وكيل لبيت المال في تحصيل الزكاة.

١) انظر: فقه الزكاة، جـ١، ص ٤٠٢.

بطاقة الانتماء

بقلم : محمد محمد بدري

إذا كنا نتطلع نحو ترشيد للعمل الإسلامي ؛ فلا بد لنا من نظرة عميقة في إمكاناته.. وفعالياته.. ونقائصه؛ حتى ندرك ـ دون لبس، أو غموض، أو إيهام ـ أين ينبغي علينا إحداث التغيير في أنفسنا ليغير الله ما بنا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد : ١١]، فالتغيير إنما يحدث وفق سنن ربانية ثابتة لا تحابي أحداً من الخلق مهما زعم لنفسه من مسوغات المحاباة!!.

ومن سنن الله الثابتة التي لا يفيد معها (تعجّل) الأذكياء ، ولا (أوهام) الأصفياء، أنه حين يتوقف أفراد مجتمع ما عن العطاء، ويكتفون بالأخذ : فإن هذا المجتمع يسير من الشلل إلى الفناء.. الفناء البطيء الذي لا يراه إلا العارفون بسنن الله في النفس والمجتمع !!.

فأين نجد أنفسنا من هذه السنة الثابتة؟.

إن منا من يؤكد انتماءه للعمل الإسلامي، بينما هو يقف في مواقع الأخذ والاستهلاك دون أدنى عطاء أو عمل!!.. فإذا ساءلنا أحد عن دورنا في إحياء الأمة وعودتها إلى قيادة القافلة البشرية من جديد : أخرج كلٌّ منا بطاقة انتماء لهذا الفصيل أو ذاك من فصائل العمل الإسلامي!!.



.. هكذا ، وكأن بطاقة الانتماء تغني عن العمل الجاد والتحرك الواعي!!.

أو كأن فصائل العمل الإسلامي قاعات للنوم والخمول والكسل!!.

فهل هذا هو الانتماء للعمل الإسلامي ؟!.

.. إن الانتماء الحقيقي (وسيلة) إرضاء الرب وإنقاذ الذات .. فهو (بداية) السير ، وليس (دليل) اجتياز المراحل..

إن الانتماء الحقيقي ارتباط مصيري بالعمل الإسلامي.. ارتباط يغيرّ

منهاج حياة الفرد، بل وآماله وأحلامه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣]، هذا هو المفهوم الحقيقي للانتماء..

فإذا انطلقنا بهذا المفهوم من مجرد (التنظير) إلى آفاق (المعالجة) الواقعية للعمل الإسلامي، فلا بد لنا من وسائل، منها:

١ ـ توفير المناخ التربوي الذي يفسح المجال لنمو شخصية أفراد العمل الإسلامي، ويتحول بهم من روح (القطيع) والعمل عبر (التقليد الأعمى).. إلى روح (الفريق) والعمل على (بصيرة) ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٢ ـ اختيار أساليب العمل القائمة على توجيه العلماء والدعاة الموثوقين والمعروفين بصدق معتقدهم وحسن الإمساك بدفة القيادة، مع الأخذ بأكبر قدر من المبادرات الفردية، فيصبح عملنا الإسلامي في إطار وصف النبي ﷺ للمسلمين: «يسعى بذمتهم أدناهم».. وقبوله ﷺ مبادرة امرأة من المسلمين: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ».

.. وهكذا عبر هذه الوسائل وغيرها، يمكن إخراج المسلم الذي يتفاعل مع ما حوله تفاعلاً حيًّا، ويعمل للإسلام وسط كل الظروف.. لأنه يدرك أن عمله إنما هو ضمن إطار (عمل) وليس إطار (انتماء)!.

إطار عمل محمود شرعًا ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

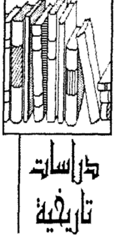
إطار عمل منصور قَدَرًا «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله» [رواه مسلم].

إطار عمل يجعل كل فرد في العمل الإسلامي (رِفدًا) للعمل، وليس (عبئًا) عليه.. هذا ما أردنا التأكيد عليه في هذه العجالة:

وليدرك كل فرد من أفراد العمل الإسلامي أن الانتماء للعمل الإسلامي بعد تجديد الإخلاص لله وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ إنما يعني: العمل الجاد.. الصبر.. المصابرة.. المرابطة.. ذلك أن (العطاء) هو (بطاقة الانتماء).

العلم بمقاصد الهجرة وأهدافها

بقلم :
د. محمد أمحزون



تعد الهجرة من أهم متطلبات الدعوة إلى الله (تعالى)، وهي سنة الله في رسله وأنبيائه وعباده المؤمنين، الذين هاجروا فراراً بدينهم وخوفاً من بطش الظالمين، وهو الأمر الذي عرفه رسول الله ﷺ منذ أول يوم جاءه الوحي، إذ لما ذهبت خديجة (رضي الله عنها) إلى ورقة بن نوفل، فأخبره رسول الله ﷺ بما قد رآه ، قال له ورقة: « ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك » [1].

ولهذا أدرك النبي ﷺ منذ أول يوم أوحي إليه فيه أنه سيُخرج من بلده، وهو أشرف الخلق وأكرمهم عند الله (عز وجل)، فنصْرُ الله في الدنيا وثوابه في الآخرة إنما ينالهما المرء بالعمل، والنصيحة، والمصابرة على الشدائد، واللجوء إلى الله (عز وجل) بالدعاء والاستعانة .

ويُستَنبط من هذا الحديث العظيم: أن الهجرة لا تختص بفئة معينة من المؤمنين في زمن معلوم يأتي عليه زمن آخر فتنسخ، بل إنها دائمة ما دام الحق والباطل وما دام الكفر والإسلام ، ولهذا قال النبي ﷺ : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها »[2]، وفي رواية: « لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار » [3].

---

١) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا يحيى بن بكير ، جـ ١ ، ص ٣ .
٢) أخرجه أحمد في المسند ، جـ١ ، ص ١٩٢ ، وصححه الألباني في (صحيح الجامع الصغير) ، ح/٧٤٦٩ ، م٢ ، ص ١٢٤٤ .
٣) الهيثمي : كشف الأستار عن زوائد البزار، ح/١٧٤٨ ، جـ٢ ، ص ٣٠٤ ، وابن حجر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ح/٢١٦٩ ، جـ ٤ ، ص ١٦٧ .

ولم يكن وعد الله (سبحانه) بتعظيم أمر الهجرة وثواب المهاجر في سبيله إلا بسبب ما يحتمل المهاجر من عناء ومشقة وشدائد ومكابدة الأخطار، لذلك قال (تعالى) : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٨، ٥٩].

وقد أوجب الله (عز وجل) الهجرة على كل مؤمن؛ لتكثير سواد المسلمين، ولنصرة النبي ﷺ ومواساته بالنفس والنفيس، إذ كانت الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة بحاجة إلى المهاجرين من المؤمنين؛ ليتوطد سلطان الإسلام فيها، حيث يتربص به اليهود والمنافقون، وتحيط به قوى الأعراب المشركين من حول المدينة، ويترصده كفار قريش الذين أقضت الهجرة مضاجعهم، فمضوا يخططون ويعملون للإجهاز على كيان الإسلام الفتي؛ لذلك تتابعت الآيات في الأمر بالهجرة وبيان فضلها وعظيم أجرها، حتى وعد الله (جل ذكره) المهاجرين في سبيله بتمكينهم من مراغمة أعدائهم، والتوسعة عليهم في أرزاقهم، بقوله (سبحانه) : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٠] .

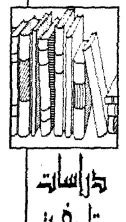
ثم جاء الوعيد شديداً فيمن تباطأ وتثاقل عن الهجرة والجهاد في سبيل الله، وآثر متاع الدنيا على التضحية في سبيل الله، في قوله (تعالى) : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤].

قال الشيخ ابن عتيق (رحمه الله) : « وما من أحد يترك الهجرة، إلا وهو يتعذر بشيء من هذه الثمانية، وقد سدّ الله على الناس باب الاعتذار بها، وجعل مَن ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقًا، وإذا كانت مكة هي أشرف بقاع الأرض، وقد أوجب الله الهجرة منها ولم يجعل محبتها عذراً،

فكيف بغيرها من البلدان؟!»[1].

وحسماً لأمر الهجرة وجعله فرض عين: قطع الله (عز وجل) الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، وذلك في قوله (تعالى): ﴿فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٨٩].

فالذين دخلوا في هذا الدين عقيدة، لكن لم ينضموا إلى المجتمع الذي يقوم على هذه العقيدة، ولم يلتحقوا به فعلاً، لا يعدّون أعضاءً في المجتمع المسلم، ولذا: لم يجعل الله (عز وجل) بينهم وبينه ولاية وتناصراً بمعناه الأعم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].



ولما كانت الهجرة بهذه المنزلة،وجب على كل من أسلم أن ينتقل إلى مهاجر رسول الله ﷺ بالمدينة، إلا من استثني من أهل الأعذار من الأطفال والنساء والشيوخ.

قال القاضي عياض: «واتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم، وأن سكنى المدينة كان واجباً؛ لنصرة النبي ﷺ ومواساته بالنفس»[2].

بل إن الإقامة بعد ذلك في مكة كانت حراماً على من هاجر منها قبل الفتح؛ ولهذا: رثى النبي ﷺ لسعد بن خولة أن مات بمكة[3].

الحكمة من الهجرة:

إن العلم بمقاصد الهجرة وأهدافها أمر ضروري لكل مسلم يهمه أمر إقامة صرح هذا الدين؛ فالنصوص القرآنية التي وردت بصدد الهجرة ما كانت تعالج

---

١) ابن عتيق: سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، ص ٢٨.

٢) نقلاً عن فتح الباري، جـ٧، ص ٢٦٧.

٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ: «اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم»، جـ٤، ص ٢٦٧.

أمر الهجرة في تلك المرحلة من الزمن فحسب، ولكنها تعالج حالة قائمة في أمر الدعوة ، ولذلك: وردت بعض نصوص السنة توضح هذا الأمر.

فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما ستكون هجرة بعد هجرة» [1] ، وفي حديث آخر : «لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد» [2].

والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، كما جاء في حديث أبي داود: «والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال» [3].

وهذا الحكم استنبطه البخاري (رحمه الله) من حديث النبي ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر، والمغنم» بقوله: باب الجهاد ماضٍ مع البر والفاجر [4].

ولذلك: فالهجرة ليست مرحلة تاريخية انتهت بمضي وقتها وأهلها، وأصبحت مَعْلَمًا وصفحة من صفحات التاريخ فحسب، وإنما هي صفحة من صفحات السيرة المضيئة التي خلّدها القرآن والسنة ، وستظل جزءًا من حركة الدعوة إلى الله (تعالى) [5].

يقول صاحب الظلال: «ولقد ظل شرط الهجرة قائمًا حتى فتح مكة، حين دانت أرض العرب للإسلام وقيادته، وانتظم للناس في مجتمعه، فلا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد وعمل، كما قال رسول الله ﷺ ... » [6].

على أن الحكمة الأساس من الهجرة هي أن رسالة الإسلام جاءت لتنظم

---

١) أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الجهاد ، ح/٢٤٨٢، جـ٣ ، ص ٤، وأحمد في المسند ، جـ٢، ص ١٩٩ .

٢) أخرجه أحمد في المسند ، جـ٤ ، ص ٦٢، وقال الألباني: إسناده صحيح، السلسلة الصحيحة، جـ٤، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

٣) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الجهاد ، ح/٢٥٣٢، جـ٣ ، ص ١٨ .

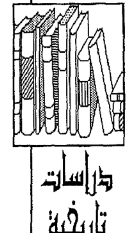
٤) أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، جـ٣، ص ٢١٥ .

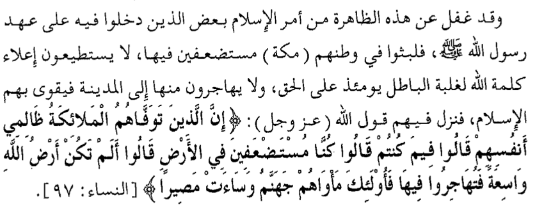
٥) صالح أحمد الشامي : السيرة النبوية ـ تربية أمة، وبناء دولة ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

٦) سيد قطب : في ظلال القرآن ، م٣ ،ص ١٥٦٠ .

شؤون الناس في شتى مجالات الحياة، فهي دستور ومنهج شامل لا بد لتطبيقه من أمة وأرض تقام فيها أحكام الله (تعالى)، والمسلمون لا يمكن أن يكون لهم وجود فعلي إلا إذا صبغ الإسلام جميع مرافق حياتهم، وساد نظامه أرضهم، وقامت فيها أحكامه وآدابه، كما تقوم فيها شعائره، وتسود فيها عقائده.

لكن إذا تعذر على المسلمين تطبيق أحكام دينهم وإقامة نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي وآدابه الخلقية في بلدهم، وجب عليهم الانتقال إلى البلد الذي يعمل فيه بأحكام الإسلام وآدابه، تكثيراً لسواد المسلمين، وإعزازاً لأمر الدين، واستعداداً لنصره وتأييده بالنفس والنفيس، وإذا لم يكن للمسلمين بلد تتوافر فيه هذه الشروط، وجب عليهم أن يجتمعوا في بقعة صالحة يقيمون فيها نظام الإسلام تامًّا كاملاً، ويتعاونون على حماية دعوته، واتخاذ الأسباب والوسائل لتحقيق رسالة الإسلام كما جاء بها صاحبها (صلوات الله عليه) وكما فهمها منه أصحابه والتابعون لهم بإحسان [1].





وقد غفل عن هذه الظاهرة من أمر الإسلام بعض الذين دخلوا فيه على عهد رسول الله ﷺ، فلبثوا في وطنهم (مكة) مستضعفين فيها، لا يستطيعون إعلاء كلمة الله لغلبة الباطل يومئذ على الحق، ولا يهاجرون منها إلى المدينة فيقوى بهم الإسلام، فنزل فيهم قول الله (عز وجل): ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ [النساء: ٩٧].

وعن شأن هؤلاء روى البخاري (في جامعه الصحيح) عن ابن عباس (رضي الله عنه) في قصة أصحاب بدر: «أن أناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، يأتي السهم فيُرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيقتل، فأنزل الله (عز وجل): ﴿**إِنَّ**

---

١) محب الدين الخطيب: من إلهامات الهجرة.

الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ »[1] .

وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح إلى ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم، قال المسلمون : كان أصحابنا مسلمين وأكرهوا، فاستغفروا لهم ، فنزلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ (الآية)، قال : فكُتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية : لا عذر لهم، قال : فخرجوا فلحقهم المشركون فأعطوهم التقية، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [العنكبوت : ١٠] »[2] .

وعند الطبري بسند صحيح إلى ابن عباس (رضي الله عنه) : « فكتب إليهم المسلمون بذلك (أي بآية : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾) فحزنوا ، فنزلت : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١١٠]، فكتبوا إليهم بذلك ، فخرجوا، فلحقوهم (أي : المشركون)، فنجا من نجا، وقُتل من قتل »[3] .

وقال الضحاك : « فنزلت هذه الآية الكريمة ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنًا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حرامًا بالإجماع »[4] .

ويمضي هذا الحكم إلى آخر الزمان ، متجاوزاً تلك الحالة الخاصة التي كان يواجهها النص في تاريخ معين وفي بيئة معينة، يمضي حكمًا عامًّا يلحق كل

---

١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير ، باب قوله (تعالى) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ ، جـ٥ ، ص ١٨٣ .

٢) تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٢٧٢ .

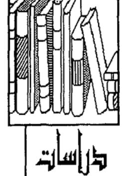
٣) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ٤ ، ص٢٤٣ ، وابن حجر: الفتح ، جـ٨، ص ٢٦٣ .

٤) تفسير ابن كثير ، جـ١ ، ص ٥٤٢ .

مسلم تناله الفتنة في دينه في أي أرض، وتمسكه أمواله ومصالحه، أو قراباته وصداقاته، أو إشفاقه من آلام الهجرة ومتاعبها.. متى كان هناك في الأرض - في أي مكان - دار للإسلام يأمن فيها على دينه، ويجهر فيها بعقيدته، ويؤدي فيها شعائر دينه»[1].

ولما كان الإسلام دين يسر، ومن مبادئه وأحكامه أن تقدر الضرورات بقدرها، وأن يعذر أهلها، كان تمام الآيات السالفة قول الله (عز وجل): ﴿ **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾ [النساء: ٩٨، ٩٩].

وفي تفسير قوله (تعالى): ﴿ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾ [النساء: ٨٨، ٨٩]، قال العوفي عن ابن عباس (رضي الله عنهما): نزلت في قوم كانوا قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم، فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد ﷺ فليس علينا منهم بأس، وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة، قالت فئة من المؤمنين: اركبوا إلى الجبناء فاقتلوهم فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم، وقالت فئة أخرى: سبحان الله! - أو كما قالوا - أتقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم، نستحل دماءهم وأموالهم؟!، فكانوا كذلك فئتين، والرسول ﷺ عندهم لا ينهى واحداً من الفريقين عن شيء، فنزلت: ﴿ **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ** ﴾ (الآية)»[2].



دراسات تاريخية

---

١) سيد قطب: في ظلال القرآن، جـ٣، ص ٧٤٥.

٢) قال ابن كثير في تفسيره: «رواه ابن أبي حاتم، وقد روي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم قريب من هذا»، جـ١، ص ٥٣٢.

وهكذا.. إذا كان القرآن الكريم قد أنحى باللائمة على جماعة من المسلمين كانوا في مكة يصلون ويصومون، ولكنهم ارتضوا البقاء تحت أنظمة تخالف الإسلام، فلا قوة لهم على تغييرها، ولم يهاجروا إلى دار الإسلام في المدينة ليكونوا من جنودها المتحفزين لتغيير تلك الأنظمة، فليعلم أن الإسلام لا يكتفي من أهله بالصلاة والصوم فحسب، بل يريد منهم مع ذلك أن يقيموا أنظمته وآدابه في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم ومجامعهم ودواوين حكمهم، وأن يتوسلوا بجميع الوسائل الممكنة لتحقيق هذا الغرض الواجب [1].

كما ينبغي أن يعلم أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأنه تكاليف وتبعات، وأنه إقرار وامتثال وطاعة، وإذ هو كذلك: كان لزامًا أن ينعكس أثره على اللسان والقلب والجوارح، علماً، وعملاً، وسلوكًا.

---

١) محب الدين الخطيب : من إلهامات الهجرة ، ص ٥٢ ، ٥٣ .

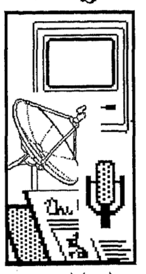
التقنية في خدمة الدعوة إلى الله

كيف نستفيد من الحاسوب ؟

(١ من ٢)

بقلم : حسين السلمان





إعلامية

تطورت وسائل الإعلام والاتصال في هذا العصر تطوراً مذهلاً ، مما ساهم مساهمة فاعلة في تداخل الشعوب والثقافات ، واستطاع الغرب تسخير تلك الوسائل في صناعة الرأي، ونشر هيمنته الفكرية في أكثر الآفاق.

ولقد آن الأوان لكي ينهض الدعاة لأداء رسالتهم ، ويخاطبوا الناس بلغة العصر ، وعلى قدر ثقافتهم ، ويسخِّروا وسائل التقنية الحديثة لنشر الدعوة، وبيان الحجة .

وفي هذه المقالة لأحد المتخصصين في علم الحاسوب إلمامة مركزة في كيفية الاستفادة من الحاسوب في نشر الدعوة الإسلامية بين المسلمين وغير المسلمين. ـ البيان ـ

الحاسوب وسيلة للدعوة :

يمكن تقسيم استخدام الحاسوب في الدعوة إلى مجالين، هما: ١ ـ الدعوة بين المسلمين (دعوة الإصلاح)، ٢ ـ دعوة غير المسلمين (دعوة الهداية) .

الدعوة بين المسلمين: ويشمل هذا المجال كل الجهود التي قدمت للاستفادة من مزايا الحاسوب، التي تركز بشكل أساس في القدرة على تخزين كم هائل من المعلومات مع سرعة التعامل معها ، وأبرز المجالات التي خدمها الحاسوب هي المجالات المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة النبوية [١] .

دعوة غير المسلمين: دعوة غير المسلمين تتطلب من الداعية إلى الإسلام أن يتعامل مع فئات مختلفة وقدر كبير من المعلومات، واستحضار سريع

---

١) انظر: أحمد شرف الدين: الحاسوب في خدمة السنة النبوية المطهرة ، الندوة الثانية لتعريب الحاسوب ، جامعة الملك سعود، شوال ١٤١٤هـ، وأيضاً: محمد طه أوم وآخرون ، في استعراض سريع: البرامج الإسلامية تجارة رابحة، مجلة عربيوتر، ع/٥٤ ـ ٢/١٩٩٥م .

للأدلة والبراهين في مجالات شتى، ومن الناحية النظرية: فإن البرامج الحاسوبية ستكون ذات أثر فعال في مجال دعوة غير المسلمين؛ نظراً لما يلي:

١ ـ قدرة الحاسوب الرائعة للتعامل مع كم هائل من المعلومات المقروءة والمسموعة والمرئية، واسترجاعها والوصول إليها بسهولة وإتقان.

٢ ـ السبب الآخر الذي يدعو إلى الاعتقاد بنجاح الحاسوب وسيلةً للدعوة هو نجاح البرامج التطبيقية المستخدمة في مجال التعليم؛ ففي مجال التعليم تستخدم برامج الحاسوب في أنماط تعليمية مختلفة، مثل: الشرح، والإلقاء، وطرح التمارين وتصحيحها ونمذجتها، ومحاكاة الظواهر الطبيعية.

نظام الدعوة بمساعدة الحاسوب (*)**:** المقصود من استخدام الحاسوب باعتباره أداة لدعوة غير المسلمين هو تطوير برمجيات لشرح الإسلام وتوضيح أركانه، وتتم عملية التعليم تحت التحكم الكلي من قِبَل المستخدم، من حيث: المواضيع التي يرغب في دراستها، وتحكم سرعة عرض المعلومات، وفي وقت الدرس ومدته.

المزايا: من أهم ما يتميز به الحاسوب ـ باعتباره وسيلة للدعوة ـ عن غيره من الوسائل الأخرى ما يلي (١) :

١ ـ أن إثبات العقائد يتطلب استحضار عدد كبير من الأدلة والبراهين، بحيث تتناسب مع نوعيات وأصناف البشر باختلاف ميولهم وأهوائهم ومعلوماتهم السابقة، فالأدلة على وجود الخالق (سبحانه) ـ على سبيل المثال ـ كثيرة وعديدة، يمكن استخلاصها من مختلف العلوم، مثل: الفلك، والفيزياء، والطب، والأحياء، وعلم الأجنة، والجيولوجيا.. وغير ذلك من العلوم، هذا بالإضافة إلى الفلسفة، وعلم المنطق، ويصعب على الداعية البشري أن يستحضر جميع هذه الأدلة من كل هذه العلوم ، أما باستخدام الحاسوب وتقنيات المعلومات فإنه يمكن حفظ جميع هذه الأدلة وتصنيفها وفق الموضوعات أو وفق درجة صعوبة الدليل وعمقه، ويستطيع المستخدم أن يختار الأدلة من المواضيع التي تتفق مع ميوله أو مستواه العقلي والمعرفي.

---

*) يعتبر الدكتور محمد محمود مندورة أحد أكبر الرواد في مجال استخدام الحاسوب في الدعوة.

١) د. محمد محمود مندورة : الحاسبات في خدمة الدعوة الإسلامية، ندوة استخدام الحاسوب في العلوم الشرعية، جدة، ربيع الآخر، ١٤١١هـ.

٢ ـ أن برمجيات الحاسوب يمكنها الوصول إلى أماكن بعيدة وإلى المستخدمين في شتى بقاع المعمورة بتكلفة زهيدة، لذا: فإن نشر الإسلام عن طريق هذه البرمجيات سيكون أقل تكلفة بكثير من الأسلوب التقليدي في إرسال الدعاة إلى هذه المناطق، أيضاً: فإن مستخدم هذه البرمجيات يملك هذه النسخة منها، وهو بذلك يستطيع استخدامها ساعة يشاء وفي الأوقات التي تناسبه، وهذا لا يتوفر في الأساليب التقليدية للدعوة، حيث لا يتوفر الداعية في كل وقت لكي يخاطب من يحتاج إليه.

٣ ـ أن الغرور والكبرياء وعدم الرغبة في الظهور بمظهر الجاهل أمام الآخرين.. هي بعض أسباب العناد والتمادي في رفض آراء الآخرين وإن كانوا محقين وصائبين، وتعلم الإسلام عن طريق برمجيات الحاسوب يزيل عن النفس هذا الحَرَج، وبذلك فإن المستخدِم يكون من الناحية النفسية أكثر تقبلاً لهذه الأفكار والمفاهيم، وهنا يجب توخي الحرص عند تصميم هذه البرمجيات بحيث لا تثير مشاعر الرفض لدى المستخدم.

٤ ـ يعتبر القرن العشرون الميلادي عصر العلم والمعرفة والتقنية، فقد استطاعت البشرية في الستين سنة الأخيرة من هذا القرن أن تضيف قدراً من العلوم والمعارف التجريبية يفوق بكثير ما أنتجته البشرية منذ بدء خلقها، كذلك فإن هذا العصر شهد تطوراً في التقنية مكن الإنسان من النزول على سطح القمر والخوض في أعماق البحر والوصول بأجهزته إلى مجاهل الفضاء السحيق، وإذا كان الإنسان القديم ـ في غياب العقيدة الصحيحة ـ قد عبد الشمس والقمر وقوى الطبيعة المختلفة، فإن الإنسان في هذا العصر قد اتخذ من عقله ونتاج عقله من علوم وتقنيات آلهة يعبدها من دون الله، والحواسيب هي إحدى أهم الإنجازات البشرية في هذا العصر، وهي تحظى بكثير من الثقة والاحترام لدى عدد غير قليل من الناس، لذلك: فإن الحواسيب باعتبارها وسيلة للدعوة إلى الإسلام قد تكون الأقدر على إقناع تلك الفئة؛ نظراً لتقبلهم لها وارتياحهم النفسي في التعامل معها.

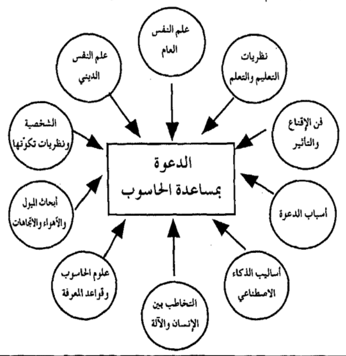
٥ ـ أن معظم مستخدمي الحاسوب هم من الفئات المتعلمة في أي مجتمع ـ من أساتذة جامعات، وطلاب، ومهنيين، وكبار مسؤولين، وتربويين ـ، وهذه

الفئات هم في العادة أصحاب التأثير الفعّال في المجتمع ، لذا: فإن الوصول إليهم واستمالتهم إلى دين الإسلام يعني التأثير بطريق غير مباشر على أعداد كبيرة أخرى من البشر تتأثر بهذه الفئات.

ولكن الذي يجب التأكيد عليه: أن استخدام الحاسوب وسيلة لنشر الإسلام لا يعني الاستغناء عن الوسائل الأخرى ، فهذه الوسيلة ليست بديلاً عنها، وإنما هي وسيلة تكمل الجهود الأخرى المبذولة في سبيل نشر الإسلام بين الناس.

المجالات المؤثرة : ولكي ننجح في تطوير برمجيات دعوية فعّالة، لا بد من إجراء دراسات وبحوث عميقة في مجالات علم النفس العام، وعلم النفس الديني، والشخصية وتكوينها، والميول والأهواء وتأثيرها، وفن الإقناع والتأثير، ونظريات التعليم والتعلم، وعلوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي، وفن التخاطب بين الآلة والإنسان (١).

ويبين الشكل الآتي: رسماً يوضح مجالات العلوم والمعرفة التي تؤثر بصورة مباشرة على نظم الدعوة بمساعدة الحاسوب:



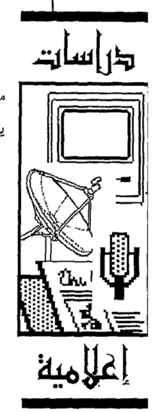
1) Mandurah, M. M.. "Computer-Assisted Development of Beliefs (CADB): The need for Multidisciplinary Research", Proc. of the 13th Saudi NCC, Riyadh, Nov. 1995.

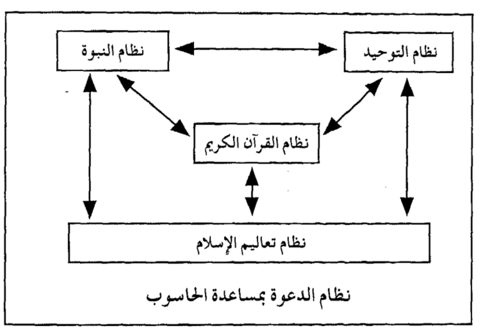
النظم الأساسية : ونظام الدعوة إلى الإسلام بمساعدة الحاسوب هو في جوهره نظام لتشكيل العقيدة وتطويرها، حيث تهدف هذه النظم إلى تغيير ميول المستخدم تجاه دين الإسلام، وإلى تعليمه مفاهيم الإسلام الصحيحة، وإزالة ما يمكن أن يكون لديه من مفاهيم مغلوطة وصورة خاطئة عن الإسلام.

وبالنظر إلى أسس العقيدة الإسلامية والتمحص فيها نجد أنها في مجملها تتكون مما يلي [1] :

- مفاهيم متعلقة بالتوحيد.
- مفاهيم متعلقة بالنبوة والرسالة.
- مفاهيم متعلقة بالكتب السماوية.
- تعاليم الشريعة الإسلامية.

لذا: فإنه يمكن النظر إلى نظام الدعوة بمساعدة الحاسوب على أنه يتكون من مجموعة مترابطة ومتكاملة من الأنظمة التعليمية الحاسوبية، كما يوضحها الشكل (٢)، وهي كما يلي :





شكل (٢) : عناصر نظام الدعوة بمساعدة الحاسوب

---

١) د. محمد محمود مندورة، وحسين السلمان : الحاسوب في خدمة الدعوة الإسلامية ـ مشروع تطوير نظام لتعليم القرآن لغير المسلمين، الندوة الثانية لتعريب الحاسوب، جامعة الملك سعود ، شوال ١٤١٤هـ .

● **نظام تعليم التوحيد** : ويقدم هذا النظام الأدلة والبراهين على وجود الخالق، ويناقش كذلك القضايا المتعلقة بوحدانية المعبود والصفات الإلهية الأخرى.

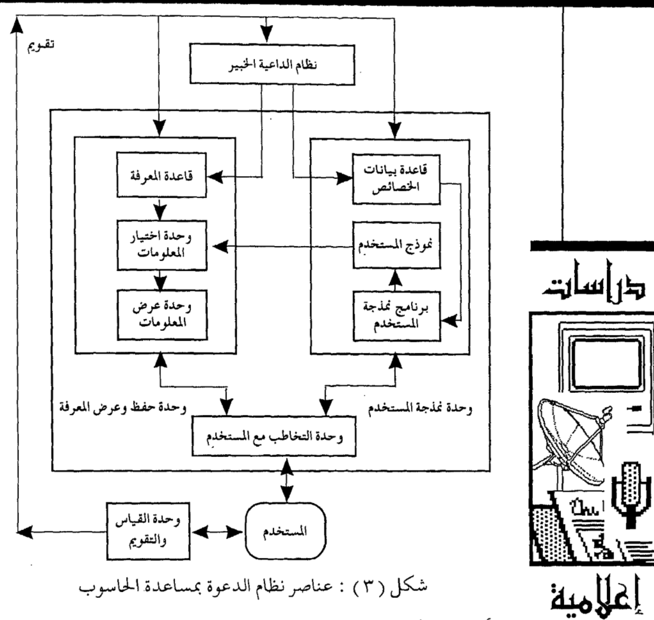
● **نظام تعليم النبوة** : ويقدم هذا النظام الأدلة والبراهين على نبوة محمد ﷺ، وأنه آخر المرسلين وخاتم النبيين، كذلك يعرض النظام جوانب من السيرة النبوية.

● **نظام تعليم القرآن الكريم** : ويقدم هذا النظام الأدلة والبراهين على أن القرآن كتاب منزل من الله (سبحانه وتعالى)، ويشرح النظام أسس العقيدة التي يحويها القرآن الكريم، ويعرض جوانب الإعجاز فيه .

● **نظام تعليم تعاليم الإسلام**: تهدف الأنظمة الثلاثة الأولى إلى إثبات العقائد الأساس للإسلام المتعلقة بالألوهية والنبوة والكتاب، وتقبل هذه المعتقدات والإيمان بها يعني اعتناق المرء للإسلام، والمرحلة التالية هي: معرفة تعاليم الدين الإسلامي وممارستها، ويهدف هذا النظام الأخير إلى شرح تعاليم الإسلام وتبيان أوامر الله (تعالى) ونواهيه.

المكونات الأساسية :

يتركز تصميم النظام الذكي لتعليم الإسلام على خلاصة التطور في العديد من المجالات، وبصورة خاصة يستفيد النظام من نتائج الأبحاث في مجال الذكاء الاصطناعي والنظم الخبيرة، ومجال التعليم الذكي بمساعدة الحاسوب، والتطورات في بناء قواعد المعرفة باستخدام النصوص الفوقية، ويبين الشكل (٣) المكونات الأساس لأي نظام تعليمي ذكي، وفيما يلي عرض لهذه المكونات :



شكل (٣) : عناصر نظام الدعوة بمساعدة الحاسوب

أ ـ وحدة نمذجة المستخدِم :

والهدف من هذه الوحدة هو تطوير نموذج (model) للمستخدم، وأحد ملامح هذا النموذج أنه يصنف المستخدم وفق محاور متعددة مثل: الجنس، العمر، مستوى الإدراك الذهني، العقائد السابقة، التأهيل العلمي والتخصص، الوضع الاجتماعي، الوضع النفسي، الميول والاتجاهات حيال الأديان بصفة عامة وتجاه الإسلام بصفة خاصة.. إلخ، وسينتج عن هذا النموذج معلومات تحدد الأسلوب الأمثل في دعوة هذا المستخدم: المواضيع المناسبة له، أسلوب الحوار والنقاش، مكامن الخلل العقائدي، تساؤلاته

الأساس عن الكون والحياة... إلخ .

ب ـ وحدة حفظ وعرض المعرفة :

ويحتوي هذا الجزء على كل ما يتعلق بالمعرفة في النظام، ويشمل ذلك جميع الموضوعات ذات العلاقة بموضوع النظام، المادة العلمية التي تشكل محتوى الموضوعات، معايير اختيار المادة المعرفية المناسبة للمستخدم، وأساليب عرض النصوص.

جـ ـ وحدة التخاطب مع المستخدم :

ومهمة هذه الوحدة تيسير التخاطب التفاعلي بين المستخدم والنظام، ويشمل ذلك : تنفيذ المحاورات المتعلقة بنمذجة المستخدم، واستقبال مدخلات المستخدم، وعرض مخرجات وحدة عرض المعلومات.

د ـ وحدة القياس والتقويم :

هذه الوحدة ليست جزءاً من مكونات النظام، وإنما الهدف منها : قياس مستوى أداء النظام وتنفيذ عمليات التقويم إذا لزم الأمر، والهدف الأساس لهذه الوحدة هو تحسين أداء النظام والارتقاء به بصورة مستمرة.

يقظة سعاد

شعر : عيسى علي آل خماش

بانت سعادُ فطال السهدُ والليل ... ولم يكن لأليم البعد تعليلُ
وما سعاد هوًى يشدوه شادنُه ... لكنها ملةٌ جاءت وتنزيلُ
فأيقظت نؤومًا كان مندثرًا ... بين الرمال تناجيه الأباطيلُ
وألزمته زمامَ الأمر ممتشقًا ... سيف العدالة لاجورٌ ولا ميلُ
لما تغير وجه الأرض واكتملت ... معالم المجد لا قولٌ ولا قيلُ
ضاق العدو بهم ذرعًا فأضمرها ... حَربَ الدسائس تمليه القناديلُ
هذا وقد شرق الخصم الألد بهم ... أصحابُ عهدٍ قديمٍ والأناجيلُ
وكلما أوقدوا للحرب نارَهمُ ... يعود للملةِ الغراءِ تأصيلُ
يا أيها الشجن الغادي إلى هدفٍ ... تقسمته البراري والعراقيلُ
يقضي علينا بأسباب نحبذها ... كأنها فوقنا طيرٌ أبابيلُ
قل للشباب لنا دِينٌ يصيحُ بنا ... حتى متى يشغلنا فنٌ وتمثيلُ
دعوا التوافه ضنوا بالحياة فما ... حرٌّ طليق كمن أرداه تكبيلُ
ويمكرونَ وعين الله شاهدةٌ ... يملي وليس لوعد الله تبديلُ
هناك تسمع للأبطال جلجلة ... ويستحثك تكبيرٌ وتهليلُ

البيان الأدبي

زَئيرُ الإسلام

شعر : محمد عبد الله الهويمل

يا جَمرةَ الرّوحِ العَضُوبِ تَضَرمي ... كوني شُعاعًا للفضاءِ الأعظمِ
كوني شعاعًا يستطيلُ إلى الثُّريا ... والفراقدِ ثمّ كوني سُلَّمي
ربَّ اهتزازةِ شاعرٍ متألمٍ ... آست جروحَ العالمِ المتألمِ
يا أمتي كيفَ الذئابُ استأسدت ... والغابُ كلُّ الغابِ ملكُ الضيغمِ
يا أمتي حولَ الرِّقابِ حبائلٌ ... تُدمي وقيدٌ قد أحاطَ بمِعصمي
كم ذا شجاعٍ جُردتْ أسيافُه ... أو في المنابرِ من فصيحٍ أبكمِ
كم فرحةٍ ماتت قبيلَ مجيئِها ... أو بسمةٍ عذراءَ تاهتْ عن فمي
ولَكَم بحثْتُ عن ابتسامةِ يُتَّمٍ ... فَوَجدتها تَكسو شفاهَ المُجرمِ
فالليلُ يمضغنا بأفواهِ الدُّجى ... نَحيَا ونقبرُ تحتَ حوتِ المأتمِ
ونعيشُ مثلَ الطفلِ يشربُ دمعَه ... رَضَعَ الأسى دهرًا ولمّا يُفطمِ
فزأرتُ زأرةَ ماردٍ حتى أرى ... خوفَ الفضاءِ أو اهتزازِ الأنجمِ
أو ما رأيتَ الشمسَ تَبسِطُ كَفَّها ... نَحوي تصافحني ولمْ أتبسمِ
والأرضُ تَرْفَعُني تباركُ أوبتي ... أو كالسماءِ هوت تُقبّلُ مَبْسمي
قُل للثّريا في عُلوِّ سمائها ... إنّي اصطفيتُك أنْ تكوني توأمي
فلقد سمعتُ الدينَ صاحَ بمهجتي ... ولقد رأيت المجدَ يسبحَ في دمي
فنزعتُ من وجه الصباحِ صباحَه ... ورميتُه في وجهِ ليلٍ أظلمِ
فإذا الحياةُ تسألتْ عن ليلِها ... قد ماتَ ليلُك تحتَ وطأةِ مسلمِ

البيان الأدبي

المثقف مستهلكاً

بقلم :
حسام المالكي

جاءني صديق شغوف بالأدب وعالمه، وحدثني عن كشف نقدي جديد، تحوّل به مَن تحوّل من نقاد الأدب فجأة إلى باحثين في الشأن الثقافي العام، وكان صاحبي قد أدهشته الفكرة، خصوصاً حين بدأ مروجوها يقرؤون اللغة والثقافة (والدين بالطبع مقومها الأول) من خلال التسليم بفكرة أولية، مفادها: أن الرجل هيمن على عالم الثقافة كله؛ فشَكّله لحسابه الشخصي! وجعل من النوع الرجالي مركزاً مهيمناً ، وهمش المرأة ظلماً وعدواناً، ثم لم يزل الأمر كذلك حتى بدأ اتجاه النقد النسوي المعاصر، فكان أن بدأت المرأة تتعلم كيف تكسر تاريخ الهيمنة الطويل هذا!، وسيستغرق الأمر منها أزماناً مدداً، حتى تستطيع إعادة تشكيل اللغة والثقافة معاً بعيداً عن مركزية الرجل وهيمنته .

فقلت له : يا صديقي إن ذلك ليس سوى صرعة غربية من ستينيات قرننا هذا المؤذن بالرحيل ، وأنت تعلم مدى شغفنا باستجلاب كل المكدسات الغربية والغريبة ، التي عادة ما يبدأ تاريخ صلاحيتها عندنا بعد دخول تاريخ انتهائها عندهم بسنين عدداً ، ابتداء من أسلحة القتال العسكرية (التي تجوع لأجل شرائها الشعوب، ثم تُسد صرخة البطن الجائع بنيران تلك المشتريات حين تُصَب عليها لا على العدو)، ثم مروراً بأسلحة الفكر ، التي تعبر عن صراعات عالم آخر، ومشكلاته وخصوصياته، وإن كنا في استهلاك الفكر

البيان الأدبي

أكثر زيفًا، خصوصًا حين ننزع عن المنتج ثوبه الأصلي، ثم نضع عليه رقعة شائهة نكتب فوقها تاريخًا جديدًا للصلاحية! ومعه ختمنا المعتاد ، وأسماؤنا اللامعة.

يا صديقي نحن ما زلنا بعد كل شيء: ذلك المشتري الكسول، الذي يظل طوال عمره زبونًا يستهلك بضائع الآخرين!، وربما اشترى ما أُعِدّ للاستهلاك غير البشري ؛ فصنع منه وجبته الرئيسة! ، متلمِّظا بطعم الورم! الذي يحسبه الشحم واللحم .

ألا تذكر وصية جدك المتنبي :

أُعيذها نظراتٍ منك صادقةً   أن تحسب الشحمَ فيمن شحمُهُ ورمُ!

حكاية «النص» وما وراءها

بقلم:
د. محمد يحيى

شاع في الكتابات العلمانية في السنوات الأخيرة إطلاق وصف «النص» على القرآن، فأصبحنا نسمع عبارة «النص القرآني» تتردد كثيراً لدى من يتناولون الأمور الدينية الإسلامية من ذوي المنحى العلماني.

وقد يبدو لأول وهلة أن هذا المصطلح أو الوصف يستمد أصله من السياق الإسلامي المعروف حول مفهوم «النص»، والذي يدور حول صفات الوضوح والبيان أو القطعية في الدلالة أو الثبوت.. ولكن القراءة المتأنية في مضامين وإيحاءات استخدام هذا الوصف والمصطلح في الكتابات العلمانية تكشف عن أن مفهوم كلمة (النص) عندها يختلف اختلافًا جليًّا عن مفهوم الدراسات الإسلامية للكلمة، ويتصل عضويًّا بالمفهوم الغربي الأصيل لهذه الكلمة والفكرة كما تطور منذ عصر النهضة الأوروبية وحتى أقرب المدارس الفكرية في الغرب، كالنفعية، والتأويلية، والحداثة، وما بعد الحداثة، والتفكيكية، والتاريخية، وليس هذا الأسلوب بغريب على أصحاب المذهب (اللاديني)، فقد تعودوا في أطاريحهم المختلفة على أساليب مما يمكن أن تسمى بالتدليس الفكري، ومنها: التلاعب في استخدام مصطلحات معينة ذات أصل في تراث الفكر الإسلامي، يوهمون أنهم يستعملونها بمعانيها الإسلامية، بينما هم في الواقع يملؤونها بالمضامين والإيحاءات التي اكتسبتها أو أضفيت على مصطلحات مشابهة لها في الغرب وضمن السياق الفكري هناك.

ومصطلح «النص» الذي يقرن بالقرآن هو أحد هذه الكلمات الداخلة في

البيان الأدبي

إطار تلك العملية من التدليس الفكري، فالذين يستخدمونه في كتاباتهم من العلمانيين قد يوحون في الظاهر بأنهم إنما يلجؤون إلى مصطلح له جذور في التراث الإسلامي والعربي، بينما الحقيقة ـ كما يشي بذلك مضمون اللفظ، كما يتجلى عندهم ـ هي على العكس من ذلك تماماً.. فما هي أبعاد المصطلح الأوروبي الأصل ومضامينه وإيحاءاته التي يكرسونها؟.

إن أبرز ما يميز مفهوم «النص» في الفكر الغربي الحديث هو: نزع القداسة، والتسوية العمياء بين جميع النصوص.. وهذا هو جوهر المدارس التي عرفت في مجملها باسم ما بعد الحداثة والتفكيكية في مركزها، لكن «نزع القداسة» موجود في التراث الفكري الغربي منذ قرون عديدة، وبالتحديد: منذ أن نشطت حركات تأويل وتفاسير الإنجيل والتوراة عندهم والكتابات التحليلية التاريخية التي استعملت المناهج النقدية لتقويض أسس مصداقية هذه النصوص كما تلقاها الغربيون من أسلافهم، صحيح أن الفكر الغربي عرف التفرقة بين النص «المقدس» والنص «الدنيوي»، ولكن بعد أن تطرق الشك إلى أن هذه النصوص «المقدسة» وحي صادر عن السماء أو عن الإله، وساد الاعتقاد بأنها وضع بشري ـ أو على أحسن الأحوال: جمع وصياغة بشرية عن أصول زعم أنها من الوحي الإلهي ـ، حدثت حالة من التسوية بين كل النصوص بمعنى كل الكتابات أو الأعمال المكتوبة، ولم تعد التفرقة بين «المقدس» و «الدنيوي» تستخدم إلا بمعنى اصطلاحي؛ ليدل على بعض من النصوص التي يعتقد بعضهم من «المؤمنين» أنها وحي سماوي.

مصطلح «النص» إذن في السياق الفكري والغربي ـ وحتى قبل أن تعمل فيه معاول مدارس ما بعد الحداثة والتفكيكية عملها الهدام ـ كان بالفعل محملاً بمضمون نزع القداسة أو إنكار أن هناك وحيًا إلهيًا أو (سماويًا) قد نزل، فكل الكتابات (نصوص) لا تختلف عن بعضها إلا في الأسلوب اللغوي، أو المقصد والغرض العملي منها، أو الأثر الذي تتركه في نفوس قارئيها وعقولهم.

وإذا كان مصطلح «النص» محملاً في جذوره وأصوله التاريخية الغربية

بنزع القداسة، وإنكار الأصل الإلهي لبعض النصوص، وتأكيد التسوية بين كل النصوص أو الكتابات على أنها وضع بشري.. فإن مدارس ما بعد الحداثة والتفكيكية قد أتت في العقدين الأخيرين لتكمل على ما تبقى من آثار للقداسة أو التميز لبعض النصوص التي «زُعِم» أنها وحي؛ وذلك لأن جوهر هذه المدارس كان القول بتحطيم أي مضمون ثابت تحتويه نصوص اللغة وتفكيكه وإلغائه، وإدخال النسبية المطلقة على معاني النصوص كلها، وطرح مجموعة من العمليات اللغوية الشكلية البحتة يقال إنها هي التي تنتج المعنى وهي التي تغيره في الآن نفسه، ومن هنا: تعمقت التسوية بين النصوص ونزع القداسة عنها، وهذا النزع مما كان موجوداً أصلاً في استخدامات مفهوم «النص» منذ القرن الماضي.

فقد أصبحت كل النصوص في ظل هذه المدارس الحديثة ـ وسواء أكانت أدبية، أم (علمية)، أم دينية ـ مجرد كميات لغوية، لا تحتوي على مضامين ثابتة، ولا تشير إلى حقائق خالدة، بل فقط «تنتج المعنى» بكميات معينة، تؤدي إلى أن يكون هذا المعنى نسبيًّا ومتغيراً وغير محدد القوام، وبالطبع كانت النصوص «المقدسة» هي الأكثر تأثراً بهذا الاتجاه؛ لأنها هي أكثر النصوص التي كانت تزعم لنفسها أنها تحتوي على حقائق خالدة ومضامين ثابتة وأفكار مطلقة.. وتخرج هذه النصوص من مطحنة التحليل التفكيكي وما بعد الحداثي وقد تحولت إلى ركام من المعاني المتضاربة التي لا تشير إلى أي شيء أبعد من تهومات ذهنية أو معانٍ أخرى.. فالكل في النهاية: (لعبة اللغة).

إن المحصلة النهائية لمفهوم «النص» كما تبلور في الغرب على يد المدارس الفكرية هناك تشير ـ كما أسلفنا ـ إلى عملية متصاعدة من نزع القداسة عن النصوص والكتابات الدينية، ثم إعمال التسوية بين كل أنواع النصوص، وإخضاعها في نهاية المطاف إلى هيمنة بعض العمليات اللغوية الشكلية الآلية، التي تلغي حتى وجود المعنى العلماني نفسه فيها، وتحل محله الإبهام والتميع والغموض و«عدم التحدد»، ومن هنا: فإن استخدام مفهوم «النص» في الكتابات ذات التوجه العلماني التي تتحدث عن الإسلام ـ وعن القرآن

بالتحديد ـ لا يأتي بريئًا من التحيز ، ولا يأتي في سياق الفكر والمصطلح الإسلامي كما قد يتصور بعض الطيبين لدى النظرة الأولى، بل يأتي محملاً بكل هذه المضامين والإيحاءات الغربية.

ومن هنا : فإن الحديث عن « النص القرآني » في سياق هذه الكتابات العلمانية يلف ويدور حول قضايا بعينها، أصبحت مشهورة الآن من كثرة ترديدها واللغط حولها، وهذه هي قضايا ما يسمى بتاريخية النص القرآني، أي : تشكله عبر فترة تاريخية، أو خضوعه في المعنى والتفسير لاعتبارات التاريخ والعهد الذي (كتب) فيه هذا (النص) كما عبر أحد الكتاب في هذا السياق، ويرتبط بهذه القضية : ما يطرح حول نسبية المعنى القرآني وتغيره بتغير العصور والمفسرين، كما يرتبط بها : الحديث حول (بشرية) النص القرآني، بالقول بأن القرآن قد (كتب) بلهجة عربية معينة، وفي عصر معين، وأنه موجه للبشر؛ ولذلك فإن الطابع البشري يغلب عليه (!).

وبصرف النظر عن التلاعب اللفظي المتضمن في هذا الرأي (وقد يكون هذا موضوعًا لمقال آخر)، فإنه نابع في الأساس من ذلك المفهوم عن النص الذي جُلب من الفكر الأوروبي بسياقاته المختلفة عن السياق الإسلامي.

وفي الخلاصة : فإن مفهوم « النص » ـ الذي يشيع في كتابات العلمانيين الآن في بلادنا الإسلامية مطبقًا على القرآن ـ يتضمن كثيراً من الأفكار التي تهدم أسس الدرس القرآني، ويحول كتاب الله إلى مجرد (كلام بشر) تجوز عليه شتى العمليات الشكلية التي تطبق لتفسير الأعمال الأدبية وتحليلها، وربما جاز التعليق بأن هذا الكلام ليس جديداً عليهم، وإن كان الآن مصاغًا بمصطلحات تزعم الجدة والطابع الفلسفي؛ فقد سبق للمستشرقين وأشياعهم منذ أوائل هذا القرن أن وصفوا القرآن بأنه كالعمل الأدبي الذي يجب أن تطبق عليه أساليب الأدب حتى يفهم، ولا يعني ذلك سوى أن القرآن تأليف بشر، وهي دعوى كفار قريش القديمة نفسها، تعود الآن في ثوب عصري معقد، بينما كانت تطرح في الماضي ببساطة ساذجة.

البلبل الذي صمت

بقلم:
أحمد عبد العزيز العامر

فقدت ساحة الأدب الإسلامي رجلاً متعدد المواهب، جرت الدعوة في شرايينه شابًّا ومعلمًّا وشاعرًا وكاتبًا ومتحدثًا، له مشاركات نقدية في تقويم ما يسمى بالشعر الحر، حينما استعرض قصته ومنطلقاته وأهداف رموزه، في كتابه: (جناية الشعر الحر)، مما دعا إلى مناصبته العداء من جمهرة الحداثيين.

لكنه لم يبال بردود أفعالهم، فأعقب ذلك بدراسة نقدية أخرى بعنوان: (بين الأصالة والحداثة)، وله ديوانا شعر: (جرح الإباء)، و(رسالة إلى ليلى).

لعلكم عرفتموه، فهو الأستاذ الداعية الأديب «أحمد فرح عقيلان»، ولد (رحمه الله)، عام ١٩٢٤م في (الفالوجة) بفلسطين، ونشأ في أسرة علم ودين، ونال الشهادة العليا لمدرسي الثانوية عام ١٩٤٦م، ثم عمل مدرسًا للغة العربية في بعض مدن فلسطين، وبعد نكبة ١٩٤٨م، انتقل إلى (خان يونس) ودرّس بها، ثم هاجر إلى السعودية ودرّس في معهد العاصمة النموذجي بالرياض لعدة سنوات، وعمل مديراً للأندية الأدبية برئاسة رعاية الشباب ثم مستشارًا بها إلى أن توفي هذا العام، ولقد عرّف به بعض الكتاب والنقاد، فأعطوه بعض حقه من الدراسة والتعريف، وحللوا شعره، وبينوا مظاهر شاعريته وأدبه، منهم: د. «صالح الشنطي»، ود. «مأمون فريز جرار»، و«أحمد الجدع»، و«جسني أدهم».

لكنه ووجه (رحمه الله) بعد وفاته بعقوق، لا سيما من محبيه، وتلامذته، والأدباء والنقاد الموضوعيين، حيث لم يكتب عنه إلا قليل منهم، ومما يذكر فيشكر ما كتبه الأديب «عبد الله بن سليم الرشيد» في ذكر ما له من شاعرية وما يحمله من هموم إسلامية، ولقد وصف شعره بأنه وعظي، وأنه شاعر واعظ!، وتساءل: هل من العجب أن يكون الواعظ أديبًا، أو الناقد والشاعر واعظًا، هذا إذا فهمنا الوعظ بالمعنى الشامل الذي يدخل فيه التذكير المباشر وغير المباشر كالأسوة الحسنة مثلاً،

البيان الأدبي

ومع ذلك: فلا تنافر بين الأدب والوعظ ما دام ذلك الأدب مستوفيًا شروط الإبداع صياغة ولفظًا، وكفى بكلام الله واعظًا وهو الحجة البالغة...(*).

والحقيقة: أن شاعرية «عقيلان» يلمحها المتذوق للشعر في ثنايا ديوانيه بما يهز سامعه هزًّا، ويثيره شجنًا، ويحلق بالقارئ إلى آفاق رحبة، يلمس فيها صدق العاطفة وجمال العبارة ووضوحها، وهنا أورد بعض نماذج شعره:

● **من قصيدته (يقول لنا الشهيد)** والتي قالها حينما أُريد نقل رفات الشهداء المصريين ـ فيما أحسبهم ـ بعد حرب ١٩٤٨م على ثرى فلسطين:

يقول لنا الشهيد دعو عظامي ... فما في الدين مصري وشامي
دعوني واطلبوا ثأري فإني ... لقتل من استباحوا الحق ظامي
أليست روضة الشهداء حولي ... ونور المسجد الأقصى أمامي
فلسطين الجريح مكان روحي ... ووجهة الانبياء بها إمامي

● **ومن قصيدته (شباب وخنافس) يقول:**

لهفي على ابن الأكرمين مخنفسًا ... رخصًا يسابق في الدلال الغيدا
مستعبد التفكير خلف عدوه ... كالقرد يقضي عمره تقليدا
بسوالفٍ وسلاسلٍ وأظافرٍ ... يعصي الإله لكي يطيع يهودا

● **ومن قصيدته (صرخة الأقصى) يقول:**

صوت من المسجد الأقصى يناديني ... إلى فدائية الإيمان يدعوني
يصيح والصخرة الغراء خاوية ... أين البطولات في الغر الميامين
أَبَعْد أن زفني عمرو إلى عمر ... في هالة المجد والقرآن والدين
يعربد الكفر مخموراً بمئذنتي ... ويستهين بقدسي كل ملعون؟

● **ومن قصيدته (صرخة) يقول:**

حطمت قيثارتي قطعت أوتاري ... ولّى الغناءُ ودقت ساعة الثار
ماذا أغني وتاريخ العروبة في ... مستنقع الذل والتشريد والعار
والقدس والمسجد الأقصى وصخرته ... عاد الأذان بها تهريج كفار

رحم الله الشيخ، وجمعنا به في الجنة.

(*) المجلة العربية، (أحمد فرح عقيلان)، شهاب خبا، ع/٢٣٩.

مقال

وداعًا أيها العام!!

بقلم : محمد إدريس

وقفت أمام يوميتي لأنزع آخر ورقة بها لآخر يوم من عمر العام المنصرم ١٤١٧هـ ، وعلى غير عادتي تثاقلت يدي هذه المرة، وهي تمتد إليها، وانتابني إحساس نبه في وجداني شعوراً، ما كنت أأبه له على مدى أكثر من ٣٥٠ يوماً قد انتهت !!، لقد أحسست بإشفاق عليها، وقد تراءت لي كأنها تحتضر، وترنو إلى يدي في فزع وذل؛ كأنها تطلب مني أن أمهلها لحظات تودّع فيها هذه الحياة!!، فعدلت عن نزعها ، ورحت أتأمل هذه الورقة الأخيرة، واعترتني رهبة عندما عرفت أنني في الحقيقة بنزعها، قد نزعت حزمة من أيام عمري، لأطوي بها في سجلي الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وبما فيها من خير وغيره.

- إن هذه اليومية (الشاهد) المحتضرة تشبه عمر أي مخلوق، وإنها تتناقص أيامها مثلما تتناقص أعمارنا يومًا بعد يوم، وكما يتناقص بتراكمات الحقب والسنين عمرُ الزمان، وكل المخلوقات في تناقص مطّرد حتى تنتهي إلى الزوال؛ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧] .

- إن كل المخلوقات تنتهي أعمارها، وتمضي حيث شاء الله لها، وتُطوى!، إلا هذا المخلوق (الإنسان) فإنه الوحيد الذي يبقى متبوعًا بعد رحيله من هذه الدنيا، وموقوفًا للحساب والجزاء.

- عدت من ذهولي، وأخذت استحث ذاكرتي القاصرة؛ علّها تسترجع بعض ما رسب وعلق بها من أحداث العام المنصرم، قبل أن تغمرها دوائر

النسيان، ووقفت طويلاً أستعرض ذلك الشريط الطويل (العمر)، يا سبحان الله العظيم!!.. إنه شريط عجيب حقًا، فقد اكتظ اكتظاظًا، وأفعم إفعامًا؛ لقد اكتظ بالحوادث المختلفة، والأحداث المتباينة، والأعمال الحقيرة والجليلة، عنّي وعن غيري ممن لا حصر لهم، من الذين مرّوا أمام عدسة هذا الشريط بالصوت والصورة!!.

ـ ثم مرّت أمامي لقطات متتالية مؤلمة مؤلمة وحزينة حزينة، من واقع كثير من المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها.

ـ أحبائي القراء المحترمين، إن استرجاع وعرض كل لقطات شريط عامنا المنصرم عن أحوال أمتنا في هذه العجالة وفي هذه المساحة المحددة صعب جداً، كما لا أحب أن أثقل به عليكم أكثر، ولنتركه مستوراً ليوم العرض الأكبر، ندعوه (تعالى) ألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، إنه البر الرحيم، ولكني أحبّ أن أذكر بنزر قليل مجملٍ من غير تفصيل، وإن الذكرى تنفع المؤمنين.

ـ وعليه: فإن ما أحزنني عن حالنا كان كثيراً كثيراً؛ وإن ما أسرّني منه كان قليلاً!!، ولست أدري من أين أبدأ الكلام؟!، وعمّ أتكلّم؟.

المبدأ بأرض الكنانة؟، أم عن ضفاف النيلين الأبيض والأزرق؟، أم عن الجبل الأخضر؟، أم عن جامع الزيتونة المقهور؟، أم عن موطن ابن باديس المستلب؟، أم عن جامع القرويين النائم؟، أم عن معاقل الشناقطة الأعلام المتخلف؟، أم عن بلاد الرافدين المغلوبة على أمرها؟، أو عن الشام المهيضة الجناح؟، أم عن فلسطين السليبة؟، أم عن اليمن السعيد؟، أم عن بخارى والسند؟، أم عن أخوات البوسنة؟، أم عن مسلمي الهند؟.. أم.. أم.. أم..

لكني رأيت فيها كلها عجبًا عجابًا، رأيت فيها ليلاً أغدف، ونهاراً أكلف، أرضًا صلعاءَ، وسماءً جلواء؛ ورأيت فيها باطلاً عسوقًا [1]، وظلمًا

---

١) اقتباس من خطبة لأبي بكر (رضي الله عنه).

مقال

عنوقًا، عِزة بالأثم وجوراً ، وحقًّا مقهوراً، وباطلاً منصوراً !!، ورأيت ردَّةً وشركًا واغترابًا، ومسخًا وفجوراً، وتَجنّيًا وسفوراً!!!.

رأيت فيها استكانة وذلة!!، ودَعَةً واستمراءً وغفلة!!، وصمتًا مهلاًّ!!.

نعم.. لقد رأيت فيها طواغيت قد عادوا بطغواهم، والمستضعفين المغلوبين يعانون من جبروتهم وظلمهم، ولا ملجأ لهم إلا الله.

نعم.. لقد رأيت فيها قابيل يقتل هابيل ظلمًا وعدوانًا.

رأيت فيها نوحًا (عليه السلام) يواصل رسالته، ومع القلة المؤمنة يصنع سفينته، ليرحل عن دنيا الناس، والغرباء ينتظرون الطوفان ليجرف المتجبرين.. فطوبى للغرباء الصابرين!.

ورأيت فيها النمرود يحاول حرق إبراهيم (عليه السلام)، وإبراهيمَ، وإبراهيمَ، وإبراهيمَ، ويعتدي على عرضهم وأهلهم، وينفيه من أرضه، والقوم من جبروته مبهورين ومقهورين، بل هم يتفرجون ! .

ورأيت فيها قارون لم تكفِه خزائن الأرض كلها، ومع عصابته خطفوا كل مفاتيح الخزائن ، فأفلسوا البلاد، وعاثوا فيها الفساد، وأهلكوا الحرث والنسل.. قومه يتضورون جوعًا ، ويمجدونه كذبًا وزوراً !! .

رأيت فيها فرعون لا يزال معانداً متألهًا ، يكفر بموسى (عليه السلام) ، وبرب موسى، وبرسالة موسى، ويأتي الطاغوت يعلن على الملأ بِقِحَة وصفاقة المتجبرين: بأنه لا ربّ سواه؛ وقومه له يسجدون، وهم راغمون ، ولا ساكنًا يحرّكون ، ولا واقعهم إلى الأحسن يغيرون.

رأيت العزيز يسجن الصديق، ويرمي به في غياهب السجون، ولكنه يمضي في طغيانه، لأن البطانة تطريه، وإذا غضب ترضيه!!.

ولكن الذي ملأني رعبًا وغيظًا ، وهلعًا وحنقًا، عندما رأيت، وكما يراه كل المسلمين، عندما رأيت الإسلام لا يزال مكبَّلاً بالسلاسل في كثير من ديار الإسلام، يرسف في قيوده ، ويساق إلى قفص الاتهام، للمرة السبعين، منذ

عشرات العقود من السنين لا يزال مُداناً، وفي كل عام بدون اتهام ، ليطيلوا محاكمته ، ويمدّدوا في عقوبته وسجنه!!، فلقد أجمع المحلفون، والقانونيون ، وفقهاء السياسة.. بحكم المتحضرين والمتنورين، وبشهادات الشهود الموثقين، لقد أجمعوا على اتهامه في هذا العام بأخطر اتهام، بأنه عين التطرف والإرهاب.. والهتيفة يُؤمِّنون.

وهنا أتوقف؛ فالحديث ذو شجون ..... وإن الأمر جدّ مهول، جدّ مهول، جدّ مهول ، دعاة الإسلام يحاكمون، أم إن دين الله أصبح في عهد ادعياء الديمقراطية في(قفص الاتهام) ؟! .

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهالني الأمر، وأشفقت على أولئك المضطهدين، تلك الفئة الصالحة المبتلاة، وأشفقت عليها من صبرها الطويل الطويل!! ، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

مددت يدي وانتزعت الورقة الأخيرة ؛ لتبدأ البداية الجديدة.

لعام جديد، بأمل كبير، ودعاء صادق أن يقيض الله لهذا الدين مَن ينصره، ومن يتبناه ويحكّمه في أمتنا المأسورة في كثير من البلدان بالقوانين التي ما أنزل الله بها من سلطان، سائلاً الله (عز وجل) أن ينصر الإسلام، وأن يعز المسلمين، وأن يرينا في أعداء دينه وشانئيه يوماً أسود، وما ذلك على الله بعزيز .

المسلمون

على مشارف القرن الواحد والعشرين

(١ من ٢)

بقلم: د.محمد طاهر حكيم

همومٌ ثقافية

كيف يستقبل المسلمون القرن الجديد؟!.. موضوع يكثر الحديث عنه منذ عدة سنوات ويشغل بال كثيرين من مفكري الأمة.

إن الأيام والشهور والسنين والقرون شهود على الإنسان أو شهود له، وهي شهود على الأمم والشعوب والحضارات أو شهود لها.

وشهادة القرن العشرين للأمة الإسلامية كُتب منها كثير وبقي منها قليل، ليس أمام هذا القرن إلا بضع سنوات.. نسأل الله أن تكون سنين خير ورخاء واستقرار على الأمة الإسلامية.

فكيف هو واقع المسلمين الذين يزيد تعدادهم على ألف مليون نسمة، وينتشرون على ربع مساحة اليابسة من (جاكرتا) شرقًا إلى (طنجة) غربًا، كيف واقعهم اليوم في مجالات العلم والمعرفة والبحث العلمي والتقني والاقتصاد والاجتماع والعلاقات المحلية والدولية؟، وما المخاطر والمشكلات التي تواجههم على عتبة القرن الواحد والعشرين؟، ثم: ما آفاق المستقبل للأمة الإسلامية؟.

هذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذا المقال ـ إن شاء الله (تعالى) ـ:

أولاً: واقع الأمة في مجال العلم والمعرفة والبحث العلمي والتقني:

إن نسبة الأمية بين المسلمين تبلغ ما

بين ٥٠٪ إلى ٨٠٪، بينما تقل نسبة الأمية عن ٢٪ في دول الشمال، وأي مصيبة أكبر من أن تكون أمة ﴿ اقْرأْ ﴾ لا تقرأ، جاء في دراسة أعدها «منتدى الفكر العربي» عن مستقبل الأمية بالوطن العربي ما يلي: «يبلغ إجمالي الأميين في الوطن العربي نحو ٣٣ مليونًا في عام ١٩٩٤م».

إن مشكلة الأمية بكل أبعادها ليست مشكلة تعليمية أو تربوية فحسب، بل هي في الأساس مشكلة حضارية، لذا: فإن القضاء عليها ليس فقط استثمارًا له مردوده الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، بل يُشكّل ـ وهذا هو الأهم ـ شرطًا أساسًا ولازمًا للتطور واللحاق بالركب الحضاري، وإنه لمن نافلة القول أن أؤكد أنه من المستحيل قيام تقدم علمي وتقني في ظل الواقع الحالي، لهذا كان من الطبيعي أن تتعثر جميعُ خطط محاولات اللحاق بركب التطور العلمي والتقني؛ لأن الحدود الدنيا من المقومات العلمية والبشرية اللازمة لا تتوفر للدول الإسلامية، بل لا تمكن منها من قبل الغرب.

والواقع: أن فجوة التخلف بيننا وبين العالم المتقدم في مجال العلم والتقنية فجوة هائلة، تزداد اتساعًا بمرور الأيام، ومع أن الإحصائيات عن هذه الفجوة غير متوفرة بشكل جيد، إلا إن الدراسة التي قُدمت لمنظمة المؤتمر الإسلامي في اجتماعها الذي انعقد في (إسلام آباد) في الفترة من ١٠ ـ ١٣ مايو ١٩٨٣م، تذكر بأن هناك حوالي ٤٥ ألفًا من العلماء والمهندسين في حَقْلي البحث والتطوير العلمي والتقني في العالم الإسلامي بأكمله، وهذا العدد لا يقارن بعدد العلماء والمهندسين العاملين في (اليابان) وحدها، وهو حوالي نصف مليون باحث، وفي (الاتحاد السوفييتي) سابقًا يبلغ أكثر من مليون ونصف المليون.

وأما في حقل (الفيزياء والذرّة): فقد نشرت اللجنة المركزية للمخابرات الأمريكية تقريرًا قبل بضع سنوات فيما يتعلق ببعض دول العالم الثالث، جاء فيه: «أن هناك مئتي ألف عالم نووي

يعملون في الهند، وخمسين ألفًا في إسرائيل، وخمسة آلاف في باكستان».

ومن أبلغ المؤشرات على عمق هذه الفجوة واتساعها: تدني إنفاق الدول الإسلامية على الاهتمام بالبحث العلمي وتوظيفه من أجل التنمية، فقد ذكر الدكتور «زغلول النجار» أن الدول المتقدمة تنفق ما بين ٣٪ و ٤٪ من دخلها العام على البحث العلمي والتقني، في حين نجد أن إنفاق الدول الإسلامية والعربية لا يتعدى ٢ر٠٪، فكل من (إندونيسيا)، و(إيران)، و(باكستان) على سبيل المثال أنفقت ٢ر٠٪، بينما أنفقت كل من (بنجلاديش)، و(السودان) ٣ر٠٪، و(مصر) ٧ر٠٪ في السبعينيات، وإذا ترجمنا هذه النسبة إلى ما يقابلها من الدولارات فإنها تعادل ما يقرب من (٥٥٠) دولاراً عن كل فرد في (أمريكا)، و(١٠) دولارات في الدول الإسلامية.

وتبلغ نسبة العلماء والتقنيين إلى مجموع تعداد السكان في الدول الإسلامية رقمًا لا يذكر إذا قورن بنسبتهم في دول التقدم العلمي، إذ تتراوح بين عشرين في المليون في دولة (بنجلاديش)، و١٩٠في المليون في (مصر)، بينما تتراوح بين ٤٣٠٠ في المليون في أوروبا وأمريكا، و٨٢٠٠ في المليون في (الصين) و(الاتحاد السوفييتي) سابقًا [١].

ولكن الأمرَّ من هذا كله: أنه في الوقت الذي تدفع فيه الشعوب الإسلامية ثمن تعليم وتطوير هذه العقول، يجني الغرب الثمرة، حيث إن أعداداً كبيرة من هذه العقول تهاجر إلى الغرب وتصبح النتيجة مزيداً من التخلف التقني في المجتمعات الإسلامية وزيادة مُطّردة في التقنية الحديثة التي نستوردها من الغرب والتي تشارك في تطويرها عقولنا الإسلامية المهاجرة.

فقد ذكرت هيئات عالمية مثل

١) انظر: قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، للدكتور «زغلول النجار»، ص١٢٢، وهو المرجع المهم لهذا البحث .

(منظمة اليونسكو)، و(منظمة التجارة العالمية) و(لجان الجمعية العامة للأمم المتحدة) الحقائق الآتية:

أ ـ أن ما يقرب من مليون من الكفاءات العالية والتقنيات الفنية المؤهَّلة علميًّا هاجروا من دول العالم النامي إلى أمريكا وأوروبا خلال الفترة ١٩٧٢م ـ ١٩٩٠م.

ب ـ أن ٧٠٪ من الأطباء و ٦٥٪ من المهندسين من البلاد الإسلامية هاجروا إلى الخارج، وأن من بين كل مئة يبعثون للخارج على نفقة الدول العربية لنيل درجات الماجستير والدكتوراة يبقى منهم ٤٠٪ في الخارج ويهاجرون هجرة نهائية، و ٢٠٪ يهاجرون هجرة مؤقتة.

جـ ـ بلغت هجرة الأطباء والمهندسين والعلماء العرب إلى الغرب حتى سنة ١٩٧٦م ما نسبته: ٥٠٪ من الأطباء، و ٢٣٪ من المهندسين، و١٥٪ من علماء الطبيعة.

د ـ أن ما بين ٥٠٪ ـ ٧٠٪ من خريجي كليات الطب في (باكستان) يهاجرون سنويًّا إلى الغرب خلال العقد الأخير، وفي المتوسط: يهاجر مئة عالم وفني وتقني يوميًّا إلى الغرب.

هـ ـ قدّر مكتب خدمات (الكونجرس) في أمريكا أنه في عامي ١٩٧١م ـ ١٩٧٢م فقدت الدول الإسلامية ـ نتيجة هجرة كفاءاتها العلمية ـ استثمارات تقدر بـ(٤٦٤) مليون دولار، وتبدو خسارة الكفاءات أكثر مأساوية بالنسبة إلى بعض الدول النامية، حيث فقدت (بنجلاديش) ١٧٪ من المهندسين، وفي الثمانينيات: انتقل ثلث الكفاءات العلمية من إفريقيا إلى أوروبا، وخسرت (غانا) وحدها ٦٠٪ من أطبائها.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن هذه المناطق تعاني أصلاً من نقص الكفاءات وسوء الخدمات الصحية يَظهر بوضوح حجمُ مأساتها، فنصف سكان إفريقيا لا يحصلون على خدمات صحية، وثلث سكانها لا يعرفون القراءة والكتابة، وحوالي ثلثي سكان (بنجلاديش) من الأميين، في حين لا يوجد إلا ما نسبته طبيب واحد لكل

حوار

بالسياط ، والإهانة في الدين والعِرض ، وصولاً إلى قتلهم برصاص الـ (كلاشينكوف) اغتيالاً وقتلاً في الخارج والداخل .

● على ضوء معاناة المسلمين السنة في إيران وما يلاقونه من اضطهاد ، عزمتم على إنشاء جمعية للدفاع عن حقوق أهل السنة في إيران ، هل لكم أن تحدثونا عنها : دافع قيامها ، مؤسسيها ، ومصادر تمويلها ؟ .

■ ما ذكرناه سابقًا من الدمار والقتل والإبادة لأهل السنة والجماعة في إيران اضطر أهل العلم والفتوى والمخلصين من الشعب السني المسلم في الداخل والخارج إلى التفكير في إنشاء (جمعية الدفاع عن حقوق أهل السنة في إيران)؛ لكي تكون محوراً أساسًا لتجميع أهل السنة والجماعة، ومن ثم : العمل على محاولة نجاتهم من مكر دعاة الرافضة بنشر الكتب والمجلات التي تشرح عقائد أهل السنة والجماعة، وتحريك الإعلام العالمي لشرح معاناة أهل السنة وما يلاقونه من الإبادة والدمار من قِبَل حكومة إيران الرافضية، وأسست هذه الجمعية خارج إيران، علمًا بأنه غير مسموح لأهل السنة إيجاد حركة أو جمعية داخل إيران، ومؤسسو هذه الجمعية من العلماء المعروفين بزهدهم وتقواهم وتاريخهم الحافل بالجهاد والدفاع عن حقوق السنة وشرف الصحابة ـ ولا نزكيهم على الله ـ.

ومصادر التمويل ذاتية من بعض أهل السنة أنفسهم الموجودين خارج إيران، وجدير بالذكر أننا نعاني من مشكلات اقتصادية شديدة تضعف مواصلة مسيرتنا، ولا شك أن الطريق مليء بالأشواك والعراقيل من قِبَل حكومة الرافضة الحاقدة، ولكننا عازمون على إيصال صوتنا للعالم، حتى يعرف العالم ما نعانيه من ظلم واضطهاد .

● ما مدى تفاعل أهل السنة من الإيرانيين بإنشاء هذه الجمعية ؟ .

■ يتفاءل كثير من أهل السنة الإيرانيين خيرًا بإنشاء هذه الجمعية، ووصلتنا مئات الاتصالات من الداخل والخارج تشجيعًا وتأييدًا لذلك، غير

فـ (أمـــريكا)، فـ (أيسلنـــدا)، فـ (ألمانيـا)، وأخـيـراً : (الكويت)، ويبلغ دخل الفرد فيها ٢٣,٣٥٠ دولاراً للفرد، والأخيرة هي المسلمة فقط .

جـ ـ أفقر عشر دول في العالم هي : (موزمبيـق)، ودخـل الفـرد فيـهـا ٨٠ دولاراً فقـط ، ثـم (تنزانيـا)، فـ (إثيوبيا)، فـ (سيراليون)، (نيبال)، (فـيـتنام)، (بوروندي)، (أوغندا)، (رواندا)، وأخـيـراً : (تـشـاد)، ويبلغ دخل الفـرد فيـهـا : ٢٠٠ دولار للفـرد، وواضح أن ثلاثاً منها مـسلمـة، وهي : (تشاد) و(أوغندا) و(تنزانيا) .

د ـ فيما يتعلق بالعالم العربي : فقد ذكـر المصـدر أن ثلث سكان العـالم العربي فقراء[1] .

ويمكن تقسيم العالم الإسلامي اليوم من حيث نصيب الفرد من الدخل إلى أربع شرائح :

١ ـ دول ذات دخول منخفضة : لا تتعدى أربعمئة دولار للفرد في السنة، من هذه الدول : (إريتـريا)، (أفغانستان) ، (بنجلاديش)، (تنزانيا)، (غينيا)، (موريتانيا)، (الصومال)، ... وغيرها .

٢ ـ دول ذات دخول متوسطة : تتراوح بين أربعمئة وثمانمئة دولار، أو يزيد قليلاً، منهـا : (الجـزائر)، (تركـيـا)، (مـصـر)، (العـراق)، (المغرب)، (تونس) ... وغيرها .

٣ ـ دول ذات دخول فوق المتوسط : تصل إلى ٣٠٠٠ دولار، مثل (ماليزيا) .

٤ ـ دول ذات دخول مرتفعة : وتشـمل دول الخليج النفطيـة، و(بروناي) .

ويرجع السبب الرئيس لهذا التباين الكبير في متوسط دخول هذه الشرائح إلى عامل التجزئة، والكيانات المصطنعة التي رسمتْ حدودَها الراهنة القوى الاستعمارية العالمية؛ لتبقى الأمة الإسلامية على هذه الصورة من التفتت الذي لا يُمكّن أيًّا من دولها من القيام بذاته أو من تشكيل وحدة اجتماعية أو اقتصادية متكاملة أو حتى شبه متكاملة.

١) الشرق الأوسط ، ع/٥٩٤١، الأحد ٥/٣/١٩٩٥م .

وإمعانًا في هذا التفتيت: وظفت القوى الاستعمارية ـ ولا تزال ـ مبررات الفُرقة بين هذه الكيانات من خلافات حدودية، وسياسية، وقبلية، وعرقية، وطائفية، وفكرية.. وغيرها في الإبقاء على فرقتها، واشتعال الحروب الباردة والساخنة بينها والعداوات الشخصية بين زعاماتها[1].

وتأتي بعد هذا مشكلة الديون، وتفصيلها كالآتي:

ـ إجمالي الديون المستحقة على الدول النامية المدينة (١٢٣ دولة) بلغت أكثر من ١٨١٢ مليار دولار عام ١٩٩٣م، منها ١٩٤ مليار دولار على الدول العربية، وتقدر خدمة هذه الديون (الربا) بحوالي ١٨ مليار دولار سنويًا، وهذه الديون تمثل ٧٥٪ من إجمالي الناتج المحلي العربي.

ـ وتبلغ ديون الدول الإسلامية عمومًا بنحو ٥٠٠ مليار دولار عام ١٩٩٣م.

وعلى العموم: فإن مارد الربا يحصد ما تزرعه الدول النامية في صورة فوائد للديون، فإذا ذهب ٤٥٪ من الناتج القومي للمسلمين إلى الديون وفوائدها، وذهب مثله تقريبًا على السلاح والدفاع، فماذا بقي للتعليم والبحث العلمي والصحة والتنمية الاجتماعية؟.

على سبيل المثال: تبلغ ديون (باكستان) نحو ٢٤ مليار دولار، ويذهب ثلث الناتج القومي في مقابل الديون وفوائدها، ونحو ٤٥٪ للدفاع والجيش، فماذا بقي للتعليم والصحة والتنمية الاجتماعية؟، وهكذا حال بقية الدول الإسلامية التي تزيد ديون بعضها على ديون باكستان، فمثلاً ديون تركيا تزيد على ٥١ مليار دولار، وديون مصر تزيد على ٤٠ مليار دولار، وديون الجزائر تزيد على ٢٦ مليار دولار.. وهكذا[2].

مخاطر أخرى للديون:

وهذه الديون التي ندفع عليها فوائد عالية وتسبب الهم والغم

١) انظر: قضية التخلف العلمي، ص ١١٦ ـ ١١٧، بتصرف وزيادة.
٢) انظر: الشرق الأوسط، العدد السابق، الإثنين ٢٣/١/١٩٩٥م.

للشعوب، هذه الديون لا تزيدنا إلا فقراً وضعفًا، لأنها:

أولاً: تكون مشروطة بشروط مجحفة ظالمة تضر بهذه الشعوب واقتصادياتها .

ثانيًا: أن ٤٠٪ من عمليات الدعم المالي الغربي تذهب لصالح الخبراء الأجانب في الدول الإسلامية مقابل بعض الدراسات التي لا جدوى لها، والتي تأتي غالبًا غير ملائمة لظروف واحتياجات الدول الإسلامية، وهو ما يعني أن الغرب يأخذ بالشمال ما يعطيه باليمين تحت مسمى (مساعدات)، من دون فائدة حقيقية.

ثالثًا: أن ٨٥٪ من استثمارات ومساعدات البلدان الغربية للعالم الإسلامي في مشروعات غير إنتاجية (استهلاكية خدمية) لا تخدم الاقتصاد المحلي، وليس لها علاقة بتطوير الإمكانات الذاتية للإنتاج، من أمثلة ذلك: مشاريع الفنادق الضخمة، والملاعب الرياضية الشاسعة، والملاهي ودور الأوبرا الفخمة، والبارات الكبيرة.. وغيرها من صور الترف والإفساد التي لا تحتاجها الدول الفقيرة في المراحل الأولى من نموها على الأقل.

حوار

حوار مع الشيخ
علي أكبر عبد العزيز سربازي

المتحدث الرسمي لجمعية الدفاع عن حقوق أهل السنة في إيران

مندوب المجلة

نظراً للتعتيم الذي ضرب على أهل السنة في إيران ، وما يعانونه من اضطهاد ومضايقات، فقد كانت فرصة سانحة للقاء مع الشيخ «علي أكبر عبد العزيز سربازي» المتحدث باسم جمعية الدفاع عن حقوق أهل السنة والجماعة في إيران والحوار معه، لإطلاع قراء البيان على واقع إخواننا أهل السنة في إيران، في حديث مفصل عن شؤونهم وشجونهم، وقد جاء الحوار على النحو التالي:

● من المعلوم تاريخيًّا أن بلاد فارس كانت في الأصل بلاداً للسنة بكافة شعوبها، لكن الحكام الرافضة حولوا هذا الشعب بطريقتهم الخاصة إلى العقيدة الرافضية، فما الأسباب التي حولت هذه الشعوب عن السنة؟.

■ كما تعلمون أن إيران منذ أن دخلها الإسلام في عهد الخليفة الثاني «عمر بن الخطاب» (رضي الله عنه) كانت تحت حكم أهل السنة والجماعة بكافة شعوبها حتى (عام ٩٠٧هـ)، ولكن أعداء الإسلام يتآمرون على الإسلام والمسلمين في إيران، وفي حين كانت الأمة الإسلامية مشغولة في الحروب الصليبية ضد أعداء الإسلام اغتنموا هذه الفرصة وبحثوا عن شخص يبيع دينه فوجدوه في (أردبيل)، ألا وهو «صفي الدين الأردبيلي» مؤسس الدولة الصفوية التي قامت ـ آنذاك ـ بحرب شرسة ضد الخلافة العثمانية

بأنواع الكيد والمكر، وأضعفوا شوكة المسلمين بضرب المسلمين من الوراء كما هى عادة المنافقين في صدر الإسلام، وفي داخل (إيران) بدؤوا بتدمير وقتل وإبادة المسلمين (السنة) في جميع المدن الإيرانية الرئيسة، حتى إنهم كانوا يقتلون الآلاف في اليوم الواحد، ثم ضيقوا الحياة على المسلمين السنة بشتى الوسائل من المطاردة والقتل والتشريد، وبخاصة قتل العلماء والدعاة، مما أدى إلى تشيع عدد كبير من السنة، وهروب عدد أكبر إلى المناطق الجبلية والحدودية وهي أماكن تجمعهم الحالية، حصل كل هذا والعالم الإسلامي يغط في نوم عميق وغفلة عن أحوال إخوانهم في إيران، حتى لم يبق منهم متمسكًا بالسنة سوى ٢٠٪ فقط من عدد السكان.

● **حدثونا عن واقع أهل السنة في إيران حاليًا: مناطقهم، وعددهم؟.**

■ يعيش أهل السنة في إيران اليوم في حال من البؤس والشقاء وتحت مؤامرة كبيرة محاطون بها، لذا: يخيم عليهم الظلم والجور والتشريد والإبادة الجماعية، مما انعكس عليهم بالتخلف في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتخلف في فهم الدين أيضًا من جراء قتل العلماء والدعاة، والإهانة المتوالية لمعتقداتهم ومضايقتهم في أعراضهم وشرفهم من قِبَل الحكومة الحالية وجلاديها الحاقدين الظالمين.

ويعيش أهل السنة عمومًا في المناطق الحدودية وعلى أطراف إيران، ومعظم الشعب في مناطق السنة هم على عقيدة أهل السنة والجماعة، علمًا بأن استيطان الشيعة في مناطق السنة زاد بشكل رهيب بعد الثورة، حيث تحولت المناطق التي كانت نسبتها ٩٩٪ من السنة إلى ٧٠٪ فقط، و٨٠٪، خاصة (كردستان) الإيرانية، و(بلوشستان)، و(هرمز تان)، و(تركمن صحراء).. ويوجد عدد كبير من السنة في مناطق (خراسان)، و(مازندران)، و(طوالش)، والعاصمة (طهران)، و(أذربيجان الشرقية)، ومحافظة (كرمنشاه)، ومحافظة (باختران).

حوار

ويوجـد عـدد غيـر قليل أيضًـا في المدن الرئيسـة، مثل: (شـيـراز) ، و(كرمان) ، و(مـشـهـد)، ويبلغ عـدد أهل السنة من (١٥ ـ ٢٠) مليونًا، علمًا بأن الحكومة لا تعطي إحصائية دقيقة لعددهم، اتباعًا لنهجها في تهميشهم ومضايقتهم ومحاولة إذابتهم في شعوبها ذات العقيدة الرافضية.

ويشكـل أهل السنة والجـماعـة في إيران حـوالي ثلث سكانهـا ، ويبلغ سكان إيران خمسة وستين مليونًا، حسب إحصائيات الحكومة الأخيرة.

● ما هي حال أهل السنة قبل الثورة الإيرانية في عهد الشاه، وهل تحسن وضعهم أم سار نحو الأسوأ؟.

■ مع الأسف، كان أهل السنة في عهد الشاه أيضًا يعانون من الحرمان والفقر وعدم اهتمام المسؤولين بأوضاعهم الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهذا بسبب نفوذ رموز الرافضة في حكومة الشاه، ولكن لم يكن هناك تعرض لأهل السنة في عقيدتهم، وإبادة جماعية، أو تخريب المساجد، أو منع لبناء المدارس الدينية، فقد كان المسلمون في حرية نسبية في الدين والتجارة والعمل، ولكن بعد الثورة ـ مع الأسف ـ ومنذ دخول «الخميني» إلى إيران توالت أنواع من المشكلات والمصائب على الشعب السني المسلم بعامة، وقد ألمحنا إلى شيء من ذلك.

● يعاني أهل السنة حاليًا ـ كما كتب بعض علمائهم ودعاتهم ـ معاناة كثيرة، فما هي مظاهر تلك المعاناة؟، وما الأسباب التي يُلجأ إليها للإيقاع بالمسلمين؟.

■ معاناة الشعب السني المسلم تتمثل في الحرب الاعتقادية، والهجوم الثقافي ضد أهل السنة بجميع إمكانات الدولة وقدراتها ، ويفترض في دولة غنية مثل إيران إتاحة التنمية لجميع شعوبها ما دامت تدعي الإسلام ونصرة المستضعفين، لكن التضييق على السنة، ومحاربتهم في أرزاقهم، ومنعهم من الوظائف العليا ذات الأهمية هو الوضع القائم الفعلي، فضلاً عن المضايقة

لعقيدتهم، وذلك بنشر وتوزيع كتب ضد معتقدات أهل السنة وما يدينون به، وتشكيك الناس بمعتقداتهم، وتشويه التاريخ الإسلامي، وتحريف حقائق التاريخ، وإرسال مجموعات كبيرة من دعاة الرافضة في مناطق أهل السنة لترغيبهم في عقائد الرافضة المنحرفة، وتشجيعهم على ذلك بالأموال والمغريات، والاستفادة من الإذاعة والتلفزيون لنشر عقائدهم وإعطاء صورة غير صحيحة عن معتقدات أهل السنة والجماعة، والإهانة لأصحاب رسول الله ﷺ، والإهانة لأمهات المؤمنين، خاصة «عائشة»، و«حفصة» (رضي الله عنهما)، والسخرية بالشخصيات المسلمة السابقة، أمثال أئمة الحديث والفقه بصورة خاصة.

ومعاناة السنة من الجهة السياسية واضحة، فلا يوجد أي شخص ممثل للسنة في إيران، فهم لا يوظفون أهل السنة في المناصب الرئيسة في الوزارات والدوائر المهمة بالدولة، وحتى المناصب غير المهمة لا تعطى بسهولة للسنة، علماً بأن ٨٠٪ من الموظفين في مناطق السنة هم من الروافض، ويحاولون بأقصى جهدهم الوقوف أمام ترشيح مرشحي السنة في البرلمان، بحيث لا يقبلون المرشح من قِبَل الناس، ويرشحون الرافضة غير المستوطنين في مناطق السنة، أو يأتون بمن باع دينه مثل مرشح مدينة (إيرانشهر) السابق «نور محمد ربوشة»، ومرشح (خراسان) من (تربت جام) السيد «مجددي»، وأمثال أولئك من الذين لا يرتاح لهم السنة؛ لأنهم صنائع معدة سلفاً.

أما اجتماعياً: فيُعامَل أهل السنة في (إيران) كأجانب مثل (الباكستاني، أو الأفغاني)، بحيث لا يكنون لأحدهم أي احترام ولا تقدير، بل هم مثار السخرية، وبخاصة في المدن الكبرى، ولا يحس السني في (إيران) بأنه من أهل هذا البلد، وتحاول الحكومة أن تجعل المواطن السني مواطناً من الدرجة الثانية -بل الثالثة-، وتصرف على ذلك أموالاً طائلة.

أما اقتصادياً: فسياسة الحكومة الظالمة أن تسد جميع موارد الحياة في

حوار

وجوه أهل السنة، بحيث لا يسمح لهم بالعمل التجاري من الاستيراد والتصدير وفتح المصانع والشركات، في حين تعطى للرافضة من مناطق أخرى مثل هذه الامتيازات إضافة إلى التسهيلات الأخرى، أما المنتسب إلى السنّة: فيشجع على التهريب وبيع المخدرات علنًا من قبل الحرس الثوري والمنظمات الحكومية الأخرى، ولكن إذا غيّر أحد من السنة دينه تعطى له مكافأة كبيرة، ويصدر الأمر بفتح شركة، وممارسة الاستيراد من الدول المجاورة، ويرفع من شأنه، كما إنهم يشجعون السنة ليتجسسوا لمصلحة الحكومة واغتيال العلماء والمخالفين لهم، ويعطونهم مقابل ذلك الملايين .

● **هل لأهل السنة مدارس خاصة بهم؟ أم إنهم يضطرون لإدخال أبنائهم مدارس الرافضة، وبالتالي: يتعرضون لغسيل مخ بما يطرح في المنهج الحكومي القائم على عقيدة القوم؟.**

■ لا يوجد لأهل السنة مدارس خاصة أبداً، ولا يستطيعون ذلك مهما بذلوا من ثمن، ومن ثم: يضطر أهل السنة لإدخال أبنائهم مدارس الحكومة، وهناك يبدأ غسيل مخ الطفل السني من قبل مدرسين مدربين على ذلك، تم بعثهم إلى المناطق السنية خاصة، فتجد الطفل السني يحفظ جميع معتقدات الرافضة، فلا يعرف شيئًا عن دينه إلا من رحم ربي.

● **ما هي حال المدارس القرآنية المسموح بها؟، وما مدى إمكانية فتحها؟، وهل يمكن للمتخرجين منها العمل في الوظائف والمشاركة في الحياة العامة باعتبارهم مواطنين إيرانيين؟.**

■ منذ زمن الشاه أوجد أهل السنة مدارس قرآنية دينية، ولم تتعرض لها حكومة الشاه، ولكن بعد الثورة بدأت الحكومة بوضع عراقيل متعددة أمام فتح مدارس جديدة أو تنظيم المدارس القديمة، حيث يحاولون التدخل في شؤون هذه المدارس، علماً بأن المدارس الدينية تبدأ من مرحلة تحفيظ القرآن والابتدائية إلى أن يتخرج الطالب عالم دين ومتخصصاً في الشريعة، ولكن

لا يعتبر هذا التعليم رسميًّا من قبل الحكومة، بل يقبض على الطالب خلال دراسته ويرسل إلى التجنيد الإجباري، وقد فتحت مكاتب من قبل الزعيم الروحي لإيران «سيد علي خامنئي»؛ للسيطرة والرقابة على مدارس ومساجد أهل السنة ، وهدفها : الإرهاب، والتقليل من عطاء أهل السنة ، ثم التدخل في شؤون المدارس والمساجد، والإجبار على تسجيل هذه المدارس والمساجد في الأوقاف الحكومية، ويحاول هذا المكتب التفريق بين الناس والعلماء، وبين الناس وزعماء القبائل، وإيجاد حروب متعددة بين القبائل، ونصب زعماء غير مؤهلين على القبائل من قِبَل مكتب «الخامنئي» عيونًا لهم.. وجدير بالذكر أنهم اصطادوا عدداً غير قليل من علماء السنة؛ ليكونوا مستفيدين من مكانتهم في هدم عقيدة أهل السنة والجماعة.

● لوحظ منذ سنوات وبعد الثورة استهداف العلماء والدعاة ورموز السنة بالاغتيال ، مَن أشهر العلماء الذين قتلوا ؟ ، وبأي مبرر قتلوا ؟ .

■ الحكومة القائمة لا تطيق أحداً يقف أمام زحفها لإبادة أهل السنة والجماعة في إيران، وحينما يحاول أحد العلماء تثقيف أهل السنة أو الدفاع عن حقوقهم يتعرض لأنواع التعذيب والقتل والسجن والمطاردة في الداخل والخارج، وأصدق شاهد على ذلك: الشهداء ـ فيما نحسبهم ـ: العلامة «أحمد مفتي زادة»، والأستاذ «ناصر سبحاني» ، والشيخ «محمد صلح ضيائي»، والدكتور «مظفريان»، والدكتور «أحمد ميرين سياد»، والشيخ «عبد الملك ملا زاده» ابن الشيخ «عبد العزيز سربازي» مفتي (بلوشستان، وخراسان، وتركمن صحراء) وأحد نواب مجلس (جنرتان)، والشهيد «عبد الناصر جمشيد زاهي»، والأخ «فاروق خرساد»، والشيخ «ملا محمد ربيعي»، والشيخ «عبد الحق جعفري»، والشيخ «عبد الوهاب خراساني»... وغيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم، حيث عانى هؤلاء أشد أنواع التعذيب من نتف الشعر، وكسر الذراع والرقبة، وصب الأحماض على البدن، والضرب

١٥ ألف نسمة في (غانا)، بينما يوجد في الدول المتقدمة طبيب لكل ٤٦٠ نسمة [١].

أنا لا أبحث هنا في أسباب الطرد من هنا والجذب من هناك، والاستبعاد من هنا والاستقطاب من هناك، ولكن الاستنتاج الوحيد الذي يمكن الخروج به هو أن السياسة التنموية المحبِطة التي تنتجها الدول الإسلامية هي الدافع الرئيس لهجرة الكفاءات العلمية .

والأمرّ بعد هذا كله: أن كثيراً من أصحاب القرار في العالم الإسلامي يفضلون حُثالات الغرب والشرق من غير المسلمين على الكفاءات الإسلامية المتميزة، انطلاقًا من مركبات النقص العديدة تجاه أصحاب العيون الزرق بصفة عامة، على الرّغم من أن الممارسة قد أثبتت أن هؤلاء لا يخرج كثير منهم عن كونهم عملاء للاستخبارات الأجنبية أو للحملات التنصيرية، وكما أثبتت الأيام أن أي مشروع نفذ بأيدٍ غير إسلامية هو فُرصة ضُيعت على أبناء الإسلام وإلى الأبد، وكان من الأصلح أن يُنفّذ بأيدي أبنائها [٢] .

هذا هو واقع الأمة العلمي والتقني على مشارف القرن الواحد والعشرين، فهل إلى سبيل لإصلاح الواقع؟ .

فما واقعها الاقتصادي؟:

إن الغالبية العظمى من سكان الدول الإسلامية اليوم (باستثناء الدول النفطية) تعيش تحت الحد الأدنى للكفاف اللازم لصون كرامة الإنسان، وقد ذكرت في مؤتمر الأمم المتحدة العالمي الذي انعقد في (كوبنهاجن) الأمور الآتية:

أ ـ عدد الفقراء في الدول النامية يبلغ ١,٣ مليار نسمة، أي: خمس سكان الأرض تقريبًا، ٦١٪ منهم في إفريقيا، و ٣١٪ من آسيا .

ب ـ أغنى عشر دول في العالم هي: (سويسرا) ودخل الفرد فيها ٣٦,٤١٠ دولار، ثم (لوكسمبرج)، ثم (اليابان)، ثم (الدنمارك)، فـ(النرويج)، فـ(السويد)،



---

١) انظر: مجلة (الدعوة) السعودية، ٢٢/١١/١٤١٣هـ .

٢) انظر : قضية التخلف العلمي ، ص ١١٦ .

أن أملهم الوحيد بعد الله (سبحانه وتعالى) في إخوانهم المهاجرين الموجودين بالخارج، ومؤسسو هذه الجمعية هم : السيد الشيخ « محيي الدين »، عين رئيساً لهذه الجمعية، والشيخ (حفظه الله) قضى مدة طويلة من حياته في سجون الرافضة، وعذب تعذيباً شديداً يظهر في أنحاء جسده ويعرفه الشعب السني الإيراني تماماً.

والشيخ المجاهد « نظر محمد » أميناً عاماً للجمعية، والشيخ (حفظه الله) كان عضواً في المجلس الإيراني الأول بعد الثورة لفترة أربع سنوات، وكانت له مواقف شجاعة في الدفاع عن شعبه المظلوم؛ ولهذا السبب ـ بعد الانتهاء من الدورة الأولى ـ للمجلس لم يرشح للمرة الثانية، ورُفض من قِبَل الحكومة، وسجن لفترة ثلاث سنوات صاحبها أنواع من الإهانات والتعذيب في سجن (إيفين) بـ (طهران) العاصمة.

• يوجد مستشار لدى رئيس دولة إيران «رفسنجاني» لشؤون أهل السنة، ما رأيكم في هذا المستشار؟، وهل استفاد أهل السنة عن طريق هذا الرجل؟، وما تقويمكم لدوره ؟.

■ نعم يوجد مستشار سني لدى الرئيس الإيراني، وهذا يشكل أسلوب خداع للعالم الإسلامي بدعوى أن حقوق أهل السنة في إيران مكفولة، علماً بأن هذا المستشار إنسان لا يملك أي نفوذ، واختيار الحكومة له مقصود، وهو ألعوبه لدى الرافضة يلعبون به كما يريدون، ويذهبون به إلى شتى دول العالم ليعلن أن أهل السنة بألف خير في إيران، والحقيقة عكس ذلك تماماً.

لو كانت الحكومة صادقة في ادعائها بأن إيران دولة إسلامية لا تفرق بين المسلمين لعينت وزراء أو وكلاء من أهل السنة أو بعض المسؤولين في مناطقهم، علماً بأن من أهل السنة مَنْ لديهم الكفاءة والعلم، ولكن الأمر يؤكد عدم اعتبارهم مواطنين ـ، فكيف يوضعون مسؤولين؟.

• هل هناك حركات ومناهج عاملة في إطار المسلمين السنة، وما مدى

حوار

التنسيق بينهم؟، وما مدى التقارب الفكري والعقدي والمنهجي أيضاً؟.

■ لا يوجد حركات أخرى حاليًا ، الحركات السابقة مثل المجلس الأعلى لأهل السنة في إيران، ومنظمة مجاهدي أهل سنة إيران ، وغيرهما من المنظمات غير المعروفة انضمت إلى هذه الجمعية، واتفقوا على أن يعملوا باسم « جمعية الدفاع عن حقوق أهل السنة في إيران » .

● ما هو المطلوب تقديمه ـ فيما ترون ـ من المسلمين أفراداً وهيئات للمسلمين السنة في إيران ؟.

■ المطلوب من المسلمين دعم قضيتنا ماديًّا ومعنويًّا؛ لأنها تتعلق بالعقيدة، ونحن إن كنا لا نرتبط نسبًا فإننا نرتبط في العقيدة ﴿ **إنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء: ٩٢] .

ولو غفل المسلمون عن قضية إخوانهم أهل السنة والجماعة في إيران فسيكون هذا ذنب عظيم، وعليهم حينئذ أن ينتظروا سقوط السنة كما سقطت فلسطين، وكما سقطت الأندلس وغيرها من البلدان، نسأل الله السلامة والعافية.

● ما هي منهجية ومخططات الرافضة في الغزو الفكري للسنة؟.

■ هدفهم الوحيد: إبادة أهل السنة تمامًا، وتشويه تاريخهم، والسيطرة على الأماكن المقدسة وزعامة العالم الإسلامي، بزعم إرجاع الخلافة إلى أهل البيت ، وإذا أمعنتم النظر في العالم الإسلامي ترون الرافضة يتحركون حركة دائبة بشتى أنواع الأساليب، من فتح المدارس، وبذل الأموال لتغيير مذاهب أهل السنة، ونشر كتبهم، وأخذ الأولاد إلى إيران لتدريسهم في قم وغيرها مذهب الشيعة.. وهذا معروف للجميع.

● ما هي توقعاتكم للمرحلة المقبلة؟.

■ نتوقع خيراً ـ إن شاء الله ـ بوقوف فعاليات العالم الإسلامي بأكمله معنا ، وسنعمل جاهدين ـ بإذنه (تعالى) ـ على وقف الزحف الشيعي

ومخططاته تجاه المسلمين السنة، وليعلم المسلمون في العالم من العلماء والدعاة والمفكرين حقيقة الرافضة ولا يغترون بدعاويهم للتقارب مع أهل السنة، وكيف إنهم يزعمون كذباً بواسطة عقيدتهم في (التقية) أنهم أنصار الوحدة وأنصار المستضعفين، وهم أعداء العقيدة وأعداء أهل السنة في إيران، في بلادهم، وكيف أنهم يهدمون مساجد أهل السنة ولا يطيقون لها وجوداً، ولا يسمحون ببنائها، وندعو أدعياء الموضوعية الذين يزعمون أن خلافنا معهم في الفروع إلى معرفة معاناتنا هناك في بلدنا ومناطقنا؛ ليعلموا أنهم صبوا علينا من العذاب والاضطهاد ما لم يصب على اليهود والنصارى الذين مكنوهم من بناء معابدهم بينما يهدمون مساجدنا جهاراً نهاراً بدعاوى مكشوفة، كبناء حديقة أو فتح شارع، والحقيقة : أنهم لا يطيقون للسنة وجوداً، لكن هل يعي إخواننا ذلك؟.. هذا ما نرجوه وندعو له.

والله المستعان،،،

لا... لن تضيع القدس!

درجت بعض الأوساط العلمانية مؤخراً على تكرار القول بأن القدس قد ضاعت وانتهى أمرها كما انتهى أمر الأندلس من قبل، وذلك بعد أن تكشفت أبعاد الخطوة الأخيرة في إقرار بناء مستوطنة يهودية في جبل (أبو غنيم) قرب القدس الشرقية، وتناست هذه الأوساط أنها على مدى عقود طويلة خلت كانت تنفخ في بوق الدعاية الكاذبة التي كانت تتاجر بقضية القدس تحت مسميات مختلفة ؛ كانت الأمة خلالها تخدَّر بالوعود الوهمية من قبيل: إلقاء إسرائيل في البحر ، .. أو حرق نصف إسرائيل ، و... تحرير كل شبر من الأرض العربية، أو ...تحرير كل بوصة وكل حبة رمل، أو النضال حتى آخر قطرة في الدم العربي .. إلى آخر هذه الجعجعات التي كنا نسمعها ولا نرى معها طحناً! .

والآن ... وقد بات (المناضلون) يعترفون بأن لا سبيل لتحرير القدس إلا في عالم الخيال والمثال.. من حقنا أن نقول لهؤلاء: لِمَ -إذن- زيفتم الحقائق طيلة هذه العقود ؟.. لِمَ تصدرتم في واجهة الصراع ولستم أهلاً له..؟!، لماذا حُلتم بين الشعوب وأداء واجبها في جهاد عدو لا خلاف على وجوب جهاده ..؟، لماذا أقصيتم -عن سبق إصرار وتعمد- رفع الراية الإسلامية في إدارة الصراع، ورفعتم بدلاً منها الرايات العلمانية العُميِّة في تلك المعركة العقدية أصلاً؟.

الآن وقد بدا للعيان أن العلمانية العربية فشلت في الحرب، وفشلت في السلام.. آن الأوان لأن نقول لهم: كفى!... كفى ضياعاً، كفى تنازلاً.. كفى تخاذلاً ، اتركوا الساحة للرجال، أو للأطفال، أو ... للحجارة!!.

المسلمون والعالم





عبد العزيز كامل



تلك الحجارة التي أوقفتموها بعد أن خدعتموها بـ(مدريد)، و(أوسلو)، و(واشنطن) .. إن استدعاء حقائق التاريخ القريب، لتبين لنا بوضوح أن هناك جريمة كاملة اقترفت بإبعاد الإسلام عن المعركة، ولكننا لا زلنا مصرين ـ نحن العرب ـ على أن تَصْدُق فينا كلمة « ديان » الهالك : « العرب لا يقرؤون ... وإذا قرؤوا لا يفهمون ... وإذا فهموا لا يعملون!! »، ولا نستطيع أن نعقب على مقالته إلا بتلك الكلمة النبوية المأثورة : « صدقك .. وهو كذوب »!، فقد صدق وصفه، فالعرب دائماً بغير الإسلام لا شيء، فالإسلام وحده هو الذي يربيهم، ويزكيهم، ويقويهم، ويزرع فيهم العزة والمسؤولية، وصدق عمر (رضي الله عنه) : « لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بهذا الدين، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله » .

لقد ابتغى العرب العزة في عصورهم المتأخرة بغير هذا الدين، ابتغوها في القوميات ... وفي الوطنيات ... وفي الانتماءات البائدة والفاسدة .. فماذا كانت النتيجة؟ .. إنها « الذل » .. ولا توجد كلمة أبلغ من هذه الكلمة،« ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله » ، والقدس التي يبشروننا بضياعها ويروّضون المشاعر والأسماع على نغمة اليأس من رجوعها ، هذه المدينة المقدسة ، اختزلَت تاريخاً من الذل العربي في ظل الرايات غير الإسلامية، وإذا كانت قضية فلسطين هي القضية المحورية والمركزية للعرب والمسلمين في الزمن المعاصر ، فإن قضية القدس هي محور هذه القضية ومركزها، فهي مركز المركز ومجور المحور، وما هذا إلا لأن تلك المدينة هي ثالث أقدس أرض بعد الحرمين الشريفين ، ولقد استمدت قداستها من

وجود أرض المسجد الأقصى فيها، ذلك المسجد الذي بارك الله حوله.

ولكي نتذكر كيف اختُصر الصراع في مدينة القدس .. لنسترجع من ذاكرة التاريخ أبرز المحطات على طريق التضييع، حيث كان الأعداء دائمًا يمثلون (الفعل) ونمثل نحن ردود الأفعال أو الأقوال، العشوائية والارتجالية والحماسية الخطابية.

● **ففي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م، صدر قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين**، وكان أساسه إنشاء دولتين: دولة عربية، ودولة يهودية، ضمن حدود جغرافية معينة، وشمل القرار جزءًا يتضمن أحكامًا خاصة بمدينة القدس، حيث جُعلت تحت نظام دولي خاص لمدة عشر سنوات، تسند إدارتها خلالها إلى مجلس وصاية تابع للأمم المتحدة، يرأسه حاكم غير عربي وغير يهودي، فهو حاكم من قبل الأمم المتحدة، ويعاونه جهاز من الإداريين التابعين للأمم المتحدة أيضًا، ولكن العرب رفضوا قرار التقسيم، وكانوا على حق في ذلك الرفض، ولكنهم لم يعدوا للبديل الصحيح، وهو الاستعداد لمنازلة فاصلة لإخراج عصابات اليهود.

● **في ١٥ مايو عام ١٩٤٨م، استغل اليهود رفض العرب لقرار التقسيم، وأعلنوا من جانب واحد قيام الدولة اليهودية (إسرائيل)** على القسم الذي فرضته الأمم المتحدة لهم، ودخلت الجيوش العربية حربًا لم تستعد لها ضد (إسرائيل)، وانتهت الحرب بهزيمة تلك الجيوش العربية!.

● **في مطلع عام ١٩٤٩م، تقدمت الدولة اليهودية بطلب عضوية الأمم المتحدة**، فوعدت بالقبول على شرط أن تقر بالوضع الخاص للقدس من حيث تقسيمها بين العرب واليهود في الشؤون البلدية، ومع إبقائها في وضع التدويل سياسيًّا، وبادرت (إسرائيل) بتقديم هذا التعهد، وبموجبه قُبلت في الأمم المتحدة.

● **في ٤ مارس ١٩٤٩م، صدر القرار بقبولها عضواً بالأمم المتحدة،** ولم تلبث دولة اليهود بعد قبولها أن أعلنت رفضها توحيد القدس تحت

قيادة دولية، ولم تكتف بهذا الرفض نظريًّا، بل سارعت عمليًّا إلى فرض أمر واقع جديد ، فنقلت بعض مصالحها الرسمية إلى المدينة نفسها.

• **في ٢٣ يناير ١٩٥٠م، أعلنت إسرائيل القدس الغربية عاصمة لها.**

• **في ٥ يونيو ١٩٦٧م، اجتاح الجيش الإسرائيلي الشق العربي من مدينة القدس، في الحرب التي هزمت فيها الجيوش العربية مرة أخرى**، والتي احتل اليهود فيها أيضًا أجزاءً كبيرة من (مصر)، و(سورية)، و(الأردن)، وظل المجتمع الدولي ينظر إلى القدس الشرقية على أنها أرض عربية محتلة، بينما كان اليهود ينظرون إليها على أنها أرض إسرائيلية محررة، واستولى اليهود في العام نفسه على ٤٠٪ من الأراضي في القدس، وأقاموا عليها مستعمرات ومستوطنات يهودية.

• **وفي ١٩٧٩م، أعلن «مناحم بيجن» أن القدس الموحدة (شرقية وغربية) هي العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل** ، ووصل عدد اليهود في القدس الشرقية إلى ١٩ ألف يهودي .

• **في عام ١٩٩٠م ، تمت مصادرة عدة آلاف من (الدونمات) ؛ لتوسيع الأحياء القديمة لصالح اليهود، وبنوا فيها مطاراً دوليًّا.**

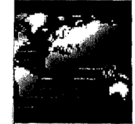
• في آخر عام ١٩٩٢م ، **بلغ مجموع سكان القدس ٥٥٥ ألف نسمة**، منهم ١٥٥ألف نسمة من الفلسطينيين ، و٤٠٠ ألف يهودي، ولا يحصل الفلسطينيون إلا على ٥٪ من موازنة بلدية القدس .

• **في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م ، اتفقت (إسرائيل) مع منظمة التحرير الفلسطينية** فيما سُمِّي بـ(إعلان المبادئ) على تأجيل بحث موضوع القدس إلى ما بعد عامين!.

• **في ٢٦ ديسمبر ١٩٩٤م، أقر الكنيست الإسرائيلي قانونًا يمنع السلطة الفلسطينية من مزاولة نشاطها من داخل القدس.**

• **في مايو ١٩٩٥م، أمرت السلطات الإسرائيلية بإخلاء عدد من المؤسسات الفلسطينية الموجودة في القدس**، وفي هذا العام استولى

المسلم



والعا

اليهود على ٤٤٠٠ دونم، بهدف دعم الاستيطان،وتولى « نتنياهو » بنفسه ـ قبل انتخابه رئيساً للوزراء ـ الإشراف على تنفيذ هذا الاستيطان.

● **وبنهاية عام ١٩٩٥م ، لم يبق للفلسطينيين في القدس إلا ٢١٪ من الأرض،** هي في أغلبيتها مناطق جبلية وعرة، لا يصلح للسكن منها إلا نحو ٤٪ فقط، واتخذت الدولة اليهودية في تلك الأثناء أربعة قرارات مهمة تتجه نحو إتمام تهويد القدس (العربية الشرقية)، وهذه القرارات هي :

١ ـ تحويل الإدارة البلدية للمدينة من إدارة عربية فلسطينية إلى إدارة يهودية.

٢ ـ تحويل النظام القضائي من نظام شرعي إسلامي إلى نظام يهودي.

٣ ـ تحويل اللوائح والإجراءات والقوانين في المدينة إلى الطابع اليهودي.

٤ ـ تغيير أسماء الشوارع والطرق والساحات العربية ، واستبدالها بأسماء يهودية صهيونية.

● **في عام ١٩٩٦م، جاء موعد بحث موضوع القدس في المفاوضات المؤجلة**، وكانت إسرائيل قد أسرعت قبلها في تغيير وضع القدس، حتى قال أحد المسؤولين الإسرائيليين: « الآن .. يستحيل على عرفات أن يزعم أن القدس الشرقية عاصمته.. إن تقسيم المدينة من جديد سيعد أمراً مستحيلاً » وأصدر « نتنياهو » ٢٣ قراراً استيطانيًّا جديداً خلال أشهر قليلة من عمر حكومته.

● **في سنة ١٩٩٧م، وبعد أن كاد ابتلاع القدس (الشرقية العربية) يكتمل**، بدأت (إسرائيل) في الاستيلاء على مناطق أخرى محيطة بالقدس الشرقية، فجاء قرار الاستيطان اليهودي في منطقة جبل (أبو غنيم)، بحيث تشرف على الطريق الذي يصل بين القدس الشرقية ومدينة بيت لحم، وكانت قد تمت مصادرة الأراضي في تلك المنطقة عام ١٩٩١م، ومستوطنة (أبو غنيم) يمكن أن تتسع لنحو ٢٥ ألف مستوطن يهودي، فهي حي كامل وليست مجرد مستوطنة صغيرة، ولهذا: فإن هذه المستوطنة الكبيرة من شأنها أن تؤكد التفوق السكاني لصالح اليهود في القدس الشرقية.



هم يبنون ، ونحن نشجب :

ومن يوم الإعلان عن بدء العمل في إنشاء مستوطنة (أبو غنيم)، ومشاعر السخط والاحتجاج والتبرم العربي تحدث دويًا عالميًا ، ولكن بلا صدى، فهي كمفرقعات المناسبات لا تخيف أحداً ، ولا تغير واقعاً . . وهذا بالتالي يشجع اليهود أن يتَحَدّوا مَن أمامهم ويسخروا منهم، فالساحة حولهم خاوية، إلا من أطفال عادوا إلى حمل الأحجار، وهم ممنوعون من حمل السلاح مهما بلغ الأمر! .

قال « نتنياهو » وهو يخاطب جمعًا من أنصاره: « أشعر أنني قوي جداً، وكما تعلمون فإن لي خصلة، هي أنني أحب التحديات ، ولكن الأهم: أحب النصر فيها . . وسوف ننتصر . . . !! » .

هل تضيع القدس ؟ :

نعود فنقول : هل حقًا ضاعت القدس بلا رجعة ـ كما يروج العلمانيون العرب ـ؟! . . نقول : لا . . لن يستمر ضياعها ، فرغم كل مظاهر القتامة والعتامة التي توحي بها مشاهد الحاضر المهزوم والمستقبل الغامض المأزوم ، ورغم تكدس معالم الفشل العربي سياسيًا وعسكريًا وعقائديًا وقانونيًا في ظل العلمانية المتسلطة المنهزمة . . رغم كل هذا: فإننا نرى من وراء ذلك فتحًا قريبًا ،توهجت أنواره، لتكشف عن رايات أمل تخفق في سماء مدينة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) .

ليس هذا تحدثًا من منطق السياسة القاصرة، ولا من منطلق خرافة ذاهلة، ولا هو من معطيات الواقع المرير، ولكنها روح من الأمل الدافع للعمل، الذي تغرسه فينا ـ أهل الإسلام ـ حقائق الوحي ، وهدايات النبوة الخاتمة.

نعم : لن تضيع القدس؛ لأن الله الذي كرمها بسكن الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، لن يديمها سكنًا لقتلة الأنبياء ، والأرض التي كان لها شأنها وقداستها في الزمان الأول، سيظل لها الشأن والقداسة في الزمان الآخر؛ لأن قدسية المكان لا تؤثر فيها صروف الزمان، بل قد عَلِمْنا من

إخبار نبينا ﷺ أن هذه الأرض ـ بيت المقدس ـ سوف تكون موئلاً لأهل الإيمان كلما تقارب الزمان.

قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام»(1).

ولكن في أي بقاع الشام؟، يقول (عليه الصلاة والسلام): «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لايضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة»(2).

فلسطين أرض الملحمة:

هناك سيكون الجهاد الحقيقي، وهناك ستنزل الخلافة.. نعم الخلافة؛ فعن أبي حوالة الأزدي (رضي الله عنه) قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي ـ أو قال: على هامتي ـ ثم قال: «يا ابن حواله: إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل، والبلايا، والأمور العظام»(3).

فأرض بيت المقدس ـ رغم كل ما نرى ـ سوف تكون بؤرة الأحداث العالمية القادمة، ومنطلقاً لكتائب أهل الإيمان فيما يستقبل من الزمان، ولا ينبغي أن يستغرب أهل الإسلام انبعاث شرارة الأمل من تلك الأرض التي كانت في غالب عمر الدنيا قبل الإسلام أرضاً للتوحيد والإيمان، ثم كانت بعد البعثة النبوية معقلاً للقوة ومعقداً للعزة تحت راية القرآن.

وإذا كانت مكة هي مهبط الوحي ومهد الرسالة في عمر الإسلام في الزمن الأول، فإن بيت المقدس هو حصن الإيمان وقلعته في الزمن الآخر.

يقول «ابن تيمية» (رحمه الله): «وقد دل الكتاب والسنة وما رُوي



---

1) رواه أحمد (11/88)، ح/6871، وقال أحمد شاكر: صحيح الإسناد، ورواه الطيالسي بنحوه (2293).

2) رواه أبو يعلى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، انظر: مجمع الزوائد، 10/63، 64.

3) رواه أحمد في المسند، 5/288، وأبو داود، 3/41 (9) كتاب الجهاد (37)، ح/2535، ورواه الحاكم في المستدرك، 4/425، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

عن الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، مع ما عُلم بالحس والعقل، أن الخلق والأمر ابتداءً من مكة أم القرى، فهي أم الخلق، وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي التي جعلها الله قياماً للناس، إليها يصلون ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة أن ملك النبوة بالشام، والحشر إليها، فإلى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أسرى بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى»[1].

وهذه الفضائل ليست متعلقة بآخر الزمان فقط، بل إن مناقب بيت المقدس وما حوله من أرض الشام كانت تدفع على مر الزمان في تاريخ الإسلام إلى الانطلاق من تلك الأرض لإقامة الدين وإحياء الجهاد.

يقول «ابن تيمية» (رحمه الله) أيضاً: «ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء، وهي أحد ما اعتمدته في تحضيض المسلمين على غزو التتار، وأمري لهم بلزوم دمشق، ونهيي لهم عن الفرار إلى مصر، واستدعائي العسكر المصري إلى الشام، وتثبيت الشامي فيه»[2].

فإذا كانت أرض بيت المقدس وما حوله هي الصخرة التي تحطمت عندها أكبر التحديات في الماضي (في تبوك، واليرموك، وحطين، وعين جالوت).

فإن الطغيان اليهودي اليوم لن يكون إلا حلقة في تلك السلسلة الخبيثة، التي لا تفصم عراها إلا بالدين والعقيدة والتوحيد... ولن يفل الحديد إلا الحديد.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

١) مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ٢٧، ص ٤٣ - ٤٤.

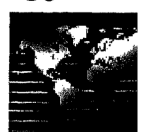
٢) مجموع الفتاوى، جـ ٢٧، ص ٥٠٥.

بعض الأضواء
على الأحداث الأخيرة في ألبانيا

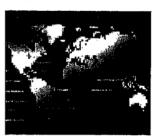
كي نفهم الأحداث الجارية في ألبانيا ، فسنعود إلى الوراء فترة ليست بعيدة؛ فالتطور الأخير في ألبانيا ارتبط بعاملين مهمين جدًّا في الحياة السياسية الاقتصادية والاجتماعية، هما :

العامل الأول : الأزمة السياسية الناجمة عن الانتخابات البرلمانية التي أثارت جدلاً واسعًا، والتي جرت في ٢٦/٥/١٩٩٦م ، ولم تعترف الأحزاب المعارضة بنتائجها، مما ترتب عليه : انسحابهم من البرلمان، الأمر الذي تسبب في أزمة سياسية حقيقية، وصلت إلى مسامع الدول الأوروبية، وأقرت بها فيما بعد، بعدما انتهت من بحثها ومناقشتها مع المتخصصين على أعلى المستويات السياسية . . أما أمريكا : فقد اكتفت بمجموعة توصيات، منها : النظر في إجراء انتخابات مبكرة، وهذه العملية أثارت الرأي العام، وكانت بمثابة نقطة سوداء في ثوب ديمقراطيتهم، وتجاهلاً لحقوق الإنسان، وحتى للتعبير عن حرية رأيه في اختيار من يقوده . . وتركت هذه العملية أثاراً سلبية على شعب ألبانيا حيال المجتمع الأوروبي، وحتى الأمريكي، وحيال ديمقراطيته المزيفة .

العامل الثاني : الشركات الربوية وتأثيرها على حياة البلد ، ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وللأسف الشديد : لم يسلم من هذه الفتنة ـ فتنة الكسب من الربا ـ سوى قليل ممن رحم ربي، حتى الذين لا يملكون شيئًا اقترضوا من أخرين لوضع المال في الشركات وأخذ فائدة ربوية!، ففي الأعوام الأربعة الأخيرة في ألبانيا تفاقمت ظاهرة



بقلم: عبد الله الألباني



الشركات الربوية ، فبعض هذه الشركات رفعت نسب الأرباح الربوية لتجذب أعلى نسبة من المودعين، وبالتالي: رؤوس الأموال، وحسب بعض الإحصائيات فإن هذه الأموال بلغت قريبًا من ١,٥ مليار دولار، وكانت شركات مثل: (سوديا جافيري)، (بوبولي) تعطي فائدة ربوية على الأموال المودعة بدون مشروعات تغطيها، بينما شركات أخرى مثل (فيفا)، (كامبيري)، (جاليتسا)، (سيلفا) .. وغيرها، كانت لديها بعض المشروعات التي يمكن أن تستخدم فقط في الدعايات، بل إن معظم هذه المشروعات كان يدور حول إنتاج الخمور والسجائر.

ومن جهة أخرى: فهذه الشركات كانت تدير أموالها بدون توفر ضمانات بنكية من أحد البنوك الحكومية.

ومن المعلوم ـ حسب بعض الإحصائيات ـ أن ظاهرة الشركات الربوية جذبت أكثر من ثلث الشعب الألباني، وكان أكثر هؤلاء المودعين في مدينة (فلورا)، وقد تراوحت نسب الفوائد الربوية الموزعة على المودعين من ٨ ـ ١٠٪ شهريًّا للشركات العادية، وقد وصلت إلى ٣٠٪ ـ ٥٠٪ في شركات (سوديا، وجافيري، وبوبولي)، مما أثار الدهشة في كافة الأوساط المحلية والعالمية، لا سيما في النصف الأخير من العام المنقضي (١٩٩٦م).

من ناحية أخرى: فقد حاول السياسيون ورجال الدولة إيجاد حلول لتقليل خطورة هذه الظاهرة، واضعين في الاعتبار ثقة الناس في بعض

المسلمون والعالم

هذه الشركات، والتي اعتبرت الحكومة أنه ليس من واجبها كشف نظافة هذه الأموال أم لا ، وقد سبق لقوى المعارضة أن حاولت إظهار خطورة هذا الأمر، ولكن ليس بالشكل القوي المطلوب، ولطالما حمَّلت الحكومةَ مسؤولية مراقبة هذه الشركات، وظل الوضع هكذا حتى زار ألبانيا وفد من (FBI)، وحذر من تفاقم هذه الأزمة ومن جراء ارتفاع نسب الفائدة بدون ضوابط اقتصادية تحكمها، وقد أثبتوا هذه المخاوف في تداولاتهم مع الحكومة، الأمر الذي لا يستطيع أن ينكره أحد .

وفي تطور أخير للمشكلة قامت الحكومة بالتحذير من تفاقم هذه الأزمة ، كما أتى التحذير من مؤسسات أخرى أجنبية محلية ودولية، وقد ألغيت زيارة كان من المزمع أن يقوم بها رئيس الوزراء الألباني السابق إلى إيطاليا بسبب رفض الحكومة الألبانية تبرير موقفها تجاه الشركات الربوية لنظيرتها الإيطالية.

ورغم كل هذه المخاوف وهذه القلاقل إلا إن الشعب ما تقاعس عن المزيد من الإيداعات، وكان عدد المودعين يزيد يومًا بعد يوم وحتى بعد ظهور علامات للسرقة، حيث حاول أحد أصحاب هذه الشركات الهرب ومعه ١٣,٥مليون دولار .

في منتصف نوفمبر ١٩٩٦م ظهرت أول علامة من علامات إفلاس واحدة من أقدم هذه الشركات بعد أربع سنوات من التعامل مع الشعب، وهي شركة (سوديا)، بعد أن نمى في حس الشعب أن هذه الشركات مدعومة من الحكومة، وأنها لا يمكن أن تنتهي في يوم واحد، بل سيكتب لها الاستمرار، ولكن إفلاس (سوديا) وإعلان الحكومة عن عدم ثقتها في هذه الشركات أوجد عند الشعب كبتًا نفسيًّا واجتماعيًّا، مما عبر عنه بعض الناس بقليل من الاشتباك مع قوات الشرطة في العاصمة (تيرانا)، ومنذ ذلك الوقت بدأت الحكومة في التفكير الجدي للتقييم الموضوعي

للأمور ومحاولة الوصول للطريقة المثلى لحل هذه الأزمة وعلاجها قبل أن تصير طامة على الشعب، ومن هذا المنطلق قام البرلمان بتشكيل لجنة مختصة لمراقبة أنشطة هذه الشركات الربوية، أما الصحف المحلية، فقد ذكرت جانباً من التكهنات بشأن هذه الأرباح الخيالية، فمنهم من قال إنها عملية غسيل للأموال، ومنهم من قال إنها عملية تهريب مخدرات وأسلحة.. وغير ذلك من التكهنات.

وبدأت المخاوف التي أثارتها الجهات المختلفة تجاه هذه الشركات بالظهور، حيث بدأت بعض الشركات بتحديد تعاملاتها على أساس أنها ستعطي النسب المئوية فقط دون إعطاء رأس المال ـ حيث كان المتبع أن تعطي الشركة الفائدة مع رأس المال في الوقت نفسه، وتدع الحرية لإعادة الإيداع للناس، ومنهم من خفض النسبة التي كان يعطيها.

ورغم الغموض الذي كان يحيط بعمل اللجنة التي شكلها البرلمان وتلك التي شكلتها الحكومة لمتابعة عمل هذه الشركات إلا إنهم فاجؤوا الشعب بنتيجة المراقبة، وهي أن هذه الشركات مؤسسة على شكل تراكمي هرمي، وأن الشركات التي لديها بعض المشروعات لا يتناسب حجم مشروعاتها مع الإيداعات، أي: إنها هي الأخرى مؤسسة على شكل تراكمي هرمي.

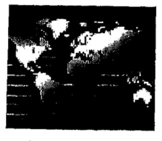
ثم تلت هذه المرحلة أن وضعت الحكومة يدها على الأموال التي تخص شركتي (بوبولي)، و(جافيري) في البنك الحكومي وتقدر بحوالي ٢٧٠ مليون دولار، وحملت على عاتقها مهمة إعادة هذه الأموال إلى المودعين، وفي الوقت ذاته: أصدرت الحكومة قراراً بحظر نشاط هذه الشركات، وفوراً تم القبض على رؤسائها، الذين صرحوا بدورهم بأنهم قادرين على رد أموال المودعين إذا تركتهم الحكومة، وقد نشرت الصحف هذه التصريحات، في حين أن الحكومة صرحت بأنها



ستترد فقط ٥٢٪ ـ ٦٠٪ من أموال المودعين، حيث إن هذا هو الرقم المتاح الذي بحوزتها من أرصدة هذه الشركات، مما دفع الناس بإلقاء اللوم على الحكومة لفقدان مدخراتهم وأموالهم .

وفي مدن (لوشيليا)، و(ڤيري)، و(بيرات) دوى صراع محتدم بين قوات الشرطة والأهالي، وسبب هذا الصراع إقامة الحواجز في الشوارع، فبدأت النيران تشتعل في المكاتب المحلية وأقسام الشرطة والبلديات والمحاكم ومكاتب الحزب الديمقراطي الحاكم في تلك المدن ، واتخذت الحكومة التدابير اللازمة للسيطرة على الموقف، وسمحت لقوات الجيش بحراسة المنشآت المهمة، وفي هذه الأثناء: انطلقت شرارة جديدة زادت الموقف التهاباً، فقد أثار خبر إفلاس شركة (جاليتسا) ـ الشركة التي أكثر مودعيها من مدينتي (ڤيري)، و(فلورا) ـ الجماهير الغاضبة، والذي أثار المودعين أكثر: أنه ـ وحسب التقارير ـ تم تقدير مشروعات هذه الشركة بما مجموعه ٢٦ مليون دولار، في الوقت الذي بلغت فيه أموال المودعين قرابة ٣٥٠ مليون دولار، ومن هنا، واعتماداً على مجموعة استقراءات، منها: أن هذه الشركة ساندت الحزب الديمقراطي والحكومة في الدعاية الانتخابية الأخيرة، ومن جهة أخرى: كانت الحكومة توليها اهتماماً واضحاً، فبناءً على هذين الأمرين، استيقن الشعب أن هناك صلة وثيقة بين الحكومة وهذه الشركات المشبوهة، ومن هنا: ظهرت تطلعات أحزاب المعارضة بضرورة الاتجاه إلى الحلول السياسية، مستغلة في ذلك الوقتَ الذي آلت إليه الظروف الأخيرة ونقمة الشارع على الحكومة، وفي لحظة تاريخية لم يسبق لها مثيل: اجتمعت كل قوى المعارضة على هدف واحد، وتشكلت لجنة ديمقراطية من كافة الأحزاب المعارضة (يمينية، ووسط، ويسارية)، وكذلك من بعض السياسيين القدامى، وبدأت هذه اللجنة عقد لقاءات ومحاولة تنظيم مسيرات احتجاج، مطالبين فيها ليس فقط





بإرجاع الأموال ولكن كذلك باستقالة حكومة «ألكسندر ماكسي»، وكذلك نددوا باستخدام أساليب العنف مع الشعب من قِبَل قوات الشرطة والشيكو، ونددوا كذلك بتعنت الحكومة بجميع أفرادها .

ورغم محاولات الحكومة إخماد هذه التظاهرات والمسيرات إلا إن الوضع كان يزداد تفاقمًا، وانتقل دوي المظاهرات في معظم مدن ألبانيا، وكان منها بطبيعة الحال ما هو سلمي، ومنها ما استخدم فيها العنف وبخاصة في الجنوب، لا سيما في مدينة (فلورا)، التي صارت مركزًا للتظاهرات والمسيرات والاشتباكات، التي خلفت وراءها ضحايا من أبناء البلد قتلى وجرحى، وقد أذاعت بعض الإذاعات العالمية جانبًا منها، وأعقبت هذه العمليات ضربة أخرى ساهمت في تفجير الموقف، وهي: قيام بعض الطلبة من جامعة (فلورا) بتنظيم إضراب واعتصام في مقر الجامعة، تنفيذاً لقرار غالبية الطلاب ، وكلما تجاهلت الحكومة طلبات المتظاهرين ازدادت نقمة الشعب عليها، وازداد الإصرار، فمعروف عن هذا الشعب صلابته وعناده، ولما لم يصغ الرئيس لطلبهم بإقالة حكومة «ماكسي» ولا وضع تصوره لحل مشكلات المودعين في شركة (جاليتسا)، اتخذت أعمال العنف شكلاً جديداً لم يكن في الحسبان، وهو الشكل المسلح، إثر ترك الجيش والشرطة مواقعهم دون مقاومة تذكر، وانضمت بعض قيادات من الجيش والشرطة إلى المتمردين في الجنوب، وتم عزل بعض القيادات الأخرى، ومن المعروف أن شكل التمرد بدأ بدون ترتيب ولا إعداد، ثم ما لبث أن أخذ شكلاً جديداً، وهو تكوين جبهة لها قيادة وقادة، وكان القادة من أعمدة الجيش الشيوعي السابق، ومعروف كيف كانت تدريباتهم واستعداداتهم في ذلك الوقت.

كما زادت طلبات المتمردين طلبًا جديداً، وهو استقالة الرئيس «صالح بريشة»، وعلى الرغم من محاولة الحكومة الاستفادة من النجاح الذي حققته

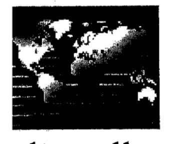
في انتخابات مايو ١٩٩٦م، ومحاولتهم التحايل بإعادة تشكيل حكومة جديدة إلا إن الحزب الديمقراطي نفسه بدا غير مكترث بطلبات المتمردين، ولم يقدم الحزب الديمقراطي أي تنازلات على الرغم من تفاقم الموقف.

ثم تعاقبت المدن واحدة تلو الأخرى في الانضمام إلى المتمردين في (فلورا)، مبتدئة في (سراندا)، ومنتهية في (دلفينا)، مروراً بـ (تبالينا) و(مماليا)، ثم اختتمت في (جيروكاسترا)، وصار كل القطاع الجنوبي المتاخم لحدود (اليونان) بعيداً عن سيطرة الحكومة، وكذلك مصدر ضغط عليها، وتكونت في كل مدينة تنظيمات أسمت نفسها بـ «الإنقاذ الوطني» طالبت بضرورة الاستماع إلى برنامجهم الجديد، وفي هذا الوقت: أخطأت الحكومة أيضًا، حيث فرضت قانون الطوارئ، وطالبت المتمردين بتسليم أسلحتهم خلال يومين وعدم اللجوء للعنف في المناطق الجنوبية الملتهبة، وكان لهذا الخطأ عواقب وخيمة جدًّا، حيث لم يستمع المتمردون للنداءات الحكومية، وكذا لم تستطع الحكومة السيطرة على الموقف، وبدت تدخلات أجنبية غير معلنة لدعم مواقف المتمردين، وظهرت بوادر الشيوعية الحمراء بشراستها المعهودة تظهر من جديد.

وبعد هذا التطور الخطير السريع جدًّا للأحداث، الأمر الذي لم يسبق له مثيل، بدأت التحركات الدبلوماسية الأوروبية بثلاث زيارات متتابعة من عدة منظمات أوروبية، والمفوضية العليا، وبعض الموظفين في الإدارة الأمريكية، وبدهي أن يظهر اهتمام دول الجوار ـ لا سيما إيطاليا، واليونان ـ واللتان تلعبان دوراً مهمًّا في السياسة الألبانية، وكذا في السياسة الأوروبية حيث يتركز اهتمامها في محاولة تقليل الهجرات الجماعية إلى أراضيها؛ لأن كثيراً من الألبانيين سافر إلى هناك للعمل، ومنهم من يتاجر في المخدرات والأعراض والعياذ بالله.

وعلى ضوء هذا الاهتمام أو تلك المخاوف: كانت زيارة نائب وزير





خارجية اليونان لألبانيا، ثم تبعتها زيارة وزير خارجية إيطاليا، ومن جهة أخرى: شاركت تركيا صديقتها وجارتها ألبانيا المشاعر، وعبرت لها عن أملها في الوصول لحل سريع للأزمة .

وفور تسرب الأنباء عن تسلح معظم أبناء الشعب إلى بلاد الجوار ـ من المحتمل أن يكون لهم دور في ذلك ـ تزايدت المخاوف، لا سيما وأن منطقة البلقان تعج بالمشاكلات ـ وليست البوسنة ذات الاستقرار الهش منهم ببعيد ـ ودائماً تساورهم مخاوف من احتمال اندلاع الحرب مرة ثانية في البوسنة وزحفها إلى مختلف دول البلقان .

وبفقدان سيطرة الحكومة وجيشها في ألبانيا على منطقة (جيروكاسترا) ـ بالطبع كانت قبلها بعض المدن الأخرى ـ اضطر « صالح بريشة » لتقديم بعض التنازلات، والتي أصر في البداية على عدم تقديمها، وهي: إقالة حكومة « ماكسي » وإجراء حوار سياسي مع كافة الأحزاب الأخرى؛ للوصول لتشكيل حكومة جديدة، في حين أن الأخبار من الجنوب لم تتحسن، بل إن الموقف ازداد سوءاً، والأزمة آخذة في الاشتعال، وتوسع المتمردون في فرض سيطرتهم على عدة مدن أخرى، مثل: (بيرمت)، و(بيرات)، و(سكارابار) . . وغيرها، مما أثار مخاوف دول المنطقة من قيام حرب أهلية، وفي هذه الأثناء: دعا الرئيس « صالح بريشة » جميع الأحزاب للالتفاف حول مائدة المفاوضات، واقترح عليهم تشكيل حكومة انتقالية أسماها حكومة المصالحة الوطنية، يتم تمثيل جميع الأحزاب التي فازت بنسبة معتبرة في انتخابات مايو ١٩٩٦م فيها، ثم يتبع ذلك إجراء انتخابات أخرى في شهر يونية (حزيران) ١٩٩٧م ، وبعد يومين من المداولات تم تشكيل الحكومة من رئيس وزراء « باشكيم محمد فيلو » من الحزب الاشتراكي (الشيوعي سابقاً) ، وكان يشغل منصب عمدة مدينة (جيروكاسترا) ، ووزير للداخلية من الحزب

الديمقراطي ، ووزير الدفاع من الحزب الاشتراكي ، والوزراء الآخرين كذلك من مختلف الأحزاب .

ورغم هذا إلا إن المتمردين أصروا على المطالبة باستقالة « صالح بريشة »، الأمر الذي آثار مخاوف أهل الشمال الجبليين والذين يساندون الرئيس « بريشة »، الذي يتمع بتأييد كبير جداً على مستوى أهل الشمال، حيث قد أعطاهم ـ بصفتهم من بلدته ـ امتيازات كبيرة، وفتح لهم باب الهجرة لـ (تيرانا) وما حولها، وفوق هذا : فقبيلة « بريشة » لها مؤيدون كذلك في إقليم (كوسوفو) على الحدود مع (ألبانيا)، وفي تطور سريع جداً للأزمة خلال يومين من تشكيل الحكومة الانتقالية : وجدنا أن السلاح صار كذلك مع أهل الشمال، وتم الاستيلاء على معظم مخازن الذخيرة والسلاح ، وكان في البداية ـ على حد زعم بعض المصادر الرسمية ـ لمواجهة احتمالية زحف متمردي الجنوب إلى (تيرانا) للإطاحة بالرئيس « صالح بريشة » حسب ما أشاعته بعض المصادر الداخلية في ألبانيا، وأصبحت البلد بلا حكومة، ولا نظام، ولا أمن، وحل على الناس الخوف والفزع وترقب الموت وهجوم المسلحين في أي وقت، واختفت عن الأنظار الملابس الرسمية سواء لمنسوبي الجيش أو الشرطة، وفتحت أبواب السجون على مصاريعها، وبدأت أعمال السطو المسلح على المخازن والمدارس والمصانع والمحلات التجارية وعلى المشاريع التي تحت الإنشاء . . وغيرها من المنشآت، وصار منظر الشباب المسلحين في الشارع ظاهرة عادية في العاصمة (تيرانا)، وسمع دوي الطلقات النارية في الليل وفي وضح النهار، الأمر الذي كان يفزع الكبار فضلاً عن الأطفال، وبحرب نفسية من نوع آخر ـ وعبر وكالات الأنباء العالمية والمحلية ـ بدأت النداءات من معظم دول العالم بترحيل رعاياها من ألبانيا، ولا سيما أمريكا التي كانت تنادي رعاياها في ألبانيا بأساليب متعددة، كأن العالم ليس فيه إلا



الأمريكان!! ، وبدأت عمليات الإجلاء بالطائرات الهليكوبتر الحربية إلى إيطاليا، وزادت نسبة الوافدين إلى الموانئ الألبانية للسفر إلى إيطاليا، حتى أصبح المعدل اليومي ألف شخص .

بدأت حكومة المصالحة الوطنية أولى خطواتها على مسار العمل السياسي بعد الاجتماع مع بعض المسؤولين الأوروبيين، وطلبوا بصفة رسمية المساعدة المسلحة من دول أوروبا، ولكن ترددت الدول في تقديم تلك المساعدة، وفي الاجتماع الذي دعا إليه « فرانيسكي » وزراء خارجية دول التعاون الأوروبي إلى ضرورة تقديم المساعدة العسكرية لإعادة الأمن تلبية لنداءات الحكومة الجديدة ورئيس الجمهورية انقسم المجتمعون إلى فريقين: الأول: مؤيد، ويضم: إيطاليا، واليونان، وفرنسا، وإسبانيا، وهولندا، والآخر : معارض، ويضم: ألمانيا، وبريطانيا ، والسويد .

وعندما تقاعست هذه الدول عن تقديم المساعدة العسكرية لألبانيا: لجأت الحكومة إلى محاولة علاج الأمر بما تستطيع، فقامت باستدعاء قوات الشرطة والجيش حتى الذين في الاحتياط والمتقاعدين بعد عام ١٩٩٠م بعد إغرائهم برفع رواتبهم، وتم تشكيل فريق لإعادة الأمن في البلاد، ونظراً للإغراء المادي، وكذلك لوجود بعض العناصر الوطنية في البلد والتي رأت من الضرورة تكاتف الجهود لحل هذه الأزمة: عاد أصحاب الملابس الرسمية يظهرون من جديد، وقاموا بعمل دوريات، وفرض ساعات حظر تجول محدودة مَن يتجاوزها يتعرض للمساءلة العاجلة، حتى إنهم قد قتلوا بعض الأشخاص ممن لم يستجيبوا لندائهم بالتوقف بالسيارات، وتكررت النداءات بتسليم الأسلحة، وأستطيع القول: إن هذا الأمر من الصعب جداً أن يتم بسرعة، ولكن هناك بعض النتائج لا بأس بها .

وقد عاد الهدوء النسبي في الشارع ـ رغم تسميته بالهدوء الذي

يسبق العاصفة - إلا إن ذلك مطلوب أيضًا لإعادة ترتيب الصفوف وتنظيمها، وعادت الحياة بشكل نسبي إلى طبيعتها، وقامت الحكومة بعمل نداءات لجميع الموظفين في الدوائر الحكومية بالحضور للعمل وإلا سيفقدون وظائفهم في الحال.

وعلى صعيد آخر: فقد تم إرسال وفد من دول الاتحاد الأوروبي مكون من ١١ عضواً، واجتمعوا مع رئيس الوزراء الألباني والرئيس « بريشة » وعدد من كبار رجال الدولة في ميناء (دورس) على متن سفينة حربية، وخرجوا بمجموعة توصيات ومحاور رئيسة لمساعدة ألبانيا، منها تقديم:

١ - المساعدات الإنسانية .

٢ - المساعدات المالية والاقتصادية .

٣ - مساعدة بشأن عودة الحياة إلى طبيعتها .

الإصرار على إقالة « بريشة » :

وفي تطور آخر للأحداث: قامت منظمة (الجنوب الألباني) بإعطاء مهلة للرئيس « صالح بريشة » حتى يوم ٢٠ / ٣ / ١٩٩٧م لتقديم استقالته، وإلا فلن يعترفوا بحكومة « فينو »، وسيأتون إلى تيرانا للإطاحة بالرئيس، ولكن في رسالة قوية أرسلها الرئيس « بريشة » أعلن فيها الموقف السابق نفسه، وأنه لن يترك الرئاسة إلا إذا خسر حزبه في الانتخابات القادمة.

وقد سمعت أثناء كتابة هذه السطور أن المعارضة الجنوبية تنازلت عن موقفها ، وأقرت بالحكومة الانتقالية، ودعت إلى انتظار نتائج الانتخابات القادمة.

بعض المعلومات السريعة :

١ - السفيرة الأمريكية الحالية في ألبانيا هي نفسها التي كانت موجودة في العراق أيام حرب الخليج!! .

٢ - مدير المخابرات الأمريكية في ألبانيا يوناني الأصل.





٣ ـ حاول وزير الدفاع السابق الهرب، فأعادوه، ثم تمكن أخيراً من الفرار، ويُتهم بأن له علاقة وثيقة بعمليات بيع السلاح الألباني .

٤ ـ اللصوص ومحترفو الإجرام الذين خرجوا من السجون هم الذين يسببون كل أحداث الرعب وأعمال السرقة في البلد .

٥ ـ يحتمي الرئيس « صالح بريشة » في مقر قصر التشريفات وسط حراسة مشددة جدًّا من أهل الشمال المسلحين .

ونحن في مجلة البيان :

نعرض الواقع المؤلم الذي آلت إليه الحال في (ألبانيا) أفقر دول أوروبا، والتي لم ينقذها الغرب ـ كما هو دأبه مع بني جنسه ـ لكون جل الألبان من المسلمين، حتى ولو كانوا في غالبيتهم مسلمين بالحفيظة فقط، إذ إن الكابوس الشيوعي الذي حل بها منذ سنوات قد مسخ جل أهلها، حتى أنك لا تفرقهم عن سواهم من غير المسلمين .

وهناك جهود دعوية موفقة لإعادة الإسلام لشعب ألبانيا المسلم، وأعمال خيرية نالها الأذى من جراء الفتنة التي عصفت بهذه الدولة، ولعلنا نتناولها في مقال قادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ .

والله نسأل أن يمن بالاستقرار والطمأنينة على هذا الشعب، وأن تعود أحواله سلامًا واطمئنانًا ورغد عيش ، وعودة إلى الله.

وما ذلك على الله بعزيز.

إريتريا . . الوعد الكاذب بالحرية

مظاهر العلمنة والتنصير في توجهات الجبهة الحاكمة

(٢ من ٢)

تطرق الحديث في الحلقة الأولى إلى تاريخ إريتريا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى استقلالها عن الهيمنة الإثيوبية عام ١٩٩١م وتسليم الحكم فيها للجبهة الشعبية الصليبية، وما اتخذته من وراء ذلك، وبيان حقيقة التقسيم الإداري للبلد لتأكيد هيمنة النصارى، وبيان موقفهم من المهجرين المسلمين، وعلاقات الجوار الساخنة، وضلوع الحكومة في مؤامرة تدويل الصراع في البحر الأحمر لصالح الأعداء والمستفيدين منه ضد أهله، ويواصل الكاتب عرضه لمحاور باقية من الموضوع. - البيان -

العلاقات مع دول الجوار والصراع في البحر الأحمر :

كان من المفترض على دولة مستقلة حديثاً أن تسعى لخطب ود دول الجوار؛ لترسيخ وضعها السياسي والاقتصادي، ولكن الأمر في إريتريا كان على العكس من ذلك، فقد استعْدَت الجبهة الشعبية بعض الدول العربية الجارة وغير الجارة، فقبل إعلان الاستقلال رسميًّا بدأت وسائل إعلامها بشن حملات عدائية ضد (السعودية، وسوريا) ، وفي نهاية عام ١٩٩٤م، قطعت علاقاتها الدبلوماسية رسميًّا مع السودان، وسلمت السفارة السودانية في إريتريا للمعارضة السودانية، بحجة أن السودان بدت منها مظاهر عدائية، وأنها تدعم المجاهدين الإريتريين، متناسية موقف السودان التاريخي المؤيد والداعم للقضية الإريترية في فترة النضال الذي استمر ثلاثين عاماً، ثم ظهرت قضية جديدة افتعلها النظام في (أسمرا)، وذلك في بداية عام ١٩٩٦م ، وهي قضية (جزر حنيش) في البحر الأحمر، وعلى الرغم من أن الخلافات بين دول الجوار في مسائل الحدود طبيعية في

المسلمون



والعالم

بقلم: جمال سعيد حسن



هذا العصر، وتعاني منه كثير من الدول، إلا إن الأسلوب الذي سلكته حكومة «إسياس» لم يكن حضاريًا ولا مهذبًا، بل كان أسلوبًا ينم عن الحقد الدفين الذي لا يراعي حقوق الجوار، يصطنع حربًا وطنية ضد دولة جارة، ادعى النظام في (أسمرا) أنها اعتدت على الأراضي الوطنية لإريتريا، فذهب إلى الخيار العسكري لحل الخلاف، بالإضافة إلى التحرشات العسكرية المتكررة أيضًا ضد دولة «جيبوتي».

ومن جانب آخر نجد العلاقة مع دول الجوار الأخرى متينة وقوية تتجاوز المعاهدات الأمنية والعسكرية والاقتصادية .. إلخ، وتطمح للترابط (الكونفدرالي) كما هو الحال مع إثيوبيا، كما أن العلاقة بـ (كينيا ، وأوغندا) ممتازة جدًا.

نخرج مما سبق: أن منهج حكومة الجبهة الشعبية في تكوين علاقتها وصداقاتها يختص بالمتانة والقوة مع الدول التي تحمل الصبغة الصليبية، بينما كان نصيب دول الجوار المسلمة: الحرب، والعداء ، مما يعني أن «إسياس» يسعى جاهداً إلى إيجاد حاجز كبير بين الشعب الإريتري وجيرانه المسلمين، بالإضافة إلى أن هناك مؤامرة كبرى تحاك في شرق إفريقيا، كلها تشير إلى ترابط الدول النصرانية في مواجهة الدول الإسلامية، وتحجيم انتشار الإسلام في المنطقة، فكل من (إريتريا، وإثيوبيا، وأوغندا) تقف موقف العداء السافر ضد الحكومة السودانية، وتدعم ـ بالإضافة إلى كينيا ـ «جون قرنق» النصراني، وذلك حيال توجه السودان الإسلامي المعلن، وإمكان انتشار تأثيره على منطقة القرن الإفريقي وشرق إفريقيا.

وإذا أضفنا إلى كل ما سبق العلاقة الحميمة التي يتمتع بها النظام في (أسمرا) بالدولة اليهودية، والتعاون المطلق في المجالات الأمنية والدفاع والاقتصاد.. فلا نستغرب سلوك النظام القائم في إريتريا هذا المسلك المشين والمسيء للشعب الإريتري، فـ(إسرائيل) ما زالت تسعى منذ نشأتها للسيطرة على المنفذ الجنوبي للبحر الأحمر، وما «إسياس» إلا مجرد أداة ينفذ رغبات القوى النصرانية والصهيونية العالمية.

الاقتصاد : يسيطر حزب الجبهة الشعبية متمثلاً في جهازه الذي يرمز إليه بـ (09) على الاقتصاد الإريتري الضعيف أصلاً، وأصبح هذا الجهاز عائقاً أمام التطور الاقتصادي للبلاد وللمواطنين، فكل الامتيازات الاقتصادية من استثمار واستيراد وتصدير متاحة لهذا الجهاز الذي أصبح يمارس منافسة غير شريفة وغير متكافئة مع التجار، ويدعي هذا الجهاز أن هدفه خدمة المواطنين ووقايتهم من جشع التجار غير المحدود، بينما الأهداف الحقيقية غير المعلنة هي تحقيق دخل مالي كبير لحزب الجبهة الشعبية، وإتاحة فرصة العمل لأعضاء الحزب، ومن ثم: سيطرة هذا الحزب بواسطة هذا الجهاز على مقومات الاقتصاد الإريتري واحتكار مقدرات الشعب واسترقاقه سياسيًا وثقافيًا عبر وسائل لقمة العيش.

الدستور ومجموعة القوانين : لا شك أن التقنين والتنظيم في الأمور الإدارية على مستوى الأفراد والجماعات والدول سمة حضارية متى ما حُققت العدالة والمساواة وتجنب الظلم، ولكن الخلاف والجدل يُظهر ماهية تلك النظم ونوعية المراسيم التي تصاغ بها ليلتزمها الفرد والمجتمع، وقد أصدرت الجبهة الشعبية منذ استيلائها على إريتريا وتربعها على عرش الحكم في (أسمرا) عدداً من القوانين التي كانت مثار الاستغراب ـ ومن ثم: الرفض ـ من قبل الشعب الإريتري أجمع.

وقد كان **قانون الجنسية** الذي سبق عملية الاستفتاء على استقلال إريتريا من المراسيم التي لم يستسيغها الشعب الإريتري، حيث فُتح المجال



لكل من هب ودب للحصول على الجنسية الإريترية، وحسب الواقع المعاش فإن المستفيد الرئيس من هذا القانون كان نصارى إقليم (تجراي) الإثيوبي، وبهذا كثر سواد النصارى في إريتريا في ظل غياب المسلمين في مخيمات اللاجئين في السودان والدول العربية، مما يؤثر مستقبلاً على الأمن العام لإريتريا ويحدث معه خلل في تركيبة المجتمع الإريتري لصالح النصارى.

ومن القوانين الأكثر جدلاً والأشد رفضاً من قبل المسلمين: قانون **التجنيد الإجباري** الذي ألزم الفتيان والفتيات على حد سواء بالمشاركة في التدريب العسكري والخدمة العسكرية لمدة سنتين، وقد قبل الشعب الإريتري على مضض تجنيد الشباب لما يعرفه من أن الهدف من تجنيدهم ليس الدفاع عن الوطن والشرف، بل لأغراض أخرى في نفس «إسياس»، منها: صياغة جيش جديد بعقلية جديدة تتناسب والمرحلة القادمة من مرحلة الحكم في إريتريا، لأن الجيش الشعبي السابق فيه بقية من روح الثورة ـ بل الجهاد ـ الذي قد يرفض توجهات «إسياس» الدكتاتورية والارتماء في أحضان الصهاينة والغرب.

أما تجنيد الفتيات فقد رفضه المسلمون من منطلق شرعي بحت، وما زالت المواجهات بين النظام والشعب مستمرة في هذا الشأن، وقد تعرض كثير من الفتيات والآباء والأمهات لعقوبة السجن من جراء رفضهم تنفيذ هذا القرار الجائر، بل وصل الحال في بعض مناطق إريتريا أن واجهوا جنود النظام بالعصى والهراوات والسيوف عندما حاولوا أخذ الفتيات قسراً لتجنيدهن.

والمتأمل للأمر يدرك أن الاتجاه إلى تجنيد الفتاة المسلمة ليس الغرض منه سد النقص في عدد المدافعين عن إريتريا، ولا تنفيذ المساواة المزعومة بين الرجال والنساء، إنما الغرض تربية الفتاة المسلمة على أفكار ومبادئ تناوئ العقيدة الإسلامية وما ينبثق منها من شريعة وأخلاق وفضائل.

أما آخر المراسيم مكراً فقد كان المرسوم التشريعي رقم ٧٣ لعام ١٩٩٥م، الذي نص على عدم أحقية المؤسسات الدينية في القيام بأعمال

إغاثة أو خدمات اجتماعية بالوكالة عن حكومات أو مؤسسات أجنبية، وهو القرار الذي عرف باسم مرسوم تنظيم عمل المؤسسات الدينية، وقد حدد النظام في الوقت نفسه وجه التعامل مع الجهات الخارجية، بحيث يكون عبر أجهزة الدولة الرسمية.

والغرض من هذا القرار هو تحجيم عمل المعاهد والمدارس الإسلامية وشل العمل الدعوي الإسلامي في إريتريا؛ لأنه من المعلوم أن المؤسسات الإسلامية في إريتريا تقوم على الجهد الأهلي ، وبما أن الشعب الإريتري عاش ثلاثين عاماً في حرب قاسية فَقَدَ فيها كثيراً من مقوماته الاقتصادية، فإن العمل الدعوي هناك أصبح لا يستغني عن الاتصال بالمؤسسات الخيرية والتطوعية في العالم الإسلامي، وذلك بغية الحصول على العون المادي والعلمي والأدبي ، إنه في حاجة إلى المؤسسات الرسمية في الدول الإسلامية (من جامعات ووزارات) التي توفر له منحًا دراسية للطلاب، وإرسال الدعاة ومعلمي اللغة العربية والعلوم الشرعية، إلا إن هذا المرسوم يقف عائقًا الآن أمام هذه المساعدات التي كان من الممكن أن تسهم في مسيرة الدعوة الإسلامية في إريتريا، وهذا هو المقصود تماماً.

ولهذا ـ ولغيره من الأسباب ـ نجد اليوم إريتريا تخلو من المؤسسات الإسلامية الخيرية، بينما تعج بالمؤسسات التنصيرية التي تعمل ليل نهار في بناء الكنائس وتقديم خدمات الإغاثة والعلاج في ربوع إريتريا!!.

حقيقة دستور الدولة : وقد تم تتويج هذه القوانين جميعًا في نهاية المطاف بالدستور الذي صدرت مسودته في يوليو ١٩٩٦م ، وهو دستور علماني بحت، بل علماني متطرف ـ حسب تعبير الدكتور « جلال الدين محمد صالح » في جريدة (المستقلة) العدد ١٢٨ تاريخ ٩/٦/١٤١٧هـ ـ ٢١/١٠/ ١٩٩٦م ـ لم يراع ديانة شعبه بل لم يراع العادات والتقاليد والموروثات الثقافية للشعب الإريتري كما زُعم في ديباجته.

وقد تعمد الدستور تهميش الجوانب الفكرية والثقافية والاجتماعية، والتركيز





علي الجوانب الإدارية والفنية البحتة في معظم فقراته، وأعطى الأجهزة التنفيذية في الدولة مجالاً واسعًا لإصدار قوانين وتشريعات تنظم عمل الأجهزة الحكومية.

وقفات مع الدستور : على الرغم من ذلك فإننا سوف نتناول منه عدداً من القضايا التي ما زالت تثير ردود الأفعال المتفاوتة، وتسبب الجدل والنقاش الحاد في اللقاءات التي تعقدها لجنة الدستور مع الشعب الإريتري في الداخل والخارج، وهذه القضايا هي :

١ ـ اللغة : نص الدستور في الفقرة الثالثة من المادة الرابعة على أن « مساواة جميع اللغات في إريتريا مصانة »، ولم يحدد اللغة الرسمية للبلاد، بل ترك الأمر بهذا الشكل عمداً، وفي ذلك دغدغة لمشاعر العامة وتلاعب بعواطفهم، فمن ذا الذي يكره المساواة؟!، وإذا قيل لأي مواطن: إن لغته الأم متساوية مع جميع اللغات الأخرى التي في بلده فسوف يتقبل الأمر بكل سرور، إلا إن العمل بهذا النص بعيد عن الواقع ولا يقبله عاقل؛ لأن المساواة تعني أن تتعامل الحكومة مع جميع لغات إريتريا بنظرة واحدة وبقدر واحد في التعليم والإعلام وإصدار المراسيم والمكاتبات، والخطب الرسمية... إلخ، فيفترض ـ بناءً على ذلك ـ أن يُلم جميع موظفي الدولة باللغات الإريترية على الأقل إن لم يتقنوها، ومعلوم أن في إريتريا تسع لغات مختلفة، تتحدث بها تسع مجموعات لغوية، تسميها الجبهة الشعبية (قوميات).

وقد حاولت حكومة الجبهة الشعبية تنفيذ هذا الأمر في مجال التعليم الابتدائي، حيث حاولت إيجاد مدارس ابتدائية في القرى تدرس بلغة أهل المنطقة حتى إذا لم تكن حروفها مكتوبة، فبدأت بكتابتها بالحروف اللاتينية والبعض الآخر بالحروف التجرينية (لغة أغلب نصارى إريتريا وشمال إثيوبيا)، إلا إن الأمر لم يحقق المساواة الحقيقية للغات وأهلها، ففي المدن التي تختلط فيها القبائل والأعراق والمجموعات اللغوية لم تستطع الوفاء بهذا الأمر، ففي مدينة (كرن) مثلاً لا توجد مدرسة تدرس بلغة (البلين) مع أن أغلب سكان هذه المدينة من المتحدثين بهذه اللغة ،

بل بالعكس من ذلك فإن أكبر مدرستين حكوميتين تدرسان باللغة التجرينية مع أهلها أقلية في المدينة المذكورة.

وإذا نُظر إلى هذا القرار من منظور الوحدة الوطنية التي تُرجع إليها الجبهة جميع نظرياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية نجد أن لهذا الأمر تأثيراً سلبيًّا، حيث إن تعلم كل مجموعة لغوية بلغتها الخاصة مع عدم وجود لغة وطنية واحدة ـ أو اثنتين ـ يتعلمها جميع أفراد الشعب يضع حاجزاً بين أفراد الشعب الواحد، ويؤثر على تفاهمهم وتعاملهم اليومي وأنشطتهم الثقافية والسياسية والاجتماعية، فمن أين يأتي هؤلاء الموظفون الذين يعرفون جميع اللغات الإريترية والحال هكذا ؟.

إلا إن النتيجة النهائية لهذا النص الدستوري: تفتيت وحدة المسلمين في إريتريا بإيجاد حاجز لغوي ومزاج ثقافي فكري محدود فيما بينهم ـ حيث إن وجودهم ينتشر في المجموعات اللغوية التسع ـ ، وإبعادهم عن خيارهم للغة العربية التي ما زالوا ينادون بها، وفرض الأمر الواقع بنشر اللغة التجرينية وإسقاط اللغة العربية كما أسلفنا.

٢ ـ المرأة : وجدت المرأة في الدستور الإريتري ذكراً لحاجة خبيثة في نفس «إسياس» الماكرة، فقد جاء في الفقرة الثانية من المادة السابعة: «تعتبر ممنوعة كل الممارسات التي تنتهك حقوق المرأة، أو تحط من شأنها، أو تقلل من دورها، أو تعيق من مشاركتها».

والفقرة بهذا الشكل عامة يمكن تفسيرها تفسيراً مقبولاً، ولكن.. ما هي الحقوق التي تقصدها الفقرة والمنهي عن انتهاكها؟.

إن الحقوق المعتبرة لدى الدستور لا تخرج ـ حسب ممارسات الجبهة الشعبية ـ عن الحقوق التي نادى بها مؤتمر (بكين) النسائي في عام ١٩٩٥م والذي أثار مشاعر المسلمين، بل ومشاعر (بابا الفاتيكان)، وقد شاركت إريتريا في هذا المؤتمر بوفد نسائي كبير رفيع المستوى ـ من عناصر حزب الجبهة الشعبية ـ ، وقد احتفت وسائل الإعلام الإريترية بهذا



المؤتمر وأيدت قراراته بدون تحفظ.

فالمقصود إذن: ضمان جميع الحقوق والأدوار التي تنافي الشرع الإسلامي السمح وأخلاقه الحميدة، فقد يُعد ـ في نظرهم ـ الحجاب مما يحط من شأن المرأة، ونصيبها الشرعي من الإرث انتهاك لحقوقها في المساواة، وإبعادها عن الاختلاط والخلوة بالرجال مما يعيق مشاركتها.... وهكذا.

٣ ـ الأسرة والزواج: فيما يتعلق بالأسرة والزواج حدد الدستور في الفقرة الثانية من المادة (٢٢) طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، قائلاً: «من حق الرجل والمرأة اللذين بلغا السن القانوني أن يتزوجا ويؤسسا أسرة بحرية، وبملء إرادتهما، ودون أي شكل من أشكال التمييز، كما يكون لهما حقوق وواجبات متساوية في كل المسائل الأسرية».

وبهذا يحق لغير المسلم سواء أكان يهوديًا أو نصرانيًا أو وثنيًا أن ينكح مسلمة، وكذا بالعكس، حيث لا تمييز في الدين وغيره، ولا يهم أن يكون الزواج بعقد تتوفر فيه الشروط الشرعية من شهود وولي أم لا، كما إن المساواة في كل المسائل الأسرية تعني أن الزوجين يتساويان في النفقات الخاصة بأمور الأسرة من مهر وسكن وملبس ومأكل ومشرب، وأن يكون الطلاق في يديهما بالتساوي، وأن ترث المرأة زوجها بالمقدار الذي يرثها زوجها، وأن تكون القوامة لهما، وما أدري هل تعدد المرأة الأزواج إذا عدد الرجل زوجاته أم إن التعدد محرم في نظر الدستور؟! إذن: فلا مكان بمقتضى هذا الدستور لقوله (تعالى): ﴿ **إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ** ﴾ [الطلاق: ١]، وقوله (تعالى): ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** ﴾ [النساء: ٤]، وقوله (تعالى): ﴿ **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ** ﴾ [النساء: ١١]، وقوله (تعالى): ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا** ﴾ [النساء: ٣٤]، وقوله (تعالى): ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ [النساء: ٣]، وقوله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي».. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث النبوية، مما يعني هدم نظام الأسرة في الإسلام، والاعتداء الصارخ على حرية الشعب

الإريتري في ممارسة عقيدته ودينه الذي ارتضاه لنفسه وارتضاه الله له من قبل.

٤ ـ القسَم : جاء في المادة (٣٥) في القَسَم الخاص بأعضاء المجلس الوطني، والمادة (٤٥) الخاصة بقسم رئيس الدولة، والمادة (٥١) الخاصة بقسم القضاة أن صيغة القسم تكون : « أقسم باسم شهداء إريتريا . . . » .

وهذا يعني أن يتناول المسلم بابًا من أبواب الشرك بالله إذا قدر له أن يكون عضواً في البرلمان، أو رئيسًا للدولة، أو قاضيًا في محكمة!، إلا إذا كان المقصود أن تولي هذه المناصب مما لا ينبغي أن يتولاها المسلم في إريتريا، فماذا يرتجى ممن استهل عمله بأعظم ذنب يرتكبه الإنسان في حياته الدنيا كلها؟!.

ولم تترك هذه المادة للمرء فرصة في أن يضمر ما يعتقده في القسم، بحيث تكون على حسب اعتقاده، بأن تكون الصياغة مثلاً : (أقسم أن كذا وكذا) بل تم تعمد صياغة القسم بهذا الأسلوب، مبالغة في إبعاد الناس عن دينهم، وتطرفا في علمنة الدستور.

٥ ـ المحاكم الشرعية : معلوم أن المحاكم الشرعية في إريتريا (استئنافية وعادية) ما زالت تعمل منذ عهد الخلافة العثمانية، ومروراً بعهود الاحتلال الغربي (إيطاليا، وبريطانيا)، ثم الاحتلال (الإثيوبي) ، وعندما تحدثت مسودة الدستور الإريتري عن القضاء والمحاكم لم تذكر المحاكم الشرعية بشيء، لا بالإلغاء الصريح أوالبقاء الصريح، ولكن يبدو أن المراد هو موت المحاكم الشرعية بطريقة تلقائية بعيداً عن الإثارة؛ فالفقرة الثالثة من المادة الثانية تقول : « يعتبر هذا الدستور أعلى قانون ومصدراً لكل القوانين الإريترية؛ لذا : فإن أي قانون أو أوامر أو ممارسات لا تتماشى مع نصوصه وروحه تعتبر لاغية » (هكذا)!!.

وقد أحال الدستور صلاحيات تنظيم وأداء المحاكم الدنيا وفترة عمل قضاتها إلى القانون في المادة (٥٠)، ولا تدخل المحاكم الشرعية ضمن المحاكم الدنيا المزمع تكوينها، لأن المحاكم الشرعية مختلفة عنها تمامًا ، كما إن أحكامها تتعارض قطعًا مع نصوص الدستور،كالفقرة الثانية من المادة (٢٢) الخاصة بالزواج والأسرة على سبيل المثال.

المسلمون



العالم

إذن: فإن إقصاء المحاكم الشرعية عن الحياة في إريتريا أمر مؤكد، حتى وإن أصبحت قاصرة على الأحوال الشخصية.

٦ ـ **ملكية الأرض**: كانت حكومة الشعبية قد سبقت دستورها في إصدار قانون يجعل ملكية الأرض للدولة، وقد نص الدستور الجديد في الفقرة الثانية من المادة (٢٣) على «أن الأرض وكل الثروات الطبيعية ملك للدولة، وحقوق المواطنين في استخدام الأرض تتحدد قانوناً».

وقد فتح هذا القانون الباب على مصراعيه للنصارى للنزوح إلى مناطق المسلمين الواسعة، واغتصاب أراضيهم (بالطرق القانونية)، ومعلوم أن المساحة التي يمتلكها المسلمون في إريتريا لا تقل عن ٨٠٪ من مساحة إريتريا، وأغلبها صالح للزراعة والرعي.

وبهذا يتضح أن المقصود من وراء هذا القانون هو التلاعب بالتركيبة السكانية لمناطق إريتريا، ودعم النصارى اقتصاديًّا على حساب إفقار المسلمين الذين ما زال أكثرهم يعيشون في مخيمات المهاجرين واللاجئين في السودان، ويعمل كثير منهم أيضاً في دول الخليج العربي.

وفي الختام: يمكن أن نخلص من هذه الجولة القصيرة إلى أن الخطى سائرة في إريتريا وفق مخطط نصراني مدروس يصب في نهاية المطاف لتحقيق حلم المنصِّرين بجعل(إفريقيا نصرانية عام ٢٠٠٠!!).

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

مما يلزم أن يتداعى المسلمون الإريتريون لتحديد موقفهم حيال ما صاغته الجبهة الشعبية من أنظمة وقوانين تؤكد الوجهة النصرانية لهذه البلاد الإسلامية لصالح فئة محدودة.

ويؤكد العمل بكل الوسائل المتاحة لإيقاف المد النصراني الجائر عند حده، وعلى كل المسلمين تحديد موقفهم من هذه الدولة العميلة التي ناصبتهم العداء وصارت مخلب قط لصالح أعدائهم.



أعبدة للشيطان في مصر؟!
مظاهر الخلل وأسبابه وعلاجه

بقلم:
صفوت و صفي

في الوقت الذي كان المسلمون متوجهين فيه إلى الله بالصيام والقيام وأداء الصلوات في شهر رمضان المنصرم لعام ١٤١٧هـ قضّ مضاجع المسلمين بعامة ومسلمي مصر بخاصة ما أعلن عن اكتشاف شبكة من الشباب التافهين الذين يتبنون ما يسمى بـ (عبادة الشيطان)، وهو وإن كان نهجاً وثنيًّا قديماً إلا إن بعض الاتجاهات الإلحادية المعاصرة أعادته من جديد بوسائل جديدة.

وقد أثارت هذه القضية الرأي العام بمصر، لا سيما وأن جل المضبوطين من أبناء الذوات!، أو ما يعرف بالطبقة (الأرستقراطية) من بعض أبناء المسؤولين والفنانين.. وغيرهم، وقد استطاع الأمن تسجيل حفلاتهم ورصد حركاتهم وما يقومون به من طقوس.. وأثبتت اعترافاتهم أثناء التحقيق معهم أن ما دفعهم إلى ذلك عاملان: (المخدرات)، و(الجنس).. وهما كافيان لتداعي الشباب ـ الفارغ من العمل والمفرغ عقله من القيم والأخلاق ـ للانضواء تحت لواء هذا التوجه.

ومما يؤسف له أنه رغم الزخم الإعلامي الذي سلط على هذه الفئة على مدى الأشهر الماضية، وتأكيد ضلوع أولئك الشباب في الوقوع في هذه الطقوس المنحرفة واعترافهم بها(*)

(*) انظر على سبيل المثال: ما نشر على ألسنة المنتمين لهذه الفئة في مجلة المصور، ع/٣٧٧٣، الصادر في ٣١/١/١٩٩٧م، ومجلة الشروق، ع/٢٥٢، الصادر في ٣/٢/١٩٩٧م، والوسط، ع/٢٦٢، الصادر في ٣/٢/١٩٩٧م.

إلا إن النيابة أخلت سبيل جميع المتهمين بعد المطالبة بإعدامهم، وذلك بحجة أن القانون المصري لا يعاقب على فكر مهما كان!، مع أن القانون المصري نفسه يعاقب على مثل ذلك كما في قانون العقوبات المادة (٩٨) وكذلك المادة (١٦٠).

كيف بدأت هذه الشبكة؟: تنتشر عبادة الشيطان لدى اليهود، وتعرف بجماعة (إخوة الشياطين)، ومقرها (تل أبيب) و (إيلات)، وتتخذ (النجمة السداسية والصليب المقلوب) شعاراً لها، ولها وجود في ألمانيا، وفرنسا، واليابان، وجنوب إفريقيا.. وقد أقام مواطن أمريكي يدعى « انوان ساندرو لافي » - ويظهر من اسمه أنه يهودي - كنيسة ومحفلاً شيطانيًا بأمريكا عام ١٩٦٦م، ليمارس فيه هو وأتباعه طقوس عبادة الشيطان، وكانوا يتناولون عقاقير الهلوسة، ويعمدون الأعضاء بالدم، وينبشون القبور، ويعملون على تحطيم دور العبادة وإحراقها .

المذهب يتسلل إلى مصر: وترجع بدايات ظهور هذا التوجه المنحرف والفكر الشاذ في مصر عند بداية السبعينيات الميلادية من خلال (الروك) لاجتذاب الشباب، ثم أخذت الأحداث تتابع على النحو التالي:

- في شهري أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٩٣م نظمت أول حفلة لهم، وأقيمت في ملعب التنس باستاد القاهرة، ووصفت بأنها كانت مرتعًا للجنس والمخدرات، ثم تعددت الحفلات في مناطق المعادي، والزمالك، والإسكندرية .. وعادة ما يصيب عبدة الشيطان حالات هيستيرية عبر استخدامهم موسيقى (الروك) .

وبعد التحقيق مع أعضاء الشبكة أكدوا أن مجموعة من اليهود وراء زرع هذه الأفكار الغريبة في مصر خلال العامين الماضيين، عن طريق الجنس والمخدرات داخل المناطق المنعزلة، أو في الصحراء، أو على شواطئ البحار ليلاً.. وأنهم عادة ما يستخدمون القطط والكلاب قرابين للشيطان.

- أن إحدى الدول الأجنبية قدمت للجماعة العديد من المساعدات التي

تشجع على قيامهم بطقوسهم الغريبة في بعض الأماكن المعينة.

ـ تم إلقاء القبض على صاحب شركة تسجيلات فنية ـ يحمل الجنسيتين المصرية والكندية ـ يروج الأشرطة الغنائية التي تتضمن أفكار هذه الشبكة المشبوهة، والتي يعتبر المغني المشهور «ألفيس بريسلي» الأب الروحي لها.

من يدافع عن هؤلاء في مصر: في الوقت الذي صدم فيه الشعب المصري بهذا التوجه المنحرف وتساءلوا عن دور الأسرة والمدرسة والإعلام والتوعية والأزهر، وهل يعقل أن يعبد الشيطان في مصر أرض الإيمان والعلم؟..

في هذه الظروف نجد إحدى الدور الاستعمارية التي تشغل مسمى (الجامعة الأمريكية) بالقاهرة، وعلى صفحات جريدتها (القافلة)، تنشر معلقة على الموضوع وردود الأفعال الرافضة له على صفحات كثير من الصحف والمجلات المصرية، نجدها تقول بكل بجاحة: «إن ما تنشره الصحف المصرية عن هذا الموضوع هو نوع من الاعتداء على حرية الرأي وتوجيه الاتهام بالكفر إلى شباب لا يهمه شيئًا سوى سماع الموسيقى الأجنبية المختلفة..» هكذا!.

دوافع انضمام الشباب لهم:

من واقع تتبعي لهذه المشكلة يتبين لي أن دافع المنضوين لها ما يلي:

ـ هناك كثير من الشبان في مصر يهتمون بسماع موسيقى (الروك آند رول) وتعلم الرقص الغربي معها بأساليب تتميز بالصراخ والضجيج والحركات السريعة التي أشبه ما تكون بحركات التشنج والاضطراب العقلي.

ـ تعبر هذه الفئة عن نفسها من خلال الرقصات الموسيقية، ويعملون على وشم أجسادهم عن طريق السفر إلى إحدى قرى سيناء السياحية، حيث يوجد محترفون لعمليات الوشم وبعضهم لجأ إلى رسم كلمات غريبة على ملابسهم السوداء وتدوين شعارات ملفتة للأنظار تصل إلى حد السباب والشتم.

ـ ينظمون حفلات موسيقية من نوع خاص في أماكن وفنادق متفرقة، مع توزيع إعلانات هذه الحفلات في

مناطق تجمع الشباب في الجامعات والأندية والمراكز الأجنبية.

ومن خلال استطلاع نشرته مجلة (الوسط) اللندنية مع بعض أعضاء هذه الجماعة يتبين من أفكارهم ما يلي:

ـ تقول «أ.أ» مغنية فرقة (فابير) وطالبة بكلية التجارة: «من خلال الحفلات تعرفت على شباب ليس أمامه أي شيء يفعله، وفي كثير من الأحيان يدمن المخدرات ولا يعرف ما يقوم به، ويهزون رؤوسهم على طريقة المغنيين الغربيين للفت الأنظار لهم، ولو كان هذا عن طريق الزعم بأنهم يعبدون الشيطان!».

ويقول «م.ع» مضيف جوي: هناك محاولات للتقليد الأعمى لكل ما يجري في الغرب من دون تمييز أو اهتمام بمعنى ذلك التقليد.

ويقول طالب في كلية التجارة: إننا نعرف أن ما نفعله شيء غريب، لكنها التسلية!!.

ردود الفعل في المجتمع المصري:

بعد اكتشاف هذه الشبكة والجماعة المنحرفة واعتقال أعضائها تبين بالفعل أنها فئة ضالة، تأثرت بهذا الفكر والسلوك عن طريق الوسائل التي سبقت الإشارة إلى بعضها؛ مما أصاب الرأي العام بصدمة عنيفة، وتساءلوا: أحقًّا يُعبد الشيطان في مصر، مصر بلد الأزهر وبلد العلماء؟.

وكانت ردود الأفعال على المستوى الرسمي والفكري على النحو التالي:

١ ـ استنكر! مجلس الشورى المصري في جلسة برئاسة د/ مصطفى كمال حلمي، ظاهرة الانحراف الديني المتمثلة في هذه الجماعة المنحرفة، وطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية على هؤلاء الخارجين عن الدين!!.

٢ ـ وقال الشيخ «نصر فريد واصل» مفتي مصر: إنهم سقطوا ضحية الشيطان؛ لضعف إيمانهم وانحراف أفكارهم؛ لأن الشيطان لا يقترب ممن آمن بربه، ولكنه يسيطر على الإنسان نتيجة ضعف! إيمانه، وقال: إنهم مرتدون عن الدين.

٣ ـ وقال د.«سعد ظلام» الأستاذ بجامعة الأزهر: إننا أهملنا شبابنا حينما انطلقنا نجلب لهم الإشباع

المادي، وتركناهم بلا رقيب ولا هداية، ولم نربهم بالدين والقيم .

٤ ـ ويقول د. «فكري عبد العزيز» (استشاري الطب النفسي) : إن التحليل النفسي لهؤلاء الشباب يظهر أنهم فئة (سيكوباتية) فاقدة الأهلية، تحقق ملذاتها، وتنظر إلى إرضاء الجسد والذات، وقد وصلت إلى كل هذا نتيجة الحرمان الأسري، وعدم وجود الأب أو بديله في هذه المرحلة، مع عدم الاستقرار النفسي والاجتماعي، وعدم وجود المثل الذي يحتذى.

أسباب هذه الظاهرة :

ولا شك أن هذا الاتجاه ظاهرة شر ومظهر انحراف في سير المجتمعات، فما أسباب وجود هذه الظاهرة؟.

سبقت الإشارة إلى دوافع هذا التوجه الشاذ لدى هذه الفئة من الشباب، لكن المتابع والباحث المدقق والمتأمل لما وراء السطور يلمس أن هناك أسبابًا ساعدت في نشوء هذا النهج المنحرف، يمكن إجمالها فيما يلي :

١ ـ سياسة تجفيف المنابع التي ازداد أوارها بعد عملية السلام مع العدو الصهيوني، حيث انبثق عنها ما يعرف بعمليات تطبيع العلاقات مع اليهود، والتي استتبعت غربلة المناهج الدراسية، وإجراء كثير من التعديلات والحذف لصالح هذا التوجه، فضلاً عما هو موجود أساسًا من تحجيم لمواد التربية الإسلامية وعدم اعتبارها في سلم الدرجات للطلاب والطالبات في جل البلدان الإسلامية، مما لا يقيم لها الاعتبار المفروض لدى الطلاب، فأنّى لهذه المواد أن تربي الأجيال تربية إسلامية تجعل منهم مبغضين للانحرافات الفكرية بكل جسارة وشمم.

٢ ـ دور الإعلام المتواصل ـ عن طريق وسائله المنوعة من مقروءة ومسموعة ومرئية ـ في إثارة نزوات الشباب من الجنسين وإشغالهم بالفكر الهابط الرديء والأغاني الماجنة، والأفلام الخليعة .

٣ ـ سوء استغلال شبكات الاتصالات الحديثة (الإنترنت)، التي تحوي برامج تروج لمثل هذا الفكر المنحرف، وتوصل مستجداته وطقوسه ومبادئه لمتابعيه بأحدث ما يتوصل إليه

مَن يتابعون هذه النزعات الشيطانية، وقد تلقى هؤلاء الشباب معلوماتهم عن عبادة الشيطان عن طريق هذا الجهاز، وقد أثبتت التحقيقات أن ٩٠٪ من المعلومات التي حصلوا عليها من هذا التوجه المنحرف كان عن طريق هذه الشبكة.

٤ ـ تحجيم التوعية الإسلامية من برامج ومحاضرات وندوات عن طريق العلماء والدعاة، ولا سيما في الجامعات والنوادي والمراكز التربوية، بدعوى أن لمن يلقونها أهدافًا غير مرضي عنها، ولا ندري أي أهداف للداعين إلى الله والعلماء والمفكرين المسلمين سوى توعية الأجيال بالإسلام الحق والفكر الرشيد والبيان للمخططات العلمانية التي تهدف إلى تدمير الشخصية المسلمة والمجتمعات المؤمنة؟!، **إلا إن كان هذا غير مرغوب فيه، فذاك شيء آخر، ولا ندري لمصلحة من يتم ذلك.**

٥ ـ الحياة المترفة والمتفلتة التي تعيشها أسر هؤلاء الشباب بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، من شيوع التبرج والسفور، والاختلاط بين الجنسين، وترك مسؤولية تربية الأبناء للخدم أو للمدارس الداخلية، والتي عادة ما تكون أجنبية الولاء.

٦ ـ مثل هذه الجماعات تكون مدعومة كما سبقت الإشارة إليه من جهات أجنبية ذات أهداف مشبوهة وذات خطط مرسومة، ودعمهم لمثل تلك النزعات بالأموال يساعد في استمرارهم في طقوسهم الشيطانية، ومثل تلك الجهات الأجنبية معروفة في دعمها للاتجاهات المنحرفة، كما هو شأنهم في دعم جمعيات تحرر المرأة من قيمها وأخلاقها، وكما يدعمون سياسات تحديد النسل، وتشجيع الأبحاث التي تتبنى إحياء الفكر الباطني والعنصري...

٧ ـ المدارس المختلطة بين الجنسين في كثير من الدول العربية، وبخاصة في الجامعات، ووضع المناهج المختلطة، ووصول الأمر إلى تدريب هؤلاء الشباب من الجنسين في دورات ومعسكرات مختلطة.. لا شك أنها وسيلة لإشاعة الفاحشة بينهم، يتهدم

معها الوازع الخلقي في نفوسهم.

٨ ـ السياسة الأمنية المتطرفة حيال الاتجاهات الإسلامية في بعض الدول العربية، والتي لا تفرق بين صالح وطالح، ولا بين معتدل وغالٍ (منحرف)، وهذا تصور ليس مرده إلى الجهل وحده بتلك الاتجاهات المختلفة، وإنما هدفه ضرب الاتجاهات الإسلامية عموماً بدعاوى ساذجة لم تعد تنطلي على أحد.

ولا شك أن هذه السياسة فاشلة، وقد أحدثت ردود فعل معاكسة للعنف المضاد، ذهب ضحيته المئات من القتلى، ولا ندري لمصلحة من؟.

ولا شك أن السياسات القمعية فاشلة، وما كان لهذه السياسة أن تتم لولا ما تشيعه أقلام العلمانيين وأذنابهم من الهجوم على التوجهات الإسلامية واتهامها ليل نهار بادعاء أنها تهدف إلى قلب المجتمعات وتغيير أنظمة الحكم، وهي حرب مسمومة، بل هي مكر الليل والنهار لتهميش الإسلام في المجتمعات **﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [التوبة: ٣٢].

علاج هذه الظاهرة:

ولا شك أن أي ظاهرة انحراف لها أسبابها ولها علاجها، أما العلاج فهو القضاء على كل مبررات نشوئها وإيقافها بكل قوة وحزم، ويمكن اتخاذ إجراءات معينة في نظري تتمثل فيما يلي:

١ ـ تجريم أولياء أمور هؤلاء الشباب ـ ولو أدبيًّا ـ وتحميلهم جزءاً كبيراً من مسؤولية انحراف أبنائهم، حيث تركوا الحبل لأبنائهم على الغارب بتساهلهم في مسؤولية تربية هؤلاء الشباب؛ مما أدى بهم إلى الوقوع في هذه التوجهات الفكرية الشاذة والمنحرفة.

٢ ـ أهمية وضع النظم التي تجرم مثل هذه الاتجاهات الشاذة، إذ إن الدساتير الحالية لا تجازي فاعليها إلا بأقل القليل، وأهمية تطبيق (حد الردة) بعد استيفاء أركانه، ولا شك أن تطبيقه مع أحد المجرمين سيردع كل من تسول له نفسه الوقوع في مثل تلك الانحرافات.

٣ ـ ضرورة إيجاد المحاضن التربوية الصالحة التي يجد فيها الشباب ما

يشبع ميولهم وينمي هواياتهم ، وإدامة هذه المحاضن على مدار العام، وضرورة ترشيد عمل الأندية الرياضية وتطعيمها بالتوعية الدينية والفكرية .

٤ ـ أهمية أداء وسائل الإعلام ـ وبخاصة المرئية منها ـ دورها الريادي في التوعية والتوجيه، وألا تجاري القنوات الفضائية التي كثيراً ما تعمل على إشاعة الخلاعة والمجون، حتى أصبح ذلك رسالة لها في كثير من محطاتها .

٥ ـ تجريم بعض الكتاب الذين دأبهم تضليل الأمة بإشاعة الاتجاهات العلمانية، وتضليل الشباب، ومهاجمة التيارات الإسلامية بدون وجه حق، إلى درجة أن أصبح السمت الإسلامي عندهم علامة على التطرف والإرهاب، وهذا افتراء وإفك وقذف للإسلام والملتزمين به بدعاوى باطلة أصحبت سامجة وممجوجة، فمثل تلك الأقلام هي التي توجد ردود الأفعال المعاكسة التي ربما أدت إلى النزوع للغلو المرفوض شرعاً.

ـ من الخطورة بمكان اعتبار هذا التوجه كأن لم يكن، وتناسيه، سواء بضغوط معينة أو بتسامح، ما لم يعالج هؤلاء الشباب بتوبتهم أولاً، ثم بالعلاج المتوالي بإصلاح الفكر بدورات تثقيفية متخصصة، أما دعوى أنه لا توجد حقيقة لهذه الجماعة ـ كما نُشر ـ فهذا دفن للرؤوس في الرمال .

والله أسأل أن يوفق الجميع لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

■■ **مراجع تم الاستفادة منها :**

١ ـ إبليس، لعباس محمود العقاد .
٢ ـ عبدة الشيطان، لـ «محمد فوزي»، نشرته (الأنباء)الكويتية في ١٧ حلقة بدءاً من العدد (٧٤٤٦) في ٥/١/١٩٩٧م.
٤ ـ مجلة الوسط، العدد ٢٦٢، الصادر في ٣/٢/١٩٩٧م.
٥ ـ صحيفة الرياض، العدد ١٠٤٥١، الصادر في ٢٥/٩/١٤١٧هـ .
٦ ـ جريدة الحياة اللندنية، العدد الصادر في ٧/١٠/١٤١٧هـ .

بريد البيان

■ الكاتب (....)
الذي شن من أمريكا حملة شعواء على البيان وأسرة تحريرها :
سرنا أن نرى خطك مرة أخرى بعد انقطاع، وقد كنا نتوقع أن تتسم ملحوظاتك بالأسلوب النبوي تعاونًا على البر والتقوى، لا أن تكون مجرد تشنجات محمومة لا مبرر لها، عفا الله عنا وعنك ، فالخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية .

● ● ●

■ الأخ / (أبو عبد الله العمروي) :
وصلتنا رسالتك التي تمحضنا فيها النصح والتنبيه على بعض الملحوظات، مثل: المبالغة في مدح (فارس المنبر)، والتنبيه على اللفظ الشائع: انتقال فلان إلى مثواه الأخير، والثناء على الشيخ «القرضاوي» مع ما ذُكر من الملحوظات. ونقول لك: جزاك الله خيراً، ومن الذي لا يسيء قط ، ومن له الحسنى فقط، واقتراحاتك الأخرى محل عنايتنا وتقديرنا .

● ● ●

■ الأخت / ميسون آدم :
نعتذر عن نشر تعقيبك؛ نظراً لطول الفاصل الزمني بين المقال المنشور والتعقيب، ومرحباً بكِ في مشاركات قادمة .

● ● ●

■ الأخ / إبراهيم السيلاني :
قصيدتك رغم ما فيها من عواطف جياشة إلا إنها ضعيفة فنيًّا، لذا: نعتذر عن نشرها.

● ● ●

■ الأخ / أبو حسان :
نشكر لك حسن ظنك، أما ملحوظاتك فستكون محل اهتمامنا، وجزاك الله خيراً.

■ الأخت / مؤمنة المكي :
نأمل إعادة إرسال مشاركتك الشعرية؛ لعدم وضوح بعض مقاطعها .

● ● ●

■ الأخ / العياشي الفلوس :
مقالتك عن حد الردة سينشر جزء منها في منتدى القراء؛ لأن لدينا دراسات متكاملة عن الموضوع ستنشر في ملف الردة ـ إن شاء الله (تعالى) ـ .

● ● ●

■ الأخ / حيدر عمر :
سعدنا بك قارئًا متابعًا للمجلة، ونسأل الله أن نكون عند حسن ظنك .

● ● ●

■ الأخ / إبراهيم نهار العنزي :
مشاركتك (الإبداع في الشعر العربي) تمت إجازتها، وستنشر في البيان الأدبي ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

● ● ●

■ الأخ / سالم القحطاني :
نشكر لك تهنئتك ودعواتك، وقد أحيلت ملحوظتك لقسم الاشتراكات، أما بخصوص اقتراحك فإنه محل اهتمام أسرة التحرير.

● ● ●

■ الأخ / أبو عبد الله بن فرج :
مع تقديرنا لمشاعرك تجاه البيان فإن المجلة لا تنشر النقول ، لذا: نعتذر عن نشر مشاركتك، ومرحباً بك في مشاركة أخرى.

● ● ●

■ الأخ / إبراهيم الدسيماني :
جزاك الله خيرا، ونسأل الله أن يثيبك، أما بخصوص المشاركات فلا مانع من إرسال ما لديك، وسيعرض كالمتبع على لجنة الإجازة .

■ الأخ / أحمد حسبو :
قصيدتك نشرت في مطبوعة أخرى، لذا: نعتذر عن نشرها .

● ● ●

■ الأخ / عبد الرحمن شلبي :
مقالك (مشروع دعوي) جيد ، غير أنه ذو طابع محلي بحت، لذا: نعتذر .

● ● ●

■ الأخ / أبو مالك :
قصتك رغم طرافة فكرتها، إلا إنها تفتقد المقومات الفنية للقصة، لذا: نعتذر عن نشرها .

● ● ●

■ الإخوة / محمد المرشد ، عصام الناصر ، طارق العمودي :
أحيلت مشاركاتكم لمنتدى القراء للنشر في أعداد قادمة ـ بمشيئة الله ـ.

● ● ●

■ د / هويدا إسماعيل :
سينشر مقالك في عدد قادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

● ● ●

الأخ / علي طويش :
نعتذر عن نشر مشاركتك؛ لعدم مناسبتها .

● ● ●

الورقة الأخيرة

كلمات .. ومعان

بقلم : د.محمد بن ظافر الشهري

في تعريف الأشياء مزية عظيمة تبرر الوقت والجهد الذي يبذل في سبيل الوصول إلى تعريف جامع مانع لبعض المصطلحات، وكما أنه لا مشاحة في الاصطلاح ؛ فإنه ينبغي ألا يكون اصطلاح مع المشاحة، فليس هناك كبير فرق بين أن نعبر عن «الكمبيوتر» بـ «الحاسوب» أو «الحاسب الآلي»، ولكن المشكلة أن نستعمل مصطلح «الدين يسر» ـ مثلاً ـ ونحن غير متفقين ـ بل متناقضين أحيانًا ـ في فهمنا للمعنى المراد.

لقد أصبح العالم اليوم مثل المدينة الواحدة، وليس ذلك لتوفر وسائط النقل السريعة فحسب ؛ بل لأن التداخل الثقافي المتسارع ـ بوصفه نتيجة حتمية للثورة الإعلامية العارمة ـ يكرس هذه الحقيقة يومًا بعد يوم، وهكذا، فقد انتشرت مصطلحات كثيرة على ألسن الناس، أو في أذهانهم على أقل تقدير، دون أن يكون لها تعريفات موحدة تُلْزِم المتحدث بالموضوعية وتعطي السامع حق التمحيص.

فلنأخذ مصطلح «التشدد» على سبيل المثال، وهو من الألفاظ التي كثر تداولها في هذا الزمن، ففي بيئةٍ ما يكون المتشدد ـ في الدين ـ هو الذي لا يأخذ بالرخص التي يحب الله أن تؤتى كما يحب أن تؤتى



العزائم، وفي بيئة أخرى: يكون المتشدد ـ بل ربما المتطرف ـ هو الذي يصلي المكتوبات في المسجد.. وتكمن الخطورة في أن هذا البون الشاسع (المشاحة) في تعريف «التشدد» يمكن أن يختزله غزاة الفكر بالتركيز على المصطلح وإهمال التعريف.

ولكي يكتسب المجتمع المستهدف (المسلم طبعاً!) القدرة على تمييز السموم الفكرية فيتجنبها، ينبغي أن تنمى لديه ملكة التمحيص؛ حتى لا يكون كالمريد الصوفي الذي لا يحق له أن يراجع الولي (زعموا!) في شيء مما يقول أو يفعل، ولا بد للتمحيص أن يكون موضوعياً، حتى لا يتحول إلى رفض مطلق لكل طرح تشم فيه رائحة الآخر، والموضوعية تقتضي وجود موازين مرجعية يمكن بواسطتها تحديد الموقف من كل شيء، قبولاً أو رفضاً.

إن تميز الإسلام بوجود هذه الموازين وبراءتها من الخلل، يؤهل المسلم ليكون أبعد الناس عن الانسياق الأعمى وراء الشعارات المضلة مهما كان بريقها.. وصلى الله على الصادق المصدوق إذ يقول: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض»[1].

---

1) صحيح الجامع الصغير، ح/٢٩٣٤.



مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

ولاؤهم لمن؟

تذكرنا أخبار تركيا بأحداث الجزائر، حيث انبرى الجيش في كلا البلدين وائداً الجنين، ومهدداً الأم أن تئد ابنها الرضيع أو تحبسه حبساً مطلقاً، فلا يقرب «الشارع السياسي» أبداً.

ضاق الجيش في (الجزائر) ـ أو قل قادته ـ بخيار الشعب، وما إن علموا أن الجنين بدأ حركته داخل البطن بإعلان نتائج المرحلة الأولى حتى أجهز عليه سيف «فرعون موسى»، ولقد دفع الشعب (الجزائري) ـ ولا يزال يدفع ـ ثمن ذلك البغي من قادة الجيش حينما سرقوا إرادته.

ولا يحسبن القارئ أننا نزكي كل ردود الأفعال التي أعقبت ذلك البغي، ولكن الرجم لا يكون لابن الزنى؛ تخلصاً من المشكلة، وإنما الرجم لمن زنى أو زنت ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]، ودائماً يركز دعاة (الاستئصال) على تجريم ابن الزنى؛ لأنه ليس له شرعية!، لقد ظلموه بجريرة غيره، وحاكموه وهم أصل الجريمة.

واعترض الجيش التركي على الحد الأدنى من الحجاب الإسلامي (تغطية الرأس للنساء)، حيث ضاق قادة الجيش بتجويزه، وليس بفرضه، وهو ما يدخل في نطاق (حقوق الإنسان والحرية الشخصية) بمعيار علمانيتهم، كما اعترض الجيش على مدارس القرآن، في الوقت الذي فُتحت فيه الكنائس وأُعيد ترميمها في كل بلد شيوعيًا كان أو اشتراكيًّا بمباركة ومشاركة من الغرب.

هل أصبح الجيش هو العصا التي يُهشَّم بها كل بروز ـ ولو كان ضئيلاً ـ لأي وجه إسلامي، حتى ولو كان شاحب اللون، هزيل القوة؟!.

قديماً قال تقدمي كبير!!: «إن الاستعمار لا بد أن يحمل عصاه ويرحل».. وقد رحل، ولكنه ترك عصاه يحركها بالتحكم عن بعد.

فهل لنا أن نتساءل: تلك الجيوش، وتلكم القادة الذين يأكلون، ويشربون، ويلبسون، من دماء شعوبهم .. ولاؤهم لمن؟!.

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢ .

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـر : القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمـن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة:
ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ -
٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا: Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313 - 677 - 006 - Fax. 313 - 677 0065

الرقم المجاني: (Subscription No.: 1- 800 - 99 - Fajer)

البيان

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ٥ ر١ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهًا ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

هذا موقف العلمانية من الإسلام وهذا موقفنا منها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل حقيقة أزلية معروفة عبر التاريخ، وهو سنة يعرفها كل متدبر وتالٍ لآيات الذكر الحكيم، ويجدها في المواجهة بين الأنبياء وأعدائهم من الكافرين برسالتهم، ويتكرر بصور مماثلة عبر العصور بين الدعاة والمصلحين ومناوئيهم حينما يقفون بكل تبجح أمام الحق وأهله، رافضين جملة وتفصيلاً ما يدعو الدعاة إليه من حق وما يطالبون به من تحكيم لشريعة الله، فالعلمانية بخيلها ورجلها تقف بكل صلف ضد أي توجه إسلامي يقوم في أي بلد مسلم مثيرة الشبهات ضده والإساءات المتوالية لكل منتمٍ له، بدعاوى أن أولئك رجعيون ومتطرفون وإرهابيون؛ لهدم هذه الاتجاهات أمام الشعوب، وتخويفها منها بالكذب والتزوير.

لقد وصف الله المنافقين أوصافًا دقيقة، تنبئ عن حقيقة ما يضمرونه من سوء في الوقت الذي يتظاهرون فيه بالإسلام، وكأنه وصف لجوقة العلمانيين في عالمنا الإسلامي اليوم، يقول (جل وعلا): **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾** [البقرة: ١١، ١٢].



إنهم لا يقفون عند حد الكذب والخداع، بل يضيفون إليهما السفه والادعاء..، والذين يفسدون أشنع الفساد ويقولون: إنهم مصلحون، كثيرون جدًّا في كل زمان، يقولونها لأن الموازين مختلة في أيديهم، فيتعذر على أولئك أن يشعروا بفساد أعمالهم؛ لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يستند إلى أسس شرعية.



إن ظهور الإسلام هو بداية غيظ ورعب لأعداء هذا الدين وخصوم المنتمين له

في كل حين ، فهو يؤذيهم ويخيفهم؛ لأنه من القوة والمتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغٍ، ويكرهه كل مفسد .. لما فيه من حق أبلج ومنهج قويم ، فهو مضاد للباطل والبغي والفساد؛ ومن ثم: لا يطيقه المبطلون والبغاة والمفسدون، لذلك يرصدون لأهله، ليفتنوهم عنه.

علمانيو تركيا نموذجًا: وصورة هذا العداء السافر لم تتبين بشكل **واضح جلي كما تتضح اليوم في الحرب الشعواء التي يشنها العلمانيون على أهل الإسلام ودعاته في كثير من ديار الإسلام، وبشكل أخص فيما يقوم به تلاميذ الرجل الصنم (أتاتورك) من دعاة الطورانية الملحدة** سواء من الأحزاب العلمانية التركية أو عن طريق الجيش التركي الذي يعتبر نفسه حامي الدستور العلماني هناك، وهذا الولاء الذي يدينون به له ـ والذي جعل «أتاتورك» يحكمهم به من قبره ـ لم يأت من فراغ، فهو نتيجة بناء أسسه المذكور المشبوه بانتمائه للدونمة ذوي الأصول والاتجاهات اليهودية، ومواقفه من الإسلام تؤكد ذلك، والعساكر الممسكون بأزِمَّة الأمور اليوم هم خريجو المؤسسة العسكرية التابعة للجيش الذي تحول إلى مفرخ للقادة والضباط المؤمنين بالمبادئ الطورانية، وجل ضباط الجيش التركي هم من ذلك الصنف؛ فلا عجب أن نراهم حماة لتلك المبادئ العلمانية المتطرفة التي لا تطيق للإسلام صوتاً، فضلاً عن أن يحكم أو يعمل في الهواء الطلق، ولذلك: كان لهذا الجيش موقفه الصارم من التدخل المباشر في تعديل أي مسار ضد أي تجاوز للمبادئ العلمانية منذ عام ١٩٦٠م، حينما تدخل لإيقاف حكومة «عدنان مندريس» الذي أعلن في برنامج حزبه الذي نال به الأغلبية وترأس الحكومة آنذاك منادياً بفتح مدارس تحفيظ القرآن، وإعادة الأذان بالعربية!.. فما كان من قادة الجيش ذوي الاتجاهات نفسها إلا أن أسقطوا الحكومة ، وأعدموا رئيسها وبعض وزرائه؛ بدعوى الخروج عن (المبادئ الكمالية)!، ثم حصل التدخل عام ١٩٧٠م مرة أخرى، ثم في عام ١٩٨١م.. **فموقفهم من الإسلام موقف حياة أو موت كما ذكروا** ، ولولا الخوف من العواقب الوخيمة للانقلاب العسكري الآن لأوقفوا «أربكان» الذي استطاع بكل دبلوماسية أن يقف في وجوههم وأن يفتح



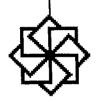
هذا موقف العلمانية من الإسلام

العيون أمام الجميع على تدخلاتهم التسلطية في أعمال الحكومة المنتخبة عن طريق ما يسمى بـ (مجلس الأمن القومي التركي) بشكل لا يمكن أن يحدث في أي بلد متحضر.

والأخذ والرد الحاصل من التدخل العسكري ضد حكومة «أربكان» ومحاولة إسقاطها بالتعاون مع الأحزاب العلمانية الهزيلة يكشف إلى أي مدى وصل العداء القائم بين الإسلام والعلمانية، ويكشف أيضاً هلعهم من أي مظاهر إسلامية مهما كانت محدوديتها، وهذا الخوف من عودة الإسلام مرجعه إلى الخوف على أنفسهم؛ لكثرة ما طغوا وبغوا في البلاد، فكم أذلوا الناس واستباحوا كرامتهم؟، وكم أساؤوا إلى دينهم وعقيدتهم بدعوى الحفاظ على المبادئ الأتاتوركية؟ ، ولا ندري لحساب من يجري هذا الإرهاب العلماني على الأمة والرفض المطلق للعودة لما تدين به الأمة وتعتز؟، ولماذا الصمت المريب من المجتمع الدولي على خروقات الديمقراطية! التي يهمهم أمرها؟.

إن العلمانية ليست ـ كما يشاع ـ مجرد فصل الدين عن الدولة، بل هي في نهاية الأمر وحقيقته: فصل الدين عن الحياة، ليتصرف الحاكمون بأمرهم على إشاعة الباطل وتدجين الأمة على قبول الهوان والتبعية للأعداء بتقنين الباطل وحكم الطاغوت.

ومن العجب أن يتحدث نفر من المنسوبين للإسلام بكل سذاجة وبورع بارد حينما يدعوننا ألا نتحدث عن خطر العلمانية، وألا نفضح العلمانيين، وألا نتهمهم بالخروج والضلال المبين.



كيف لا نتهمهم بكل ذلك وأهدافهم أصبحت مكشوفة للجميع؟، وكيف لا نفضحهم وأفكارهم الرافضة للدين بانت لكل ذي عينين؟، وكيف لا نحذر الناس من شرورهم وتلك هي مواقفهم واضحة من الإسلام وعلمائه ودعاته والمنتسبين إليه؟.. أين الحرية الشخصية التي تضمنتها دساتيرهم إياها ذراً للرماد في العيون؟، أين حقوق الشعوب في تعلم ما تدين به ؟.. بل أين مظاهر الإسلام حتى الشكلية منها ؟!.

لقد أكد كثير من علماء الإسلام أن حقيقة العلمانية هي رفض للدين أن

افتتاحية العدد

يكون حاكماً ، بتنحية الإسلام عن الحياة في كل الأمور ؛ والآن تقاتل العلمانية لمنع تحكيم الإسلام وعودته من جديد حتى بالوسائل الديمقراطية التي يتشدقون بها ليل نهار .

فما هو موقف علماء المسلمين منها؟ .

يقول سماحة الشيخ « عبد العزيز بن عبد الله بن باز » أحد العلماء الأعلام في هذا العصر في إحدى فتاويه : « ... وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله ، أو أن هدي غير رسول الله ﷺ أحسن من هدي الرسول ﷺ ، فهو كافر، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ ، أو تحكيم غيرها، فهو كافر ضال » .

ويضيف سماحته في فتوى أخرى : « ... فالذين يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله، ويرون أن ذلك جائز لهم، أو أن ذلك أولى من التحاكم إلى شريعة الله، لا شك أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الإسلام، ويكونون بذلك كفاراً ظالمين فاسقين »(*) .

هذه هي العلمانية أيها الناس وهذا هو حكمها، فهي تلك التصورات القاصرة والمشبوهة عن الإسلام، وأحكامه، وأصوله، وهذا ما يدين به رموز العلمانية في كل بلد مهما تظاهروا زوراً بخلاف ذلك .

فاعرفوا العلمانية حق المعرفة واكفروا بها؛ لمصادمتها لدينكم، ولمعارضتها لأصول عقيدتكم، والواقع أكبر دليل على ذلك.. فإلى متى نتجاهل ذلك، ونؤول الحقائق؟ ، ثم حتى متى يتمسك بعض السذج بذلك الورع البارد الذي ينم عن مدى الجهل بالإسلام نفسه؟! .

إننا نذكر الجميع بأن تلك هي مواقف العلمانية والعلمانيين من الإسلام، وذلك هو حكم الإسلام فيهم:

﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

هذا موقف العلمانية من الإسلام

(*) مجموع فتاوى سماحته، جـ١، ص ٢٧٤، ص ٢٧٥، وانظر له أيضاً: العقيدة الصحيحة، ونواقض الإسلام .

دراسات شرعية

الاستغفار.. أهميته وحاجتنا إليه

بقلم: سلمان بن عمر السنيدي

استغفار الله والمداومة عليه جاء الأمر به من الله (تعالى) لنبيه ﷺ في قوله (تعالى): ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾ [غافر: ٥٥]، وفي قوله (تعالى): ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٦]، وفي قوله (تعالى): ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]، وفي قوله (تعالى): ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٣].

ولقد استجاب رسول الله ﷺ لهذا الأمر خير استجابة؛ فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: « ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي » [١].

وعنها (رضي الله عنها) قالت: « كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي؛ يتأول القرآن » [٢].

وكان يكثر الاستغفار في غير الصلاة، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » [٣].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: « يا أيها الناس توبوا

---

١) رواه البخاري، ح/٤٩٦٧، ومسلم، ح/٤٨٤.

٢) رواه مسلم، ح/٤٨٤، والنسائي، ح/١٠٤٧، وأبو داود، ح/٨٧٧، وابن ماجة، ح/٨٨٩، وأحمد، ح/٢٣٦٤٣.

٣) رواه البخاري، ح/٦٣٠٧، ومسلم، ح/٢٧٠٢، والترمذي، ح/٣٢٥٩.

إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مئة مرة »[١].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه سمع النبي ﷺ يقول: (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) في المجلس قبل أن يقوم مئة مرة »[٢].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: « إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس: (رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم) مئة مرة »[٣].

وعن الأغر المزني (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: « إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة »[٤].

وقيل في معنى قوله ﷺ : « إنه ليغان على قلبي » عدة معانٍ، وهي:

- المراد بـ (الغين): الفتور عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمرٍ ما عدّ ذلك ذنباً، فاستغفر عنه، وحُكي عن عياض.
- وقيل: هو شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس.
- وقيل: هي حالة كمثل جفن العين حين يسبل ليدفع القذى، فإنه يمنع الرؤية، فهو من هذه الحيثية نقص، وفي الحقيقة هو كمال[٥].

نماذج من استغفاره ﷺ :

ولقد أخذ استغفاره ﷺ نماذج عدة في مواطن كثيرة، منها: استغفاره بعد السلام من الفريضة، وعند الخروج من الخلاء، وفي خطبة الحاجة، وعند النوم، وفي كفارة المجلس.. وغيرها، نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

- بعد الفراغ من الوضوء :

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن الرسول ﷺ قال بعد الوضوء: « سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك »[٦].

---

١) رواه مسلم ، ح/٢٧٠٢ .

٢) رواه النسائي، وقال ابن حجر: بسند جيد ، الفتح، ١١ / ١٠١ .

٣) رواه أبو داود، ح/١٥١٦ ، وابن ماجة ، ح/٣٨١٤، والترمذي ،ح/٣٤٣٤، وقال: حسن صحيح.

٤) رواه مسلم ، ح/٢٧٠٢، وأبو داود ، ح/١٥١٥.

٥) انظر: فتح الباري ، ١١ / ١٠١ .

٦) رواه ابن السني بسند جيد .

دراسات شرعية

ـ عند القيام لصلاة الليل :

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمدٌ حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدِّم.وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت » (١) .

ـ في استفتاح الصلاة :

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : « كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة إسكاتة، قال : أحسبه قال : هنيَّةً، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله، إسكاتُك بين التكبير والقراءة، ما تقول؟، قال : أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبَرَد »(٢) .

ـ في آخر الصلاة :

عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ يقول من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت » (٣) .

ـ عند موته ﷺ :

عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت : سمعت النبي ﷺ وأصغيت إليه قبل

---

١) رواه البخاري ، ح/٦٣١٧، باب إذا انتبه من النوم، ومسلم، ح/٧٦٩ .

٢) رواه البخاري ، ح/٧٤٤، ومسلم، ح/٥٩٨ ، والنسائي ،ح/٦٠، وأبو داود ، ح/٧٨١، وابن ماجة ، ح/٨٠٥، وأحمد ، ح/٧١٢٤ ، والدارمي ، ح/١٢٤٤ .

٣) رواه مسلم، ح/٧٧١، والترمذي ، ح/٣٣٤٤ ، وقال : حديث حسن صحيح .

أن يموت ـ وهو مسند إليّ ظهره ـ يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى»[١].

ـ وفي عامة دعائه ﷺ :

عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جِدّي وهزلي وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، وأنت على كل شيء قدير»[٢].

استشكال وردّه :

واستشكل وقوع الاستغفار من النبي ﷺ وهو معصوم؛ فالاستغفار يستدعي وقوع المعصية، وأجاب العلماء على ذلك بعدة أجوبة، منها:

قول ابن الجوزي: هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد.

وقال ابن بطال: الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة لما أعطاهم الله (تعالى) من المعرفة، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير، فكأن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله (تعالى).

وقال القرطبي في (المفهم): «وقوع الخطيئة من الأنبياء جائز؛ لأنهم مكلفون، فيخافون وقوع ذلك ويتعوذون منه»[٣].

حث الأمة على الاستغفار :

عَدّ ابن كثير أمر الله لنبيه ﷺ بالاستغفار تهييجاً للأمة على طلب المغفرة، إذ كيف يكون خطاب أفراد الأمة إذا أمر نبيها بالاستغفار؟[٤].

---

١) رواه مسلم، ح/٢١٩١، والترمذي، ح/٣٤٩٦، وأحمد، ح/٢٥٤١٦، ومالك، ح/٥٦٢، وابن ماجة، ح/١٦١٩.

٢) رواه البخاري، ح/٦٣٩٨، ومسلم، ح/٢٧١٩، واللفظ له.

٣) انظر: الفتح، ١١/١٠١، ٢٠٢.

٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤/٨٤.

دراسات شرعية

وجاء في الكتاب العزيز حث على الاستغفار وترغيب فيه والثناء على أهله، في مثل قوله (تعالى): ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المزمل: ٢٠]، ومن ذلك: قوله (تعالى): ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧]، يقول ابن كثير عن فضيلة الاستغفار وقت الأسحار: وثبت في الصحيحين عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا (تبارك وتعالى) في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟، هل من داعٍ فأستجيب له؟، هل من مستغفر فأغفر له؟»[١].

وفي الصحيحين عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: من كل الليل أوتر ﷺ من أوله وأوسطه وآخره، فانتهى وتره إلى السَّحَر[٢].

وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل ثم يقول: يا نافع هل جاء السحر؟، فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح.

وعن حاطب قال: سمعت رجلاً في السحر في ناحية المسجد وهو يقول: يا رب أمرتني فأطعتك، وهذا السحر فاغفر لي، فنظرت، فإذا هو ابن مسعود (رضي الله عنه).. وعن أنس بن مالك قال: كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة[٣].

تعليم النبي ﷺ الاستغفار لأصحابه:

ومن مظاهر اهتمامه ﷺ بالاستغفار: تعليمه لأصحابه، بل لخيرة أصحابه، وصاحبه في الهجرة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: إن أبا بكر الصديق قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي وفي بيتي. قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كبيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»[٤].

---

١) رواه البخاري، ح/١١٤٥، ومسلم، ح/٧٥٨.

٢) رواه البخاري، ح/٩٩٦، ومسلم، ح/٧٤٥، واللفظ له.

٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ١/٣٥٣.

٤) رواه البخاري، ح/٨٣٤، في باب الدعاء قبل السلام، ومسلم، ح/٢٧٠٥، والترمذي،

وعن قوله: «مغفرة من عندك» قال الطيبي: دل التنكير على أن المطلوب غفران عظيم لا يحيط به وصف، وقال ابن دقيق العيد: يحتمل وجهين، أحدهما: الإشارة إلى التوحيد، كأنه قال: لا يفعل هذا إلا أنت، فافعله لي، والثاني: أنه إشارة إلى طلب مغفرة متفضل بها لا يقتضيها سبب من عمل حسن ولا غيره، وبهذا الثاني جزم ابن الجوزي فقال: المعنى: هب لي مغفرة تفضلاً، وإن لم أكن لها أهلاً بعملي(١).

ومن اهتمامه ﷺ بشأن الاستغفار: تعليمه للرجل حديث الإسلام دعاءً يبدأ بالاستغفار، فعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: كان الرجل إذا أسلم علّمه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني»(٢).

إن الأمة في هديه ﷺ محتاجة إلى اللهج بالاستغفار، ابتداءً من حديث العهد بالإسلام إلى خير الأمة وصدّيقها، فكيف بمن جاء بعدهم؟!.

ومن مظاهر حث الأمة على الاستغفار: ترغيبهم في سيد الاستغفار، فعن شداد بن أوس (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار: أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»(٣).

قال ابن حجر: «وفي ذلك إعلام لأمته أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله، ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم، فرفق الله بعباده، فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم.

---

١) انظر: الفتح، ٢/ ٣٢٠.
٢) رواه مسلم، ح/٢٦٩٧.
٣) رواه البخاري، ح/٦٣٠٦، ورواه أحمد، ح/١٦٦٦٢، والنسائي، ح/٥٥٢٢، والترمذي، ح/٣٣٩٣.

وقال ابن أبي جمرة: جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه هو الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذ عليه، والرجاء بما وعده به، والاستغفار من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى النفس، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو »[1].

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»[2].

الحاجة إلى الاستغفار:

قال ابن القيم (رحمه الله) في بيان حاجة العبد للتوبة والاستغفار: «انسب أعمالك وأحوالك إلى عظيم جلال الله، وما يستحقه، وما هو له أهل، فإن رأيتها وافية بذلك مكافأة له فلا حاجة حينئذ إلى التوبة، وإذا رأيت أن أضعاف ما قمت به من صدق، وإخلاص، وإنابة، وتوكل، وزهد، وعبادة: لا يفي بأيسر حق له عليك، ولا يكافئ نعمة من نعمه عندك، وأن ما يستحقه لجلاله وعظمته أعظم وأجل وأكبر مما يقوم به الخلق: رأيت ضرورة التوبة، وأنها نهاية كل عارف وغاية كل سالك، وإذا لم يكن للقيام بحقيقة العبودية سبيل فعلى التوبة المعول... ولولا تنسم روحه التوبة لحال اليأس بين ابن الماء والطين وبين الوصول إلى رب العالمين، هذا لو قام بما ينبغي عليه من حقوق لربه، فكيف والغفلة والتقصير والتفريط والتهاون وإيثار حظوظه في كثير من الأوقات على حقوق ربه لا يكاد يتخلص منها؟!»[3].

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت

---

١) انظر: الفتح، ١١/ ١٠٠.

٢) رواه البيهقي، ورواه ابن ماجة، ح/ ٣٨٦٣، قال النووي في الأذكار، ص٥٤٧: بإسناد جيد، وقال البوصيري: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال المنذري: إسناده صحيح.

٣) تهذيب مدارج السالكين، ص٦٤١.

جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا»[1].

قال ابن حجر : «المؤمن يغلب عليه الخوف؛ لقوة ما عنده من الإيمان، فلا يأمن من العقوبة بسببها، وهذا شأن المسلم: أنه دائم الخوف والمراقبة، يستصغر عمله الصالح، ويخشى من صغير عمله السيء. وقال المحب الطبري: إنما كانت هذه صفة المؤمن؛ لشدة خوفه من الله ومن عقوبته، لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة»[2].

ثمار الاستغفار :

أولاً : غفران جميع الذنوب، ويشمل ذلك ذنوب العبد التي لم يحصها أو نسيها وقد أحصاها الله عليه مهما صغرت أو مضت عليه السنون، وقد حكى الله عن أناس غفلوا عن أعمالهم ففجأتهم يوم القيامة، قال الله عنهم : ﴿ **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** ﴾ [الزمر: ٤٧].

ثانياً: الدخول على الله من باب الخضوع والخشية والإخبات، وهذا يورث التواضع باطناً وظاهراً .

ثالثاً: الاقتداء بالرسول ﷺ، وظاهرٌ ما في الاقتداء به من البركة وحصول الخيرات.

رابعاً: الاعتراف بالتقصير في الطاعات والخوف من الذنوب هو مطية الإقبال على التزود من النوافل وعمل الصالحات والاستكثار من الحسنات.

خامساً : المحافظة على سلامة القلب وصفائه من آثار الذنوب، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب : صقل قلبه»[3].

وقد قال رسول الله ﷺ : «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»[4].

---

١) رواه البخاري ، ح/٦٣٠٨ . ٢) انظر: الفتح ، ١١/١٠٥.

٣) رواه أحمد، ح/٧٨٩٢، والترمذي، ح/٣٣٣٤، وابن ماجة، ح/٤٢٤٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ، ح/١٦٧٠.

٤) رواه أحمد، ح/١٢٦٣٧، والترمذي، ح/٢٤٩٩، وابن ماجة، ح/٤٢٥١، عن أنس ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ح/٤٥١٥.

المنتقدون على الصحيحين
والرد على عليهم

بقلم :
أحمد بن حسن آل عامر

دراسات شرعية

ما من كتاب ألّفه أحد من البشر إلا وقد تعرّض للنقد، فلم يسلم من النقد أحد، وهذا النقد قد يكون صوابًا وقد يكون خلاف ذلك، ومن أجلّ الكتب التي تعرضت للنقد صحيحا البخاري ومسلم.

والذين انتقدوا الصحيحين على صنفين:

الصنف الأول: بعض المعاصرين، وأكثرهم من المبتدعة، كأهل المدرسة العقلية، والإباضية، والشيعة، وهؤلاء ردوا كثيراً من الأحاديث التي في الصحيحين؛ لأنها تخالف مذاهبهم أو لا توافق عقولهم وأهواءهم(١).

وهذا الصنف ليس هو موضوعنا ؛ لأن نقدهم قام على أسس هاوية، واختلافنا معهم -غالبًا- يكون في منهج التلقي؛ مما يجعل الوصول إلى إقناعهم أمرًا صعبًا جدًّا (*).

الصنف الثاني: وهم الذين أتطرق إلى أقوالهم والإجابة عنها، وهم بعض الحفاظ من أهل العلم ممن تأخروا عن البخاري ومسلم (رحمهما الله تعالى)، فاستدركوا عليهما بعض الأحاديث ، وقد اعتبروا أن البخاري ومسلم قد أخلا بشروطهما فيها، وقد رد عليهم بعض العلماء ممن جاؤوا بعدهم، وهؤلاء

١) مكانة الصحيحين ، لإبراهيم ملا خاطر ، ص ٣٠١ .

*) هناك دراسات لعدد من الباحثين والدارسين في مناقشة هذه الفئات، منها : كتاب (أعاصير في وجه السنة)، للأستاذ «صلاح الدين مقبول» .

نحسبهم لا يريدون إلا الحق ويبحثون عن الصواب، ولا شك أن الرد عليهم يقتضي دراسات علمية مطولة وأبحاثًا موثقة في علم الحديث، وهذا المقال مجرد إشارات وتنبيهات ليس إلا .

وقد ذكر أهل العلم ـ كـ «ابن حجر العسقلاني»، و«النووي» وغيرهما ـ الذين انتقدوا على الصحيحين ، فكان أشهرهم ثلاثة :

الأول : الحافظ «أبو الحسن الدارقطني» (٣٨٥هـ) :

فقد استدرك وتتبع « البخاري » و« مسلم »، فكان بذلك من المنتقدين ، وصنف في ذلك كتابين :

الكتاب الأول : (الإلزامات) : وهو كتاب ذكر فيه أحاديث يرى أنها على شرط « البخاري » و« مسلم »، أو على شرط أحدهما ولم يخرّجاها، وقد بلغت سبعين حديثًا .

فهو بذلك يُلزم « البخاري » و« مسلم » بإخراجهما[١] .

الجواب عن هذا النقد :

١ ـ أن هذه الإلزامات من « الدارقطني » (رحمه الله) ليست بلازمة؛ لأن « البخاري » و« مسلم » لم يلتزما أن يخرجا في صحيحيهما كل حديث صحيح، ولذلك قال « البخاري » : لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحًا، وما تركت من الصحيح فهو أكثر، وصرح « مسلم » أنه ليس كل صحيح أخرجه [٢] .

٢ ـ أن بعض هذه الإلزامات قد أخرج « البخاري » و« مسلم » ما يغني عنها من طرق أخرى عن صحابة آخرين، وليس معنى هذا أنه لا فائدة من الطرق الأخرى، بل هي تُقوّي الحديث وتزيده صحة، ولكن ما ذكره « البخاري » و« مسلم » طريق قوي لا يحتاج إلى طريق يقويه، وإن جاء طريق يقويه فهو خير إلى خير، ولكن

---

١) الإلزامات، للدارقطني ، ص ١١٦ ، ٣٨١ .

٢) هدي الساري (مقدمة فتح الباري)، لابن حجر العسقلاني ، ص ٣٦٤ .

لا يُعتبر هذا نقداً.

وعلى هذا: لا يلزم «البخاري» و«مسلم» ما ألزمهما «الدارقطني».

الكتاب الثاني: (التتبع): وانتقد فيه «الدارقطني» من أحاديث الصحيحين مئتي حديث، مما يرى أن له علة، وقد بلغت أحاديثه بالعد ثمانية عشر ومئتي حديث [1].

الجواب عن هذا النقد:

أن هذه الاستدراكات من «الدارقطني» هي في الصناعة الحديثية لا في المتون، وليس معنى هذا أنه لا قيمة للانتقادات في الصناعة الحديثية، فرب محدث يرحل من أجل سند الحديث الواحد، والمتن ثابت لديه من طريق آخر [2].

وقد كان منهج «الدارقطني» في التتبع يدور مع القرائن ولا يلتزم طريقًا معينًا، فأحيانًا يرجح بالكثرة، وأحيانًا بالحفظ، وقد توخى بمسلكه هذا طريق فحول العلماء والنقاد، مثل: «عبد الرحمن بن مهدي»، و«يحيى القطان»، و«أحمد بن حنبل» وأمثالهم [3].

الثاني: «أبو مسعود الدمشقي» (٤٠١هـ):

ذكر «النووي» أن من المنتقدين «أبا مسعود الدمشقي»، وأن له استدراكًا على الصحيحين، وقد يكون المقصود بذلك: كتاب (أطراف الصحيحين) له، وهذا الكتاب لا ندري هل هو مخطوط أم مفقود، وعلى هذا لا نستطيع الرد عليه؛ لعدم معرفة ما الذي انتقده «أبو مسعود الدمشقي» على الصحيحين.

الثالث: الحافظ أبو علي الغساني (٤٩٨هـ):

ألف كتابه (التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين من قِبَل الرواه) قسم البخاري.

---

١) التتبع، للدارقطني، ص ٣٨٢.

٢) المصدر نفسه، بتحقيق الشيخ مقبل الوادعي.

٣) بين الإمامين مسلم والدارقطني، للدكتور ربيع المدخلي، ص ٣٠.

وموضوع كتاب «الغساني» (رحمه الله) هو التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيح، وذلك فيما يخص الأسانيد وأسماء الرواة، والحمل فيها على الرواة عن «البخاري»، لا ممن هم فوق «البخاري» أو من «البخاري» نفسه إلا في مواطن قليلة.

فيقول (رحمة الله تعالى عليه): «هذا كتاب يتضمن التنبيه على الأوهام الواقعة في المسندين الصحيحين، وذلك فيما يخص الأسانيد وأسماء الرواة، والحمل فيها على نقلة الكتابين عن «البخاري» و«مسلم» (رحمهما الله) وبيان الصواب في ذلك»(١).

ومن خلال قوله (رحمه الله تعالى) فإنه لا يعتبر من المنتقدين ـ كما ذكر ذلك الحافظ «ابن حجر العسقلاني» عن «النووي» ـ؛ إذ إن الأوهام التي ذكرها ليست من «البخاري» نفسه ولا ممن هو فوقه، وإنما هي من الرواة عن «البخاري».

وعلى هذا يخرج «أبو علي الغساني» من المنتقدين على الصحيحين.

والخلاصة من هذا المبحث: أن الأحاديث الواردة في الصحيحين صحيحة، لا مطعن فيها؛ ولذلك نقل «النووي» إجماع العلماء على صحة الأحاديث الواردة في الصحيحين كما في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات).

ونقل الإجماع كذلك «سراج الدين البلقيني»، وكذلك شيخ الإسلام «ابن تيمية» .. وغيرهم كثير، وأما ما انتقد به بعض العلماء على الصحيحين فقد أجاب عليها العلماء كما ذكرنا سابقًا.

وفق الله الجميع إلى ما يحبه ويرضاه.

١) التنبيه على الأوهام، لأبي علي الغساني، ص ٤٣ .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

فتاوى أهل العلم الأثبات هي عصارة علم المفتين وخلاصة فقههم، ومنارات يسترشد بها، هي جواب عن نوازل ومستجدات، وباب لتبليغ دين الله (تعالى).. ونظراً لأهمية (الفتاوى)، وتحقيقاً لرغبة القراء، فستقوم (البيان) ـ إن شاء الله (تعالى) ـ بنشر جملة من الفتاوى المهمة، حيث روعي في اختيارها تنوّع موضوعاتها، وعظم الحاجة إليها في هذا العصر، إضافة إلى تنوّع أصحابها زماناً ومكاناً.

مدخل:

مسألة وصول ثواب الطاعات إلى الأموات من المسائل التي تنازع العلماء فيها قديمًا وحديثًا، وأقوالهم في هذه المسألة على طرفين ووسط ـ كما هو الغالب في المسائل العلمية والعملية ـ فمنهم من أنكر أن الميت ينتفع بشيء من القربات ألبتة كما هو حال أهل الكلام، ومنهم من توسع في ذلك فادعى أن الميت ينتفع بكل ما أهدي إليه، والحق وسط بين هذين الطرفين كما هو محرر في هذه الفتوى التي صدرت من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم (٤٨٣٥) برئاسة سماحة الشيخ «عبد العزيز بن عبد الله بن باز» (حفظه الله) ونائبه الشيخ العلامة «عبدالرزاق عفيفي» (رحمه الله)، وعضوية فضيلة الشيخ «عبد الله بن قعود» (حفظه الله).

■ **والسؤال: هل يجوز إيصال الثواب للميت بالأعمال الحسنة عامة؟، وهل يجوز عقد مجلس لختم القرآن ثم إيصال ثواب القراءة للموتى حتى الأنبياء؟.**

الجواب:

أولاً: الصحيح من أقوال العلماء: أن فعل القرب من حيٍّ لميت مسلم

لا يجوز إلا في حدود ما ورد الشرع بفعله، مثل: الدعاء له، والاستغفار، والحج، والعمرة، والصدقة عنه، والضحية، وصوم الواجب عمن مات وعليه صوم واجب.

ثانياً: قراءة القرآن بنية أن يكون ثوابها للميت لا تجوز؛ لأنها لم ترد عن المصطفى (صلوات الله وسلامه عليه)، والأمر كما قدمنا بالفقرة الأولى: أنه لا يجوز فعل قربة من حي لميت مسلم، إلا في حدود ما ورد الشرع به، وثبت عن النبي ﷺ أنه كان يزور القبور، ويدعو للأموات بأدعية علّمها أصحابه وتعلموها عنه، من ذلك: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»، ولم يثبت عنه ﷺ أنه قرأ سورة من القرآن، أو آيات منه للأموات، مع كثرة زيارته لقبورهم، ولو كان ذلك مشروعاً لفعله، وبينه لأصحابه؛ رغبة في الثواب، ورحمة بالأمة، وأداءً لواجب البلاغ، فإنه كما وصفه (تعالى) بقوله: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فلمّا لم يفعل ذلك ـ مع وجود أسبابه ـ دل على أنه غير مشروع، وقد عرف ذلك أصحابه (رضي الله عنهم)، فاقتفوا أثره، واكتفوا بالعبرة والدعاء للأموات عند زيارتهم، ولم يثبت عنهم أنهم قرؤوا قرآناً للأموات، فإن القراءة لهم بدعة محدثة، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

ومما تقدم يعلم أنه لا يجوز عقد مجلس لختم القرآن للغرض المذكور.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

العلم والدعوة والصراع المفتعل

بقلم : عبد الله المسلم

تعد دعوى التعارض بين طلب العلم والدعوة إلى الله (عز وجل) من أكثر القضايا الساخنة في أدبيات الصحوة الإسلامية اليوم، ويأخذ نقاش هذه القضية مكانًا رحبًا في الكتابات الدعوية، وفي المناقشات والمداولات، وفي التساؤلات التي تطرح على المهتمين.

ومنشأ الصراع والجدل حول هذه القضية يتمثل في أن فئة من الناس ترى أن ارتباط العلم بالدعوة ارتباط وثيق؛ فالدعوة بلا علم دعوة بلا رصيد، بل حقيقة الدعوة هي تبليغ ما يعلمه المرء من الدين الصحيح للناس، ومن ثم: فلا يسوغ ـ لدى هؤلاء ـ المشاركة في الدعوة لمن لم يتأهل التأهل العلمي الكافي.

وتنظر فئة أخرى إلى أن مشكلات المسلمين اليوم عديدة، وأنها تحتاج لحشد الطاقات وجمع الجهود، ويرون أن التفرغ للتحصيل العلمي يعطل كثيرًا من هذه الطاقات التي يحتاج إليها الصف الدعوي، ويضيف هؤلاء: أن طلب العلم لا ينتهي بصاحبه إلا حين يغادر الدنيا، ثم إن كثيرًا من مشكلات المسلمين ـ في نظرهم ـ لا تحتاج إلى كبير علم في معالجتها ومواجهتها.



ومهما حاول أي كاتب البحث المستفيض في القضية والسعي لوضع النقاط على الحروف فيها . . فستبقى مجالاً للنقاش والأخذ والعطاء؛ فحجم هذه القضية أكبر من أن يحيط به كاتب غير مبرأ من الهوى والمقررات السابقة، وهذه محاولة لوضع إضاءات على الطريق، علها أن تقرب المسافة بين فئات ممن يعيشون جدلاً حول هذا القضية :

١ ـ إن على جيل الصحوة أن يضع التحصيل العلمي ضمن أولوياته، ويجب على المؤسسات والجمعيات الإسلامية أن تضع رفع المستوى العلمي ضمن برامجها الدعوية.

٢ ـ إن على الدعاة تبني برامج لتعليم الناس، وأن تستفيد هذه البرامج من معطيات التقدم المادي ونتاج التقنية المعاصرة في ذلك.

٣ ـ لا ينبغي التهوين من شأن العلم وقيمته، أو احتقار من يعنى بطلبه وجمع مسائله

٤ ـ الإخلال بذلك يحول الدعوة إلى ميدان من التخبط والاضطراب، ويفتح مجالاً واسعاً للآراء الشخصية والاجتهادات الفردية، ويؤدي إلى الانحراف والزيغ.

٥ ـ دعوة عامة المسلمين لترك المنكرات الظاهرة ، وفعل الواجبات المعلومة من دين الله بالضرورة.. أمر يجب على جميع المسلمين.

٦ ـ دعوة المرء لأمر محدد يعلمه ، ونشره للعلم في حدود ما يعلم.. أمر ربى النبي ﷺ عليه أصحابه، فقال ﷺ : «بلغوا عني ولو آية» [١]، وقال: «نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه؛ فرُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[٢].

٧ ـ هناك مشاركات دعوية مهمة يمكن أن يقوم بها كل فرد مسلم مهما قل نصيبه من العلم ما دام قادراً عليها، ومن ذلك: الأعمال الإغاثية، والإدارة الدعوية، والأعمال المساندة للدعاة وأهل العلم، كالرصد والأرشفة والتوثيق.

٨ ـ هناك أعمال دعوية ضرورية تشتد الحاجة فيها إلى أصحاب التخصصات، كالترجمة، والكتابة الأدبية، والنقد، والأعمال المالية، والتطوير الإداري... وغيرها، وكل هذه الأعمال تعتبر اليوم من ضرورات العمل الدعوي.

٩ ـ حين لا يوجد لدى أحد من الشباب الحماس للعلم الشرعي (أعني: القدر الزائد عن الحد المفروض) فينبغي ألا تبدد طاقته في حمله على ذلك، بل يجب صرف جهده إلى ما يفيد، وإلى ذلك يشير ابن القيم (رحمه الله) بقوله: «ومما ينبغي أن يتعمد: حال الصبي، وما هو مستعدٌ له من الأعمال، ومهيأ له منها، فيعلم أنه مخلوقٌ له، فلا يحمله على غيره، ما كان مأذوناً فيه شرعاً ، فإنه إن حمله على غير ما هو مستعدٌ له لم يفلح، وفاته ما هو مهيأ له»[٣].

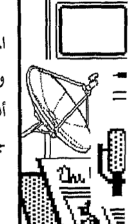
---

١) رواه البخاري ، ح/٣٤٦١ .

٢) رواه أبو داود ، ح/٣٦٦٠ ، والترمذي ، ح/٢٦٥٦.

٣) تحفة المودود ، ص٢٤٣.

دراسات إعلامية



التقنية في خدمة الدعوة إلى الله

كيف نستفيد من الحاسوب؟

(٢من ٢)

بقلم: حسين السلمان

تحدث الكاتب في الحلقة الماضية عن أهمية الحاسوب (الكمبيوتر) في الدعوة بين المسلمين ودعوة غير المسلمين، ثم تحدث عن مزايا الدعوة بمساعدة الحاسوب والمجالات التي يؤثر فيها، وأخيراً عرض للنظم والمكونات الأساس التي يرى أنه ينبغي أن يرتكز عليها نظام تعليم الإسلام من خلال هذه الآلة.. وفي هذا الحلقة يعرض جوانب أخرى.. - البيان -

٤ ـ نظام تعليم القرآن الكريم:

هو النظام الأساس الثالث من الأنظمة المكونة لنظام الدعوة بمساعدة الحاسوب، ويمثل أكبر هذه الأنظمة وأضخمها، حيث يشمل ضمناً النظامين السابقين: الأول (العقيدة)، والثاني (النبوة)، ويمكن تطبيق الأساليب المتبعة في بناء هذا النظام على بقية الأنظمة.

وسيتم فيما يلي عرض بعض النتائج الأولية التي تم الحصول عليها في مشروع تطوير نظام تعليم القرآن الكريم .

التعرف على المواد العلمية أو المواضيع:

يُعتبر تحديد المواد العلمية والمواضيع التي ينبغي أن يشملها نظام القرآن من أهم مراحل بناء هذا النظام، ويعتمد هذا التحديد على الخبرة في الدعوة، التي لا بد من التماسها من مصادر هذه الخبرة، وبالنسبة لنظام القرآن: تم اتباع

خطوتين أساسين في هذه المرحلة، هما [١]:

١ - مراجعة الكتب والمراجع المتخصصة التي تناقش قضايا القرآن وتشرح علومه المختلفة، والهدف من هذه الخطوة هو عمل تحديد أولي للمواضيع التي تناقشها هذه الكتب ـ خاصة الكتب الدعوية التي تهتم بتعريف غير المسلمين بالقرآن ـ ويشمل ذلك: الكتب التي تعرِّف بالكتب السماوية الأخرى ـ مثل: الإنجيل ـ ، وذلك بهدف تحديد المواضيع التي هي محل اختلاف كبير بين القرآن وكتب الأديان الأخرى.

٢ ـ تصميم استبانة رأي وتوزيعها على الدعاة النشيطين؛ لمعرفة آرائهم والاستفادة من خبراتهم، باعتبار ذلك وسيلة للتعرف على المواضيع ذات الاهتمام للمستخدمين، وقد رُؤي أن يتم توزيع هذه الاستبانة على المهتمين بدعوة غير المسلمين، سواء أكانوا من الدعاة البارزين، أو الذين قضوا فترة بين ظهراني غير المسلمين، إما للدراسة أو للعمل.

وتتكون الاستبانة بشكل عام من جزئين: الأول: يتكون من أسئلة هدفها الحصول على معلومات عن معبِّئ الاستبانة، وتشمل معلومات شخصية، ومعلومات تدل على مدى تمرسه في الدعوة بين غير المسلمين، أما الجزء الثاني من الاستبانة: فإنه يحتوي على أسئلة تطلب من معبئ الاستبانة أن يختار المواضيع والقضايا الرئيسة التي يرى أنها تهم غير المسلمين ويجب تغطيتها في البرنامج [٢].

وكما ذُكر سابقًا: فإنه تم ـ بشكل أولي ـ تحديد المواضيع المطلوبة، وذلك من خلال مراجعة الكتب والمراجع التي تناقش مختلف علوم القرآن، وفي الاستبانة طُلِبَ من معبئها أن يضع درجة من ١ إلى ١٠ أمام كل موضوع؛

---

١) حسين السلمان، ود. محمد مندورة: استخلاص المعرفة لنظم تعليم الإسلام بمساعدة الحاسوب، المؤتمر الوطني الرابع عشر للحاسبات، الرياض، ذو القعدة، ١٤١٥هـ.

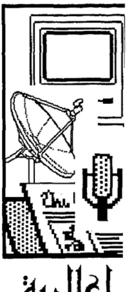
2) Al- Salman, A. M., "A conceptual Design for An Intelligent Computer Aided Instruction System for Da'wah", Master's thesis, Riyadh, 1415 H - 1995..

للحكم على أهميته، حيث (١٠) تعني الأكثر أهمية، و (١) تعني الأقل أهمية، وقد تم توزيع أكثر من (١٥٠) نسخة من الاستبانة في ثلاث دول: داخل السعودية، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وفي بريطانيا، وقد رجعت (١١٥) نسخة منها، أي إنه تم تجميع ما نسبته ٧٦٪ من عدد النماذج الموزعة، وهذه نسبة جيدة تدل على اهتمام الأشخاص الذين تم اختيارهم لتعبئة النماذج.

المقابلات مع الخبراء في الدعوة:

في الفقرة السابقة تم شرح إحدى وسائل استخلاص الخبرات والمعرفة من الدعاة، وهي الاستبانات ، ولكن تلك الوسيلة محدودة إلى حدٍّ ما، وتكمن فائدتها الكبرى في قياس مدى اتفاق الآراء تجاه قضايا محددة، أما الطريقة المثلى لاستخلاص الخبرة من الدعاة فهي إجراء مقابلات مفتوحة مع هؤلاء الدعاة، بحيث يمكن استخلاص الخبرة منهم بطريقة تفاعلية.

وقد تم اختيار الدعاة لعمل المقابلات معهم من بين الدعاة ذوي الخبرة الطويلة في مجال الدعوة، وأيضاً من بين أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الذين درسوا في البلاد الأجنبية، كذلك تضمنت العينة عدداً من المسلمين الذين كانوا أساساً معتنقين ديانات أخرى ثم هداهم الله للإسلام.



النتائج:

١ ـ تحديد أهمية المواضيع وترتيبها :

اشتملت الاستبانة على (١٦) موضوعاً رئيساً، وتم تحديد أهمية كل موضوع من الموضوعات بالاستناد إلى نتائج الاستبانة، وقد جرى حساب المتوسط الحسابي لكل موضوع من هذه المواضيع ـ وبالتالي : ترتيب أهميتها ـ بناءً على قيمة متوسطها الحسابي، وقد جرى عمل تحليل شرائحي لمعرفة آراء المستفتين بحسب شرائحهم، وهنا تم تحديد أربع شرائح : الشريحة الأولى : تشمل كل العينة، والشريحة الثانية : تشمل الخبراء (بحسب تصنيفهم لأنفسهم) ، والشريحة الثالثة: تشمل النشيطين في الدعوة، والشريحة

الأخيرة: تشمل الذين قضوا عشر سنوات أو أكثر في بلدان غير المسلمين.

ويبين الجدول رقم (١) ترتيب المواضيع بحسب اختيار كل شريحة من الشرائح المذكورة أعلاه، ويوضح هذا الجدول أهمية موضوعات معينة، مثل: موضوع التوحيد، وموضوع الرسالة ـ وخاصة رسالة محمد ﷺ ـ، والمواضيع التي تشمل التعريف بالقرآن.

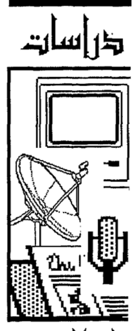
جدول (١): ترتيب المواضيع بحسب نتائج الاستبانة

كل العينة	الخبراء	النشيطون	١٠ سنوات
التوحيد	التوحيد	التوحيد	التوحيد
الرسل	التعريف	الرسل	الرسل
المصادر	الغرض	المصادر	المصادر
التعريف	الرسل	التعريف	التعريف
المعجزات	المعجزات	الغرض	الغرض
الكون	الإنسان	المعجزات	الأسرة والمجتمع
الأسرة والمجتمع	المصادر	العدالة	العدالة
شبهات	العدالة	الأخلاق	المعجزات
الإنسان	الأخلاق	الأسرة والمجتمع	الأخلاق
الغرض	الكون	الكون	الكون
الأخلاق	الأسرة والمجتمع	العلم التجريبي	الإنسان
العدالة	نماذج	الإنسان	شبهات
العلم التجريبي	شبهات	جمع القرآن	جمع القرآن
نماذج	الاقتصاد	شبهات	العلم التجريبي
الاقتصاد	العلم التجريبي	الاقتصاد	الاقتصاد
جمع القرآن	جمع القرآن	نماذج	نماذج

٢ ـ تحديد صفات المستخدمين :

إن معرفة كل النواحي المتعلقة بمستخدمي البرنامج من غير المسلمين سواء الناحية الشخصية، مثل: العمر، والحالة الاجتماعية.. أو الناحية العلمية، كالتخصص، والمؤهل العلمي، أو الناحية الاقتصادية ومستوى الدخل، وغيرها من النواحي.. تؤدي ولا شك إلى توجيه الحوار وطريقة العرض بشكل يحقق أكبر فائدة ممكنة من استخدام مثل هذه البرمجيات، بل إن معرفة هذه النواحي وأخذها أساساً في عملية التحاور والعرض مع المستخدم تؤدي إلى توفير الجهود وضمان فاعلية أكثر من نتائج هذه البرامج، فالمستخدم يجد أن النظام كأنما صمم له شخصياً.

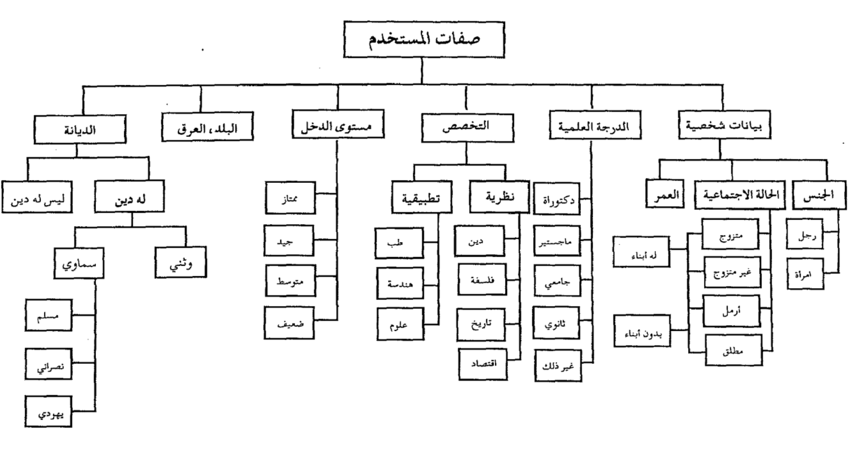
وتحديد صفات المستخدمين التي على ضوئها يتم تصميم محتوى المواضيع هو الأساس في بناء نموذج المستخدم، وقد تمت الاستفادة من مصدرين أساسين لتحديد صفات المستخدمين: الأول: هو الكتب والمراجع المتخصصة في الدعوة، والمصدر الثاني: هو المقابلات التي تمت مع الخبراء في الدعوة، ويبين الشكل (٤) الصفات الرئيسة التي تم تحديدها محاور لتصنيف المستخدمين.



٣ ـ نمذجة المستخدمين :

المقصود بنمذجة المستخدمين هو: أن يكون لكل مستخدم نموذج خاص، وهذا النموذج يعتمد هنا على الموضوع الذي سوف يتم عرضه، وأهم خصائص المستخدم التي تؤثر في هذا الموضوع، ففي برنامج تعليم القرآن هناك أكثر من (١٦) موضوعاً رئيساً سوف يتم عرضها للمستخدم، وكل موضوع سوف يُعرض بأسلوب يناسب المستخدم، فالموضوع الواحد يعرض بأساليب متنوعة ومحتوى مختلف، والمواضيع التي يحويها البرنامج تعرض للمستخدم الواحد بأساليب ونماذج مختلفة.

ويمكن التعبير عن النمذجة كما يلي:



شكل رقم (٤) : الصفات الأساس للمستخدم

طريقة نمذجة المستخدم :

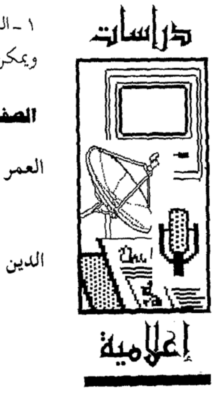
وقد تم إيجاد العلاقة بين كل موضوع رئيس وصفات المستخدم التي تؤثر في محتوى الموضوع وطريقة عرضه، وهنا سوف نوضح هذه النمذجة لموضوع واحد على سبيل المثال، وهو (التوحيد).

التوحيد :

هناك ثلاث صفات رئيسة للمستخدم تؤثر في موضوع التوحيد، وهذه الصفات هي :

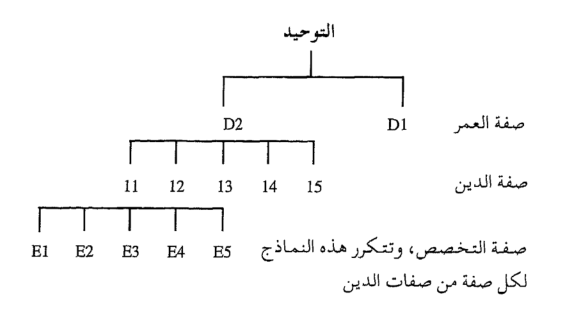
١ ـ العمر. ٢ ـ الدين . ٣ ـ التخصص .

ويمكن تفصيل هذه الصفات كما يلي :



الصفة		**الرمز**
العمر :	١ ـ دون ١٥ عاماً	[D1]
	٢ ـ فوق ١٥ عاماً	[D2]
الدين :	١ ـ ملحد	[11]
	٢ ـ هندوسي / بوذي	[12]
	٣ ـ يهودي / نصراني	[13]
	٤ ـ مسلم	[14]
	٥ ـ غير ذلك	[15]
التخصص :	١ ـ تاريخ، دين ، فلسفة	[E1]
	٢ ـ تربية ، نفس ، اجتماع ، قانون	[E2]
	٣ ـ رياضيات، حاسب ، هندسة ، فيزياء	[E3]
	٤ ـ طب ، كيمياء	[E4]
	٥ ـ غير ذلك	[E5]

ويمكن تمثيل هذه العلاقة بشكل مرسوم، كما في الشكل (٥) الذي يبين أنه يوجد نموذج لموضوع التوحيد لفئة العمر (دون ١٥ عاماً) ، أما بالنسبة لفئة العمر (فوق ١٥ عاماً) فإنه توجد خمس فئات للدين، وتوجد خمسة نماذج بحسب التخصص لكل فئة من فئات الدين، أي إنه يمكن أن يوجد ٢٥ نموذجاً للتوحيد لفئات المستخدمين (فوق ١٥ عاماً)، وإذا أضفنا إلى ذلك نموذج العمر (دون ١٥ عاماً) يصبح مجموع عدد النماذج لموضوع التوحيد : ٢٦ نموذجاً ، و هذا بالطبع عدد كبير من النماذج ، وربما يمكن دمج بعضها مع نماذج أخرى عند التطوير الفعلي لها.



شكل (٥) : النماذج المختلفة لموضوع التوحيد

بأقلامهن
بأقلامهن
بأقلامهن

أعذار من لا ترتدي الحجاب

وبيان تهافتها

بقلم :
د. هويدا إسماعيل

اركبي ـ يا أختاه ـ قطار التوبة قبل أن يرحل عن محطتك.
تأملي ـ يا أختاه ـ في هذا العرض اليوم قبل الغد.
فكري فيه ـ يا أختاه ـ من الآن .

أحمد الله (تعالى) كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم الذي رسم الطريق إلى رضوان الله وجنته.

فكان ذلك الطريق مستقيماً، تحف جنباته الفضيلة، ويحفَلُ بطيب الأخلاق، ويزدان بزينة الطهر والستر والعفاف.

وكان طريقًا يقود شقَّي المجتمع الإنساني ـ الرجل والمرأة ـ إلى مرافئ الاطمئنان والسعادة في الدنيا والآخرة.

فكان من ذلك : أن أوجب المولى (تبارك وتعالى) على المرأة الحجاب؛ صونًا لعفافها، وحفاظًا على شرفها، وعنوانًا لإيمانها.

من أجل ذلك كان المجتمع الذي يبتعد عن منهج الله ويتنكَّبُ طريقه المستقيم: مجتمعًا مريضًا يحتاج إلى العلاج الذي يقوده إلى الشفاء والسعادة.

ومن الصور التي تدل على ابتعاد المجتمع عن ذلك الطريق، وتوضح ـ بدقة ـ مقدار انحرافه وتحلله : تفشي ظاهرة السُّفور والتبرج بين الفتيات.

وهذه الظاهرة نجد أنها أصبحت ـ للأسف ـ من سمات المجتمع الإسلامي، رغم انتشار الزي الإسلامي فيه، **فما هي الأسباب التي أدت إلى هذا الانحراف؟.**

للإجابة على هذا السؤال الذي طرحناه على فئات مختلفة من الفتيات كانت الحصيلة: عشرة أعذار رئيسة، وعند الفحص والتمحيص بدى لنا كم هي واهية تلك الأعذار.

معًا أختي المسلمة نتصفح هذه السطور؛ لنتعرف ـ من خلالها ـ على أسباب الإعراض عن الحجاب، ونناقشها كلاً على حدة:

العذر الأول: قالت الأولى: «أنا لم أقتنع بعد بالحجاب».

نسأل هذه الأخت سؤالين:

الأول: هل هي مقتنعة أصلاً بصحة دين الإسلام؟.

إجابتها بالطبع: نعم مقتنعة؛ فهي تقول: «لا إله إلا الله»، ويعتبر هذا اقتناعها بالعقيدة، وهي تقول «محمد رسول الله ﷺ»، ويعتبر هذا اقتناعها بالشريعة، فهي مقتنعة بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهجًا للحياة.

الثاني: هل الحجاب من شريعة الإسلام وواجباته؟.

لو أخلصت هذه الأخت وبحثت في الأمر بحث من يريد الحقيقة لقالت: نعم.

فالله (تعالى) الذي تؤمن بألوهيته أمر بالحجاب في كتابه، والرسول الكريم الذي تؤمن برسالته أمر بالحجاب في سنته.

وهو ﷺ لعن المتبرجات السافرات.

فماذا نسمي من يقتنع بصحة الإسلام ولا يفعل ما أمره الله (تعالى) به ورسوله الكريم؟، هو على أي حال لا يدخل مع الذين قال الله فيهم: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٥١].

خلاصة الأمر: إذا كانت هذه الأخت مقتنعة بالإسلام، فكيف لا تقتنع بأوامره؟.

العذر الثاني: قالت الثانية: «أنا مقتنعة بوجوب الزي الشرعي، ولكن والدتي تمنعني لبسه، وإذا عصيتها دخلت النار».



يجيب على عذر هذه الأخت **أكرم خلق الله، رسول الله ﷺ**، بقول وجيز

حكيم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله»[1].

مكانة الوالدين في الإسلام ـ وبخاصة الأم ـ سامية رفيعة، بل الله (تعالى) قرنها بأعظم الأمور ـ وهي عبادته وتوحيده ـ في كثير من الآيات، كما قال (تعالى): ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

فطاعة الوالدين لا يحد منها إلا أمر واحد هو: أمرهما بمعصية الله، قال (تعالى): ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥].

ولا يمنع عدم طاعتهما في المعصية من الإحسان إليهما وبرهما؛ قال (تعالى): ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

خلاصة الأمر: كيف تطيعين أمك وتعصين الله الذي خلقك وخلق أمك؟.

العذر الثالث: أما الثالثة فتقول: «إمكانياتي المادية لا تكفي لاستبدال ملابسي بأخرى شرعية».

أختنا هذه إحدى اثنتين:

إما صادقة مخلصة، وإما كاذبة متملصة تريد حجابًا متبرجًا صارخ الألوان، يجاري موضة العصر، غالي الثمن.

نبدأ بأختنا الصادقة المخلصة:

هل تعلمين يا أختاه أن المرأة المسلمة لا يجوز لها الخروج من المنزل بأي حال من الأحوال حتى يستوفي لباسها الشروط المعتبرة في الحجاب الشرعي والواجب على كل مسلمة تعلمها، وإذا كنت تتعلمين أمور الدنيا فكيف لا تتعلمين الأمور التي تنجيك من عذاب الله وغضبه بعد الموت..؟!، ألم يقل الله (تعالى): ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فتعلمي يا أختي شروط الحجاب.

فإذا كان لا بد من خروجك فلا تخرجي إلا بالحجاب الشرعي؛ إرضاءً للرحمن، وإذلالاً للشيطان؛ وذلك لأن مفسدة خروجك سافرة متبرجة أكبر من

١) أخرجه الإمام أحمد.

مصلحة خروجك للضرورة.

يا أختي لو صَدَقَتْ نيَّتُك وصحَّتْ عزيمتُك لامتدت إليك ألف يد خيِّرة، ولسهل الله (تعالى) لك الأمور!، أليس هو القائل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]؟.

أما أختنا المتملصة، فلها نقول:

- الكرامة وسمو القدر عند الله (تعالى) لا تكون بزركشة الثياب وبهرجة الألوان ومجاراة أهل العصر، وإنما تكون بطاعة الله ورسوله ﷺ والالتزام بالشريعة الطاهرة والحجاب الإسلامي الصحيح، واسمعي قول الله (تعالى): ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

خلاصة الأمر: في سبيل رضوان الله (تعالى)، ودخول جنته: يهون كل غالٍ ونفيس من نفس أو مال.

العذر الرابع: جاء دور الرابعة، فقالت: «الجو حار في بلادي وأنا لا أتحمله، فكيف إذا لبست الحجاب؟»..

لمثل هذه يقول الله (تعالى): ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١].

كيف تقارنين حرَّ بلادك بحر نار جهنم.

اعلمي - أختي - أن الشيطان قد اصطادك بإحدى حبائله الواهية، ليخرجك من حر الدنيا إلى نار جهنم، فأنقذي نفسك من شباكه، واجعلي من حر الشمس نعمةً لا نقمة، إذ هو يذكرك بشدة عذاب الله (تعالى) الذي يفوق هذا الحر أضعافًا مضاعفة، فترجعي إلى أمر الله وتضحي براحة الدنيا في سبيل النجاة من النار، التي قال (تعالى) عن أهلها: ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥].

خلاصة الأمر: حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات.

العذر الخامس: لنستمع الآن إلى عذر الخامسة، حيث قالت: أخاف إذا التزمت بالحجاب أن أخلعه مرة أخرى؛ فقد رأيت كثيرات يفعلن ذلك!!.

وإليها أقول: لو كان كل الناس يفكرون بمنطقك هذا لتركوا الدين جملة وتفصيلاً، ولتركوا الصلاة؛ لأن بعضهم يخاف تركها، ولتركوا الصيام؛ لأن كثيرين يخافون من تركه.. إلخ.. أرأيت كيف نصَبَ الشيطان حبائله مرة أخرى فصدك عن الهدى؟.

والله (تعالى) يحب استمرار الطاعة حتى ولو كانت قليلة أو كانت مستحبة، فكيف إذا كانت واجبًا مفروضًا مثل الحجاب؟!.

قال ﷺ: «أَحَبُّ العمل إلى الله أدومه وإن قل».. لماذا لم تبحثي عن الأسباب التي أدت بهؤلاء إلى ترك الحجاب حتى تجتنبيها وتعملي على تفاديها؟.

لماذا لم تبحثي عن أسباب الثبات على الهداية والحق حتى تلتزميها؟.

فمن تلك الأسباب: الإكثار من الدعاء بثبات القلب على الدين كما كان يفعل النبي ﷺ، وكذلك: الصلاة والخشوع، قال (تعالى): ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ** ﴾ [البقرة: ٤٥]، ومنها: الالتزام بكل شرائع الإسلام ـ ومنها: الحجاب ـ قال (تعالى): ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا** ﴾ [النساء: ٦٦].

خلاصة الأمر: لو تمسكت بأسباب الهداية وذُقتِ حلاوة الإيمان لما تركتِ أوامر الله (تعالى) بعد أن تلتزميها.

العذر السادس: الآن ها هي ذي السادسة، فما قولها؟ قالت: قيل لي: «إذا لبست الحجاب فلن يتزوجك أحد، لذلك سأترك هذا الأمر حتى أتزوج».

إن زوجًا يريدك سافرة متبرجة عاصية لله هو زوج غير جدير بك، هو زوج لا يغار على محارم الله، ولا يغار عليك، ولا يعينك على دخول الجنة والنجاة من النار.

إن بيتًا بني من أساسه على معصية الله وإغضابه حَقٌّ على الله (تعالى) أن يكتب له الشقاء في الدنيا والآخرة، كما قال (تعالى): ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** ﴾ [طه: ١٢٤].

وبعدُ، فإن الزواج نعمة من الله يعطيها من يشاء، فكم من متحجبة تزوجت، وكم من سافرة لم تتزوج.

وإذا قلت: إن تبرجي وسفوري هو وسيلة لغاية طاهرة، ألا وهي الزواج، فإن الغاية الطاهرة لا تبيح الوسيلة الفاجرة في الإسلام، فإذا شرفت الغاية فلا بد من طهارة الوسيلة؛ لأن قاعدة الإسلام تقول: «الوسائل لها أحكام المقاصد».

خلاصة الأمر: لا بارك الله في زواج قام على المعصية والفجور.

العذر السابع: وما قولك أيتها السابعة؟ قالت: «لا أتحجب؛ عملاً بقول الله (تعالى): ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، فكيف أخفي ما أنعم الله به عليّ من شعر ناعم وجمال فاتن؟».

أختنا هذه تلتزم بكتاب الله وأوامره ما دامت هذه الأوامر توافق هواها وفهمها!، وتترك هذه الأوامر نفسها حين لا تعجبها، وإلا فلماذا لم تلتزم بقوله (تعالى): ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، وبقوله (سبحانه): ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

بقولك هذا يا أختاه تكونين قد شرعت لنفسك ما نهى الله (تعالى) عنه، وهو التبرج والسفور، والسبب: عدم رغبتك في الالتزام.

إن أكبر نعمة أنعم الله بها علينا هي نعمة الإيمان والهداية، ومن ذلك: الحجاب الشرعي، فلماذا لم تظهري وتتحدثي بأكبر النعم عليك؟.

خلاصة الأمر: هل هناك نعمة أكبر للمرأة من الهداية والحجاب؟.

العذر الثامن: نأتي إلى أختنا الثامنة، التي تقول: «أعرف أن الحجاب واجب، ولكنني سألتزم به عندما يهديني الله».

نسأل هذه الأخت عن الخطوات التي اتخذتها حتى تنال هذه الهداية الربانية؟.

فنحن نعرف أن الله (تعالى) قد جعل بحكمته لكل شيء سببًا، فكان من ذلك أن المريض يتناول الدواء كي يشفى، والمسافر يركب العربة أو الدابة حتى يصل غايته، والأمثلة لا حصر لها.

فهل سعت أختنا هذه جادة في طلب الهداية، وبذلت أسبابها من: دعاء الله (تعالى) مخلصة كما قال (تعالى): ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة: ٦]،

بأقل مهن
بأقل مهن
بأقل مهن

ومجالسة الصالحات؛ فإنهن خير معين على الهداية والاستمرار فيها، حتى يهديها الله (تعالى)، ويزيدها هدى، ويلهمها رشدها وتقواها، فتلتزم أوامره (تعالى) وتلبس الحجاب الذي أمر به المؤمنات؟.

خلاصة الأمر: لو كانت هذه الأخت جادة في طلب الهداية لبذلت أسبابها فنالتها.

العذر التاسع: وما قول أختنا التاسعة؟، قالت: «الوقت لم يحن بعد، وأنا ما زلت صغيرة على الحجاب، وسألتزم بالحجاب بعد أن أكبر، وبعد أن أحج!».

ملك الموت، أيتها الأخت، زائر يقف على بابك ينتظر أمر الله (تعالى) حتى يفتحه عليك في أي لحظة من لحظات عمرك.

قال (تعالى): ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٤]، الموت يا أختاه لا يعرف صغيرة ولا كبيرة، وربما جاء لك وأنت مقيمة على هذه المعصية العظيمة تحاربين رب العزة بسفورك وتبرجك.

يا أختاه سابقي إلى الطاعة مع المسابقين، استجابة لدعوة الله (تبارك وتعالى): ﴿**سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [الحديد: ٢١].

يا أختاه: لا تنسي الله (تعالى) فينساك، بأن يصرف عنك رحمته في الدنيا والآخرة، وينسيك نفسك، فلا تعطينها حقها من طاعة الله وعبادته.. قال (تعالى) عن المنافقين: ﴿**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ**﴾ [التوبة: ٦٧]، وقال (تعالى): ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ**﴾ [الحشر: ١٩]، أختاه: تحجبي في صغر السن عن فعل المعاصي؛ لأن الله شديد العقاب سائلك يوم القيامة عن شبابك وكل لحظات عمرك.

خلاصة الأمر: ما أطول الأمل!، كيف تضمني الحياة إلى الغد؟.

العذر العاشر: وأخيراً قالت العاشرة: «أخشى إن التزمت بالزي الشرعي أن يطلق علي اسم جماعة معينة وأنا أكره التحزب».

أختاه في الإسلام: إن في الإسلام حزبين فقط لا غير، ذكرهما الله العظيم في

كتابه الكريم، الحزب الأول: هو حزب الله، الذي ينصره الله (تعالى) بطاعة أوامره واجتناب معاصيه، والحزب الثاني: هو حزب الشيطان الرجيم، الذي يعصي الرحمن، ويكثر في الأرض الفساد، وأنت حين تلتزمين أوامر الله ـ ومن بينها الحجاب ـ تصيرين مع حزب الله المفلحين، وحين تتبرجين وتُبْدين مفاتنك تركبين سفينة الشيطان وأوليائه من المنافقين والكفار، وبئس أولئك رفيقاً.

أرأيتِ كيف تفرِّين من الله إلى الشيطان، وتستبدلين الخبيث بالطيب، ففري يا أختي إلى الله، وطبقي شرائعه ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ [الذاريات: ٥٠]، فالحجاب عبادة سامية لا تخضع لآراء الناس وتوجيهاتهم واختياراتهم؛ لأن الذي شرعها هو الخالق الحكيم.

خلاصة الأمر: في سبيل إرضاء الله (تعالى) ورجاء رحمته والفوز بجنته: اضربي بأقوال شياطين الإنس والجن عرض الحائط، وعضي على الشرع بالنواجذ، واقتدي بأمهات المؤمنين والصحابيات العالمات المجاهدات.

خاتمة:

الآن يا أختاه أحدثك حديث الصراحة :

جسدك معروض في سوق الشيطان، يغوي قلوب العباد: خصلات شعر بادية، ملابس ضيقة تظهر ثنايا جسمك، ملابس قصيرة تبين ساقيك وقدميك، ملابس مبهرجة مزركشة معطرة تغضب الرحمن وترضي الشيطان.. كل يوم يمضي عليك بهذه الحال يزيدك من الله بعداً ومن الشيطان قرباً، كل يوم تنصبّ عليك لعنة من السماء وغضب حتى تتوبي، كل يوم تقتربين من القبر ويستعد ملك الموت لقبض روحك: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥].

اركبي ـ يا أختاه ـ قطار التوبة قبل أن يرحل عن محطتك.

تأملي ـ يا أختاه ـ في هذا العرض اليوم قبل الغد .

فكِّري فيه ـ يا أختاه ـ الآن قبل فوات الأوان.

آراء وتأملات في فقه الزكاة

(٤)

د. محمد بن عبدالله الشباني

تحدث الكاتب في الحلقات الماضية عن الزكاة من حيث مفهومها اللغوي، وأنواع الأموال التي تستخرج منها، والضوابط التي تحدد صفة هذه الأموال.. ثم عرض لزكاة الأنشطة الزراعية، وبخاصة صور الإنتاج الزراعي في العصر الحديث، وفي هذه الحلقة يعرض الكاتب آراءه في صور أخرى من الأنشطة الاقتصادية. - البيان -

زكاة الثروة الحيوانية ومنتجاتها :

من نعم الله (تعالى) على عباده أن خلق لهم أنواعًا مختلفة من الحيوان؛ لينتفعوا بها، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، ولقد نبه الله عباده إلى هذه الحقيقة من نعمه، يقول (تعالى): ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٥ - ٧]، ويقول (سبحانه): ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٧١ - ٧٣].

لقد أوجب الله في هذه الأنعام حقوقًا ينبغي القيام بها، وإن من أوجب الواجبات: إخراج زكاتها.

إن من نعم الله (تعالى) على الخلق أن كشف لهم في هذا العصر من المعارف والعلوم ما تطورت به وسائل الاستفادة من الحيوان، حيث مكنه الله

من معرفة كيفية الحصول على سلالات حيوانات مخصصة لإنتاج أنواع محددة من المنتجات ، فهناك أساليب لتربية أنواع من الحيوان مخصص لإنتاج اللحم، أو لإنتاج الحليب ، وكذلك بالنسبة للدجاج : فهناك دجاج مخصص للحم، ودجاج مخصص للبيض.

تنقسم الثروة الحيوانية إلى نوعين:

الأول : الأنعام، وتشمل : الأبقار، والجواميس، والأغنام، والجمال، فتنوعت أغراض استغلالها اقتصاديًّا، فمنها ما هو لإنتاج الحليب، ومنها ما هو لإنتاج اللحم.

الثاني : الطيور الداجنة، مثل : الدجاج الرومي، والبط، والأوز، والحمام.. حيث تنوعت أغراض استغلالها اقتصاديًّا في إنتاج بيض الأكل، وبيض التفقيس، وإنتاج الأفراخ التي تربى لغرض إنتاج الطيور الخاصة بإنتاج البيض، أو لإنتاج الطير اللاحم.

إن الثروة الفقهية لعلماء المسلمين لم تتطرق لزكاة الثروة الحيوانية، أو زكاة منتجاتها إلا لنوعية معينة، وهي الأنعام، ممثلة في : الإبل، والغنم، والبقر، والخيل، بشرط أن تكون سائمة، وبالتالي : لم تناقش كثيراً من مكونات الثروة الحيوانية المستجدة في الوقت الحاضر، حيث لم تكن الحالات الأخرى ذات قيمة فيما مضى، ولم تمارس بالشكل والأسلوب المعاصر، حيث أصبح لها مكان في تكوين الثروة ونمائها ، مثل : تسمين الأغنام والأبقار، وتربية الدواجن.. وغير ذلك من الوسائل المستخدمة في زيادة الاستفادة من الثروة الحيوانية وتكثيرها، وأصبح الاشتغال في هذا النشاط يحتاج إلى رؤوس أموال ضخمة للاستفادة من معطيات هذا النشاط الاقتصادي.

يرتبط الحكم الشرعي لهذا النوع من النشاط الاقتصادي بعموم الحكم المتعلق بالأموال ، وبالتالي : فإن وجوب أخذ الزكاة وتحديد نصابها أمر مهم في هذا العصر، من ناحية أن أي مسلم يمارس هذا النشاط يرغب في معرفة حكم زكاة هذه الأموال وطريقة تحديدها، ومن ناحية أخرى : فإن

للفقراء حقوقًا في أموال الأغنياء.

إن تنمية الثروة الحيوانية على أسس اقتصادية تستوجب صرف مبالغ كبيرة على توفر الظروف البيئية لتحقيق الغايات من الاستثمار في هذا النشاط الاقتصادي ، فمثلاً: تربى الأبقار: إما من أجل الحليب ، أو من أجل اللحم، أو للغرضين معًا، ويتطلب ذلك تكاليف كبيرة، سواء فيما يتعلق بتوفير الظروف البيئية المناسبة، أو أساليب التقنية ذات التكلفة العالية، أوالعناية الصحية اللازمة للإبقاء على قدراتها الإنتاجية..

على ضوء هذه الحقيقة: فإن ممارسة نشاط تنمية الثروة الحيوانية أصبح نشاطًا اقتصاديًّا جديداً مغايراً لما كان في السابق، من حيث أن تربية الأنعام تقوم على أساس التوالد فقط، ويتم تغذيتها من الكلأ الذي لا يحتاج إلى استنبات.

لهذا فإن الثروة الحيوانية تتوزع إلى قسمين:

١ ـ قسم يقتنى للتسمين والتوالد من أجل بيعها بعد تسمينها وتحقيق التوالد والتناسل، ومن ثم: بيعها لغرض استغلال لحمها، على أن تتم التغذية من خلال استنبات الحشائش أو شرائحها في المزارع المتخصصة في ذلك، وليس من خلال الرعي في المراعي، أو ما يعرف بـ(السوم).

٢ ـ قسم يقتنى لغرض الحصول على ناتجها وبيعه، مثل اقتناء الأبقار والجواميس بقصد الحصول على الحليب بصفته منتجًا يتم بيعه، أو الدجاج بقصد إنتاج البيض أو لأجل اللحم، وعلى ضوء هذه الحقائق: فإننا سوف نناقش في هذه الحلقة زكاة الدواجن ، وزكاة المنتجات الحيوانية والألبان؛ حيث إن هذه الأنشطة المتعلقة بالثروة الحيوانية من الأمور المستجدة التي يثور حولها النقاش والتساؤل.

زكاة الدواجن:

استطاع الإنسان بما أوتي من علم، وما فتح الله عليه من خزائن المعرفة أن يتوصل إلى أساليب في جعل الطيور مصدراً مهمًّا لتغذية الإنسان، وخاصة: الدجاج، والديك الرومي،

والطيور المائية، مثل: البط، والأوز، واستخدام أساليب علمية متقدمة في إنتاج البيض، وإنتاج اللحوم من هذه الدواجن.. في فترات زمنية قصيرة وبكميات كبيرة ، حيث تمكن من جعلها مصدراً أساساً من مصادر توفير اللحوم والتغذية.

لقد ساعد على ذلك تطور علم الدواجن ، الذي هو فرع من فروع العلوم الزراعية العامة، حيث يختص هذا العلم بدراسة كيفية تربية الدواجن وتحسينها من ناحية تحسين التركيب الوراثي، وأسس تغذيتها، من حيث تقدير احتياجات الدواجن من العناصر الغذائية ، وغير ذلك من الجوانب الغنية التي تتعلق بتحسين الإنتاج وتقليص الفترات الزمنية للإنتاج، مع العناية بتوفير العناصر الأساس لمكونات اللحوم فيها أو مكونات البيض المنتج منها.

إن النشاط الخاص بتربية الدواجن من الأنشطة الاقتصادية الحديثة والمستجدة، فهذا النشاط لم يتسع إلا في أواسط القرن العشرين ، وعليه: فإن كتب الفقه في السابق لم تتطرق إلى ذلك؛ لعدم ظهور الحاجة حينها، حيث إن تربية الدواجن كانت منزلية وللاستهلاك الخاص، وليس من أجل تحقيق الغنى والثروة.

وبحث طبيعة هذا النوع من النشاط، ومناقشة أحكام الزكاة المتعلقة به لم يتم التطرق له والبحث فيه لأحد من الفقهاء المعاصرين ـ حسب علمي ـ ما عدا فضيلة الدكتور« يوسف القرضاوي »، فقد تعرض له عَرَضاً في كتابه (فقه الزكاة) عندما تحدث عن المنتجات الحيوانية بقوله: « والقاعدة التي نخرج بها هنا: أن ما لم تجب الزكاة في أصله تجب في نمائه وإنتاجه، كالزرع بالنسبة للأرض، والعسل بالنسبة للنحل، والألبان بالنسبة للأنعام، والبيض بالنسبة للدجاج، والحرير بالنسبة للدود »[1].

إن تحديد الحكم الشرعي، وتحديد مقدار الزكاة ونصابها يستدعي أدراك طبيعة النشاط ، وكيفية إنشاء المشروعات، وكيفية الإنتاج.. حتى

١) فقه الزكاة ، للقرضاوي، جـ١ ،ص ٤٣١.

يمكن تصور الحكم الشرعي لهذا النوع من النشاط .

وقفة مع الثروة الداجنة :

إن عملية ما يطلق عليه (صناعة الدواجن)، تمر بعدد من الحلقات التي تسهم في العملية الإنتاجية لهذه الصناعة، والتي يمكن إيجازها على النحو التالي :

١ ـ عمليات التفقيس: ففي هذه العمليات يتم إنتاج الأفراخ التي تربى لغرض إنتاج اللحم، أو لإنتاج البيض، وتحتاج هذه العملية إلى وجود (ماكينات) كبيرة تستوعب آلاف البيض، والطريقة في عمليات التفقيس مستوحاة من الأسلوب الذي تتبعه الطيور الداجنة، مثل : الدجاج، والديك الرومي، والبط، ولكن بأساليب تساعد على تخفيض المدة التي تستغرقها الدجاجة في عملية التفقيس الطبيعية التي ألهمها الله للدجاج .

٢ ـ عمليات إنتاج أمهات الدجاج: وهذه العمليات هي التي تمد عمليات التفقيس بالبيض المخصب، وبالتالي : تزويد مشروعات إنتاج الدجاج اللاحم، أو الدجاج البياض بأفراخ اللحم، أو أفراخ البيض، وفي هذه العمليات يتم اختبار الأفراخ الجيدة، وبعد نضجها الجنسي الذي يتم بعد مضي ما بين ٢١ إلى ٢٦ أسبوعًا يتم وضع كل ذكر واحد مع عشر دجاجات، ويتم الحصول على نسبة إخصاب بعد عشرة إلى أربعة عشر يومًا من بدء وضع الذكور مع الإناث، وبهذا يتم إتاحة فرصة للذكور لتلقيح كافة الإناث .

٣ ـ عمليات إنتاج الدجاج اللاحم: حيث يتم شراء الصيصان من المشروعات المنتجة للأفراخ، وهي مشروعات التفقيس، والتي تقوم بتزويد هذه المشروعات بهذا النوع الخاص من الصيصان .

٤ ـ عمليات إنتاج البيض: ويتم تزويدها بالأفراخ المخصصة لإنتاج البيض من مشروعات التفقيس .

وكل عملية من العمليات السابقة تختلف في طبيعتها وأساليب المعالجة الفنية والتغذية عن غيرها، بحيث

يمكن أن يُكَوَّن مشروع متكامل من هذه العمليات كلها، وقد يكون هناك مشروع لكل عملية من العمليات، ويتم البيع فيما بين هذه العمليات.

على ضوء ما سبق ندرك أن عملية إنتاج الدواجن أصبحت صناعة تجارية تدر على المستثمر فيها عائداً ماليًّا على ما يستثمر فيها من أموال.

كيف نزكي هذه المشاريع:

والسؤال الذي يفرض نفسه من ناحية وعاء الزكاة هو: ما هو مقدار النصاب الواجب؟، وأي نوع من الأموال يتم إلحاق هذه المشروعات به؟، وبالتالي: بم تقاس به ؟..

إن الأموال التي وردت فيها أدلة شرعية في تحديد أنصبتها، ومقدار الواجب فيها وقت إخراج الزكاة منها هي: سائمة بهيمة الأنعام، والزروع، وعروض التجارة، والمعادن، والنقد، فهل تلحق الدواجن بالمستغلات أم بالأموال المستفادة؟.

إن أدلة وجوب الزكاة على مشروعات الدواجن هي أدلة عموم وجوب الزكاة في الأموال، كما في قوله (تعالى): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ**﴾ [البقرة: ٢٦٧]، فما يتم الحصول عليه من مال، أوثروة ناتجة عن ممارسة نشاط صناعة الدواجن وتربيتها هو من الكسب الطيب المشمول بقوله (تعالى): ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾ [التوبة: ١٠٣]، و(المال) عام يشمل كل شيء متحول ومملوك، والمال مفرد (الأموال) ويشمل كل ما يرغب الناس في اقتنائه وامتلاكه من الأشياء [(١)].

أي نوع من الأموال تلحق به هذه المشاريع:

الأمر بالنسبة لمشروعات صناعة الدواجن وتربيتها يعود إلى: أي نوع من أنواع الأموال يمكن قياسه عليها؟، وما هو النصاب ومقداره؟.

من خلال الاستعراض الموجز لطبيعة صناعة الدواجن وتربيتها نلحظ عدة أمور، هي :

١ ـ أنها ملحقة بالثروة الحيوانية

(١) انظر: المغني، جـ٣، ص ٣٠.

من حيث النماء والتناسل، فهي مثل البقر، والغنم.. وغيرها من الأنعام، من حيث أنها تتكاثر بالتوالد، ومن حيث أصول تواجدها، فالدجاجة طير ينتج نتجًا هو البيضة؛ والبيضة إما: أن تؤكل، أو تفقس وينتج عنها فرخة تربى: إما من أجل تكوين أمهات دجاج لإنتاج اللحم، أو دجاج لإنتاج البيض، فعملية التناسل وفترة النمو اللازم للاكتمال من أجل اللحم أو البيض مرتبطة بدورة الإنتاج نفسها بالنسبة للحيوانات.

٢ ـ أن بعض مراحل صناعة الدواجن تشبه مراحل التناسل في الأنعام، فالدجاج يربى من أجل إنتاج البيض المخصب، فهو أصل ينتج عنه ناتج مثل البقر المخصص لإنتاج الحليب، وينطبق ذلك على مشروع الدجاج البياض الذي يكون مهمته الأصلية إنتاج البيض؛ فهو يربى من أجل إنتاج بيض المائدة، والدجاج اللاحم، والذي تربى أفراخه من أجل زيادة الوزن عند حد معين، ثم يذبح ويباع، أي: إنه يشبه الأغنام التي تشترى لأجل التسمين.

٣ ـ بعض مشروعات الدواجن تتكون من جميع مراحل صناعة الدواجن، أي: إن منها مراحل لإنتاج أمهات الدجاج، ومراحل لإنتاج البيض، وإنتاج الفراخ، وإنتاج الدجاج اللاحم.

٤ ـ أن هذه الصناعة تحتاج إلى معرفة أساليب كيفية التربية لكل نوع من أنواع هذه المراحل، وتحتاج إلى رؤوس أموال لتوفير الأجهزة اللازمة لتوفير المستلزمات الضرورية لإنتاج البيض واللحم، التي هي المنتج النهائي المطلوب من المستهلكين.

على ضوء ذلك: فهل يمكن إلحاق مشروعات الدواجن بعروض التجارة أم لا؟.

إن مفهوم (عروض التجارة) كما عرّفه «ابن قدامة» بقوله: «غير الأثمان من المال على اختلاف أنواعه، من: النبات، والحيوان، والعقار، وسائر المال، فمن ملك عرضًا للتجارة فحال عليه الحول وهو نصاب: قوَّمَه في آخر

١) انظر: المغني، جـ٣، ص٣٠.

الحول، فما بلغ أخرج زكاته، وهو: ربع عشر قيمته»[١]، كما يحدد «ابن رشد» مفهوم (العروض) بأنه ما قصد به التجارة بقوله: «اتفقوا على أن لا زكاة في العروض التي لم يقصدها التجارة»[١]، والمعنى اللغوي للعروض هو: كل ما خالف النقد من متاع الدنيا وأثاثها.

وقال الإمام «النووي»: «مال التجارة: كل ما قصد الاتجار منه اكتساب الملك بمعاوضة المال: مال تجارة».

فهل صناعة الدواجن تعتبر من عروض التجارة، وبالتالي: تعطى حكم عروض التجارة؟.

إن طبيعة صناعة الدواجن التي أوضحناها فيما سبق لا تتصف بصفة التجارة، حيث إنه لا يتم الاتجار بأعيان معينة؛ فالمشروع الذي ينتج أفراخ الدجاج اللاحم والبياض، يقوم بشراء البيض المخصب ممن ينتج هذا البيض من مشروعات الأمهات، ويتولى إجراء عملية التفقيس، ثم التسمين لفترة محدودة، بعدها يبيع المنتج، فصناعة الدواجن ليست أعمالاً تجارية، وإنما هي تشبه ما ينتج عن الحيوان، مثل الحليب الناتج، فأمهات الدجاج تنتج البيض المخصب، الذي ينتج عنه أفراخ لإنتاج اللحم أو البيض، فالأصل هو دجاج الأمهات اللائي ينتجن بيضًا مخصبًا لإنتاج دجاج بيض الأكل، أو بيضًا مخصبًا لإنتاج دجاج اللحم، وبالتالي: فإن الجامع بين الدجاج والنحل هو ما ينتج عنهما، فالعسل ناتج من النحلة، وأمهات الدجاج ينتج عنهن دجاج لإنتاج البيض أو أفراخ يتم تسمينها من أجل اللحم.. فالجامع هو بقاء الأصل وبيع المنتج.

---

١) بداية المجتهد، جـ١، ص٢٥.

الوسطية
من أبرز خصائص هذه الأمة

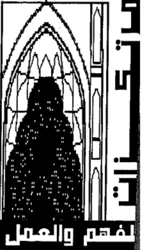
بقلم :

عبد الحكيم بن محمد بلال

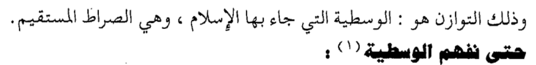
إن سنة الله (عز وجل) في خلقه للكون والحياة : التكامل والتوازن ، وقد خلق (جل وعلا) الإنسان في أحسن تقويم، وجعله يحوي جوانب كثيرة مختلفة : عقلاً، وروحًا، وجسدًا، وعواطف، ومشاعر، ولكلٍّ منها حق، ولا يمكن الوفاء بكل حقوقها إلا بتوازن يكمِّلها جميعًا، ولا يغلِّب جانبًا منها على حساب جانب آخر .

وذلك التوازن هو : الوسطية التي جاء بها الإسلام ، وهي الصراط المستقيم.

حتى نفهم الوسطية [١] :



لا تخرج معاني الوسطية عن: العدل والفضل والخيرية، والنِّصف والبينية، والتوسط بين طرفين، فقد استقر عند العرب أنهم إذا أطلقوا كلمة (الوسط) أرادوا معاني : الخير والعدل والنَّصَفَة ، والجودة والرفعة والمكانة العالية.



ولا يصح إطلاق مصطلح (الوسطية) على أمر إلا إذا توفرت فيه صفتان :

١ ـ الخيرية، أو ما يدل عليها .

٢ ـ البينية ، سواء أكانت حسية أو معنوية .

كما يقصد بالتوازن في الشريعة الإسلامية : النظر في كل الجوانب ، وعدم طغيان جانب على آخر، وذلك باجتناب الغلو والجفاء..

ولا بد من فهم حقيقة هذين الأمرين؛ لتفهم حقيقة الوسطية والتوازن ، فإنه لا يمكن تحقيقها إلا بعد الفهم السليم لها .

---

١) انظر : الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، د . ناصر العمر .

معالم في فهم الوسطية :

أولاً: الغلو والإفراط:

قال الله (تعالى) : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال ﷺ : « إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » [١].

والغلو: المبالغة في الشيء ، والتشديد فيه بتجاوز الحد ، فحقيقته: مبالغة في الالتزام في الدين، وليس خروجًا عنه في الأصل، ويكون متعلقًا بفقه النصوص، أو الأحكام، أو الحكم على الآخرين ، وكما يكون فعلاً فإنه يكون تركًا ، كترك النوم وتحريم الطيبات ، وليس منه: طلب الأكمل من العبادة ، بل هو تجاوز الأكمل إلى المشقة ، ومعلوم أن الحكم بالغلو على شخص أو فعل لا يجوز إلا بالكتاب والسنة، ولا يقدر عليه إلا العلماء .

وقد أُتيتْ بعض الدعوات والحركات من هذا الباب ، فاستلزم الحذر منه ، ومعرفة آفاته ومظاهره وأسبابه ليحذر منه .

فمن أخطار الغلو في الدين وعيوبه وآثاره [٢] :

١ ـ كراهية الناس ونفورهم، وانفضاض الأنصار، قال ﷺ : « إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » [٣].

٢ ـ الفتور أو الانقطاع، فالإنسان ملول، وطاقته محدودة.

وقد وضح ﷺ طبيعة هذا الدين فقال: « إن الدين يسر، ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشيء من الدلجة » [٤].

فبَيَّن أنه لا يتعمق أحد في العبادة ، ويترك الرفق ـ كالرهبان ـ إلا عجز ، فيُغلب .

---

١) أخرجه النسائي ، وانظر صحيح سنن النسائي ، ح/٢٨٦٣ .
٢) انظر: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، د. يوسف القرضاوي .
٣) رواه البخاري ، ح/٧٠٢ .   ٤) رواه البخاري ، ح/٣٩ .

٣ ـ التقصير في الحقوق والواجبات الأخرى، وانظر قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما): «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام»..؛ «فإن لزوجك عليك حقًّا، ولزورك عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا»[١].

٤ ـ تضييع العمر فيما لا فائدة فيه، بل ما فيه الضرر.

٥ ـ الفرقة والتمزق في الصف الإسلامي، وهو ما نشاهده ونعيشه كثيراً.

وللغلو مظاهر كثيرة، منها [٢]:

كثرة الافتراضات والسؤالات عما لم يقع، والمبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو تضييع الواجب، والعدول عن الرخصة في موضعها إلى العزيمة، والاشتغال بمسائل الفروع على حساب الأصول، واستفراغ الجهد في المختلف فيه مع إهمال المجمع عليه، علماً وعملاً، ومن المظاهر أيضاً: التعصب للرأي، وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، وإلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم به الله، والتشديد في غير محله، ككونه في غير مكانه أو زمانه أو أهله، ومنها: الغلظة والجفاء والخشونة في غير الجهاد وإقامة الحدود، وسوء الظن بالآخرين، وتهمتهم وإدانتهم، والسقوط في هاوية التكفير بلا ضوابط شرعية.

أسباب الغلو:

وللغلو دوافع وأسباب، منها:

ـ البيئة الغالية، أو المستخدمة للشدة والضغط والإكراه، ومنها: التكوين النفسي والفكري لبعض المغالين، والذكاء مع الفراغ وعدم البصيرة بالأولويات، والاعتماد على النفس من أول الأمر في تحصيل العلم أو المعرفة، أو التلقي عن الجاهلين، مع خلو الساحة من العلماء الذين يضبطون الفكر والتصور والسلوك، والتصدر للفتوى والاجتهاد قبل الاستواء والنضج.

ـ الرغبة في الطاعة مع الجهل بالسنة.

ـ وقد يكون من الأسباب أحياناً: الحظوظ النفسية، والإغراء بالدنيا.

---

١) رواه مسلم، ح/١١٥٩.

٢) انظر: آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، جـ٣، ص ١٩٣.

حوارات للفهم والعمل

ـ ومن أبلغ الأسباب تأثيراً : **تعطيل شرع الله في الأرض**، والعلمنة الصريحة، وإعراض أكثر المسلمين عن دينهم ، متمثلاً في : كثرة البدع والعقائد الفاسدة، والإعراض عن منهج السلف، وشيوع الفساد، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير في القيام بذلك ، وشيوع الظلم ، وتحكم الكافرين في مصالح المسلمين، ومحاربة التمسك بالدين ، والجفوة بين العلماء والشباب، والخلل في مناهج بعض الدعوات ، مع وجود قوة العاطفة لدى فئات من الشباب .

وقد كان النبي ﷺ ينكر كل بادرة غلو، وينهى عن ذلك أشد النهي، كما في قصة النفر الثلاثة، الذين عزموا على الصيام، والقيام، وترك النساء [١] ، وأخبر أيضًا بهلكة المتنطعين [٢] ، وأراد أن ينكل بمن واصلوا معه في الصيام[٣]، وقد نهاهم عنه، ليرتدعوا .. وما ذاك إلا لأن الغلو شطط وانحراف وبُعْدٌ عن الصراط المستقيم، ونافذة على الانحراف والضلال.

ثانيا : التفريط والجفاء :

التفريط هو : التضييع، والتقصير ، والترك ، ومنشؤه ـ غالبًا ـ : التساهل والتهاون.

والجفاء هو : الترك، والبعد، ويستعمل ـ غالبًا ـ فيما فيه قصد الأمر، من الترك والبعد وسوء الخلق .

ومن مظاهر التفريط : تأخير الصلاة عن وقتها، وترك إنكار المنكرات ، وإهمال تربية الأولاد ، وترك الأخذ بالأسباب ، والغلظة في المعاملة ، والسلبية تجاه الاهتمام بواقع المسلمين.

ويبدو **خطر التفريط** واضحًا في كونه عين العجز والكسل، ولا يتحقق به أمر الله (تعالى) ـ كما أراده (سبحانه) ـ ، وأنه يقطع الإنسان عن كثير من الأجور والدرجات ، فقد يخرجه من دائرة أولياء الله الصالحين، وقد يعرضه للوعيد والعقوبة ، وقد يجره إلى الانحراف (والعياذ بالله) .

---

١) البخاري، ٦/ ١١٦.
٢) صحيح مسلم ، ح/ ١١٠٤.
٣) مسلم ، ح/ ٢٦٧٠ .

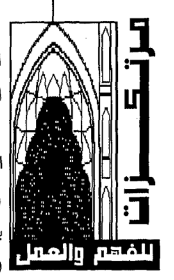
وسببه إما أن يكون: الجهل، أو الكسل.

فأما الكسل: فما أكثر ما استعاذ النبي ﷺ من العجز والكسل؛ الكسل الناتج من إيثار العاجلة، ونسيان الآخرة، وهو نوع من الظلم.

وأما الجهل: فداء عضال، وأَقْبِحْ باتصاف الداعية به، خاصة إذا كان الإخلال بالقدر الواجب من العلم، المتعين أو الكفائي، أو حتى القدر المستحب.

وقد يكون السبب في التفريط: الاستجابة لضغط الواقع، أو الهروب من تهمة التطرف والغلو.. ونحو ذلك مما يكون ـ في الغالب ـ إفرازاً لانحراف في المنهج، ومظهراً من مظاهر الانحراف في الفهم.

ثالثاً: الصراط المستقيم:



وهذا المعلم لا يمكن فهم الوسطية دون فهمه، ومعناه: الطريق الواضح الهادي، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه، وهو كتاب الله، أو الإسلام، أو الرسول ﷺ، أو السنة والجماعة، وحاصل كل ذلك: المتابعة لله ورسوله.

ومعنى الصراط المستقيم يدل على الوسطية في مفهومها الشرعي الاصطلاحي، فمثلاً في سورة الفاتحة جعله الله طريق الخيار الذين أنعم عليهم، وهو بين طريقي المغضوب عليهم والضالين، وفي سورة البقرة ذكره ثم ربطه بالوسطية، فقال: ﴿**يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: ١٤٢، ١٤٣]، فالصراط المستقيم يمثل أعلى درجات الوسطية.

والقرآن الكريم، وكذا سنة النبي ﷺ، يرشدان إلى التوسط، ويذمان التقصير والغلو، وسورة الفاتحة قد وضعت القاعدة والمنطلق، ورسمت المنهج، وحددت معالمه، ثم جاءت الآيات مقررة، قال الله (تعالى): ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾ [النحل: ٩٠]، وقال (تعالى): ﴿**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**﴾ [الأعراف: ٢٩]، **والعدل في كل الأمور: لزوم الحد فيها، وألا يغلو ويتجاوز الحد، كما لا يقصر ويدع بعض الحق**.

وانظر إلى الوسطية واضحة في مثل قوله (تعالى): ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٧]، وفي قوله

(تعالى) : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧]، وقوله (تعالى) : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة : ٢٠١]، وفي دعائه ﷺ : « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي . . . » [١] .

وكذا : فإن الوسطية سمة ثابتة بارزة في كل باب من أبواب الإسلام : في الاعتقاد، والتشريع ، والتكليف، والعبادة ، والشهادة والحكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله، والأخلاق والمعاملة ، وكسب المال وإنفاقه، ومطالب النفس وشهواتها . .

ملامح الوسطية وسماتها وضوابطها :

وتحديد ذلك ضروري؛ لتتميز الوسطية عن غيرها، ولئلا تكون مجالاً لأصحاب الأهواء والشهوات، ومن تلك الملامح :

١ ـ **الخيرية : وهي تحقيق الإيمان الشامل**، يحوطه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ ـ **الاستقامة : وهي لزوم المنهج المستقيم بلا انحراف**، فالوسطية لا تعني التنازل أو التميع أبداً .

٣ ـ **البينية : وذلك واضح في كل أبواب الدين**، فالصراط المستقيم بين صراطي المغضوب عليهم والضالين .

٤ ـ **اليسر ورفع الحرج** : وهي سمة لازمة للوسطية .

٥ ـ **العدل والحكمة** : وقد فسر النبي ﷺ الوسط بالعدل [٢]، وذلك هو معنى الخيار؛ وذلك لأن خيار الناس : عدولهم .

والوسطية أمر نسبي يخضع تحديده لعدة عوامل لا بد من مراعاتها ، ولا يتحقق ذلك إلا بإتقان الحكمة .

---

١) مسلم ، ح/ ٢٧٢٠ .

٢) المسند ، ٣/ ٣٢ ، والترمذي ، ح/ ٢٩٦١ .

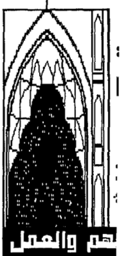
مثال تطبيقي للوسطية : فعل السنن :

تتمثل مظاهر البعد عن السنة في اتجاهين [1] :

الاتجاه الأول : التفريط والجفاء، ومن مظاهره : عدم العناية بها، ودعوى تقسيم الإسلام إلى لب وقشور، والانشغال بالقضايا المعاصرة فقط.

الاتجاه الثاني: الغلو، ومن مظاهره: تتبع الغرائب من السنن، والاهتمام بها على حساب الواجبات، والاهتمام بها على حساب القضايا المعاصرة، والإكثار من طرحها وإثارتها، والتكلف والتشدد في تطبيقها .

والواجب : العناية بالإسلام جملة وتفصيلاً، بالسنة والواجبات، مع الحرص على إحياء السنن المهجورة، كالتبكير للصلاة، والتبكير للجمعة، وقيام الليل، والجلوس في المسجد للذكر بعد الصبح، لما لذلك من أثر في إحياء القلوب، وإزالة قسوتها..



ولا بد من التحلي بالحكمة والتأني ، وعدم التكلف ، ولايسوغ الإكثار من طرحها وإثارتها على حساب ما هو أهم منها ، بل يكفي تأصيلها.

نحو تربية متكاملة متوازنة :

إن التربية التي نحتاجها اليوم هي التي تأخذ الإسلام جملة وتفصيلاً ، وتراعي شخصية الفرد بجميع جوانبها وأبعادها، مع التوازن في تربية الجوانب المختلفة : العقلية، والمعرفية، والوجدانية، كما توازن أيضاً في رعاية الجانب الواحد، كالجانب العقلي مثلاً ، وهذا بالنسبة للفرد .

وعلى صعيد المجتمع: ينبغي ألا تكون التربية نخبوية تخص فئة من الناس دون غيرهم، وتهمل بقية الفئات ، كما ينبغي أن تتكامل كل المؤسسات التربوية وتتظافر جهودها، وأن تتكامل الجهود داخل المؤسسة التربوية الواحدة، وكذلك أن تتكامل في استخدام الوسائل التربوية.

ومما يعين على ذلك: التفكير، والتخطيط، والترتيب للعملية التربوية، ووضع الأهداف الواضحة المنضبطة بالضوابط الشرعية مع المراجعة المستمرة؛

---

١) انظر مقالاً بعنوان : تطبيق السنة بين الغلو والجفاء ، لمحمد الدويش، مجلة البيان ، ع/٣٦، ص ٣٦ .

لتلافي الأخطاء ، وألا تكون التربية مجرد استجابة لردود الأفعال .

ومما يجب التنبه له : أن التوازن والتكامل لا يعني أن يحمل كل شخص قدراً متساوياً من كل جانب؛ وذلك لاختلاف الأشخاص في القدرات والمواهب، ولحاجة الأمة إلى أبواب كثيرة تستدعي أن تُعنى بكل جانب فئةٌ من الفئات، كما لا يعني التوازن : ترك التخصص [1] .

وجدير بالذكر : أن فهم الوسطية تزول به إشكالات كثيرة ، يكثر السؤال عنها ـ بسبب عدم فهم الوسطية ـ كالتوفيق بين : العلم، والعبادة، والدعوة، والجهاد . . . إلخ .

تلاميذ المدرسة النبوية :

وقد كان نتاج تربية النبي ﷺ لصحابته أن عُرفوا باستجابتهم لأمر الله (تعالى) ، ومسارعتهم إلى الطاعة، حتى صار لهم في كل ميدان سهم ، مع تحقيق التوازن في أنفسهم بحيث لا يُغلِّبون جانباً على حساب آخر، وتحقيقه أيضاً في المجتمع؛ حيث كان منهم متخصصون في كل ميدان هم أساتذته ومراجعه، ولم يكن ينكر بعضهم على بعض من ذلك شيئاً، بل كان من سجيتهم أن يعرف بعضهم حقوق بعض، رضي الله عنهم.

واليوم نقول ما قاله قديماً معاوية بن قرة (رحمه الله) : « من يدلني على رجل بكّاء بالليل، بسّام بالنهار ؟ » [2] .

وختاماً : عن الحسن قال : « السنة ـ والذي لا إله إلا هو ـ بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك ـ إن شاء الله ـ فكونوا » [3] .

---

١) مقتبس من محاضرة بعنوان : التكامل والتوازن ثم التربية، للشيخ محمد الدويش، وانظر رسالة بعنوان : التنازع والتوازن في حياة المسلم، لمحمد حسن بن عقيل موسى ، فقد بيّن جوانب التوازن المطلوبة في نوازع العلم والعبادة والدعوة والجهاد وطلب المال، وأسس ذلك التوازن .

٢) سير أعلام النبلاء ، جـ٥ ، ص ١٥٤ .

٢) إغاثة اللهفان ، ١ / ٧٠ .

المسلمون

على مشارف القرن الواحد والعشرين

(٢ من ٢)

بقلم: د.محمد طاهر حكيم

تناول الكاتب في الحلقة السابقة واقع الأمة في المجالات العلمية والتقنية، فبيّن الهوّة الواسعة بين واقعها وموقعها المفترض ، ثم قسم العالم الإسلامي ـ في معرض بيانه لواقعه الاقتصادي ـ حسب ارتفاع الدخل وانخفاضه .. وأخيراً : عرض لمشكلة الديون وأخطارها.. وفي هذه الحلقة يستكمل جوانب أخرى . ـ البيان ـ

الخطر الرابع للديون :

إن المساعدات الغربية تأتي مصحوبة ومتوازية مع بضائع أجنبية ومع احتكارات غربية لسلع بعينها، وترتبط هذه المساعدات بنهب المواد الخام في صورة تصدير إلى الدول الأجنبية [١].

ثم بعد هذا، والأمرّ من كل ما تقدم : التنازل ـ أو شبه التنازل ـ عن السيادة الوطنية أو الاستقلال الاقتصادي، أو حتى التدخل في شؤون الأفراد الدينية!.

وفيما يلي نذكر مثالين [٢] فقط :

١ ـ وافقت مصر في يوليو ١٩٩٤م على شروط صندوق النقد الدولي، ومن بين هذه الشروط : وضع احتياطي البنك المركزي المصري تحت رقابة الصندوق، وهذا يعتبر ـ في رأي كثير من المراقبين ـ مساساً بسيادة السلطات النقدية المصرية.

---

١) انظر : (الدعوة) السعودية ، ع/١٤٥٥، الخميس ١٨/٣/١٤١٥هـ .

٢) انظر : أزمة المديونية الأجنبية في العالم الإسلامي، لعبد سعيد إسماعيل، المقدمة ،ص ٥ .

٢ ـ في زيارة قام بها وفد من صندوق النقد الدولي إلى صنعاء في نهاية مايو وأوائل يونيو لعام ١٩٩٥م وضع الوفد توصيتين مهمتين إلى الحكومة اليمنية، وذلك مقابل منحها مساعدات تبلغ قيمتها (٢٨٠) مليون دولار على مدى اثني عشر شهراً .

أما التوصية الأولى: فهي ـ كما جاءت على لسان خبير اقتصادي يمني ونشرتها وكالة الأنباء الفرنسية ـ تتمثل في: «الحد من نفوذ التيار الإسلامي داخل المؤسسات الحكومية».

أما التوصية الثانية: فهي «إلغاء قرار إنشاء البنك الإسلامي» الذي كانت الحكومة اليمنية قد وافقت مبدئيًّا على إنشائه في شهر إبريل من العام نفسه.

ثم إن المؤسف والمحزن: أن هذه الأموال التي نستقرضها هي في الأصل من أموال العرب والمسلمين، فالعالم الإسلامي مدين كبير ودائن أكبر، فقد ذكرت التقارير أن هناك نحو ٨٠٠ مليار دولار من الأموال العربية والإسلامية تستثمر في بنوك الدول الكبرى، وإنه لمن السخرية بعد هذا أن تدَّعي الدول الكبرى أن فائض أموالها يُستثمر اليوم في دول العالم الثالث على هيئة قروض حكومية، فكأنها تستعبد المسلمين بأموال المسلمين، وتغرق المقرض والمستقرض في أوحال الربا، وكان الأجدر بأموال المسلمين أن تُتَداول بينهم بغير وِصاية أو ابتزاز من أعدائهم أو اضطرار إلى الخروج على أوامر ربهم والخوض في كبيرة الربا.

يأتي بعد هذا: اعتماد الدول الإسلامية على الاستيراد من الدول الأخرى، بدلاً من التكامل الاقتصادي والصناعي والزراعي فيما بينها، مما أدى إلى خنق كثير من الأنشطة الصناعية والزراعية في العالم الإسلامي، وإلى استنزاف أموال المسلمين واستغلالهم من قبل الدول الكبيرة وتكتلاتها الصناعية والتجارية والزراعية المختلفة.

إن ما يدفعه العالم الإسلامي سنويًّا في الاستيراد يكفي لإقامة كبرى الصناعات، فقد ذكرت التقارير الرسمية: أنه قد بلغ حجم الصادرات بين الدول العربية ١٢,٨٨ مليار دولار سنة ١٩٩٣م ، أي حوالي ٩٪ من إجمالي صادرات هذه الدول التي

تقدر بـ٣ر١٤٢ مليار دولار ، وبلغ حجم الواردات داخل العالم العربي ١١ر١ مليار دولار في السنة ذاتها، مما يمثل ٨ر٧٪ من إجمالي الواردات العربية الذي بلغ ٦ر١٢٦ مليار دولار عام ١٩٩٣م طبقًا للإحصاءات التي نشرها صندوق النقد العربي الذي مقره في (أبوظبي).

وأما حجم التبادل التجاري بين الدول الإسلامية فلا يُمثل أكثر من ٦٪ (نعم، أكرر: ٦٪) من تجاراتها الدولية[1].

مصادر الغذاء :

وأما الغذاء: فإن الأمة الإسلامية باتت تعتمد فيه على الاستيراد من الخارج، فهي تستورد ٦٥٪ من احتياجاتها من القمح، و ٧٤٪ من السكر، و٦٢٪ من الزيوت النباتية.. في مقابل بلايين الدولارات سنويًّا، رغم أنها تملك الأراضي الواسعة الصالحة للزراعة، ففي العالم العربي ـ على سبيل المثال ـ ١٣٣ مليون هكتار لأراضٍ صالحة للزراعة ، لا يستغل منها سوى ٣٢٪ فقط.

وفي يوم ١٦ أكتوبر الماضي وبمناسبة يوم الغذاء العالمي ذكرت التقارير :

١ ـ أن متوسط الاستثمارات الزراعية في الوطن العربي لا يتجاوز أكثر من ٥ر٧٪ من حجم الاستثمارات العامة خلال النصف الأول من عقد التسعينيات الميلادية.

٢ ـ التكاليف الناتجة عن الفجوة الغذائية بين الإنتاج والاستهلاك ارتفعت من ٦٠٠ مليون دولار عام ١٩٧٠م إلى (٢٠) مليار دولار عام ١٩٩٤م .

٣ ـ استوردت الدول العربية من المواد الغذائية عام ١٩٩٤م ما قيمته ٢١ مليار دولار، علمًا بأن هذه القيمة لم تتجاوز عام ١٩٧١م مبلغ ٥ر٢ مليار دولار ، ويقول الدكتور «فلاح سعيد جبر» أمين عام الاتحاد العربي للصناعات الغذائية: إنه من المتوقع أن يرتفع عدد سكان العالم العربي إلى ٢٩٥ مليون نسمة سنة ٢٠٠٠م (والبالغ عدده الآن ٢٤٠ مليون نسمة)، وبالتالي: فقد ترتفع الفاتورة الغذائية إلى ٥٠ مليار

---

١) انظر: جريدة (العالم الإسلامي)، مقابلة مع الدكتور زغلول النجار، ص ١٢، الإثنين ١٠ شعبان ١٤١٦هـ ومجلة (الدعوة) ، ص ٣٢، ع/١٥٥٦، ١٥ ربيع الآخر ١٤١٧هـ .

دولار عام ٢٠٠٠م.

وأما الدول الإسلامية، فقد استوردت من الغذاء عام ١٩٨٩م ما يعادل ٢٨,٥ مليار دولار من الدول الأخرى، وصدّرت من المواد الغذائية ما قيمته ١٠ مليار دولار، وهذا رقم ضئيل إذا وضع في الحسبان كثرة عدد هذه الدول [١].

هذا، وإن من المتوقع أن يزداد الوضع سوءاً بعد أن وقّعت أغلب دول العالم الإسلامي والعربي على اتفاقية (الجات)، التي سيتم بموجبها إلغاء كافة أنواع الدعم الزراعي الذي تقدمه الحكومات على بعض السلع الضرورية.

وكذلك ستلغي هذه الاتفاقية كافة أنواع الامتيازات التي كانت تسمح لكل دولة أن تحدد السقوف الجمركية المناسبة لحماية منتجاتها الوطنية، وبالتالي: سيؤدي هذا إلى ارتفاع أسعار فاتورة الغذاء بنسبة ٣٠٪ عن سعرها الحالي.

الحاجة الملحة إلى الاتحاد :

وتأتي بعد هذا حالة التشرذم والتشتت والتفرق التي تعيشها الدول الإسلامية وهي تستقبل القرن الواحد والعشرين، كيف يمكن لهذه الدول أو الدويلات والكيانات الصغيرة أن تتعايش مع التكتلات الكبرى التي تتكامل فيها الطاقات البشرية والموارد الطبيعية، مثل: (أوروبا الموحدة)، ونمور شرق آسيا، وأمريكا، والصين.. وغيرها؟.

إنه لمن المحزن والمؤسف حقًّا: أنه لم تُتخذ أو لم تتحقق بعدُ خطوة عملية جادة من أجل وحدة الأمة، على الرغم من وحدة العقيدة التي تربطها، وعلى الرغم من تجاور الأرض، وتشابك المصالح، وتشابه الطبيعة الجغرافية والمناخية، واتفاق العادات والعبادات والأخلاق والسلوك، ووحدة الأعداء، ووضوح الرؤية لدى الكافة.

رغم أن الحاجة شديدة وملحة للوحدة الإسلامية عن أي وقت مضى، خاصة بعد اغتصاب فلسطين، والاعتداء على البلاد والعباد في البوسنة وكشمير وبورما..، وتقتيل الأطفال والشيوخ، والنساء، وانتهاك الحرمات، وملء السجون والمعتقلات بالمسلمين، واستخدام الأسلحة الكيميائية والجرثومية المحرمة دوليًّا

١) جريدة المدينة المنورة، ١٦/١٠/١٩٩٥م.

ضدهم، وبعد حروب باردة وساخنة ومؤامرات مستمرة.. رغم كل هذا إلا إن الوضع كما هو مع وجود منظمة المؤتمر الإسلامي والجامعة العربية والاتحادات الإقليمية المختلفة، فإننا لم نزدد إلا تفرقًا واختلافًا!، إننا لم نع الدرس كما وعته أوروبا الغربية، فبدأت ـ على الرغم مما بينها من اختلافات عرقية ولغوية وعقائدية وتاريخية وتنافسات على السوق الدولية ومصالح متعارضة ـ تتجه إلى الوحدة، وحققتها في فترة وجيزة[1].

وإنها لمصادفة عجيبة ـ ولكنها تُجَسِّد مفارقة لا تخلو من مغزى ودلالة ـ أن الوحدة الأوروبية والوحدة العربية بدأتا في وقت واحد تقريبًا، فقد ولدت فكرة التعاون الاقتصادي العربي في سنة ١٩٤٥م، بينما دعا رئيس الوزراء البريطاني إلى إقامة اتحاد الدول الأوروبية في سنة ١٩٤٦م، وتكوّن المجلس الاقتصادي العربي في سنة ١٩٥٠م، بينما ولد اتحاد أوروبا للفحم والصلب سنة ١٩٥١م[2].

وحين وُقِّعت اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية في سنة ١٩٥٧م كانت مفاوضات تأسيس المجموعة الأوروبية قد انتهت وجرى التوقيع على (معاهدة روما) التي كانت بمثابة إعلان عن ميلاد المجموعة في العام ذاته، وبعدما قرر مجلس الوحدة الاقتصادية إنشاء السوق العربية المشتركة في سنة ١٩٦٤م ثم توحيد الجمارك الأوروبية في سنة ١٩٦٨م، وإذ أنشئ في سنة ١٩٧٣م صندوق النقد العربي فإن النظام النقدي الأوروبي واكبه في الميلاد حيث قام سنة ١٩٧٩م، وفي العام نفسه جرى انتخاب البرلمان الأوروبي مباشرة من قبل شعوب الدول الأعضاء، وفي ديسمبر ١٩٩١م وقَّع زعماء اثنتى عشرة دولة أوروبية في (ماستريخت) اتفاقية الاتحاد الأوروبي، التي تنص على تحقيق الوحدة الاقتصادية والنقدية بما في ذلك اعتماد عملة أوروبية موحَّدة بحلول عام ١٩٩٩م، وكذلك تحويل المجموعة الأوروبية إلى



١) انظر: قضية التخلف العلمي، ص ٨٥ .

٢) انظر: جريدة الشرق الأوسط، ع/٥١٦٥، ١٨/١/١٩٩٣م، مقال الأستاذ فهمي هويدي.

اتحاد سياسي مع منح البرلمان الأوروبي مزيداً من الصلاحيات، وعليه، ومنذ ١/١١/١٩٩٣م: أطلق مسمى الاتحاد الأوروبي على المجموعة الأوروبية، وتحققت الوحدة الأوروبية اقتصاديًا وسياسيًا .

إذا كان هذا هو النموذج الأوروبي للوحدة فإن التحرك الوحيد الذي حدث على مستوى الأمة من ذلك الحين وحتى اللحظة الراهنة تمثل في اجتماع المسؤولين لمناقشة قضية تثبيت الأمن ومكافحة التطرف والإرهاب !.

مآزق العالم الإسلامي وتحدياته:

إن العالم الإسلامي يُقبل على القرن الواحد والعشرين بكمٍّ هائل من التحديات والمشاكل والمآزق الأخرى، منها:

ـ **مأزق حضاري**: ويتمثل في غياب المشروع الحضاري المستقل النابع من ضمير الأمة محققًا أحلامها وآمالها، وفي ظل النخب المتغربة القابضة على زمام السلطة ومنابر التوجيه والإرشاد ـ في كثير من الدول ـ وهيمنة المشروع الليبرالي الغربي.. فإن فرص صياغة ذلك المشروع المرتقب تصبح عسيرة إلى حد كبير.

أليس من المؤلم والمحزن أن دول العالم الإسلامي ـ وقد مضى على استقلال أكثرها نحو نصف قرن ـ لا تملك مشروعًا مستقلاً للمستقبل، وكانت إلى وقت قريب تحاول أن تستفيد من التناقض الموجود بين الشرق والغرب لتحتمي في خندق أحدهما في محاولتها الحفاظ على نفسها، ولكن زوال الاتحاد السوفييتي أبقى ظهر تلك الدول مكشوفًا، إذ وجدت نفسها أمام المشروع الغربي وعليها أن تختار: إما أن تلحق به وتدور في فَلَكه، وإما أن تبحث لنفسها عن خندق من نوع آخر تحتمي به شريطة أن تكون مستعدة لدفع ثمن ذلك الخيار، فإن لم تجد ـ ولن تجد ـ **فسيظل باب الإسلام خياراً لا مناص من اللجوء إليه لتأسيس المشروع الحضاري المستقبلي.**

ـ **مأزق التشرذم**: الذي ظهر بوضوح في الآونة الأخيرة، ويتمثل في تفجير الصراعات المذهبية والقومية والعرقية، الذي يسعى بعض المغرضين إلى تأجيجها في مختلف دول العالم الإسلامي، وهذا لا يخفى على أي متابع.

ـ **مأزق أهل الشتات**: ويتمثل في أفواج اللاجئين والمهجَّرين الذين يزيد عددهم على ١٨ مليونًا ، ٨٠٪ منهم من النساء والأطفال لا يجدون ملجأً ولا مأوى ، هذا بالإضافة إلى الأقليات المسلمة في كل من الهند، وبورما، والفلبين.. وغيرها، وأما البلاد المغتصبة في فلسطين، وكشمير، والبوسنة.. فذلك مأزق آخر.

ـ **مأزق التنصير**: ويتمثل في تعاظم فتنة المؤسسات التنصيرية في العديد من بلدان العالم الإسلامي، ولا سيما في مناطق اللاجئين وضحايا الجفاف والحروب في آسيا وإفريقيا، وأكثر هؤلاء من المسلمين الذين صاروا مهددين في عقائدهم وعقائد أبنائهم(١).

هذا باختصار هو واقع العالم الإسلامي في مستهل القرن الواحد والعشرين.

مقومات بناء الأمة :

ومن الواضح أن هذا الواقع ليس وليد صُدفة فقط، وإن كنا نحن المسلمين ننتظر القَدَر من الله لتغييره، إلا إننا ننسى أن هذا الواقع لا يتغير إلا بالأسباب التي سنها الله لتغييره: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾[الرعد: ١١].

إن الإمة الإسلامية تملك المقومات الكافية لتغيير هذا الواقع، وهي (آفاق المستقبل) لو أحسنا التعامل معها، فإن المستقبل لهذه الأمة في القرن الواحد والعشرين ـ بإذن الله ـ.

وقبل أن أذكر هذه المقومات أؤكد أنه لابد للمسلمين أن يعيدوا في أنفسهم إحياء معنيين أصليين مهمين، وهما: شمول الإسلام، والوحدة الإسلامية، فإذا آمنت القيادة الفكرية والسياسية في عالمنا الإسلامي المعاصر بهذين الأصلين الأساسين الشرعيين، ودعت إليهما، وعملت جاهدة على تحقيقهما بخطى وئيدة متزنة، وتخطيط يتسم ببعد النظر وعمق الرؤية حينها.. يتبلور الأمل في إمكانية نهضة الأمة من كبوتها واجتياز فترة التخلف التي عاشتها ـ إن شاء الله ـ(٢).

أما المقومات التي تملكها الأمة فهي متنوعة وكثيرة، من أهمها

---

١) مجلة (الحوراء) ، ص ٢٨ ـ ٣١ ، ع/١٩، خريف ١٩٩٠م، مقال الأستاذ فهمي هويدي.

٢) قضية التخلف العلمي ، ص١١٨.

ـ كما ذكر الدكتور النجار ـ :

١ ـ مقومات بشرية: حيث يبلغ عدد المسلمين أكثر من ألف ومئتي مليون نسمة، ويمثل هذا العدد قرابة ربع سكان العالم، ويضم الملايين من العلماء والمهندسين والأطباء والأدباء والمفكرين والمتخصصين في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية، ويمثل ذلك أكبر تجمع بشري على وجه الأرض تربطه عقيدة واحدة .

٢ ـ مقومات أرضية: تبلغ مساحة دول العالم الإسلامي أكثر من أربعين مليون كيلو متر مربع ، ويمثل ذلك أكثر من ربع مساحة اليابسة، ويزيد من قيمة تلك المساحة الشاسعة: اتصالها مع بعضها، وتوسطها دول العالم، وتكاملها من ناحية المناخ والتضاريس وطبيعة الأرض، وتعدد ثرواتها، وتنوع مصادر الحياة فيها، وكثافة سكانها، وعراقة حضارتها، وقدم ارتباطها بالرسالات الإلهية.

٣ ـ مقومات بحرية: يطل العالم الإسلامي على مسطحات مائية عديدة، تخترقها أهم خطوط المواصلات البحرية في العالم ، وله موانئ مهمة على كل من المحيطات: الأطلسي، والهندي، والهادي، وعلى البحار: الأبيض، والأحمر، والأسود، وبحر قزوين ، كما يتحكم في مداخل كل من المحيط الهندي والبحر الأحمر وكذا: الأبيض والأسود، هذا بالإضافة إلى عدد من المسطحات والقنوات المائية المهمة التي تعتبر إسلامية بأكملها، مثل: البحر الأحمر، والخليج العربي، وبحر عُمان، والبحر العربي، وقناة السويس.

٤ ـ مقومات اقتصادية: وهذه تشتمل على مقومات زراعية وحيوانية عديدة ومصادر للطاقة، وثروات تعدينية لم تُقَدّر تقديراً نهائيًا بعد، ومنشآت صناعية مختلفة، يمكن إيجازها فيما يلي:

أ ـ الثروة الزراعية: وتتمثل في أكثر من أربعمئة مليون من الأفدنة المزروعة في مناطق مختلفة، وتشكل هذه المساحة نسبة ١١٪ من الأرض المزروعة في العالم ، و٣٩٤ مليون هكتاراً من الغابات، هذا بالإضافة إلى مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة، والتي لم تزرع بعد.

ب ـ مصادر الطاقة: يملك العالم الإسلامي ما يتراوح بين ٧٢٪ إلى ٧٧٪ من احتياطي النفط العالمي، وأكثر من ٢٥٪ من احتياطي الغاز الطبيعي، ونحو ٤٥٪ من احتياطي اليورانيوم.

جـ ـ الثروة المعدنية: على الرغم من أن معظم أراضي العالم الإسلامي لم يتم مسحها بعد مسحًا علميًّا مفصّلاً باستخدام الوسائل التقنية الحديثة إلا إن الدراسات المحدودة التي أجريت حتى الآن أثبتت وجود العديد من الخامات المعدنية، مثل: القصدير (٢٥٪ من احتياطي العالم)، والكروم ٢٣٪، والفوسفات ٤٥٪، والمنجنيز ٢,٩٪، والرصاص ٦٪، وغيرها من الخامات المعدنية العديدة.

وربما كان تأخر المسلمين في اكتشاف ثرواتهم التعدينية واستغلالها لحكمة لا يعلمها إلا الله، وذلك لأن العالم قد استنفد ثرواته من خامات المعادن ـ أو كاد ـ نتيجة لعملية الاستنزاف التي تعرضت لها تلك الخامات، وهنا تبرز خامات العالم الإسلامي احتياطيًّا مأمولاً، ولكنه يحتاج إلى الكفاءات العلمية والتقنية القادرة على استخراجه وتصنيعه، وإلى الرجال القادرين على حمايته من شَرَه الدول الصناعية.

د ـ مقومات تعليمية وتدريبية: تضم دول العالم الإسلامي اليوم أكثر من ٢٢٤ جامعة، و٣٣٥ معهداً عاليًا من المعاهد المتخصصة، بالإضافة إلى ما يفوق التسعمئة من مراكز البحوث وأكاديميات العلوم والتقنية، وخمسة عشر مركزًا ومؤسسة للطاقة الذرية والنظائر المشعة (يتركز خمسة منها في باكستان، وثلاثة في تركيا، واثنان في مصر، ومركز واحد في كل من: الجزائر وإيران وتونس وأفغانستان، وكان أحدها في العراق).

وتملك دول إسلامية عديدة قاعدة صلبة في الصناعات الثقيلة والتقنية المتقدمة، وتصنع الطائرات والسيارات والقاطرات ومنتجات هندسية وكيميائية وكهربائية ومنسوجات ومعادن وبناء سفن.. وغير ذلك، مثل: ماليزيا، وإندونيسيا، وتركيا، ثم باكستان، فمصر.. وغيرها.

وقبل هذا كله: **نملك أعظم مقومات التقدم البشري المتمثل في**



الإسلام ورسالته الخالدة ، الرسالة التي نزلت للناس كافة ، والتي بدأ العالم يتلمس طريقه إليها في ظرف لم تعرف له البشرية نظيراً من قبل، بعد أن سئموا الحياة المادية الخاوية الخالية من الروح ، وإن المعطيات الكلية للعلوم في هذا العصر قد تجمعت لتؤكد على ضرورة الإيمان بالله وعلى صدق الرسالة المحمدية .

فهل يدرك المسلمون ذلك فيبادروا بجمع طاقاتهم المبعثرة في خطة محكمة هدفها إعادة بعث الأمة على أسس إسلامية سليمة، وهداية الإنسانية إلى نور الرسالة التي حملوا أمانتها ، فإذا فعلوا ذلك فإن المستقبل في القرن الواحد والعشرين يكون لهم بإذن الله، وتفتح لهم الدنيا، وتجثوا أمامهم الأمم ، وهنا تحضرني كلمة للأستاذ « ت.ب إيرفنج » الأستاذ بجامعة (تنسي) الأمريكية حينما وقف مخاطباً تجمعاً للمسلمين في مدينة (جلاسجو) ببريطانيا منذ سنوات قائلاً : « إنكم لن تستطيعوا أن تنافسوا الدول الكبرى علميًّا أو تقنيًّا أو اقتصاديًّا أو سياسيًّا أو عسكريًّا، ولكنكم تستطيعون أن تجعلوا تلك الدول تجثوا على ركبها أمامكم بالإسلام، أفيقوا من غفلتكم لقيمة هذا النور الذي تحملون والذي تتعطش إليه أرواح الناس في مختلف جنبات الأرض ، تعلموا الإسلام وطبقوه، واحملوه لغيركم من البشر تنفتح أمامكم الدنيا ويدين لكم كل ذي سلطان، أعطوني أربعين شابًّا ممن يفهمون هذا الدين فهمًا عميقًا ، ويطبقونه على حياتهم تطبيقًا دقيقًا، ويحسنون عرضه على الناس بلغة العصر وأسلوبه وأنا أفتح بهم الأمريكيتين! » [١] .

فهل نفهم هذا الكلام ونعيه ونطبقه، ونعمل جاهدين لإدراك قيمة ديننا في واقعنا؟ .. آمل ذلك.

---

١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ ـ ١٣٨ ، بتصرف واختصار .

إلى أُمَّتِي

نص شعري

وَاقِفٌ فِي حِمَى الْحَرَمْ ... قَاصِدٌ بَابَ ذِي الْكَرَمْ
طَارِقٌ بَابَ وَاحِدٍ ... يَغْفِرُ الْجُرْمَ وَاللَّمَمْ
خَلَقَ الْكَوْنَ كُلَّهُ ... لَيْسَ يَسْهُو وَلَا يَهِمْ
قَدْ تَعَالَى جَلَالُهُ ... عَلَّمَ النَّاسَ بِالْقَلَمْ
بَابُهُ لَيْسَ دُونَهُ ... مِنْ حِجَابٍ، وَلَا حَشَمْ

* * * *

بَيْنَ جَنْبَيَّ خَافِقٌ ... يَتَشَكَّى مِنَ الْأَلَمْ
أَلَمِي جُرْحُ أُمَّتِي ... جَلَبَ الْهَمَّ وَالسَّأَمْ
كُلَّمَا قُلْتُ جُرْحُهَا ... سَوْفَ يَبْرَى وَيَلْتَئِمْ
رَاشَهَا سَهْمُ حَاسِدٍ ... بِالْعَدَاوَاتِ قَدْ وُسِمْ
سَيْفُهَا كَانَ مُصْلَتًا ... فَنَبَا السَّيْفُ وَانْثَلَمْ
أَنْشَبَ الذُّلُّ نَابَهُ ... فَبَدَا السُّقْمُ وَالْوَرَمْ
شَفَّنِي حَالُ إِخْوَتِي ... فِي عِرَاقٍ وَفِي شَأَمْ
فِي رُبَى الْقُدْسِ إِخْوَةٌ ... فِيهِمُ الْحُزْنُ مُرْتَسِمْ
فِيهِمُ الظُّلْمُ قَدْ عَدَا ... فِيهِمُ الْفَقْرُ قَدْ جَثَمْ
أَيْنَ يَمَّمْتُ نَاظِرِي ... رَاعَنِي الذُّلُّ وَالْغَشَمْ
لَا تَسَلْ عَنْ جِرَاحِهِمْ ... إِنَّ رَبِّي لِمَنْ ظُلِمْ

* * * *

آهِ مِنْ حَالِ أُمَّتِي ... فَقَدَتْ عِزَّهَا الْأَشَمْ
نَسِيَتْ يَوْمَ خَيْبَرٍ ... يَوْمَ صُهْيُونَ قَدْ وَجَمْ
نَسِيَتْ كُلَّ وَقْعَةٍ ... فِعْلُهَا يَسْبِقُ الْكَلِمْ

شعر : عبد الله الزهراني

تَـركَـتْ هَـدْيَ رَبِّـهَـا وَتَـخَـلَّـتْ عَـنِ الْقِـيَـمْ
وَاسْـتَـهَـانَـتْ بِدِينِهَـا فَـأَتَى الْجِـيلُ فِي صَـمَمْ
كَـانَ مُـلْـكُ الدُّنـا لَـهَـا كَـانَتِ الْخَـصْمَ وَالْحَكَمْ
زَلْـزَلَـتْ عَـرْشَ فَـارِسٍ دَكْـدَكَـتْ كُلَّ مُنْهَـزِمْ
أَوَلَـمَّـا أَصَـابَـهَـا هَـولُ خَـطْـبٍ بِـهَـا أَلَـمْ
عَـاتَبَ الْقَـومُ بَعْـضَـهُـمْ ونَـسُـوا عَـاقِـبَـةَ إِرَمْ
إِنَّ لِلهِ غَـضْـبَـةً قَـدْ أُعِـدَّتْ لِمَنْ ظَـلِـمْ

* * * *

طَـرَحَ الْقَـومُ كَـرْبَـهُـمْ فِي حِـمَى هَيْـئَـةِ الأُمَـمْ
وَتَـشَـكَّـوا لِـمَـجْـلِسٍ مَـزَّقَ الْعَـدْلَ وَالشِّـيَـمْ
ونَـسَـوْا بَـابَ رَبِّـهِـم كَـاشِفِ الكربِ والغُـمَـمْ
كَـيفَ نَشْكُوا لِـخَـصْـمِنَا وهو بـالحـقـد يضطرم
كَـيفَ نَـشْـكُوا لِكَافِـرٍ قَـنَّـنَ الظُّـلْـمَ وَالنِّـقَـمْ
يَالَـهَـا مِنْ مَـهَـازِلٍ تَجْلِبُ الشَّـيبَ وَالْهَـرَمْ
كَـيفَ نَبْـنِي وَغَـيـرُنَا يَـعْـشَقُ الْهَـدْمَ وَالرِّمَـمْ
لـيتَ شِـعْـرِي إِلى مَـتَى تَـدَاعَـى نَـحْـونَـا الأُمَـمْ

* * * *

رُبَّـمَـا عَـزَّ قَـومُـنَا رُبَّـمَـا الْفَـجْـرُ قَـدْ قَـدِمْ
فَنَرَى الْحَقَّ عَـالِـيًـا وَنَـرَى الذّلَّ قَـدْ حُـسِـمْ
وَنَـرَى الْغَـيـثَ قَـدْ همَعْ وَنَـرَى الـلَّـيلَ قَـدْ خُـتِـمْ
وَنَـرَى كُـلَّ رَوضَـةٍ غُـصْـنُـهَـا مَـادَ وَانْسَـجَمْ
وَنَـرَى الْبَـدْرَ ضَـاحِـكًـا وَنَرَى الشَّـمْسَ تَبْـتَـسِـمْ

فضيلة الشكر

العُملة النادرة في هذا العصر

(١ من ٢)

بقلم :

د. محمد عز الدين توفيق



الشكر هو: الاعتراف بالإحسان[١] ، يقال: شكرتُ الله، وشكرتُ لله، وشكرتُ نعمة الله... والشكر مثل الحمد، إلا إن الحمد أعم منه، فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة، وتحمده على معروفه وإحسانه، لكنك لا تشكره إلا على معروفه دون صفاته.

وأصل الاستعمال اللغوي للشكر هو ظهور أثر الغذاء في جسم الحيوان، فالشَّكور من الدواب: ما يكفيه العلف القليل، أو الذي يسمن على علف قليل، فيكون الشكر هو: ظهور أثر النعم الإلهية على العبد في قلبه إيمانًا ، وفي لسانه حمداً وثناءً، وفي جوارحه عبادة وطاعة، ويكون القليل من النعمة مستوجبًا للشكر الكثير، فكيف بالكثير منها؟!.

الشكر شعبة من شعب الإيمان: وشعب الإيمان هي صفاته وأخلاقه المتفرعة عنه، مثل: الصبر، والرضا، والتوبة، والإنابة، والخوف، والرجاء، والرغبة، والرهبة، والتقوى، والورع، والخشوع، والإخبات، والإحسان، والعبادة.

هذه الشعب، وإن كانت جميعها تتفرع عن الإيمان، فهى آثاره في باطن المؤمن وظاهره، إلا إن بينها فروقًا تميز بعضها عن بعض، وبعضها أعم من بعض، ومن شعب الإيمان الجامعة: الشكر؛ فإن كثيراً من الشعب الأخرى تطبيق عملي له،كما إن شعبًا أخرى تطبيق عملي للصبر الذي يقابله، فيكون الإيمان نصفين: نصف شكر، ونصف صبر.

وقد اقترن الصبر والشكر في كتاب الله (تعالى) في مواضع، مثل قوله

١) انظر : لسان العرب، مادة (ش ك ر) .

(تعالى) : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : ٥] .

فالشكر على النعمة يقابله الصبر على الضراء، وفي الحديث : « عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته نعماء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »(١) .

ويتداخل الشكر والصبر في شعب عديدة، فيبدو الشكر أعم من الصبر من بعض الوجوه، والصبر أعم من الشكر من وجوه أخرى، ومما يبدو به الشكر أعم : أنه يكون على كل ما قضى الله (تعالى)، بما في ذلك ما يستوجب الصبر، فالمؤمن يشكر ربه على ما نزل به من ضراء ويصبر ، وشكره ذلك لإيمانه الراسخ بأن الله (تعالى) حكيم رحيم، فالخير فيما اختاره، وما ظنه العبد مصيبة هو بعاقبته نعمة، ويكفي أن الله (تعالى) يكفِّر بها خطاياه ويكتبها له في حسناته إلى يوم يلقاه، والمقصود : أن كل ما يستوجب صبر المؤمن فإن الشكر يخالطه، فهو بهذا المعنى أعم من الصبر.

والشكر صفة من صفات الله (عز وجل): فقبل أن يُشرِّف الحق (سبحانه وتعالى) عباده بدعوتهم إلى التخلق بالشكر أخبرهم أنه في حقه صفة من صفات كماله، فمن أسمائه الحسنى : « الشَّكُور »، لا يبخس العبادَ أعمالهم، ولا يظلمهم حقهم، بل يجزي بالحسنة أضعافها، ويجزي بالسيئة مثلها وقد يعفو ويغفر ، يثني على عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويضاعف أجرهم وثوابهم، قال (عز وجل) : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٧] .

وقال (سبحانه) : ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٧]، ويوم القيامة : يرى الناس من هذه الصفة الإلهية ما لم يروه في الدنيا، وعند ذلك يقول المؤمنون ما قال الله عنهم في كتابه : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

والشكر خلق من أخلاق الأنبياء : فهم أول من اقتبس من نور هذه الصفة الإلهية، فشكروا الله (تعالى) فشكر الله لهم، قال (تعالى) عن نوح (عليه السلام) : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] ، وقال عن إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] ،وقال عن سليمان (عليه السلام)

١) رواه مسلم في الزهد .

ـ لما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده ـ: ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠]، وكان نبينا محمد ﷺ أول الشاكرين، فقد قام بواجب الشكر على أكمل وجه، وامتثل لأمر ربه الذي قال له: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٦]؛ أخرج الشيخان عن عائشة (رضي الله عنها)، قالت: « كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً »؛ فهو النبي ﷺ الذي لا يلحقه أحد في معرفة النعمة وتعظيمها وشكرها بالقلب واللسان والجوارح.

والشكر خلق من أخلاق المؤمنين : وإنما كان الشكر من أخلاقهم لأن الإيمان يُعَلِّمهم أنهم وما يملكون لله، وما هم فيه من نعم محضُ فضل الله، فكيف لا يشكرون؟، ويعلمهم أنهم إذا شكروا الله (تعالى) فإنما يشكرون لأنفسهم؛ لأن خير هذا الشكر يعود إليهم، والله غني عنهم، قال الله (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال (سبحانه): ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢] .



الشكر في الناس قليل : إذا كان الشكر من صفات الأنبياء والمؤمنين، فإنه ليس كذلك عند كل الناس؛ فالانتفاع بالنعم والغفلة عن المنعم بها سمة أكثر البشر، على الرغم من ظهورها وكثرتها وإحاطتها بهم من كل جانب، ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٠]، وقوله (تعالى): ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧٨]، وقوله (تعالى): ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣] .

تقصير أهل هذا الزمان في الشكر : ولو كان الناس يُحْدِثون لكل نعمة شكراً، لكان أهل هذا الزمان أشكر لله من كل من سبقهم ، لكثرة ما فتح الله عليهم من نعمة، آثرهم بها على غيرهم، فهم يشتركون مع السابقين في نعم لا تحصى، ويزيدون عليهم بنعم أخرى لم يعرفها المتقدمون على الرغم من وجودها في الأرض، وإنما تمكنوا من اكتشافها في هذا العصر لتقدم علومهم، والعلوم هبة العقل، والعقل هبة الله الأكرم الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

لقد حصل تطور هائل في الإنتاج الزراعي والحيواني، وفي النقل ووسائل

المواصلات، وفي اللباس والزينة، وفي الكسب والاحتراف، وفي السكن والفراش والأثاث، وفي الطب والعلاج، وفي الإعلام والتواصل، وفي كل مجال تقريباً نجد تطوراً كبيراً غيّر ظروف الناس نحو الأحسن ومكّنهم في الأرض ما لم يمكن لمن قبلهم.

ويبدو موقف هذا الجيل صعباً عندما يلقى ربه، بالنظر إلى المفارقة العجيبة بين ازدياد النعم وتناقص الشكر، فالنعم تزيد والشكر ينقص، وصدق الله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الشكر يقابله الكفر : فشكر النعمة : ذكرها ونشرها، وكفرها: جحدها وحجبها ، قال الله (تعالى): ﴿ **وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال (عز وجل): ﴿ **إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾ [الزمر: ٧] .

ومن أسباب كفر النعم: الغفلة عنها ونسيانها؛ أو تفسير مصدرها تفسيراً باطلاً، فتصده شبهات أو شهوات عن رؤية النعم أو رؤية المنعم بها، وإذا تسلطت الشبهات والشهوات على قلب ابن آدم كثرت فيه الأفكار الباطلة والإرادات الفاسدة، ومن ذلك: ما ذكره الله (تعالى) عن قارون عندما ذكّره قومه بأن ما أدركه من مال نعمة من الله، فليحسن كما أحسن الله إليه ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي** ﴾ [القصص: ٧٨]، وظن أن تلك الأسباب التي أدرك بها ذلك المال نتيجة علمه ومهارته، وغاب عنه أنه وما يملك لله وحده، وأنه لا يرد عن نفسه ولا عن ماله الهلاك إذا شاء الله (تعالى) أن يهلكه أو يهلك ماله، وكذلك كان، لكنه لم ينتفع بآيات الله لما نزلت به، وإنما انتفع بها من اغتر به من قومه، أما هو فقد ذهب عبرة لمن خلفه، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من اتعظ الغير به.

فحتى لا يكفر العبد نعمة الله يجب أن ينظر إلى ما وراء الوسائط والأسباب حتى لا تحجبه الوسائط عن رؤية المنعم الذي قدرها، قال (تعالى) : ﴿ **وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ....** ﴾ [النحل: ٥٣] .

الشكر درجات : إذا كانت النعم تتفاضل، فهل يتفاضل الشكر؟، والجواب: نعم، فالشكر أشبه بمتصل يبدأ بأسوأ درجات الكفر وينتهي بأعلى درجات الشكر، فإذا كان الكافر محروماً من هذا الخلق ولا حظ له فيه، فإن المؤمنين بعد اشتراكهم في أصل الصفة يتفاوتون فيها زيادة ونقصاً، بل تتفاوت أحوال الواحد منهم، فلا يكون شكره على درجة واحدة في كل أوقاته ومراحل عمره، وحتى ينافس المسلم على

هذه الدرجات: ينبغي أن يدخل حلبة السباق متسلحًا بالعلم اللازم، وذلك بأن يعرف مراتب الشكر الثلاث، وهي: شكر القلب، وشكر اللسان، وشكر الجوارح.

شكر القلب: أول الشكر: علم، ومحله: القلب، فيعلم أن الله (تعالى) هو المنعم بكل النعم التي يتقلب فيها، فالالتفات إلى النعمة وحدها لا يجعل القلب شاكراً حتى يفسر: هذه النعمة من أين جاءت؟، ومَنْ ساقها إلى الإنسان؟، وما دور الأسباب التي حصلت بها؟.

وقد جاء القرآن الكريم ليدفع جميع التفسيرات التي تنسب النعم لغير الله، قال (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ [فاطر: ٣]، وقال (عز وجل): ﴿ **أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ** ﴾[العنكبوت: ٦٧].

إن رصد النعم، والتعرف إليها، وتسميتها.. مرحلة تمهيدية لابد منها لشكر القلب، ولذلك أمر القرآن الكريم بإحصاء النعم ليكتشف الإنسان كثرتها وعجزه عن الإحاطة بها، فيعتبر بما عرف منها وأحصى، ويعتبر بما عجز عن معرفته وإحصائه، ولا يفهم من الآية الآتية عكس هذا؛ لأنها جاءت عقب مجموعة من النعم سماها القرآن الكريم وعدها، ثم قال: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النحل: ١٨].



وهناك طرق يمكن أن يسلكها القلب ليجمع بها في عالمه الذهني ما يوجد من النعم في العالم الخارجي، ومنها: ردها إلى أصولها، فالنعم أصول وفروع، فالصحة نعمة أصلية، يتفرع عنها: الحركة، والمشي، والعمل، والرياضة، والأكل، والشرب، والنوم، والسفر، والتعلم.. ومثل الصحة: الوقت، والعلم، والمال.. فهي نعم أصلية تندرج تحت كل واحدة نعم لا تحصى.

ومن هذه الطرق: ضم النعم إلى ما يجانسها ويشابهها، ونستطيع أن نصف النعم التي أنعم الله بها علينا في ثلاث دوائر، تضم كل واحدة عدداً لا يحصى من النعم.

فالأولى: تشمل النعم التي أنعم الله بها علينا بوصفنا مخلوقات، فهي نعم متفرعة عن نعمة الخلق والإيجاد، **والثانية**: تشمل النعم التي أنعم الله بها علينا بوصفنا آدميين، فهي نعم متفرعة عن نعمة الآدمية والإنسانية، **والثالثة**: تشمل النعم التي أنعم الله بها علينا بوصفنا مسلمين، فهي نعم متفرعة عن نعمة الهداية والإيمان.

فالدائرة الأولى: تشمل سلسلة لا تنتهي من الترتيبات الكونية جعلت حياتنا

على هذا الكوكب ممكنة، وقد عرف الإنسان اليوم ما لم يكن يعرفه أسلافه عن هذه الترتيبات، وعرف من دقتها أن أي خلل يقع في واحد منها يجعل الحياة على الأرض مستحيلة.. وعلى سبيل المثال: لو كانت الأرض أقرب إلى الشمس مما هي عليه الآن لكانت كالكواكب القريبة منها كوكبًا ملتهبًا وساخنًا تصل حرارته إلى بضع مئات، ولو كان القمر أقرب إلى الأرض منه الآن لارتفع المد في البحار إلى الدرجة التي تغرق فيها المناطق الساحلية المأهولة، وإذا زاد المد أزالت الأمواج أعلى قمم الجبال في أيام، ولو لم يكن للأرض غلاف هوائي لم يمكن وجود حياة، ولو لم يكن فيها ماء لم يظهر كائن حي واحد، ولو لم تكن تدور على نفسها وحول الشمس لم يمكن بقاؤها في مدارها، بل إن وقوفها للحظة واحدة يعني اجتذاب الشمس لها وفناءها السريع بالاندماج مع هذا النجم المشتعل الذي يزود الأرض بحاجتها من الضوء وهو على بعد مئة وخمسين مليونًا من الكيلومترات.. والأمثلة لا تحصى.

والدائرة الثانية: تجمع النعم التي خص الله بها الإنسان من دون سائر الحيوانات التي تشاركه الحياة على الأرض، ومنها: أنه (سبحانه) خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وجعله عاقلاً ناطقًا، وسخر له ما في السموات والأرض، وأنزل إليه الكتب، وبعث إليه الرسل، ووعده على الإيمان والطاعة بالجنة.

فهذه الشمس، وهذا القمر، وهذه النجوم، والجبال، والبحار، والأنهار والأشجار، والدواب، والأنعام، والأسماك، والمعادن، والثمار.. كلها مسخرة له، يأكل، ويلبس، ويفترش، ويدخر، ويتنزه.. فتمت نعمة الله عليه بما أعطاه من قدرة على التسخير، وبما جعل في هذا الكون من استعداد للتسخير.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾** [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤]، **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**

﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٤ - ١٨]، ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل: ٨١ - ٨٣].

والدائرة الثالثة: تشمل النعم التي خص الله بها المؤمنين دون سائر الناس، وأعظمها في الدنيا هي: نعمة الإيمان نفسه، وأعظمها في الآخرة: رضوان الله (تعالى)، ورؤيته، وجواره في جنته، وصحبة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين من عباده.

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].



وتتفرع عن نعمة الهداية والإيمان نعم كثيرة، منها: الأمن، والسكينة، والمغفرة، والرحمة، والتيسير، والرزق الواسع، والبركة في المال والعمل والأهل.. وغيرها كثير.

هذه دوائر ثلاث تصنف النعم حسب أنواعها وأجناسها.

أما اكتشاف النعم والتعرف عليها تفصيلاً فله طريقان، هما: الوحي، والعقل، فالكتاب والسنة ذكرا نعمًا كثيرة، وأرشدا إلى وجوه المنافع الكامنة فيها، وبيّنا طريق شكرها.. والعلوم البشرية ـ طبيعية، وإنسانية ـ اكتشفت نعماً أخرى، ولا زالت تكشف نعماً جديدة أو منافع جديدة لنعم معروفة.

كثير من النعم لا يحتاج الإنسان إلى العلوم المتخصصة ليعرف منافعها وفوائدها، لكن هذه العلوم تُوسّعُ معارف الإنسان، فيعرف منها ما لا يعرفه بالنظر العادي أو بالتجربة العادية، فالحواس الخمس، واللسان والفم، واليدان والرجلان، والماء والهواء، والطعام واللباس، والشمس والقمر، والليل والنهار.. نِعَم يستطيع كل إنسان أن يعد منافعها، ولكن العلوم التي درست هذه النعم تعرف عنها أكثر مما يعرفه الشخص العادي، فهذه العلوم في مسيرتها الطويلة كشفت ـ بقصد أو بغير قصد ـ من وجوه المنافع في الشيء الواحد ما يجعل نعمة واحدة من نِعَم الله

نعم لا تحصى، وهذا وجه آخر في معنى قول الله (تعالى) : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [النحل : ١٨]؛ لأن إحصاءها لا يمكن إلا وهي محصورة، فكيف وهي تتجدد، وتزيد، ويظهر في نعم معروفة ما لم يكن معروفاً؟، فكيف يحصي الإنسان شيئًا لا ينحصر؟.

يقول الله (تعالى) : ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ** ﴾ [الطارق : ٥] .

ويقول (سبحانه) : ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ** ﴾ [عبس : ٢٤] .

فلو قام الإنسان برحلة عقلية مع الجنين في أطوار خلقه حتى يصير إنسانًا سويًّا، وقام برحلة مماثلة مع الطعام خارج الجسم ثم داخل الجسم حتى يصير غائطًا وبولاً .. ما استطاع أن يحصي نعم الله عليه في هاتين الرحلتين اللتين يمر بالأولى مرًّا، أو يمر بالثانية آلاف المرات، فيكف إذا استعان بما قاله علم الأجنَّة عن الرحلة الأولى وما قاله علم الفسيولوجيا عن الثانية؟، ومع كل نعمة احتمالات عقلية أخرى لما كان سيحدث من أنواع الاختلالات والأعراض والإصابات لو لم تسر الأمور سيراً طبيعيًّا ، فالنعم تعرف بما يقابلها من المحن، وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم التذكير بالنعمة وبالاحتمالات العقلية المقابلة، كقوله (تعالى) : ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ** ﴾ [الواقعة : ٦٨ – ٧٠] .

أي : لو نشاء جعلناه مالحًا، ولو تبخرت مياه البحر مرة واحدة بأملاحها لسقطت الأمطار مالحة، فأفسدت الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية لكنها تتبخر دون أن تحمل معها الأملاح فتسقط ماءً عذبًا.

شكر القلب وفتنة الشيطان : لا يمكن أن يسلك الإنسان طريق الشكر دون أن يعرض له الشيطان بفتنته ، بل سيقعد له بكل وجه، ويأتيه من كل طريق، ليُغفل قلبه عن ذكر الله وشكره، قال (تعالى) : ﴿ **ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٧] .

فلا بد من كسب هذه الجولة والتصدي لهذه الفتنة ودفع وساوسه عن القلب، وهي شبهات تفسر النعمة بالباطل أو شهوات تصرف القلب عن الالتفات إلى النعمة عند الانتفاع بها، فإذا تحرر القلب من هذه الوسوسة فاللسان والجوارح تبع له، تصلح بصلاحه وتفسد بفساده.

ليبيا
وسراب الدولة الجماهيرية

في ليبيا أو ـ (الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى!) ـ، أصدر برلمانها ـ أو ما يسمى بـ (المؤتمر الشعبي العام) ـ عقوبات جماعية هي الأولى من نوعها في العالم العربي الإسلامي الحديث، ضد كل من يخالف أو يقاوم هذا النظام، على شكل قانون أطلق عليه: (ميثاق الشرف)!، والذي يهدف إلى مكافحة ما أسماه بالجريمة الجماعية التي تشكل وفق تعريف هذا القانون العجيب «التعطيل لسلطة الشعب»، وبموجب هذا القرار تتعرض عائلة (المخالف) أو قبيلته لعقوبات سياسية واقتصادية ما لم تتبرأ منه ومن أفعاله التي يعاقب عليها، ومن العقوبات التي توقع على المستحقين لها: الحرمان من الخدمات الحياتية كالماء، والكهرباء، والهاتف، ووقود المنازل والسيارات، والخدمات الإدارية، والسلع التموينية، والمخصصات المالية.

هذه العقوبات المنتهكة لأدنى حقوق الإنسان فضلاً عن مخالفتها للشريعة الإسلامية لم تأت من فراغ، وإنما هي «بنات أفكار» (العقيد) التي ضمنها «كتابه الأخضر»، وفي هذا المقال يعرض الكاتب لوقفات من واقع «المؤتمر الشعبي» ولجانه الشعبية، والأسس التي يُحكم بها شعب ليبيا المغلوب على أمره.

والله نسأل أن يصلح الأحوال، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

ـ البيان ـ

المسلمون



والعالم

في ٢/٣/١٩٩٧م مرت على (ليبيا) الذكرى العشرون على إعلان قيام سلطة الشعب المستندة على تعاليم (الكتاب الأخضر) الذي يبشر الشعوب بالهداية إلى طريق الديمقراطية[1]، لمؤلفه (الملازم ثان) «معمّر القذافي» القائد، والمفكر، والمعلم، والملهم، والقائد الأممي، ومهندس النهر الصناعي

١) الكتاب الأخضر، ص ٤٧ .

بقلم: محمد علي محمد

العظيم، صانع أول جماهيرية في التاريخ... إلى آخر الألقاب!!.

إن من حق الباحث بعد مرور هذه السنوات العجاف أن يتساءل عن مصير هذه التجربة، تجربة سلطة الشعب في ليبيا، وكيف كانت التجربة؟، خصوصاً وأن الذي يشرف على إخراجها وتنفيذها هو المؤلف نفسه، الذي توفرت له جميع الإمكانات الهائلة والفرصة المواتية لتطبيق أفكاره، وبحرية واسعة، فقد كانت تجربته هذه تحميها وتقرها وتدعمها سلطة دولة وثروتها وسلاحها، فكيف كانت الحصيلة لهذا الشعب الذي عانى ويعاني من هذه المحنة حتى يومنا هذا؟.

البناء الفكرى للتجربة :

أصدر «القذافي» الفصل الأول من الكتاب الأخضر عام ١٩٧٦م، وهو الفصل المخصص لمناقشة شكل الديمقراطية، وقد جاء في البيان الصادر بإعلان سلطة الشعب ٢/٣/١٩٧٧م، أنه (اهتداء بمقولات الكتاب الأخضر..)، لذا: فإن الأساس الفكري للتجربة يعتمد على (الكتاب الأخضر) مباشرة، الذي يقرر بأسلوب جازم قطعي أن «المؤتمرات الشعبية هي الوسيلة الوحيدة للديمقراطية الشعبية»[١]، وينفي بالأسلوب نفسه «أن أي نظام للحكم خلافاً لهذا الأسلوب (أسلوب المؤتمرات الشعبية) هو نظام غير ديمقراطي»[٢]، «فلا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية واللجان في كل مكان»[٣]، أما فكرة المؤتمرات

١، ٢) المصدر السابق، ص ٤٥ .   ٣) المصدر السابق، ص٤٨ ـ ٥٠



الشعبية فتقوم كما جاء في كتابه الأخضر على النحو التالي : ـ

١ ـ يقسم الشعب إلى مؤتمرات شعبية أساس في كل حي أو محلة.

٢ ـ يختار كل مؤتمر أمانة له.

٣ ـ من مجموع أمانات المؤتمر تتكون مؤتمرات شعبية أعلى.

٤ ـ تختار جماهير تلك المؤتمرات الشعبية لجانًا إدارية؛ لتحل محل الإدارة الحكومية، فتصبح كل المرافق في المجتمع تدار بواسطة لجان شعبية.

٥ ـ تصير اللجان الشعبية التي تدير المرافق مسؤولة أمام المؤتمرات الشعبية الأساس، التي تملي عليها السياسات وتراقبها في تنفيذها.

٦ ـ ما تتناوله تلك المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية يرسم في صورته النهائية في مؤتمر الشعب العام، الذي تلتقي فيه أمانات المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية.

٧ ـ ما يصفه مؤتمر الشعب العام ـ الذي يجتمع دوريًا أوسنويًا ـ يطرح بالتالي على المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية؛ ليبدأ التنفيذ من قِبَل اللجان الشعبية المسؤولة أمام المؤتمرات الشعبية الأساس [١].

وقد وصف « القذافي » أسلوبه بأنه نظام بديع وعملي [٢].

وإذن: فقد انحلت مشكلة الديمقراطية نهائيًا في العالم[٣] بذلك الأسلوب المزعوم.

من عقدة العظمة والغرور ينطلق « القذافي » في (كتابه الأخضر) ويقرر بطريقة الأستاذ الملهم أنه جاء بالحلول النهائية والحتمية لجميع مشكلات العالم عبر التاريخ، وبأسلوب لا يحتمل النقاش أو المراجعة أو الجدال، ولم يبق أمام الجماهير إلا الكفاح للقضاء على كافة أشكال الحكم الديكتاتورية السائدة في العالم الآن [٤].

---

١) المصدر السابق ، ص٤٨ ـ ٥٠ .

٢) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

٣) المصدر السابق ، ص ٤٦ .

٤) المصدر السابق ، ص ٤٧ .

مسلمون لعالم





وإذا كانت الفلسفات والشرائع الأرضية تشهد تهافتها وتساقطها حيناً بعد حين، وأن ما يبقيها ويجعل لها بعض القبول عند الناس هو ما تحمله من بقية وحي، أو أثارة من علم، أو شيء من حكمة.. فإن ما أبقى فكرة سلطة الشعب والكتاب الأخضر ما هو إلا الإرهاب والقمع والقهر.

إذ إن الكتاب الأخضر جاء خلواً من أي فكر صحيح، بل هي أوهام رجل مصاب بعقدة العظمة، وتمكن على حين غفلة من الناس، وانفرد بالسلطة، فزينت له أوهامه أنه مفكر، وأنه رسول الصحراء كما نقلت الصحفية الإيطالية «إيزابيلا بيانكو» في كتابها عنه: (رسول الصحراء)، ولن تجد مثالاً في التاريخ يمكن أن تقربه إلى أفكار الكتاب «الأخضر» أقرب من «قرآن مسيلمة» أو أفكار ووسائل الحاكم الفاطمي، أو دين «جلال أكبر» الحاكم المغولي، أو فلسفة الثورة لعبد الناصر.. وهذه الأفكار الشاذة مصيرها الدفن في مزبلة التاريخ.

التجربة والممارسة:

باشر «القذافي» بقوة السلطة وقهرها تنفيذ أفكاره على الشعب الليبي المغلوب على أمره في أواخر عام ١٩٧٦م، وخدع في البداية شعبه بدعوته لتطبيق الشريعة الإسلامية والزخم الإعلامي الذي قام به إعلامه حول هذا المشروع، إلا إن ذلك لم يطبق فعليًّا، وربما كان ذرًّا للرماد في العيون، ثم تنزل عليه (الوحل) بأفكار كتابه الأخضر، وديمقراطيته إياها لم يجر فيها استفتاء على الشعب: هل يرغب في تطبيق الكتاب الأخضر أم لا؟؛ لأن الاستفتاء ـ كما يقول ـ تدجيل على الديمقراطية[1]، وإنما سيق الناس وحشروا إلى تلك المؤتمرات حشراً، إما رغبة وإما رهبة، فقد كانت جميع المعاملات والإجراءات من إصدار الرخص والتوظيف والجوازات والتأشيرات.. وغيرها لا يمكن الحصول عليها إلا إذا أثبت

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٩.

المواطن حضوره للمؤتمرات الشعبية عن طريق بطاقة الحضور، وكانت تغلق المحلات والإدارات ليتمكن المواطنون من الحضور إلى تلك المؤتمرات.

وإذا كان المكتوب يقرأ من عنوانه ـ كما يقولون ـ ، فإنه في أول جلسة لمؤتمر الشعب العام في ٢/٣/١٩٧٧م والمنقولة مباشرة عبر التلفزيون الحكومي تمت مناقشة الاسم الرسمي للدولة (القذافية)، وكانت المؤتمرات الشعبية قد قررت أن يظل الاسم كما هو عليه، أو اقترحت: جمهورية ليبيا الإسلامية أو العربية... إلخ، فألقى «القذافي» بهذه القرارات في سلة المهملات ـ وهي ملزمة حسب كتابه الأخضر ـ واختار اسمًا عجيبًا لا يحسده عليه أحد، ليصبح أطول اسم في تاريخ الدول كما سبقت الإشارة إليه.

هذه هي البداية، أما تطبيق الأفكار فقد جرى على نحو عجيب كما سنرى:

أسلوب اختيار المتنفذين :

كان اختيار أمانات المؤتمرات وأعضاء اللجان الشعبية يتم دائمًا في غرفة اللجان الثورية، ويلقى بالاسم خارجًا ليتم التصفيق والهتاف وصيحات الإجماع، هذا في المحلات والأحياء، أما على مستوى الدولة فإن الاختيار والتعيين يتم من قبل «القذافي» مباشرة، ويوعز لأحد الأعضاء أن يطالب به !.

أما قرارات الدولة (الجماهيرية) سواء أكانت قرارات مهمة أو تافهة، وحتى قرار بداية شهر رمضان أو العيد، فإنها تتخذ في خيمة القائد، وأصبحت عبارة (الموضوع في الخيمة) مألوفة، ولا يجرؤ أمين اللجنة الشعبية العامة (رئيس مجلس الوزراء) على اتخاذ أي قرار مهما كان، وإنما مهمته تنحصر في تتبع مقر إقامة «القذافي» المتنقل دائمًا والجري وراءه لالتقاط قراراته، ثم إعلانها متى ما أجازها الزعيم!.

ومن المعروف لدى الليبيين أن قرارات تغيير العملة، وإلغاء التجارة، والحرب على تشاد، وتأميم الشركات والمساكن، وفرض الجندية.. وغيرها



لم تعرض ولم تناقش على المؤتمرات، ولو أنها عرضت لم يكن يتغير من الأمر شيء!، ولقد علم الشعب بهذه القرارات عن طريق الإعلانات أو الإذاعات الخارجية!.

ومن المعروف أن القرارات تتخذ وتنفذ قبل انعقاد المؤتمرات الشعبية، ثم تدعى لكي توافق على القرارات السارية!، وأصبح من التقليد المعروف (للزعيم) قبل انعقاد المؤتمرات بيوم أن يظهر في التلفزيون الوحيد الخاص به، ليستعرض مع شعبه البنود المعروضة للنقاش في اليوم التالي، كالأستاذ مع تلميذه ليلة الامتحان، ويقرر لهم ما يريد، لينطلق (الهتيفة) الثوريون يرددون ما قاله، وسميت هذه العملية بترشيد الجماهير.

وبفضل تلك الأساليب أصبح الشعب يكذب على نفسه، وحاكمه يكذب عليه، وأصبحت ليبيا المسكينة مسرحاً سخيفاً كبيراً لأكبر مأساة في تاريخها، سميت زوراً وبهتاناً: عصر الجماهير وسلطة الشعب.

أما اللجان الشعبية فقد نشأت بعد خطاب (زوارة) في شهر ربيع الأول عام ١٩٧٣م، فيما يعرف بخطاب النقاط الخمس وإعلان الثورة الشعبية، ولكن لم تطلق يد اللجان الشعبية بالكامل إلا في إعلان سلطة الشعب، فعاثت في الأرض فساداً، تهلك الحرث والنسل، وتخرب وتدمر جميع مرافق وخدمات الدولة.. فالجامعة ترأسها لجنة من الطلاب الثوريين الفاشلين، والمرافق العامة كالصحة والتعليم والبريد يرأسها نفر من الوصوليين؛ فالمستشفى يديره ممرض (معروف السيرة)، والتعليم يديره مشرف خدمات متهرب من العمل من العينة نفسها، والبريد يرأسه معروف بالرشوة.. وهلمّ جرًّا، أما الشركات: فيرأسها أناس غير متخصصين، وأصبحت المرافق والخدمات والشركات نهبًا موزعًا لهم، واستأثر بالقسط الأكبر منها الأتباع ورجال المخابرات والمقربون.. فهذا عصر الدجل، وكل لجنة شعبية من هؤلاء تتغير أو تبقى بعد عمليات

ما سُمي بـ (التصعيد)، ومن قفز من أهل الخير والفضل خطأً إلى هذه اللجان أسقطت عضويته بقرار من اللجنة الثورية، أو هُمِّش، أو لفقت له تهمة، أو ينساق في تيار (الإنجازات الثورية) حتى ولو لم يقتنع بها؛ ليسلم من المصير المجهول!.

وظهرت طائفة في المجتمع معروفة بالسرقة من الأموال العامة، كالفئات التي تظهر بعد الحروب والأزمات، تعيش بأساليب غير نظامية مما يسمى بأغنياء الحرب.

ولا تسأل بعد ذلك عن حال الخدمات والمرافق والبنية الأساس للبلاد، فما لم تحطمه الفوضى والتسيب أدركته السرقة والنهب، وساعد (الزعيم) على هذا الوضع الوحشي بالتأخير المتعمد للمرتبات، حتى حطمت الدولة (الجماهيرية) الرقم القياسي لتأخير المرتبات، فقد وصلت في بعض القطاعات إلى ٨ أشهر مؤجلة!، أما تأخير المرتبات لبعض الأفراد فقد وصل إلى سنة! أو أكثر، وذلك في دولة بترولية تعم أرضها بالخيرات!.

والوحيدة التي سلمت من هذه الفوضى - إلى حدٍّ ما - هي شركات النفط؛ لأنها ببساطة مقسمة قسمة (ضيزى) بين القذافي وجلود .



من بركات الجماهيرية :

منذ قامت ثورة الفاتح من سبتمبر أو الانقلاب (القذافي)، وليبيا تعاني الأمرين من سوء الأحوال والاضطرابات السياسية؛ نتيجة هذا الحكم العجيب، ومن المظاهر السلبية التي يعانيها الشعب المغلوب على أمره ما يلي:

● الإذلال والقهر والإرهاب للشعب، فقد صار المكان المفضل للقذافي هو ساحات المؤتمرات الشعبية؛ حيث يعدم المعارضون وعلى رأسهم الإسلاميون.

● تدمير البنية الأساس لجميع مرافق وخدمات البلاد، بنشر الفوضى والنهب وحماية القائمين على ذلك.



● إفساد الأخلاق والقيم، ونشر معاني تدني الأخلاق والرذيلة والرشوة وانتهاك الحرمات.

● تشجيع النعرات القبلية والجهوية بين أبناء البلد، وإثارة الفتن بينهم.

● تسليط اللجان الثورية ورجال المخابرات على عامة الناس.

● هجرة العقول المتميزة، وقتل ذوي الكفاءات، وتقديم الأراذل والسفهاء.

والأهم من ذلك وقبله وبعده: تعبيد الناس لطاغوت يسومهم سوء العذاب، وإخضاع الناس لشرعه من دون الله.

وأختم حديثي بالذي هو خير:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

والله نسأل أن ييسر لبلادنا من ينقذها من أفكار العقيد الضالة وأساليبه الغوغائية التي لم تنل منها بلادنا سوى التأخر والضعف والحصار.

فعسى أن يقيض الله لنا من يحكم بشرع الله ليرد لبلادنا كرامتها ومكانتها، وما ذلك على الله بعزيز.

النصارى في بنجلاديش

دراسة عن دور المنظمات غير الحكومية في نموهم غير العادي



تقوم المنظمات التنصيرية الدولية بعمل دؤوب من أجل تنصير مسلمي بنجلاديش، مستخدمة في ذلك الوسائل غير المشروعة وغير الأخلاقية(*)، وذلك ما توضحه حقائق ومعلومات مدهشة مقتبسة من تقرير حكومي داخلي أعده المدير العام لقسم المنظمات غير الحكومية لحكومة (بنجلاديش) ، والذي يفضح تصرفات خطيرة تقوم بها هذه المنظمات، مما يمس سيادة البلاد واستقلالها ، فأراد المدير - وهو موظف حكومي جريء - إصدار إشعار للفت الأنظار إلى عديد من المنظمات غير الحكومية ذات النفوذ الواسع، الأمر الذي أدى بسفراء ثلاث دول غربية قوية تقدم مساعدات للبلاد إلى زيارة « خالدة ضياء » رئيسة الوزراء آنذاك، وهددوها بقطع المساعدات الغربية لبنجلاديش إن أصرت الحكومة على إصدار الإشعار، فنقلت السيدة المذعورة عقب هذه الزيارة مدير القسم إلى قسم حكومي آخر؛ من أجل إرضاء أولئك الأجانب، كما تنازلت عن كل الإشعارات الحكومية في هذا المجال، اختراقاً لقوانين البلاد وأنظمتها .

لقد انقضَّت المنظمات غير الحكومية على بنجلاديش منذ إنشائها، كالنسور الجائعة، ويتضح ذلك من الآتي :

١ - يوجد في بنجلاديش ثلاثون ألف منظمة غير حكومية تملك من مساحة البلاد ٥٤,٠٠٠ ميل مربع (ولم يسجل لدى الحكومة إلا بعض منها) .

٢ - تصرف ثمانية آلاف مليون (تاكا) من مجموع المساعدات



بقلم: محمد نور الزمان

الخارجية التي تبلغ عشرة آلاف مليون (تاكا) سنويًا إلى المنظمات غير الحكومية، إما مباشرة، أو تنفق تحت إشرافها باعتبارها جزءاً من ميزانيتها لتنمية البلاد، (دولار أمريكي = ٤٠ تاكا بنجالية) ، كما تجمع هذه المنظمات تبرعات أخرى من المؤسسات الأجنبية باسم تنمية أوضاع السكان الفقراء في (بنجلاديش) .

وبعض هذه المنظمات تصرح علنًا بكونها ذات طابع تنصيري، مثل: قوة الإنقاذ (Salvation Army)، والبعثة اللوثرية التنصيرية (Lutheran Christian Mission) ، وكنيسة اليوم السابع (Seventh Day Adventurist Church) .. وما إلى ذلك، لكن بعضها الآخر يخفي نشاطه تحت ستار أسماء أخرى.

٢ ـ لا تنفق هذه المنظمات إلا جزءاً ضئيلاً من هذه المبالغ الهائلة لصالح الفقراء ، بينما تنفق الباقي منها ـ وهو يشكل ٨٠٪ إلى ٩٥٪ منها ـ في مجالات الرواتب الباهظة للموظفين ، والفلل، والسيارات الفخمة، ونشر النصرانية، وفي صورة منح في مجالات الإسكان والصحة والتعليم.. وغيرها، تعطى للمتنصرين من المسلمين.

٤ ـ لقد أنشئ مستشفى تبشيري عام ١٩٦٥م في قرية (معلوم جات) من منطقة (شيتاجانج) التي لم يكد يوجد بها نصراني آنذاك ، أما الآن: فقد بلغ عددهم أربعين ألف نصراني، والنتيجة: تم منع رفع

الأذان في مسجد قريب، كما صدر الأمر بعدم رفع الأذان في ثلاثة مساجد أخرى تقع على بعد عشرة كيلومترات.

٥ ـ لقد ركزت هذه المنظمات غير الحكومية على تنصير المسلمين في المناطق الحدودية، ونجحت في تنصير عدد كبير من السكان المسلمين؛ لكي توجد حالة مثل حالة جنوب السودان.

٦ ـ تقوم هذه المنظمات بتوفير الأموال والأسلحة للحركة الانفصالية بقبيلة (جارو هيل) التي قبلت النصرانية!، وشنت حرب عصابات ضد الحكومة البنجلاديشية في مناطق جبلية لـ (شيتاجانج) للحصول على الاستقلال، وكان المواطنون الأبرياء هم ضحايا هذه الحرب.

٧ ـ هذه المنظمات غير الحكومية قوية جداً، وتتمتع بنفوذ واسع في الأوساط الحكومية، لقد نجح شخص يدعى « بيه. مانكين »، وهو رئيس منظمة نصرانية أصولية تدعى (وورلد ڤيزن World Vision)، نجح في قبول ترشيحه من ضمن قائمة حزب (عوامي ليج)، وفاز بالانتخاب النيابي عن دائرة المنطقة الجبلية لـ (شيتاجانج)، وذلك عن طريق دفع خمسمئة ألف تاكا (٢٥ألف دولار أمريكي) للحزب!، فقد فاز بأصوات ١٦,٠٠٠ ناخب نصراني ضد منافسه « تي . إيتش. خان » محام معروف ووزير سابق في حكومة الحزب البنجالي القومي السابقة، لم يكن حزب (عوامي ليج) حتى العام الماضي يتمتع بالأغلبية في البلاد، لكن رحلة الحج التي قامت بها رئيسة الحزب « شيخة حسينة واجد »، ساعدت في عطف آراء الشعب نحوها، فاستغلت حجها لإثارة عواطف الجماهير الدينية، وبالتالي: لكسب أصوات الناخبين لصالح حزب « عوامي ليج ».

٨ ـ كان عدد السكان النصرانيين في عام ١٩٧٢م ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، وارتفع العدد في عام ١٩٩١م إلى خمسة ملايين! ، بينما من المخطط أن





يرتفع العدد إلى عشرين مليون نصراني في عام ٢٠٢٠م.

٩ ـ تمارس هذه المنظمات ـ التي تبلغ قرابة ٣٠ منظمة ـ أنشطة غير مشروعة، وقد وافقت حكومة « خالدة ضياء » على تحركات هذه المنظمات المعادية للبلاد رغم معارضة رئيس الأمن الداخلي لبنجلاديش.

١٠ ـ خصصت في عام ١٩٩٢ ـ ١٩٩٣م ميزانية هائلة لإكمال ١٠١٨ مشروعًا لهذه المنظمات، بلغ قدرها الإجمالي ٣١٥,٠٨ مليون تاكا بنجالية، ينفق منها جزء قليل لتحقيق الهدف الأصلي، أما الباقي منها فهو ينفق في مجال التنصير وتشجيع الارتداد عن الإسلام.

١١ ـ يَعتبر العلمانيون واليساريون ـ من رجال السياسة البنجالية ـ المنظمات غير الحكومية صديقًا حميمًا لهم ، ويقفون أمام مكاتبها من أجل الحصول على مبالغ ينفقونها لصالح مشاريع التنمية الصغيرة في دوائر انتخابهم؛ من أجل كسب الأصوات.

١٢ ـ تقوم هذه المنظمات بحملات ضد القرآن والسنة النبوية، فلقد صدر كتاب ألفه كاتب نصراني، هو الدكتور « مارك حنا » وقامت بطبعه مؤسسة نصرانية اسمها (International Poorways Publications) يحتوي على بيانات من سبعة (مسلمين بنجاليين) تنصروا فيما بعد ، يسبون فيها الإسلام ويستهزؤون به، شارحين الآيات القرآنية شرحًا خاطئًا، ويتجرؤون على النيل من شخصية رسولنا الكريم ﷺ والمس بكرامته ، ولقد طبعت منظمة نصرانية أخرى (الجمعية النصرانية لداكا) الكتاب مترجمًا إلى اللغة البنجالية، ووزعته مجانًا.

١٣ ـ يبقى الموظفون الحكوميون صامتين لا يحركهم شيء، أما إذا اجترأ أحد منهم وجهر بقول ضد هذه الأنشطة فإنه يجد نفسه أمام تهديدات النقل إلى وضع صعب، وذلك بسبب النفوذ الواسع الذي

تتمتع به هذه المنظمات في أوساط الحكومة العليا، ولا نتوقع حدوث تغيير جذري في الوضع بتغيير الحكومة.

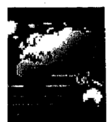
١٤ ـ من أخطر المنصِّرين: المدعو «ريتشارد هالويه» الذي قضى ١٤ سنة في (إندونيسيا) يعمل بدأب في مجال التنصير، ثم جاء إلى (بنجلاديش) في حقبة حكومة الرئيس السابق «محمد إرشاد»، فأنشأ في البلاد منظمة باسم «اتحاد إدارات التنمية لبنجلاديش»، بلغت عضويته (١٨٠) منظمة غير حكومية، من مجموع (٦٣٥) منظمة سجلت لدى الحكومة، وهو يمارس ـ بفضل هذه المنظمات ـ الضغوط على الحكومة، كما يتمتع بدعم كامل من قبل سفراء ثلاثة من البلدان الغربية القوية لدى (بنجلاديش).

١٥ ـ تقوم هذه المنظمات في الغالب، بتوظيف المتنصرين المرتدين، وفي حالة توظيف مسلم ما فهو يعاني العراقيل في سبيل أداء الصلاة، وإن أراد أن يصلي فعليه أن يصلي بعيداً عن أنظار أصحاب العمل، لأنهم يكرهون هذا.

ماذا نفعل إذن؟ :

رغم هذه الظروف غير الملائمة، نرى شعاعًا من الأمل، لقد أصدر ثمانون شخصية بارزة بيانًا إنذاريًا ضد الضغوط المتزايدة للمنظمات غير الحكومية الأجنبية ومساعديها المحليين، وهذه الشخصيات من فئات العلماء والمحامين والمفكرين، وعلاوة على ذلك، كلما افتضح أمر التنصير وعلم به الشعب قام ـ كرد فعل ـ بالعمل المباشر ضد المجرمين.

العلماء والآخرون الذين يتصدون لأنشطة المنظمات غير الحكومية يتعرضون لهجمات شديدة تشنها الصحف والجرائد الأسبوعية واليومية التي تمتلكها هذه المنظمات، وحتى الذين على الخط الأمامي لمواجهة



الخطر لا يعرفون إلا نزراً يسيراً من الأنشطة التنصيرية، وما يتنبهون إلا إذا حدث حادث في منطقتهم ، وليس فيهم أحد على إلمام تام بالمخطط الكامل للمنظمات التنصيرية الذي وضعته لتنصير البلاد، ولا هم على وعي بخطورة الوضع.

سيكون إصدار كتاب يفضح هذه المنظمات بمثابة إنذار للجميع ووثيقة قوية بأيدي العلماء والمسلمين المعنيين لتعليم الجماهير ومساعدتهم في منع المسلمين الفقراء من شراء إيمانهم، كما سيكون تحدياً وكبحاً لجماح المنظمات غير الحكومية.

ولأجل ذلك: هناك دراسة لمشروع طبع ١٠,٠٠٠ نسخة من كتاب صدر عن مركز الدراسات البنجلاديشية يكشف حقائق مذهلة عن الأنشطة التنصيرية، ومن ثم: توزيعها مجاناً بتكلفة ١٠٧,٠٠٠ (تاكا) بنجالية، ويضاف إلى هذه الميزانية ٧٦,٠٠٠ تاكا أخرى لتغطية نفقات التحقيق والصَّف والتوزيع والدعاية والإعلان، لقد تمكنا من جمع هذا المبلغ وهو بأيدينا الآن، والحقيقة: أننا كنا قد خططنا لطبع ١٠٠,٠٠٠ نسخة باللغة البنجالية للتوزيع المجاني داخل البلاد، وطبع ٣٠٠٠ نسخة أخرى باللغة الإنجليزية للتوزيع بين أوساط السلك الدبلوماسي الخارجي، والمفكرين الأعلام، والمتعاطفين معنا في مختلف البلدان الإسلامية، لكن نفقات الطبع الباهظة تحول دون تحقيق هذا الهدف.

ولكن ليس من المعقول التأخر في الطباعة ، لقد طال بنا الانتظار سنتين في انتظار تحقيق وعود منظمة خيرية وعدت بالطبع، ثم خيبت آمالنا فيما بعد، فالحاجة ملحة للإسراع في اتخاذ قرار الدعم والمساعدة.

فهل من أحد يمد يد المساعدة إلى المسلمين البنجاليين الفقراء لإنقاذهم من الفتن والمحن التي تكاد تنزع الإيمان من قلوبهم؟.

مخطط مستقبلي :

المرحلة الأولى : لقد بدأ العلماء والمسلمون المعنيون العمل على مستوى صغير ، فلقد تقرر ـ من أجل تبادل المعلومات فيما بينهم ـ أن يتم إنشاء لجنة صغيرة في العاصمة (دكا) تحت رئاسة خطيب معروف، وسيكون من ضمن مهام اللجنة : الاتصال بجميع ضحايا هذه المنظمات وبجميع من أبدوا اهتمامهم بالقضية، وتحثهم اللجنة على إنشاء لجان محلية لتعليم الجماهير وعقد مؤتمرات وندوات لشرح تعاليم عقيدة التوحيد وفضائح عقيدة التثليث،ثم تقوم اللجان المحلية بإرسال ممثليها لتأليف لجنة مركزية، وستكون اللجنة مترفعة عن الولاء الحزبي السياسي؛ لكي تشمل كل من يريد أن يساهم فيها بغض النظر عن ولائه السياسي .

الطموح والإمكانات :

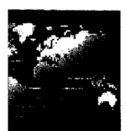
المطبوعات :

نقترح طبع الكتب التالية في هذه المرحلة :

● طبع فصول مختارة من كتاب (إظهار الحق) باللغة البنجالية ، ذلك الكتاب المهم الذي ألفه الشيخ « رحمت الله الكيرانوي » بناءً على طلب من السلطان « عبد الحميد » ، لقد أفحم المؤلف رئيس البعثة التنصيرية في الهند آنذاك « القس فندر » في مناظرة عقدت بمدينة (آجرا) على مقربة من (دلهي) في شهر يناير ١٨٥٤م ، ففر الأسقف من الهند وظهر ثانيًا في تركيا، فلما سمع القس عن الشيخ أنه جاء من (مكة المكرمة) إلى تركيا للمناظرة فر ثانيًا ولم يعقب ، فوفر السلطان للشيخ كل التسهيلات؛ لكي يؤلف كتابه التاريخي (إظهار الحق)، الذي قدم فيه العرض والنقد التحليلي للنصرانية المعاصرة .

● ترجمة بنجالية لموجز كتاب Blood on the Cross (دم على الصليب) .





● ترجمة بنجالية لأعمال مختارة للشيخ «أحمد ديدات».

مكتب متواضع للاتصال والتنظيم:

تكون مهمته: تيسير جهود مكافحة هذه التنظيمات وتنسيقها، وتقدر تكاليف تأسيسه بـ (٥٨٢,٠٠٠) تاكا.

أما ميزانية طباعة الكتب فسيعلن عنها بعدما تصبح الكتب جاهزة للطبع.

سيوزع تقرير مجانًا باللغتين البنجالية والإنجليزية، بعد ذلك نتمكن من تقييم التجاوب معه، والتخطيط للمرحلة الثانية في ضوء مدى التجاوب من داخل البلاد وخارجها.

لقد بدأنا الأبحاث لوضع صيغة لمشروع القروض الصغيرة وفقًا للشريعة الإسلامية، وسيقدم المشروع بعد اللمسات الأخيرة إلى المؤسسات الراغبة في المشاركة فيه، ومن بين هذه المؤسسات: مؤسسة تسمى Islamic Ummah Corporation Ltd، تعمل في إطار الشريعة الإسلامية، وتستخدم ١٠٪ من الأرباح لتوفير القروض الصغيرة بهدف القضاء على الفقر.

وكذلك ستنشأ لجنة الدفاع التطوعية، وتشمل المحامين البارزين للدفاع عن ضحايا المنظمات غير الحكومية، ونحاول تدبير نفقات سفر وإقامة هؤلاء المحامين الذين سيقدمون خدماتهم بدون مقابل.

الخطة التبشيرية في بنجلاديش:

نقاط من مرتكزات هذه الخطة:

● من المعلوم أن بنجلاديش حصلت على استقلالها حديثًا.

● وُجدت فرص فريدة لتنصير المسلمين فيها.

● لم يعد الإسلام دين الغالبية والحكومة.

- انتشرت بين الناس روح الحرية والتطلع إلى الاستقلال.
- وقد ظهر ضعف العقيدة بين الناس، خاصة بين الطلبة منهم.
- وحدثت حروب وفتن بين المسلمين أنفسهم في سنة ١٩٧١م .
- وقد أبدى بعض الزعماء والعلماء تعاونًا مع الجيش الباكستاني.
- استغلال اعتقاد الباكستانيين أن الإسلام ضعيف في نفوس البنجال.
- وجه النصرانية في بنجلاديش جيد إلى حدٍّ ما .
- بعض الشباب النصارى كانوا مسرورين باشتراكهم في حرب الاستقلال.
- فتح النصارى أبواب بيوتهم لمد يد المساعدة للمحتاجين أثناء الحرب.
- ساهمت الكنائس هناك في إدارة عمليات الإغاثة.
- لندعو الرب أن يمدنا بأفراد متطوعين لنشر النصرانية في بنجلاديش.
- سيلقى عملهم ونشاطهم قبولاً لدى المسلمين.
- وسيعملون في الأرياف، حيث لا يوجد نصارى ولا نصرانية، كمثل «جمالبور»، «نتروكونا»، تنجايل»، «كيشوركنج».
- نحن لا نريد فقط أفرادًا يدخلون النصرانية، بل نريدهم أن يكونوا دعاة للنصرانية بين أبناء جلدتهم.
- وسيكون عملهم مدروسًا وطبقًا لخطة معينة لنشر النصرانية.
- ولنبتهل إلى الرب أن يوفق الشباب الداعي إلى النصرانية في استمالة قلوب المسلمين وتنصيرهم.
- ومجلس الكنائس الأسترالي سوف يقدم لنا العون المادي لنشر ديننا.
- وسوف يفتح الرب قلوب المسلمين لقبول دينه.
- والبعثات التبشيرية ستعمل على إحراز النصر المبين في نشر النصرانية.

وبعد: فإنا نذكر بالصورة التي وضعها «برناردشو» من كلمات «نابليون» عن الإرساليات التبشيرية المسيحية الإنجليزية، وهي كما يلي:



الفوز الأعظم من الحرية والاستقلال الوطني سيطر واتسع في سيطرته إلى نصف العالم بما يسمى الاستعمار، عندما أراد سوقًا جديداً لمنتجات ما غير صالحة، هو يرسل الإرساليات لكي تدرّس المواطنين الأناجيل والسلام، يقتل المواطنون الإرساليات وهو يحلق ليصلح دفاعات المسيحية، ويحارب لأجلها، ويأخذ السوق كمكافأة من السماء.

سوف يكون متغير مهم جداً أن نلاحظ أن المحاولات المسيحية ممكن أن تتوقف فقط إذا واجهت محاولات مضادة بالمثل.

وأخيرًا :

فالأمة الإسلامية تحمل مسؤولية كبيرة لإنقاذ مسلمي (بنجلاديش) من محاولات التنصير المتوالية، فإذا لم يكن الرد سريعًا ومناسبًا للثقافة والأيديولوجية وأعمال المنظمات غير الحكومية، سيتعرض أي إنسان للخراب الروحي، وبالتالي تدمير العقيدة.

وسوف يشرد كل إنسان في بنجلاديش إذا تم السماح للإرساليات التنصيرية بالعمل في البلاد كما سمح لها في لبنان .

نسأل الله أن يعطينا القوة والشجاعة، وللأمة الإسلامية السيطرة على خطط المنصرين وعملائهم من ذوي الاتجاهات المشبوهة والوقوف في وجهها.



(*) سبق لمجلة (إمباكت انترناشيونال) اللندنية أن قدمت عرضًا ملخصًا لهذا الموضوع، روت فيه ما يجري وراء الكواليس من أعمال المنظمات التنصيرية من جهود محمومة لأعمالها المشبوهة.

واقع مسلمي إثيوبيا
ودعوة للإنقاذ

مسلمون في العالم



أرض الحبشة ـ أو ما يعرف اليوم بإثيوبيا ـ أرض عرفت في التاريخ الإسلامي بالأسبقية إلى استضافة أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا من ديارهم فراراً بدينهم من جهة، ولكون حاكمها النجاشي عادلاً من جهة أخرى، وقد آمن برسالة الإسلام فيما بعد.

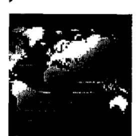
ويمثل المسلمون الآن في تلك الديار ٧٥٪ من مجموع سكان الحبشة البالغ عددهم ٥٥ مليون نسمة.

وللدعوة الإسلامية في المنطقة نشاط قوي ـ ولله الحمد ـ، ولا سيما بعد عودة كثير من الدعاة المتخرجين من جامعات السعودية وغيرها؛ مما ساعد على تنشيط وانتشار عقيدة أهل السنة والجماعة في أوساط المسلمين، ولم نجد قبل الآن ـ ولله الحمد ـ ما يحد من نشاط الدعوة إلى الله وإلى المنهج الصحيح في المنطقة، إلا إنه ـ مع الأسف الشديد ـ قد شهدت الساحة الإثيوبية في الأيام الأخيرة تطورات خطيرة ضد العمل الدعوي الإسلامي الصحيح، في موقف لا يحسد عليه، بين فرق الضلال والابتداع المنتسبة للإسلام، وبين فرق التنصير وحملاته، وهذه التطورات والمستجدات تتمثل في النقاط التالية:

النشاط الرافضي:

ويتمثل في محاولة تغلغله عن طريق بعض الأشخاص المنتسبين إلى العلم، فعلى الرغم من أنه لا يذكر هناك أي نشاط للرافضة خلال الفترة الماضية على مستوى البلد، إلا إنه في الآونة الأخيرة ـ نظراً لكون البلاد

بقلم: عبد الله المحتسب



مفتوحة لكل من يرغب في ترويج بضاعته ـ قامت بعض العناصر منهم قبل ثلاث سنوات بالتحديد ـ عبر سفارتهم في البلاد ـ بالاتصال بأحد المشايخ المحليين والعمل معه، حتى استطاعوا كسبه أخيراً في صفهم، وقد قام بزيارات متكررة لإيران.

هذا وقد تمكن هذا الرجل الآن من أن يُرَشَّحَ ـ قبل شهرين تقريبًا ـ لمنصب المفتي للإقليم الرابع عشر (أديس أبابا) وهي عاصمة البلاد.

ومن هنا: بدأ يستفيد من هذا المنصب للتضييق على الدعاة والمصلحين، وبالذات على الدعاة السلفيين، الذين يسميهم هؤلاء بالوهابيين، بل أعلن هذا الرجل صراحة وبالحرف الواحد ـ في الاجتماع الذي عقد في عاصمة البلاد قبل شهرين تقريبًا بمناسبة تنصيبه مفتيًا للبلاد ـ بأنه: يسعى للقضاء على الوهابيين وأنشطتهم، ولتوضيح هذه الفقرة أكثر يمكن إيراد بعض التوصيات والقرارات لذلك الاجتماع، التي كان منها:

- منع إلقاء أي خطبة أو وعظ في داخل المساجد.
- وقف جميع الحلقات العلمية والدروس التي كانت تقام في مساجد العاصمة من قِبل الدعاة.

وهذا التيار له دعم قوي ماديًّا ومعنويًّا من إيران، وذلك عبر سفارتها في أديس أبابا.

النشاط الصوفي :

ويتمثل ذلك بتشكيلهم لمجلس العلماء في عاصمة البلاد (أديس أبابا)

قبل أقل من ثلاثة أشهر، ومن شرط العضوية في هذا المجلس ألا يكون العضو من خريجي الجامعات الإسلامية! وبالأخص جامعات السعودية.

فهذا التيار الصوفي تجمع تحت مظلته بعض الصوفيين والقبوريين المتشددين من داخل العاصمة وخارجها، ومن أهم مشاريعهم وأوليات عملهم في المرحلة القادمة: القضاء على من يسمونهم بالوهابيين حسب زعمهم، والتصدي لأنشطتهم الدعوية وغيرها، وذلك بإعداد ونشر بعض الكتب الصوفية والكتب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في باب العقيدة.

النشاط البدعي:

ويتمثل في قيام زعيم جماعة من يسمون بـ(الأحباش) « عبد الله الحبشي » بزيارة خاطفة للبلاد مع بعض أنصاره، حيث قام بزيارة ميدانية لعدد من الأقاليم: (أديس أبابا)، (دردوي)، و(هرر)، ووزع في هذه الأقاليم بعض مؤلفاته ومنشوراته، والتي تتضمن الهجوم على علماء أهل السنة والجماعة وتكفيرهم.

هذا... وقد وعد الرجل في نهاية هذه الزيارة بعض المتعاطفين معه بفتح مركز دائم لأنشطته في عاصمة البلاد، تكون مهمته الإشراف على المشاريع التي تنوي هذه الفرقة تنفيذها في البلاد.

النشاط التنصيري:

يتمثل في وجوده وانتشاره الواسع في المنطقة ونشاطه المكثف، حيث وصل عدد الإرساليات والجمعيات والمنظمات التنصيرية التي تعمل الآن في البلاد أكثر من مئة منظمة، وكلها أتت إلى المنطقة بخيلها ورجلها تحت مظلة المساعدات الإنسانية؛ لتنصير المسلمين، وبخاصة في المناطق التي تعاني من الجفاف والكوارث الطبيعية.

دعوة للتفكير:

وفي ضوء هذه الظروف والمستجدات التي ذكرناها على الساحة في



البلاد ضد دعاة أهل السنة والجماعة وعلمائهم نود ـ أخانا الكريم ـ أن تعلم بأنه ليس هناك للمسلمين في الحبشة عامة والدعاة منهم خاصة من يقف معهم ويساندهم إلا الله (سبحانه وتعالى)، ثم ما يجدونه ويأملونه من إخوانهم الغيورين على دينهم والمتألمين لواقع أمتهم، لذا : فبالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن إخواننا المسلمين في الحبشة عامة والدعاة منهم بخاصة، **أتقدم لمن يهمه الأمر بالاقتراحات التالية :**

■ تعيين مزيد من الدعاة، سواء من أبناء البلد أو من غيرهم .

■ دعم المراكز والمؤسسات الإسلامية ذات المنهج الصحيح .

■ التركيز على دعم المجالس الإسلامية، وبخاصة تلك التي تملك التوجه الصحيح؛ لأنها هي الجهات الرسمية، ويمكن استغلالها في شتى المجالات .

■ عقد دورات مكثفة لتأهيل الدعاة وتبصيرهم بالمخاطر وسبل مواجهتها بطرق غير مثيرة .

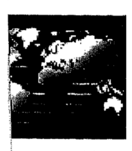
■ تزويد المنطقة بكميات كثيرة من المصاحف بأحجامه المختلفة .

■ فتح مكتبات إسلامية في عدد من المساجد والجوامع في الحبشة .

■ التركيز علي نشر الكتاب الإسلامي في البلاد، وذلك باللغات الرئيسة في المنطقة مثل : الأمهرية، الأورومية، والعربية، وذلك أن غالب سكان الحبشة ـ وبالذات طبقات المثقفين والطلاب في المدارس والجامعات ـ لا يتمكنون من الاستفادة من الكتاب الإسلامي باللغة العربية بسبب حاجز اللغة، وهذه النقطة قد تفطنت لها بعض الفرق المنحرفة، فقامت بتوزيع منشوراتها ومعتقداتها وأفكارها بين المسلمين وغيرهم باللغات السائدة .

وأخيراً :

نود أن نضع أمامكم حقيقة، وهي : أننا إذا تمكنا من القيام بشيء من هذه المهمة وتوفيرها ستكون الجولة والمستقبل المشرق ـ إن شاء الله ـ لأهل الحق في الحبشة . . ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ .



وعيُنا ووعيُهم بين حدَثَين

بقلم: سليمان بن عبد العزيز الربعي

في دائرة الضوء

في الوقت الذي كانت فيه الجرَّافات اليهودية تشرع في أعمال التمهيد لبناء مستوطنة (جبل أبو غنيم)التي سموها بالعبرية (هارحوما)، كانت دوائر الإعلام في بعض البلاد العربية تخصص تلك الفترة لمواكبة الاحتفال بذكرى وفاة مطربهم الشهير! .

وفي الوقت الذي كان فيه مركز البحوث الاستراتيجية في جامعة (تل أبيب) يُجري استطلاعًا للرأي حول أعمال البناء في المستوطنة الجديدة لحشد التأييد اللازم ؛ كانت تلك الدوائر الإعلامية مشغولة باستطلاع من نوع آخر، كانت شبكات الإذاعات والتلفزة تُجري اتصالات عشوائية بالمواطنين لمعرفة انطباعاتهم عن (مطرب الشعب)(*) في (ذكراه الخالدة)(*)، مسدية (خدمات جليلة) (*) للجماهير في اتصالاتها المستمرة بأقرباء الراحل وجيرانه وأصدقائه؛ كيما يعطوا المتابع (المتلهف)(*) أدق التفاصيل اليومية عن (معشوق)(*) الجميع، في ملبسه ومشربه، وحركاته وسكناته، بل في طريقة ضحكته.. إي والله!!.

ولئن أبان استطلاع الرأي اليهودي عن وعي جماهيرهم بقضايا أمتهم اللقيطة، المفروضة، الـ...، ...؛ فإن الاستطلاع الآخر لم يكن ـ بحمد الله الذي لا يحمد على مكروه سواه ـ بأقل وعيًا وهمًّا؛ إذ تجلت المعارف الخطيرة عن الفن والطرب وأربابهما؛ أولئك

*) هذه الألفاظ مأخوذة من قاموس مذيعي تلك الشبكات وبعض المشاركين في الاحتفالية .

الذين أضافوا إلى الأمة ـ بحسب تعبير أحد المشاركين في الاحتفالية ـ : «مجداً حضاريًّا لا يُنكر»!!.

فروق بين الاستطلاعين :

وإذا كان ثَمَّ تعليق تمكن به قراءة هذه المفارقة بين أمتين متباينتين تبايناً عقديًّا وواقعيًّا حاداً ـ يضاف إلى ما يعطيه الحدث نفسه من دلالات ـ فهو التأكيد على وجوب النظر إليه (أي إلى ذلك الحدث) في سياق القضايا الكبرى التي تشكل بها الأمم سلبًا أو إيجابًا، بحيث يُدرك المتابع أن وعيًا يمنح آحاد أمة بلا تاريخ اجتماعي وسياسي موحد مثل (يهود) قيمة التفاعل المؤثر في مسألة حساسة تتعلق ببعد جوهري يقف عليه مصيرها وأمنها ومستقبلها، إنما ينتظم ـ على سبيل الحقيقة ـ في سلك مشروع كبير يهدف إلى صياغة إنسان مسؤول، بحيث ينتج ـ بدوره ـ الهوية في فكره وقدراته لتستحيل سلوكًا ذا معطى يجاوز الرقم الإحصائي إلى أن يكون بذاته شرطًا مهمًّا في مسيرة أمته، ليس على مستوى التشييد العفوي فحسب، بل على مستوى العملية النقدية التي تضطلع بدور التخطيط والتقويم والترشيد للمجريات بعموم.

ومع التأكيد ثانية على أنَّ هذا الدور لم يكن ليتأتى جُزافًا، بل سُبق بمراحل الإعداد والتهيئة لقيمة الوعي في الذوات المسؤولة، من خلال حيثيات بناء الثقة المطلقة بقضاياهم المصيرية وأحقيتها المادية والتنظيرية، وبالجزم المتناهي بأن المصير الفردي والجمعي متعلق بالمفردات الصغيرة ونجاح المساعي فيها، تمامًا كما هو مرتبط بالمشكلات الكبرى التي لا يتعدد فيها الحل، بل هو واحد ينطلق من رؤية مصلحية عامة، بعيداً عن المكاسب الفردية التي تعني في قاموسهم الجمعي خيانة لا تغتفر، وهي منطلقات ترى في المرجع الديني ـ نصًّا أو وسيطًا ـ القداسة المطلقة التي تصدر عنه مسلكية الفرد والأمة.

وإلى هذا ـ وفي الجانب المقابل ـ يتبين المراقب أن تخلفًا بحجمٍ ما نجحت في ترميزه تلك الاحتفالية الليلاء التي لا يمكن أن تقرأ مفردة عن

مـسلسل هوان الأمـة اللاغـبـة، إنما يعكس نمطًا فريدًا من عدم الوعي الذي تعـيـشـه الأمـة، بحـيـث نجح العـدو المتربص ـ من خلال وسائل كثيرة ـ في استـلاب قيـمة التـفاعل الإيجـابي من العــقــول والقلوب على الســواء من ناحـيـة، ومـن ناحـيـة ثانيـة : اسـتـطاع استقطاب ما تبقى من فكر وتفاعل إلى فـضـاءات العـبث المبـرر بحـيـثـيـات مضحكة ومبكية في آن.

ولقـد كـانت جـهـود الاسـتـلاب والاسـتقطاب ناجحة إلى مدى بعيد؛ فـأمة يعـيش أفرادها هم التأوه الطروب، على أنغــامٍ مــدغــدغــة للعــواطف والشـهـوات المستـعرة، في ظل أوضـاع عاصفة تتعلق بمصير أمةٍ ومقدَّسٍ، لأمة تعـيش اغـتـرابًا خطيـرًا في المفـاهيم والقناعات، وهي أمـة لم تعـد تنشغل ـ على الحق ـ باعتباريات بقائها ، فضلاً عن النظر في شروط تطورها.



وإن الغـريـب الذي لا ينقـضـي منه العـجب حقًّا أن تتماهى هذه الممارسة الموجعة، بخلفية إرثٍ قديم عن الحقوق الضـائعة، والمقدسات المغتصبة، و..، و.. إلى آخـــر هـذه المنظومـــة التي أصـبـحـت لازمـة التـشـكل المظهـري بهـمـوم الأمـة وقـضـاياها(!) .. الأمـر الذي يدعـونا إلى التـأكـيـد على بعـد الأثر الذاتـي في المشكـلة، وعـــدم التــسـليم لقــول المتكئين على نظرية المؤامـرة في التـبـريـر أو الهــروب من المسـؤوليـة في الواقع الذي يمس هؤلاء من القـضـاء المحـتـوم والقـدر الغـالب!، ولـئن كـــان بيـــان خـطل هـذه الرؤية بالتـدليل الشـرعي على وجـوب الدفع بالأسـبـاب المباحة يمكن أن يُقنع؛ فـإن في التـأكـيـد على عـدم واقـعـيـة هذا التـفـسـيـر ها هنا خـروجًا من القعـود الخُلُوفي ، بإثبـات أن للعـامل الذاتي دورًا أســاسًـــا في تـكـريس التــخـلف والاشـتـغـال بما لا يفـيـد؛ ذلك أنه في مقـابل عقـيدة القناعات الواحـدة في قـضـايا الآخـر الذي سلف بيـانه آنفًـا ، بقيت قضايا أمتنا نسبية الحق والباطل، تبعًا لمتغيرات الزمان والمكان، فمـا كان بالأمس مـحـرَّمًـا يمكن أن يـصبـح اليـوم قـابلاً لـلنقـاش، و(لا) أمس يـصح أن يلوى عنقـهـا لتـصبـح (نعم)، ومـا لا

يجوز التنازل عنه قبلاً يخضع بعداً لمداورات الأيام ومصالح الأعلام..!، من هنا: أصبح الفعل الجماهيري عاجزاً عن الوقوف على أرض صلبة تسمح له بالمشاركة المؤثرة، بل وأضحت المسلمات المحترمة في عقله ووجدانه ضرباً من (الأفكار) التي يصدق عليها التطور الحداثي القائم على عدمية ثبات المضمون!.

وإلى هذه الحقيقة (المطلقة) لم يكن للمرجعية العقدية ـ في الأعم الأغلب ـ أيُّ دور في ثبات مُسَلَّمات الجماهير وإعادتهم إلى الوعي الصحيح في قضاياهم المصيرية، فأصبح هذا الغثاء بين مطرقة الشك وسندان العبث بفعل فاعل غير مستتر أو موارب.

الغربة العقدية:

ومن غير ما شك، عُدَّ هذا الوعي الرديء من أمارات الغربة العقدية التي تحدث عنها الصادق المصدوق ﷺ في قوله: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً...»[1]، وتلك الصورة المتحدث عنها تمثل الجرح الأول، أو الصورة الكبرى للغربة التي تمارسها الأمة الأم في مضامين الكشوفات المعرفية عن كل شيء، إلا معرفة الشريعة التي كان قَدَرُهَا الوحشة، بحيث لا يدرك منها في كثير من البلاد إلا الرسم المتعتع والهيكل الغفل، حتى إن المرء ليتهلهل وجهه لرؤية سمة للدين أشفق ألا يراها في بعض بلاد المسلمين.. والله وحده المستعان!، أما القلة المحافظة على قيمة الوعي ذي المنحى المفيد الوسطي، فتعيش هم الغربة الثانية، أو المعنى المراد في مدلول اللفظ الأسيف؛ إذ تصبح أمة وسط أمة، فريدة في الهم والطرح، بل وفي الوعي المجرد، وذا هو الجرح الراعف الثاني:

جرحان تمضي الأمتان عليهما
هذا يسيل، وذاك لا يلتامُ!!

ولئن كنا أوغلنا البيان في خلفيات ما نحن فيه ـ وهو أمر ذو أهمية قصوى آمل أن يتاح له عرض آخر ـ؛ فإن من المفيد العود على تأكيد أن أزمة الوعي التي تعيشها أمة الإسلام

١) رواه مسلم.

بوجه عام تعود بكل وضوح إلى البعد عن المصدرين المشرِّعين، مما أودى بالقوامة التربوية والثقافية على مطلق الصُّعُد.

حقًّا، إن من يريد أن يقيس مسافات الوعي بين أمتين متباينتين فلا بد له أن يقف طويلاً عند موقفين شبيهين بما افتتح البيانُ به، إنهما يعودان إلى جريمة إطلاق النار من قِبَل يهودي على المصلين في مسجد الخليل إبراهيم (عليه السلام) قبل أعوام، إذ بادر الوعي اليهودي بحشد التأييد الشعبي وشبه الرسمي لفعل (البطل)[1] «جولدشتاين» من حيث دلالته العقدية والتأثيرية، بل وأصبح قبره مزاراً قوميًّا وقيمة تربوية ضُمَّ إلى قائمة الأماكن التي تُزار، ناهيك عن حجم الاستفادة من خلفيات الحدث وتوظيفه دينيًّا وأمنيًّا.

وفي المقابل: أنتج الوعي المحسوب على العرب والمسلمين عينة مخجلة؛ إذ بادر أحد المعلقين إلى الإفصاح عن رأيه في معالجة الحادث من قِبَل بعض المصلين، مؤكداً على أن رد الفعل كان ذا خلفية صراعية، غير مغفل - وهو المخلص - أن (يستنكر) ما قام به (الجاني)، وإذا كان هذا الوعي يمثل عينة نخبوية؛ فإن عينة الجماهير كانت ذات طابع وقتي، بالإضافة إلى فشلها الذريع في تقييم الوضع وإعادة تمثله بوعي حصيف، مجلية وزرَ مَن حملها على اختزال الحل والردع والثأر في شخص فلان أو علان!!.

لقد كانت مسافة الوعي بين رد الفعل (الجولدشتايني) ورد الفعل العربي المسلم بعيدة بُعد ما بين جرافات (أبو غنيم) المسكين وذكرى الراحل، شاسعة بقدر ما بين الجد واللهو من مسافة لا يمكن أن تُردم، غريبة الاتجاه والتفاعل، إنْ في المثير وإنْ في المستجيب، بقدر ما بين المسلك الطيب والرديء من تنافر غريب وتباين جلي.

سؤال يطرح نفسه :

والتساؤل الممض: كم ينبغي أن

١) هذه المفردة مأخوذة من قاموس أعضاء في البرلمان اليهودي (الكنيست)، (لاحظ بُعد الوعي حتى في التسمية).

ينفق المسلمون من العمل والوقت للوصول إلى درجة من الوعي ناضجة؟، وقبل ذلك: كم من الجهد ينبغي أن يصرف كيما يقتنعوا بجواب سريع سهل لهذا الأمل، وهو أنه كامن في العودة الحقة إلى الله (عز وجل) وتحقيق العبودية له كما يحب ويرضى؟.

حقًّا، إنه لمطلب نفيس، وإلى أن يتحقق فلا زال العجب متملكًا العقول من صورة حية لتغطية الإذاعة اليهودية لأعمال البناء في (أبو غنيم) (!)، إذ بادر المذيع إلى سؤال أحد المستوطنين عن مدلول قرار حكومتهم في الشروع في البناء، فكان جواب المستوطن: إن هذا العمل يُعَدُّ لبنة من لبنات العمل اليهودي الذي بدأه «هيرتزل»، و«جولدا مائير»، و«بيجن»، و«شامير»، و.. «جولدشتاين»!!.

في هذا الوقت كان المذيع العربي - في احتفالية الراحل - مشغولاً بمكالمة مع أحد الأطفال الذين (يعشقون سماع أغاني مطرب الشعب)، فيتملك الإعجاب المذيع بدرجة قوية جعلته يجلجل بضحكة مدوية تنم عن الفخر، معقبًا بالقول: «إذن، والله، لا زالت (....)[1] بألف خير»، في حين راحت الإذاعة تحتفي بهذه الإجابة (الواعية).

ولله الأمر من قبل ومن بعد

---

١) ذكر اسم البلد العربي الذي ينتمي إليه المحتفون، والمحتفى به!.

هل يكفي النفي؟!

بقلم:
محمد بن عبد الرحمن الزامل



حرص د. «محمد يحيى» في كتاباته على المعلومات الحديثة، والأسلوب المتجدد ، والطرح المميز، مما جعلني من مداومي قراءة مقالاته، ولعل ذلك كان السبب وراء هذا التعقيب أيضاً.

فقد قرأت مقاله المعنون بـ« ثقافة آكلي لحوم البشر» في العدد (١٠٦) من البيان ، فوجدته يسير على المنوال نفسه الذي ألِفتُه، حتى استوقفتني فقرة تحدث فيها عن عدة تهم وجهت إلى الإسلام ، نفاها عنه جملة وتفصيلاً بلوحة كبيرة كتب عليها (لا)، دون أن يزيد على ذلك، ربما لأن المقام لم يكن يسمح بالتفصيل .. إلا إنني أستسمح الدكتور عذراً في طرح بعض الأسئلة حولها:

● كيف تنفي عنا وعن ديننا تهمة الرغبة في السيطرة، والآخر يسمعنا نكرر أنا مأمورون بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أو يعطوا الجزية ﴿عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]؟.

● أليس من حق هذا الآخر أن يتهمنا برفض الحوار الذي لا يمكن حدوثه إلا في حال استعداد الطرفين للتنازل، وللتفاوض، ولمزج الأفكار؟، ومعلوم أن لدينا ثوابت لا نتنازل عنها، ولا نفكر في ذلك أصلاً، بل يجب أن ندعو إليها... والثرى عن الثريا الفرق بين الدعوة والحوار.

● هل ستكون فكرة التسامح في الإسلام قائمة في ذهنه وهو يعلم أن الإسلام إن سمح لأهل الملل الأخرى بالبقاء على عقائدهم، وإقامة شعائرهم، فلن يسمح إطلاقاً بالدعوة

لها، أو تحول المسلم إليها ؟.

• لماذا لا يصم الإسلام بالعنف، والإسلام يعد الجهاد ـ وجهاد الطلب بالذات ـ ذروة سنامه؟.

هل يمكن أن نمحوا كل هذه التهم، وفق كل هذه المعطيات، بإنكارها فقط ؟!.

نعم.. كل هذا مما يحق للآخر أن يطرحه ، وأن يتساءل عنه، وأن يورده باعتباره تهماً، إذا كان لا يعرف ـ أو لا يريد أن يعرف ـ سمتين رئيستين للإسلام، تقنن أداءه ، وتحكم تفكير أهله:

أولاً: أنه منهج ينظر للأمور من زاويتين ، دنيوية وأخروية، مغايراً بذلك كل طرق التفكير السائدة اليوم، فحد الردة ـ مثلاً ـ معرة عند التفكير الدنيوي، أما عند من جعل الجنة هدفاً يصوغ عليه منهجه فهو ضرورة، ولو أن يدخل الناس الجنة «وهم يقادون إليها بالسلاسل».

ثانياً: أنه منهج إلهي، خلافاً للمناهج الأخرى، القابلة للزيادة والنقص والمراجعة والتنقيح، والانحياز والخطأ، لذا: نرى ـ نحن المسلمين ـ انعدام الغرابة في أن يحكم الناس شرع ربهم، حتى ولو وصمه أعداؤه بحب السيطرة، وعدم إعطاء الفرصة للآخر.

هاتان السمتان تجعلان الحوار مع أي حضارة أخرى يبدو ـ عندي ـ عديم الفائدة [1]، لغياب المرجعية في هذا الحوار وانعدامها، اللهم إلا أن يدور الحوار حول المرجعية نفسها، كما هو الشأن في بداية الإسلام، فإما أن نرتد عن ديننا ـ أقول ذلك ثقة بديني، سائلاً الله الثبات ـ وإما أن يكون الحوار في بقية الأحكام لمجرد التشويش، ليس إلا.

تعقيب الكاتب د. محمد يحيى:

بعد أن أزجي الشكر للأخ الفاضل «محمد بن عبد الرحمن الزامل» على اهتمامه الكريم بما أكتب: أود أن أذكِّر أنني لم أنف التهم الموجهة ضد الإسلام بكلمة «لا» فقط، ولكنني رددت على بعضها بتفصيل داخل المقال المذكور، وأيضاً في غيره من المقالات، وأوضح أنني أفرِّق بين التهم التي توجه إلى الإسلام في الغرب، وهذه لا أُعنى كثيراً بالرد عليها؛ لأنني

---

١) المقصود هنا : حوار الثقافات، وليس حوارات التعاملات السياسية والاقتصادية .

أعلم مدى عداوة القوم وعدم موضوعيتهم، بين ذلك ونفي التهم أو ما يشابهها مما ينقل من هناك إلى هنا ليردده العلمانيون على مسامع قومنا ويَخْدعوا به من يخدعون، وهذه هي ما أحاول الرد عليه.. وتعقيبًا على ما ذكره الأخ الفاضل في رسالته أقول: إنني ممن لا يهتمون ولا يفضلون مسألة الحوار مع الغرب التي فرضت فرضًا على الساحة الإسلامية فيما يشبه الإكراه؛ لكي يضطر المسلمون إلى اتخاذ مواقف دفاعية، أو لينشغلوا عن واجب الدعوة بالرد على التهم، أو ليقدموا تنازلات فكرية ـ بل وعقدية ـ مهمة؛ فقط لكي يحصلوا على رضا محاوريهم من الغربيين، ويؤسفني أن أشير إلى أسماء معينة ذات مناصب كبيرة اتخذت هذا المنهج مؤخرًا في عدة بلدان إسلامية، منها (مصر) من حيث أكتب.

وأنا في هذا أتفق مع ما ذهب إليه الأخ «الزامل» في ختام خطابه، أما بالنسبة لسائر ما جاء في الخطاب فأود أن أقول: إن الدعوة إلى الإسلام في تصوري تسبق قتال المخالفين، أما وصم الإسلام بالعنف فنحن نستطيع نفيه إذا عرّفنا العنف حق التعريف، بحيث لا يشمل دعوة الآخرين إلى عقائدهم ومنع ذلك، أو منع تحول المسلم إليها، وكما قلت: إن الدعوة إلى الإسلام تسبق قتال المخالفين، وهذا أيضًا رد على تهمة العنف، لكن هذا كله إن أردنا نفي تهم الغربيين ـ وهو ما سبق أن قلت إنني لا أهتم به، بل أهتم برد التهم والشبهات التي يلقيها عملاؤهم العلمانيون في الداخل ـ، ولكن مما يساعد على رد هذه التهم أن نذكر أن الحديث عن قتال الآخرين شيء والواقع القائم شيء آخر، وهذا الواقع يؤكد أن أحدًا من دعاة الإسلام المعتبرين لا يدعو بدارًا إلى قتال الغربيين إلا على سبيل الدفاع المشروع، كما أن أحدًا لا يتحدث عن السيطرة على بلادهم، بل فقط عن الدفاع عن بلادنا، أما الحوار فيفترض أننا نملك أمرنا في يدنا، بحيث ندخل فيه من موقع الثقة بالنفس وليس من موقع الاعتذار والتنازل، وبحيث يكون الهدف هو الدعوة إلى الإسلام قبل أن يكون نفي التهم ونبذ ثوابت ديننا.

المرأة وجهاد القلم

بقلم : مريم المحمد

لقد كثرت الزوايا الصحفية والمقابلات والندوات والمقالات التي لا تزال تنال من الإسلام، فتارة تعترض على بعض تشريعاته، وتارة تهاجم بعض دعاته وتلمزهم، وتارة تطالب بالتجديد ـ بل مسخ أحكامه ـ... وهكذا.

وكثيرٌ من شباب الصحوة يعلمون حقيقة هذا الأمر ، ولكن قليل أولئك الذين يبادرون بأداء دورهم المطلوب تجاه هذه المشكلة أو تلك، وهنا تختلف المعوقات، ما بين معوقات حقيقية يُعذر أهلها وأعذار واهية وقيود مصطنعة وضعها أصحابها لتسويغ مواقفهم السلبية.

وهناك العديد من الموضوعات والقضايا التي تدعو الحاجة لنقاشها والردّ على من يتبنّاها، فمثلاً: ما أكثر ما يتطرق المغرضون إلى الحديث عن قضية المرأة، ودعوى ظلمها في مجتمعاتنا، وهضم حقوقها في ظل عاداتنا وتقاليدنا بخلاف بلدان الحضارة والنور! المزعومة.... إلخ.

وكأنه ليس في العالم مشكلة سوى هذه المشكلة التي تتواطأ الأقلام ـ بل والمؤسسات الصحفية والنقابية ـ على عرضها وتكرارها بدعوى أنها هي العائق الأكبر في مسيرة تقدم الأمة نحو الحضارة والرقي.

صحيح أن هناك بعض القصور وسوء الفهم لقضية المرأة، لكن الإسلام بريء من أي ظلم للمرأة، وحسبنا قول الرسول ﷺ في خطبة الوداع من الوصية بالنساء خيراً بقوله: «فاتقوا الله في النساء».

موقفنا من التغريب : يلزم فضح هذا الاتجاه وأصحابه بكتابة الردود والتعقيبات التي توضح خطر هذا التوجه ومَن وراءه، ولذلك فوائد : منها :

١ ـ نقد الصوت الآخر وفضحه والتخفيف من ضغطه وزحفه ، لأن تركه في الساحة دون مُنازل سيشعره بانهزام مقابله، ويغريه بالتقدم والهجوم.

٢ ـ دفع الإحباط وطرد اليأس الذي أخذ يسري وينتشر في بعض النفوس، مع غفلة عن ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

٣ ـ حفز همم أهل القدرات والطاقات، وحثّهم على المبادرة والعمل البناء .

٤ ـ إظهار نموذج مقبول لطريقة الردّ المنضبطة التي تحتذى ويقتدى بها؛ لأن هناك ردوداً وتعقيبات كُتبت بدافع الحماس والغيرة مع اشتعال العواطف وخبوء ضوء الفكر فيها، فجاءت لنا بثغرات هوجمت الدعوة من خلالها.

ضوابط للرد والتعقيب :

حتى تكون مناقشتنا موضوعية ومقنعة يلزم الأخذ بالأسباب التالية :

- الإلمام بخلفية كافية عن القضية المطروحة والآراء المتداولة حولها.
- العلم بخلفية كافية عن الكاتب واتجاهه ونمط تفكيره وأسلوب طرحه .
- فهم المقال المراد نقده أو تأييده فهماً جيداً، دون تحميل الكلام ما لا يحتمل.
- الموازنة بين الرد على الفكرة والرد على الأسلوب، وانتقاد الكاتب دون تجريح أو تهجم، فإن هذا أقوى وأسلم وأدعى للقبول.
- مراعاة الفروق والاختلافات بين الكتّاب (حتى لو تماثلت القضايا المطروحة) ، فالرد على من يُعرف عنه سوء الاتجاه وخبث الطوية يختلف عن الرد على من أخطأ عن غير قصد .
- مراعاة الوضوح في عرض الفكرة وجودة العرض والموازنة بين الإسهاب والاختصار.
- الحذر من الاندفاع العاطفي غير المنضبط والسقوط في العبارات الساقطة المبتذلة.
- البدء بالأهم فالمهم، والتغاضي عما يمكن التغاضي عنه من صغار المسائل.
- حسن التقسيم والتفريع لنقاط الموضوع؛ مما يعطي المقال قوة وقبولاً؛ ولئلا يمله القارئ.
- الاهتمام بقواعد اللغة العربية وسلامة الأسلوب وصحة الإملاء.

• تدعيم الآراء بالأدلة والبراهين العلمية الشرعية والعقلية.

• الجمع بين القوة والثقة من ناحية، والتواضع ورحابة الصدر وفتح المجال للنقاش وإبداء وجهات النظر وفق الضوابط الشرعية من ناحية أخرى.

• الحذر من الدخول في قضايا شائكة تفتح ثغرات لردود مقابلة.

• إظهار أن صاحب الرد لا يقف وحده، بل هذا هو موقف كل مسلم غيور على دينه.

• عرض الرد على بعض أهل العلم والتخصص، واستشارة ذوي الرأي ما أمكن، دون أن يعوق ذلك سرعة النشر التي قل أن ننتبه لها.

• التنسيق بين عدة أشخاص للتفاعل مع القضية، بإعداد ردود وتعقيبات موضوعية من جوانب أخرى.

• متابعة الصحيفة أو المجلة للتأكد من نشر الرد، والمهاتفة أو المكاتبة عند عدم النشر.

• معرفة ردود الفعل على الرد وأثره، سواء من المؤيدين أو من المعارضين، ومتابعة الكتابة مرة أخرى إذا لزم الأمر.

آملة أن يكون فيما ذكرته حافزاً لإخواني وأخواتي للمبادرة بنصرة قضايانا الدعوية، التي طالما تشدقنا بفهمها ومعرفة أبعادها، دون أن يكون لنا في الواقع رصيد من نصرتها والدفاع عنها على الوجه المطلوب.

والله من وراء القصد،

بريد البيان

■ **الأخوان / سيد علي إسماعيل، وتركي العتيبي:** ستصل كلاً منكما رسالة خاصة .

• • •

■ **الأخ / محمد بن أحمد الإدريسي:** سينشر جزء من قصيدتك في منتدى القراء .

• • •

■ **الأخت / فاتن الصويلح:** موضوعك جيد ومهم، وسينشر بعضه في منتدى القراء في عدد قادم .

• • •

■ **الأخ / مروان بن أحمد القدسي:** ستصلك رسالة خاصة بخصوص موضوعك (النقد الهدام) .

• • •

■ **الأخ / حسام عيد أحمد:** نشكر لك مشاعرك الطيبة تجاه البيان، ولعل ما سألت عنه وصلت الإجابة عليه .

• • •

■ **الأخت / بسماء الجاهل:** موضوعك عن الدعاة سينشر في عدد قادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

• • •

■ **الإخوة / عبد السلام سعيد كريم، نايف خيران، الخضر عبد الباقي:** ما أرسلتموه تحت الدراسة .

• • •

■ **الأخ / أبو عبد الرحمن (١):** طلبك بوضع برنامج علمي لطلاب العلم والارتقاء بمعارفهم في الإعلام والاقتصاد والسياسة . . طلب وجيه، ولعل بعض المختصين يمدنا بما يحقق ذلك .

• • •

■ **الأخ / أبو عبد الرحمن (٢):** نشكر لك عواطفك النبيلة ودعاءك الصادق . . واقتراحاتك جيدة، ومنها ما أخذنا به بالفعل، أما إعادة نشر مقالات البيان القديمة فنراه غير مناسب .

تنويه

تحبذ البيان ذكر الأسماء واضحة فيما يرسل لها، ولن يلتفت للرد على الرسائل المخالفة مستقبلاً

■ **الأخ / الأمين عبد المولى حمد:** ستصلك رسالة خاصة حول ما أرسلته عن (ميثاق الأمة المسلمة) .

• • •

■ **الأخ / عبد الرحمن التركي:** نعتذر عن النشر لفوات مناسبة الموضوع، وأهلاً بك في مشاركة أخرى .

• • •

■ **الأخ / محمد فريد شونارا:** مقالك عن (الدعوة الإسلامية في جنوب إفريقيا) سيعد للنشر في عدد قادم ـ إن شاء الله (تعالى) ـ.

■ **الأخ / محمد إظهار الحق:** موضوعك عن (المسلمين في نيبال) سيعد للنشر في عدد قادم .

• • •

■ **الأخ / فوزي صالح:** مقالك تمت إجازته، وسينشر في البيان الأدبي في عدد قادم .

• • •

■ **الأخ / مراد زين:** موضوعك عن بلغاريا وصل متأخراً، فلم يواكب الأحداث، لذا: نعتذر عن النشر .

• • •

■ **الأخ / عبد الحميد النجيدي:** نشكرك على مشاعرك الطيبة حيال البيان، واقتراحاتك محل اهتمام أسرة التحرير .

• • •

■ **الأخ / عبد العزيز المكي:** نشكر لك متابعتك وثناءك واقتراحاتك السديدة، والتي نعمل جاهدين للاستفادة منها .

الورقة الأخيرة

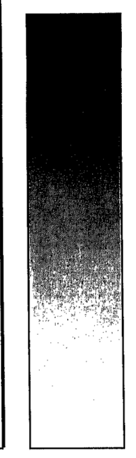
نخبة.. استحباب العمى

بقلم : محمد البشر

أخطر مزالق العقل، ومنتهى منازل الجهل، وأحط مسالك الهلكة: أن يَستحب الإنسان العمى على الهدى، ويُؤْثر الغواية على الجهالة، ويستبدل بالرشاد التيه والضلال.

ولقد حكى القرآن العظيم قصة أمة بأكملها استحبت العمى على الهدى بعد أن جاءها الدليل وقامت عليها الحجة، فحلت بها عقوبة الجحود والتنكر والاستحمار: ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [فصلت: ١٧]، والهدى المذكور في الآية: هو هدى الدلالة والبيان، لا هدى التوفيق والاصطفاء، أي إنه تبين لهم بالحجة القاطعة والبرهان الساطع أن صالحًا مرسل من ربه ومبلغ عنه، فجحدوا دعوته وكذبوا به، فأصابهم ما أصاب أسلافهم من العتاة والمكذبين والمتكبرين.

وإذا كان عقاب من تبينت له الطريق ووضحت له الحجة جاء (في سياق الحديث عن قوم ثمود) بصيغ متعددة وألفاظ متنوعة، مثل: الصاعقة، والصيحة، والرجفة، والتدمير، والدمدمة، والطاغية.. مما يؤكد عظم الذنب وحجم الخطيئة ـ مع أنهم لم يكفروا بعد إيمان، ولم يرتدوا بعد إسلام ـ فكيف بمن يؤثر العمى على الهدى إذا كان



هدى توفيق واصطفاء وإسلام؟! .

إن من النُّخب الفكرية والثقافية في وطننا العربي من تريد تكثير سواد حملة لواء (استحباب العمى)، وتنويع قاعدة الأتباع لتشمل فئات المجتمع بأكملها، مع التركيز على الناشئة وصناع القرار؛ لتكتمل منظومة صياغة (جيل العمى) باسم التنوير، وهي نخبة تجيد فن صياغة الشخصية ، وتعدد الأقنعة، وتلون الغايات، تقتات في بيئة الخوف والذل والصغار والانكسار ، لكنها واضحة وصريحة في هجومها على دعاة الهدى والإنقاذ من العمى.

فهل يَعْقل تعدد أدوار هذه النخبة ، وتلوّن رموزها ، وتنوع أقنعتها .. مَن يملك قرار اجتثاثها، وتخليص الأمة من مكائدها؟!.

